إسرائيل نحو الانفجار الداخلي

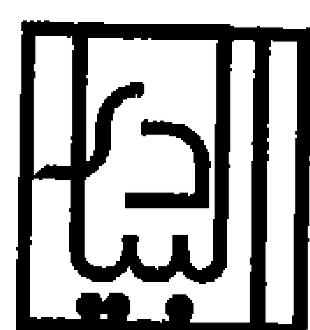
جدع جلادي

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين
المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على
دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم «بسم الله الرحمن
الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين
والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة
واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم،
وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على
ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف...
اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف
مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من
ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار
مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل
ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة»......

إسرائيل نحو الانفجار الداخلي

التقاطب بين المستوطنين الأوروبيين وأبناء دار الإسلام

جَدَع جِلَادِي



● جدع جلادي ـ **أسرائيل نحو الانفجار الداخلي**

● الطبعة الأولى ١٩٨٨

● الناشر ـ **دار البيادر للنشر والتوزيـــع**

٣٥ش جزيرة العرب ـ المهندسين ـ ت، ٣٤٤٤٣٣٠

● مراجعة ـ عبد المجيد إبراهيم



من اليمين إلى اليسار بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس .. الكاتب جدع جلادي
وعبد الزهرة الهاشمي رئيس اتحاد الطلبة العرب في بريطانيا في اجتماع جماهيري في لندن ١٩٨٠ .

مقدمة

ينقسم اليهود في إسرائيل إلى طائفتين إثنيتين حضاريتين : أولاهما الطائفة الأشكنازية ؛ وتتألف من الأقلية الاستيطانية الصهيونية التي هاجر أكثرها إلى فلسطين من بلدان أوروبا الشرقية ، وبعضها من أواسط أوروبا وغربها ، أو من أمريكا . وتمثل هذه الطائفة قمة الهرم في المؤسسة الصهيونية المتحكمة في البلد ، أي الأكثرية الساحقة في مجلس الوزراء ، والبرلمان ، والوظائف الحكومية والنقابية العليا ، ورأس المال الخاص والعام ، والوكالة اليهودية ، والمؤسسة العسكرية ، والصفوة الثقافية ، وقيادة الشرطة والمخابرات ... إلخ . وكمجتمع ؛ تمتاز هذه الطائفة بالغطرسة العنصرية ، وتؤمن بتفوقها النوعي والحضاري بالمقارنة بالشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية ، بما فيها اليهود ؛ أبناء البلدان العربية والإسلامية . أما « التقدميون » منهم ، الذين يعارضون العنصرية ، فيمتازون بالموقف « الأبوي » نحو سكان المنطقة . والطائفة الثانية هي طائفة يهود الإسلام (اليهود العرب أو « سفاراديم ») ، وتمثل أغلبية اليهود ، وهم من أبناء فلسطين الأصليين ، ومن الذين قدموا من الوطن العربي والإسلامي ، إلى جانب أولادهم وحفدتهم المولودين في فلسطين . وباستثناء الدين ؛ تشكل هذه الطائفة جزءًا لايتجزأ من الأمة العربية والإسلامية ، من حيث الحضارة واللغة ، والقيم الأخلاقية ، والمثل الأدبية والتقاليد والوطن والتاريخ ؛ إذ إنها عاشت منذ القدم وحتى الوقت الحاضر في « دار الإسلام » ــ مئات من السنين قبل الفتوحات الإسلامية ، التي حررتها من الاستعباد الساساني والبيزنطي . أما يهود الجزيرة العربية ولاسيما اليمنيون ، فقد عاشوا مع العرب منذ فجر التاريخ واستعربوا في العصور الغابرة .

وتمكن المستوطنون الأشكناز من تحويل هذه الطائفة إلى أيدٍ عاملة رخيصة ، بعد أن كانت تنتمي إلى الطبقة الثرية والطبقة الوسطى وطبقة أصحاب الحرف اليدوية والمهن الحرة ، في أوطانها السابقة ؛ قبل هجرتها إلى إسرائيل . ثم أصبح مصير أبنائها وحفدتها ، المولودين في إسرائيل ، أسوأ من الناحية الاقتصادية والثقافية . واستطاعت المؤسسة الحاكمة تدمير هذا المجتمع من الناحية الحضارية والاجتماعية والأخلاقية ؛ بعد أن حاولت استئصال الحضارة العربية والإسلامية ؛ والقضاء على اللغة

العربية الفصحى . وتم ذلك بواسطة سياسة مبنية على العنصرية والخبث والرياء واستغلال العواطف الدينية . وبما أن هذه الطائفة لم يكن لها أي وطن آخر عدا الوطن العربي الإسلامي ، ولم تعش قط خارج هذه الديار ؛ فقد بقي مصيرها مربوطاً تماماً بمصير الأمة الإسلامية والأرض الإسلامية .

ولقد وُضِعت آلاف الكتب عن المشكلة الفلسطينية وعن الاضطهاد الصهيوني الموجه ضد الشعب الفلسطيني المناضل ، غير إن العالم لايعرف إلّا القليل عن سياسة التمييز العنصري ضد يهود الإسلام في إسرائيل ؛ بسبب النفوذ الصهيوني في الإعلام الغربي ؛ إذ إن المؤسسة الحاكمة أدركت أن نشر حقائق هذه القضية سوف يُسيء لسمعتها في الأوساط الإنسانية والليبرالية في الغرب ، وقد يحطم مشروع جمع التبرعات من يهود الإسلام المتواجدين الآن في الغرب ، ويبلغ عددهم في فرنسا وحدها ٣٠٠,٠٠٠ نسمة . وتروج أبواق الدعاية الصهيونية أن يهود العالم العربي والإسلامي كانوا قد عانوا من « اللاسامية » العربية والإسلامية ؛ ولذلك هاجروا إلى إسرائيل . والآن تنفق الدولة البلايين على « تعليمهم وتثقيفهم بعد أن عاشوا في بلدان بدائية متوحشة » .

أما الدول العربية والإسلامية ؛ فعادة تتغاضى عن المشكلة لأنها لاتدرك الفوارق الحضارية بين اليهود العرب واليهود الأشكناز . ويقول الطائفيون : « كلهم يهود وكلهم أعداء » ، وبذلك أنهوا القضية . وفي حين أن إسرائيل « تفلّي القملة » في الشئون العربية ، وتصرف أجهزة مخابراتها الملايين على دراسة التناقضات الطائفية في الشرق الأوسط ؛ من أجل استغلالها عند الحاجة ـــ كما حصل في لبنان وفي شمال العراق مثلا ـــ فإن المخابرات العربية لاتعتني كثيراً بما يجري في المجتمع الإسرائيلي . وربما كان ذلك بسبب عدم الاعتراف بالواقع ؛ وهو أن أغلبية اليهود في إسرائيل ليسوا مستوطنين أجانب ، وإنما من أبناء دار الإسلام . وفي اعتقادي أن التغلب على النزعة الطائفية ، والاعتراف بوجود هؤلاء الجيران المظلومين ، ودعم نضالهم المستميت سوف لايجلب إلا الخير للشعب الفلسطيني ، والأمة العربية الإسلامية في نضالها المصيري .

إن الموضوع الرئيسي في هذه الدراسة هو سياسة الإجحاف العنصري الذي يعاني منه اليهود العرب في العمل والسكن والتعليم ، والتمثيل البرلماني والحكومي ، وفي سائر الخدمات : الصحية والاجتماعية ... إلخ ، حيث أدت هذه السياسة إلى انتشار الانتفاضات الشعبية ، وإلى التضامن مع كفاح الشعب العربي الفلسطيني في صفوف اليهود الناطقين بالضاد .

وبعد أن أكملتُ هذه الدراسة ؛ وجدتُ أنه من الضروري إضافة فصل آخر عن العلاقات الودية بين اليهود العرب والأمة الإسلامية ؛ عبر التاريخ ، وعن اشتراكهم الفعال في الحضارة العربية والإسلامية ؛ بغية استمالة قلوب القراء العرب نحو هذا المجتمع المظلوم ؛ الذي دُمِّر بأيدي الصهيونية ، مثلما دُمِّر الشعب الفلسطيني ؛ فلست أجد أي فارق مبدئي بين التمييز العنصري الموجه ضد الشعب الفلسطيني ، وذاك الموجه ضد اليهود العرب ؛ ولكن ؛ ربما كان هناك فارق كميّ ، لانوعيّ . وبسبب أهمية هذه النبذة التاريخية ؛ قررت وضعها في بداية الكتاب ، وتحديداً في الفصل الأول .

وكانت إحدى المشاكل التي واجهتني عند وضع هذه الدراسة : تسمية هذا المجتمع اليهودي الذي عاش — ولايزال — في دار الإسلام . فإسرائيل ووسائل إعلامها تسميه « الطوائف الشرقية » (لاحظ : طوائف وليست طائفة) ؛ لأنها لاتعترف بالوحدة الحضارية لهؤلاء اليهود ؛ إذ هي لاتعترف في الأساس بوحدة « الأمة العربية » ولا بوحدة « الأمة الإسلامية » . كما استخدمت الاصطلاح « شرقية » ؛ بغية الاعتلاء على الشرق وسكانه ، إذ إن المستوطنين الأشكناز يشددون على حضارتهم « الغربية » برغم أن أكثريتهم هاجروا من أوروبا الشرقية . وقد استعملت الاصطلاح المعروف في البلدان العربية ؛ وهو « اليهود العرب » . غير إن هناك يهوداً كثيرين هاجروا من البلدان الإسلامية غير العربية مثل : الإيرانيون والأتراك ، وكذلك من البلقان ؛ والأخيرون قدموا من الأندلس العربية الإسلامية بعد سقوط دولة العرب والمسلمين هناك ، وبعد أن طردوا مع إخوانهم المسلمين من بلادهم ، واحتضنتهم الدولة العثمانية الإسلامية ، وأسكنتهم في البلقان وتركيا (وفي فلسطين وسوريا) . وهؤلاء الأندلسيون من البلقان فقدوا اللغة العربية ، ولكن حضارتهم بقيت عربية إسلامية ؛ لذلك أفضل تسمية جميع يهود العالم العربي والإسلامي والبلقاني — « يهود الإسلام » . وثمة سبب مبدئي آخر : فمنذ قيام أول دولة إسلامية في المدينة المنورة ، وتحرير نص « عهد الأمة » بأيدي الرسول (صلعم) نفسه ، وحتى سقوط الدولة العثمانية — اعتبرت هذه الطائفة إحدى طوائف الأمة الإسلامية (انظر الفصل الأول) . وفي إسرائيل يسمّي معظم يهود الإسلام أنفسهم باللغة العبرية « سفاراديم » ، بمعنى « أندلسيين » ؛ لأن الطائفة اليهودية الأندلسية في فلسطين قبل الهجرة الصهيونية مثلت هناك أقوى طائفة في مجتمع يهود الإسلام . واستخدمت الشعوب الأوروبية نفس الاصطلاح لوصف يهود الإسلام ؛ لأن يهود الأندلس كانوا الفئة اليهودية « الإسلامية » الوحيدة التي احتكت بالشعوب الأوروبية في القرون الوسطى .

ثم كانت المشكلة الثانية وهي : نسبة يهود الإسلام بالضبط . ففي العالم تبلغ نسبتهم ٢٠٪ من مجموع اليهود — تقريباً [سموحة ، ١٩٧٨ ، ص٢٨١] ، أما في فلسطين ، فتدل الوثائق التي استند إليها الياهو الياشار — وهو من أهم زعماء الطائفة منذ بداية الانتداب البريطاني — على أن يهود الإسلام مثلوا أغلبية اليهود في فلسطين قبل الهجرة الصهيونية الأشكنازية . وبالرغم من الهجرة الأشكنازية منذ ١٨٨١ ، فقد بلغت نسبتهم ٣٠٪ عند انتهاء الانتداب البريطاني عام ١٩٤٨ [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص٢٩١ ، والأزمنة الحديثة ، ص١٩٢] . وبسبب هجرة يهود الدول العربية والإسلامية منذ ١٩٤٨ ؛ بلغت نسبتهم في السبعينيات أكثر من ٦٥٪ من مجموع اليهود [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص٤٦٠] . وتتفق هذه النسبة مع النسبة التي نشرتها مجلة « الأزمنة الحديثة » لسارتر [ش . تريغانو ، ص١٠] .

ومنذ السبعينيات ؛ أعتقد أن نسبتهم قد زادت حتى بلغت ٧٠٪ ، وهو اعتقاد يستند إلى سببين : أولهما ؛ تكاثرهم الطبيعي الذي يزيد على تكاثر الأشكناز بمرتين ونصف ، وثانيهما ؛ هجرة اليهود الأشكناز من إسرائيل إلى الغرب ولاسيما الولايات المتحدة . وعدد هؤلاء « النازلين » — كما

تسميهم إسرائيل ـــ هو من أسرار الدولة الأمنية ، غير إن مصادر الوكالة اليهودية والصحف الإسرائيلية قدّرته بنصف المليون على الأقل ، منذ ١٩٤٨ ، وقدّره الأخ ياسر عرفات بنحو ٨٠٠ ألف في أمريكا فقط ، من ضمن ٣ر٣ مليون يهودي إسرائيلي (هآرتس ، ٣ /٧/ ٨٧) .

وتعترف إسرائيل بأن يهود الإسلام يشكلون أغلبية اليهود في الدولة ، ولكنها لاتنشر الأرقام الرسمية المضبوطة ؛ لأسباب « أمنية » ، حيث إن نسبة ٧٠٪ قد تشجع يهود الإسلام على النضال من أجل حقوقهم . ولذلك اتخذت الدوائر الإحصائية الحكومية سياسة التضليل وتخريب الإحصاءات ، فقسمت اليهود كمايلي :

١ ـــ المولودون في إسرائيل من أب مولود في إسرائيل ، وبلغت نسبتهم عام ١٩٨٥ ـــ ٥ر١٨٪ من مجموع اليهود ، وهذه الفئة تشمل أشكنازاً ويهود الإسلام .

٢ ـــ المولودون في آسيا وأبناؤهم (أي المشرق العربي الإسلامي) وتبلغ نسبتهم ٣ر٢١٪ .

٣ ـــ المولودون في إفريقيا وأبناؤهم (المغرب العربي ومصر) وتبلغ نسبتهم ٠ر٢٢٪ .

٤ ـــ المولودون في أوربا وأمريكا وأبناؤهم (وهذه الفئة تشمل الأشكناز ، ويهود الإسلام من البلقان ، والبيض من جنوب إفريقيا) وتبلغ نسبتهم ٢ر٣٨٪ [المكتب المركزي للإحصائيات ، ١٩٨٦ ، ص٦٥] .

وتقدر الإحصاءات الرسمية أنه قبل ١٧ سنة (٦٩ / ١٩٧٠) بلغت نسبة طلاب يهود الإسلام في المدارس الابتدائية ٢ر٦١٪ ، ونسبة الطلاب من أب مولود في فلسطين ٩ر١١٪ ـــ وهذه الفئة مخلوطة من كلتا الطائفتين [المكتب المركزي للإحصائيات ، ١٩٨٠ ، ص ٥٩٥] . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن قسماً من طلاب يهود الإسلام تهرب من حضور المدارس كالعادة (انظر الفصل السابع) ، ثم الهجرة المضادة للأشكناز منذ تلك السنة ، وتكاثر يهود الإسلام الطبيعي ـــ نستنتج أن نسبتهم قد تزيد على ٧٠٪ من مجموع اليهود . وإذا أضفنا نسبة الفلسطينيين في مناطق ١٩٤٨ ؛ وهي ١٧٪ ، ثم أضفنا سكان الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان والقدس العربية المحتلة وجنوب لبنان معاً ، فإن نسبة المستوطنين الأشكناز وأبنائهم المولودين في فلسطين سوف تماثل نسبة المستوطنين البيض في جنوب إفريقيا . وهذا يعني أغلبية ساحقة للناطقين بالضاد : أبناء فلسطين والوطن العربي الإسلامي .

لقد ادعت السياسة الرسمية أنها تحاول دمج اليهود في مجتمع واحد من حيث العرق والحضارة ، غير إن التطبيق كان ولايزال مبنياً على التمييز العنصري ، وتقوية الطائفة الاستيطانية سياسيا واقتصاديا وثقافيا ؛ على حساب الناطقين بالضاد من فلسطينيين ويهود عرب . وتلخص الدمج في الواقع في قمع الحضارة العربية والإسلامية ، والقضاء على اللغة العربية الفصحى . إضافة إلى ذلك فإن المجتمع الأشكنازي ـــ ككل ـــ عارض (ولا يزال) مبدأ المزج ، إيماناً بتفوقه العنصري والحضاري ، كما أن ٨٠٪ منه يرفضون الزواج المختلط ؛ مما أدى إلى تعميق الفجوة بين الشريحتين الإثنيتين : فاندمج يهود

بولونيا وروسيا وهنغاريا .. إلخ ، إلى أن شكلوا طائفة واحدة ، واندمج اليهود الذين هاجروا من إيران شرقاً إلى المغرب غرباً في طائفة واحدة — كما كانت في عهد الإمبراطوريات الإسلامية . وبالرغم من أن الجيل الذي تعلم في المدارس الصهيونية لايعرف القراءة والكتابة باللغة العربية (انظر الفصل السابع) ، فإن اللغة العربية العامية مازالت حيَّة ولاسيما في البيوت . وخلاصة هذه النقطة هي أن الاندماج لايمكن أن يتم إلّا بين فئات متساوية في الحقوق والواجبات ؛ يسود فيها الاحترام المتبادل والتسامح ، وقد حدث مثل هذا الاندماج في البلدان التي حرّرها الإسلام .

وأخيراً فإن هناك تطابقاً ظاهراً بين الانقسام الإثني الحضاري من جهة ، والانقسام الاقتصادي من جهة أخرى ؛ فاللون السائد في طبقة الرأسماليين هو اللون الأبيض الأوروبي ، على حين أن اللون السائد في طبقة العمال والفقراء هو اللون الأسمر العربي . إن ثمة تفاعلاً بين الفجوة الحضارية الإثنية والفجوة الاقتصادية يزيد من شدة التقاطب من جيل إلى آخر ، ويدفع بدولة إسرائيل نحو الانفجار الاجتماعي والتفسخ .

وتنقسم هذه الدراسة إلى عشرة فصول ؛ يشمل الأول منها نبذة مختصرة عن العلاقات الودية بين الأمة الإسلامية ويهود الإسلام ؛ أهل الذمة ، منذ العصر النبوي ، عدا بعض الحوادث الشاذة وأشدد فيه على التعاون الخلّاق في المجالات الحضارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؛ وحتى العسكرية ، كما ألمّح إلى أثر الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي على الدين اليهودي والأدب العبري في « دار الإسلام » . وأحاول أن أفنّد المزاعم الصهيونية بشأن « اضطهاد » اليهود ، والتي تهدف إلى تشويه سمعة العرب والمسلمين في العالم ، وأكذّب الادعاءات الطائفية المتطرفة بشأن كون اليهود في دار الإسلام « فئة أجنبية صهيونية معادية ». أما الفصل الثاني فيبحث في الاصطدام الأول بين اليهود العرب في فلسطين والمستوطنين الصهاينة الأشكناز خلال ١٨٨١ — ١٩١٨ ، ولا سيما بخصوص انفصال المستوطنين عن باقي المجتمع اليهودي الفلسطيني ؛ واستيلائهم على الموارد المالية اليهودية ؛ من أجل توظيفها في الاستيطان الصهيوني ، الأمر الذي أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في المجتمع اليهودي العربي . ثم ذكرت استجلاب اليمنيين واستغلالهم وإهانتهم من قبل المستوطنين . أما الفصل الثالث فيختص بإقامة الحكم الذاتي الصهيوني بمساعدة الانتداب البريطاني ، وتسلط هذا الحكم على اليهود العرب في فلسطين ، وبداية السياسة العنصرية التي تهدف إلى تجهيل يهود الإسلام ، والقضاء على لغتهم العربية وحضارتهم الإسلامية ، واستغلالهم كأيدٍ عاملة رخيصة ، وصرف أموال المجتمع على تقوية الطائفة الاستيطانية وبناء قوتها العسكرية السرية ، تمهيداً لقيام الكيان الأشكنازي الطائفي . ثم حاولت أن أحلل أسباب فشل القيادة التقليدية لليهود الفلسطينيين . وفي الفصل الرابع عُنيتُ بتعليل مقاومة اليهود في البلدان العربية والإسلامية للحركة الصهيونية واشتراكهم في حركة التحرر القومي والاجتماعي للأمة العربية . ثم بحثت في العوامل التي أدت إلى تهجير معظم اليهود من « دار الإسلام » ؛ متهماً إسرائيل والاستعمار وأدواتهما في الوطن العربي ، وكذلك العناصر الطائفية التي تدعى بـ « القومية » في البلدان العربية . ثم لخصت المضايقات الطائفية التي ساعدت الصهيونية

على تهجير اليهود إلى إسرائيل ، واستغلالهم ؛ من أجل تغيير ميزان القوى في الشرق الأوسط — لصالح الكيان الصهيوني . وذكرت في هذا النطاق الأساليب الصهيونية في عمليات التشريد مثل التهريب والإرهاب والرشوة والغش والخداع ... إلخ . ووصفت الأحوال المأساوية في مخيمات المشردين في عدن ومرسيليا والمغرب العربي . وفي الفصل الخامس ؛ وهو من أكبر الفصول ؛ تناولت « هضم » هؤلاء المهاجرين في المعسكرات الإسرائيلية ، و « مدن التطوير » ، والقرى « التعاونية » ، و « الحزام الأسود » أي في الحارات الفقيرة في المدن — وهو الأمر الذي أدى إلى تحويلهم إلى « طبقة عاملة » وإلى « لحوم للمدافع » التوسعية .

والفصل السادس من الدراسة يتناول قضية انعدام التمثيل ليهود الإسلام في البرلمان ومجلس الوزراء والجهاز الحكومي العالي والمؤسسات النقابية — الاقتصادية ؛ وفي المؤسسة العسكرية . ويبيّن هذا الفصل أن النواب والوزراء القلائل لهذه الطائفة قد عيّنوا تعييناً من قبل أسيادهم المستوطنين الأشكناز ، ولا يمثلون طائفتهم . على حين يحلل الفصل السابع سياسة التجهيل وقمع الحضارة العربية والإسلامية لدى هذه الطائفة ، وفرض الحضارة الأشكنازية ؛ وحتى اللهجة الأشكنازية الأجنبية . والفصل الثامن ينقل ويحلل الآراء العنصرية المعادية ليهود الإسلام باعتبارها « فئة بدائية — متوحشة — متدنية » ، وأصل هذه الآراء هو العداء الأعمى للعروبة والإسلام . ويناقش أيضاً آراء اليسار المتطرف والشيوعي في المجتمع الاستيطاني الأشكنازي . والفصل التاسع يصف التنمية الاقتصادية السريعة في إسرائيل ؛ المبنية على استغلال هذه الهجرة وأملاك الشعب العربي الفلسطيني ، ثم يبيّن التقاطب الاقتصادي — الاجتماعي بين المستوطنين ويهود الإسلام (والشعب الفلسطيني) . وفي النهاية يفصّل الفصل العاشر الانتفاضات الشعبية والاشتباكات الدموية بين يهود الإسلام وقوات القمع الصهيونية ، وظهور العناصر الواعية التي تتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية وتؤيد حقوقه المشروعة ؛ ولا سيما حق تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة ، وتدعو إلى الكفاح المشترك ضد الكولونيالية الصهيونية الأشكنازية ؛ على أساس وحدة الأمة العربية الإسلامية ، ووحدة اللغة والحضارة والقيم الأخلاقية والتقاليد والتاريخ والوطن (دار الإسلام) .

لقد وُضعت هذه الدراسة باللغة العربية دون غيرها ؛ لأنها موجهة بالدرجة الأولى إلى الأمة العربية الإسلامية . وبعد أن عملت سنوات عديدة في المعاهد العلمية البريطانية أستاذاً ومديراً لقسم العلوم التاريخية ؛ توصلت إلى النتيجة الآتية وهي : أن تغيير الأوضاع السياسية لن يأتي من الغرب الذي خلقها ؛ وإنما من صميم الأمة العربية الإسلامية الكريمة التي تؤمن بالحق وتتمسك بالشهامة وتدعو إلى التسامح . إن عودة يهود الإسلام إلى الأمة ؛ وبناء السلام المشرف لن يتما إلا على أساس نبذ الطائفية العمياء ، وبعث التسامح الإسلامي ووحدة الأمة على اختلاف طوائفها . إن الطائفية التي ساعدت الصهيونية على تهجير يهود الإسلام وتقوية إسرائيل على حساب فلسطين والأمة الإسلامية هي التي أدت أيضاً إلى مذابح لبنان والبصرة وكردستان ... إلخ .

وقد استعملت اللغة العربية لسبب آخر ؛ وهو : أن هذه اللغة هي لغة طفولتي ولغة والدي ووالدتي وأجدادي ، منذ الفتوحات الإسلامية ، وهي أجمل وأغنى من اللغة العبرية التي ماتت ؛ كلغة للحياة ؛ قبل ألفي عام ، ثم أحياها الصهاينة بصورة اصطناعية . وأردت أن أبرهن على أن اللغة العربية التي كانت لغة أعظم الحضارات الإنسانية ـــ مازالت حيَّة حتى في تل أبيب .

لقد استخدمت بعض الوثائق البريطانية ؛ ولكنني اعتمدت بصورة خاصة على الوثائق الصهيونية ، والكتب العبرية الصهيونية ، والمجلات والصحافة الإسرائيلية المذكورة على متن الكتاب ؛ أو في نهايته . وأخيراً وليس آخراً ، استعملت ذكرياتي وذكريات أصدقائي وأبناء عائلتي وحمولتي ؛ إذ شاهدت بأم عيني ماحدث في فلسطين منذ زمن الانتداب البريطاني ، وفي الكيبوتسات الأشكنازية ، وفي القرى العربية ، أيام النكبة ، وفي معسكرات المهاجرين ، وفي الجامعة العبرية بالقدس ، وفي المدارس الإسرائيلية ، وفي مدن « التطوير » ، و « التعاونيات » الزراعية ، وحارات الفقر والشقاء ؛ في ما يسمى « أرض الميعاد » . والله مع الصابرين .

الفصل الأول

الوئام بين يهود العالم الإسلامي والأمة الإسلامية

في غضون الصراع السياسي بين الصهيونية والاستعمار من جهة ؛ والشعب العربي الفلسطيني والأمة الإسلامية من جهة أخرى ـــ يستغل الطرف الأول النزاع بين الرسول وبعض العشائر اليهودية في المدينة ، وكذلك المضايقات التي حصلت ضد اليهود في أطراف العالم الإسلامي ؛ من أجل تشويه سمعة الأمة الإسلامية ، وحركة التحرر الوطنية ، والثورة الإسلامية الحديثة . ويهدف هذا الطرف أيضاً إلى تحريض يهود الإسلام المتواجدين في إسرائيل ؛ وهم أغلبية اليهود ؛ ضد الفلسطينيين لمنع أي تحالف ضد الاستعمار الصهيوني . لذلك علينا أن نبدأ هذه الدراسة بنبذة مختصرة عن تاريخ يهود الإسلام داخل الأمة الإسلامية .

لقد ساد الوئام وحسن الجوار في العلاقات بين المسلمين واليهود (والمسيحيين) ضمن الأمة الإسلامية ؛ منذ بداية الفتوحات الإسلامية خارج المدينة . وإذا كانت هناك بعض المضايقات الطائفية ؛ فإنها لم تحدث إلّا في أطراف « دار الإسلام » . ومن غير الممكن تقييم تسامح الإسلام تجاه أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ؛ إلا إذا قارنا مصير اليهود تحت ظلال الإسلام بمصير اليهود الأشكناز تحت سلطة الدولة المسيحية ؛ منذ القرون الوسطى وحتى سقوط ألمانيا النازية . بالرغم من أن اليهود الأشكناز يتباهون بكونهم « أوروبيين » فقد قست أوروبا المسيحية عليهم ، واضطهدتهم ، وأقامت المجازر لذبحهم ، وشردتهم من بلد إلى آخر ، وبلغ هذا الاضطهاد ذروته في معسكرات الموت النازية . ولم يكن هذا العداء دينيا فحسب بل عنصريا أيضا ؛ لذا قتل النازيون حتى اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية .

الرسول واليهود :

أما النزاع بين يهود المدينة والرسول (صلعم) ؛ بالرغم من مظاهره الدينية ـــ فقد كان نزاعاً سياسيا واقتصاديا ، ولم يكن عالميا وإنما محليا ؛ أي مع يهود المدينة فقط ، ولم يكن دائماً وإنما مؤقتاً ـــ انتهى عند هزيمة بني قريظة وإبعاد بني نضير والقينقاع عن المدينة . وقد كانت الزعامة

اليهودية في المدينة تتمتع بالرخاء الاقتصادي ؛ إذ ملكت أراضي خصبة صالحة لزراعة الحنطة والشعير والخضراوات والنخيل . بالإضافة إلى ذلك ؛ كان لها نفوذ سياسي قوي ؛ إذ تمكنت من ترجيح كفة الميزان لصالح أي من القبيلتين المتنازعتين في المدينة : الأوس والخزرج ، وانتصرت الأوس قبيل الهجرة النبوية ؛ لأن معظم اليهود حاربوا إلى جانبها ، ولذلك عندما وصل الرسول (صلعم) إلى المدينة محاطاً بالمهاجرين الفقراء والأيتام والأرامل ــ خافت الزعامة اليهودية على أموالها ونفوذها . كان هذا أصل النزاع وانتهى بانتصار الرسول (صلعم) .

وفي عام ٦٢٨م ؛ فتح الرسول (صلعم) خيبر ، وصالح اليهود فيها وأعطاهم الأمان . وبعد ذلك لم يحدث أي اختلاف بين الرسول (صلعم) واليهود . وأعطى الرسول الأمان ليهود وادي القرى وتيماء ؛ فانضموا إلى الأمة الإسلامية ــ متساويين في الحقوق والواجبات ؛ حسب « عهد الأمة » . ويقول المؤرخ المقدسي الذي زار هذه المنطقة في القرن العاشر إن معظم السكان هناك كانوا يهوداً .

وفي تشرين الأول عام ٦٣٠م ؛ توجه الزحف الإسلامي إلى تبوك لمواجهة الروم ، وعندما مرّت القوات الإسلامية الفاتحة بوادي القرى ؛ رحب اليهود بالمقاتلين المسلمين وذودوهم بالماء والغذاء ؛ وبعد ذلك أعرب الرسول عن شكره لهم ، وأعطاهم امتيازات خاصة ؛ منها منحة مالية سنوية . وبعد وصوله إلى تبوك ؛ عقد الرسول معاهدات مختلفة مع المسيحيين واليهود ؛ سكان الجوف ؛ واعتنق بعض السكان الدين الإسلامي . وأعطى الرسول الأمان للملك المسيحي يوحنا في ايلة ، ولثلاث قرى يهودية : جربا واذرح (في شرقي الأردن) وحقنا على ساحل البحر الأحمر . ثم أرسل رسله إلى اليمن وعُمان ، وأعطى اليهود هناك الأمان ، ووصّى رُسُلَه بألّا يفرضوا الدين الإسلامي على أي يهودي أو يهودية .

ولم يكن الخلاف الديني مبدئيا ؛ لأن القرآن الكريم اعترف بقدسية التوراة ، وبالمساواة بين المسلمين وأهل الكتاب بالنسبة للإيمان بالله وعمل الصالحات والأجر عند الله ، وحق أهل الذمة في الأمان الإسلامي : **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ صدق الله العظيم . [البقرة ٦٢ والمائدة ٦٩]** . وقد نزلت هذه الآية* مرتين ؛ بسبب أهميتها في قضية التسامح تجاه الأديان السماوية ونبذ الطائفية العمياء ؛ لذلك لم يرغم الرسولُ والخلفاءُ اليهودَ والمسيحيين على اعتناق الدين الإسلامي .

صحيح أن معظم اليهود في « دار الإسلام » رفضوا اعتناق الدين الإسلامي ؛ ولكنهم اعترفوا برسالة الرسول . ومن ضمن العلماء الذين أيدوا هذه الرسالة أبو عيسى الأصفهاني المعروف بالعبرية

* نص الآية أعلاه هو النص الوارد في سورة البقرة ، أما نصها في سورة المائدة فقد جاء على النحو التالي : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

باسم « إسحق بن يعقوب » ، وقد عاش في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان . ويقول أبو عيسى إن محمداً وعيسى هما الرسولان الحقيقيان ، وينصح اليهودَ أن يدرسوا القرآن والإنجيل . أما الحاخام الكبير شمعون بار يوحاي الذي عاش في نهاية الخلافة الأموية فيقول « إن محمداً هو نبي الله الحقيقي ، أُرسل رحمة للعرب » . واتخذ نفس الموقف الفلاسفة من يهود الإسلام مثل : ابن كمونة وناتانئيل بن الفيومي .

وقد وضع القرائيون اليهود (الذين رفضوا السنة اليهودية ؛ أى التلمود) جميع دراساتهم باللغة العربية ، وتاثروا بالإسلام من حيث الاراء وصورة التعبير . وكتبت جميع الفلسفة اليهودية في دار الإسلام باللغة العربية ، ولم تكن إلّا جزءًا لايتجزأ من الفلسفة الإسلامية .

ولاتزال قبور الأولياء والأنبياء اليهود مقدسة لدى المسلمين ويهود الإسلام معاً . وكثيراً ماترى يهود الإسلام في المغرب مثلاً يزورون قبور أولياء المسلمين ويطلبون منهم الشفاعة ، والعكس بالعكس . وفي العراق تتوقف السفن الإسلامية عند قبر العزيز في الجنوب احتراماً له .

أما حجر الأساس في العلاقات السياسية والاجتماعية فقد وضعه الرسول (صلعم) نفسه ، وهو « عهد الأمة » الذي أصبح قانونا أساسيا في جميع الدول العربية والإسلامية . وينص هذا الصلك كما نقله ابن هشام [سيرة ابن هشام ، ص١١٩ — ١٢٣] عن « سيرة رسول الله » لمحمد بن إسحق — على أن اليهود أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم : إلّا من أظلم وأثم فإنه لايُوتِغُ إلّا نفسه وأهل بيته ... » .

كتاب رسول الله الذي كتبه بين المهاجرين والأنصار لموادعة اليهود

قال ابن إسحق : وكتب رسول الله (صلعم) كتاباً بين المهاجرين والأنصار وَادَعَ فيه يهودَ وعاهدهم ، وأقرَّهُمْ على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمد النبى (صلعم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تَبِعَهُمْ فلحق بهم وَجَاهَدَ مَعَهُمْ ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهِمْ (١) يَتَعاقَلون بينهم ، وهم يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ (٢) بالمعروف وَالقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنو عوف على رِبْعَتِهِمْ (١) يَتَعَاقَلون مَعَاقِلَهُم الأولى ، وكل طائفةٍ تَفْدِى عَانِيها (٢) بالمعروف والقِسْطِ بين المؤمنين ، وبنُو ساعِدَةَ عَلى رِبْعَتِهِم يَتَعَاقَلون مَعَاقِلَهُمُ الأولى وكل طائفة منهم تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين

---

(١) « على ربعتهم » قال أبو ذر : « الربعة والرباعة : الحال التى جاء الإسلام وهم عليها ، ويقال : فلان يقوم برباعة أهله ، إذا كان يقوم بأمرهم وشأنهم » اهـ ، وقال السهيلي : « قال أبو عبيد : يقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم ، قلت : وكسر الراء فيه هو القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرباعة مصدراً فالقياس فتح الراء ، أى : على شأنهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء » اهـ .

(٢) « عانيهم » : العانى هو الذليل أو الأسير ، والعانية : مؤنث العاني ، والجمع : عوانٍ .

المؤمنين ، وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو جُشَم على رِبْعَتِهم يَتَعَاقَلُون مَعَاقِلَهُم الأولى ، وكل طائفة تَفْدِى عَانِيَهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّجَّارِ على ربْعتِهم يَتَعَاقَلُون مَعَاقِلَهم الاولى ، وكلّ طائفة منهم تَفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عَمْرو بن عَوْفٍ على رِبْعَتِهم يَتَعَاقلون معاقِلَهُمُ الأولى وكلُّ طائفةٍ تَفْدِى عَانيَهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبِيتِ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الأولى ، وكلُّ طائفة تَفْدِى عَانِيهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأَوْسِ على رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقلون معاقلهم الأولى ، وكلُّ طائفة منهم تَفْدِى عَانِيهَا بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمنين لايتركون مُفْرَحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل » .

قال ابن هشام : المفرح : المثقل من الدين الْكثير والعيال ، قال الشاعر :

إذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّى أَمَانَةً
وَتحمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِعُ (١)

« ولا يحالِفُ مؤمنٌ مَوْلَى مؤمنٍ دونه ، وإن المؤمنين المتقين عَلَى مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دسيعةَ (٢) ظلم أو إثم أو عُدْوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلَدَ أحدهم ، ولايَقْتُلُ مؤمنٌ مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدةٌ : يُجيرُ عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يَهُودَ فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدةٌ : لايسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله على سَوَاءٍ وعَدْل بينهم ، وإن كل غَازِيَةٍ غَزَتْ معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبىء (١) بعضُهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لايُجير مشركٌ مالاً لقريش ، ولا نفسا ، ولا يَحُول دونه على مؤمن وإنه من اعْتَبَط (٢) مُؤْمناً قتلا عن بينة فإنه قَوَدٌ به إلّا أن يرضى ولىُّ المقتول ، وإن

---

(١) « أفرحتك » أثقلتك ، هكذا فسره أبو عبيد كابن هشام هنا ، قال السهيلى : « يجوز أن يكون من أفعال السلب : أى سلبتك الفرح ، كما قيل : قسط الرجل ، إذا عدل : أى أزال القسط وهو الاعوجاج ، ويجوز أن تكون الفاء فى « أفرحتك » مبدلة من الباء ، فيكون من البرح ، وهو الشدة ، تقول لقيت من فلان برحا : أى شدة » اهـ .

(٢) أصل الدسيعة مايخرج من حلق البعير إذا رغا ، وتستعار للعطية كما هنا .

(١) يبىء : يمنع ويكف .

(٢) اعتبطه : أى قتله من غير ماشىء يوجب قتله .

المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لايحل لمؤمن أقرَّ بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثاً ولا يُؤْوِيه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وَغضَبَه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرْف ولا عَدْل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مَرَدّهُ إلى الله عز وجل وإلى محمد (صلعم) ، **وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عَوْف أمةٌ مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم : إلا من أظلم وأثم فإنه لايُوتِغُ** [٣] **إلا نفسه وأهل بيته ، وإن ليَهُودِ بنى النجارِ مِثْلَ ماليهودِ بَنى عَوْفٍ** ، وإن ليهود بنى الحرث مِثْلَ ما لِيَهُودِ بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى ساعِدَةَ مِثْلَ ما ليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى جُشَمَ مِثْلَ ماليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى الأوْسِ مِثْلَ ماليهود بنى عَوْفٍ ، وإن ليهود بنى ثَعْلَبَةَ مِثْلَ ماليهود بنى عَوْفٍ ، إلا من ظلم وأثم فإنه لايُوتِغُ إلا نَفْسَهُ وأهْلَ بَيْتِهِ ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبنى الشُّطَيْبَة مثل ماليهود بنى عوف وإن الْبِرَّ دُونَ الاثم [١] وإنّ موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة [٢] يهود كأنفسهم ، وإنه لايخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (صلعم) ، وإنه لاينحجز على ثار جرح ، وإنه من فَتَكَ فبنفسه فَتَكَ وأهلِ بيته إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم [٣] وإن بَيْنَهُمَ النَّصْرَ على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النُّصْح والنصيحة والبِرَّ دون الاثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود يُنْفِقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يثرب حَرَامٌ جَوْفُهَا لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غَير مُضَار ولا آثم ، وإنه لاتُجَارُ حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشْتِجار [١] يُخَاف فَسادُه فإن مَرَدّه إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله (صلعم) ، وإن الله على أتقى مافى هذه الصحيفة وأبَرّه ، وإنه لا تُجَارُ قريش ولا من نَصَرها ؛ وإن بينهم النصر على من دَهِمَ [٢] يثرب ، وإذا دُعُوا إلى صُلْح يصالحونه

---

(٣) تقول : وتغ الرجل وتغا — مثل فرح فرحاً — إذا هلك ، وتقول : أوتغته أوتغه ، إذا أهلكته .

(١) « إن البر دون الاثم » أى إن البر ينبغى أن يكون حاجزاً عن الاثم والوفاء ينبغى أن يمنع من الغدر .

(٢) بطانة الرجل : خاصته وأهل سره الذين بهم يقوى وبنصرهم إياه يعتز ويفخر .

(٣) قال السهيلى : « إنما كتب رسول الله (صلعم) هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، إذ كان الإسلام ضعيفاً ، كان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحرب » اهـ كلامه .

(١) الاشتجار : الاختلاف ، وتقول : اشتجر القوم ، إذا اختلفوا .

(٢) « دهم يثرب » فاجأها ، تقول : دهمتهم الخيل ، إذا فاجأتهم .

[ويلبسونه] فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين : على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وإن يهود الأَوْس مَوَالِيَهُمْ وأَنْفُسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ الحسن من أهل هذه الصحيفة » .

قال ابن هشام : ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحق : « وإن البر دون الاثم : لايكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق مافى هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لايحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمِنٌ بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جارٌ لمن بَرّ واتقى ، ومحمد رسول الله (صلعم)» .

[قال ابن هشام : يوتغ : يهلك ، أو قال : يفسد]

وتبرهن هذه الوثيقة التاريخية على أن اليهود العرب كانوا ولا يزالون جزءًا لايتجزأ من الأمة الإسلامية ، وأن الدولة الإسلامية منذ بدايتها في المدينة كانت مبنية ، لا على أسس دينية فحسب ، وإنما على أسس سياسية أيضاً ، إذ إنها شملت المواطنين الذين يؤمنون بالأديان السماوية الأخرى ، وأعطتهم الامان على أرواحهم وأموالهم وعلى حرية الدين . وهذا التسامح لم يحدث في الدولة المسيحية الأوروبية في القرون الوسطى وحتى القرن التاسع عشر . وقد آمن الدين الكاثوليكي في القرون الوسطى بأن كل من لاينتمي إلى الكنيسة مصيره جهنم ، ولذلك ؛ لم تمنح الدولة المسيحية الحقوق المدنية لأبناء الأديان الأخرى . وبريطانيا ، برغم كونها ليبرالية وديمقراطية أكثر من أية دولة أوروبية أخرى ــ لم تمنح الكاثوليك المساواة المدنية الكاملة إلى عام ١٨٢٩ ، ولم تعط اليهود المساواة الكاملة حتى عام ١٨٥٨ . ولم تُمنح المساواة في روسيا حتى عام ١٩١٧ .

ونلاحظ أن « عهد الأمة » لم يفرض مزج القبائل الإسلامية أو اليهودية ؛ بل يسمح لكل قبيلة أن تحافظ على كيانها وعلى قيادتها وأنظمتها وإدارتها ، ولذلك ؛ أصبحت الدولة الإسلامية ــ على اختلاف أنواعها ، وحتى عام ١٩١٨ ــ دولة فدرالية منحت الحكم الذاتي لكل طائفة ، ووحدت جميع الطوائف ضد الإجرام وأعمال القتل والنهب في الداخل ، وضد أعداء الإسلام في الخارج . وبما أن الإسلام لم يفرض الجهاد على يهود الإسلام فقد فرض عليهم ضريبة الجزية بدلاً من الجهاد ؛ لتغطية بعض مصاريف الجهاد والأمن . ورفض يهود الإسلام إلغاء هذه الضريبة ؛ لأنها أعطتهم حق الأمان ــ حسب مصادرهم .

يقول القرآن الكريم إن اليهود نقضوا العهد ، ويفسر بعض المسلمين هذا « العهد » بأنه « عهد الأمة » المشار إليه ، ويقول آخرون إنه العهد الذي أُبرم بين الله عزّ وجل واليهود القدماء . وقد شاهدنا أن جميع المعاهدات التي أُبرمت بين رسول الله واليهود في وادي القرى وتيماء وايلة وعُمان

واليمن ـــ كانت مبنية على مبادىء « عهد الأمة » ، ولا يدعي أي مصدر إسلامي أن هؤلاء اليهود (خارج المدينة) قد نقضوا هذا العهد . وهذا ينطبق على يهود العراق وسوريا وفلسطين ومصر وشمال إفريقيا والأندلس وغيرها من بلدان دار الإسلام ـــ جميع هؤلاء اليهود رحّبوا بالثورة الإسلامية التي حررتهم من العبودية الساسانية والبيزنطية والإسبانية .

اليهود والفتوحات الإسلامية :

ففي العراق مثلاً ، مثلت الطائفة اليهودية الكبيرة مركزاً روحانيا لجميع يهود العالم خلال قرون عديدة ، وحتى سقوط بغداد بأيدي هولاكو عام ١٢٥٨ م . وساعدت هذه الطائفة الجيوش الإسلامية الفاتحة . وبعد الفتح ألغى الحكم الإسلامي جميع القيود التي فرضها الحكم الساساني على اليهود . وكان « رئيس الجالية » اليهودية ـــ آنذاك ـــ شخصاً يدعى البستاني ، وكان الملك الساساني يزدجرد الثالث قد فصله عن منصبه وحكم عليه بالموت ، فأنقذت القوات الإسلامية حياته ، وأعادته إلى منصبه ، وبقي حفدة البستاني في الحكم إلى أن أُلغي هذا المنصب نهائيا بعد أربعة قرون . وعلى إثر الفتح ؛ فتحت من جديد الجامعات اليهودية مثل سوره وبمبديته . وكانت جامعة سوره تقع إلى الشمال من بابل وجامعة بمبديته إلى الجنوب الغربي من بغداد الحالية ، قرب نهر الفرات . وكانت هاتان الجامعتان أهم مركز ديني وعلمي ليهود الإسلام وسائر العالم . وبعد الفتح أيضاً قوي منصب الغاؤن ؛ أي رئيس الجامعة اليهودية ، الذي مثل الزعيم الروحاني لليهودية العالمية . وأخذ الغاؤن يعين القضاة والموظفين ، كما تمتع بحق فرض الضرائب على أفراد الطائفة لأغراض اجتماعية وثقافية ودينية . واستخدم الغاؤن نفوذه لدى يهود العالم عن طريق « أدب الأسئلة والأجوبة » ؛ إذ كانت الطوائف اليهودية ترسل له بأسئلة عن مشاكل دينية واجتماعية وعلمية مختلفة ، وكان الغاؤن يرسل بأجوبة مطولة أصبحت أدباً كاملاً . ووضعت هذه الأجوبة عادة باللغة العربية بعد الفتح . أما « رئيس الجالية » فقد كان رئيس الحكم الذاتي لليهود في العراق ، وفي « دار الإسلام » عامة . وبعد أن أصبحت بغداد عاصمة الدولة الإسلامية قوي نفوذه ، وانتقلت الجامعتان إلى بغداد ـــ عاصمة الدين اليهودي في الإسلام .

ومن الغريب جدا أن هذا المركز الروحاني الكبير ؛ لم يكتب شيئاً عن النزاع بين الرسول ويهود المدينة ، وأن جميع المواد عن هذا النزاع وردت إلينا من المصادر الإسلامية فحسب ، فمن المحتمل أن علماء اليهود في الهلال الخصيب لم يعتبروا هذا النزاع هاما . وفي أواخر القرن التاسع عشر اكتشف مَخْبَأٌ في كنيس يهودي في الفسطاط يحتوي على آلاف الوثائق اليهودية معظمها باللغة العربية ، وهناك عُثر على بعض الأساطير بشأن الرسول ، من ضمنها « كتاب ذمة النبي » ، ويقول فيه الرسول إن اليهود هم أقرباؤه لأنه هو صهرهم . وكان الرسول قد تزوج من امرأة يهودية جميلة من خيبر تدعى « صفية » . ولذلك « يحارب اليهود إلى جانب الرسول » ـــ على حد قول الأسطورة .

وتدل وثائق هذا المخبأ أو « الغنيزة » على أن يهود سوريا وفلسطين رحبوا بالمسلمين الفاتحين ، وفي حمص ساعدوا الجيش الإسلامي بصورة علنية ، وبعد تحرير القدس انتقلت ٧٠ عائلة يهودية من

طبريّا ، مركز يهود فلسطين آنذاك ؛ إلى القدس ، وهكذا عاد اليهود إلى القدس بعد ٥٠٠ عام . وتقول نفس المصادر إن عمر بن الخطاب زار القدس مصحوباً ببعض الحاخامات . وقد تحسن وضع اليهود في فلسطين بعد الفتح مباشرة . ويشهد الحاخام يهوداي : « عندما جاء بنو إسماعيل (أي المسلمين) تركوا اليهود يدرسون التوراة » [رجوان ، ص١٢١] . وفي أسرار الحاخام شمعون باريوحاي (نستروت رابي شمعون باريوحاي) الذي عاش في العهد الأموي في فلسطين — يقول هذا الولي اليهودي الشعبي : إن عمر بن الخطاب كان يحب اليهود ، وإن الملاك ميتترون قد وعده قائلاً : لا تخف يابن آدم . إن الله تعالى قد أقام دولة إسماعيل (أي الإسلام) لمساعدتكم ضد القوم الظالمين (بارون ، ص٩٣) . ويقول نفس المصدر عن « برقي دي رابي اليئيزر » : « إن باريوحاي يؤكد تشابه الإيمان بالله في الديانتين الإسلامية واليهودية ، وإن من ضمن السبعين شعباً الذين خلقوا بأيدي الله تعالى — وضع الله اسمه في شعبين وهما بنو إسرائيل وبنو إسماعيل » (أي إن كلا الاسمين ينتهيان بـ « ايل » ومعناها بالعبرية « إلـه ») . وثمة أساطير يهودية أخرى تمدح عمر بن الخطاب ، بالرغم من أن المصادر غير اليهودية تفيد أنه أبعد يهود خيبر . وقد ذكرنا أن اليهود بقوا في خيبر حتى بعد القرن العاشر الميلادي . وعلى كل حال فقد أسكن عمر بن الخطاب بعض يهود خيبر في الكوفة ؛ بغية تطوير التجارة في هذه المدينة العسكرية الجديدة [رجوان ، ص٨١ — ٨٤] .

وفي الأندلس عانى اليهود الويلات من الحكم الفيزيغوطي (القوط الغربيون) ، وأرغموا على الهجرة إلى شمال إفريقيا ؛ ولذلك تعاونوا مع طارق بن زياد . ويلاحظ الكاتب الإسباني برناردو دي كويروس (ص١٧) أن طارق بن زياد كان مسلماً من أصل يهودي ، وقد عاد كثير من اليهود إلى الأندلس بعد الفتح . وبلغ تعاون يهود الإسلام مع الأمة الإسلامية . ذروته في الأندلس ؛ حيث تقلد اليهود أعلى المناصب في الدولة ، وفي الشعر والفلسفة والتجارة ، ودفعوا ثمن هذا التعاون بعد سقوط دولة العرب والمسلمين هناك ؛ إذ قامت الكنيسة والدولة باضطهادهم وتعذيبهم ؛ إلى أن طردوا نهائيا مع إخوانهم المسلمين عالم ١٤٩٢ ؛ فلجأوا إلى الإمبراطورية الإسلامية العثمانية (ولا سيما البلقان) أو المغرب العربي .

وفي القرن الأول الهجري ؛ عندما تعرضت سوريا الشمالية لهجمات الأسطول البيزنطي ؛ نقل الخلفاء كثيراً من اليهود من فلسطين إلى سوريا وأسكنوهم هناك ؛ لأنهم اعتمدوا على إخلاصهم ضد أعدائهم البيزنطيين .

وعندما أُقيمت مدينة القيروان في تونس عام ٦٧٠ م ؛ أمر والي مصر بإرسال ألف عائلة يهودية ومسيحية لإسكانها في المدينة الجديدة ؛ بغية تطوير اقتصادياتها .

وعندما سقطت القدس بأيدي الصليبيين ؛ نُصبت المجازر لذبح جميع سكانها اليهود والمسلمين . وتقول مصادر « الغنيزة » اليهودية إن صلاح الدين الأيوبي كان محاطاً بالمستشارين اليهود عندما حرر القدس ، وأمر بإعادة بناء الكنائس اليهودية في القدس على حسابه . ثم إن رشارد قلب الأسد طلب من موسى بن ميمون الذي عمل آنذاك كطبيب خاص لصلاح الدين ؛ طلب منه أن يأتي معه إلى

بريطانيا ليكون طبيبه الخاص ، لكن ابن ميمون رفض العرض وفضّل أن يبقى مع صلاح الدين .

وفي العهد العثماني كانت السلطات العثمانية الإسلامية تنقل اليهود ؛ ولا سيما يهود الإسلام الأندلسيين ، إلى المدن البلقانية المسيحية بعد الاستيلاء عليها ؛ بغية الاعتماد عليهم في الحكم .

هكذا ربط يهود الإسلام مصيرهم بمصير الأمة الإسلامية والدولة الإسلامية من الناحية السياسية ؛ ولذلك ازدهروا عند ازدهار الأمة الإسلامية ، ثم تدهورت أحوالهم عند تدهور أحوال الأمة الإسلامية ، وانقرضوا عند انقراض الأمة الإسلامية ؛ مثلما حصل في الأندلس .

وعلاوة على الاضطهاد ؛ فقد عانى يهود المنطقة من الانقسام السياسي والحضاري والاقتصادي . أما بعد الفتح فقد وحدت الدولة الإسلامية جميع المناطق والبلدان من أواسط آسيا إلى المغرب العربي ؛ وهكذا تمكنت الطوائف اليهودية في هذه الأقاليم من الاتحاد سياسيا واقتصاديا وحضاريا ، وشكلت مجتمعاً واحداً ، أي يهود الإسلام ، الذين يطلق عليهم الآن اسم « سفارادیم » (أي أندلسيين ، وهذا الاسم استخدمه أولاً الأوروبيون ؛ لأن اليهود الأندلسيين كانوا أوائل يهود الإسلام الذين احتكوا بهم) .

الحكم الذاتي اليهودي :

ومُنح يهود الإسلام حكما ذاتيا في الشؤون الدينية والاجتماعية والثقافية والقضائية ، وكذلك في مجال فرض الضرائب وجبايتها ، وترأس يهود الإسلام رئيس الجالية في بغداد ، وقد مَثَّل اليهود لدى الديوان ، وعين موظفي الطائفة ؛ وفرض الضرائب ، وعيّن القضاة ، ونفّذ أحكام المحاكم القضائية ضد المخالفين والمجرمين ، واستلم راتباً أسبوعيا مصدره الضرائب التي فرضت على الأسواق ، وكذلك الطوائف اليهودية خارج العراق ، التي كانت تدعم رئيس الجالية والجامعات اليهودية في العراق ماليًّا . وقد تمتع اليهود بهذا الحكم الذاتي تحت الإدارة الساسانية ؛ غير إن الحكم الإسلامي احترمه وقوّاه . ورحب الإمام علي بن أبي طالب بالغاؤن راب إسحق عام (٦٥٥ م) ، وقد سار وراء هذا الزعيم الروحاني ٩٠٫٠٠٠ يهودي لمقابلة الإمام (رسالة شريرا غاؤن) . واستمر منصب الغاؤن من (٥٨٩ م) إلى (١٠٣٨ م) حيث ضمة رئيس الجالية إلى منصبه . وتزامن ازدهار وانحطاط هذا المركز الروحاني اليهودي مع ازدهار وانحطاط الخلافة العباسية .

وفي عام ١١٦٨ زار بغداد بنيامين بن توديلا ، وهو يشهد أن عدد اليهود في بغداد كان يبلغ نحو ٤٠٫٠٠٠ نسمة ، يعيشون في أمان وازدهار ؛ تحت حكم الخليفة العظيم (المستنجد) ؛ مكرمين ، ويسمي المسلمون « رئيس الجالية » دانيال — « سيدنا ابن داؤد » ، وقد عيَّنه أميرُ المؤمنين رئيساً لجميع المجامع اليهودية [أدلير ، ص ٣٩ — ٤٢] . وقد فضلت السلطات العباسية « رئيس الجالية » على الوجهاء المسيحيين ، وأقام الخليفة مكتباً خاصاً لرئيس الجالية في الديوان . وفي كتابه « رحلات الرابي بنيامين » (١١٧٣ م) ؛ يصف هذا السائح الأندلسي كيف كان الخليفة يستقبل رئيس الجالية

فيقول : يمر موكب رئيس الجالية في شوارع بغداد الحافلة ؛ وهو لابس ملابس حريرية مطرزة وعمامة بيضاء مرصعة بالجواهر ، محاطاً بالفرسان ، ويسير أمام الموكب منادٍ ينادي : « عملوا طريق أمام السيد ابن داؤد » . وعندما يصل الموكب إلى الديوان ؛ يقف الخليفة ويرحب برئيس الجالية ، ويجلسه على عرش أمام عرش الخلافة ، ويقف الأمراء إجلالاً له .

وكان لكل قطر إسلامي رئيس يدير شئون طائفته اليهودية يدعى « نغيد » ؛ أي أمير ، كما كان لكل مجمع يهودي رئيس يدعى « مقدماً » . وفي أثناء الحروب الصليبية ؛ كان يهود الإسلام يجمعون التبرعات لمساعدة اللاجئين اليهود من فلسطين وسوريا ؛ بعد أن دُمِّرت أوضاعهم بأيدي الصليبيين . ونُظمت المؤسسات الخيرية اليهودية في العالم الإسلامي على أساس « إمبراطوري » يجمع بين جميع أقاليم الإمبراطورية الإسلامية ؛ على نمط المؤسسات الخيرية الإسلامية .

اليهود في الحكم الإسلامي :

ولم يشترك يهود الإسلام في إدارة الحكم الذاتي فحسب ؛ بل نشطوا في الجهاز الحكومي الإسلامي ، ولا سيما في دوائر الشؤون المالية والتجارية والدبلوماسية ، وفي الأندلس ؛ في القيادة العسكرية أيضاً . وكان من بوادر العظمة والحكمة الإسلامية أن المسلمين الفاتحين لم يدمروا الحضارات الإنسانية والأجهزة الحكومية والاجتماعية في البلدان التي فتحوها ؛ وإنما استوعبوها وصاغوها مع حضارتهم ومؤسساتهم . هكذا نشأت الحضارة الإسلامية ، وهكذا ترعرعت الدولة الإسلامية . لقد وَدَع الخلفاء الموظفين المسيحيين حيث ظل اليهود يعملون في أجهزة الدولة كما عملوا قبل الفتح . واستمر الموظفون في استخدام لغاتهم السابقة مثل اليونانية ، ولم يستعرب هذا الجهاز إلّا رويداً رويداً . ولم يكن هذا التسامح دينيا فقط ؛ بل مثّل حكمة سياسية كبيرة ؛ لأن المسلمين لم يشكلوا إلّا أقلية في هذه البلدان في صدر الإسلام . هكذا تمكن يهود الإسلام من خدمة الدولة الإسلامية .

ويلاحظ فيشيل في كتابه « اليهود في الحياة الاقتصادية والسياسية في الإسلام في القرون الوسطى » (لندن ، ١٩٣٧) — أن أحد خلفاء القرن العاشر الميلادي غيّر وزيره ١٥ مرة ، ولكنه لم يغير صرافه اليهودي من بداية خلافته إلى آخرها . وفي ذلك الحين كانت أكثرية الصرافين في سوريا ومصر من يهود الإسلام . ومن أهم وزراء اليهود نذكر حسداي بن شبروط ؛ وقد عمل في خدمة عبد الرحمن الثالث (٩١٢ — ٩٦١) والحكم الثاني (٩٦١ — ٩٧٦) في الأندلس ؛ طبيباً ومفتشاً عاما للجمارك ، وقام بمفاوضات ديبلوماسية سرية ممثلاً الخليفة ، ثم أصبح مديراً للجمارك في قرطبة ووزيراً للخارجية ومستشاراً خاصا للخليفة . واشتهر أيضاً الشاعر اليهودي الأندلسي ابن النغريله (ولد في ٩٩٣م) ، وقد كان في بادىء أمره صاحب دكان للتوابل في مدينة مالقة بالأندلس ، وكان يكتب رسائل جارية الوزير ، ثم أعجب وزير غرناطة بأسلوبه ، فعينه سكرتيراً في مكتبه ، وقبيل وفاته وصى أن يخلفه ابن النغريله . وهكذا أصبح ابن النغريله يحكم غرناطة ويقود جيشها في حروبها المتعددة .وسمي بعد ذلك بالعبرية« نغيد » ، أي « أمير » ، وشغل أيضاً منصب رئيس المعهد العلمي

اليهودي ؛ بسبب علمه الديني والدنيوي ؛ وكان من أعظم شعراء اليهود في الأندلس ، وله مراسلات هامة مع كبار الشخصيات في العراق وسوريا ومصر والمغرب العربي . وتمكن يهود غرناطة — آنذاك — من الوصول إلى أعلى وظائف الدولة والجيش الإسلامي .

إضافة إلى ذلك ؛ تمكن يهود الإسلام من التأثير على الحكم عن طريق أطبائهم الذين عملوا في قصور الخلفاء والوزراء والسلاطين المسلمين ؛ فأقاموا علاقات ودية مع الحكام قوّت نفوذهم . كما أن حاجة الدولة إلى تجارة اليهود وبنوكهم وقروضهم لتمويل الحملات العسكرية الإسلامية والمشاريع الأخرى ؛ ساعدت الطوائف اليهودية في التأثير على الحكومة في سياسة التساهل مع المواطنين اليهود . وعندما احتل سليمان القانوني بغداد ، وصل إليها وهو محاط بالعلماء والأطباء اليهود . وكان الحكم العثماني يتعاطف مع يهود الإسلام ، ويمنحهم المناصب الحكومية الديبلوماسية بسبب معرفتهم باللغات الأوروبية . وأسكنت الحكومة العثمانية اليهود في الآستانة ، وفي سلانيك ، وفي قبرص ورودوس لأسباب أمنية واقتصادية ؛ إذ إنها كانت تثق بهم وتخشى السكان الأصليين ، أي المسيحيين اليونانيين.

وفي ١٧٣٣ دافع يهود الإسلام عن بغداد ضد الحصار الإيراني ، كما دافعوا عن البصرة عام ١٧٧٥ ؛ حينما حوصرت ١٣ شهراً ، وساعد الصراف يعقوب بن هارون غَباي — الحكومة العثمانية في تمويل هذه الحرب الدفاعية ، ثم أصبح غباي رئيس (ناسي) الطائفة اليهودية في البصرة .

وفي عام ١٩٠٠ ألغت الحكومة العثمانية ضريبة الجزية ، وفرضت « بدل عسكر » . وفي عام ١٩٠٩ أُلغيت هذه الضريبة أيضاً ، وفرضت الخدمة العسكرية على اليهود . وفي الحرب العالمية الأولى سقط الآلاف من يهود الإسلام مع إخوانهم العرب والمسلمين دفاعاً عن أرض الإسلام ضد الجيوش الأوروبية الاستعمارية . وقوّت السلطات العثمانية الحكم الذاتي اليهودي تحت رعاية الحاخام باشي في الآستانة ، وعينت نواباً من اليهود في البرلمان (١٨٧٦ و ١٩٠٨) ، كما عينت ممثلين من اليهود في المحاكم والمجالس المحلية ، ومنحتهم حق فتح مدارس إليانس (الفرنسية) في جميع أنحاء الإمبراطورية ؛ لتعليم المواضيع العصرية واللغات الأجنبية ، وساعدت هذه المدارس اليهود في استلام الوظائف الحكومية ، والاشتراك في النهضة الاقتصادية .

خدمة الاقتصاد الإسلامي :

إضافة إلى الخدمة الإدارية والديبلوماسية التي قدمها يهود الإسلام إلى الأمة والدولة ؛ كانت خدمتهم الاقتصادية — المالية ذات أهمية كبيرة . لقد كان رسول الله (صلعم) وأوائل المسلمين يرتزقون من التجارة ؛ لذا كانت هذه المهنة بمثابة « حلال » . وشجعت الدولة الإسلامية التجارة لا بالأقوال وإنما بالأفعال ؛ أي بواسطة إلغاء القيود التعسفية ، وسيطرة النظام والأمن ، ومكافحة الإجرام ؛ ولا سيما بواسطة الوحدة الإقليمية لجميع أرض الإسلام . (قارن بالسوق المشتركة في إنكلترا قبل الثورة الصناعية ، والسوق المشتركة في ألمانيا قبل الوحدة السياسية ، والسوق المشتركة

في أوروبا الغربية الآن) .

لقد قلنا سابقاً إن الوحدة الإقليمية في الإمبراطورية الإسلامية ساعدت الطوائف اليهودية في الأقاليم المختلفة على أن تتحد ، وأن تكوّن مجتمعاً دينيا واحداً مقره بغداد ، عاصمة الخلافة العباسية ، ثم قوت هذه الوحدة العلاقات الشخصية بين يهود المشرق والمغرب ، وكثر الزواج المتبادل بينهم ، وانتعشت أعمال التجارة والمال . وهكذا اشترك يهود الإسلام اشتراكاً فعالاً في الثورة البورجوازية التجارية التي انفجرت في دار الإسلام ، وشاركوا في تقوية الأساس الاقتصادي للدولة الإسلامية وللحضارة الإسلامية ، فسارت قوافلهم من الأندلس وحتى الهند تحمل صادرات أمة العرب والمسلمين ووارداتها ، فتزداد ثروات البلاد ويرتفع مستوى المعيشة . وتدل وثائق الغنيزة القاهرية على أن الأمان في الطرقات وحرية التنقل وتقوية الروابط الدينية والثقافية والعائلية بين يهود المشرق ويهود المغرب ــ ساعدت يهود الإسلام في تطوير تجارتهم . وكان للتجار اليهود وكيل في كل مدينة إسلامية ، مسئول عن أمن قوافلهم التجارية ، يمثل مصالحهم أمام السلطات ، ويعتني باستلام البضائع وخزنها وتسويقها ، ومن مهامه أيضا أنه كان صرافاً ومسؤولاً عن البريد . وساعد هذا الأمان الإسلامي على تطوير البنوك التجارية ، إذ كان من الممكن أن يستلم التاجر شيكاً في بغداد ، ثم يستلم فلوسه في أقصى المغرب العربي . وساعد هذا الأمان أيضا على انتشار العلم ، وأصبح من عادة علماء الأمة أن ينتقلوا من إقليم إلى آخر ، طلباً للعلم . واقتبس اليهود هذه الطريقة ونشروا علمهم في المجامع اليهودية الأخرى ، وعظم شأن الجامعات اليهودية في بغداد . وسبّب هذا النشاط الاقتصادي تعميق الهوة بين الشرق والغرب من الناحية الاقتصادية ، حيث أصبح الاقتصاد الإسلامي بورجوازيا ــ صناعيا ، وبقي اقتصاد أوروبا زراعيا ــ إقطاعيا .

ويقول السائح اليهودي مناحيم حييم من فولتيرا إنه زار دمشق عام ١٤٨١ ؛ فوجد هناك ٤٠٠ عائلة يهودية ، وإن جميع اليهود هناك كانوا تجاراً أغنياء ومكرمين ، وإن رئيس الطائفة كان طبيباً . [الموسوعة اليهودية ، جـ٤ ، ص ٤١٧ و ٤١٨] . وبعد ٥٠ عاماً زار السائح عربديا بارتينورا ــ دمشق ، وكتب عن بيوت اليهود وحدائقهم الجميلة هناك [نفس المصدر] . أما السائح بنيامين بن تُديله ــ الآنف الذكر ؛ فيصف الكنيس اليهودي الكبير في بغداد كما يلي : « وفي الكنيس أعمدة من مرمر ، لها ألوان مختلفة مرصّعة بالفضة والذهب ، وعلى هذه الأعمدة كتبت آيات من سفر المزامير بالحروف الذهبية . ويوجد أمام تابوت العهد (حيث توضع التوراة) عشر درجات مصنوعة من المرمر ؛ وفوقها عرش « رئيس الجالية » ، ومقاعد أمراء آل داؤد (يقصد أولاده) » [رحلات بنيامين بن تُديله] .

وفي العهد العثماني اشتهر اليهود في أعمال التجارة بين أوروبا والإمبراطورية العثمانية والهند والصين ، كما امتازوا في صناعة وتجارة النسيج ، وفي جباية الضرائب والجمارك والبنوك ، وفي الصناعة الحربية . وساعدت البنوك اليهودية في تمويل الأجهزة الحكومية ، وفي تسليح القوات الإسلامية التي كانت تدافع عن أرض الإسلام قروناً عديدة ؛ إلى أن سقطت آخر إمبراطورية

إسلامية عام ١٩١٨ .

وفي العهد العثماني أيضاً ؛ تحسنت الأحوال التجارية اليهودية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، واشتهر في البصرة خوجة يعقوب ، وأدون عبد الله ــ الصرافان الرئيسيان ومستشارا الحكومة العثمانية في المنطقة . وفي بغداد عظم شأن الشيخ ساسون بن صالح رئيس عائلة ساسون المعروفة مؤخراً في الهند ، والصراف إسحق ، والصراف مناحيم عيني .

وبخصوص أهمية النشاط المصرفي ؛ أود أن أذكر هنا مثلين : الأول ؛ أن الثورة الصناعية في بريطانيا وفرنسا بدأت في آن واحد ؛ أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وفي ١٨٥٠ (أي بعد ٧٠ عاما تقريباً) بلغ الإنتاج الصناعي في بريطانيا أضعاف الإنتاج في جميع الدول الصناعية في العالم ــ معاً . وكان أحد أسباب الفوز البريطاني في هذه المنافسة النشاط المصرفي الذي قام به المصرفيون الإنكليز (أبناء الطوائف البروتستانتية خارج الكنيسة الإنكليزية) والمصرفيون اليهود العرب (سفاراديم) الذين طردوا من الأندلس ، ثم سكنوا أمستردام في هولندا وعملوا في بنوكها ، وبعد ذلك سمح لهم كروموبل بالهجرة إلى بريطانيا في القرن السابع عشر . وقدمت هذه البنوك البريطانية جميع القروض اللازمة لتطوير الاقتصاد البريطاني في هذه الفترة . أما البنوك في فرنسا فكادت أن تكون معدومة في ذلك الحين . والمثل الثاني هو أن أحد أسباب انتشار اللاسامية في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ــ كان تقديم أصحاب البنوك اليهودية في بريطانيا إلى حكومتهم جميع الأموال اللازمة من أجل الانتصار في الحرب . وأنا أشدد على هذه النقطة لأن بعض زعماء العرب ــ أمثال نوري السعيد لم يدركوا أهمية اليهود في الاقتصاد العربي ، عندما تعاونوا مع الصهاينة في تشريد اليهود من بلدانهم ، وإسكانهم في فلسطين ؛ بعد ١٩٤٨ (انظر الفصل الرابع) .

تعرُّب اليهود في الإسلام :

بلغ فضل الإسلام على اليهود في المضمار الحضاري أقصاه ؛ إذ كان يهود الهلال الخصيب وشمال إفريقيا قبل الفتح يتكلمون لغات مختلفة ، ولا سيما الآرامية واليونانية ، أما بعد الفتح فأخذوا يستعربون كباقي السكان ، ويستخدمون اللغة العربية في حديثهم وفي كتاباتهم ، وحتى في أعمالهم الدينية . وكثيراً ماكتبوا باللغة العربية مستخدمين الحروف العبرية . ثم اقتبسوا الحضارة الإسلامية التي استوعبت الحضارات القديمة مثل حضارة البابليين وحضارة اليونانيين وحضارة الرومان ... إلخ . وكان تأثير الإسلام على اليهود بارزاً في الفلسفة وعلم اللغة ، والأدب والقواميس ، والطب والرياضيات ، وعلم الفلك ، والتراث الشعبي ، والعلوم الدينية ... إلخ .

ومن الجدير بالذكر أن اليهود قبل الإسلام رفضوا رفضاً باتًّا الحضارة اليونانية والفلسفة اليونانية ، و « استشهد » الكثير منهم في مقاومة الحضارة اليونانية . أما بعد الفتح ، فأخذوا يدرسون هذه الحضارة باجتهاد كبير عن طريق أساتذتهم المسلمين ، وسبب تغير موقفهم هذا لايمكن أن يُعزى إلّا إلى التسامح الإسلامي الذي أدّى أيضاً إلى إسلام الكثير من اليهود والمسيحيين .

وكان من طلائع علماء اليهود في هذا الحقل ، سعيد يوسف الفيومي (٨٨٢ — ٩٤٢) ويدعى بالعبرية « سعديا غاؤن » . والفيومي ولد في مصر ؛ ثم هاجر إلى العراق ؛ فأصبح رئيس جامعة سوره في بغداد ؛ أي الزعيم الروحاني ليهود العالم الإسلامي . وقد دافع الفيومي عن اليهودية « السنية » ضد القرائين اليهود الذين رفضوا الحديث (مثل التلمود) . ووضع الفيومي عدة كتب باللغة العربية مثل : « كتاب الرد على عنان » (الذي أسس فئة القرائين) ، و « كتاب التمييز » و « كتاب الموارث وأحكام الوديعة » و « كتاب الشهادة والوثائق » . وترجم الفيومي الكتاب المقدس إلى اللغة العربية بإضافة تفسير واسع . ووضع قاموساً « عبري — عربي » يدعى « الأغرون » . وأشهر كتبه هو « كتاب الأمانات والاعتقادات » ، وفيه عَدَّدَ فضائل العقل بشأن قوة الذاكرة والتكهن ، والسيطرة على الحيوانات وقوى الطبيعة ، وبناء العمارات ، وخياطة الملابس ، وطبخ المأكولات ، وتنظيم الجيوش والمعسكرات ، والحكم السياسي والنظام ، والحضارة ، وعلم الفلك . وعارض الفيومي النظرية القائلة بأن البحث العلمي العقلاني قد يؤدي إلى الكفر والزندقة . وتعتمد فلسفته على القرآن الكريم وفلسفة المعتزلة والفلسفة اليونانية [الموسوعة البريطانية] . ومضى في طريقه بعد ذلك السموءل بن حفني ، وموسى بن ميمون . أما السموءل بن حفني فقد عاش في بداية القرن الحادي عشر ، وكان رئيس جامعة سوره ، ووضع جميع أعماله باللغة العربية ، مثل : « كتاب المدخل إلى التلمود » ، و« كتاب الشرائع » ، و « كتاب نسخ الشرع وأصول الدين وفروعه » . وكان يؤمن بالعقل ، ويرفض الأساطير غير المعقولة ، وقد بحث في شؤون مختلفة مثل التجارة والوراثة والأنهار ، بالإضافة إلى الشئون الدينية . ويقول البروفسور اساف في إحدى محاضراته بجامعة القدس إن ابن حفني امتاز بكثرة أعماله وتنوع المواضيع التي يتناولها أكثر من باقي علماء اليهود .

وأما موسى بن ميمون (١١٣٥ — ١٢٠٤) ؛ فكان أبرع فلاسفة اليهود في الإسلام . ولد في قرطبة ، ثم هاجر إلى مصر ، حيث أصبح طبيب صلاح الدين الأيوبي . وأشهر كتبه هو « كتاب دلالة الحائرين » باللغة العربية . وقد ترجمت أعماله في الطب ، ودرست حتى أواخر القرن السادس عشر . ووضع ابن ميمون تفسيراً عربيا لكتاب « المشنه » (كتاب السنة اليهودية — بعد الكتاب المقدس) . وتأثر ابن ميمون بأرسطو وابن سينا في كتابه « دلالة الحائرين » ، ووضع فيه أساساً عقليا للدين اليهودي ، ثم أصبح هذا الكتاب من أهم مصادر الفلسفة اليهودية . وفي كتابه « شنيه توره » أو « إعادة التوراة » أعاد كتابة جميع مواد التلمود بصورة منظمة . ومن تعاليمه أن اليهودي يجب أن يفضل الموت بدلاً من اعتناق الدين المسيحي ، ولكنه يستطيع أن يعتنق الدين الإسلامي بدلاً من الموت .

وامتاز في الفلسفة أيضا ابن كمونة (القرن ١٣) الذي وضع دراسة في الإسلام والمسيحية واليهودية ، وأبو البركات ابن ملكة (القرن ١٢) ، وابن جبرول الأندلسي ، وبحيا بن بَقُودَه مؤلف « واجبات القلب » باللغة العربية ، ويمثل هذا الكتاب أول عمل عن نظرية الزهد الإسلامية يدخل

الدين اليهودي (١٠٧٠) . وقد مضى في هذا السبيل الفلسفي إبراهيم بن ميمون (ابن موسى بن ميمون) الذي عيّن رئيساً للطائفة اليهودية في مصر . ووضع إبراهيم كتاباً هاما عنوانه « الكامل لعباد الله » ، قام بتحقيقه وترجمه إلى الإنكليزية البروفسور صموئيل روزنبلاط بعنوان High Ways of Perfection [بلتمور ، ١٩٢٧ و١٩٣٨] . ويلاحظ الكاتب أن الصوفيين المسلمين قد حافظوا على آراء الأنبياء أكثر من اليهود أنفسهم . ثم حاول إدخال بعض العادات الإسلامية في الصلاة (مثل السجود) اليهودية ولكنه فشل في ذلك . غير إن اليهود العراقيين يسجدون في صلاة يوم الغفران ـــ مثل المسلمين . هكذا ترى أن الصوفية الإسلامية ـــ كطريقة فكرية وأخلاقية كاملة ـــ أثرت على فلاسفة اليهود وشعرائهم . كما أن العلوم اليونانية وطريقة التفكير اليونانية تغلغلت إلى الحياة الفكرية اليهودية عن طريق الأساتذة المسلمين ، الذين طوروا التفكير العلمي المنهاجي . ويلاحظ البروفسور غويتاين ، رئيس قسم العلوم الإسلامية بجامعة القدس ؛ أن يهود الإسلام تعلموا اللواط من الصوفية ، وأن عدد المثقفين اليهود في القرون الوسطى انخفض بسبب الصوفية [يهود وعرب ، ص١٥٣ و ١٥٤] (هذه طبعا ملاحظات عادية يدسّها علماء الصهاينة ؛ لإهانة الإسلام ويهود الإسلام . وواضح أن البروفسور يتناسى اللواط المنتشر بين اليهود الأشكناز في الغرب ، إلى أن أدّى إلى مرض الأيدز) .

وفي العراق وضع شريرا غاؤن رئيس جامعة بمبديته خلال ٩٦٨ ـــ ٩٩٨ « رسالة » مطولة عن تاريخ السنة اليهودية منذ نهاية الكتاب المقدس ؛ تدعى « رسالة راب شريرا » . وخلفه ابنه راب هاي غاؤن الذي كتب عدة كتب باللغة العربية مثل : « كتاب الشرع والبيع » ، و « كتاب الإيمان » ، و« كتاب الحاوي » ، و « كتاب أدب القضاء » . ولم يؤمن راب هاي بالأساطير ومعجزات الأولياء ولا بالجنّ ، متأثراً بالفلسفة العقلية التي طورها فلاسفة الأمة الإسلامية . وفي مالقا بالأندلس ، امتاز الشاعر والفيلسوف اليهودي سليمان بن جبرول (١٠٢٢ ـــ ١٠٧٠م) . ووضع ابن جبرول « مختار الجواهر » ـــ في الأمثال ، و « كتاب إصلاح الأخلاق » ، و « كتاب مصدر الحياة » ـــ في الفسلفة . وقد تأثر ابن جبرول بالمتنبي وبأبي العلاء المعري .

لم يكن ثمة شعر عبري قبل الإسلام ، عدا الشعر الديني غير المنظوم في فلسطين ؛ لذلك فإن الشعر العبري المنظوم الذي وضع في القرون الوسطى في العهد الإسلامي ـــ كان جزءًا من الشعر العربي من حيث المحتويات والأساليب الفنية . وكل من يدرس الشعر العربي والشعر العبري في هذه الفترة يشعر بأن الشعر العبري لم يكن إلّا تقليداً كاملاً للشعر العربي . وسبب ذلك هو أن شعراء اليهود تكلموا اللغة العربية ، ودرسوا الأدب العربي ، وكانت ثقافتهم عربية ، ونظموا الشعر العربي ، وأعجبوا بجمال الشعر العربي ؛ إلى درجة أرادوا معها نقل هذا الجمال إلى اللغة العبرية . فأخذوا ينظمون الشعر العبري مستخدمين لغة الكتاب المقدس ، ثم ترجموا حرفيًّا كثيرا من الاصطلاحات والتعابير العربية إلى اللغة العبرية ، واقتبسوا البلاغة العربية ، وتركيب البيت الشعري ، وجميع الأساليب الشعرية العربية مثل التشبيه والاستعارة والكناية والطباق ... إلخ ، وكذلك الأوزان

ومحتويات الشعر العربي مثل : الغزل والمديح والشعر الصوفي . وعندما كانت عواطف الشاعر تبلغ ذروتها ؛ كثيراً ماكان يضيف أبياتاً باللغة العربية . وبلغ عدد شعراء يهود الإسلام العشرات ؛ أشهرهم سليمان بن جبرول ، وموسى بن عزرا ، ويهودا هلوي ، والسموءل بن نغريله ، وإبراهيم بن عزرا ، ويهودا الحريزي ، والأخير اقتبس مقامات الحريري من ناحية الشكل في كتابه « تحكموني » .

وعاش يهودا هليوي الذي ولد عام ١٠٨٦ ، والملقب « أبو الحسن » — في طليطلة في الأندلس وهو يعد من أعظم شعراء الأندلس الناظمين باللغتين العبرية والعربية ، وكان طبيباً وفيلسوفاً . وأهم كتبه في الفلسفة الدينية هو « كتاب الخزري » باللغة العربية ، وضعه في صورة أسئلة وأجوبة . وفي طريقه إلى القدس توقف في الفسطاط حيث استقبله بحفاوة ناثان السموءل ؛ عميد المعهد العلمي في المدينة ، ورئيس الطائفة ؛ أبو منصور السموءل بن حننيا . وفي الإسكندرية استقبله الحاخام هرون بن صيون بن الأماني ؛ والأخير كان شاعراً وطبيباً . وكان الشاعر دونش أول من أدخل الأوزان الشعرية العربية إلى الشعر العبري في القرن العاشر الميلادي . ومن أشهر الشعراء الذين أسلموا هو إبراهيم بن سهل الأشبيلي (المتوفي ١٢٦٠) وقد درس القرآن الكريم ، وله ديوان معروف .

أما في العصر الجاهلي فقد استعمل يهود الجزيرة العربية منذ القدم اللغة العربية كلغتهم الرئيسية ، وقالوا الشعر كإخوانهم العرب . ويستحق الذكر في هذه النبذة السموءل بن عادياء (المتوفي ٥٦٠) صاحب الحصن المعروف بالأبلق . وهو يضرب به المثل في الوفاء ؛ لأنه فضل قتل ابنه على التفريط في أمانة أودعها عنده امرؤ القيس عندما سار إلى الشام ؛ يريد القيصر . وله قصيدة شهيرة مطلعها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

لم يدرس علماء اليهود قبل الإسلام علم اللغة ، وعندما أخذوا يدرسون اللغة العربية بعد الإسلام ؛ تعلموا النحو والصرف ، ثم بدأوا يبحثون في علم اللغة بالنسبة للغة العبرية ، مستخدمين كل ماتعلموه من أساتذتهم — علماء اللغة العربية . وهكذا وضع داؤد بن إبراهيم الفاسي قاموس اللغة العبرية للكتاب المقدس في القرن العاشر الهجري ، وألّف تنحوم يروشاطي في القرن الثالث عشر القاموس العبري للمصادر العبرية ، بعد الكتاب المقدس . واكتشف ابن جناح أن كل كلمة عبرية (مثل الكلمة العربية) تشتق من جذر مؤلف من ثلاثة حروف . واستمر علماء اللغة العبرية في القرون (١٠ — ١٣م) مع إخوانهم المسلمين في دراسة اللغات العربية والعبرية والآرامية ، واعتبروا هذه اللغات الثلاث لغة واحدة أصلاً .

لاحظنا سابقاً أن الإسلام لم يدمر الحضارات القديمة في الأراضي التي انضمت إلى الدولة الإسلامية ، وإنما استوعبها ؛ فقد قام علماء المسلمين واليهود والمسيحيين منذ العهد الأموي بعملية ثقافية واسعة النطاق وهي ترجمة العلوم اليونانية من اللغة اليونانية ، أو من اللغة السريانية . وكان من

ضمن هؤلاء المترجمين يهودي عاش في البصرة في عهد عمر الثاني يدعى مَاسَرْجَوَيْه ، ترجم كتباً سريانية في الطب إلى اللغة العربية . وكان أشهر المترجمين المسمى حنين بن إسحق (٨٠٩ — ٨٨٧) .

وفي القرن الثالث عشر قامت طائفة كبيرة من علماء يهود الإسلام الأندلسيين ولا سيما في منطقة بروفانس بجنوب فرنسا — بترجمة الفلسفة والعلوم الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغة العبرية ، ومنها إلى اللغة اللاتينية ، ومن ثم انتشرت أعمال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا حيث أصبحت أساس الحضارة الغربية . ومن بين هؤلاء المترجمين امتازت عائلة تيبون وعائلة قِمْحِي .

وقبل أن نعالج التراث الشعبي علينا أن نلخص منهج الدراسة في المعاهد العلمية اليهودية في دار الإسلام ؛ في القرن الثاني عشر ؛ استناداً إلى كتاب « طب النفوس » للكاتب يوسف بن يهودا عقنين . فلقد درس يهود الإسلام بالإضافة إلى التوراة والتلمود ؛ الشعر والفلسفة والرياضيات ، والهندسة وعلم المنطق ، وعلم البصريات ، والعلم الفلكي والعلوم الطبيعية ، والموسيقى ، وفلسفة الدين ، والفلسفة التجريدية ، وعلم الميكانيكا . ويقول يهودا بن السموءل بن عباس إن المنهج التعليمي في القرن الثالث عشر شمل في المرحلة الأولى ترجمة التوراة إلى اللغة العربية ، والأجزاء التاريخية من الكتاب المقدس ، وقواعد اللغة العبرية ، والتلمود ، والأخلاق المذكورة في « طب النفوس » . وفي المرحلة الثانية يدرس الطالب الطب والحساب والموسيقى . وفي المرحلة الثالثة يدرس أرسطو وابن رشد ، وأخيراً العلوم الطبيعية والفلسفة التجريدية [رجوان ، ص١٤٤] . ويبدو أن هذا المنهج التعليمي مقتبس عن المدارس الإسلامية ، عدا المواد اليهودية .

لم يكن جميع يهود الإسلام مثقفين يجيدون اللغة العربية الفصحى ، لذلك ترجم علماؤهم الكتاب المقدس وكتبهم المقدسة الأخرى إلى اللغة العربية العاميّة ، وكتبوا تفسيرا للكتاب المقدس باللغة العربية العاميّة ، وعندما أصبح الشرح قديما كتبوا شرحا جديداً « عصريا » . وهكذا أصبحت هذه الأعمال مصدراً هاما لدراسة تطوير اللغة العربية العاميَّة منذ الفتوحات الإسلامية . وقد جمع الأستاذ داوُد ساسون بعض هذه الأعمال .

أما التراث الشعبي في دار الإسلام فهو مشترك تماماً لجميع الطوائف المسلمة واليهودية والمسيحية ؛ أعني الأمثال والأساطير والحكايات الشعبية . ومن ضمن ٤٠٠ قصة في كتاب ألف ليلة وليلة ، توجد ٤٥ قصة يهودية . وفي القرن الحادي عشر قام نسيم بن يعقوب بن شاهين بجمع الحكايات العربية — اليهودية ، وكتبت هذه الحكايات عادة باللغة العربية العاميّة وبالحروف العبرية . وكان المغنون اليهود يغنون — في أعراسهم وحفلاتهم — الأشعار العربية ، وبعض هذه الأشعار كانت تتألف من أبيات عربية وعبرية بالتناوب . وفي الأعراس الحالية في « إسرائيل » يحذف المغنون الأبيات العربية المنظومة باللغة العربية الكلاسيكية ؛ لأن الجيل الجديد لايعرف هذه اللغة ؛ بسبب القمع الحضاري الذي يقوم به الحكام . ولا تزال الموسيقى في أوساط يهود الإسلام عربية شرقية

تماماً ؛ حتى في الصلاة وتلاوة الكتاب المقدس . ولايوجد أي فرق بين الفن اليهودي والفن الإسلامي في دار الإسلام ـــ أعني الصياغة والخط ، وكذلك سائر الفنون والحرف اليدوية . وفي آذار ١٩٨٧ شاهدتُ فيلماً صهيونيا في ناشيونال فيلم ثياتر بلندن ؛ عن الفن الشعبي اليمني ، ووصف الصهاينة هذا الفن بأنه « يهودي يمني » ، ثم اعترفوا بأن هذا الفن قد اختفى لدى اليهود اليمنيين بعد أن هاجروا إلى « إسرائيل » .

خلاصة القول أن جميع التراث الحضاري اليهودي منذ الفتوحات الإسلامية كان جزءًا من التراث الحضاري الإسلامي ، وكتب معظمه باللغة العربية ، وتحت حكم الإسلام . أما التراث الحضاري الأشكنازي فلم يظهر إلى الوجود حتى القرن الثامن عشر في أوروبا الشرقية وأواسطها . إضافة إلى ذلك علينا أن نذكر أن يهود الإسلام مثلوا أغلبية اليهود في العالم في عصر الإسلام ، أما الآن فقد انخفضت نسبتهم إلى ١٧٪ من يهود العالم . ولكنهم يمثلون ٧٠٪ من يهود « إسرائيل » .

التسامح الإسلامي :

لقد حصل هذا التفاعل الحضاري بين المسلمين الفاتحين واليهود والنصارى بسبب جو التسامح الإسلامي ، وفضائل الشهامة العربية ، وحب الكرم ، وحسن الجوار ، وخصلة العفو عند المقدرة ؛ إلى غير ذلك من المثل العليا التي تقلد بها الحاكم العربي المسلم .

وتدل المصادر اليهودية على أن عبد الملك بن مروان قد عيَّن يهوداً لتنظيف الحرم الشريف بالقدس ، ولصنع القناديل وإنارتها . وآمن يهود القدس ـــ آنذاك ـــ أن هذه هي بداية الخلاص . وقبل ذلك بنى معاوية كنيساً يهوديا بالقدس .

ولم يواجه اليهود في الإسلام خيارين : إما الإسلام وإما الموت ؛ كما حصل في أوروبا النصرانية ؛ لأن القرآن الكريم وصّى : « لا إكراه في الدين » ، وكذلك : « لكم دينكم ولي ديني » . إضافة إلى ذلك ، لم يتميز موقف الإسلام من اليهود بالكراهية والخوف والعنصرية كما حصل في أوروبا ، حيث كانت اللاسامية (ولاتزال) مبنية على الكره لليهودي والخوف منه ، وفي عقلية المسيحيين الأوروبيين كان اليهودي والشيطان وجميع الناس غير المسيحيين ينتمون إلى القوى المعادية للمسيح ولله ، وكان هذا الخوف حقيقيا في أذهانهم . وفي العصر الحديث بنيت اللاسامية والعنصرية على هذا الأساس ؛ فأصبح العداء ليس دينيا فحسب ، وإنما بيولوجيا . وقد قتل هتلر حتى اليهود الذين اعتنقوا الديانة المسيحية . وقسمت النازية الأجناس إلى طبقات عالية وطبقات متدنية ، ورفض هتلر مصافحة الزنجي الذي انتصر في المباراة العالمية في برلين عام ١٩٣٦ ؛ لأنه أسود تابع لعنصر متدنٍ . لم يحدث كل هذا في الإسلام . وعندما اعتنق اليهودي الدين الإسلامي انهارت جميع الفوارق ، وأصبح كأحد المسلمين الآخرين . هكذا استوعب الإسلام الشعوب في الهلال الخصيب وإفريقيا وآسيا ، وحتى اليوم يفضل الأفارقة السود الإسلامَ على أي دين آخر .

ولم يفرض الإسلام قيوداً على اليهود والمسيحيين في مجال السكن والعمل ومحل الإقامة والحرف

والتجارة ... إلخ — كما حصل في أوروبا في القرون الوسطى ، وإنما كان جميع المواطنين أحراراً يسكنون أينما يرغبون ، ويعملون في أية حرفة يختارونها . ولم يمنح الإسلام أية امتيازات خاصة لطبقة معينة من الناس — كما حدث في النظام الإقطاعي في أوروبا ، وفي نظام الطوائف في الهند . وقسم الإسلام العالم إلى قسمين : دار الإسلام ودار الحرب ، أما أهل الكتاب في دار الإسلام فأطلق عليهم اسم « دار الصلح » .

وفي العالم الأوروبي — في القرون الوسطى — أعدمت الكنيسة كل من قام بعمل في حق الدين المسيحي ، أما الإسلام فقد منح حق التوبة ، ثلاث مرات ؛ لأهل الكتاب الذين اقترفوا جريمة في حق الإسلام والرسول كالسب . كما منحهم حق الدفاع عن دينهم شفهيا أو تحريريا .

ورحب اليهود بدفع ضريبة الجزية لأنها منحتهم حق الحماية الإسلامية . وعندما أراد الخليفة العباسي المعتضد إلغاء الجزية عارضه صرافه اليهودي [رجوان ، ص٨٨ و ٨٩] . ويقول الدكتور لاندشت (ص٨) إنه خلال العهد الأموي (٦٦١ — ٧٥٠) والعهد العباسي (٧٥٠ — ١٢٥٨) لاتوجد أية شكوى يهودية مسجلة عن اضطهاد أو معاملة قاسية .

وفتحت الدولة الإسلامية جميع مصادر الرزق لليهود والمسيحيين ؛ حتى ملكية الأراضي التي كانت ممنوعة بالنسبة لليهود في أوروبا . وكان الخلفاء الفاطميون ؛ مثلاً — يدفعون التبرعات المالية لمساعدة الأكاديمية اليهودية في القدس . وفي عام (١٠٢٠م) أنقذ الخليفة الحاكم حياة ٢٠٠ يهودي من أيدي المتعصبين الذين أرادوا ذبحهم . ويعتقد المؤرخون أن هذا الخليفة بدأ يضطهد أهل الكتاب فجأة على إثر مرضه العقلي .

وكتب الوزير الخاقاني إلى الخليفة العباسي المعتضد أنه يستخدم اليهود والنصارى في جهاز الدولة ؛ لأنهم أكثر إخلاصاً إلى الخلافة العباسية من المسلمين أنفسهم . وهذه المبالغة تدل على الثقة بالمواطنين من أهل الكتاب . واشتهر — آنذاك — الصرافان اليهوديان : هرون بن عمران ، ويوسف بن بنحاس ؛ اللذان قدّما القروض المالية لتجهيز القوات الإسلامية . ويذكر الفرمان الذي أصدره السلطان محمد الثالث في آذار ١٦٠٢ — أن حماية الذميّ هي واجب مفروض على المسلمين كافة وملوكهم وحكامهم . واحترم الإسلام الدين اليهودي ، واستنكر إهمال اليهود لفرائض ديانتهم . ويقول الغاؤن هاي — الآنف الذكر — إن المحاكم الإسلامية لم تقبل شهادة اليهودي أو المسيحي إلّا إذا كان « من المعادلين » أي من الذين يقومون بفرائض ديانتهم [داؤد ساسون ، ص ٧ و ١٠ و١٢ و١٤ و ١٥] .

وكان موقف علماء الإسلام وأهل الكلام بالنسبة ليهود الإسلام معتدلاً وإيجابيا — لاحظ مثلاً كتاب التمهيد الذي وضعه الباقلاني في بغداد في القرن العاشر . وكانت الأوساط العقلانية والصوفية والبورجوازية تتعاطف مع يهود الإسلام ، فمثلاً ؛ يمدح سعد الأندلسي يهود الإسلام بسبب اجتهادهم في دارسة الشريعة الإلهية وحياة الأنبياء . ويذكر ابن سعد في كتابه « طبقات الأمم » أسماء

الأمم التي ساعدت على انتشار العلم في العالم كمايلي : الهنود والإيرانيون والكلدانيون واليونانيون والروم والمصريون والعرب واليهود . ويقول ابن سعد إن اليهودية كانت مهد النبوة ، ومعظم الأنبياء كان يهوداً . ثم يبحث الكاتب في تاريخ علماء اليهود في دار الإسلام . واعتنى بتاريخ يهود الإسلام أيضا رشيد الدين (١٢٤٧ ــ ١٣١٨) ، وابن خلدون (١٣٣٢ ــ ١٤٠٦) . وكانت هناك دراسة واحدة شاذة تعادي اليهود لابن حزم (٩٩٤ ــ ١٠٦٤) ؛ نتجت عن عدائه لابن نغريله اليهودي الذي وصل إلى قمة الهرم في الحكم الأندلسي .

وعندما أراد السلطان العثماني سليمان القانوني أن يبني جامع السليمانية ، عرقل المشروع بأيدي يهودي رفض بيع قطعة من الأرض هناك ، فاقترح المستشارون على السلطان مصادرة الأرض لاشراءها عنوة ؛ لكن السلطان رفض ذلك قائلاً إن الاقتراح يناقض الشريعة الإسلامية . وثمة قصص مشابهة عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . ويقول الأمير زنكي الذي حكم العراق وشمال سوريا : حتى إذا كان المظلوم يهوديا والمتهم هو ابن الأمير نفسه ــ فالحق يجب أن يعود إلى نصابه . فلا شك أن مبدأ المساواة أمام القانون في الإسلام كان من أهم العوامل التي حافظت على سلامة الأقليات المختلفة في الدولة الإسلامية . وبسبب هذا التسامح والوئام الحضاري والاجتماعي ؛ حصل التفاعل ثم التشابه في الأمور الدينية .

وفي حين تأثر الدين اليهودي في « دار الإسلام » بالتسامح الإسلامي تأثر الدين اليهودي في الوسط الأشكنازي بالتعصب المسيحي الأوروبي الذي ساد في القرون الوسطى . ولايعرف هذه الحقيقة إلّا من احتك بالمتدينين المتعصبين الأشكناز في « إسرائيل » ، من أمثال الرابي الأمريكي كاهانا وليفنغر ، وأعضاء العصابة الإرهابية التي اعتدت على رؤساء بلديات الضفة الغربية ، وأعضاء منظمة « غوش إيمونيم » ، وغيرهم من مستوطني الضفة الغربية وقطاع غزة . حتى اليهود الأشكناز الذين أهملوا دينهم وأصبحوا « علمانيين » أو بالأحرى « ملحدين » ، تأثروا بالتعصب القومي الأوروبي ، من أمثال شارون وإيتان وبيغن وشمير وبن غوريون ورابين وغولده مئير وألون ويادين ، وغيرهم من الزعماء الأشكناز سواء أكانوا من حزب العمل اليساري أم من حزب الليكود اليميني .

وهناك تشابه بين العَالِم السني المسلم والعَالم اليهودي أو الحاخام : فكلاهما لايعتبران « كاهنين » مقدسين لهما القدرة الإلٰهية في التوسط بين الله تعالى والناس ، كما هي الحال في الدين المسيحي الكاثوليكي . ولا يوجد في الديانتين الإسلامية واليهودية ــ طقوس سكرامنتية ، ولا توجد أية وظيفة يقوم بها العالم أو الحاخام ممنوعة على باقي المؤمنين العاديين . والعالم المسلم والحاخام يتوصلان إلى مرتبتهما الدينية بواسطة الدراسة الدينية العميقة ، والاعتراف الإجماعي . وشهادة الحاخام « سميخه » تشبه « الإجازة » التي يستلمها العالم المسلم من أستاذه . وهناك تشابه بين الشريعة الإسلامية والهَلَاخَه اليهودية ، وتعني كلتا الكلمتين « طريق » ، وتتألف في كلا الدينين من الكتاب المقدس أو القرآن الكريم والسنة ، ويمثل التلمود الدي جمع في العراق (٥٠٠م) أساس السنة

وقد أثّر الفقه الإسلامي على الفقه اليهودي من حيث التقسيم والتكوين والاصطلاحات . وهناك تشابه بين الفتوى الإسلامية وأدب الأسئلة والأجوبة الذي نما في العراق تحت حكم الإسلام ، والذي وضع بأيدي رؤساء الجامعات اليهودية العراقية . كما أثّر الإسلام على اليهودية في قضايا الزواج ، وتركيب المعبد ، والكلام والتدقيق في نصوص الكتب المقدسة ، ونصوص الصلاة ، والفلسفة الدينية ، وأكل اللحوم (حظر لحم الخنزير مثلاً) ، ومن الجدير بالذكر أن الإسلام السني يسمح للمسلم أن يأكل اللحم الحلال لدى اليهود . ولم يعتبر المسلم الدين اليهودي خطراً على الإسلام ديناً أو دولة ؛ لأن اليهود لم يشكلوا أية دولة سياسية ، وكانوا أقلية صغيرة ، على حين أن المسيحية كانت دين الدول الكبرى التي حاربت دول العرب والمسلمين منذ الفتوحات الإسلامية ، وطردت الإسلام من الأندلس ومن إيطاليا الجنوبية ومن البلقان ، وأخيراً قضت على آخر الإمبراطوريات الإسلامية عام ١٩١٨ [لويس ، ص ٧٩ — ٨٦] . وكل هذا يدل على أن العداء الحالي بين اليهود والعرب ليس له جذور في تاريخ الأمة الإسلامية ؛ بما فيها يهود الإسلام . ولم ينمُ هذا العداء إلا نتيجة للاستعمار الصهيوني الأشكنازي .

وهذا التحليل لايعني أنه لم تحصل هناك مضايقات أو أعمال عنف وأنظمة تعسفية في شؤون اللباس وبناء الكنائس والمنازل ... إلخ . والمؤرخون الصهاينة ينشرون هذه الأمور بالتفصيل . غير إن هذه المضايقات لم تحصل إلّا في أطراف العالم الإسلامي ، أما في المناطق المركزية السنية فقد ازدهرت الطائفة اليهودية . والأوامر التعسفية لم تطبق عمليا بأغلبيتها الساحقة . وكل من يحكم على مجتمع حسب مقاييس تابعة لمجتمع آخر من حيث المكان والزمان — يخدع نفسه ويخدع القارىء . أما إذا قارنا وضع اليهود في الإسلام في القرون الوسطى بوضع اليهود الأشكناز في أوروبا في الفترة نفسها ؛ فسيكون فضل الإسلام واضحاً شامخاً .

اليهود في المغرب العربي :

بالرغم من هذه الحقائق المعروفة لدى جميع المؤرخين النزهاء ، تستمر المدارس الإسرائيلية في تحريض الطلاب على العالم العربي والإسلامي . ويزعم المدرسون الصهاينة أن اليهود في البلدان العربية والإسلامية عانوا من الاضطهاد ومن الفقر والأمراض السارية ، وفرضت عليهم الإقامة الجبرية في غيتوات خاصة ، وحُرِم أطفالهم من الثقافة العامة . وبسبب القمع السياسي لم تمنح لهم أية فرصة للقيام بنشاط اقتصادي . وأرغموا على السير حفاة الرجلين منكسي الرأس ، وكلما قابلوا مسلماً تحتم عليهم الانحراف عن الطريق ، وكان المسلم يعرّضهم للإهانات والضرب . [انظر : التاريخ اليهودي في العصر الحديث للدكتور س . كيرشنباوم ؛ الذي يُدَّرَس في الصفوف العليا للمدارس الثانوية الصهيونية] (لاحظ أيضا أن جميع الصهاينة الذين يصفون أحوال يهود الإسلام في الأراضي الإسلامية هم مستوطنون أشكناز هاجروا من أوروبا وأمريكا ، ولم يعيشوا في الوطن الإسلامي . ذلك لأن يهود الإسلام لا يُسمح لهم بالتحدث عن أنفسهم وعن حياتهم في دار الإسلام ، لأن جميع وسائل الإعلام ودور النشر بأيدي المستوطنين الأشكناز) .

وفي مقالة في جريدة يديعوت احرونوت (٢٣/٧ /٧٦) ردّ الصحافي التقدمي باروخ نادِل على هذه المزاعم الكاذبة قائلاً : إن لكل طائفة يهودية في المغرب زعامة يهودية تتألف من الصفوة المثقفة ذات النفوذ في البلاد . وعادة مايقوم اليهود بخدمة الدولة : مستشارين وأطباء ومترجمين وكتّابا وديبلوماسيين وصرافين . وقد أفاد أغنياء اليهود بلادهم عن طريق نشاطهم الاقتصادي . وعمل اليهود أيضاً في إدارة الملاحة ، وظهر بينهم شعراء ممتازون . وعمل المسلمون في المؤسسات اليهودية والعكس بالعكس . وكادت المذابح ضد اليهود أن تكون معدومة . وكان اليهود مسؤولين عن سك النقود ، واشتهر مسترا موسى طبيب الملك الخاص ؛ وخلفه يوسف فالنسا . أما شموئيل هلاش فقد وقع على أول معاهدة أبرمت بين المغرب ودولة مسيحية ـــ هي هولندا ، وعُيِّن سفيراً مغربيا في أمستردام (١٦١٠) ، وكان هلاش وزير الخارجية والمستشار الخاص لأربعة سلاطين . وعيَّن السلطان رشيد ؛ وهو أول سلاطين العلويين ـــ يهوديا مستشاراً له ووزيراً للمالية . وفضل السلطان سيدي بن عبدالله إشراك اليهود في كل صفقة تجارية ، وفي المفاوضات مع الحكومات الأوروبية .

ومنذ ١٦١٠ حتى ١٨٢٨ ، شغل اليهود مناصب سفراء في عواصم أوروبية مختلفة . ومنذ عهد مولاي عبد الرحمن (١٨٢٢ ـــ ١٨٥٩) ازداد نشاط اليهود في الاقتصاد المغربي وفي المجال الدبلوماسي ، واشتهرت العائلات اليهودية : التراس وبن خيمول وبن صور . ومنحت بعض الدول الغربية الجنسية لقسم من اليهود ؛ بغية التدخل في شؤون البلاد الداخلية ، وأدّت هذه السياسة إلى الاعتداءات ضد اليهود مثل مذبحة ٣٠ /٣ /١٩١٢ في مدينة فاس ، حيث قتل ستون يهوديا وجرح خمسون آخرون [شُراقي ، ص١٧٣] .

وكتبت جريدة فاينَنْشل تايمز (٢٣ /٧ /١٩٨٦) تقول : إن الطائفة اليهودية المغربية قد لعبت دوراً هاما في الحياة السياسية والاقتصادية والحضارية ؛ منذ قرون عديدة . ولايزال حتى يومنا هذا سيدي محمد أكبر أبناء الملك الحسن ، يواصل زياراته للكنيس اليهودي في الرباط ، في ليلة عيد الغفران اليهودي (يوم الصوم) . إن الحماية التقليدية التي منحها الملك للمواطنين اليهود قد استمرت خلال الحرب العالمية الثانية ، إذ إن السلطان محمد الخامس ، والد الملك الحسن ؛ أخبر الحاكم الفرنسي العام أنه لن يسمح لسلطات فيشي (التي كانت تحت النفوذ الألماني) بإرغام اليهود على حمل نجمة داؤد الصفراء ، ولكنه سوف يقدم لوائح الإحصاء . وأضافت الصحيفة البريطانية أنه بالرغم من انخفاض عدد اليهود في المغرب من ٣٠٠،٠٠٠ نسمة إلى ١٠،٠٠٠ نسمة ؛ نتيجة للهجرة إلى إسرائيل ، فإن اليهود مازالوا يلعبون دوراً هاما في البلاد ، وإن رئيس الطائفة : داؤد عمّار يشارك الملك في أكبر شركة مغربية ، ويستخدم داؤد عمّار نفوذه الاقتصادي من أجل تقليص معارضة يهود أمريكا لبيع الأسلحة لبعض الدول العربية .

وكان لنشر هذه الحقائق أهمية أكبر بالنسبة لليهود المغاربة ، الذين يعانون أشد أنواع التمييز العنصري تحت نير الاستعمار الصهيوني الأشكنازي .

وكتب القنصل الأمريكي م . نوح عام ١٨١٤ يقول عن اليهود في تونس أنهم يترأسون الجمارك ودوائر الضرائب والصادرات ، وتسويق عدة بضائع ، وسك النقود . كما يحافظون على جواهر الباشا وأشياء ثمينة أخرى . ويضيف السيد نوح أن اليهود يشغلون الوظائف المالية العليا وسكرتارية الباشا ، وهم المترجمون ورجال العلم والطب والفن ، وهم دائماً قائمين بين أيدي الباشا ، ولكل وزير عربي موظفان يهوديان أو ثلاثة موظفين ، وكذلك وكيلان يهوديان أو ثلاثة وكلاء . وبالرغم ممَّا يقال عن الاضطهاد ضدهم ، فلديهم نفوذ حاكم [م . نوح ، ص٣٠٦] . وفي ١٨٥٥ ألغى محمد باشا جميع القيود التي كانت مفروضة على اليهود ، ومنحهم المساواة التامة .

وفي حين أن اليهود في الدول الغربية والاشتراكية يتمتعون بالمساواة التامة ؛ فإنهم لايتمتعون بالحكم الذاتي الذي منحهم الإسلام — كما ذكرنا سابقاً . وضمن هذا الحكمَ الذاتي حافظ يهود الجزائر على هويتهم اليهودية — الإسلامية ؛ منذ الفتوحات الإسلامية إلى أن ألغى الاستعمار الفرنسي هذا الحكم خلال ١٨٣٤ — ١٨٥١ . ومن ثم فُرضت عليهم الحضارة الفرنسية واللغة الفرنسية ، برغم معارضة زعمائهم . ولم يبق إلَّا يهود قسطنطينة والواحات الجنوبية مخلصين ليهوديتهم العربية . وهاجرت عدة أسر منهم إلى تونس كي لاتفقد شخصيتها . أما الباقي فقد أخذ شبابهم يخجلون من يهوديتهم . وهذا لم يحدث تحت حكم الإسلام [الأزمنة الحديثة لسارتر ، ريشار آيون ، ص ٦٧ — ٧١] . وفي الأيام العصيبة في الماضي كان اليهود في الجزائر يلجئون إلى الجوامع طلباً للحماية . وفي عام ١٩٠٢ رفض الشعب الجزائري التحريض المعادي لليهود وهُزم المحرضون [شوراقي ، ص١٥٢ و ١٥٣] . وأخيراً انتصر الاستعمار الفرنسي في فصل اليهود الجزائريين عن وطنهم وشعبهم ، وعندما نالت الجزائر استقلالها هاجر اليهود الجزائريون إلى فرنسا ؛ لكنهم لم يهاجروا إلى إسرائيل ؛ لأنهم رفضوا أن يكونوا مواطنين من الدرجة الثانية .

يهود العراق :

بخصوص اليهود العراقيين يقول باروخ نادل — في مقاله الآنف الذكر : إن نسبة الأطباء في هذه الطائفة — عندما عاشت في العراق — كانت تزيد على نسبة الأطباء في المجتمع الأشكنازي الاستيطاني في فلسطين زمن الانتداب البريطاني ، بأربع مرات . وإن ٣٦٫٥٪ من اليهود العراقيين كانوا ينتمون إلى أصحاب المهن الحرة ، كما كانوا جزءًا من الإدارة الحكومية والاقتصادية ، ومن مديري السكك الحديدية والبنوك والتجار والمحامين والمحاسبين . وكان هناك فقراء أيضاً ، ولكن نسبتهم كانت تقل عن نسبة الفقراء لدى الأشكناز في بولونيا . وكانت الثقافة العامة واليهودية في المدارس اليهودية العراقية ممتازة ، ودرس اليهود اللغة الإنكليزية والفرنسية في مدارسهم الثانوية ، مثل المدارس الفرنسية « إليانس » . وامتاز اليهود في الشعر العربي العصري والرواية العربية ، وكانت اللغة العربية لغة التدريس ، وكانت المناهج الدراسية عراقية وطنية وعربية مخلصة ، وفي مدارس الدين قرأ الطلاب التوراة وترجموها إلى العربية .

ويقول كوهين (١٩٧٣ ، ص١٢٣) إن عدد المدارس اليهودية في بغداد ارتفع من ٨ مدارس عام

١٩٢٠ إلى ٢٠ مدرسة عام ١٩٤٨ ،ويضيف رئيس منظمة العراقيين في إسرائيل أن الطائفة تركت ٣٧ معهداً علميا في بغداد فقط [توينا ، ١٩٧٥ ، ص١٧٣] . وبالإضافة إلى المدارس العادية ؛ كانت لليهود مدارس ومعاهد خاصة للعميان وللأيتام وللموسيقى وللتدريب المهني ؛ مع العلم بأن الكثير من الطلاب اليهود كانوا يدخلون المدارس الحكومية المجانية (الثانوية) ، وبعد إكمال دراستهم الثانوية كانوا يدخلون التعليم العالي الحكومي أو الجامعات الأوروبية أو العربية . ويقول إسحاقي إن نصف الطلاب اليهود الذين درسوا في الخارج على حساب الحكومة العراقية كان يهوداً . وبلغ عدد الطلاب اليهود العراقيين الذين أكملوا دراستهم العالية في النصف الأول من هذا القرن ألف طالب ، وكانت المواد التي درسوها في مجالي الحقوق والطب بالدرجة الأولى ؛ ثم الصيدلة والهندسة والاقتصاد ، كما درس قسم آخر في دار المعلمين [كوهين ، ١٩٧٣ ، ص١٢٤ و ١٢٥] .

وكان لليهود العراقيين — كما ذكرنا سابقاً — حكم ذاتي تجسد في مجلسين : المجلس الجسماني أي العلماني ، والمجلس الروحاني ؛ لتنظيم الحياة الدينية . وقد عني المجلس الأول بشؤون التعليم والصحة والمشاكل الخيرية والمالية . وفرضت إدارة الطائفة الضرائب المختلفة مثل ضريبة اللحم لتمويل فعالياتها . واشترك اليهود في الأدب والصحافة ومكافحة الصهيونية ، والموسيقى والفن ، وفي جميع نواحي الحياة الحضارية والثقافية في العراق ، مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين (انظر الفصل الرابع) . أما في الحياة الاقتصادية فقد كانت مكانة اليهود العراقيين مركزية منذ العهد العثماني . ويقول تقرير شوحيط (١٩١٠) ، الذي أرسل به القنصل البريطاني في بغداد إلى الآستانة إن اليهود احتكروا التجارة الداخلية ، ولايستطيع أي مسلم أو مسيحي أن ينافسهم [خضوري ، ١٩٧١ ، ص٣٥٥ — ٣٦١] . ويقسم تقريرشوحيط الطائفة اليهودية كما يلي :

٥٪ تجار وصرافون أغنياء .

٣٠٪ الطبقة الوسطى — صغار التجار .

٦٠٪ فقراء (يعني أصحاب الحرف اليدوية) .

٥ ٪ متسولون .

وبعد التطورات الاقتصادية والثقافية التي طرأت زمن الانتداب البريطاني ؛ بلغ عدد أغنى التجار عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ ؛ في الغرفة التجارية البغدادية ٣٩ شخصاً ، من ضمنهم ١٠ أعضاء يهود ، إذن بلغت نسبة الأعضاء اليهود في هذه الغرفة التجارية ٤٣٪ . إضافة إلى ذلك عمل اليهود في حكومة الانتداب موظفين في جميع الدوائر الحكومية ولا سيما في وزارة المالية ، وشكلوا أغلبية في مصلحة السكك الحديدية وفي ميناء البصرة وشركة النفط العراقية . وكان أشهر هؤلاء الموظفين ساسون حسقيل — أول وزير للمالية في أول حكومة عراقية (١٩٢١) . ومن أهم أسباب هذا التقدم ؛ النشاط والجد والاجتهاد ، ومستوى التعليم في المدارس اليهودية ، ومعرفة اللغات الأجنبية ،

والعلاقات العائلية مع بلدان أخرى ، والسكن في المدن الكبرى مثل بغداد والبصرة والموصل ، والمعرفة التقليدية في شئون التجارة ، وأخيراً وليس آخراً ؛ العلاقات الأخوية مع المجتمع الإسلامي حكومة وشعباً . ومضت هذه الحالة إلى أن ظهرت طبقة جديدة من المسلمين التجار والمثقفين ، أخذت تنافس اليهود في جميع المجالات ولا سيما منذ الثلاثينيات ، وكان هذا التنافس أحد أسباب الطائفية والتهجير بالإضافة إلى العوامل الأكثر أهمية : الصهيونية والدعاية النازية والاستعمار (راجع الفصل الرابع) . وظهور هذا التنافس لايعني تقليص حجم التجارة اليهودية ؛ إذ إن حجم التجارة اليهودية خلال الثلاثينيات والأربعينيات قد ارتفع ، وزاد عدد التجار اليهود [شبلاق ، ص٢٣ — ٣٦] . وبقيت مكانة اليهود في هذه المجالات كبيرة جدا — نسبيا — إلى أن شردوا عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ بأيدي الصهيونية والرجعية العربية والاستعمار ، بعد أن عاشوا في العراق ٣٠٠٠ عام ، فقدوا بعدها أموالهم ، ثم زجّوا في معسكرات العمل الإسرائيلية . وسوف نرى في الفصول التالية كيف انهارت أحوالهم الاقتصادية والثقافية والأخلاقية تحت مطرقة العنصرية الصهيونية ، حتى تحولوا مع باقي يهود الإسلام إلى قوة عمل رخيصة ، وإلى لحوم مدافع في الجهاز الاقتصادي والعسكري لدولة « إسرائيل » .

التعصب الإسلامي :

بالرغم من هذه الحقائق الواضحة ؛ تستمر الدعاية الصهيونية في الإعلام الإسرائيلي والخارجي في تغذية الأسطورة بشأن اضطهاد المسلمين لليهود في « دار الإسلام » ، ولابد من تلخيص أهداف هذه الحملة المسعورة بمايلي :

أولاً : إن الشعب الإسرائيلي هو شعب متفسخ ؛ فتحتَ ستار « الوحدة القومية اليهودية » يسود غليان مستمر في أحياء الفقر ومايسمى « مدن التطور » ؛ بسبب الأوضاع المأساوية الناتجة عن الاستغلال والعنصرية . لذلك تحاول المؤسسة الحاكمة توجيه هذا التذمر ضد أمة العرب والمسلمين قائلة : عليكم أن تكونوا ممنونين ؛ لقد أنقذناكم من الاضطهاد الإسلامي . ويصدّق بعض يهود الإسلام هذه الأسطورة ؛ لأنه ولد في فلسطين ولم يعش في البلدان العربية الأخرى .

ثانياً : الحيلولة دون نجاح التيار الفكري التقدمي الذي ينادي بوحدة النضال المشترك بين الشعب الفلسطيني ويهود الإسلام ضد الصهيونية : نضال مبني على وحدة اللغة (اللغة العربية) ، ووحدة الحضارة العربية الإسلامية ، ووحدة الوطن العربي الإسلامي ، ووحدة التاريخ (تاريخ الأمة الإسلامية) ، ووحدة المصير (مصير التشريد والحرمان تحت حكم الكولونيالية الصهيونية الأشكنازية) .

ثالثاً : إثارة العواطف الانتقامية ، وتحريض يهود الإسلام على العرب ، واستخدامهم كلحوم للمدافع في الحروب العدوانية ضد أمة العرب والمسلمين . وعندما تبالغ الصهيونية في قتل عدد ضئيل من يهود الإسلام في حوادث مؤسفة حدثت في « دار الإسلام » ؛ تتناسى أنها دفعت بآلاف الشبان

من يهود الإسلام إلى الموت في سياسة الحرب والتوسع ؛ منذ عام ١٩٤٨ .

رابعاً : بما أن الكثير من يهود الإسلام يتشوقون إلى العودة إلى بلدانهم الأصلية ، تحاول الدعاية الصهيونية أن تقنعهم بمبدأ « لا عودة إلى البلاد العربية الإسلامية » . علاوة على ذلك يحظر القانون الإسرائيلي السفر إلى البلاد العربية ، إلّا لأغراض التجسس والإرهاب . وعندما حاكت إسرائيل مؤامرة هجرة اليهود من العراق مع نوري السعيد ــ مثلاً ــ سعت إلى إسقاط جنسيتهم العراقية قبل النزوح ؛ لتتعذر عليهم العودة إلى وطنهم .

خامساً : لتبرير الجرائم التي اقترفتها الصهيونية خلال عملية تدمير هذه الطوائف وتهجيرها إلى إسرائيل (انظر الفصل الرابع) .

سادساً : لتشويه سمعة الأمة العربية والإسلامية في العالم الغربي . وفي هذا المضمار عَمِلَ ــ بنشاط ــ المؤرخون الصهاينة ، الذين وضعوا جميع « مؤهلاتهم الأكاديمية » في خدمة الصهيونية ، وكذلك الصهاينة الذين اندسوا في مجال السينما والتلفزيون والراديو والصحافة ، وسائر وسائل الإعلام في الغرب . وبسبب هذا النفوذ يكاد أن يتعذر نشر أية مواد في الغرب عن العنصرية الموجهة ضد يهود الإسلام في إسرائيل . وكذلك يتحيز الإعلام الغربي لصالح إسرائيل في المعركة السياسية بين الصهيونية ــ من جهة ، وجميع الدول العربية والإسلامية ــ من جهة أخرى .

سابعاً : إن القضية الفلسطينية ليست قضية سياسية قومية فحسب ؛ أي قضية شعب فقد وطنه واستقلاله ، وإنما قضية إنسانية أيضاً ، أي هي قضية آدميين فقدوا أملاكهم ومنازلهم وأراضيهم وأثاث بيوتهم وساعاتهم ؛ حتى معظم ملابسهم ؛ لذا تحاول المؤسسة الصهيونية تبرير أعمال النهب ضد الفلسطينيين بأسطورة نهب أموال يهود الإسلام في البلدان العربية . ولاشك أن « تجميد » أموال اليهود العراقيين الذين تركوا بلادهم لم يحصل إلّا بإيحاء إسرائيلي ؛ لأن زمرة نوري السعيد التي حكمت العراق ــ آنذاك ــ كانت مخلصة للغرب ، ولم تستطع أن « تجمد » أموال اليهود بدون « رخصة » غربية . وقد ساعد هذا « التجميد » إسرائيل على « إنهاء الحساب » مع العرب . لكن الحساب مَاخَلَصَ بَعْدُ . **بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَة عِنْدَ اللهِ وَأُولئِكَ هُم الْفَائِزُون ﴾** صدق الله العظيم .

الفصل الثاني

الاصطدام الأول بين يهود الإسلام والصهيونية (١٨٨١ ـــ ١٩١٨)

حال الطوائف قبل الصهيونية :

بعد تحرير القدس بأيدي صلاح الدين الأيوبي وهزيمة الصليبيين النهائية ؛ عاد يهود الإسلام إلى القدس — خاصة — وإلى فلسطين — عامة . وتطور هذا المجتمع اليهودي رويداً رويداً حتى أصبح مجتمعاً فلسطينيا — يهوديا من حيث الدين ، وعربيا — إسلاميا من حيث اللغة والحضارة ، أصله البلدان العربية والإسلامية المجاورة . وبعد سقوط دولة العرب والمسلمين في الأندلس ، طُرِد اليهود العرب الأندلسيون من وطنهم ؛ فهاجروا إلى بلدان المغرب العربي وأقاليم الإمبراطورية العثمانية ، ومن ضمن هؤلاء وصل قسم إلى فلسطين وامتزج باليهود الفلسطينيين . وكانت الطوائف اليهودية في « دار الإسلام » ترسل بتبرعاتها المالية إلى المجتمع اليهودي الفلسطيني ، وصرفت هذه الأموال على دعم المؤسسات الدينية والثقافية ، وعلى مساعدة الفقراء [شيبط وعام ، ١٩٥٤] . وبالرغم من هجرة بعض اليهود الأشكناز المتدينين من أوروبا الشرقية ؛ ظل اليهود العرب أغلبية في هذا المجتمع [سموحة ، ١٩٧٨ ، ص٢٨١] . وعندما استمرت هجرة المتدينين الأشكناز انخفضت نسبة اليهود العرب في ١٨٧٥ إلى ٦٠٪ من المجتمع اليهودي . غير إن الحكم الذاتي الذي مُنِح ليهود فلسطين بقي بأيدي اليهود العرب ؛ لأنهم حملوا الجنسية العثمانية ، على حين أن اليهود الأشكناز حملوا الجنسيات الأجنبية الأوروبية . وقد دافعت عن حقوقهم القنصليات الأجنبية ، بناء على معاهدات الامتيازات Capitulations بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية ولا سيما بريطانيا وفرنسا . وترأس الحكم الذاتي اليهودي الحاخام باشي الذي انتخب من قبل الحاخامات ، واعترف به من قبل السلطان بواسطة فرمان خاص ، وبعد هذا الاعتراف الخاص تُوج في حفلة خاصة بالقدس . وكانت لهذا الحاخام مكانة خاصة في الشئون الدينية لدى يهود العالم . وألّف اليهود الفلسطينيون لجنة خاصة تدعى « كنيست يسرائيل » ، تدير شئون الطائفة . ومنحت السلطات العثمانية هذه الطائفة حق سك النقود ؛ لاستخدامها لأغراض الطائفة . وهناك أسطورة يهودية تقول : عندما يتوفى الله السلطان كانت أبواب القدس تغلق حداداً على روح الفقيد ، ثم تُرسل مفاتيحها إلى الحاخام باشي ؛ ليبارك

عليها . ويعني هذا أن السلطان الجديد يحظى بتأييد الطائفة اليهودية . وتدل هذه الأسطورة على روح الأخوة والصداقة التي سادت في العلاقات بين يهود الإسلام والسلطات العثمانية الإسلامية . وعمل اليهود الفلسطينيون بالحرف اليدوية مثل الصياغة والنجارة وصناعة المأكولات والحلاقة .. إلخ ، وعمل بعضهم في التجارة والطب وجباية الضرائب ، واشتهر بعضهم كرجال علم وسياسيين وكتاب وضباط في القوات المسلحة . وأسست الطائفة مستشفى « مسغاب لدّاخ » في القدس ، وملجأ للأيتام في شارع يافا بالقدس ، ودارا للعجزة . وكان أبناء الطائفة ينتخبون أعضاء اللجنة التي كانت تدير أمورهم . وحاولت السلطات العثمانية تقوية الطائفتين.الإسلامية واليهودية خوفاً من النفوذ الأوروبي المسيحي . وقد ساعد اليهود العثمانيون أو يهود الإسلام ــ الجيوش العثمانية ، واشتركوا في حروبها بصفة جنود وأطباء ، وزودوا الوحدات العسكرية بالأغذية والعتاد . واشتهر بصورة خاصة اليهود العرب من الأندلس (سفاراديم) ، الذين سكنوا القدس والخليل وطبريا وصفد ، وأقاموا فيها المدارس الدينية العالية ، وكان من أعظم علمائهم يوسف كارو ــ الذي وضع « الشلحان عروخ » وهو من أهم الكتب الدينية بعد التلمود ــ ويسرائيل نجاره . وفتح اليهود الفلسطينيون المدارس ، وأقاموا المحاكم وعينوا القضاة ، وجبوا الضرائب ، وانتخبوا زعماءهم الدينيين والدنيويين .

غير إن المهاجرين الأشكناز رفضوا « سيطرة » الحكم الذاتي اليهودي الفلسطيني ، وأخذوا ينفصلون عنه من الناحية العملية . وكان الرابي الأشكنازي مناحيم منديل مشكلاف أول الانعزاليين ؛ إذ أقام منظمة انعزالية للأشكناز . وأخذ هؤلاء اليهود الأشكناز يجمعون التبرعات في الخارج لأغراضهم الخاصة ، لا لأغراض الحكم الذاتي اليهودي الفلسطيني ، وأدى هذا الانفصال إلى إضعاف الطائفة اليهودية الفلسطينية من الناحية الاقتصادية [الياشار ، شيبط وعام ، ١٩٧٠] . وحاول اليهود الأشكناز الابتعاد عن الشعب العربي الفلسطيني وعن اليهود العرب ، وأقاموا لهم « غيتوات » خاصة بهم تشبه غيتواتهم في أوروبا الشرقية ، وأقاموا مدارس خاصة لأولادهم ، ورفضوا استعمال اللغة العربية والتركية . وحاز بعضهم على شهرة علمية عالية ، ومن ضمن هؤلاء نذكر نسيم بخر الذي أسس مدرسة إليانس بالقدس وأصبح مديرها ، ويوسف صبي الذي دَرَس في فرنسا ، والبروفسور أريئيل بن صيون الذي هاجر إلى ألمانيا ووضع كتباً في ديانة اليهود العرب ، والبروفسور إبراهيم سالم يهودا المختص في الشؤون العربية ، وكان لغويا معروفاً ، وداؤديلين ، ويوسف برين ميوحاس ، وإسحق حسقيل يهودا ــ الذي ألف كتاباً عن الأمثال العربية ، ويعقوب بن عطار ، وإبراهيم المالح ، ويهودا بورلا وفي حين أن اليهود الأشكناز قاطعوا المدارس غير الدينية ، ساعد رجال الدين اليهود الفلسطينيون على تأسيس مدارس علمية مثل مدرسة ليميل بالقدس . ومنذ ١٨٦٠ بدأت جمعية إليانس اليهودية الفرنسية تؤسس مدارس حديثة لليهود العرب في جميع البلدان العربية الإسلامية ، وبما أن التعليم في هذه المدارس كان مجانيا أو مقابل أجور منخفضة ؛ استطاع اليهود العرب أن يحصلوا على ثقافة جيدة تفوق ثقافة اليهود الأشكناز في دول أوروبا الشرقية ــ آنذاك [الياشار ، العيش مع اليهود] . إضافة إلى ذلك أقام اليهود العرب مدارس أهلية إضافية .

وبعد الحرب العالمية أخذوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس الرسمية المجانية في الدول العربية ؛ لا في فلسطين (راجع الفصل القادم) .

وكانت العلاقات بين اليهود الفلسطينيين والشعب العربي الفلسطيني أخوية . واشترك اليهود الفلسطينيون في المجالس المحلية مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين* . وكثيراً ماكانت المرأة اليهودية تدخل بيت جارتها المسلمة أو المسيحية وتطلب منها حاجة ما ، والعكس بالعكس . وكانت هناك اجتماعات عائلية ودية بين جميع الطوائف الفلسطينية . ولعب الأولاد اليهود مع أولاد المسلمين والمسيحيين في الشارع ، وتكلم اليهود اللغة العربية . وقبل الهجرة الصهيونية الأولى (١٨٨١) كان بعض الأشكناز المتدينين يتزوجون من اليهود العرب . أما بخصوص الحياة الاقتصادية فقد ساد الوئام والتفاعل بين جميع الطوائف ، بما فيها الطائفة الأشكنازية الدينية . وكان اليهود العرب يقدمون القروض اللازمة للقرى العربية ثم يقتسمون المحاصيل الزراعية . والتحق بعض الطلاب المسلمون مثل أبناء عائلة الخالدي بالمدارس اليهودية (مدرسة ليميل ومدرسة إليانس) .

ويقول الياهو الياشار — من زعماء اليهود الفلسطينيين — في كتابه بالعبرية « العيش مع اليهود » إن رفائيل الياشار توفي وهو حديث السن ، ولذلك اهتم شريكه عبد الدجاني بالأرملة وأولادها ، ثم إن أحد الأبناء الذي أصبح الكولونيل ي . ر . الياشار في نيويورك — صان المعروف وأخذ يساعد حفدة عبد الدجاني في دراستهم في أمريكا . وكان اليهود الفلسطينيون يلبسون الملابس العربية حتى تكاد ألا تفرّق بين اليهودي والمسلم والمسيحي . وفي عيد الفصح كان المسلمون يرسلون بالصواني وفيها الخبز وزبد الغنم والعسل هدية لليهود الفلسطينيين ، وكان اليهود يضعون في نفس الصواني مرّبى وقصّه (أي خبز عيد الفصح) وغيرها من الهدايا لجيرانهم . ويتحدث الياشار عن خدمته العسكرية فيقول إنه عين ضابطاً طبيًّا (كوجوك ضابط) في أثناء الحرب العالمية الأولى ، وأُرسل إلى ناحية الناصرة حيث سكن في بيت ناصر موسى الحكيم ، وعمل في المستشفى الروسي « المسكوبية » ، وكانت علاقاته مع سكان الناصرة ممتازة ، ويذكر أحد أصدقائه ويدعى توفيق الحسيني الذي كان ضابطاً بجيش الفرسان . وكانت هناك علاقات تجارية بين والد (الياس) الياهو الياشار وعم توفيق . وكان توفيق يزور بيت الياهو في القدس بصورة دائمة . وبعد الحرب أصبح توفيق موظفاً كبيراً في دائرة الهجرة الحكومية ، ودامت علاقاته الودية مع عائلة الياشار إلى أن تأسست دولة إسرائيل . ويذكر الياشار أنه عانى من الفقر والجوع عندما احتل الإنكليز القدس ؛ فرفض صاحب البيت : ناصر موسى الحكيم — استلام إيجار الغرفة ، وقدمت العائلة له الطعام والشراب مجاناً ، ودامت هذه الأخوة إلى نهاية حياته .

حصل كل هذا قبل الصهيونية الأشكنازية أو خارج نطاقها ونفوذها . وسوف نرى كيف سمّم

* يشهد إسحق عبادي في مقاله عن القدس : « لا أذكر أية حادثة تحريض ضد اليهود في الحرم الشريف في العهد التركي [شيبط وعام ، ١٩٧٠ ، ص ٣٤] .

الصهاينة أجواء فلسطين وأجواء الشرق الأوسط بعنصريتهم .

لقد ذكّرتني ذكريات الياهو الياشار . بحكاية « الباشا » المسلم : كان هذا الباشا صديق والدي وكان من ذوي الأملاك له أراض وقطيع من الغنم والبقر . وفي ربيع كل سنة كان يمنح والدي هدية ــ خروفاً ، ويقول لوالدي : « خذ هذا الخروف هدية لك ولعائلتك ، بمناسبة عيد رأس السنة ويوم الغفران ، وعندما تذهب إلى الكنيس في يوم الغفران صَلِّ واطلب من الله أن يعطيني العافية » . وكنا نربي هذا الخروف خلال الصيف ونطعمه ونغسله ونلعب معه حتى يصبح كأحد أفراد العائلة ؛ وكنت أحب أن أركض في الشوارع والخروف يركض ورائي . وفي يوم الغفران كان والدي يطلب في صلاته من الله أن يُعافي صديقه الباشا المسلم . فكان الباشا يتعافى وكنّا نحن نأكل الكباب طيلة الأعياد المتتالية : عيد رأس السنة ، ويوم الغفران ، وعيد المظلة . ومضت هذه الحالة سنة بعد سنة إلى أن دُمِّرنا وانتشرنا في العالم . الله يرحم الباشا .

الانفصالية الأشكنازية :

وفي سنة ١٨٨١ وصل أوائل الصهاينة الأشكناز من روسيا ، وسمّوا أنفسهم « بيلوئيم » أو « الهجرة الأولى » ، كأنّه لم يهاجر أحد قبلهم إلى فلسطين ؛ ذلك لأن الصهاينة يتغاضون عن تاريخ اليهود وتاريخ فلسطين في الفترة الممتدة من سقوط الهيكل الثاني عام ٧٠ م إلى أن وصلت طلائعهم إلى فلسطين ، لبناء « الوطن القومي الأشكنازي » . وفي عام ١٩٠٤ وصلت أفواجهم الأخرى وسميت « الهجرة الثانية » ، وهكذا توالت جماعاتهم القومية . وانتهت « الهجرة الأولى » إلى منظمة حوببيه تسيون (أحباء صهيون) ، وهي المنظمة الصهيونية الأولى التي سبقت تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية في أواخر القرن . وكانت أول عملية قاموا بها في فلسطين إقامة جهاز طائفي منعزل سموه « هَيِّشُوف هَحَدَاش » أي « المجتمع القديم » . وكان الفرق بين هذين المجتمعين ــ حسب رأيهم ــ ليس زمنيا فحسب ، وإنما نوعيا ؛ إذ إنهم هاجروا إلى فلسطين للقيام بالأعمال الزراعية لبناء الكيان القومي الصهيوني اقتصاديا وسياسيا ؛ في حين أن المجتمع القديم عاش على « التسول » أي تبرعات اليهودية العالمية . والحقيقة هي أن اليهود الفلسطينيين عاشوا على الصناعة اليدوية والتجارة ... إلخ ، أما المساعدات المالية التي وصلت إلى فلسطين فقد صرفت على مساعدة الفقراء والأيتام والأرامل ... إلخ . أما الصهاينة الأشكناز « الطلائعيون » فقد بنوا مستعمراتهم على حساب العمل العربي الرخيص ثُمَّتَ العمل اليهودي اليمني الرخيص ، وعلى المساعدات المالية التي استلموها من اليهودية العالمية عن طريق منظماتهم الصهيونية . وهذا يدل على النفسية الانفصالية التي سيطرت على عقولهم منذ البداية ، إذ إنهم لم ينفصلوا عن الشعب العربي الفلسطيني فحسب ؛ وإنما عن يهود فلسطين أيضا ، وحتى عن الأشكناز غير الصهيونيين . ولهذه الانفصالية جذور عميقة مصدرها الغيتو الأشكنازي في أوروبا الشرقية ، وحتى الكيبوتس ، من الممكن اعتباره « غيتو أشكنازي » مُجدّدا ، إذ إنه لايقبل إلّا اليهود ولاسيما الأشكناز . ثم امتزجت هذه العقلية الطائفية بالآراء القومية

المتطرفة التي اقتبسوها من الحركات القومية التي ازدهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر . وليس لهذه الآراء أية صلة بالدين اليهودي ، والبرهان على ذلك هو أن أغلبية الصهاينة الساحقة كانت ولا تزال علمانية ــ ملحدة . لقد عشت في خمسة كيبوتسات مختلفة ولم أرَ أي عضو يؤمن بالله (عدا بعض الأحباء الذين التحقوا بالكيبوتسات بسبب فقرهم) . أما الأقلية « المتدينة » فهي تستغل الدين لأغراض سياسية استعمارية ، والدين اليهودي بريء منهم . تقول التوراة : « عليك أن تحب الأجنبي (أي غير اليهودي) ، لأن أجنبيا كنت في مصر ... » .

لقد تلقى اليهود الفلسطينيون أول ضربة اقتصادية من جانب الأشكناز المتدينين الذين انفصلوا عن الطائفة ، وأخذوا يجمعون المساعدات المالية لأغراضهم ، وأدّى هذا إلى قلة المساعدات المالية التي وصلت إلى الطائفة الفلسطينية . ثم تلقى اليهود الفلسطينيون ضربة ثانية ــ أقوى من الضربة الأولى ــ بعد أن أقام الصهاينة مجتمعهم الخاص ، ومن ثم المنظمة الصهيونية العالمية التي أخذت تجمع الأموال لصالحها ، ولصالح المستوطنات الأشكنازية ، ولصالح التنظيم السياسي والثقافي والاقتصادي للمهاجرين والصهاينة الأشكناز ، وأدى هذا إلى جفاف الموارد المالية لطائفة اليهود العرب في فلسطين . وأخيراً أرغِمَ اليهودُ الفلسطينيون على عدم جمع التبرعات المالية في الخارج . وكان هذا أهم أسباب اضمحلال اليهود الفلسطينيين ، واليهود العرب الذين انضموا إليهم من الخارج ــ من الناحية الاقتصادية والسياسية والتنظيمية والثقافية . وفي أثناء الحرب العالمية الأولى انتشر الجوع والفقر والأمراض السارية في هذه الطائفة ، على حين استطاع المستوطنون الأشكناز الحصول على المساعدات المالية عن طريق ألمانيا ، حليفة تركيا ، ثم وزعوا هذه المساعدات على أبناء طائفتهم في المستوطنات التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية . وسوف نرى أن استئصال الشعب العربي الفلسطيني قد تزامن مع تدمير وتشريد يهود الإسلام بأيدي الصهيونية وأعوانها .

اليهود الفلسطينيون :

لقد كانت العلاقات بين الصهاينة الأشكناز والشعب العربي الفلسطيني سيئة ، إذ كانت المنظمات الصهيونية تشتري الأراضي العربية من أصحاب الأراضي الذين سكنوا المدن السورية واللبنانية والفلسطينية الكبرى ، ثم تطرد الفلاحين العرب منها ، وتقيم المستعمرات . وكان المستوطنون الأشكناز يستخدمون نفس الفلاحين كعمال زراعيين ، ويعاملونهم معاملة فظة . وعندما شاهد الكاتب اليهودي الروسي أحاد هعام ــ هذه المعاملة ؛ انتقد المستوطنين في مقاله « الحقيقة من أرض إسرائيل » (١٨٩١) ، وملخص ماقاله هو أن هؤلاء الصهاينة الأشكناز كانوا كالعبيد في بلدانهم السابقة ثم فجأة حصلوا على حرية كاملة ، وأدّى هذا التغيير إلى إيقاظ الميل إلى الاستبداد . قال المفكر الكبير أحاد هعام : « حقا ؛ لقد كان في استطاعتنا أن نتعلم من تاريخنا الماضي والحاضر ، أنه يجب علينا ألّا نثير غضب أبناء البلد بواسطة أعمال منكرة ، وأنه علينا أن نكون حذرين في معاملاتنا مع الشعب الأجنبي : بين صفوفه شرعنا أن نجدد حياتنا ، وأنه علينا أن نقيم

علاقاتنا معه ؛ مبنيةً على المحبة والكرامة والحق والعدالة . وماذا يصنع إخواننا في أرض إسرائيل ؟ العكس تماما . لقد كانوا عبيداً في المهجر وفجأة وجدوا أنفسهم يعيشون حياة مليئة بالحرية المطلقة ؛ حرية همجية يمكن أن تكون في الدولة العثمانية فقط . إن هذا التغير الفجائي قد ولّد فيهم الميل إلى الاستبداد وهذا يحدث عادة للعبد الذي يصبح ملكاً . إنهم يعاملون العرب معاملة مليئة بالكره والقساوة متجاوزين حدودهم بغير حق : يضربونهم ويحتقرونهم بدون سبب كاف ، وعلاوة على ذلك فهُم يتباهون بهذه الأعمال ؛ ولايوجد أي شخص يتصدى لهذه الميول الدنيئة والخطرة ... وإذا سكت وصبر (الشعب الفلسطيني) طويلاً ، فإن غضبه مكتوم في قلبه ، وهو شعب يتحلى بخصلة الانتقام أكثر من أي شعب آخر » وآمن أحاد هعام بالصهيونية الروحانية لا السياسية . وتُدرّس مقالاته في المدارس الإسرائيلية عدا المقال المذكور .

ويتغاضى المؤرخون الصهاينة عن هذه الحقائق ، ويصفون العرب بأنهم « عصابات من القتلة البدائيين » ، ويقولون إن فلسطين كانت ــ على حد قولهم ــ صحراء قاحلة ومملوءة بالمستنقعات . وبعد تهجير معظم الشعب الفلسطيني من أرضه في حرب ١٩٤٨ ــ اقتلع الصهاينة معظم البساتين العربية . وقد علق على ذلك موسى سميلانسكي بأن الصهيونية تحاول استئصال كل شيء بني بأيدي العرب للبرهنة على أسطورتهم القائلة بأن كل شيء في فلسطين بني بأيدي الاستيطان الصهيوني . وتغاضى المؤرخون الصهاينة أيضا عن التطورات الاقتصادية الحديثة التي حصلت في فلسطين قبل الهجرة الصهيونية ، مثل تطوير التجارة والموانىء الحديثة في يافا وحيفا بأيدي العرب ، وكذلك المدن ، وبناء الأحياء التجارية الحديثة ، والأحياء الجديدة التي بنيت خارج المدن القديمة ؛ لأن الصهاينة رأوا أنفسهم كجالبي التحديث ولاسيما في الزراعة والعمل العبري . وتغاضى الصهاينة أيضا عن اشتراك اليهود الفلسطينيين مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين في التطورات التجارية والعمرانية والاقتصادية التي حدثت قبل مجيء « طلائعهم » . ويلاحظ ي . بارطيل أن أكثرية الزوار الإنكليز الذين زاروا فلسطين في العهد العثماني ــ مدحوا اليهود الفلسطينيين ، ووصفوهم بصورة إيجابية ، وفضلوهم على الأشكناز ؛ بسبب عاداتهم وتسامحهم تجاه التغيرات الحضارية [كاثيدرا ، نوفمبر ١٩٧٦] .

استغلال العمل اليمني :

ثم تلقى اليهود العرب الضربة الثالثة ؛ وهي السياسة الصهيونية الأشكنازية التي بدأت تحويلهم إلى قوة عمل رخيصة ؛ من أجل إبعاد العمل العربي عن المزارع الصهيونية . وقد نجحت هذه السياسة إلى حد كبير لا بالنسبة لليهود الفلسطينيين فحسب ، بل بالنسبة لليمنيين ولجميع يهود الإسلام الذين شردوا من دار الإسلام واستجلبوا إلى فلسطين ؛ قبل وبعد تأسيس دولة إسرائيل . غير إن تطوير الاقتصاد الإسرائيلي ــ بعد حرب ١٩٦٧ ــ حتّم لأسباب اقتصادية وصهيونية تحويل معظم سكان قطاع غزة والضفة إلى قوة عمل رخيصة تخدم الكيان الصهيوني .

لقد عانت الصهيونية منذ بدايتها من التناقض بين مبدأين :

أولهما — مبدأ الارتقاء الطبقي ، وقد وعد هرتسل (مؤسس الحركة الصهيونية) المهاجرين الفقراء بأنهم سوف يرتقون طبقيا في فلسطين . وكان المبعوثون الصهاينة (ولايزالون) يَعدون اليهود في الخارج بالرخاء والازدهار في « أرض الميعاد » . واستطاع معظم المهاجرين بعد ١٨٨١ أن يحسنوا مستوى معيشتهم في فلسطين بواسطة استغلال العمل العربي الرخيص ؛ وكانت نظرتهم برجوازية صهيونية .

وثانيهما — مبدأ العمل العبري الذي يقول إن الصهاينة لن يحتلوا فلسطين مادام العمل في الزراعة والصناعة بأيدي العامل « الأجنبي » أي الفلسطيني ، وإن من يحرث الأرض هو صاحبها وسيدها . وآمن بهذا المبدأ المهاجرون الاشتراكيون الصهاينة الذين وصلوا البلاد بعد ١٩٠٤ ، وتسمى هجرتهم « الهجرة الثانية » . وكانوا أوائل الصهاينة الذين أسسوا التعاونيات الزراعية ، وبدأوا بتأسيس الكيبوتسات والنقابات العمالية ؛ وبعد الحرب أقاموا الهستدروت . وكان العامل المباشر في تبلور هذا المبدأ هو أن هؤلاء المهاجرين كانوا شبابا لايعرفون شيئاً عن الأعمال الزراعية ، وكانت أجسادهم أضعف بكثير من أجساد العمال العرب ؛ ولذلك لم يستطيعوا أن ينافسوا العمال العرب الذين كثيراً ماكانوا أصحاب الأرض ومزارعين أبناء مزارعين . ولذلك قررت الحركة الصهيونية استجلاب اليمنيين واستخدامهم كقوة عمل رخيصة بدلاً من العمال العرب ، وبذلك يستمر المزارع الأشكنازي في تكديس الأرباح — من جهة ، ويفرح الصهاينة الاشتراكيون ؛ لأن الأرض بقيت بأيد يهودية ، **بشرط أن هؤلاء اليمنيين لاينافسونهم** — من جهة أخرى . وهكذا بدأت سياسة استغلال اليمنيين واليهود العرب بأيدي المستوطنين الأشكناز .

تمتع اليهود اليمنيون في اليمن بالحكم الذاتي كباقي يهود الإسلام ، وكانت حالتهم الاقتصادية جيدة إذ ملكوا بيوتهم وتعيشوا من حرفهم اليدوية كالصياغة ، وصنع المحاريث وإصلاحها ، وإصلاح الأسلحة ... إلخ .

وبعد تأسيس المنظمة الصهيونية الأولى في روسيا « أحباء صهيون » (١٨٨٢) وصلت إلى اليمن إشاعة تقول إن أغنياء اليهود في أوروبا اشتروا فلسطين من السلطان التركي ، وإن المسيح اليهودي المنتظر جاء لإقامة الدولة الإلهية العالمية ، وسيكون مقر هذه الدولة في القدس . وإثر ذلك هاجرت سبع عائلات يمنية ، إلّا أن هؤلاء اليمنيين عندما وصلوا إلى القدس فوجئوا بموقف اليهود في القدس الذين لم يفرحوا ولم يرحبوا بهم ؛ لأن وصولهم يعني تقليص المساعدات المالية التي كانت توزع على الفقراء . هكذا أخذ اليمنيون يعانون من الجوع والمرض ، فاضطرت إحدى العائلات إلى العودة إلى اليمن عن طريق القاهرة ، وأرسل رئيس هذه العائلة ؛ إبراهيم الشيخ برسالة من القاهرة يحذر فيها اليمنيين من الهجرة ويقول إنه لامساعد ولا معين لليمنيين في القدس ، وإن اليمن أحسن من فلسطين ألف مرة . وقد أثرت هذه الرسالة على حركة الهجرة من صنعاء تأثيراً سالبا .

وفي عام ١٨٨٢ ؛ نشر الحاخام اليمني يوسف بن شلومو مسعود إعلاناً في جريدة « حبتسيلت » يصف فيه أحوال المهاجرين التعيسة في القدس ؛ طالباً المساعدات المالية من الجمهور . يقول الحاخام إن ٢٠٠ من يهود صنعاء الذين وصلوا مؤخراً إلى القدس يتسكعون في الشوارع والأسواق ، وليس هناك أي يهودي يرحمهم أو يساعدهم أو يُدخلهم بيته ، إنهم يستجدون الخبز وهم عراة بسبب بؤسهم [نيني ، ص٣٤ ، ١٩٧٧] . وكانت صحافة تلك الأيام مملوءة بالمواد عن مأساة اليمنيين . وتدل المراسلات التي نشرت في الصحف على أن الطائفة الأشكنازية لم تساعد المنكوبين ، أما مساعدة اليهود الفلسطينيين فلم تنقذ اليمنيين من الجوع . وكان في استطاعة الصحف الأشكنازية أن تدعو يهود العالم لنجدة اليمنيين ، ولكنها لم تفعل ذلك . غير إن يسرائيل فرومكين أقام جمعية تدعى « عزرت ندحيم » ؛ لمكافحة البعثة التبشيرية المسيحية . وساعدت هذه المنظمة على إقامة أول قرية يمنية في كفر سلوان . ويصف الشيخ اليمني حالتهم قائلاً : إنهم عاشوا بدون مأوى متألمين من حرِّ الشمس نهاراً ومن البرد ليلاً ، يطلبون الخبز من المارة ولم يرحمهم أحد ، ينامون تحت الأشجار ويعانون الجوع . ويقول الكاتب باروخ بن صيون مطراني في جريدة « حَبَتْسيلت » : إنهم كانوا يموتون من الجوع والمرض في مزابل القدس . ثم قابل بعض أبناء الجالية الأمريكية في القدس — وهم مسيحيون — اليمنيين وسمعوا قصتهم ، ثم أخذوا يقدمون لهم المساعدات المادية : أعطوهم الأكل ثم استأجروا المنازل لإيوائهم ؛ فأخذت الأوساط الدينية اليهودية تتذمر وتتهم الأمريكيين بمؤامرة جذب اليمنيين إلى الدين المسيحي . وكان رئيس هؤلاء الأمريكيين يدعى هوراتيو سبافورد ، وكتبت ابنته بيرثا عن هذه المساعدات في كتابها « قُدْسُنا » (١٩٥١) . وقد كانت اتهامات الأوساط الدينية كاذبة ، وبقيت العلاقات الودية بين اليمنيين والأمريكان إلى عام ١٩٤٨ . وقدَّم اليمنيون هدايا جميلة للأمريكيين اعترافاً بالمعروف . وتدل المصادر اليهودية على أن الكثير من اليمنيين عاشوا على التسول في المدن الكبرى مثل القدس وصفد وطبريا وغيرها ، ورفضت الطائفة اليهودية في طبريا استيعابهم .

وفي عام ١٨٨٣ ؛ أرسلت الطائفة اليمنية في القدس مبعوثَين إلى اليمن : سالم حمدي ويوسف ندّاف ؛ لجمع المساعدات المالية ، إلّا أن الطائفة اليهودية في اليمن رفضت دفع المساعدات ؛ لأن الحاخام سليمان القاره ، رئيس الطائفة ورئيس المحكمة الدينية في صنعاء — لم يوافق على الهجرة لأسباب دينية اقتصادية : المسيح اليهودي المنتظر لم يأت بعد ؛ والحالة الاقتصادية في القدس لم تسمح باستيعاب المهاجرين . وكان رجال الدين من اليهود العرب في القدس والإسكندرية قد نصحوا اليمنيين ألّا يهاجروا . هكذا رفض سليمان القاره تقديم أية مساعدة ، وطلب من المبعوثين العودة إلى حيثما جاءا . وكان للحاخام سبب آخر ؛ وهو أن الحالة الاقتصادية في صنعاء قد ساءت إثر الهجرة ؛ إذ إن ضريبة الجزية التي كانت تدفع إلى السلطات العثمانية لم تُقلل ، وكان يجب على كل عائلة يهودية أن تدفع مبلغاً أكبر مما كان سابقاً ؛ لتغطية الضريبة التي لم يدفعها الذين هاجروا إلى فلسطين . واضطر قسم من المهاجرين أن يعود إلى اليمن خلال ١٨٨٢ — ١٨٩٥ ، وانضم الباقي إلى طائفة اليهود الفلسطينيين (سفاراديم) .

وبسبب الأحوال السكنية والصحية وقلة الأغذية ؛ تفشت الأمراض بين هؤلاء المهاجرين وارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال وكان عدد الأشخاص للغرفة الواحدة ستة ، وفي بعض الأحيان فقدت بعض العائلات جميع أطفالها ، أو لم يبق حيا إلّا طفل واحد أو اثنان . ورفض المجتمع الصهيوني الأشكنازي « المجتمع الاستيطاني الجديد » مساعدة اليمنيين ، واعتبرهم جزءًا من « المجتمع القديم » البالي .

وفي ١٨٩٥ حاولت ١٣ عائلة يمنية أن تقيم قرية زراعية في بني صموئيل قرب القدس ، واشتروا قطعة أرض مساحتها ٦٠٠ دونم ، وساعدتهم في ذلك جمعية يهودية في بولونيا وكذلك فرومكين المذكور آنفاً . وهبّ الفلاحون العرب لنجدتهم ، وزرعوا معهم ١٥٠ دونم حنطة ، وغرسوا ٧٠٠٠ غرسة ، وكانوا قد سكنوا في مغارة ، ثم ساءت أحوالهم إلى أن طلبوا المساعدة من المنظمة الصهيونية « أحباء صهيون » ؛ فرفضت المنظمة الطلب ؛ لأنها لاتعنى إلّا باليهود الأشكناز . ثم وقع خلاف بين اليمنيين والجيران العرب ترك اليمنيون من جرائه بني صموئيل ، ولا تتحدث المصادر الصهيونية عن سبب هذا الخلاف .

وقام اليمنيون بمحاولات يائسة للارتزاق من فلاحة الأرض ؛ لا كقوة عمل رخيصة تخدم المستوطنين الأشكناز وإنما كفلاحين صغار . وفي ١٩٠٤ حاولوا إقامة قرية زراعية في غور الأردن ثم في هار طوف ، غير إن جميع محاولاتهم باءت بالفشل . وسوف نرى أن ٩٩٪ من محاولات اليهود الفلسطينيين واليهود العرب بصورة عامة فشلت في هذا المجال إلى عام ١٩٤٨ ؛ لأن جميع الأموال اليهودية صرفت على تأسيس مستوطنات صهيونية أشكنازية ؛ واعتُبر الاستيطان الزراعي كعمل طلائعي تابع للصفوة العنصرية الأشكنازية ؛ بسبب أهميته القومية والاقتصادية والأمنية . هكذا احتكر المستوطنون الأشكناز تأسيس الكيبوتسات والتعاونيات الزراعية ، وكان الدور الذي خصص لليهود العرب هو العمل كأجراء ـــ كعمل رخيص . أما القرى الزراعية التي أقيمت من أجل إسكان بعض اليهود العرب الذين استجلبوا بعد ١٩٤٨ ؛ فكانت قاعدتها الاقتصادية ضعيفة جدا ؛ مما أجبر السكان على العمل لصالح المستوطنات الغنية الأشكنازية (انظر الفصل الخامس) .

ونعود الآن إلى اليمنيين الذين أسكّنوا في قرية سلوان (كفار هَشِلُوّح) عامي ١٨٨٢ و ١٨٨٣ ؛ لقد عانوا الويلات من جراء البرد القارس ؛ لأنهم أجبروا على السكن في الكهوف . وبعد ذلك ساعدهم فرومكين ـــ الآنف الذكر ـــ على بناء منازل ، ومنح الأرض لهذا الغرض بوعاز يهوناتان مزراحي ، أما مصاريف البناء فجمعت بأيدي يهودي من لندن يدعى كالمان فولريخ . هكذا بدأت منظمة « عزرات نِدَحيم » تبني ثلاثة منازل في سلوان ، وتم البناء عام ١٨٨٥ . ونشط في حملة التبرعات يوسف نابون ويوسف كُوكيًا وبعض رجال الدين الأشكنازيين . وفي ١٨٨٦ تم بناء ١٢ بيتاً ، وفي ١٨٩١ تم بناء ٦٥ بيتاً وكنيس ومدرسة دينية . وفي أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ هرب اليمنيون من سلوان . وفي ١٨٨٥ ـــ ١٨٨٦ تم بناء ١٣ وحدة سكنية في مشكنوت

يسرائيل بالقدس ؛ لإيواء اليمنيين إلّا أنها لم تكفِ إلّا لعدد ضئيل من المهاجرين ، وبعد ذلك اتحدت ٣٠ عائلة في رابطة تعاونية لبناء المنازل في نَحَلات تْسْفي بالقدس ، وتمكنت هذه العائلات من إكمال ١٧ وحدة سكنية . وهاجر بعض اليمنيين إلى يافا (١٨٧٥ — ١٨٨٠) . وفى ١٩٠٣ أقاموا حيا خاصاً يدعى « محنيه يهودا » ، كما انتشروا في الجليل ومنطقة الساحل ومناطق أخرى ، يعملون كعمال أجراء لصالح المستوطنات الأشكنازية بناء على المبدأ الصهيوني « العمل العبري » ، إلا أن سياسة « العمل العبري » فشلت في إبعاد معظم العمال العرب عن أعمالهم . وبلغ عدد المهاجرين اليمنيين ١٠٠٠ نسمة فقط خلال ١٨٨٢ — ١٩٠٣ ، وبلغ عدد المهاجرين من المستوطنين الأشكناز في نفس الفترة ٢٤,٠٠٠ [سموحة ، ص٢٨١] .

الفصل الثاني في مأساة اليمنيين ؛ هجرتهم وتشغيلهم (وبالأحرى تعذيبهم) في فلسطين — حدث خلال ١٩١٠ — ١٩١٤ ، وقامت الحركة الصهيونية العلمانية بتنظيمه . وبلغ عدد المهاجرين اليمنيين خلال ١٩٠٤ — ١٩١٤ ، بلغ ٢٠٠٠ نسمة (وعدد المهاجرين الأشكناز في نفس الفترة ٣٨,٠٠٠) [نفس المصدر] . ففي عام ١٩٠٨ ؛ وضع الدكتور يعقوب طهون ، أحد الإخصائيين في المنظمة الصهيونية في فلسطين — تقريراً هاما عن ضرورة إنشاء قوة عمل يهودية قادرة على منافسة العمال العرب في المستوطنات اليهودية . واقترح طهون استخدام اليهود العرب ولا سيما اليمنيين والإيرانيين في هذه المهمة ، لأن مستواهم الحضاري — على حد قوله — يطابق مستوى الفلاحين العرب ؛ أي إن مستوى معيشة الفئتين متشابه ، ولذلك يمكن للعامل اليهودي اليمني أن ينافس العامل العربي من حيث الأجور . كما اقترح تشغيل أولاد وبنات ونساء اليمنيين في بيوت أصحاب المزارع الأشكنازية كخدم بدلاً من النساء العربيات . غير إن المشكلة كانت عدم توافر مساكن للعمال اليمنيين في المستوطنات ؛ ولذلك طلب منهم أن يعودوا إلى عائلاتهم بعد انتهاء الأعمال الموسمية مثل جمع العنب . أما في أثناء الموسم فكان اليمنيون ينامون على الأرض في الحقول ؛ لأن المستوطن الصهيوني الأشكنازي لايدع اليهودي اليمني ينام في بيته ؛ لأسباب عنصرية معروفة . ويقسِّم طهون العمال إلى قسمين ، ويسمي الأشكناز من روسيا « الصفوة » ، ويسمي يهود العالم العربي والإسلامي « غوغاء » . ويضيف أن المهاجر الروسي أرقى من اليمني حضارة ، وهو إنسان طموح لايقتنع بالقليل ؛ ولذلك لايستطيع أن يحل محل العامل العربي . ويعلق أليكس بَيْن الذي أورد هذه الحقائق في كتابه « العودة إلى الأرض » (ص٩٧ — ١٠١) ، يعلق على هذا التقرير قائلاً : إن احتياجات يهود الشرق قليلة وفي استطاعتهم أن ينافسوا العرب ، وإن اليمنيين كانوا قد شُغِّلُوا في الأعمال الموسمية في عدة مستعمرات ، وإذا نقلوا بصورة دائمة إلى المستعمرات فسوف يجدون عملاً .

وفي نفس السنة (١٩٠٨) كتب أحد شرفاء المستوطنين مقالاً في جريدة هتسفي — ذكَّر فيه اليهود الأشكناز بأنهم كانوا قد ناضلوا من أجل المساواة في روسيا ، أما الآن فهم يغتصبون حقوق الآخرين ، وعارض الكاتب « العمل العبري » بصورة مبدئية .

أما حزب « هبوعيل هتسعير » (الذي لقب مؤخرا مباي ثمت حزب العمل) فكان أول منظمة صهيونية تقوم بتوجيه اليمنيين إلى العمل في المستعمرات الأشكنازية ؛ لمنافسة العمال العرب . واتخذ هذا الحزب « الاشتراكي » في مؤتمره عام ١٩٠٨ ـــ قراراً بوجوب التأثير على أصحاب العمل اليهود بشأن استبدال يهود الإسلام بالعمال الأجانب (يعني الفلسطينيين) [فصول هبوعيل هتسعير ، ص٢٢٦] ، وينص القرار أيضاً على وجوب القيام بحملة دعائية نشطة بين يهود الإسلام لحملهم على الهجرة إلى فلسطين ، وعلى « الاستيلاء على العمل » (بالعبرية : كبّوش هعبودا) . وفي عام ١٩١٠ أخذ العامل اليمني ينافس العامل الأشكنازي ؛ ولذلك حذّر يوسيف أهرونوفتش ، أحد زعماء الحزب المذكور قائلاً « إننا قد خلقنا منافساً أخطر من العامل العربي . وهذا المنافس يجعل حياة الشباب الأشكناز الجدد غير ممكنة » ، وأضاف « بالرغم من ذلك لايجوز بل ولا نستطيع أن نحاربه . وفي الوقت نفسه سوف نرتكب ذنباً ضد اليمني ؛ لأننا نبقيه على حالته المتدنية : منحطاً من الناحية الجسدية والفكرية ؛ كي يكون عبداً رخيصاً ينافس عبيداً مثله ... » [هبوعيل هتسعير ، عدد ٤ ـــ نقلها نيني ، ١٩٧٧] .

هكذا تخبط الصهاينة في المشكلة : استخدموا العامل اليمني ضد العامل العربي وعندما أخذ اليمني ينافسهم قالوا : حرام علينا استغلال اليمني واستخدامه في هذه الأعمال (ويعني هذا فصله عن عمله !!) . وبالرغم من هذا ، وعلى إثر تقرير طهون ، قررت المنظمة الصهيونية في فلسطين استجلاب المزيد من اليمنيين إلى فلسطين ؛ لاستغلالهم في المستعمرات الأشكنازية ، واختاروا لهذه المهمة عضواً في حزب « هبوعيل هتسعير » (الاشتراكي!) يدعى فورشافسكي ؛ سمّى نفسه : صموئيل يَبْنيئيلي (كانون الأول ١٩١٠) ؛ وأرسلوه إلى اليمن . وعندما وصل إلى هناك اتخذ اسماً مستعاراً : اليعازر بن يوسف (أي المسيح بن يوسف : الذي يعتقد أنه سيظهر قبل المسيح بن داؤد) ، وتظاهر بأنه حاخام كبير ، أرسله علماء الدين اليهودي في القدس ، وحمل وثائق مزورة تدل على ذلك . واستخدم هذا العميل الصهيوني أسلوب اليمنيين واصطلاحاتهم اللغوية ، واستغل عقليتهم وبشّرهم بقرب مجيء المسيح اليهودي وبيوم القيامة ، وقال لهم : لقد آن أوان الهجرة إلى أرض الميعاد ، ووعدهم بالرفاهية الاقتصادية في أرض الحليب والعسل . ولكنه لم يسمح لكل واحد بالهجرة ؛ وإنما اختار ١٥٠٠ شخص قوي وبدأ بترحيلهم . وفي نيسان ١٩١٢ ، بعثت المنظمة الصهيونية إليه ببرقية تطلب إيقاف الترحيل ، لأن العمال الأشكناز أخذوا يخشون من منافسة العامل اليمني . وحاول ينبئيلي إيقاف الهجرة ولكن بعض اليمنيين عارضوا ؛ خشية أن يؤجل بقاؤهم في اليمن يوم الخلاص أو يوم القيامة ، وهاجروا إلى فلسطين بدون رخصته ، وبلغ عدد هؤلاء ٥٠٠ شخص [ناحوم مناحيم ، ص١٠٨] . وذكر هذا المبعوث الصهيوني في كتابه : رحلة إلى اليمن ، ١٩٥٢ ـــ أن ضميره كان يقرعه عندما كان يطلب من اليمنيين أن يتركوا أملاكهم ورفاهيتهم وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية الحسنة ؛ ليصبحوا عمالاً يعملون لصالح المستعمرات الصهيونية . وعندما وصلوا إلى المستعمرات الصهيونية لم تمنح لهم المنازل بل اضطروا إلى العيش في الشوارع والحقول ؛

وأقاموا لهم أكواخاً مصنوعة من الأغصان . وعندما جاء الشتاء وهطلت الأمطار واشتد البرد نادوا « إخوانهم » الأشكناز وطلبوا الرحمة ؛ ففتح أحد المستوطنين زريبة له وأدخل ثلاث عائلات لتعيش مع البقر والذباب على الأرواث ، ثم حاولت كل عائلة أن تجد إسطبلاً أو زريبة ؛ لتعيش فيها زمن الشتاء . سادت هذه الحالة في مستعمرة رحوبوت ، وكذلك في خضيرة وزخرون يعقوب وبيتح ـــ تكفا ... إلخ . وفي أثناء الحرب العالمية الأولى ساءت هذه الأحوال [نيني ، ١٩٧٧ ، ص٧٨] . وبسبب هذه الأوضاع السكنية والصحية ارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال . وتقول الباحثة نيتسه دارفيبان في الدكتوراه التي وضعتها بهذا الشأن : « إن الاعتقاد السائد في تلك الأيام هو أن الولد اليمني المولود في فلسطين سوف يموت ، وإذا قدم إلى فلسطين وعمره ٣ سنوات فليس من المتوقع أن يعيش » .

إضافة إلى ذلك ؛ كان المستوطنون الأشكناز يعاملون عمالهم اليمنيين معاملة مُهينة ، مما أدّى إلى أن أحد اليمنيين ـــ الذي عاد إلى بلاده ـــ وصف حياة رفاقه في فلسطين بأنها « منفى داخل منفى » ، وكانت الإهانات الموجهة من قبل الأشكناز أقسى من الإهانات التي اعتادوا عليها من قبل بعض المسلمين المتطرفين في اليمن . كما استخدم الأشكناز الضرب المبرح والشتائم بحق اليمنيين مثل « حمار ابن حمار » و « عربي وسخ » و « إنسان وحشي » و « يمني نحس » . وأبدى أحد الأشكناز استغراباً عظيماً عندما حاول اليمني الدفاع عن نفسه ، وقال : إن هؤلاء اليمنيين هم ناكرون للمعروف . وفي مستعمرة رحوبوت مثلاً حاولت مرة بعض النساء اليمنيات جمع الأغصان اليابسة من الأرض في إحدى الكروم ، فقبض صاحب الكرمة الأشكنازي عليهن وضربهن ضرباً مبرحاً ، ثم ربطهن إلى ذيل حماره ، ثم ركب حماره ودخل المستعمرة ؛ والحمار يسحب هؤلاء النساء على الأرض . وأثار هذا الحادث تذمراً شديداً في الطائفة اليمنية ، وسمي « حادث مقوب » على اسم الأشكنازي المعتدي : يوناتان مقوب . وفي بيتَح تِكْفا حدث حادث مشابه ؛ حيث هجم مراقب البستان حييم كوسوفسكي وانهال على امرأة يمنية بالضرب على ضلوعها وذراعيها ؛ فبكت اليمنية وصرخت وطلبت الرحمة ، لكن المستوطن الأشكنازي استمر في ضربها . وفي خضيرة هجم حراس المستعمرة على العمال اليمنيين عندما كانوا نائمين وضربوهم ضرباً مبرحاً ، ورفعت القضية إلى القضاء الأشكنازي في المستعمرة ، لكن « العدالة » الصهيونية تنكرت للضحايا ، واستنكر أحد زعماء الحركة العمالية الصهيونية : بيريل كتسنلسون هذه الحادثة ، وندد بالاستغلال والاحتقار والتعذيب ودعا إلى « كبح جماح الغرائز الهمجية الخاطئة » .

وحذّر كتسنلسون من إرغام اليمنيين على الاعتقاد بأن « لاقضاء ولا قضاة » في المجتمع الصهيوني [نيني ، كاثيدرا ، ١٩٧٧] . ولاحظ كتسنلسون أن هؤلاء المستوطنين يعاملون اليمنيين وكأنهم عبيد . واضطر اليمنيون إلى ترك مستعمرة ملحميه ؛ بسبب معاملة الأشكناز الوحشية ، واضطروا عموماً إلى التنقل من مستعمرة إلى مستعمرة طلباً للعمل . وقد طردوا من مستعمرة مِفْدال لأن الموظف زعم أنهم غير صالحين للعمل . أما في الجنوب فقد سمح لهم بالبقاء بصورة دائمة في

المستعمرات ، بشرط أن يقيموا لهم أحياء خارج المستعمرات . أما « مبدأ العمل العبري » فقد فشل ؛ لأن المستوطنين لم يتمكنوا من الاستغناء عن العامل العربي الماهر والرخيص . وعاد قسم من اليمنيين إلى وطنهم ؛ ففي ١٩١٣ رجعت ٣٠ عائلة إلى اليمن ، كما أن رسائل المشردين اليمنيين في فلسطين إلى ذويهم في اليمن لم تشجع اليهود هناك على الهجرة إلى فلسطين .

ومن الجدير بالذكر ؛ موقف الكاتب الروسي اليهودي أحاد هعام الذي لم يؤمن بإقامة دولة يهودية في فلسطين ؛ وإنما مركز ثقافي علمي لليهودية العالمية . قال الكاتب « الإنساني » في مقال نشره عام ١٩١٢ : « إن الهجرة اليمنية قد تؤثر على نوعية الاستيطان الصهيوني ؛ بسبب اختلاف الحضارة والعقلية اليمنية » [مجموعة أعمال ، ١٩٤٧ ، ص ٤٢٦] . وجميع اليهود الأشكناز الذين عشت معهم في فلسطين مازالوا يؤمنون بهذه النظرية العنصرية ؛ ولذلك يطالبون باستجلاب الأشكناز من روسيا السوفياتية ؛ من أجل « تحسين نوعية » المجتمع الإسرائيلي وتذويب الأكثرية التي استجلبت من الوطن العربي والإسلامي (انظر الفصل الرابع) .

وكتب حيم أرلوزوروف ــ من قادة الحركة العمالية الصهيونية : « يبدو لي أن قضية العمل في جنوب إفريقيا هي الحالة الوحيدة ــ تقريباً ــ التي تنطوي علي شيء من الشبه لظروفنا الموضوعية ومشاكلنا ؛ لدرجة تسمح لنا بالمقارنة » [ع . محارب ، شئون فلسطينية ، آب ١٩٧٣] . ويعترف كتسنلسون ــ الاشتراكى السابق الذكر ــ بأنه « شاهد دماء نظيفة تضرب دون أن تقترف ذنباً ، وكذلك فساد العدالة التي كانت نصيب المضروبين بأيدي منتخبي الشعب المختار في الأرض المختارة » [نفس المصدر] . ثم أخذ اليمنيون يناضلون من أجل إزالة التمييز والحيف والازدراء اللاحق بهم ؛ ففي ١٩١٣ أصدروا بياناً استنكروا فيه سياسة التمييز الموجهة ضدهم ، وسياسة الخداع التي اتبعت لاستجلابهم إلى فلسطين . وجاء في البيان الموجه إلى الأشكناز : « الآن غَدَوْنا في نظركم صغيرين وقذرين ، إنكم تقولون عنا : كلاب أغيار !... إننا محتقرون من الجميع لكوننا فقراء . والله يشهد أننا لم نأت من اليمن إلَّا بعد أن قبلنا نصيحتكم [نفس المصدر] .

وتفيد جريدة « أحدوت » التي صدرت عام ١٩١٣ ــ ١٩١٤ بأن الأجور التي تقاضاها اليمنيون كانت أقل من أجور العمال الفلسطينيين . ونشرت الصحيفة نفسها رسالة كتبت بأيدي عامل يمني ، يستنكر فيها الأجور المنخفضة والاحتقار ، ويقول إن الأشكناز يسمون اليمنيين « كلاب غويم » (حيث يطلق لفظ غوي على الإنسان غير اليهودي) .

وكانت شروط العمل للعمال اليمنيين تشبه شروط العبيد ؛ إذ لم تمنح للعامل اليمني حرية التنقل من عمل إلى آخر بدون موافقة صاحب العمل . وكان العمل نفسه مصحوباً بالشتائم والضرب بالسياط . وكانت أعمال العنف ضد الرجال والنساء والأطفال من الظواهر العادية في مستعمرة زخرون يعقوب (زمرين) ومستعمرة خضيرة [ن . مناحيم ، ص١٠٩ و ١١٠] . وبعد أن منع اليمنيون من السكن داخل المستعمرات الأشكنازية ، أقاموا لهم أحياء فقيرة خارج المستعمرات مثل محنيه يهودا قرب بيتح تِكفا ، ونَحْليئيل قرب خضيرة ، وشاعارايم قرب رحوبوت . ولا تزال هذه

الأحياء الفقيرة تحيط بالمدن والمستعمرات الإسرائيلية ، يسكنها يهود الإسلام وليس اليمنيون فقط . وقد بلغ عدد اليمنيين عام ١٩١٨ ــ ٥٠٠٠ نسمة ، أي ١٠٪ من مجموع يهود فلسطين [نفس المصدر] . وكتب ميخائيل الباز ، من المفكرين في مجتمع يهود الإسلام ؛ يقول : « إن الباحثين في هجرة اليمنيين يعزون الاضطهاد والاستغلال إلى المزارعين اليهود بدلاً من أن يعزوه إلى المستوطنين الاشتراكيين . وإذا كان هذا التخصيص يحتوي على قليل من الصدق فإن كل الأمور تشير إلى أنه صدق في الدرجة لا في النوعية ؛ لأن الصهاينة الاشتراكيين هم الذين أرسلوا مبعوثهم (يَبْنِيئيلي) ، وهم أيضاً الذين بذلوا قصارى جهودهم كي يحددوا مجال اليمنيين في تَمَلك الأرض أو في المشاركة فيها ، وهم الذين عينوا لهم مستواهم السكني على أساس أنهم أجراء » [الأزمنة الحديثة ، الباز ، ص١٠٣] .

في عام ١٩٤٤ اجتمع قدماء المستوطنين الأشكناز في إحدى المقابر ، بمناسبة الذكرى السنوية لوفاة المفكر الصهيوني الاشتراكي بيريل كتسنلسون . وقالت إحدى « الزميلات » مايلي : « لو تحتم علينا أن ندرس التاريخ من الأنصاب التذكارية ، فلا يوجد أفضل من هذه المقبرة ؛ إذ فيها من الممكن دراسة تاريخ تلك الفترة في البلاد بالتفصيل : حالة الأمن والحالة الصحية والحالة الاجتماعية ، حياة الجمهور وصورة الإنسان » (تعني مستواه الأخلاقي) . واستطردت هذه المرأة ، عليزة شيدلوفسكي ــ قائلة : « وفي هذه المقبرة توجد زاوية خاصة بقبور اليمنيين ــ أولئك الذين هاجروا (إلى فلسطين) إثر بعثة ش . يبنيئيلي . عائلات تلو العائلات ماتت من جراء الملاريا وأمراض أخرى . إنهم سقطوا كالسنابل أمام الحاصد ، وحتى على قبورهم لم توضع أنصاب تذكارية فيما عدا النصب الكبير الموضوع على قبر عائلة الحاخام ــ التي توفيت أيضا بما فيها من آباء وأبناء » [حييم هنغبي ، بمرحاب ، ٨٦/٥/٢٠ ــ وهآرتس ، ٨٦/٥/٢٠] . ولم تذكر الزميلة كيف عامل زملاؤها الاشتراكيون هؤلاء اليمنيين .

وفي هذه الفترة (١٨٨١ ــ ١٩١٨) تدهورت أحوال جميع يهود الإسلام في فلسطين ؛ لأن الصهاينة الذين استولوا على جميع المصادر المالية اليهودية ــ استخدموا هذه الأموال لبناء مستعمراتهم وأنظمتهم السياسية والاجتماعية والعسكرية السرية ، واستخدموا يهود الإسلام ــ بما فيهم اليمنيون ــ للأعمال الشاقة الجسدية مثل المحاجر وشق الطرق والبناء والخدمة البيتية ، وحتى هذا اليوم لاتجد نساء أشكنازيات يعملن كخدم . هكذا حولوا ــ تقريباً ــ جميع يهود الإسلام إلى طبقة عاملة مستغَلة ، وأصبح مصيرهم يشبه مصير إخوانهم المسلمين والمسيحيين ــ أبناء الشعب العربي الفلسطيني . وسوف نرى كيف قررت هذه الفترة الصهيونية دور يهود الإسلام في الفترتين القادمتين أي فترة الانتداب البريطاني ، والفترة التي بدأت بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ . أما بصدد اليمنيين فقد بلغت الجرائم الصهيونية أقصاها بسحق هذه الطائفة الفقيرة بعد تأسيس الدولة (انظر الفصل الرابع) .

الفصل الثالث

تحت « الحكم الذاتي » الصهيوني (١٩١٨ ــ ١٩٤٨)

بعد أن استولى الإنكليز على فلسطين في الحرب العالمية الأولى ؛ ساعدوا المنظمة الصهيونية الاستيطانية في إقامة حكم ذاتي يسيطر على جميع اليهود المتواجدين في البلد ، بما فيهم اليهود الفلسطينيون واليهود العرب الذين انضموا إليهم . وفي الوقت نفسه أبعد الانتداب البريطاني زعماء اليهود الفلسطينيين عن الحكم ، وأضعف صلاحيات الحاخام باشي بواسطة تعيين حاخام رئيسي آخر — أشكنازي — ولجنة حاخامية نصفها من الأشكناز ونصفها الآخر من اليهود أهل البلد ؛ أي الفلسطينيين* ، وهدفت هذه السياسة إلى :

١ — تقوية التعاون بين الحكم الأجنبي والمستوطن الأجنبي .

٢ — تنفيذ وعد بلفور وتعاليم الانتداب التي أقرتها عصبة الأمم ؛ أي تقديم المساعدة للصهاينة بغية إقامة وطن قومي لليهود (الأشكناز) . وهكذا وضع اليهود الفلسطينيون تحت الوصاية الصهيونية الأشكنازية ، إذ لم يكن هناك أي تمثيل لليهود العرب — عامة — في المؤسسات الصهيونية العليا . وهذا يدل على أن التحكم الصهيوني الأشكنازي لم يبدأ عند تأسيس الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨ ، بل منذ بداية الاحتلال البريطاني . ومن الجدير بالذكر ؛ أن المؤسسات الدينية الأشكنازية غير الصهيونية والمعادية للصهيونية وضعت خارج هذا « الحكم الذاتي » . وكانت أهم مؤسسات هذا الحكم الذاتي مايلي :

(أ) المنظمة الصهيونية العالمية ، وفي ١٩٢٩ أنشئت « الوكالة اليهودية » ؛ وهي تمثل الصهيونية العالمية في فلسطين وقوتها التنفيذية ؛ وقامت بناء على المادة الرابعة من صك الانتداب ، التي دعت حكومة فلسطين إلى الاعتراف بوكالة يهودية وهيئة عمومية تتعاون في إدارة فلسطين : في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك ، مما يؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي .

(ب) اللجنة القومية (هَفاعَد هَلِيؤُمي) ، وهي شبه حكومة محلية .

* لم يتعاطف الحكم البريطاني مع زعماء اليهود الفلسطينيين ؛ لأنه اعتبرهم جزءًا من النظام العثماني الإسلامي ؛ أي من « العدو العثماني » .

(ج) صندوق الأرض (قيرن قيمت ليسرائيل) ، ومهمته شراء الأراضي العربية ، وإسكان الصهاينة عليها : بشرط أن لاتُباع إلى الأبد ، ولايعمل في زراعتها إلا اليهود . وكانت ولاتزال هذه المنظمة شركة بريطانية .

(د) مجلس المنتخبين ، وهو شبه مجلس نواب .

(هـ) صندوق تمويل المستوطنات (قيرن هَيْسُود) وتزويدها بالآلات الزراعية والبقر والدجاج ... إلخ .

(و) الهاغانا ؛ وهي الجيش السري الخاضع للوكالة اليهودية . وكان الإنكليز يتظاهرون بأنهم لايعرفون شيئا عنه . وفي الحرب العالمية الثانية أقامت منظمة الهاغانا وحدات كوماندو خاصة تدعى « البلماح » ؛ مؤلفة من المستوطنين اليساريين وأعضاء الكيبوتسات ولاسيما أعضاء حزب أحدوت هعبودا ، الذي انضم إلى حزب العمل مؤخراً . وشمل البلماح أيضاً أعضاء حزب العمل ومبام وبعض سكان المدن . وأقامت الهاغانا أيضاً منظمة « شاي » ؛ أي قلم المخابرات ؛ التي أصبحت بعد تأسيس الدولة « شين بيت » للمخابرات الداخلية ، و« موساد » للمخابرات والتجسس في الخارج .

(ز) الهستدورت (النقابات العمالية) ومعاملها ؛ ومنظمات الاستيطان (كيبوتسات وموشابيم) ، ومنظمات التسويق وبنوكها ، وصندوق المرضى (كبات جوليم) ، والمدارس الاشتراكية ... إلخ . والهستدورت « إمبراطورية » كاملة ، ويعد أهم أداة اقتصادية بأيدي الصهيونية « الاشتراكية » الأشكنازية . وقد سمي هذا الجهاز الحاكم زمن الانتداب البريطاني « مؤسسات المجتمع الاستيطاني » (مُوسْدوت هيشوب) أو « الدولة في الطريق » (هَمِدِينَه تَدَّيريخ) . وفي ١٩٤٨ سمي هذا الجهاز نفسه : « دولة إسرائيل » ؛ فأصبح رئيس الوكالة اليهودية : دافيد بن غوريون — رئيس الوزراء لحكومة إسرائيل ، وأصبحت الهاغانا جيش الدفاع الإسرائيلي ؛ وأصبحت اللجنة القومية حكومة إسرائيل ، ثم أصبح مجلس المنتخبين الكنيست ؛ أي البرلمان .. وهلم جرا .

وبالإضافة إلى إقامة هذا الجهاز الصهيوني الحاكم ؛ عينت حكومة الانتداب البريطاني بعض اليهود البريطانيين موظفين حكوميين ؛ ليشغلوا المناصب العالية في فلسطين مثل نورمان بينتويتس (المدعي العام) ، ورالف هراري (مدير دائرة التجارة والصناعة) ، وماكس نيوروك (مساعد أول في السكرتارية الرئيسية) ، وألبرت م . حييمسون (مدير دائرة الهجرة) ... إلخ . ولاينبغي أن ننسى أن الحكومة البريطانية عينت اليهودي البريطاني الصهيوني هيربت صموئيل – مندوباً ساميا لحكومة الانتداب في فلسطين [شيبط وعام ، ١٩٧٠] .

وتلقى هذا الجهاز الصهيوني دعماً اقتصاديا وسياسيا كاملاً من قبل المنظمة الصهيونية العالمية وأبواقها وعملائها في العالم العربي . وهكذا تمكن هذا النظام من كسر ظهر يهود الإسلام في فلسطين وتحويلهم إلى مواطنين من الدرجة الثانية . كما استطاع أن يتغلب على العرب عام ١٩٤٨ .

ولننتقل الآن إلى الأساليب التي استخدمها هذا الجهاز الصهيوني الحاكم زمن الانتداب البريطاني ؛ من أجل إضعاف يهود الإسلام والتحكم بهم :

١ – **فرض الانتخابات الحزبية** : بدلاً من الانتخابات الفردية (المتبعة في بريطانيا) : وبموجب هذه الطريقة ينتخب الناخب هذا الحزب أو ذاك ، ثم تعين زعامة الحزب « النواب » حسب عدد الأصوات ؛ أي بطريقة نسبية . وبما أن جميع الأحزاب اليهودية في فلسطين – قبل وبعد تأسيس الدولة – هي أحزاب أشكنازية تشكلت عادة في الخارج ، ولاتزال موجودة في المجتمع الأشكنازي هناك ، وبما أنها تموَّل من قبل الصهيونية العالمية – لم يستطع أي تنظيم سفارادي (أي يتبع يهود الإسلام) أن يحظى بقوة برلمانية تمثل مصالحه وقوته العددية في المجتمع ككل . إضافة إلى ذلك ، فإن جميع الصحف وأبواق الدعاية كانت ولاتزال بأيد أشكنازية ، كما أن هذا الجهاز الحاكم حارب (ولايزال) كل محاولة قام بها يهود الإسلام من أجل تنظيمهم السياسي ، واتُّهِمَ المناضلون من أجل مجتمعهم المضطهد بالخيانة والطائفية والانتهازية واستغلال ضائقة طائفتهم ، وفصلوا عن أعمالهم . وعلينا أن نذكر ؛ أنه بالرغم من الهجرة المكثفة الأشكنازية زمن الانتداب ، شكل يهود الإسلام ثلث المجتمع اليهودي في فلسطين عام ١٩٤٨ ـــ هذا بالنسبة للجنة القومية ولمجلس المنتخبين . أما بالنسبة للوكالة اليهودية ـــ التي كان لها أشد النفوذ ، فإن قادتها عُيِّنوا من قبل المنظمة الصهيونية العالمية التي لم تشمل يهود الإسلام في مؤسساتها العليا . حتى في الانتخابات البلدية استخدموا الطريقة الحزبية ؛ فكانت النتيجة إهمال مصالح يهود الإسلام في حارات البؤس والشقاء ولاسيما فيما يتعلق بالتعليم والبطالة والأحوال السكنية وانتشار الرذائل في الشبيبة ... إلخ . ففي القدس ، مثلاً ؛ حازت « لجنة الطائفة السفارادية » التي مثلت يهود الإسلام عام ٣٨ على أربعة مقاعد من مجموع ٣٠ مقعداً ، بالرغم من أن أغلبية اليهود في القدس كانوا من اليهود العرب : يهود فلسطينيين ، ومن دار الإسلام ؛ ولذلك قاطع زعماء « لجنة الطائفة السفارادية » مثل هذه الانتخابات ، وطالبوا بإجراء انتخابات فردية حسب الطريقة البريطانية ؛ لكي يستطيع اليهودي العربي أن ينتخب ممثله مباشرة ، لكن الأشكناز رفضوا الاقتراح . ومضت هذه الحالة إلى عام ١٩٤٥ ؛ حيث توصل الجانبان إلى حل وسط : إبقاء الطريقة الحزبية بشرط أن يتناوب المرشحون الأشكناز واليهود العرب في كل قائمة حزبية ؛ أي أشكنازي ـــ سفارادي ، أشكنازي ـــ سفارادي ، وهكذا . ولذلك حصل اليهود العرب على أغلبية ساحقة : ١٩ مقعداً من مجموع ٣٠ مقعداً . وانتشر الذعر في صفوف المستوطنين الأشكناز ؛ فقررت اللجنة القومية (أي حكومة الأشكناز) إلغاء الانتخابات بحجة أن أحد أحزابهم الأشكنازية (هبوعيل همزراحي ـــ المتدين) زيَّف الانتخابات : ثم أُلغي مبدأ التناوب ، وبدأ الدسّ واللف والدوران ؛ لتمزيق وحدة يهود الإسلام ، إلى أن أُلغيت البلدية عام ١٩٤٨ ، وعين دافيد بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية ـــ دوف يوسيف الذي يكره السفاراديم حاكماً عسكريا أشكنازيا على القدس (انظر الفصل السابع) .

٢ ـــ **الاستيلاء على التبرعات اليهودية العالمية** ، واستخدامها لصالح الاستيطان الصهيوني

الأشكنازي : لقد ذكرنا هذه النقطة في الفصل السابق ، غير إن التغيرات في هذا المجال زمن الانتداب البريطاني لم تكن كمية فقط وإنما نوعية ؛ أدت إلى تعميق الفجوة الاقتصادية والحضارية بين الأشكناز ويهود الإسلام ، وإلى تشريد الشعب الفلسطيني . لقد شجع وعد بلفور وتأييد عصبة الأمم للانتداب البريطاني الموالي للصهيونية ــ الحركة الصهيونية في جميع أنحاء أوروبا عدا الاتحاد السوفياتي ، وكذلك في الولايات المتحدة حيث تجمع ملايين من اليهود الأشكناز . وبعد أن كانت الصهيونية ــ سابقاً ــ أقلية صغيرة في المجتمع اليهودي في العالم ــ قويت الآن شوكتها ، وبعد أن بدأت ألمانيا النازية تضطهد اليهود ، ازداد نفوذ الصهاينة ؛ حتى شمل أغلبية اليهود الأشكناز . وفي ألمانيا النازية بالذات كانت المنظمة الصهيونية هي الحركة السياسية الوحيدة (عدا الحزب النازي) التي سُمِح لها بالعمل السياسي ؛ وأنشأ الصهاينة علاقات تجارية مع ألمانيا النازية ، واستجلبوا بعض أموال اليهود الألمان في صورة بضائع (انظر كتاب ليني برينر عن العلاقات بين ألمانيا النازية والصهيونية) . وفي الوقت نفسه ؛ أُرغم يهود الإسلام على عدم جمع التبرعات لصالح مجتمعهم في فلسطين ؛ فأخذت الأموال تتكدس في البنوك الصهيونية ، واستخدموا هذه الموارد المالية الطائلة لتسفير المهاجرين الأشكناز إلى فلسطين ، واستيعابهم ، والعناية بهم اقتصاديا وثقافيا ، وأسسوا الكثير من المستوطنات الكيبوتسية والتعاونيات الزراعية (موشابيم) ، التي أصبحت قاعدة الاستيطان العسكري والسياسي . كما صرفوا الأموال على شراء الأسلحة ، وأقاموا الكوماندو (بَلْمَاح) ووحدات الهاغانا الدفاعية والهجومية (خيم وخيش) ووحدات بحرية (بَليام) ، ووزعوا الأموال على الأحزاب الأشكنازية تحت ستار « الثقافة الصهيونية » ، ونشروا الصحف والكتب الصهيونية ... إلخ ، وأهملوا مصالح يهود الإسلام في المدن حتى أصبحت أحياؤهم حارات فقر يرثى لها . وأشدد هنا على هذه النقطة ؛ لأن الكثير من يهود الإسلام الذين قدموا إلى إسرائيل بعد ١٩٤٨ ــ لايعرفون أن الفجوة الحضارية والاقتصادية لم تبدأ بعد ١٩٤٨ بل منذ بداية الاستيطان الصهيوني . وحاول يهود الإسلام إسكان بعض الفقراء في الريف ليتعيشوا على الزراعة كفلاحين مثل جيرانهم الفلسطينيين ؛ إلا أن الزعامة الصهيونية صممت على إبقاء الزراعة بأيدي المستوطنين الأشكناز ، واستخدام يهود الإسلام كعمال أجراء . ومن ضمن ٨٠ مستوطنة أقاموها في المرحلة الأولى ــ قبل ١٩٢٦ ــ لم يقيموا أية قرية لإسكان يهود الإسلام ، وكانت هارطوف ، التي أقامها يهود الإسلام القادمين من بلغاريا (١٨٩٥) قد اعتمدت على ماتسلموه من الأموال اللازمة لذلك من يهود بلغاريا مباشرة ، ورفضت المؤسسة الصهيونية أن تمد هذه القرية بأية مساعدة مالية . ويشهد الياشار [العيش مع اليهود ، ص١٧٩] أن جميع الجهود في هذا المجال باءت بالفشل . وكتبت دائرة الاستيطان الزراعي الصهيونية رسالة بشأن إسكان اليهود اليمنيين في الريف الزراعي تقول : « يسعدنا أن نخبركم أنه يوجد عندنا عمل لبعض العائلات في نقل المياه وغسل الملابس وأعمال بيتية أخرى » [غلوسكا ، ص٤٥٤] .

وفي المؤتمر الصهيوني الخامس عشر عام ١٩٢٧ ، أثار الياهو الياشار ، من زعماء يهود الإسلام في القدس ــ هذه القضية ، وأبدى رئيس البعثة الأمريكية : ستيفن وايز اهتماماً بها ؛ فغضِبَ حيم

وايزمان رئيس الحركة الصهيونية العالمية ، وقال مخاطباً الياشار إنه يجب عليه ألا يثير عواطف تذمر خطرة بين العشائر اليهودية . ثم أمره قائلاً : « ارجع إلى مدينتك ، وهناك سوف أوضح المشكلة » [العيش مع اليهود ، ص١٨٤] . وإذا عومل زعيم يهود الإسلام بهذه الغطرسة ، فقس على ذلك كيف يعاملون سائر أبناء هذه الطائفة أو الفلسطينيين أبناء البلد . وإذا كان رئيس الحركة الصهيونية (وهو عالم مشهور) فظّا كهذا ، فلنتصور فظاظة الأشكناز غير المتعلمين . ويشهد الياشار أنه بالرغم من أن وايزمان شجع يهود الإسلام على إقامة منظمة عالمية لهم ؛ استغل زعماء هذه الطائفة من أجل تقوية منصبه ، ولم يعمل شيئا من أجل حل المشكلة الطائفية التي أخذت تستفحل ، وإنما ابدى امتعاضاً كلما أثيرت أمامه (عندما احتفل بتأسيس الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٢٥ ، حضر الحاج أمين الحسيني — وكان يُعَد قوميا معتدلاً — فطُلِب من وايزمان أن يرحب بالحاج ويصافحه فرفض . وفي ٢٤ /٦ /١٩١٩ ؛ رحب رئيس بلدية القدس ؛ موسى كاظم باشا بالزعيم الصهيوني مناحيم أوسيشكين عند وصوله إلى القدس ؛ فأخذ الأخير ينتقد البلدية ويهدد العرب بقوة اليهود وأسلحتهم (لاحظ تفاصيل المحادثة لدى ناحوم مناحيم ، ص٣٤٩ — ٣٥٤) . إنه غرور كولونيالي .

وفي ١٩٢٥ ؛ حاول اليهود الفلسطينيون استئجار قطعة من الأرض الحكومية في منطقة أريحا لإسكان ٥٠٠ عائلة ؛ فوافقت الحكومة على ذلك ، إلّا أن المؤسسة الصهيونية بقيادة مناحيم أوسيشكين أفشلت المشروع بحجة أن استئجار الأراضي الحكومية هو من امتيازات المنظمة الصهيونية فقط . إن خوفهم من أي تقارب بين الفلسطينيين ويهود الإسلام جعلهم يقيمون حاجزاً بينهما . إن الدور الذي خصص ليهود الإسلام هو أن يكونوا خدماً وعمالاً أجراء في المستوطنات ، وعمالاً في المحاجر وباعة للجرائد ومساحين للأحذية ، لا مزارعين يختلطون بالشعب العربي الفلسطيني ! واستمرت مأساة اليمنيين زمن الانتداب (ولاتزال) ونشر الصهيوني « الإنساني » . موشيه سميلانسكي مقالاً في جريدة هآرتس (٦ /١ /١٩٢٧) ؛ يقول فيه إن قضية اليمنيين هي وصمة عار على ضمير المنظمة الصهيونية ، وإن ٣٠٠ عائلة يمنية لاتزال تعيش في ظروف قاسية إلى جوار المستعمرات الأشكنازية . وبالرغم من أنها تضم أمهر المزارعين ؛ لم تقدم المنظمة الصهيونية أية مساعدة لهم عدا الوعود الحسنة . وأخيراً استطاع بعض اليهود السفاراديم إقامة قرية حطين — قرب طبريا ؛ عام ١٩٤٤ بمساعدة السفاراديم بالخارج . وساعد السفاراديم في الأرجنتين في عملية إسكان بعض العائلات في بيت يهودا هليفي عام ١٩٤٥ . وعانت قرية حطين من قلة المياه وقلة الأموال الموظفة وقلة الوحدات السكنية ، وكانت المكائن الزراعية التي استلموها فاسدة ، وكان معظم السكان يتعيشون ليس من الزراعة وإنما كعمال خارج القرية .

وفي حين رفضت المنظمة الصهيونية تخصيص الموارد المالية التي وصلت من اليهودية العالمية لتحسين أوضاع يهود الإسلام ؛ أرسلت مبعوثيها إلى الدول العربية والإسلامية ؛ من أجل استغلال عواطف يهود الإسلام الدينية ، وجمع الأموال لصالح المشروع الصهيوني الأشكنازي . واعتقد هؤلاء

اليهود أنهم يدفعون أموالهم لصالح « الأرض المقدسة » . ففي ١٩٢٠ — ١٩٢٥ ، مثلاً ، جمعوا ٤,٠٦٠ ديناراً من يهود العراق لصالح صندوق تطوير المستوطنات (قيرن هيسود) بالإضافة إلى تبرعات حسقيل ساسون وزير المالية في العراق . وجمعوا خلال ١٩٢٠ — ١٩٢٢ مبلغ ٣٢,١٨٧ ديناراً لصالح صندوق شراء الأراضي (قيرن قيميت ليسرائيل) . وفي ١٩٢١ منح حسقيل ساسون ٣٦,٥٠٠ دينار . وفي ١٩٢٠ ؛ منح السيد ايلي خضوري من شانغهاي ١٠ر٠٠٠ دينار ؛ لتأسيس المكتبة الوطنية على جبل الطور بالقدس ، كما منح مبالغ لتأسيس مدرسة خضوري العربية ومدرسة خضوري الصهيونية ، وكان طلاب هذه المدرسة كلهم من اليهود الأشكناز . وكانت نسبة التبرعات العراقية تماثل عدة أضعاف ماتبرع به يهود بولونيا . وفي ١٩٢٠ — ١٩٢٣ استخدمت المنظمة الصهيونية التبرعات العراقية لشراء ٧٦ر٠٠٠ دونم في مرج ابن عامر (عيمق يزْرَع — إيل) بين العفولة وبيسان ؛ حيث أقاموا عدة مستوطنات تعد من أغنى الكيبوتسات مثل غيقع وعين حارود وتل يوسيف وبيت هَشِطَّه وكفار يحسقيل ... إلخ . وفي ١٩٢٣ استطاع الصهاينة أن يستولوا على الكثير من الأراضي الواقعة على طريق حيفا — دمشق وطريق الناصرة — حيفا . وتدل الوثائق الصهيونية على أن تبرعات اليهود المصريين قد زادت على تبرعات يهود شرق أوروبا وغربها — نسبيا . وجمع الصهاينة في عام ١٩٢١ فقط ٦٧ر٨٠٠ جنيه إيطالي من طرابلس الغرب . وفي زمن الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان ، أقامت المنظمة الصهيونية منظمات للشباب اليهود مثل الكشافة ونادٍ للرياضة « مكابي هاحالوتس » ، واستخدمت هؤلاء الأطفال لجمع التبرعات لصندوق الأرض « قيرن قيمت » . وفي ٨ /٧ /١٩٢٦ أدخلت ١٢٠٠ علبة إلى بيوت اليهود لجمع التبرعات ، وأمرت الطائفة بأن تجمع ٢٠٠ جنيه فلسطيني سنويا . وبلغت تبرعات اليهود السوريين واللبنانيين في العشرينيات ٦,٠٠٠ جنيه استرليني [مناحيم ، ص. ١١٤ — ١٢١] ، وصُرفت هذه المبالغ على شراء الأراضي . وطالبت المنظمة الصهيونية يهود مراكش بزيادة التبرعات ، وكتب المبعوث الصهيوني تورتس في مقال له : « نحن نريد ؛ لا الذهب الأمريكي فحسب بل الذهب المراكشي أيضاً » . وأثارت هذه الملاحظة تذمراً شديداً بين اليهود المغاربة الذين أخذوا يعون أن الصهيونية تهدف إلى استغلالهم الاقتصادي [انظر م . أبو طبول ، الصهيونية في شمال إفريقيا ، مجلة بعاميم ، ١٩٧٩ ، ص٦٥ — ٩١ : نقلها ناحوم مناحيم] . وفي هذه الأثناء كان يهود الإسلام في فلسطين يرسلون بالرسائل إلى ذويهم في الوطن العربي والإسلامي ، ويحذرونهم فيها من دفع التبرعات للصهاينة الأشكناز ، ويصفون لهم أعمال التمييز العنصري والغطرسة الأشكنازية . ولكن التنظيم الصهيوني كان أقوى من هذه الرسائل ، وكيف يستطيع كُتَّاب هذه الرسائل أن ينتصروا على المافيا الصهيونية ؛ في الوقت الذي فشلت فيه الحكومات العربية والإسلامية وأجهزة أمنها في إيقاف تدفق الأموال من « أرض الإسلام » إلى الاستيطان الصهيوني ؟ وفي حين كان الكثير من أطفال العالم الإسلامي يموتون سنة بعد سنة ، من جراء فقرهم وأمراضهم ؛ كانت هذه الأموال العربية والإسلامية توظف في بناء الكيبوتسات التي أصبح أعضاؤها وأبناؤها قمة الهرم في المؤسسة العسكرية والسياسية والاقتصادية — في الكيان الصهيوني . كان جزء من يهود الإسلام في دار الإسلام غنيًّا ،

كما كانت حالة اليهود عامة أفضل من حالة المسلمين ؛ لكن الحقيقة يجب أن تقال : معظم يهود الإسلام في « دار الإسلام » عامة ، وفي فلسطين خاصة ــ كانوا من الفقراء ، وكان يجب توظيف هذه الأموال لتحسين أحوال جميع المواطنين في الوطن العربي والإسلامي ــ لا لتحسين أوضاع المستعمرين الصهاينة . ومازال الصهاينة يستخدمون أساليب الغش ضد العالم العربي : هناك مقاطعة عربية للبضائع الإسرائيلية ــ ومع ذلك تصل البضائع الإسرائيلية إلى البلدان العربية ، وتباع في الأسواق تحت أسماء دول مختلفة ...

وبالرغم من أن المستوطنات في مرج ابن عامر بنيت بأموال اليهود العراقيين فإن العراقيين لايملكون فيها إلا اسم « حسقيل » الذي أطلق على تعاونية « كفار يحسقيل » الأشكنازية . وعندما تحدثت إلى الأخ نعيم الذي تربى في العراق وفي فلسطين عن هذه القضية ــ تعجب ؛ إذ لم يعلم بذلك من قبل . قال لي نعيم : « ذهبت في أوائل الأربعينيات إلى كيبوتس « غيفع » في مرج ابن عامر ، لأتعلم الفنون الزراعية . وكان في الكيبوتس ١٥٠ نسمة فقط من ضمنهم النساء والأطفال . وكانت نسبة العاملين في القمة الصهيونية عالية جدا مثل باقي الكيبوتسات » . ثُمَّتَ أخذ يسمي الأعضاء ووظائفهم في المؤسسة الصهيونية :

« ــ يهوديت سمحوني : رئيس منظمة النساء في النقابات العامة « الهستدروت » . وكان ابنها الذي يعيش في الكيبوتس المجاور من قادة الجيش في حرب سيناء ١٩٥٦ .

ــ أفراتي : من رؤساء المكتب الزراعي في المنظمة الصهيونية ووزير بعد إقامة دولة إسرائيل .

ــ غوريون : رئيس شركة التسويق « تنوفا » في الهستدروت .

ــ موشيه هوفمان : من رؤساء رابطة الكيبوتسات التابعة لحزب مباي (العمل) .

ــ منديل : من رؤساء المؤسسة العسكرية السرية .

ــ شاؤل روزنفيلد : كتائب الفتوة المسلحة (غدناع) .

ــ نحمان رجيك : من رؤساء منظمة الشبيبة العاملة في الهستدروت ، وهو حاليا (١٩٨٧) رئيس لجنة التعليم والثقافة في البرلمان . ويُسمى في الوقت الحاضر « راز » (أي سِرّ) ليتني أعرف سِرّ هذا التقدم .

ــ يهودا : رئيس قسم الري في زراعة المنطقة .

وفي الوقت الحالي أصبح ميخه ابن أفراتي السابق الذكر من رؤساء رابطة الكيبوتسات والبنك القومي لإسرائيل . ومنذ الأربعينيات تضاعف عدد الأعضاء الذين وصلوا إلى قمة الهرم ؛ بسبب استخدام العمل الرخيص العربي والسفارادي » . وتابع نعيم : « لقد ذهبت إلى ذلك الكيبوتس ، لأتعلم علم الزراعة بصورة تطبيقية ، ولكنهم أخذوا يستغلونني للأعمال الشاقة غير التقنية ؛ فقلت لهم : أريد أن أتعلم عن المكائن الزراعية . قالوا : في الشهر القادم ، وبعد شهر قالوا : في الشهر القادم . وهكذا ماطلوني سنتين ونصف السنة . وعندما شكوت قال لي الرفيق نحمان رجيك الذي كان مسؤولاً عن

جماعتي : إنك لاتريد إلا أن تركب الجرار (يعني : أنت كسلان) ؛ ثم قال : أنت تعمل من أجل أكلك (أي لاتعمل لنا معروفاً) . ومن المعروف أننا لم نستلم أجوراً من الكيبوتس قط ، غير إن أعضاء الكيبوتس يستلمون الأجور بصورة تعليم وتربية لأطفالهم وشقق سكنية مريحة ...إلخ . وقد أسكنونا في الطابق الأعلى لزريبة . وعندما أكلنا البقّ ! أعطونا خياماً لنعيش فيها ؛ كل ثلاثة في خيمة صغيرة . وهكذا استغل هذا الكيبوتس جماعات كثيرة من الشبيبة التي كانت تأتي إليه من المدن لمدة سنتين » . وسألت نعيم : « هل تعلمت شيئا عن المكائن الزراعية في النهاية ؟ » أجاب : « قَطٌّ ؛ في النهاية قالوا لي : « شوف لن نعلمك ذلك » ، ولم يعللوا هذا . وقال لي صديق : « أصلك هو السبب » ، وقال عضو الكيبوتس نحمان رجيك الذي أصبح نحمان راز ؛ رئيس لجنة المعارف في البرلمان الإسرائيلي : « إن معاملتهم تبعث على الاشمئزاز » ؛ لكنه لم يساعدني . وعندما قالوا لي اللاء النهائية – أصبحت مريضاً لمدة أسبوعين ثم تُركت . ولايزال ظهري يؤلمني بسبب حمل الأثقال والأعمال الشاقة هناك . وقرأت مؤخرا أن أحد أبنائهم : أمنون يدين ـــ الذي أصبح من رؤساء منظمة الكيبوتسات ، والذي وظّف الملايين في شراء الأسهم التجارية والصناعية للكيبوتسات « الاشتراكية » – قد انتحر عندما أصابت سوق الأسهم أزمة كبيرة ، وخسرت الكيبوتسات أموالاً طائلة . إنهم يبنون على الرمال . ونحن أبناء هذا الوطن العربي نعلم أن الرمال العربية متنقلة » – انتهى حديث الأخ نعيم . وهكذا لم يستفد العراقي نعيم من أموال العراقيين التي وظفت في مرج ابن عامر .

٣ – **التمييز ضد المهاجرين من الوطن العربي والإسلامي** : بما أن الحركة الصهيونية هي حركة أشكنازية هدفت إلى إقامة وطن قومي لليهود الأشكناز ، فإنها لم تُعنَ باستجلاب يهود الإسلام ؛ إلا بعد أن اتضح لها أن معظم يهود أوروبا قد ذُبحوا بأيدي النازية . وقد ذكرنا استجلاب ألفين من يهود اليمن عام ١٩١٢/١٩١١ ؛ بغية استخدامهم لمنافسة العمل العربي . وفي زمن الانتداب البريطاني استجلبوا بضعة آلاف من اليهود الأكراد والإيرانيين ؛ بغية استخدامهم في المحاجر وأعمال شاقة أخرى . وإضافة إلى هؤلاء ؛ هاجر عدد محدود من يهود الإسلام إلى فلسطين في هذه الفترة ؛ بلغت نسبتهم ١٠٪ من مجموع المهاجرين ؛ وكان سبب هجرتهم دينيا . ومن الجدير بالذكر ، أن آلافاً من يهود الإسلام كانوا قد هاجروا إلى فلسطين في عهد الخلافة الإسلامية والعهد العثماني ، ولم يتعرض لهم أحد ؛ لأن عوامل الهجرة كانت دينية [سموحة ، ص ٢٨١] . وفي حين أن الحكم الذاتي الصهيوني ـــ زمن الانتداب ـــ قام باستيعاب ٣٨٢,٠٠٠ يهودي أشكنازي [نفس المصدر] ، وصرف الملايين على تسفيرهم وتشغيلهم وإسكانهم ؛ فإنه تغاضى عن المهاجرين المتدينين من أرض الإسلام ، وانضم هؤلاء إلى ما يسمى « الحزام الأسود » أي حارات الفقر والحرمان حول المدن الكبرى ـــ الأمر الذي عمّق الفجوة بين المجتمع الأشكنازي الاستيطاني والمجتمع اليهودي الفلسطيني الإسلامي . ومن ضمن يهود الإسلام الذين هاجروا بعد الحرب العالمية الأولى ـــ اليهود اليونانيون من مدينة سلانيك (وأصلهم أندلسي عربي وإسلامي) ، وكانوا ماهرين في التجارة والملاحة ، وأرادوا استخدام هذه المهارة في فلسطين . ولقد حاول موريس رفائيل وعائلة صرفاتي تأسيس شركة

لأعمال الموانىء . بيد أن المؤسسة الصهيونية قررت أن الدور الذي يجب أن يلعبه هؤلاء اليهود ليس تجارة الموانىء وإنما أعمال الموانىء الشاقة . وهكذا حولتهم إلى عمال وحمالين ، وأخذ المجتمع الأشكنازي يلقبهم « حورانيين » ، ومعناها بالعبرية « رعاع » . وأخذت الكلمة « سلانيكي » تعني « حمّال » ، الياشار ، ١٩٨٠ ، ص٢٠٤] . وأخذت الكلمة « كردي » تعني « عامل في المحاجر » ، والكلمة « يمنية » تعني « خادمة » ، والكلمة « شفارتسي » (باللغة اليدية : أسود) تعني « يهود من دار الإسلام » ، أو « عرب » . وصرح أحد زعماء اليمنيين في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر بأن إخوانه يعتبرون مواطنين من الدرجة الثانية مثل غير الآريين في ألمانيا « عام ١٩٣٣ [لاكير ، تاريخ الصهيونية ، ١٩٧٢] .

٤ ــ **تجهيل اليهود الفلسطينيين** : بعد تأسيس الحكم الذاتي الصهيوني ؛ أصبح التعليم في المجتمع اليهودي في فلسطين من ضمن صلاحيات المؤسسة الصهيونية الحاكمة . أما الجمعيات الخيرية اليهودية في العالم التي كانت قد عنيت بالتعليم وموّلته في جميع البلدان العربية والإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى ؛ فقد توقفت عن هذه المهمة بالنسبة لفلسطين . وقالت هذه الجمعيات للمؤسسة الصهيونية : علينا أن نمضي في مساعدة التعليم في البلدان العربية والإسلامية ؛ لأن اليهود هناك لايستلمون أية مساعدة مالية من اليهودية العالمية ، أما أنتم فعليكم أن تمولوا المدارس اليهودية في فلسطين ، وأن تستخدموا قسماً من التبرعات اليهودية لهذه العناية . وهكذا انسحبت جمعية « إليانس » الفرنسية من فلسطين ، وأغلقت المدرسة المهنية عام ١٩٢٧ ؛ فقررت المؤسسة الصهيونية الحاكمة في فلسطين تجهيل يهود الإسلام ، وإقصاءهم عن العلم بواسطة فرض أجور مدرسية . وبما أن معظم يهود الإسلام في فلسطين كانوا من الفقراء ؛ فقد أرغموا على ترك المدارس . إضافة إلى ذلك ، تحتم على الكثير من الأطفال أن يوقفوا دراستهم وأن يشتغلوا لمساعدة عائلاتهم الكبيرة . وبذلك انضم هؤلاء الأطفال إلى جيش باعة الصحف والكبريت ومساحي الأحذية ، وإلى جيش الخادمات في بيوت اليهود الأشكناز . وعم الجهل في حارات « الحزام الأسود » . وولّد الجهلُ الفقرَ والإجرامَ والدعارة وتعاطي المخدرات . ويعترف البروفسور الصهيوني باكي ــ في دراسة له عام ١٩٤٣ ــ بأن الدخل السنوي لنسبة ٦٧٪ من اليهود الفلسطينيين لم يبلغ ليرتين فلسطينيتين شهريا ، وأن أجرة العامل اليهودي العربي أقل من أجرة العامل الأشكنازي ، وأن الكثير من اليهود العرب عمال غير تقنيين ، يعملون فراشين ومساحي أحذية ... إلخ [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص٤٩٣] ، وبذلك لم يستطيعوا دفع الأجور المدرسية لتعليم أولادهم . وهكذا بلغت نسبة التلاميذ الذين لم يدرسوا إلا ٣ سنوات ابتدائية فقط ــ ٢٥٪ في المدن الكبرى ، وبلغت نسبة التلاميذ اليهود الذين أنهوا دراستهم الابتدائية ٢٠٪ فقط ، وبلغت نسبة يهود الإسلام في فلسطين الذين أنهوا دراستهم الابتدائية ١١٪ فقط ؛ أي إن ٨٩٪ من اليهود الفلسطينيين أو يهود الإسلام ــ حرموا من التعليم الابتدائي . على حين بلغت نسبة اليهود الفلسطينيين الذين درسوا في المدارس الثانوية والجامعات ٥٪ فقط ، بمعنى أن ٩٥٪ كانوا أشكنازاً ! ولم يُفرض التعليم الإجباري في المدارس الابتدائية إلا بعد تأسيس الدولة الصهيونية ولم ينفذ القانون بالفعل ، وأُرسل الكثير من أبناء هذه

الطائفة إلى الكتاتيب ؛ أي المدارس الدينية ؛ التي كانت تشبه المعتقلات للأطفال .

وفي ٢١ /١١ /١٩٤٥ ؛ أرسلت مجلة « هيد همزراح » (صدى الشرق) تقريراً مفصلاً عن التعليم لدى اليهود العرب في فلسطين ؛ إلى لجنة التحقيق البريطانية التي درست التعليم اليهودي في البلد . وقد شمل التقرير الحقائق الآنفة الذكر ، وطالبت المجلة بإشراك اليهود العرب في لجان التعليم الحكومية [هيد همزراح ، ١٢/٧ /٤٦ ــ الياشار ، ١٩٨٠ ، ص٤٩٢ ــ ٥٠١] . أما في البلدان العربية والإسلامية فقد درس الطلاب اليهود في مدارس إليانس ، والمدارس الأهلية التي أنشأتها الطوائف اليهودية ، وفي المدارس الحكومية الرسمية ــ مجاناً . وعندما وصل يهود البلدان العربية والإسلامية إلى إسرائيل بعد ١٩٤٨ ؛ ظهرت الفجوة الثقافية بين اليهود العرب الذين عاشوا تحت الحكم الصهيوني الأشكنازي واليهود الذين عاشوا تحت الحكم العربي والإسلامي (انظر الفصل الأول) .

ونعود الآن إلى زمن الانتداب البريطاني ؛ فبعد نضال عظيم من جانب زعماء يهود الإسلام ــ قررت الوكالة اليهودية تأسيس دائرة لشؤون يهود الإسلام عام ١٩٤٨ ، وعلى رأسها طبعاً يهودي أشكنازي يدعى ي . زروبابيل . وفي مقاله : « ملاحظات عن مشاكل السياسة الاجتماعية تجاه الطوائف الشرقية » [في يلقوط (الشرق الأوسط) ، فبراير ١٩٤٩] ــ طلب البروفسور الصهيوني الأشكنازي أيزنشتات من الأشكناز تأسيس منظمات ومؤسسات اجتماعية من شأنها أن تمنح اليهود العرب إمكانية استيعاب القيم الأشكنازية ؛ على أن يتمتع اليهود العرب بالحكم الذاتي في هذه المؤسسات . وحذر البروفسور من القضاء علي روح الاعتماد على النفس والمبادرة في مجتمع يهود الإسلام . ولم يشعر هذا العالم الاجتماعي (جامعة القدس) بالتناقض في آرائه : إذ كيف يستطيع يهود الإسلام أن يستعيدوا روح المبادرة والاعتماد على النفس ، وفي الوقت ذاته يقولون لهم : اتركوا حضارتكم وقيمكم العربية الإسلامية ، واقتبسوا حضارتنا وقيمنا ؟! والذي حصل هو نشر العدمية الحضارية بين يهود الإسلام ، وكسر معنوياتهم ، وغرس روح الاتكال على الحاكم الأشكنازي « المتحضر »* . وأصبح الكثير منهم يشعر بالخجل بسبب حضارته العربية الإسلامية . وهكذا أقاموا جداراً فولاذيا من التنكر الحضاري بين يهود الإسلام والأمة الإسلامية ؛ بما فيها الشعب الفلسطيني . ومضت هذه الحالة إلى أن انفجرت ثورة « الفهود السود » في أوائل السبعينيات ، حين أخذ معظم يهود الإسلام في إسرائيل يقول : نعم ؛ نحن عرب ، ونعتز بحضارتنا العربية الإسلامية . وبعثت هذه التصريحات والانتفاضات الشعبية تيارات من الهلع في نفوس المستوطنين (انظر الفصلين ٧و١٠) .

وقد سألت الأخ نعيم – سالف الذكر – كيف استطعت الوصول إلى الجامعة ؟ (بالنظر إلى التوصيف الذي عرضت له – فيما سبق – بشأن حال التعليم تحت « الحكم الذاتي ») ؛ فقال لي

* وإلغاء تعليم اللغة العربية بين جماهير يهود الإسلام ، وفرض تعليم تاريخ الصهيونية المعادي للعروبة والإسلام ، وقمع الحضارة العربية والإسلامية لدى يهود الإسلام .

نعيم : « عندما تبين لي أن الكيبوتس لايسمح لي بدراسة فنون الزراعة ؛ تركته ، وأخذت أعمل كعامل في تربية البقر . كان العمل شاقا جدا : يبدأ في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وينتهي مساءً (بصورة متقطعة) ، وكنت أتألم بسبب عدم المضي في الدراسة ، إذ كنت تلميذاً مجتهداً جدا في المدرسة اليهودية في بغداد ، وحزت على عدة جوائز ، وقيل لأبي إن مدرسة شماش – وهي أحسن المدارس اليهودية في بغداد — سوف ترحب بي . وبعد مضي عام قررت مواصلة دراستي والالتحاق بالجامعة العبرية بالقدس ؛ ولكن كنت أحتاج إلى شهادة ثانوية أو خوض امتحانات دخول إلى الجامعة ؛ فأرسلت برسالة إلى رئيس منظمة العمال الشبان : دافيد كوهين ، وطلبت منه أن يرجو الكيبوتس أن يسمح لي بالعودة على أن أشتغل ٥ ساعات يومياً فقط ؛ لأتمكن من الدراسة والتحضير للامتحانات ، وأجابوا بأنهم يرحّبون بي على أن أعمل نهاراً كاملاً كباقي الأعضاء . ثم أخذت أفتش عن عمل سهل آخر يمكّنني من الدراسة إلى أن وجدته ، ودرست ليل نهار إلى أن تخطيت امتحانات الدخول إلى الجامعة العبرية عام ١٩٤٧ . وفي الجامعة العبرية تحتم علي أن أعمل في البناء والمطاعم ..إلخ ؛ لدفع أجور الجامعة ومصاريف السكن والأكل والكتب . واستمرت دراستي بصورة متقطعة إلى أن حزت على شهادة M.A. عام ١٩٥٦ . وخلال هذه المدة كان الغضب يتطاير من عيون الأشكناز الذين أرادوا أن أبقى عاملاً غير ماهر ... وكان الطريق شاقاً ... موت أحمر !» — انتهى حديث الأخ نعيم .

فشل زعماء يهود الإسلام :

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : كيف قابل المجتمع اليهودي الفلسطيني هذا التحدي الصهيوني ؟ هل ناضل ، أو ساير ، أو انبطح ؟

بما أن الاصطدام وقع بين قوتين غير متساويتين ؛ فقد كان رد فعل الأغلبية مزيجاً من النضال والمسايرة ، وانبطح ذوو المصالح الشخصية والانتهازيون والمتملقون ، وانتهت المواجهة بانتصار الصهيونية عام ١٩٤٨ . وحدثت نفس النتيجة في المواجهة بين الشعب العربي الفلسطيني — المؤيد من قبل جماهير الأمة العربية والإسلامية — والاستيطان الصهيوني . كان الشعب الفلسطيني موحداً ، وناضل المسلمون والمسيحيون صفا واحداً ، وكانت للشعب الفلسطيني قاعدة اقتصادية متينة ؛ أي الأرض والزراعة ، وبورجوازية وطنية متطورة ، ولغة واحدة ، وحضارة عربية وإسلامية . وقد عاش هذا الشعب على هذه الأرض ، لا مئات السنين بل آلاف السنين ؛ ومنذ فجر التاريخ . وفي ١٩١٨ ؛ مثّل هذا الشعب أغلبية ساحقة — أكثر من ٩٥٪ — بالمقارنة بجماعات المهاجرين الأجانب . وبالرغم من هذا التفوّق ، انتصرت الصهيونية عام ١٩٤٨ ، وهدمت مئات القرى العربية ، وشرد معظم أبناء الشعب . وإذا فشل الشعب الفلسطيني فكيف تستطيع أن تنجح هذه الطائفة الضعيفة من يهود الإسلام ؟!

لقد ذكرنا أن الحكم البريطاني أبعد اليهود الفلسطينيين عن دفة الحكم ، وأخذ المستوطنون الأشكناز يستعملون سياسة « فرق تسد » تجاه « لجنة طائفة السفارديم » التي مثّلت المجتمع اليهودي الفلسطيني . وعلى إثر هذه السياسة ، انشق عدد من زعماء المنظمة وشكلوا منظمات طائفية حسب أصولهم العربية أو الإسلامية . وقد تمكنت المؤسسة الصهيونية من إفشال جميع المحاولات لإقامة منظمة سياسية تدافع

عن مصالح يهود الإسلام في فلسطين ؛ قبل وبعد تأسيس الدولة الصهيونية . حتى الزعماء الذين لم ينشقوا عن المنظمة انقسموا إلى فئتين : ترأس الفئة الأولى « أبو العافية » الذي أيد الانتخابات الحزبية الصهيونية ، وطالب بضم اليهود الأندلسيين ـــ فقط ـــ إلى هذه المنظمة ، وهذا رأي أيدته المنظمة الصهيونية دائما ؛ قائلة إن اليهود الأندلسيين هم أوروبيون ، ولايمكن ضمهم إلى اليهود العرب من البلدان العربية . ومن الجدير بالذكر ، أن يهود الإسلام الذين سكنوا دار الإسلام من أواسط آسيا شرقاً إلى الأندلس غرباً ؛ رأوا أنفسهم كمجتمع واحد تجمعه الحضارة العربية الإسلامية . وكان الصهاينة أول من قسمهم إلى مايسمى « الطوائف الشرقية » ، والأندلسيين (سفارادیم) . أما الفئة الثانية فقد تزعمها « الياهو الياشار » ، وأيدت هذه الفئة النظرة التقليدية التي تعتبر يهود الإسلام مجتمعاً واحداً ، كما أيدت طريقة الانتخابات الفردية المتبعة في بريطانيا ؛ ليتسنى لليهودي العربي أن ينتخب زميله في الحضارة وفي اللغة والتاريخ والمصير .. إلخ . ثم قاطعت هذه الفئة الانتخابات الصهيونية . وفي ١٩٤٦ قررت اللجنة خلع داؤد أبو العافية من منصبه وانتخبت الياهو الياشار عوضاً عنه (٢٠ /٢ /٤٧) . وكانت الحالة المالية سيئة جدا في اللجنة حيث بلغت ديونها ٣,٠٠٠ جنيه ؛ فبدأ الياشار بتحسين الأوضاع الاقتصادية ودفع الديون وتجديد العلاقات مع جميع يهود الإسلام في العالم ؛ عن طريق المنظمة العالمية ليهود الإسلام ، وتنظيم مؤتمر عالمي لهذا المجتمع . وعارضت المؤسسة الصهيونية عقد مثل هذا المؤتمر في القدس ، خوفاً من أن تتجلى الحقائق عن التمييز العنصري ضد يهود الإسلام أمام الوفود من جميع أقطار العالم . وقال دافيد بن غوريون إن الياهو الياشار هو العدو رقم واحد ؛ لأنه يشجع يهود الإسلام على الدفاع عن حقوقهم ، وإذا نجح في ذلك فإن حزب المباي (حزب العمل) سوف يفقد الكثير من أصوات هذه الطائفة . وقال بن غوريون أيضا : إذا قامت منظمة تجمع بين جميع أفراد الطائفة سيحتاج هو ورفاقه إلى فضل هذه المنظمة ، وأضاف أن هذا المجتمع لايملك القدرة على استلام المسؤولية التي قد تمنحه إياها قوته العددية في الانتخابات [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص١٢٥ و ١٢٦] (انظر الفصل الثامن عن آراء بن غوريون بالنسبة ليهود الإسلام) . وعلى إثر هذا الضغط الصهيوني ؛ ترك الياشار المهام الإدارية لمئير موشي ليفي وداؤد ستون .

وبعد الاحتلال البريطاني للقدس أقام يهود الإسلام « منظمة الشباب السفارادیم » ، وبعد زمن قصير أخذت تدعى « منظمة طلائعيي الشرق » . واعتنت هذه المنظمة بالشئون الاقتصادية والثقافية في صفوف الطائفة ، لكنها عانت من قلة الموارد المالية ؛ إذ كانت المنظمة اليهودية الوحيدة التي لم تستلم أية مساعدة مالية من المؤسسة الصهيونية الحاكمة . وهدفت المؤسسة إلى خنق أية حركة سياسية يقوم بها اليهود الفلسطينيون . وهكذا انهارت هذه المنظمة أيضا عام ١٩٢٩ .

وحاول زعماء اليهود الفلسطينيون طلب النجدة من يهود الإسلام الذين انتشروا في العالم ؛ فنظموا مؤتمراً عالميا لهذه الغاية في فيينا عام ١٩٢٥ ، طالبوا فيه بإشراك اليهود الفلسطينيين في التطور الثقافي والاقتصادي في فلسطين ، وذكروا أن المؤسسة الصهيونية قد أقامت حتى ذلك العام ٨٠ مستعمرة أشكنازية ، ولم تهتم بإقامة قرية ليهود الإسلام في فلسطين . وحضرت المؤتمر وفود من جميع

أنحاء العالم ، عدا الدول العربية والإسلامية . وقرر هذه المؤتمر تأسيس منظمة عالمية ليهود الإسلام . وسوف نرى كيف استولت الصهيونية عليه مؤخراً . وبعد انتهاء المؤتمر عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الرابع عشر في فيينا أيضا (١٩٢٥) ، وحضر المؤتمر الياهو الياشار ، والحاخام عوزييل ، وزكريا غلوسكا ؛ للمطالبة بحقوق يهود الإسلام في فلسطين . وعلق الياهو الياشار على أبحاث المؤتمر بمايلي : « لقد كانت المساعدة التي قدمتها مؤسسات الحركة الصهيونية إلى التنظيم السفارادي ضئيلة جدا . الزعماء الصهاينة مثل وايزمان واوسيشكين — مدحوا المبعوثين السفاراديم وشجعوهم على التنظيم ؛ أما في الواقع فقد ساعدوا قليلاً جدا . وأحياناً وجدناهم يعارضون تنظيم هذا المجتمع ، عقب إعطاء الوعود له . ولم يؤمن جابوتينسكي (زعيم اليمين الصهيوني — أبو حركة حِدوت الحالية) بمزج الأشكناز مع يهود الإسلام ، ولكن أيَّد التعاون بين الفئتين » [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص١٤٦] (انظر الفصل الثامن من هذه الدراسة) .

وزعم زعماء الأشكناز أن وحدة يهود الإسلام وتنظيمهم قد يؤدي إلى إنقسام المجتمع اليهودي في فلسطين . وأيد هذه المزاعم بعض الانتهازيين من يهود الإسلام الذين تركوا مجتمعهم وانضموا إلى المنظمات الحزبية الأشكنازية . والحقيقة هي أن المجتمع اليهودي في فلسطين كان — ولا يزال — منقسماً ، وأنهم خافوا من تنظيم يهود الإسلام سياسيا ؛ لأن هذا التنظيم هدَّد الاستعمار الصهيوني .

التمييز في الهستدروت :

لقد أقام « الاشتراكيون » الصهاينة الأشكناز بعد الحرب العالمية الأولى — الهستدروت ؛ أي اتحاد النقابات للعمال العبريين . واعتنت هذه النقابات العمالية بإيجاد عمل للمهاجرين الأشكناز ، أو بإنشاء المستوطنات الزراعية لهم . وكلما طلب اليهود الفلسطينيون وباقي اليهود العرب العمل كان موظفو الهستدروت يُنهكونهم عن طريق المماطلة ؛ ولذلك قرر اليهود الفلسطينيون تأسيس نقابة عمالية لهم وهي « منظمة العاملين السفاراديم » في القدس عام ١٩٤١ . ومن ضمن الأعضاء المؤسسين نذكر إسحق الإسكندري ؛ سكرتير المنظمة العالمية ليهود الإسلام ، ويعقوب العازار ، ويعقوب مزراحي ، ويهودا حَبْشوش ، وي . يافيه ، وناحوم تشوتشا . وبعد مفاوضات مطولة بين هذه النقابة والهستدروت ، وافقت الأخيرة على منح ١٦٪ من الأشغال ليهود الإسلام — بالرغم من أنهم شكلوا أغلبية اليهود في القدس . وبعد ذلك تم تأسيس منطمة عمالية أخرى في تل أبيب .

ثم قرر الهستدورت تدمير نقابة يهود الإسلام بواسطة دفع « التعويضات » (أي الرشوة) لبعض الأعضاء القياديين ؛ بلغ مقدارها ١٧٧٥ ليرة فلسطينية (أي إسترلينية) ، وكذلك بواسطة منح بعض الوظائف لهم (مثل يعقوب العازار ، ويعقوب مزراحي ، وإسحق الإسكندري) . بالإضافة إلى ذلك ؛ استُخْدِم الإرهاب والتهديد والفصل عن العمل — ضد كل من حاول التخلص من الوصاية الأشكنازية . وهكذا توفيت هذه النقابات السفارادية [الياشار ١٩٨٠ ص٢٧٣ — ٢٧٥] . وبقي العاملون من يهود الإسلام بدون نقابة تدافع عن حقوقهم . وفي حزيران ١٩٤٧ ؛ أرسل حنوكا مزراحي — من بيتح تكفا — برسالة إلى جريدة « قول هعام » ؛ وصف فيها سياسة التمييز

العنصري المتبعة في الهستدروت ضد العمال من يهود الإسلام . وقال إنه خلال حياته في فلسطين شعر بأنه مواطن من الدرجة الثانية ، وإن الهستدروت كانت تعطيه الأعمال « السوداء » فقط (أي غير التقنية) ذات الأجور القليلة ، والأعمال الشاقة في البيارات . ثم أخذ يعمل ليلاً في أحد المعامل ؛ ولكن الهستدروت لم تساعده على استلام الأجرة الإضافية للعمل الليلي . وعندما رأى صاحب العمل هذه السياسة خفض أجرته اليومية ؛ فوافق الهستدروت على ذلك . وكان مزراحي يدفع الضرائب الكاملة وكأنه يستلم الأجور العالية . وكانت الخدمات الصحية الهستدروتية لعائلته محدودة جدا . وعندما حرقت أجزاء من جسده في العمل ؛ استلم التعويضات لمدة ٤ أشهر ، على الرغم من أن المعالجة الصحية دامت سنة كاملة . وقد وَصّى الطبيب بتشغيله في عمل خفيف ؛ ولكنه بقي عاطلاً وبدون مساعدة مالية يمنحها الهستدروت عادة للعاطلين — ولذلك تعذر عليه دفع رسوم الهستدروت ، فأوقفت المعالجة الطبية ، وطُرد من الهستدروت . ويضيف مزراحي أن الموظفين الأشكناز يدافعون عن بعضهم البعض ، ويرفضون مطالب العامل « الشرقي » . وعندما فتحت لجان العمل العامة ؛ وُعد العمال بمبدأ المساواة بدون إجحاف ، ولكن لجان العمل هذه تحولت إلى بؤرة التمييز ؛ حيث أهملت حقوق العامل « الشرقي » ؛ ولذلك ترك الكثيرون من أبناء هذه الطائفة النقابات الهستدروتية ، أما الآخرون فقد بقوا فيها ؛ لأنهم يحتاجون إلى « صندوق المرضى » التابع للهستدروت (ولايزال) . وبعد ٤٠ عاماً من نشر هذه الرسالة ؛ أعادت جريدة « زوهديريخ » نشرها في ٢٥ /٦ /١٩٨٧ . وأدت سياسة الهستدروت هذه إلى إبعاد الكثيرين من يهود الإسلام عن اليسار الصهيوني ، واستغل اليمين الصهيوني هذا التمييز « الاشتراكي » ؛ بغية الحصول على أصوات هذه الفئة المسحوقة (انظر الفصل العاشر) .

انهيار الصحافة السفارادية :

وفي مجال الصحافة ، ظهرت عام ١٩١٨ جماعة « هسوليل » بالقدس ، ونشرت مجلة أسبوعية باللغة العربية تدعى « بريد اليوم » ، ودعت إلى تنمية الصداقة والأخوة مع الشعب العربي الفلسطيني . وطالب زعماء يهود الإسلام بتعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية ، وبتعليم تاريخ العروبة والإسلام . غير إن الزعامة الصهيونية الأشكنازية أفشلت جميع هذه المحاولات . وفي ١٩٤٢ ؛ نشر موشي ليفي ناحوم مجلة « الشرق » ، واشترك الياس الياشار فيها كمحرر ، وصدرت ١٣ مرة ، إلى أن تمكن الياشار من إصدار « صدى الشرق » (هيد همزراح) في ١٥ /١ /٤٣ ، وأصبح محررها الرسمي . وصدرت المجلة حتى تاريخ ٨/٩ /٤٦ ، ثم توقفت عن الإصدار إلى تاريخ ١٢ /١١ /٤٨ ، ثم تجدّد النشر إلى نهاية ١٩٥٠ ، ثم أغلقت بسبب قلة الموارد المالية . وكان قد اشترك في إدارة التحرير داؤد ستون ، وإبراهيم المالح . وبعد ذلك أصبح داؤد ستون محرر مجلة « بمعرخة » وهي لسان حال لجنة طائفة السفاراديم . واعتنت هذه المجلات السفارادية بالحضارة العربية الإسلامية ليهود الشرق ، وبمبدأ الوئام بين شعوب المنطقة ، وبمبدأ التفاعل الحضاري ، وبمشاكل الطائفة . أما جميع الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية والراديو (والتلفزيون مؤخراً) ؛

فقد كانت ولاتزال بأيدي حفنة من المستوطنين الأشكناز ، وتُموَّل من قبل الصهيونية العالمية تحت ستار : « تشجيع الثقافة الصهيونية » .

وعلى نحو ماتقدم ، فشلت زعامة اليهود الفلسطينيين في نضالها من أجل المساواة زمن الانتداب البريطاني . ويمكن وضع عوامل هذا الفشل في قسمين رئيسيين :

أولاً ـــ قوة الصهاينة الأشكناز :

ـــ مساعدة الانتداب البريطاني في تسليط المؤسسة الصهيونية الأشكنازية على جميع اليهود في فلسطين ، ثم الدعم الأمريكي بعد تأسيس الدولة .

ـــ قوة التنظيم البارع في المنظمة الصهيونية العالمية ، وكونها أشكنازية ، ونفوذها في المجتمع اليهودي في أوروبا وأمريكا ، وهو مجتمع أشكنازي بأغلبيته الساحقة .

ـــ نجاح المؤسسة الصهيونية في الاستيلاء على جميع التبرعات اليهودية في العالم ، بما في ذلك الدول العربية والإسلامية .

ـــ قوة الطائفة الأشكنازية التي نمت نتيجة للاضطهاد الأوروبي خلال قرون عديدة .

ـــ قوة التنظيم الحزبي الأشكنازي الذي نما قبل هجرة الأشكناز إلى فلسطين وسيطرة حزب العمل ، قبل وبعد تأسيس الدولة ، على الحكومة والهستدروت والوكالة اليهودية . وقد حارب هذا الحزب أي تنظيم سفاردي مستقل .

ـــ بالرغم من أن اليهود الفلسطينيين شكلوا أغلبية اليهود في فلسطين في القرن التاسع عشر ؛ تقلصت هذه الأغلبية إلى ٣٠٪ في الوسط اليهودي عام ١٩٤٨ ؛ بسبب الهجرة المكثفة لليهود الأشكناز زمن الانتداب .

ـــ كانت للمستوطنين الأشكناز طبقة بورجوازية كبيرة وغنية استخدمت أموالها من أجل الهيمنة الأشكنازية الطائفية .

ـــ استخدام الرشوة على أساس مبدأ « فَرِّقْ تَسُد » ، لتمزيق وحدة اليهود الفلسطينيين والذين انضموا إليهم من « أرض الإسلام » ، واستخدام المخابرات في سحق المعارضة السفارادية بعد تأسيس الدولة .

ثانياً ـــ ضعف يهود الإسلام :

ـــ كان التنظيم الحزبي السياسي معدوماً (أو يكاد) في الوطن الإسلامي ؛ لذلك لم تكن لهؤلاء اليهود الخبرة الكافية في تأسيس أحزاب سياسية تدافع عن مصالحهم . وفي الوقت نفسه استطاع الصهاينة أن يمزقوا وحدتهم حسب بلدانهم الأصلية ، وأن يرشوا بعض زعمائهم .

ـــ قلة الموارد المالية للعمل السياسي ؛ بعد أن تسلَّط الأشكناز على الموارد المالية من يهود العالم . وكانت الأغلبية الساحقة لطائفة يهود الإسلام فقيرة جدا ، والسياسة العنصرية في العمل وسّعت

وعمقت هذا الفقر . وقد قال الثائر الفرنسي روبسبير إن أحد أسباب فشل الثورة الفرنسية هو فقر الطبقة العاملة في فرنسا . وعندي أن أحد أسباب نجاح الثورة الفلسطينية منذ ١٩٦٥ هو توافر الأموال اللازمة للعمل الثوري . ولقد كانت الطبقة البرجوازية لدى يهود الإسلام في فلسطين ضعيفة ، وطبقة الأغنياء صغيرة جدا ؛ لم تهتم كثيراً بمصير الجماهير الكادحة ، وهاجر قسم كبير من هؤلاء الأغنياء إلى دول أوروبا الغربية وإلى أمريكا ، كما حدثت مثل هذه الهجرة بالنسبة لأغنياء اليهود في الوطن الإسلامي ، حيث فضلوا أوروبا وأمريكا على إسرائيل .

ــ بسبب انعدام التعليم المجاني ؛ انتشر الجهل في هذه الطائفة ، ولم ينمُ جيل جديد من المثقفين يدافع عن مصالحه ومصالح مجتمعه .

ــ سذاجة يهود الإسلام السياسية ؛ فبالرغم من أن أغلبية يهود الإسلام في فلسطين كانت من العمال والطبقة المسحوقة ؛ فقد كان وعيهم السياسي ضعيفاً . وبسبب ديانتهم ؛ آمنوا بوحدة اليهود على أساس ديني ، ولم يدركوا أن أغلبية الأشكناز ملحدة ؛ لاتؤمن بأي دين ، ولا تملك عاطفة التضامن الديني ، بل المبادىء العنصرية الكولونيالية . ولقد كادت المبادىء الليبرالية والديمقراطية التي انتشرت في غرب أوروبا أن تكون معدومة لدى المستوطنين الأشكناز ؛ ولاسيما تجاه أهل البلد من مسلمين أو مسيحيين أو يهود ؛ لأن المستوطنين الأشكناز ولدوا وتربوا في ظلال الدول السلطوية مثل روسيا القيصرية ، وبولندا الفاشية ، وألمانيا النازية . وهذا ينطبق على جميع الزعماء الأشكناز عدا أبا إيبان الذي درس في بريطانيا ، ولكنه ولد وتربى في جنوب إفريقيا . وأغلبية زعماء الصهاينة لم يتلقوا ثقافة جامعية أو ثانوية كاملة ؛ وإنما وصلوا إلى القمة عن طريق القنوات الحزبية ، وأدى جهلهم إلى ضيق نظرتهم السياسية . أما يهود الإسلام فإنهم عاشوا مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين في طمأنينة وسلام قروناً عديدة ، وقوّت هذه الحياة خصلة التسامح والتساهل بالنسبة للغير فيهم (وهذا ينطبق على الفلسطينيين أيضا) ؛ ولذلك لم ينتبهوا ولم يستعدوا بسرعة كافية لمواجهة هذا التحدي الكولونيالي .

لم يستخدم زعماء يهود الإسلام طريق الكفاح الجماهيري وإنما طريق المسايرة ، والنقاش المنطقي ، والتفاهم المعقول ؛ مستندين إلى القيم الأخلاقية اليهودية والإنسانية . وقد نجحت هذه الوسائل مئات السنين بالنسبة لقادة الأمة العربية والإسلامية ، ولذلك تمكن يهود الإسلام من الحفاظ على مكانتهم المشرفة في دار الإسلام ــ إلى القرن العشرين . غير إن المؤسسة الصهيونية الأشكنازية لم تتأثر بهذه الطرق الديبلوماسية واعتبرت أصحابها سذجاً ، ضعفاء . وإضافة إلى ذلك ؛ فقد كان معظم زعماء يهود الإسلام من طبقة الأثرياء الأرستقراطيين التقليديين ، ولم يكن طريق النضال الجماهيري قسماً من عقليتهم الطبنية . (**لم تكن والدتي متعلمة ، ولم تدرس السياسة ولا التاريخ ولا علم النفس ، ولكنها أدركت عقلية المستوطنين الأشكناز . قالت والدتي : « المسلم قَلْبُو رحيم يِشفَقْ ؛ بس تقولُو : دَخِيلك أبو علي ، سَوِّي معروف ، حالاً يقوم ينزع سَتْرتو ويِعْطيك يّاها ، هَذول الأشكناز قلبهم قاسي ... » . وعندما سَمِعتْ كيف عَامَلوا أحد المثقفين العراقيين قالت**

له : « لو كنت بمكانك ، كان أخذت مسدس ورُحت إلى القدس ، وقتلت أكبر عدد من الوزرا تبعهم ... » . وبعد ذلك سحقتها سيارة حكومية وقتلتها (١٩٧٧) ، ورفضت الشرطة تقديم الجاني إلى المحاكمة . هكذا قتلت أمي وهي في السابعة والسبعين من العمر) .

ولم يدرك يهود الإسلام الطبيعة العنصرية للقومية الصهيونية الأشكنازية ؛ لأن الآراء العنصرية والقومية كانت (ولاتزال) بعيدة وغريبة عن نطاق تفكيرهم وعقليتهم . ولم يعرف المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية بما فيه المسلمون والمسيحيون واليهود ــ هذه الآراء . وإذا حصلت بعض المضايقات ؛ فقد كانت لأسباب طائفية ــ دينية . ومبدأ القومية لم يظهر إلى الوجود إلا في عهد الثورة الفرنسية ــ في أواخر القرن الثامن عشر ــ ثم استجلب إلى الشرق الأوسط عن طريق الإرساليات المسيحية الأوروبية . والإمبراطورية الإسلامية لم تكن قومية ــ عربية . وبعد سقوط الدولة الأموية تلاشى العنصر الغربي في الحكومة ، وارتفع شأن الفرس والأتراك والأكراد ثم المماليك ؛ وهم من أصل بلقاني قوقازي . وعندما سئل الإنسان من أنت ؟ أجاب أنا مسلم ، أو يهودي ، أو مسيحي ، أو بغدادي ، أو شامي ، أو بيروتي .. إلخ . حتى الاستعمار كان غريباً بالنسبة لعقلية أهل البلد ؛ لأن الإسلام لم يفتح البلدان لاستعبادها وإنما لتحريرها من العبودية الساسانية والبيزنطية . لذلك استطاعت الصهيونية أن تخدع يهود الإسلام وتستغل عواطفهم الدينية بالنسبة للقدس وفلسطين .

ــ لقد أدّى الاستعمار الصهيوني ولاسيما القمع الحضاري ، وتصوير الأمة العربية الإسلامية في المدارس كأمة متوحشة ، وإبعاد اللغة العربية عن مدارس يهود الإسلام ؛ أدّى كل هذا إلى تحطيم معنويات يهود الإسلام ، وتطوير عقدة النقص في نفوسهم ، وشلّ همتهم في الكفاح .

ــ بسبب النفوذ الصهيوني في الإعلام الغربي لم تُعْنَ وسائل الإعلام بهذه القضية ، ولم تنشر أبسط حقائقها ؛ ولذلك لم يحظَ يهود الإسلام بأية مساعدة أو تشجيع من المحافل العالمية أو اليهودية . ومضت هذه الحالة إلى يومنا هذا ؛ فلا يمكن نشر أي مقال في الصحف البريطانية ــ مثلاً ــ عن هذه المشكلة .

ــ بسبب الجرائم الصهيونية ضد الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية ، تسمم الجو ضد اليهود ، عامة ، في الشرق الأوسط ؛ لأن بعض القوميين العرب لايدركون الفرق بين الجار اليهودي العربي والمستوطن الأشكنازي الصهيوني الذي جاء إلى فلسطين ؛ من أجل التسلط والتحكم ومصادرة الأراضي . هكذا لم يكن هناك أي تضامن عربي إسلامي مع يهود الإسلام المظلومين في فلسطين . وهذا أيضا كسّر معنويات يهود الإسلام ، وأخذوا يرددون : بين حانة ومانة ضاعت لحانا .

ثم قامت دولة إسرائيل ، وجاء تهجير يهود الإسلام من جميع أنحاء الوطن العربي الإسلامي إلى إسرائيل ؛ حتى ارتفعت نسبتهم في الوسط اليهودي وبلغت ٧٠٪ ، ولكن مكانتهم السياسية ظلت هامشية . وسيطر الصهاينة الأشكناز على مئات الآلاف الذين هاجروا من أرض الإسلام ؛ سيطروا

عليهم من الناحية الحضارية والثقافية ولاسيما الاقتصادية . وفصلوا الزعامة السياسية التي بقيت في القدس وفي المدن الكبرى عن جماهير يهود الإسلام في المعسكرات . إضافة إلى ذلك ؛ فقد هاجر بعض زعماء يهود الإسلام إلى الدول الغربية ، الأمر الذي أضعف طوائفهم في مجابهة إسرائيل . وفي المعسكرات تمكنت المؤسسة الحاكمة من سحق العناصر التقدمية الواعية ؛ التي كانت قد اشتركت في النضال من أجل التحرر القومي والاجتماعي في البلدان العربية . وسوف نفصل هذه الأمور في الفصول القادمة . إضافة إلى ذلك ؛ تمكن الإعلام الصهيوني من إلهاء الجماهير بالنزاع العربي الصهيوني ، مهدداً بأن انتصار العرب سوف يؤدي إلى إبادة جميع اليهود في فلسطين على اختلاف طوائفهم . وبسبب الطائفية العمياء لم تظهر جبهة الناطقين بالضاد ضد المستوطنين الصهاينة الأشكناز .

الفصل الرابع

تهجير يهود الإسلام إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨

اليهود العرب يرفضون الصهيونية والاستعمار :

تدعى الحركة الصهيونية أنها « حركة التحرر القومي للشعب اليهودي » ؛ أما الحقيقة فهي أن هذه الحركة هي حركة قومية أوروبية أشكنازية ، حاولت حل مشكلة اضطهاد يهود أوروبا عن طريق الاستيطان الكولونيالي في فلسطين .

ويمكن إرجاع عدم اشتراك جماهير يهود الإسلام في المنظمة الصهيونية ــ لأسباب مختلفة ، أهمها مايلي :

أولاً : لم يعان يهود الإسلام من الاضطهاد والعنصرية باستثناء بعض الحوادث الشاذة التي حدثت في أطراف العالم الإسلامي ؛ مثل اليمن وإيران والمغرب . أما في المناطق المركزية ــ السُنّية ــ فقد تمتع اليهود بالتسامح الإسلامي كأهل الذمة وأهل الكتاب (انظر الفصل الأول) .

ثانياً : إن الآراء القومية والعنصرية التي انتشرت في أوروبا في القرن التاسع عشر كانت ولاتزال غريبة بالنسبة لعقلية الإنسان الذي عاش في « دار الإسلام » ؛ بما في ذلك اليهود ، وقد شرحنا هذا في الفصل السابق . وبالرغم من استيراد مبدأ القومية إلى العالم العربي والإسلامي في القرن التاسع عشر ؛ عن طريق الإرساليات المسيحية الأوروبية ــ فإننا لانستطيع أن ننكر أن جذور الإسلام أعمق بكثير من جذور القومية العربية . ولانعني هنا الإسلام من الناحية الدينية فقط ؛ بل نقصد أبعاده الحضارية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية ؛ ولذلك تمكن الإسلام من أن يوحد جميع السكان في « دار الإسلام » على اختلاف أديانهم وأصولهم العرقية . ومما يجدر ذكره ؛ أن الصهاينة عندما يذكرون صلاح الدين الأيوبي ؛ لاينسون تعريفه بأنه « الزعيم الكردي » ، وهذا يعكس أفكارهم القومية المتطرفة ، واستغلالهم للحركة الكردية في العراق . غير إن صلاح الدين الأيوبي لم يَرَ نفسه كزعيم كردي وإنما كزعيم إسلامي ، ولم يحارب من أجل « القومية الكردية » وإنما من أجل كرامة الأمة الإسلامية جمعاء . وكان لليهود في الإمبراطورية الإسلامية نظرة دينية حضارية ؛ إذ رأوا أنفسهم كطائفة دينية وكجزء من الأمة الإسلامية والإمبراطورية الإسلامية ، وبقيت عواطفهم

بالنسبة للقدس دينية ؛ والقدس حسب الديانة اليهودية ستكون مركزاً للدولة الإلهية العالمية ــ يوم القيامة ؛ وسيسود في هذه الدولة العالمية العدالة والحق والسلام بين جميع الشعوب الكبيرة والصغيرة . وكل هذا لاينطبق على الدولة الإسرائيلية التي دمرت الشعب الفلسطيني ؛ واعتدت على مصر وسوريا ولبنان ... إلخ . وقد رأينا في الفصل الثاني من هذه الدراسة أن اليهود اليمنيين لم يهاجروا إلى فلسطين إلّا بعد أن قيل لهم : إن المسيح اليهودي المنتظر على وشك الظهور ، وإن يوم القيامة قريب .

ثالثاً : إن الحركة الصهيونية حركة علمانية ملحدة بأغلبيتها الساحقة . لقد عشت في ستة كيبوتسات تابعة لحزب المباي (حزب العمل حاليا) غير الماركسي ؛ ولم أرَ أي أشكنازي يؤمن بالله . صحيح توجد أحزاب دينية صغيرة ؛ ولكنها تستغل الدين لأغراض سياسية . ومنذ ١٩٦٧ وصلت إلى إسرائيل جماعات من اليهود الأمريكيين مثل الرابي مارتن كاهانا ، والعصابات الأشكنازية الإرهابية في الضفة الغربية وقطاع غزة ؛ وقد تأثر هؤلاء بالحركات الدينية المسيحية التي ظهرت مؤخراً في الولايات المتحدة ، ثمت شجعتهم المؤسسة الصهيونية لتبرير احتلال الضفة الغربية ؛ التي كانت مركز الدولة اليهودية في التاريخ القديم . ثم إن تظاهر زعماء إسرائيل بالدين ولاسيما عندما يأتون إلى الغرب لجمع التبرعات من اليهود المتدينين ؛ هو « Business » ممتاز ؛ إذ إن إسرائيل لاتستطيع أن تجمع التبرعات إلّا في المعابد اليهودية في الغرب . إضافة إلى ذلك ؛ فمنذ أن قامت هذه الدولة حتى تأليف حكومة الوحدة القومية (العمل والليكود معاً) ؛ لم يستطع أي حزب أن يؤلف حكومة بدون الأقلية الدينية التي كانت « لسان الميزان » في المعركة السياسية بين اليمين الصهيوني واليسار الصهيوني (بالرغم من هذه الحقائق يشدد معظم العرب على الطابع الديني للصهيونية ولإسرائيل ؛ وهذا يدل على قلة معرفة العرب بما يجري داخل الكيان الصهيوني) . إذن فقد أبعدَ إلحاد الصهاينة الذين يأكلون الخنزير ويطيحون بالتقاليد اليهودية عبر الحائط ــ يهود الإسلام عنهم منذ بداية الحركة الصهيونية ؛ لأن يهود الإسلام ــ كمجتمع ــ تقليديون يؤمنون بالله كباقي المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط .

إن الحركة الصهيونية تؤمن بهجرة جميع اليهود أو معظمهم إلى فلسطين كحل سياسي . والهجرة الجماعية ليست غريبة بالنسبة للعقلية الأشكنازية ؛ لأن تاريخ يهود أوروبا مملوء بالاضطهاد والتشريد . لقد كانوا يُطْرَدون من بلد إلى آخر ؛ ثم أخذوا يهاجرون من بلد إلى آخر ، لأسباب اقتصادية ؛ وأخيراً هاجر معظمهم إلى أمريكا خلال القرنين الأخيرين ــ ولذلك اعتبرت الشعوب الأوروبية اليهودَ الأشكنازَ أجانب بدون جذور . أضف إلى ذلك ؛ أن اليهود الأشكناز عاشوا في غيتوات خاصة مغلقة ؛ منفصلين عن باقي الشعب الذي يحيط بهم ؛ لايعرفون لغته (لغة الأشكناز هي الإيديش*) ولا عاداته ، ولا يلبسون ملابس جيرانهم ، ولايطبخون نفس المأكولات . ومضت

* الإيديش أو اليديشية ــ وهو الاسم الأكثر تداولاً لها في المراجع العربية ــ هي لغة معظم اليهود في أوروبا الشرقية حتى الحرب العالمية الثانية ، وهي من أصل جرماني ، وفيها كلمات عبرية ، وآرامية ، وكلمات أخرى من بلاد متفرقة ــ حيثما حلّ اليهود ، وتكتب بحروف عبرية .

هذه الحالة إلى القرن التاسع عشر ؛ وفي بعض المناطق إلى القرن العشرين . أما يهود العالم الإسلامي ؛ فإن مبدأ الهجرة الجماعية كان غريباً بالنسبة لعقليتهم ؛ لأنهم لم يطردوا من أي بلد عربي إسلامي (عدا الأندلس ــ عند سقوط دولة العرب والمسلمين فيها) ، ولم يعيشوا في غيتوات خاصة مغلقة وإنما عاشوا في أحياء خاصة أو في أحياء مختلطة . كما شاركوا الأمة الإسلامية ــ اللغة والحضارة والتقاليد واللباس والأخلاق والمأكولات . (**لقد رفض والدي أن يغير ملابسه التقليدية العربية : رفض البدلة الأوروبية ، واستمر في لبس الطربوش صيفاً والكوفية شتاءً ، ورفض تقليص شواربه الطويلة مثل « الأفندية » وكان يقول : « شوارب الرجل هي رمز شرفه ورجولته » . وكان يعتز بلبس عباءته المطرزة بالفضة ، ويحتقر الجيل الحديث الذي يقلد الأوروبيين . ورفض رفضاً باتًّا أن يتكلم باللغة العبرية ومضى يستعمل اللغة العربية إلى أن مات . وكان يتحدّى اليهود الأشكناز ويزعجهم قائلاً : « أنا جمال عبد الناصر » وكانت لهذا التصريح معان كثيرة لم يشرحها** ...) .

إن جذور يهود الإسلام عميقة في أرض الإسلام ، ولم يعتادوا على النزوح إلّا ضمن العالم الإسلامي . وفي حين أن اليهود الأشكناز كانوا غرباء في أوروبا ، أي شعروا شعور الأجانب وعوملوا كأجانب ؛ فإن يهود الإسلام دائماً شعروا بأنهم أهل البلد ولم يعاملهم المسلمون كأجانب ؛ إذ عاشوا في الهلال الخصيب وشمال إفريقيا قروناً عديدة قبل الفتوحات الإسلامية ؛ واستعربوا مع باقي السكان . أما بالنسبة ليهود الجزيرة العربية ولا سيما اليمن ؛ فقد استعربوا في العصور الغابرة . ومعنى هذا أن يهود الإسلام عاشوا في هذا الوطن منذ فجر التاريخ ؛ إلى أن نقلوا إلى إسرائيل بعد ١٩٤٨ . لهذا ؛ يشعر اليهودي العربي بأنه من أقدم سكان دار الإسلام ، وكثيراً ماكان ينظر إلى سكان الريف المسلمين الذين كانوا ينتقلون إلى المدن ــ حيث سكن عادة ــ باعتبارهم « غرباء » جاءوا من « برّه » . ومعظم اليهود العرب ولاسيما العراقيون واليمنيون والمغاربة يلفظون الحروف العربية ؛ حتى في لهجتهم العامية ؛ بصورة قرآنية صحيحة (مثل القاف والثاء والذال والضاد والظاء) ؛ مما يثبت أصلهم العربي القُحّ ؛ بالمقارنة بالعرب الذين تأثروا باللهجات التركية والفارسية في لفظ الحروف الآنفة الذكر . واليهود الأندلسيون (سفارادیم) الذين طردوا مع إخوانهم المسلمين وهاجروا إلى تركيا والبلقان وشمال إفريقيا ؛ ليسوا « أوروبيين » كما يدعي المؤرخون الصهاينة (مثل ؛ برنارد لويس) ؛ وإنما عرب من أبناء الأمة الإسلامية . ولما كانت إسرائيل تحاول طمس الهوية العربية الإسلامية لهؤلاء اليهود ؛ فالواجب أن نشدد على أصلهم العربي الإسلامي ــ إذا أردنا إعادتهم إلى الحظيرة الإسلامية ، وربطهم بعجلة الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار . والخلاصة أن الهجرة الجماعية التي نادى بها الصهاينة كانت مبدأً أجنبيا أبعد يهود الإسلام عن المشروع الصهيوني .

رابعاً : إن الصهيونية حركة كولونيالية تتحكم في أهل البلد ، والمستوطنون الأشكناز يتميزون بالغطرسة والغرور ، وقد سمع يهود الإسلام كثيراً ؛ من أقربائهم اليهود الفلسطينيين ومن أصدقائهم الذين هاجروا إلى فلسطين ثم عادوا إلى أوطانهم ــ عن التمييز العنصري الصهيوني ــ الأشكنازي ،

وقد لاحظ يهود الإسلام أن جميع قادة الحركة الصهيونية ، كانوا أشكنازاً فقط . وأبعد هذا التمييز يهود الإسلام عن المشروعات الصهيونية . وأكثر من هذا ؛ اشترك الواعون من يهود الإسلام مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين في النضال ضد الصهيونية والاستعمار . ففي مصر ، مثلاً ؛ أرسل أحد الصهاينة الأشكناز في تاريخ ٣١ /١٢ /١٩١٠ ــ برسالة إلى المكتب الصهيوني في كولون ؛ يصف فيها معارضة اليهود العرب المصريين للآراء الصهيونية والتقاليد الصهيونية . يقول الكاتب ــ وهو عضو في جمعية « أحباء صهيون » ــ إن الأغلبية الساحقة في المجتمع اليهودي المصري من اليهود العرب ؛ بما فيهم القرّاءون (اليهود الذين يؤمنون بالتوراة ، لا بالتلمود والسنة اليهودية) . أما الأقلية التي هاجرت من أوروبا خلال ثلاثين السنة الماضية ؛ فهي التي تعمل من أجل الصهيونية ، ولا تستطيع هذه الأقلية أن تندمج في حضارة أهل البلد . ثم يضيف ؛ إن نشاط الأشكناز الصهيوني قد باء بالفشل ؛ بسبب معارضة اليهود المصريين . ويشير الكاتب إلى أن رئيس الطائفة اليهودية المصرية : م . قطاني قد استهزأ بنظرية هرتسل بشأن إقامة دولة يهودية [لانداو] . وانضم الكثير من المثقفين اليهود إلى إخوانهم المصريين في النضال ضد الاستعمار البريطاني ؛ وفي مقدمتهم يعقوب صنوعة* الملقب « أبو نادره » ، وقد نفاه الإنكليز إلى باريس حيث مضى في كتاباته ضد التحكم الأجنبي . وكان أبو نادره من طلائعيي مبدأ « مصر للمصريين » و « مصر لجميع المصريين » ، ورفع هذا الشعار في الاجتماعات الشعبية أمام الأهرام . وفي القاهرة التفّ الحزب المعادي للصهيونية حول رئيس المجمع ، وقد عين شخصاً مسيحيا لإدارة مدارس الطائفة ، وللتصدى للصهيونية في المدارس اليهودية . وكان اليهود الأشكناز الصهاينة يُصرّون على توجيه الأموال نحو المشروع الصهيوني في فلسطين ، أما اليهود المصريون فقد طالبوا بتوظيف هذه الأموال في مصر ، وأشاروا إلى أن توظيف الأموال في المشروع الصهيوني يحكم على الطائفة اليهودية المصرية بالفقر والتفكك . وانفصل المهاجرون الأشكناز في مصر عن اليهود المصريين ؛ لا بسبب حضارتهم وصهيونيتهم فحسب بل بسبب إلحادهم أيضا . ولمّا كانت الصهيونية السياسية ملحدة فقد كوّن الصهاينة الأشكناز عنصراً أجنبيا في كل شيء ؛ بالنسبة لليهود المصريين المؤمنين . وفي الأندية الأشكنازية تركز الحديث في شئون اليهود في أوروبا ؛ كأن يهود الإسلام غير موجودين مطلقاً . (وتلاحظ الكاتبة المصرية اليهودية بات يؤر : « أن النشاط الصهيوني الذي كان يعلو فوق بعضه البعض ؛ لَيَغْمُرُ المياه اليهودية المصرية دون إن ينفذ في العمق أو يتّحد معها » . فماذا تعني الصهيونية المشربة بالفكر الروسي لهؤلاء الشرقيين المعجونين بالفكر العربي والمتأثرين سطحيا بالقيم الغربية ؟ ماهي الحلول التي طرحتها لمشاكلهم ؟ إنها لم تكن إلّا جسماً غريباً ...) [الأزمنة الحديثة ــ الفرنسية ، بات يؤر ، ص٨٥] .

* يعقوب صنوع : (١٨٣٩ ــ ١٩١٢) ، مؤلف مسرحي وصحفي مصري ، أنشأ أول مسرح في مصر ١٨٧٠ ، لقبه البعض بموليير مصر ، وكان يعرف باسم أبو نضارة ، وقد أصدر أول صحيفة فكاهية كاريكاتورية سياسية واجتماعية في العالم العربي عام ١٨٧٦ ، وكانت تحمل هذا الاسم .

وفي أيّار ١٩٣٨ (خلال الثورة الفلسطينية الكبرى) ؛ عندما كان بعض العازاريين يتظاهرون ضد « اليهود » ؛ وعندما طالب البرلمان المصري باتخاذ إجراءات ضد اليهود المرابين — وجّه رئيس الطائفة اليهودية في القاهرة والإسكندرية ؛ رسالة باسم اليهود المصريين — على أرض إسلامية بالأصل — متحفظة فيما يتعلق بالصهيونية في فلسطين . وتبرهن هذه الرسالة على ماقاله الزعيم الصهيوني الكبير حيم وايزمان بأن « الصهيونية غير موجودة في مصر » . وقد شددت الكاتبة المذكورة أعلاه على أن الصهيونية تعرض الطائفة اليهودية المصرية للخطر . وفي الأربعينيات ؛ التحق الكثير من اليهود بالحزب الشيوعي المصري أو بمنظمة م . د . ل . ن . الديمقراطية للتحرر الوطني . وشكل القراءون في القاهرة منظمة شيوعية خاصة بهم (النجمة الحمراء) ؛ من أجل مكافحة الصهيونية والاستعمار . وعلى الرغم من هذه الحقائق ؛ اتهمت الأوساط الطائفية في مصر جميع اليهود بالصهيونية ، وبمساعدة الاستعمار . وبعد قيام إسرائيل — وخصوصاً بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ — اضطر اليهود المصريون إلى الهجرة من الوطن الذي عاشوا فيه أكثر من ألفي عام ؛ ومن ضمن ٧٩٠٠٠ يهودي عام ١٩٤٦ ؛ لم يبق إلّا ٢٠٠٠ نسمة . وقد هاجر ثلثا من هاجروا إلى الغرب على حين أضطر الثلث الفقير إلى الهجرة إلى إسرائيل ؛ وهذا يبرهن على هامشية النشاط الصهيوني في الطائفة اليهودية . وفي إسرائيل فُرض عليهم قانون التجنيد الإجباري . وأدرك أنور السادات — بالرغم من كارثة كمب ديفيد — خطأ تهجير اليهود من مصر ، وقال في خطابه في إسرائيل : « مصر ترحب بعودتكم إليها كمواطنين من الدرجة الأولى » ملمحاً إلى مواطنيتهم من الدرجة الثانية في إسرائيل [اسكندراني ، خمسين ، رقم ٥ ، ص ٣٠ — ٣٤ ، وكذلك شبلاق] .

وفي الجزائر قضت السلطات الفرنسية على الحكم الذاتي الذي تمتع به اليهود تحت حكم الإسلام ؛ ففي ١٨٧٠ فرضت عليهم الجنسية الفرنسية لفصلهم عن الشعب الجزائري المسلم ، واضطروا إلى قبول الثقافة الفرنسية . وقد رفض الكثير منهم تسجيل ولادة أطفالهم في السجلات المدنية ، ونصح رجال الدين طائفتهم بعدم إرسال أولادهم إلى المدارس الفرنسية ، كما أعلنوا يوم صيام ؛ احتجاجاً على قانون كريميو ، وطلب بعضهم العودة إلى اللامواطنية . وقال أحدهم : « لم أسمع من قبل أن أحداً ينكر هويته ، وكنت أنظر إلى نفسي دائماً على أنني أحيا في ظل الشريعة الموسوية . إنني أعلن استنكاري لقانون كريميو » ؛ فأُحيل إلى القضاء ، غير إن القاضي أطلق سراحه قائلاً : « إنني لا أفهم كيف يُجبر الناس على أن يكونوا فرنسيين » . وهاجرت عدة أسر إلى تونس ؛ لكي لاتفقد شخصيتها . وأخيراً تمكنت السلطات الفرنسية من فرنسة ثلاثة أرباع يهود الجزائر . أما الصهيونية فقد فشلت في محاولاتها لاستجلابهم ؛ إذ إن ٩٩٪ منهم هاجروا إلى فرنسا (١٥٠٠٠٠ نسمة) . وفي تونس ؛ هاجر ٦٠٪ من اليهود إلى فرنسا وبلدان أوروبية أخرى [شوراقي ، ١٩٦٨ — وشيختمان ، ١٩٦٠].

وفي العراق اشترك اليهود في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية مناضلين من أجل التحرر من الاستعمار وأعوانه . ومن ضمن الكتاب اليهود اشتهر مئير بصري ، والشاعر أنور شاؤل ، ومراد

ميخائيل ، ويعقوب بلبول ، وسليم درويش وأخوه سلمان ، وإبراهيم يعقوب ، وعبيدة وسليم الكاتب ، وسليم قطان . وكان الكُتّاب اليهود أول المترجمين من اللغات الأوروبية إلى اللغة العربية ، ونشروا جرائد ومجلات مختلفة مثل : الحارس (١٩٢٠) والمصباح (١٩٢٤ - ١٩٢٩) والحصد (١٩٢٩ - ١٩٣٧) والبستان (١٩٢٩ - ١٩٣٨) والبريد اليومي (١٩٤٨) - كلها باللغة العربية طبعاً ، كما اشتركوا في صحف ومجلات عراقية وعربية أخرى . ومنذ العشرينيات ؛ برز اليهود في المسرح العراقي الحديث ، وامتازوا بصورة خاصة في الموسيقى العراقية والعربية ؛ فمن ضمن مائة الموسيقي العراقي الذين ذكروا في كتاب ح . قجمان (١٩٧٨) - نلاحظ ٣٢ يهوديا عراقيا [شبلاق ، ص٢٨] .

وتتهم بعض الأوساط القومية المتطرفة اليهود العراقيين بالتعاون مع الاستعمار ؛ مستندة إلى معارضة بعض وجهاء اليهود لاستقلال العراق ، غير إن مثل هذا الموقف نجده لدى الوجهاء المسلمين والمسيحيين في الشرق الأوسط ــ لاحظ تقرير المندوب السامي البريطاني في العراق (١٩٢١/٦/١١) إلى وزير المستعمرات (CO - ٧٣٠/٢/٣٤٩٥٥) . واعتقد كثير من يهود الشرق الأوسط أن تجزئة الوطن العربي ، وإقامة دويلات صغيرة وحكومات إقليمية تحت زعامة هذه الطائفة أو تلك ؛ قد تهدد سلامة الأقليات الدينية ، وتشجع النعرات الإقليمية والطائفية . وأيدت هذه النظرة طوائف أخرى (أذكر هنا لبنان !) . أما بشأن مكافحة الصهيونية ؛ فقد أرسل بعض زعماء اليهود برقيات إلى جريدة « العراق » وجريدة « النهضة » في ١٩١٨/٩/١ ؛ عبروا فيها عن تأييدهم للقضية العربية ضد وعد بلفور [عبد المحسن ، ١٩٨٣ ، ص ٢٥٣ - ٣٤٠] . وفي ١٩٢٩/٩/١٣ ؛ اشترك اليهود في الاجتماع القومي في جامع حيدر خانة ؛ وخطب فيهم جعفر أبو التمن وآخرون ، واتهم الشاعر اليهودي أنور شاؤل الاستعمار البريطاني في قضية فلسطين ، وأعلن أن وعد بلفور يهدف إلى خدمة الأماني الاستعمارية [نفس المصدر] . وبخصوص النشاط الصهيوني في العراق ؛ يعتقد هـ .ج . كوهين - في كتابه « النشاط الصهيوني في العراق » - أن الوجود البريطاني كان من أهم عوامل العمل الصهيوني في العراق . ففي آذار ١٩٢١ سمح الإنكليز للجمعية الصهيونية لبلاد الرافدين بالنشاط الصهيوني ، وبعد سنتين ألغيت هذه الرخصة ، غير إن حفنة من اليهود الأشكناز الأجانب استطاعت الاستمرار في جمع التبرعات للصهيونية ، و«تمثيل » اليهود العراقيين في المؤتمرات الصهيونية العالمية . وبالرغم من مساعدة الإنكليز للمبعوثين الصهاينة ؛ قابلت الجماهير اليهودية في العراق الصهيونية بعدم الاكتراث ، أو العداء . وعندما سمح لـ « اللجنة الصهيونية » بالعمل السياسي ؛ قابل وفد من زعماء اليهود المندوب السامي البريطاني للتعبير عن معارضته (أي الوفد) لهذا الإجراء . وهكذا فشلت الصهيونية في استقطاب أية شخصية مسؤولة عدا شخصاً واحداً يدعى « هوري » واسمه الحقيقي هرون ساسون . وفي الذكرى السنوية لوعد بلفور كتب السير أرنولد ولسون إلى وزارة المستعمرات يقول إن وعد بلفور لم يثر أي اهتمام في العراق ، ثم أضاف أنه ناقش الأمر مع شخصيات يهودية ؛ إلا أن هذه الشخصيات أعربت عن تمسكها بالوطن العراقي ، ووصفته بأنه « جنة » بالمقارنة بفلسطين « البلد الفقير » - على حد قولهم [شبلاق ، ص

٤٢ و ٤٣] . وكان هذا موقف مناحيم صالح دانيال أيضاً ؛ فقد بعث دانيال ؛ وهو من زعماء اليهود في بغداد ومن كبار الملّاك – برسالة إلى المنظمة الصهيونية العالمية ؛ توقع فيها أخطار الصهيونية بالنسبة لليهود العراقيين ، ولمح إلى أن هذه الحركة قد تحول يهود العراق إلى فئة أجنبية ، وقد تهدم العلاقات بينهم وبين جيرانهم المسلمين ؛ « لأن كل عربي يشعر بأنها (أي الصهيونية) تشكل خرقاً لحقوقه المشروعة ، وأن من واجبه أن يستنكرها ويكافحها بكل جهوده » . ويضيف دانيال : « وبالنسبة للإنسان العربي ؛ أي تعاطف مع الصهيونية لايُعدّ إلّا خيانة للقضية العربية » . ثم يربط الكاتب هذه الأخطاء بالموقف الحساس لليهود العراقيين ؛ بسبب نفوذهم الاقتصادي ووظائفهم الحكومية ولاسيما في بغداد ؛ حيث شكل اليهود ثلث السكان [نسيم رجوان ، ص ٢٠٧ – ٢٠٩] . وندد بالصهيونية أيضاً أحد كبار محاميّ اليهود البغداديين : يوسف الكبير ؛ في جريدة « عراق تايمز » الإنكليزية (١٩٣٨/١١/٥) . ووصف الكبير وعد بلفور بأنه عمل سياسي خطير وبهلواني ، كما أبرز سخافة المغالطة التاريخية التي يستخدمها الصهاينة بشأن ربط « حقوقهم » بدولة العبرانيين ؛ التي اندثرت قبل ألفي عام .

وبعد الحرب العالمية الثانية أرسلت المنظمة الصهيونية وفوداً إلى البلدان العربية ؛ لتهريب اليهود إلى فلسطين ، غير إن الطوائف اليهودية تصدّت لهذه المحاولات ، ولم يبلغ عدد اليهود الذين هربوا من العراق مثلا خلال ١٩٤٦ ــ ١٩٤٨ إلا ٦٥ شخصاً [قمحي ، ١٩٧٦ ، ص٦٠ ــ ٦٢ ، و كوهين ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٩ ــ ١١٢] . وقد تحدثت شخصيا (المؤلف) مع هؤلاء المهاجرين وقالوا لي إنهم كانوا آنذاك أطفالاً وإن عملاء الصهاينة خدعوهم فتركوا العراق بدون معرفة أو موافقة عائلاتهم . وبدأت هذه الهجرة منذ بداية الحرب العالمية الثانية ولاسيما بعد الفرهود وحركة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ ، وشملت العراق وسوريا ولبنان وبلدان أخرى ، وشكلت مأساة بالنسبة لآباء وأمهات هؤلاء الأطفال . وذهب بعضهم إلى السفير العراقي بالقدس وبكوا أمامه وطلبوا منه أن يعيدهم إلى وطنهم . ويفيد أحد المبعوثين الصهاينة : دان رام ــ في رسالته (٤٥/١٠/٩) إلى يغآل ألون ؛ قائد العمليات الخارجية لمنظمة الهاغانا ــ أن النشاط الصهيوني بالعراق قد باء بالفشل ، واقترح عودة المبعوثين الأشكناز إلى فلسطين [كوهين ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٩] . وأرسل أنسوسيريني ؛ رئيس البعثة الصهيونية السرية بالعراق ــ برسالة إلى الوكالة اليهودية عبَّر فيها عن فشل الحركة الصهيونية «بسبب عدم تحمس اليهود العرب للصهيونية » [نفس المصدر ، ص١٥٦] . حتى بعد أعمال القتل والنهب التي حدثت في العراق بعد فشل حركة الكيلاني عام ١٩٤١ ــ لم يبدِ اليهود العراقيون أي تأييد لمبدأ الهجرة . ويعلل سيريني هذا بقابلية اليهود للنسيان والملاءمة ، وكذلك بالتطور الاقتصادي السريع الناتج عن الحرب ، وبمنح التعويضات من قبل الحكومة لليهود المنكوبين [ولفسون ، ص١٤٦ و ١٤٧] .

أما مونيا مردور المبعوث الصهيوني إلى سوريا ولبنان ؛ فقد كتب أن اليهود هناك غير معنيّين بالهجرة ، وحاولت المنظمة السرية أن تؤثر على الشباب فقط [نفس المصدر ، ص١٤٣] .

وعندما وصلت روت كليغر إلى مصر ؛ لتنظيم هجرة اليهود ، وجمع التبرعات من الأغنياء — صرح رئيس الطائفة اليهودية في القاهرة : قاطاني باشا — بأنه سوف يحرّض الكلاب عليها وعلى كل مبعوث صهيوني [نفس المصدر ، ص١٤٤] . وكانت هذه المبعوثة رئيسة مؤسسة تهريب اليهود في مصر .

ووجد المبعوثون لدى وصولهم إلى تونس بعد الحرب العالمية الثانية — أن اليهود التونسيين لايكرهون الألمان ، ولم يصدّقوا أن الألمان قد ذبحوا اليهود في بولندا ؛ لأن الباشا المسلم في تونس أعطاهم الأمان في اجتماع خاص في قصره ؛ حضره رؤساء الطائفة اليهودية وزعماء المسلمين . ووعد الباشا المواطنين اليهود بأنه سوف يحميهم ؛ لأنهم « أهل الذمة » (هكذا أنقذ جميع اليهود المغاربة من أيدي النازيين الذين سيطروا على المغرب العربي) . وعندما اشتد نشاط المبعوثين الصهاينة بعد الحرب ؛ طالب زعماء الطائفة التونسية بطردهم من البلاد ؛ ولذلك أُحضروا أمام السلطات التونسية ، وطلب منهم قراءة رسائل الطائفة اليهودية التي تندّد بنشاطهم ، ثم طردوا من تونس [نفس المصدر ، ص١٤٨ و ١٤٩] .

وفي وثبة ١٩٤٨ ؛ اشترك اليهود العراقيون مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين في النضال ضد سياسة صالح جبر المؤيدة لبريطانيا ، ومعاهدة « بورت سميث » . وعندما قتل المناضل اليهودي شمران علوان بأيدي الشرطة ؛ وصفته جريدة اليقظة (القومية اليمينية) بأنه شهيد الشعب العراقي في نضاله من أجل الحرية (٥/٢/٤٨) . ونشرت اليقظة أيضا أسماء اليهود الذين دفعوا التبرعات لمساعدة كفاح الشعب العربي الفلسطيني [انظر أعداد اليقظة في : ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ من شباط ، و٧ ، ٢٨ من آذار — ١٩٤٨] .

وفي ١٩٤٦ ؛ أسس يهود العراق مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين — عصبة مكافحة الصهيونية ؛ لمقاومة الدسائس الصهيونية والهجرة السرية ، ومن أجل الحفاظ على الهوية العراقية والعربية لليهود . يقول أطلس (في معرخوت ١٩٦٩) : « في حين أن الاجتماعات الصهيونية السرية كانت تشمل ٣٦ شخصا تقريباً عام ١٩٤٨ ؛ كانت جريدة العصبة تنشر ٦٠٠٠ نسخة يوميا » [ص٢٤٧] .وفي أكتوبر ١٩٤٩ ؛ ألقت الشرطة القبض على ٤٨ يهوديا مشبوهاً بالصهيونية ، ويعلق كوهين [١٩٦٩ ، ص١٧٨] على هذا الحدث قائلاً : « إن هذه الاعتقالات قضت على المنظمة الصهيونية في العراق » .

واعترف السياسي الياهو إيلات أن « اليهود العرب لايريدون تحويل ولائهم إلى إسرائيل [٢/١١/ ٤٩ : من واشنطن إلى وزارة الخارجية البريطانية — برقية رقم ٥١٨٢ ، وزارة الخارجية — ٧٥١٨٧ /٣٧١] .

وفي أثناء الحملة الدعائية الصهيونية لـ « إنقاذ اليهود العراقيين » ؛ صرح الحاخام باشي ساسون خضوري بقوله : « إن الزعامة المسؤولة ليهود العراق تؤمن بأن هذا البلد هو وطنهم في السراء

والضراء » ، وإن « هذه الزعامة مقتنعة بان الضراء سوف تزول »[برغير ، ١٩٥٥ ، ص٣٠] . وفي ١١ /١٢/ ٤٩ ؛ استقال الحاخام ساسون خضوري من منصب رئاسة الطائفة اليهودية بالعراق ؛ بسبب عدم إلغاء القيود التي فرضت على اليهود إثر الحرب الفلسطينية ، وعلقت الجريدة البريطانية اليهودية « جويش كرونيكيل » (٣٠/١٢/٤٩) على الحادث قائلة : « إن الحاخام واليهود العراقيين لايحبون الصهيونية ؛ لأنها سببت لهم المصائب ، وهم يفضلون البقاء في العراق والعيش تحت ظلال الإسلام المتسامح ، وإنهم مربوطون ببيوتهم وتقاليدهم وأضرحة أنبيائهم في العراق ، وإنهم لايريدون النزوح من بلادهم والعيش في مخيمات اللاجئين في إسرائيل ، وهم يؤمنون بأن الناس هناك لايتميزون بالصداقة تجاه يهود الشرق » (بخصوص يهود العراق ؛ انظر الدراسة العلمية القيّمة التي وضعها المجاهد الفلسطيني عباس شبلاق بالإنكليزية) .

وانضم يهود الإسلام في تركيا إلى حركة مكافحة الصهيونية ، ونشروا جريدة تدعى « الماسرانت » (١٨٩٧ ــ ١٩١٩) ؛ حذرت اليهود كافة من الصهيونية [هـ . جـ . كوهين ، ١٩٦٩ ، ص٣٨ ــ ٤٧] .

وبالرغم من فرض الجنسية الفرنسية والثقافة الفرنسية على اليهود ، فقد انضم اليهود الواعون إلى حركة المقاومة الجزائرية الوطنية ولاسيما في ثورة جوزي أبو الخير ؛ في ٨/١١/٤٢ . وقد مهدت هذه الثورة الطريق أمام الجيش الأمريكي لتحرير المغرب العربي من الألمان . وعندما أيقن اليهود أن الفرنسيين قد أفسدوا علاقاتهم مع جيرانهم المسلمين ؛ لم ينزحوا إلى إسرائيل وإنما إلى فرنسا (لو أنهم أيدوا الصهيونية لهاجروا إلى إسرائيل ؛ وهذا يعني أنه لوكان لليهود العراقيين الاختيار ــ لما هاجروا إلى إسرائيل) .

وصوتت أغلبية اليهود في سوريا بأرجلها ! إذ إن عدد اليهود هناك حسب إحصائيات ١٩٤٣ ــ بلغ ٢٩٫٧٧٠ نسمة ، وهاجر ٢٢٫٠٠٠ نسمة منهم إلى الولايات المتحدة والبرازيل في منتصف الأربعينيات (لاندشات ، ١٩٥٠) .

وخلاصة القول هي أن الأغلبية الساحقة ليهود الإسلام قاومت الصهيونية ، أو لم تهتم بها ، وحاولت التمسك بوطنها العربي الإسلامي ، أما القلة التي تعاونت مع الصهيونية ؛ فلم تدرك معنى الصهيونية إلى أن واجهت التمييز العنصري في معسكرات العمل الرخيص في إسرائيل ، ثم نَدِمَت .

الصهيونية ترفض يهود الإسلام :

بالإضافة إلى معارضة يهود الإسلام للصهيونية ؛ علينا أن نؤكد أن هذا النفور كان متبادلاً ، وأن الحركة الصهيونية رفضت استجلاب هؤلاء اليهود وإشراكهم في مشروعاتها الاستيطانية ؛ عدا بضعة آلاف من اليمنيين والأكراد والإيرانيين الذين استجلبوا بمثابة « عمل رخيص » ؛ للقيام بالأعمال الشاقة التي لايريدها العمال الأشكناز . ومن أهم أسباب هذه السياسة نذكر مايلي :

١ ــ بما أن الحركة الصهيونية هي حركة أشكنازية أوروبية ، فلم تُعنَ إلّا باليهود الأشكناز .
٢ ــ بما أن اليهود الأشكناز شكلوا مجتمعاً مغلقاً بسبب حياة الغيتو التي عاشوها مئات السنين ؛ فقد رفضوا كل إنسان لاينتمي إلى طائفتهم .
٣ ــ لقد آمنوا بأنهم « الصفوة » في « الشعب اليهودي » ، وأن يهود الإسلام هم « مادة إنسانية متدنية » غير قادرة على العمل الطلائعي (لاحظ الفصل الثامن : آراء الأشكناز بالنسبة ليهود الإسلام) . وبما أنهم اعتبروا الإنسان العربي « مخلوقاً حقيراً » ؛ فقد نظروا إلى اليهودي الذي عاش مع العرب بنفس النظرة . علاوة على ذلك ؛ لاشك أن الخوف اللاشعوري من العربي واليهودي العربي كان كامناً في نفوسهم ، وإنْ لم يعترفوا به ؛ بسبب غطرستهم .
٤ ــ لقد كانت المشاريع الصهيونية وأحزابها تقتسم التبرعات المالية من اليهودية العالمية ، وإشراك يهود الإسلام في هذه المشاريع يعني تقليل حصة الأشكناز .

أسباب الهجرة :

إن ماحدث بعد قيام إسرائيل هو أن أغلبية اليهود هاجروا من البلدان العربية والإسلامية إلى الدولة الصهيونية . ويختلف المؤرخون في تحديد أسباب هذه الهجرة : فالمؤرخون الصهاينة يعزون ذلك إلى « اضطهاد العرب والمسلمين لليهود » ، ويقول المؤرخون المعادون للصهيونية إن هذه الهجرة المكثفة لم تكن إلا نتيجة للمؤامرة الصهيونية . ولقد بحثت (الكاتب) في هذه المشكلة ــ منذ الحرب العالمية الثانية ــ داخل المجتمع اليهودي الصهيوني وداخل مجتمع اليهود الذين عاشوا في أرض العروبة والإسلام ؛ وتوصلت إلى النتيجة التالية :

إن المؤسسة الصهيونية قررت ــ بعد الحرب العالمية الثانية ــ استجلاب جميع يهود الإسلام إلى إسرائيل ، غير إن هذا القرار بحد ذاته لم يستطع استجلاب اليهود من البلدان العربية والإسلامية إلى إسرائيل ، ولم تكفِ أيضاً جميع الوسائل الخبيثة التي استخدمتها الصهيونية مثل الغش والخداع والإرهاب والرشوة والتهريب والضغط على الحكومات العربية ... إلخ ؛ ولذلك احتاجت الصهيونية إلى عامل آخر يدفع بيهود الإسلام إلى الخارج ، وكان هذا العامل هو الطائفية التي زرع بذورها الاستعمار والدعاية النازية ، وغذاها الصراع العربي ــ الصهيوني ومأساة الشعب العربي الفلسطيني . ولكن من المحتم الامتناع عن التعميم ؛ لأن العوامل لم تكن متشابهة أو متساوية في كل مكان ، وبالنسبة لكل طبقة أو جماعة ، وهذا ينطبق على دوافع الحكومات العربية والإسلامية في السماح لليهود بالهجرة إلى إسرائيل .

خلال الحرب العالمية الثانية ؛ اتضح للمؤسسة الصهيونية أن الاحتياط الإنساني للاستيطان الصهيوني في أوروبا قد أبيد بأيدي ألمانيا النازية ، وأن اليهود الأمريكيين والبريطانيين لايرغبون في الهجرة ، وهذا ينطبق على معظم اليهود الأشكناز في الاتحاد السوفياتي ؛ لذلك غيرت المؤسسة موقفها تجاه هجرة اليهود من البلدان العربية والإسلامية . وبعد تأسيس الدولة ؛ تمكنت السلطات من استجلاب ٨١٩٠٠٠ يهودي أشكنازي (ولا سيما من الدول الاشتراكية) خلال ١٩٤٨ ــ

١٩٧٥ . ولم تكتف المؤسسة الصهيونية بهم ؛ لأن معظمهم لايحبون الأعمال الجسدية الشاقة ، ويستخدم بعضهم إسرائيل كمحطة انتقال إلى أمريكا ؛ لذلك تقرر تهجير يهود الإسلام واستخدامهم كقوة عمل رخيصة ولحوم للمدافع . وصرح بن غوريون عدة مرات بأن « الهجرة من شأنها أن تقوي أمن الدولة أكثر من أي شيء آخر » ، وأن « مصير الدولة يتعلق بالهجرة » . وصرح شمعون بيرس (زعيم حزب العمل الحالي) في أواخر الخمسينيات بأن هذه الهجرة واسعة النطاق سوف تمكن إسرائيل من تأليف جيش قوامه مليون جندي ، وسوف يساعدها هذا الجيش في فرض هيمنتها على الشرق الأوسط . وقد استنكر بن غوريون رئيس الوزراء — آنذاك — هذا التصريح لأسباب تكتيكية . وكان بيرس — آنذاك — مدير وزارة الدفاع ، ويُعدّ من صقور حزب العمل ، وقد غيّر اسمه البولوني « بيرسكي » وجَعَلَهُ « بيرس » ويعني هذا الاسم بالعبرية « نسر » ! وهدفت إسرائيل أيضاً إلى إسكان جميع الأراضي العربية التي احتلتها وشردت منها سكانها الفلسطينيين ؛ لمنع عودة أصحابها إليها ، ومن أجل « إثبات » المزاعم بأن ما جرى في الشرق الأوسط هو « تبادل سكان » بين إسرائيل والدول العربية . وهكذا ؛ بلغ عدد يهود الإسلام الذين وصلوا إلى إسرائيل في هذه الفترة ٧٥١٠٠٠ نسمة ؛ أي ٤٨٪ من مجموع الهجرة الجماعية التي بلغت ١ر٥٧٠ر٠٠٠ نسمة . ومأساة فلسطين بل والعروبة والإسلام ؛ هي أن الطاقة البشرية الهائلة التي غيّرت ميزان القوى لصالح إسرائيل لم تقدَّم بأيدي دول معادية ؛ وإنما بأيدي الدول العربية والإسلامية نفسها ، والدول الاشتراكية الصديقة . وهذا الفشل الديبلوماسي أو القومي — إنْ شئت — يحتاج إلى بحث دقيق . ومن الممكن تقييم التطورات الاقتصادية والعسكرية التي طرأت في إسرائيل نتيجة لهذه الهجرة الجماعية ؛ إذا أخذنا بعين الاعتبار أن مجموع يهود فلسطين عند إقامة دولة إسرائيل لم يتجاوز ٦٣٠ر٠٠٠ نسمة ، أي ثلث مجموع سكان البلد . كما أن الأمر يستوجب دراسة التنمية الاقتصادية التي حصلت من جراء استيراد العمل الرخيص لإسرائيل ؛ وقد بحثنا هذه القضية في الفصل التاسع من هذه الدراسة . علاوة على ذلك يجب أن نقارن هذه الهجرة بالهجرة اليهودية التي حصلت منذ بداية الاستيطان الصهيوني ؛ لمعرفة نسبة يهود الإسلام منها :

الهجرة اليهودية إلى فلسطين ونسبة المهاجرين من دار الإسلام (١٨٨٢ — ١٩٧٥)

الهجرة	الفترة	مجموع عدد المهاجرين	من دار الإسلام	نسبة يهود الإسلام
الهجرة الأولى	١٨٨٢ — ١٩٠٣	٢٥ر٠٠٠	١٠٠٠	٤ ٪
الهجرة الثانية	١٩٠٤ — ١٩١٤	٤٠ر٠٠٠	٢٠٠٠	٥ ٪
الهجرة الثالثة	١٩١٩ — ١٩٢٣	٣٥ر٠٠٠	٢٤٠٠	٧ ٪
الهجرة الرابعة	١٩٢٤ — ١٩٣١	٨٢ر٠٠٠	٩٨٠٠	١٢٪
الهجرة الخامسة	١٩٣٢ — ١٩٤٨	٢٦٥ر٠٠٠	٣٦ر٢٠٠	١٠٪
منذ قيام الدولة	١٩٤٨ — ١٩٧٥	١ر٥٧٠ر٠٠٠	٧٥١ر٠٠٠	٤٨٪

المصدر : سموحة ، ص٢٨١ .

ولقد استطاعت إسرائيل أن تضاعف عدد سكانها بعد ثلاث سنوات فقط من تأسيسها ؛ إذ إن عدد المهاجرين خلال ١٩٤٨ ـــ ١٩٥١ بلغ ٦٧٥ر٥٥٩ نسمة ، انقسموا كمايلي :

١٨٨ر٢٧١ من أوروبا الشرقية .

٨٧٠ر٢٤١ من « دار الإسلام » .

٦١٧ر٤٦ من أوروبا الغربية وأمريكا وبلدان أخرى .

المصدر : المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون ، ص١٧٨ ومابعدها .

وفي ١٩٥٤ ؛ وصل عدد المهاجرين منذ ١٩٤٨ إلى ٠٠٠ر٧٢٥ نسمة ؛ انقسموا كمايلي :

من البلدان العربية والإسلامية :

العراق	٠٠٠ر١٢٥ نسمة .
اليمن وعدن	٠٠٠ر٤٩ نسمة .
المغرب العربي	٠٠٠ر٩٠ نسمة .
تركيا	٠٠٠ر٣٥ نسمة .
إيران	٠٠٠ر٢٧ نسمة .
المجموع	**٠٠٠ر٣٢٦ نسمة .**

ومن أوروبا الشرقية (أي أشكناز ؛ عدا هجرات البلغاريين فأصلها أندلسي) :

بلغاريا	٠٠٠ر٣٨ نسمة .
هنغاريا	٠٠٠ر١٥ نسمة .
رومانيا	٠٠٠ر١٢٢ نسمة .
بولونيا	٠٠٠ر١٠٧ نسمة .
بلدان أخرى	٠٠٠ر١١٧ نسمة .
المجموع	**٠٠٠ر٧٢٥ نسمة .**

المصدر : ي . ن . شاي ، شيبط وعام ، ١٩٥٤.

وبسبب تشريد معظم الشعب الفلسطيني ؛ انخفضت نسبة الفلسطينيين من ٧٠٪ إلى ١١٪ (١٩٥٤) . وفي هذه الفترة نفسها ؛ نزح ٠٠٠ر٥٠ يهودي من البلد ، معظمهم من يهود الإسلام ؛ أي ٧٪ من مجموع المهاجرين [نفس المصدر] .

وفي ١٩٥٨ ؛ كتب إبراهيم عباس (يهودي سوري انتمى إلى أحدوت هعبودا ـــ الحزب الصهيوني الاشتراكي) في دراسته ـــ أن يهود الإسلام الذين هاجروا إلى إسرائيل وصل عددهم منذ

١٩٤٨ إلى ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة (من مجموع عدد المهاجرين في هذه الفترة البالغ ٩٠٠٫٠٠٠ نسمة) . وقد وصلوا من البلدان التالية :

المغرب العربي	١٥٠٫٠٠٠
العراق	١٢٥٫٠٠٠
اليمن	٥٠٫٠٠٠
ليبيا	٤٠٫٠٠٠
مصر	٤٠٫٠٠٠
إيران	٣٥٫٠٠٠
تركيا	٤٠٫٠٠٠
بلغاريا	٤٠٫٠٠٠
اليونان ويوغوسلافيا	١٠٫٠٠٠
الهند	١٠٫٠٠٠
بلدان أخرى	٦٠٫٠٠٠
المجموع	**٦٠٠٫٠٠٠**

المصدر : شيبط وعام ، ١٩٥٨ .

إن هجرة اليهود من البلدان العربية والإسلامية إلى إسرائيل منذ ١٩٤٨ ؛ تمثل رواية عجيبة تتطلب الدراسة المفصلة في الجامعات العربية والإسلامية ؛ لأنها لاتبرهن على إرادة المؤسسة الصهيونية ونفوذها وخداعها فحسب ، بل على تخلف البيئة السياسية والاجتماعية في الوطن العربي الإسلامي ، وسذاجة يهود الإسلام وضعفهم في مواجهة الصهيونية والاستعمار الغربي . وعندما يقرأ الإنسان العربي أو المسلم حقائق التمييز العنصري ضد يهود الإسلام في إسرائيل ؛ قد يكون قاسياً ويقول : الذنب ذنبهم ؛ لماذا هاجروا إلى هناك ؟ ولا شك أن العامل الرئيسي في هذه المأساة هو الدسائس الصهيونية ، غير إن هذا العامل لم يكن لينجح لو لم تكن له أرضية صالحة لتنمية بذوره ، ولقد كانت الطائفية التي غذاها الاستعمار ونكبة فلسطين ـــ هي هذه الأرضية .

تقول المصادر القومية العربية : إن الإنكليز والفرنسيين فضلوا اليهود في البلدان العربية ، وساعدوهم على ارتقاء المناصب الحكومية ، وشجعوا نشاطاتهم التجارية والمالية . وإذا صح هذا الرأي بالنسبة للقرن العشرين ؛ فإنه لايمثل إلّا نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر ـــ وهو الأهم ـــ فهو أن تغلغل النفوذ الغربي في العالم العربي والإسلامي قد قوّض وضع اليهود في الوسط الإسلامي ؛ منذ القرن الثامن عشر .

لقد شرحنا ـــ في الفصل الأول ـــ كيف أن الدولة الإسلامية فضلت اليهود على المسيحيين في شؤون الدولة والاقتصاد ؛ غير إن الدول الأوروبية حاولت ـــ منذ القرن الثامن عشر ؛ أن تقوي

نفوذها في الإمبراطورية العثمانية ، عن طريق التدخل في الشؤون الداخلية ، وحماية مصالح المسيحيين فيها بواسطة معاهدات « الامتيازات » وتمتع المسيحيون أيضاً بحماية الكنائس والإرساليات المسيحية الأوروبية ، ومساعدة التجار الأوروبيين . وفي الصفقات التجارية فضل التجار الأوروبيون المسيحيين على اليهود . وهنا علينا أن نذكر أن الإنكليز احتكروا التجارة في نصف الإمبراطورية العثمانية ، واحتكرها الفرنسيون في النصف الآخر ، ومنعت الشركة التجارية الإنكليزية : ليفانت — استخدام اليهود كمترجمين في سوريا الكبرى . وأخذ المسيحيون يرسلون أولادهم إلى أوروبا لكسب العلم ، وبعد عودتهم إلى الإمبراطورية ؛ كانوا يستلمون الوظائف الحكومية التي كانت تمنح لليهود من قبل . وفي الوقت نفسه استورد اللاساميون الأوروبيون (الديبلوماسيون والتجار ورجال الدين) أسطورة قتل أطفال المسيحيين بأيدي اليهود لاستخدام دمهم في عيد الفصح اليهودي ، وفي أوروبا سببت هذه الأسطورة الكثير من المذابح والنهب والحرائق ضد اليهود ؛ خلال قرون عديدة . ولم تحصل مثل هذه الاتهامات في دار الإسلام حتى القرن التاسع عشر . وأشهر أمثال هذه الحوادث في الشرق الأوسط هي حادثة اختفاء الأب توماسو ؛ عام ١٨٤٠ ؛ في دمشق ، وقد اشترك في التحريض ضد اليهود القنصل الفرنسي راتي منتون Ratti Menton . وهكذا استجلب الأوروبيون العداء لليهود إلى الشرق الأوسط ولا سيما في أوساط بعض إخوانهم المسيحيين . واستغل المستعمرون التنافس بشأن الوظائف الحكومية وبشأن التجارة بين الطائفتين ؛ لإثارة النعرات الطائفية .

أما بصدد الوضع داخل الطائفة المسلمة ؛ فعلينا أن نؤكد أن دار الإسلام قد تعرضت منذ القرن الثامن عشر لمجابهة عسكرية وحضارية وسياسية واقتصادية شرسة ؛ بلغت ذروتها عام ١٩١٨ ؛ عندما خضع دار الإسلام للسيطرة الأوروبية الكاملة . وخلال هذه الهزائم المتلاحقة انتشرت عواطف التذمر بين المسلمين تجاه الطوائف غير المسلمة ولا سيما المسيحية . وبالرغم من الحماية التي منحتها السلطات لليهود ؛ فإن وضعهم ضعف بالنسبة لجيرانهم ؛ وهذا الضعف ليس ماليا — لأن اليهود اشتركوا في التطورات الاقتصادية الحديثة ، وضاعفوا أرباحهم — وإنما في العلاقات الإنسانية بينهم وبين باقي الطوائف . ومنذ الحرب العالمية الأولى ؛ تحسنت الأحوال الاقتصادية والثقافية لدى يهود العالم الإسلامي ؛ وتزامن هذا التحسن مع تدهور علاقاتهم مع المسلمين والمسيحيين ؛ وذلك للعوامل الآتية :

— فضلت السلطات البريطانية والفرنسية الطوائف غير المسلمة في إقامة الأنظمة السياسية والاقتصادية في البلدان العربية . وكان لهذا التفضيل أسباب مختلفة مثل سياسة التفرقة الطائفية ، وكراهية المستعمرين للإسلام ، والمؤهلات المهنية التي امتاز بها أبناء الأقليات الطائفية ؛ بسبب مدارسهم الحديثة (انظر الفصل الأول) . وأدّى هذا الأمر إلى انتشار الحسد بين الطوائف .

— اختلال التوازن بين الطوائف ؛ نتيجة لإقامة الدول العربية الإقليمية .

— الدعاية التي بثها النازيون ضد اليهود في الثلاثينيات وخلال الحرب العالمية الثانية — من ذلك ؛ صوت يونس تجّري : « هنا برلين » .

ــ الاستيطان الصهيوني الأشكنازي على حساب الفلاحين الفلسطينيين ، وإقامة دولة إسرائيل ؛ وتدمير مئات المدن والقرى الفلسطينية ، وتشريد معظم أبناء فلسطين وسلب أملاكهم وأراضيهم ، وإقامة الحكم العسكري بعد ١٩٤٨ وفرضه على من تبقى من أبناء فلسطين في الكيان الصهيوني ، والاستيلاء على أكثر من ٨٠٪ من أراضي هذه الأقلية ؛ بالإضافة إلى أراضي اللاجئين . وإضافة إلى هذا كله : الدم ؛ الدم الذي جرى بين الصهيونية والعروبة ؛ دماء دير ياسين وكفر قاسم وعين زيتون ... إلخ . ثم جاء التحالف الخياني ضد مصر عام ١٩٥٦ .

ــ النشاط الصهيوني السري في البلدان العربية ولا سيما منذ الحرب العالمية الثانية .

ــ الدعاية الصهيونية المعادية للعرب في أوروبا وأمريكا ؛ تلك الدعاية التي استغلت المضايقات التي حصلت بحق يهود الإسلام ؛ من أجل تهجيرهم واستجلابهم إلى إسرائيل .

لاشك أن اليهود استفادوا من إقامة الأنظمة السياسية والاقتصادية الحديثة في البلدان العربية ، وفتحوا كثيراً من المدارس والمعاهد العلمية ، وطوروا تجارتهم ، واستلموا الوظائف الحكومية . وصرح المندوب السامي البريطاني في العراق عام ١٩١٨ ــ على سبيل المثال ــ بأنه يجب تشجيع الطائفة اليهودية في بغداد [باتاطو ، ١٩٧٨ ، ص٣١١] . ولم يحصل هذا التقدم بسبب الإنكليز والفرنسيين فقط ؛ وإنما لأسباب تاريخية أخرى : (١) أغلبية اليهود سكنت المدن ، أما أغلبية المسلمين فقد سكنت الريف . (٢) بما أن اليهود لم يكونوا قسماً من الصفوة العسكرية والسياسية في أرض الإسلام ؛ فقد تركزوا في النشاط التجاري والمالي منذ قرون عديدة ، وساعدتهم في ذلك علاقاتهم مع يهود العالم ، وعندما فتحت أبواب التقدم كانوا أسرع من إخوانهم المسلمين . (٣) حدث ــ منذ الثلاثينيات ــ أن ظهرت طبقة جديدة من أصحاب العمل والمثقفين المسلمين ؛ وجدتْ أن نسبة اليهود في الطبقة العليا والوسطى أكبر من نسبة المسلمين . وقد حصل مثل هذا التناقض في أوروبا وأمريكا وفي الدولة الإسلامية في الماضي : ففي ألمانيا ؛ استغل الحزب النازي هذا التناقض من أجل الوصول إلى الحكم وتقوية نفوذه بعد ذلك ــ في ألمانيا وفي جميع البلدان التي احتلتها ألمانيا النازية . أما في الدول الرأسمالية الغربية ، وفي الدول الاشتراكية ؛ فقد قررت الصفوة الحاكمة استغلال اجتهاد اليهودي ؛ من أجل دعم الحكم الرأسمالي في الغرب ، ومن أجل دعم الحكم الشيوعي في الكتلة الشرقية ، وفتحت أبواب المنافسة الحرة بين جميع أفراد الشعب . وفي الماضي استغلت الدولة الإسلامية اليهودي النشيط من أجل تقوية قوة الإسلام ؛ ولا سيما في الأندلسْ .

أما في الدول العربية الحديثة ؛ فقد حاولت الأوساط التقليدية ، كما حاول رجال الدين والقيادات الوطنية الديمقراطية ــ الحفاظ على مبدأ المساواة والتسامح والتنافس العادل والحر بين الطوائف . ونادت جميع العناصر اليسارية (مثل جعفر أبو التمن في العراق) بوجوب وحدة وطنية تشمل جميع الطوائف ضد الاستعمار والرجعية . غير إن الأوساط اليمينية المتطرفة كانت متأثرة بالدعاية النازية ، وآمنت بالمبدأ الذي يقول : « عدو عدوي هو صديقي » ؛ فيكون بالإمكان التخلص من الاستعمار البريطاني والفرنسي بمساعدة ألمانيا النازية . ولم تدرك هذه الفئات أن الاستعمار الألماني النازي قد

يكون أسوأ بكثير من الاستعمار البريطاني (طبعاً ؛ تأثروا أيضاً بصدد موقفهم هذا بجيرانهم اليهود) . وبالرغم من قلة مؤيدي هذه الأوساط في الطبقات العليا والمتوسطة ؛ فقد كان لها شعبية واسعة ؛ لأنها استغلت العداء الشعبي للاستعمار والتضامن الجماهيري مع ثورة الشعب العربي الفلسطيني في الثلاثينيات . ومازلتُ أذكر الزعر الذين كانوا يتوعدوننا : « انتظروا شوي ، هتلر راح يجي ويذّبحكم » . وانضم إلى هذا التيار الطائفي بعض اللاجئين السياسيين من سوريا وفلسطين ؛ الذين حرضوا إخوانهم المسلمين في البلدان العربية ضد جيرانهم اليهود (كانت منظمة التحرير الفلسطينية أول منظمة عربية إسلامية قامت بتصحيح هذا الخطأ ، وطالبت الدول العربية والإسلامية بفتح أبوابها لإعادة اليهود العرب من إسرائيل . واستطاعت منظمة التحرير الفلسطينية بعد الثورة الإسلامية في إيران ــ إيقاف هجرة اليهود من إيران إلى إسرائيل ، وأدت مباحثاتها في طهران إلى تشجيع الكثير من اليهود الإيرانيين على العودة من إسرائيل إلى إيران) .

إن أصل القضية في هذا المضمار هو أن الأوساط الطائفية المتطرفة لم تدرك الفارق بين الصهيوني الأجنبي والجار اليهودي ؛ الذي عاش في دار الإسلام منذ فجر التاريخ ، وقاسم هذه الأمة الخبز والملح . وعلاوة على ذلك ؛ فقد كان من السهل « القيام على الجار » اليهودي الضعيف بدلاً من الذهاب إلى فلسطين وتحريرها بالقوة . لقد كان هذا أكبر خطأ ارتكبه بعض القوميين العرب في القرن العشرين . لقد كانت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ كبيرة ؛ غير إن هجرة جميع يهود الإسلام نكبة أكبر ؛ لا بالنسبة لليهود المعنيين فقط ، وإنما لفلسطين نفسها ، وللأمة الإسلامية جمعاء ؛ لأنها غيرت ميزان القوى لصالح إسرائيل .

وبصدد النقطة الثانية ــ أي اختلال التوازن بين الطوائف بعد قيام الدول العربية الإقليمية ــ فإن من الواضح أن الدولة الإسلامية ؛ وحتى الدولة العثمانية ؛ قد حافظت على التوازن بين جميع الطوائف والأقاليم . وبالرغم من كونها « سُنِّية » ؛ لم تمنح للإنسان السني أية امتيازات اقتصادية ، ولم تسمح لأية طائفة أن تظلم طائفة أخرى . ومنحت الدولة الإسلامية حكماً ذاتيا لكل طائفة كبيرة أو صغيرة ؛ لكي تعبر عن شخصيتها ؛ وتحافظ على هويتها ضمن المجتمع الإسلامي الواحد ، وفرضت سلاماً إسلاميا على جميع الطوائف والأقاليم . **ومنذ أن مزقت أرض العروبة والإسلام إلى عدة دويلات ؛ كثرت المشاحنات الطائفية والإقليمية الدامية . ولايمكن تسوية هذه المشاحنات إلّا بتأسيس دولة إسلامية فدرالية : « الولايات المتحدة العربية الإسلامية » ؛ فإذا كانت هذه الوحدة الإقليمية قد أفادت الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وإيطاليا والاتحاد السوفياتي ؛ فلماذا لانستفيد نحن منها ؟ (لاحظ المشكلة الكردية والآشورية والأرمنية ، والحرب الأهلية في لبنان ، والحرب العراقية الإيرانية ــ ومشكلة يهود الإسلام ليست شاذة) .**

وهناك عامل آخر قوّض موقف يهود الإسلام في المجتمع الإسلامي ؛ وهو قيام خلايا سرية صهيونية مسلحة في قلب الدول العربية . وبالرغم من أن هذا التنظيم أسسه الجواسيس الصهاينة

الأشكناز الذين أرسلوا من فلسطين ، وبالرغم من فشله التام في تهجير اليهود ــ فقد قوّى الشكوك في قلوب المسلمين بخصوص إخلاص جيرانهم اليهود .

كما أن الدعاية الصهيونية المعادية للعرب في أوروبا وأمريكا ، والمظاهرات التي نظمها عملاء إسرائيل ــ شوهت سمعة العرب والمسلمين بشأن اليهود في البلدان العربية . وأضعفت هذه النشاطات الصهيونية في الخارج ــ وضع اليهود « في دار الإسلام » [انظر : جويش كرونيكيل ، ١٩٤٩/١٠/٢٩] .

وبالنسبة للعراق ؛ كان للحكومة سبب آخر في السماح لليهود بالهجرة إلى إسرائيل ؛ وهو رغبتها في التخلص من اليهود اليساريين والشيوعيين الذين اشتركوا في وثبة ١٩٤٨ ، وهنا التقت مصالح الحكومة العراقية ومصالح إسرائيل والدول الغربية . وفي إيران الشاه ؛ شجعت الحكومة ٣٠٠٠ يهودي شيوعي على الهجرة إلى إسرائيل لنفس السبب .

والاعتقاد السائد في الشرق الأوسط هو أن الدول الغربية أمرت الحكومات العربية بتسهيل هجرة اليهود ؛ مقابل إسكان الفلسطينيين في الدول العربية . ويشير أصحاب هذا الاعتقاد إلى أن زعماء هذه الدول ــ آنذاك ــ كانوا من أخلص السياسيين للغرب ، ويشيرون إلى أن مصادرة أموال اليهود في بعض الدول العربية ؛ كانت جزءًا من المؤامرة التي ترمي إلى « تبرير » سلب أملاك الفلسطينيين (لاحظ اقتراح وزارة الخارجية البريطانية في ٤٩/٩/٥ بشأن إسكان ١٠٠,٠٠٠ لاجىء فلسطيني في العراق ؛ مقابل هجرة ١٠٠,٠٠٠ يهودي عراقي إلى إسرائيل ــ Fo 371/75152' E9114/ 1105/ 93) . وبعد أن قررت الحكومة العراقية تجميد أموال اليهود الذين قرروا إسقاط جنسيتهم العراقية ، والهجرة إلى إسرائيل في آذار ١٩٥١ ــ اقترح اللورد صموئيل الصهيوني البريطاني على الملك عبدالله ؛ طرد يهود العراق ومصادرة أملاكهم ، مقابل تشريد الفلسطينيين من أرضهم ومصادرة أملاكهم ، وأيّد هذه الفكرة مزاحم الباجه جي في مجلس الأعيان العراقي ؛ مستنداً إلى اقتراح كاتب صهيوني أمريكي [القدس ــ إلى وزارة الخارجية البريطانية 24/3/50, Fo 371/ 91690, EQ 1571/45] .

وكان الديبلوماسيون الإسرائيليون قد نشطوا في واشنطن وباريس ولندن ؛ من أجل تهجير يهود المغرب العربي ومصر والعراق وإيران واليمن ؛ وهذا يعني ضغط الدول الكبرى على الحكومات العربية والإسلامية بهذا الشأن . وبالطبع ؛ كانت نظرية « تبادل السكان » نظرية كاذبة ؛ لأن السكان المعنيين (أي يهود الإسلام والفلسطينيين) لم يوافقوا على ذلك ، كما أن الفلسطينيين لم يستلموا أملاك اليهود ، والعكس بالعكس ؛ بل خسرت الفئتان كل شيء . وعلقت القنصلية البريطانية في القدس على هذه الهجرة اليهودية بأن إسرائيل سوف ترحب بالمهاجرين ؛ الذين سوف يشكلون قوة عمل رخيصة ، كما أنها سوف تطلب من العراق استيعاب اللاجئين الفلسطينيين مقابل اليهود النازحين [القدس ــ إلى وزارة الخارجية البريطانية في ١٤ /٢ /٤٩ ــ Fo 371/ 75182, 024566] . ويقول سيغيف : « وكانت دولة إسرائيل في حاجة ماسة إلى هؤلاء المهاجرين » . كما كتبت هآرتس في

٤/١٣ /٤٩ « إن العديد رأى فيهم لحماً للمدافع » [سيغيف ، ص١١٠ ، الترجمة العربية] . واستخدمت إسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية ؛ جميع أنواع الضغط والدعاية الكاذبة ؛ في سبيل إرغام الحكومات العربية على تهجير اليهود . ففي آذار ١٩٤٩ ؛ ادعت وسائل الإعلام الصهيوني أن العراق شنق سبعة يهود بتهمة القيام بنشاط صهيوني ، أما الحقيقة فهي أن هؤلاء قد فروا من العراق قبل محاكمتهم . وبذلت إسرائيل جهداً كبيراً ؛ من أجل إفشال القرض الذي طلبه العراق من البنك الدولي ، ونظمت المظاهرات أمام مداخل السفارات العراقية في العالم ، وضايق الصهاينة السفير العراقي لدى الأمم المتحدة ، ونظمت المظاهرات ضده لدى دخوله المبنى وخروجه منه ، كما تعرض السفير للإهانات الصهيونية ، وتوجهت إسرائيل إلى الأمم المتحدة وإلى السيدة اليانور روزفيلت ، وهددت باضطهاد المواطنين العرب في إسرائيل ، وبإقامة حركة سرية ضد نوري السعيد بالعراق [سيغيف ، ص١٧٦ ، الترجمة العربية] .

وبالنسبة ليهود عدن واليمن ؛ منعت السلطات البريطانية ـــ عندما بدأت الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ـــ اليهود اليمنيين من مغادرة عدن ، واستخدمت المنظمة الصهيونية ضغوطاً ديبلوماسية ؛ من أجل إلغاء هذا الحظر . ثم اجتمع ممثل المؤتمر اليهودي العالمي : ليؤن كوبوفيتسكي وممثل الإمام في عدن : محمد جبلي ، وبحثا معاً أمر تهجير اليهود من اليمن ومن المحافظات داخل المحمية البريطانية ؛ فوعد جبلي بإقناع الإمام . وبعد توقيع اتفاقية الهدنة بين إسرائيل ومصر ؛ قبل الإمام مشروع التهجير (انظر : رسالة كوبوفيتسكي إلى المؤتمر اليهودي بتاريخ ٢٤ /٤ /٤٩ ؛ في ملفات مؤسسة الهجرة ـــ أرشيف الجيش الإسرائيلي ٤٩ /١٤) . كما اجتمع مبعوث الوكالة اليهودية : يوسف صادوق بالإمام نفسه ، واجتمع مبعوث مؤسسة الهجرة : عوبديا طوبيا بالسلطان العواذلي (انظر : رسالة طوبيا إلى المؤسسة بتاريخ ٤٩/٥/١٤ ـــ في نفس المصدر) . وهكذا ؛ تم تهجير ٥٠ ألف يهودي من اليمن وعدن في عملية « البساط السحري » ؛ بالإضافة إلى ٣٥,٠٠٠ يمني هاجروا إلى فلسطين سابقاً . ودفع اليهود اليمنيون الثمن من أملاكهم وأرواحهم وكرامتهم ، وسوف نفصل هذا فيما بعد .

المضايقات الطائفية :

لقد أدت العوامل الستة التي نوقشت فيما سبق إلى انتشار جو يعادي اليهود في أرض الإسلام ؛ ولذلك وقعت عدة حوادث قتل وسلب ومضايقات ضد يهود الإسلام ، ساعدت الصهيونية وإسرائيل على تهجير معظم اليهود إلى إسرائيل ، وهاجر الباقي إلى البلدان الغربية (يقدر عدد اليهود الذين مازالوا يعيشون في البلدان العربية بـ ٦٣,٠٠٠ نسمة ؛ معظمهم في المملكة المغربية . وقدر الباحثون العرب في ندوة جامعة بغداد عددهم بنحو ٢١ ألفاً ـــ هآرتس ، ٥/٢٩ /٨٧) ـــ وهذا ملخص لهذه الحوادث المأساوية :

● في العراق :

في أيلول ١٩٣٤ ؛ فصل وزير الاقتصاد والمواصلات عشرات الموظفين غير المسلمين ، وبعد احتجاج الطائفة اليهودية أعيد بعض المفصولين إلى وظائفهم . وبعد سنة أرسلت وزارة المعارف بتعليمات سرية إلى المدارس الثانوية والمعاهد العليا ؛ تدعو إلى تحديد عدد اليهود ؛ وأمرت المدارس اليهودية بعدم تعليم اللغة العبرية ــ كلغة ــ خارج الدروس الدينية . وفي أيلول ١٩٣٦ ؛ اتهمت « لجنة الدفاع عن فلسطين » اليهود العراقيين بتأييد الصهيونية ، ثم أطلق مجهولون النار على يهوديين فقتلوهما. وفي اليوم التالي اعتدى مجهولون على يهوديين ؛ فقتل أحدهما وأصيب الآخر بجراح خطيرة . وفي ٣٦/٩/٢٧ ألقيت قنبلة على كنيس يهودي ؛ ولكنها لم تنفجر . وكان من الواضح أن المعتدين لم يدركوا الفرق بين جيرانهم اليهود وبين المستوطنين الصهاينة الأشكناز ؛ الذين هاجروا من أوروبا ؛ لذلك أعلن رئيس الطائفة اليهودية : ساسون خضوري وزعماء الطائفة ــ استنكارهم للصهيونية ، كما أعلن عزرا حداد ؛ وهو مدير مدرسة وكاتب مشهور ؛ في مقاله في جريدة « البلاد » : « نحن عرب قبل أن نكون يهوداً » . وصرح يعقوب بلبول في « الأخبار » بأن « الشباب اليهود في البلاد العربية لايتوقعون من الصهيونية إلا الاستعمار والتحكم » (٣٨/٧/٢١) . وفي تموز ١٩٣٧ ؛ قتل يهوديان في مظاهرة معادية لحكومة حكمت سليمان ، وفي أثناء المظاهرات الموالية لثورة الشعب العربي الفلسطيني ؛ استمرت الاعتداءات اللاأخلاقية ضد المواطنين اليهود في الشوارع . وفي آب ١٩٣٨ ؛ أرسل ٣٣ زعيماً عراقيا ببرقية إلى وزارة المستعمرات البريطانية وإلى عصبة الأمم ؛ عبروا فيها عن معارضتهم للصهيونية ؛ وعن إخلاصهم للعراق وطنهم الحقيقي . وفي الوقت نفسه ؛ أعرب الكتاب والصحافيون اليهود عن استنكارهم للعمليات الصهيونية في فلسطين ، ولمخططاتها الاستيطانية . وفي تشرين الأول ١٩٣٨ ؛ قامت الحكومة العراقية بإجراءات مختلفة من شأنها تقليص نشاط المحرضين الطائفيين .

في أيّار ١٩٤١ ؛ في أثناء الحرب العراقية البريطانية ــ بعد انقلاب رشيد عالي الكيلاني ــ وقعت عدة حوادث اعتدى فيها القوميون الطائفيون على المواطنين اليهود في الشوارع ، واتهموهم ببث المناشير الموالية لبريطانيا ، أو بقراءة المناشير التي كانت الطائرات البريطانية قد رمتها على بغداد ، أو بإرسال الإشارات السرية إلى الطائرات البريطانية بواسطة المرايا ... إلى آخر ذلك من الأكاذيب ، كما قتل ١٣ يهوديا ؛ عشرة منهم من إحدى القرى الشمالية وهي قرية سندور . وفي ١و٤١/٦/٢ ــ بعد سقوط حكومة الكيلاني وهروبه إلى إيران ــ وقع مايسمى بالفرهود ؛ أي حوادث قتل ونهب ؛ قتل فيها ١٧٠ ــ ١٨٠ يهوديا ، وجرح عدد كبير منهم ، ونُهبت بيوت ودكاكين كثيرة . وكان عدد القتلى المسلمين أكبر ، وبعض هؤلاء كانوا من المعتدين ، وبعضهم كانوا من الذين دافعوا عن كرامة الأمة الإسلامية وعن جيرانهم اليهود الأبرياء . ولو لم يدافع المسلمون عن جيرانهم اليهود ، لبلغ عدد الضحايا آلافاً كثيرة . ومن ضمن هؤلاء المسلمين الشرفاء نذكر زعيم الشيعة في بغداد : أبو الحسن الموسوي ؛ الذي أمر الشيعة بألا تشترك في المذبحة ، ورفض الموسوي إعطاء الفتوى بخصوص إعلان الجهاد ضد المواطنين اليهود . أما القوات البريطانية التي وصلت إلى ضواحي بغداد ؛ فقد

رفضت التدخل لإيقاف المذبحة ؛ خوفاً من المساس بسيادة الحكومة العراقية الجديدة الموالية لبريطانيا . ويبدو أن الدور البريطاني في هذه الحوادث كان مشبوهاً ولاسيما بعد أن قررت الحكومة البريطانية ؛ إغلاق إحدى وثائقها إلى عام ١٩٩٢ وهي الوثيقة Pro/ Fo E 4209/1/93 ، وأخرى إلى عام ٢٠١٧ وهي الوثيقة Pro/ Fo E4154/1/93 . ويقول دافيد قمحي ؛ مدير وزارة الخارجية الإسرائيلية : إن وحدات بريطانية (غورخيين وآشوريين) اشتركت في الاعتداءات على يهود العراق ؛ في أيّار ١٩٤١ [صوت العالم العربي ، كانون الثاني ، ١٩٨٣] .

وكان لهذه الحوادث أثر بليغ في نفوس اليهود العراقيين ؛ بعد أن عاشوا في هذا البلد ٢٧٠٠ سنة تقريباً . وهزّت أعمال القتل ثقتهم بمستقبلهم في العراق . وبعد الحرب العالمية الثانية فرضت القيود على التجارة الخارجية ، وقُلِص عدد الطلاب اليهود في المدارس الثانوية والمعاهد العليا ، وفرضت وزارة المعارف المدرسين المسلمين على المدارس اليهودية ؛ لتعليم مواد مختلفة : مدنية وجغرافية وغيرها ، وقُلِص عددُ الأساتذة اليهود في التعليم العالي ، ولم تقبل كلية الحقوق أكثر من ٩ طلاب يهود من ضمن ٣٠٠ طالب . ومن الجدير بالذكر أن هذه الإجراءات فرضت من قبل الحكومة الموالية لبريطانيا ؛ لإرضاء القوميين الطائفيين ، ولإثبات « قوميتها » . وفي هذه الأثناء بدأت الحركة الصهيونية نشاطها السري ، وبالرغم من فشلها — كما ذكرنا سابقاً — فقد نجحت في تسميم الجو ضد اليهود ولاسيما في الأوساط اليمينية ، واعترف بذلك الدكتور محمد فاضل الجمالي ؛ مدير وزارة الخارجية — في شهادته في القاهرة (آذار ١٩٤٦) أمام لجنة التحقيق الأنكلو أميركية — ووصف الصعوبات التي تواجهها حكومته في المحافظة على السلام والوئام بين اليهود والمسلمين ، وبعد سنتين قال الجمالي ؛ وهو وزير الخارجية للجنة الأمم المتحدة : « إن مصير اليهود في البلدان الإسلامية يتعلق بالتطورات في فلسطين » . كما هدد نوري السعيد هو الآخر بقوله : « إن يهود الإسلام هم « رهائن » بأيدي الدول الإسلامية » ، وهكذا ؛ سقطوا في الفخ الصهيوني !!

وفي ١٩٤٨ ؛ اشترك اليهود في الوثبة ضد معاهدة بورت سميث الموالية لبريطانيا ؛ محاولين إثبات وطنيتهم وإخلاصهم للعراق . وأثار هذا الموقف غضب البريطانيين وأعوانهم في النظام العراقي ؛ ففي ٤٨/٤/٢٧ قُضِي على حكومة صالح جبر في معركة الجسر ، وفيها قتل عدد كبير من الشرطة والمتظاهرين ، واستولى المتظاهرون على الشوارع ، وانتشرت الوثبة إلى السليمانية وأربيل وكركوك والموصل ، واختفى نوري السعيد ، وهرب صالح جبر إلى القاهرة ، ولم يخرج فاضل الجمالي من بيته ، وانتظرت هذه الأوساط ليوم الثأر . وفي وقت لاحق قدمت الكثير إلى المحاكم ، وزجت بعدد كبير في السجون ، وشنقت آخرين من بينهم يهود مناضلون . ولاشك أن أحد أسباب التهجير كان التخلص من اليهود الراديكاليين .

عندما قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين في ٤٧/١١/٢٩ ؛ أعلن رئيس الطائفة اليهودية رفضه للصهيونية ، وتأييده لحقوق الشعب الفلسطيني . وبالرغم من ذلك رفع المتظاهرون ؛ بعد مقتل عبد القادر الحسيني ؛ شعار « الموت لليهود » ، وفي ٤٨/٤/٢٧ أحرق أحد المعابد اليهودية في بغداد . ثم

اشترك اليهود اشتراكاً فعالاً في تأليف العصبة المعادية للصهيونية ؛ التي نظمت المظاهرات ضد الاستعمار والصهيونية . وبعد تأسيس إسرائيل ؛ فرضت حالة الطوارىء ، والأحكام العرفية ، والإجراءات الصارمة على جميع نواحي الحياة ، وصرح رئيس الوزراء : مزاحم الباجچي بأن الإجراءات سوف توجه ضد اليهود فقط . وفصلت الحكومة عدداً كبيراً من الموظفين اليهود منهم إبراهيم الكبير مدير وزارة المالية ، وبلغت جملة الفصل ذروتها في تشرين الأول ١٩٤٨ ؛ عندما فُصل ـــ تقريباً ـــ جميع الموظفين اليهود ، وفُرض على البنوك اليهودية حظر يمنعها من التعامل مع البنوك الأجنبية . واعتقلت الحكومة الكثير من اليهود والمسلمين والمسيحيين الأبرياء ، وكان بعظمهم من الذين اشتركوا في الوثبة (وقد آن أوان الانتقام باسم فلسطين) . وعندما جاء الجيش العراقي لإنقاذ فلسطين ؛ لا تكاد تذكر أية معركة اشترك فيها هذا الجيش أو أية مستعمرة صهيونية احتلها .

وعندما انسحب هذا الجيش سلّم المثلث الصغير لإسرائيل (أي الطيرة والطيبة وأم الفحم والقلنسوة وغيرها من القرى الفلسطينية ـــ حسب معاهدة رودوس بين إسرائيل والأردن) . وفي بغداد استمرت المحاكمات ضد المواطنين اليهود ، وبلغت الغرامات المالية التي فرضت عليهم ٢٠ مليون دينار ، دُفعت إلى وزارة الدفاع لتغطية مصاريف « المعارك الضارية » لتحرير فلسطين . وأشهر هذه المحاكمات كانت محاكمة شفيق عدس ؛ رجل أعمال يهودي في البصرة ؛ وقد باع عتادا حربيا بريطانيا إلى إيطاليا عام ١٩٤٦ ، ثم وُجد هذا العتاد بأيدي الصهاينة ، وبالرغم من أن المحكمة لم تثبت الصلة بين بيع العتاد وعملية نقله إلى الصهاينة ـــ حكمت عليه بالإعدام شنقاً وصادرت أمواله (٥٠٠٠٠٠٠ دينار) ، ولكنها لم تحاكم شركاءه المسلمين ، وشُنق عدس علناً في ١٩٤٨/٩/٢٧ . وفي تموز ١٩٤٨ قُدم إلى المحكمة العسكرية ٤٠ من كبار التجار اليهود ؛ بتهمة الاتجار مع الاتحاد السوفياتي ، بالرغم من أن صفقاتهم التجارية هذه عقدت حسب الاتفاقية التجارية بين العراق والاتحاد السوفياتي ، وفرضت غرامة قدرها ١٠,٠٠٠ دينار على كل واحد منهم . ولم يُحاكَم أيُّ تاجر مسلم تاجر مع الاتحاد السوفياتي . وفي أيلول ألْقى عزرا مناحيم دانيال خطاباً في مجلس الأعيان ؛ ذكر فيه الروابط التاريخية بين العراق والمواطنين اليهود ، وطالب بإيقاف هذه المضايقات ، وَوعدته الحكومة بأنها سوف تحافظ على حقوق أبناء طائفته ، وبالفعل تحسنت الحالة بعد ذلك . غير إن الحكومة أمرت في أكتوبر بمصادرة أموال اليهود العراقيين في الخارج ؛ إذا لم يعودوا في وقت معين ، ثم رفضت وزارة الصحة السماح للأطباء اليهود الجدد بالعمل ، ولم تجدّد رخص الأطباء العاملين . وفي بداية السنة الدراسية ١٩٤٨ / ١٩٤٩ ؛ أبلغ مديرو المدارس الحكومية الطلاب اليهود ـــ بأنهم (أي المديرين) لايستطيعون تأمين سلامتهم في وجه عداء الطلاب المسلمين . وخلال هذه الحملة الرامية إلى « إنقاذ فلسطين » ؛ قوّت زمرة صالح جبر نفوذها ، ومهدت لنوري السعيد الطريق لتأليف وزارة جديدة في كانون الثاني ١٩٤٩ . وفي صيف عام ١٩٤٩ ألقت الشرطة القبض على بعض الصهاينة ؛ إلا أن زعماء الحركة السرية تمكنوا من الهرب إلى إيران ؛ فتجددت المضايقات والاعتقالات ، وكان الأبرياء الضحية . واتهم عملاء إسرائيل رئيس الطائفة : ساسون خضوري المعادي للصهيونية ؛ بالجبن ، وأرغموه على الاستقالة ، واستطاعوا عن طريق « اللف والدوران »

تعيين حسقيل شمطوب رئيساً للطائفة ، وأخذوا يستعملونه كأداة صماء لخدمة مصالحهم . وهكذا ؛ ساعدت المضايقات الحكومية الزمرة الصهيونية على التحكم بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وعندما أُلغي نظام الطوارىء ؛ أخذت هذه الزمرة تهرِّب بعض اليهود إلى فلسطين عن طريق إيران . وفي ١٩٥٠/٣/٢ ، قدم وزير الداخلية : صالح جبر لائحة قانون تسمح لجميع اليهود العراقيين بالهجرة ، بشرط أن يتنازلوا عن جنسيتهم ، وصوتت الأغلبية إلى جانب اللائحة القانونية . وفي آذار ١٩٥١ ــ بعد أن أسقطت الأغلبية الساحقة جنسيتها ــ قررت حكومة نوري السعيد « تجميد » أموالهم (انظر كتاب نسيم رجوان الذي شاهد هذه الحوادث) .

● في المغرب :

بالرغم من أن السلطان المراكشي رفض تنفيذ سياسة التمييز العنصري التي فرضتها حكومة فيشي ، وأنقذ المواطنين اليهود من الهلاك ؛ فإن تأسيس دولة إسرائيل أثار غضب المسلمين في عوجة ؛ فهجموا في ٦/٧ /٤٨ على حارة اليهود ، وقتلوا ٥ أشخاص ، وجرحوا ٣٧ شخصاً ، وهدموا عدة منازل ودكاكين ، وفي نفس الليلة حدثت اضطرابات في جرادة ؛ حيث قتل ٣٩ يهوديا . وأخيراً تمكنت السلطات من إعادة النظام إلى نصابه ، وألقت القبض على بعض المعتدين وقدمتهم إلى المحاكم ، وحكم على اثنين بالإعدام [شوراقي ، ص١٨١ و١٨٢ ، والموسوعة اليهودية ، المجلد ١٢ ، عمود ٣٤٤] .

● في عدن :

أعلن القوميون المسلمون في ٤٧/١٢/٢ إضراباً لمدة ٣ أيام ؛ احتجاجاً على قرار تقسيم فلسطين ، وهاجموا جيرانهم اليهود ، وقتلوا شخصاً واحداً ، وجرحوا ٢٠ شخصاً . وعلى إثر هذه الحادثة ، انتشرت الاضطرابات الدامية ، وقتل فيها ١٢٢ شخصاً ، وجرح عدد كبير من السكان ، ونهبت منازل وحوانيت كثيرة . واشتركت قوات الأمن التي عملت تحت أوامر القيادة البريطانية في الاضطرابات ، وبلغ عدد الذين قتلوا ٨٢ يهوديا ، و٣٨ مسلماً [تقرير لجنة التحقيق البريطانية ، ٩/٢٢ /٤٨ ــ نقلته جريدة إيكونومست في ٤٨/١٠/٩ ، ونيويورك تايمز في ٤٧/١٢/٦] . وقد يتساءل المرء : لماذا سمحت السلطات البريطانية لقوات الأمن بالقيام بهذه المذبحة أو بالاشتراك فيها ؟

● في سوريا :

قام الطائفيون في حلب يوم ١١/١٨ /٤٥ بالهجوم على الكنيس اليهودي الكبير ، وكسّروا الشموع ، واعتدوا على الشيوخ في أثناء صلاتهم ، وانتشرت أعمال التحريض الطائفي التي أدّت إلى قتل جاك فرانكو ؛ نائب مدير مدرسة إليانس في دمشق . وبعد قرار تقسيم فلسطين ؛ قام الطائفيون (٢ /١٢ /٤٧) بإحراق ٤ معابد يهودية كبيرة في حلب ، و١٤ معبداً عاديا ، ودمّروا ١٥٠ منزلاً ، وقتلوا عدداً من اليهود . وعلى إثر إعلان دولة إسرائيل في ٤٨/٥/١٥ ؛ قطعت جميع العلاقات بين يهود سوريا والعالم الخارجي ، وأوقفت التجارة اليهودية . وفي ٥ /٨ /٤٩ ؛ ألقيت

قنبلة داخل معبد بدمشق ، قتل من جرائها ١٢ يهوديا ، وجرح ٢٦ آخرون . وأمر الرئيس حسني الزعيم بإعدام المتهمين ، وبعد بضعة أيام وقع انقلاب سامي حناوي ، وأُعدِمَ حسني الزعيم [ولفسون ص١٧٤ — ١٧٦] .

● في مصر :

قامت جماعة « مصر الفتاة » (١٩٤٥/١١/٢) بمشاغبات معادية لليهود المصريين في القاهرة ؛ نتج عنها إحراق معبد يهودي ، وتدمير مستشفى ودار للعجزة وعدة حوانيت يهودية . وبعد تأسيس إسرائيل أعلنت حالة الطوارىء ، وصادرت الحكومة أموال عشرات السكان والشركات — وكان معظم الضحايا يهوداً ، واعتقلت الشرطة عدداً من اليهود . وخلال الفترة بين حزيران وتشرين الثاني ١٩٤٨ ؛ وقعت عدة اعتداءات على يهود مصر ، وقتل أو جرح بعضهم . وفي ١٩٤٩ أطلق سراح عشرات المعتقلين ، وأعيدت أموالهم ، وسمح لهم بالنزوح من مصر . واتهم بعض اليهود بالصهيونية ، بالرغم من أن النشاط الصهيوني كان مسموحاً قانونيا . وعندما عاد حزب الوفد إلى الحكم في بداية ١٩٥٠ — أطلق سراح جميع المعتقلين عدا الشيوعيين . وعندما وقع الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ؛ طُرِد اليهود من مصر عدا ٢٠٠٠ شخص تقريباً .

طبعاً ، ساعدت هذه المضايقات إسرائيل والصهيونية على تشويه سمعة العرب والمسلمين في العالم ، وعلى استجلاب يهود الإسلام إلى إسرائيل . وبالرغم من هذه الحوادث استطاع اليهود أن يعيشوا في رفاهية معظم الأوقات وفي معظم الأماكن ، واستمرت العلاقات الطيبة مع معظم الجيران المسلمين الذين دافعوا عن يهود الإسلام ؛ عملاً بالشريعة الإسلامية ، وتمسكاً بالشهامة العربية والإسلامية ؛ ولذلك لم يشكل هذا الاضطهاد إلّا أحد أسباب الهجرة . وفي تلخيص هذه الوقائع لا أنوي الدفاع عن الصهيونية ، أو عن الذين سقطوا في فخها ؛ وإنما عن الأبرياء الذين لم تكن لهم أية صلة بالصهيونية وبإسرائيل . قال تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً جعلنا لوليِّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً** ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

أساليب استئصال يهود الإسلام :

عندما رأى الصهاينة أن مناوراتهم الديبلوماسية في العواصم الغربية ، والمضايقات ضد يهود الإسلام — لم تؤد إلى استئصال يهود الإسلام من الأرض العربية الإسلامية ؛ أخذوا يستعملون أساليب أخرى وهي : الإرهاب ضد يهود الإسلام ، والرشوة ، والتهريب ، والغش والخداع .

١ — الإرهاب الصهيوني : كتب إسحق مناحيم ؛ أحد عملاء الصهيونية في الخارج : « لايمكن أن تتدفق على البلد هجرة واسعة النطاق إلّا في ظل المحنة . إن هذه حقيقة مرة ؛ سواء أكانت سارة أم لم تكن . علينا أن ندرس إمكانية افتعال المحنة بأنفسنا ، وأن نكون من عناصرها : دوافعها ومسببيها في مختلف الجاليات اليهودية في الخارج ... ثمة يهود يجب دفعهم رغماً عنهم إلى مغادرة أماكن إقامتهم ؛ لأنه لابد من زعزعة اليهود وإيقاظهم من سباتهم الهادىء ، كما قال الشاعر (يقصد الشاعر الصهيوني

حييم نحمان بياليك) :

إنه (أي الشعب اليهودي) لايستيقظ إلّا
إذا أيقظه السوط
وإنه لن ينهض إلّا
إذا أنهضه السطو » [بن مناحيم ، ص ١٧٩] .

وقال رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة الصهيونية : بيرل لوكر — في إحدّى الجلسات بصدد اليهود اليمنيين: « حتى اليهود الذين لايرغبون في الهجرة ، يجب أن يهاجروا أيضاً » [محاضر الجلسات ، ٤٩/٤/٢٢] . وأشار إسحق رفائيل [دائرة الهجرة] بشأن تهجير اليمنيين — إلى أن عملاء الصهيونية استخدموا مأجورين عرباً ؛ من أجل « إسراع » عملية نزوح باقي اليمنيين . ولم يوضح كيف جرت عملية الإسراع هذه . وقد تحدثت مع اليمنيين عن هذا فقالوا : إن المأجورين العرب كانوا يعتدون عليهم ويضربونهم ، ويضايقونهم في أعمالهم اليومية ؛ لإرغامهم على الهجرة . إضافة إلى ذلك ؛ طلب مبعوث الوكالة اليهودية في عدن : شلومو شميدت أن يسمح له بمطالبة السلطات اليمنية بإصدار قرار يقضي بطرد باقي اليهود من اليمن [رفائيل إلى لوكر ، ٢٢ /١ /٥١ — الأرشيف الصهيوني المركزي] .

بعد أن أعلنت الحكومة العراقية عن سماحها لليهود بالهجرة (آذار ١٩٥٠) لم يقبل العرض إلا ٤٠٠٠ يهودي من مجموع ١٣٠٫٠٠٠ نسمة ؛ فأخذ عملاء الصهيونية وإسرائيل يستخدمون الإرهاب لإثارة الهستيريا بين اليهود ؛ لإرغامهم على الهجرة . ففي ٥٠/٤/٨ ؛ انفجرت قنبلة في مقهى دار البيضاء المملوء باليهود ؛ فجرح ٤ أشخاص : أكرم عزرا ومراد خضوري وشاؤل يوسف والياس يوسف . وبعد ذلك اعتقلت الشرطة ٣ يهود مشبوهين ؛ فساد الرعب في قلوب اليهود معتقدين أن المسلمين يحاولون القضاء عليهم ، كما فعلوا في فرهود عام ١٩٤١ ؛ فأخذوا يتسارعون في طلب الهجرة . وعندما هبط عدد النازحين ؛ انفجرت قنبلة أخرى في ٥١/١/١٤ في كنيس مسعودة شمطوب ؛ فقتل ٤ أشخاص من ضمنهم طفل وجرح ٢٠ شخصاً . وفي ٥١/٣/١٤ ؛ انفجرت قنبلة في المركز الثقافي الأمريكي في بغداد حيث يطالع بعض المثقفين اليهود الكتب ؛ فجرح بعض القراء اليهود . وفي ١٩٥١/٥/١٠ ؛ انفجرت قنابل في شركة بيت لاوي للسيارات وهي شركة يهودية . وفي ٦/٥ /٥١ ؛ انفجرت قنبلة في شركة ستانلي شاشا التجارية اليهودية . ونتيجة لهذا الإرهاب ؛ طلب جميع اليهود الهجرة عدا ٥٠٠٠ نسمة ، ثم قررت الحكومة مصادرة أموالهم ؛ وبعد ذلك ألقت القبض على بعض الصهاينة الذين نفذوا هذه العمليات الإرهابية ، وشنقت اثنين منهم . ولكن إسرائيل نجحت في استجلاب هذه الطائفة وربطها بعجلة الاستعمار الصهيوني ؛ إذ إنهم أرغموا على الهجرة إلى إسرائيل ؛ وإسرائيل فقط ؛ فقد أمرت الحكومة البريطانية سفارتها في بغداد — آنذاك — بعدم منح أية تأشيرة للهجرة إلى بريطانيا (انظر مراسلات وزارة الخارجية

البريطانية مع سفارتها في ٩/٢٩ /٥٢ ـــ Fo 371/ 98767, Eq 1571/24) . وفي عام ١٩٥١ ؛ عندما فجّر الجواسيس الصهاينة قنابلهم ؛ وُزعت مناشير في بغداد تدعو اليهود إلى إرسال أولادهم إلى إسرائيل (انظر مجلة هعولام هزيه ٦٦/٤/٢٠ و٦٦/٦/١ ، وكذلك كتاب مريون ولفسون ، ١٩٨٠) .

٢ ـــ الرشوة : بالإضافة إلى الإرهاب ؛ استخدم عملاء إسرائيل الرشوة في « شراء » اليهود من الدول المختلفة : دفعوا ٥٠ دولاراً مقابل كل يهودي بلغاري ، و١٠٠ دولار مقابل كل شاب ، و٣٠٠ دولار مقابل كل سجين صهيوني في بلغاريا ، ودفع المبعوث الصهيوني أفرايم شيلو ٣ملايين دولار للسلطات البلغارية ؛ مقابل الصفقات الأولى فقط ، ثم جاء المبعوثون الآخرون ودفعوا مبالغ أخرى . ونجحوا في إقناع الدول الاشتراكية بأن الهجرة إلى إسرائيل وبيع الأسلحة لها ؛ يساعدان النضال ضد الاستعمار البريطاني ؛ لأن إسرائيل تحارب الدول العربية الموالية لبريطانيا [سيغف ، ص١٠٩ و ١١٠] . واستلم رئيس الشرطة اللبنانية ٢٥ ـــ ٣٠ ليرة لبنانية مقابل كل يهودي ؛ على أن يبلغ عدد المهربين ١٥٠ ـــ ٢٠٠ يهودي في الأسبوع . [أرشيف الدولة ، وزارة الخارجية ، ١١/ ٢٤٥١] . وصرح شلومو زلمان شراغاي بأن وزراء المملكة المغربية استلموا الرشوة عن طريق البنوك السويسرية . وطلبت السلطات اليمنية أن تدفع الرشوة بالدولارات نقداً . واتفقت مصلحة توفيق السويدي رئيس وزراء العراق مع هجرة اليهود ؛ لأنه كان يشغل منصب مدير شركة المواصلات « العراق تورس » . وشملت الرشوة التي دفعت لحكام اليمن ـــ أملاك اليهود اليمنيين ، وكذلك « رسوم حماية » ، وضرائب انتقال ، وضرائب على الفرد ، ورشوة عادية ، وهدايا مختلفة [سيغيف ، ص١١٥ و١٧٦] ويدعي البروفسور ش . د . غويتاين ؛ رئيس قسم العلوم الإسلامية في الجامعة العبرية ـــ أن مصادرة أملاك اليهود اليمنيين قد تمت بناء على تعاليم « الشريعة الإسلامية الخاصة بأهل الذمة » [ص٧٦ و٧٧] ، وهدف هذا الكذب هو تغطية الفساد الصهيوني ، وتشويه سمعة الشريعة الإسلامية ؛ ولم يذكر ـــ هذا البروفسور الصهيوني ـــ المعاملة الوحشية التي لقيها اليمنيون في المخيمات الصهيونية . وعندما أقرأ مزاعمه بشأن التمييز الإسلامي ضد اليهود ؛ أتذكر كيف كان هو (أي البروفسور ش . د . غويتاين) يُعَرِّض يهود الإسلام ؛ طلابه في الجامعة ـــ للإهانات العنصرية . وأذكر في سنة ١٩٥١ أن انضم إلى الصف الدراسي طالب عراقي يدعى سليم ؛ فقال له غويتاين أمام طلاب الصف : « أنت حلو ؛ كان لازم تروح وتصير ممثل بدلاً من أن تكون طالباً في الجامعة » ؛ فضحك اليهود الأشكناز ؛ وسكت اليهود العرب ، ولم يأتِ سليم إلى الجامعة بعد ذلك .

ودفعت الرشى ؛ لا إلى الإمام فقط ، بل إلى السلاطين المحليين أيضاً . وبصدد السلطان العواذلي ؛ يقول المبعوث الصهيوني يوسف صادوق : « لدى أفتراقنا ؛ قدمت له الهدايا ، بينها بطانيات وسجاد ، تركت عنده أثراً بليغاً » ! [صادوق ـــ إلى المكتب الصهيوني في عدن ، ٤٩/١٢/٢٠ ـــ الأرشيف الصهيوني المركزي ، L27 ، الملف الرابع ، وانظر أيضا مذكرات

صادوق ورسائله] . وهكذا ؛ باعوا* اليهود العرب وفلسطين معاً .

٣ ــ التهريب : أقامت المؤسسة الصهيونية منظمة خاصة تدعى « موساد لعليا » ؛ أي مؤسسة الهجرة لتهريب اليهود إلى فلسطين . فهرّب الصهاينة اليهود من المغرب إلى الجزائر ، ومن ليبيا إلى مالطا ، ومن اليمن إلى عدن ، ومن العراق إلى إيران الشاه ، ومن هنغاريا إلى النمسا ، ومن القسم السوفياتي في فيينا إلى القسم الأمريكي ــ ومن ثمة إلى فلسطين . وبدأت عمليات التهريب واسعة النطاق من سوريا ولبنان في آذار ١٩٤٩ ــ عن طريق بيروت ؛ ومنها بالسيارات إلى منطقة الحدود الجبلية ، ثم مشياً على الأقدام إلى كيبوتس كفار جلعادي ، وكان هناك اتفاق سري بين إسرائيل ورئيس الشرطة اللبنانية . وحسب معلوماتي الخاصة ؛ بدأت عمليات التهريب من سوريا ولبنان منذ بداية الحرب العالمية الثانية ، واستعمل المبعوثون أسماء مستعارة : فالمبعوث إلى مصر (غوشن) هو ماكسي ، على حين سمي العراق « برمان » وإيران « غولدمان » وبلغاريا « باروخ » ... إلخ ، وحملوا جهازاً لاسلكيا ، كما تلقوا أحياناً المعلومات من إذاعة إسرائيل عن طريق برنامج « مايطلبه المستمعون » من الأغاني العبرية . واشترى المبعوثون الصهاينة مفتشي جمارك وشرطة حدود ، ورجال شرطة سرية ، وضباطا وقناصل دول أجنبية وحتى وزراء . وقابلوا نوري السعيد وشاه إيران وراكوشي ؛ الزعيم الشيوعي اليهودي في هنغاريا . وفي تموز ١٩٤٩ ؛ توصل ممثل الوكالة اليهودية في الرباط : جاك عزشوني ــ إلى اتفاق مع حاكم مراكش الفرنسي ؛ بشأن خروج اليهود من مراكش إلى مرسيليا في « هدوء » [من رفائيل إلى المجلس التنفيذي الصهيوني ، ٤٩/٩/٩ ــ الأرشيف المركزي ، الهجرة ــS 41/254/II] . وقد تحدثت إلى بعض العراقيين الذين هربوا عن طريق سوريا ولبنان (بغداد ــ كركوك ــ الموصل ــ القامشلي ــ حلب ــ بيروت ــ صيدا ــ صور ــ كفار غلعادي في فلسطين ، أو بغداد ــ هيت ــ عنة ــ دمشق ومنها إلى فلسطين مباشرة ، أو لبنان ثم فلسطين) ؛ قالوا : « كان الصهاينة يستعينون بالسوريين واللبنانيين الذين يعيشون على التهريب » . وقد فرضت جميع مصاريف التهريب على المشرَّدِين .

٤ ــ الغش والخداع : وشملت الدعاية الصهيونية أساليب الغش والخداع والتهديد والإغراء ، وحذروا اليهود من خطر الإبادة الجماعية ، ووعدوهم بالسعادة والرفاهية في إسرائيل ، وحجزوا الرسائل التي كانت تصف الحياة التعيسة في معسكرات المهاجرين داخل إسرائيل ، ومنعوا وصولها إلى الخارج . وكانت مؤسسة الهجرة تصرف الملايين بدون أية رقابة ، وقد أشار مراقب الوكالة اليهودية إلى أن دفاتر الحسابات لم تعكس الواقع قبل تأسيس الدولة ، أما بعد قيام الدولة فقد أخذت مؤسسة الهجرة تتهرب من الرقابة . وأقامت المؤسسة عام ١٩٤٨ شركة البواخر والسفن المحدودة ؛ لنقل المهاجرين ، ودفعت الجمعية الخيرية اليهودية الأمريكية « جويشت » ٤٠ جنيها للشخص

* (باع) الشيءَ يبيعه ــ شراه ، و (باعه) اشتراه ؛ فهو من الأضداد . والكاتب يقصد بعبارته أن الصهاينة اشتروا اليهود العرب وفلسطين معاً .

الواحد ؛ فأخذت مؤسسة الهجرة تكدس الأرباح التي بلغت الملايين . ومن ضمن الذين استفادوا من هذه الأموال المسروقة ؛ الأحزاب الصهيونية في إسرائيل . واتهم مراقب الوكالة اليهودية هذه المؤسسة باستغلال المهاجرين ، وجمع الأرباح الفاحشة ؛ عن طريق الازدحام الكثيف ، والشروط غير الإنسانية في السفن . وكانت المؤسسة تضاعف عدد المسافرين في كل باخرة ؛ لمضاعفة أرباحها [محاضر الإدارة الصهيونية ، ٤٩/٣/٢١ و ٤٩/٤/٢٩] . وكانت تفصل عن اليمنيين — قبل صعودهم إلى الطائرات — أمتعتهم التي شملت كتب توراة قديمة ، وأدوات صلاة ، وحليًّا ومطرزات وقطعا فضية وذهبية ، وكتباً قديمة ومخطوطات ، إلى آخر ذلك من الأشياء الثمينة . ووعدوهم الصهاينة بأن هذه الأشياء سوف تُرسل وراءهم بالسفينة ، ولكن قسماً كبيراً منها سرق في الطريق ، وقسماً آخر وصل إلى حوانيت التحف الأثرية والهدايا الخاصة بالسياح [تقرير بن تسفي ، ١٨ /١٢/ ٤٩ — الأرشيف المركزي لتاريخ الشعب اليهودي : أرشيف ناحوم ليفين] . وقد كشفت تقارير الرقابة الإسرائيلية وسلسلة من التحقيقات بهذا الشأن عن أعمال فساد كثيرة [من مناحيم بن يوسف إلى أفرايم هدار ، ٤٩/١٠/٩ — الأرشيف الصهيوني المركزي ، دائرة يهود الشرق الأوسط S/20/600 ، وكذلك S/20/109 ، وكذلك S/20/547 II] وبنفس الطريقة سَرَق الصهاينة الكتب القديمة والتحف الأثرية من الفلاشا ؛ أي اليهود الأحباش (انظر جريدة هآرتس ، ١٩٨٥/١/١١) . وعند وصول المهاجرين إلى إسرائيل ؛ كانوا قد قُسِّموا بين الأحزاب السياسية الأشكنازية ؛ وبدون معرفتهم أو فهمهم لمبادىء هذه الأحزاب وتياراتها السياسية ؛ ثم كانت تجري عملية شراء الأصوات وشراء الوجهاء والحاخامات . وفي أحد الملفات الخاصة بالحزب الديني الأشكنازي « همزراحي » — توجد بطاقة مرسلة من ي . فاينشتاين إلى ش . شميدت ؛ كتب عليها مايلي : « أرجو أن تدفع مبلغاً صغيراً لمصروف جيب كل شهر إلى الحاخام بديحي » [الأرشيف الصهيوني المركزي في عدن ، L27] . وفي مراكش — مثلاً — طلب هذا الحزب من المهاجرين دفع مبلغ قدره ٢٠ ألف فرنك مقابل كل تأشيرة خروج ، و٥٠ ألف فرنك مقابل جواز سفر مع تأشيرة خروج ، و ١٠٠ ألف فرنك مقابل هجرة مباشرة إلى فلسطين ؛ بدون الانتظار في معسكرات المهاجرين الانتقالية في مرسيليا [أرشيف الجيش الإسرائيلي — 14/5/A] . وقال تسفي حرمون ، من دائرة الاستيعاب في المجلس التنفيذي الصهيوني ، بتاريخ ٤٩/٣/٢١ « إن مؤسسة الهجرة تدفع إلى الهجرة عنصراً بشريا ذا مستوى متدنٍ جدا » ، وفي ٤٩/١٠/٦ ؛ قال إنه لايوجد في تونس حركة طوباوية ؛ فالطوباوية كانت منظمة (يعني نشر الأكاذيب بشأن مجيء المسيح اليهودي المنتظر) . ووزع المبعوث الصهيوني يوسف صادوق رسائل على جميع وجهاء اليهود في اليمن ؛ يبشرهم بيوم الخلاص أو يوم القيامة ، ويدعوهم إلى الذهاب إلى عدن [٤٩/١٢/٣١ ، الأرشيف الصهيوني المركزي ، L27] .

وبسبب العلاقات الودية بين إسرائيل وإيران الشاه وأمريكا ؛ تمكنت الدولة الصهيونية في الخمسينيات من استجلاب ٥٠٫٠٠٠ يهودي إيراني ، وخلال ١٩٦٠ — ١٩٧٥ استجلبت

٧٠٬٠٠٠ . غير إن المهاجرين الجدد رفضوا أن يكونوا قوة عمل رخيصة كالإيرانيين السابقين ، ونزح الكثير منهم إلى الغرب . وقبيل الثورة الإسلامية ؛ بث عملاء الصهيونية المناشير التي تهدد اليهود الإيرانيين بالقتل إذا بقوا في إيران ، وتظاهر أصحاب هذه المناشير بأنهم « ثوار مسلمون » . وهكذا ؛ هاجر مابين ٣٠٬٠٠٠ — ٥٠٬٠٠٠ يهودي إيراني . وتقدر جريدة هآرتس (٨٠/٤/٤) عددهم بنحو ٣٠٬٠٠٠ ، ولم يبقَ منهم في إسرائيل إلّا ٦٠٠٠ مهاجر . أما الملحق الأسبوعي لنفس الجريدة (٨٢/٤/٩) فيقدر العدد بنحو ٥٠٬٠٠٠ (عام ١٩٧٩) ، ولم يبق في إسرائيل إلّا ١٥٬٠٠٠ نسمة ، بصورة مؤقتة ، كسياح ينتظرون العودة إلى إيران ، أو الهجرة إلى الغرب ، أما الباقي (٣٥,٠٠٠) فقد عادوا إلى إيران ، أو هاجروا إلى أوروبا وأمريكا . هكذا رفضت الأغلبية البقاء في إسرائيل ؛ لسببين : أولهما ؛ جهود منظمة التحرير الفلسطينية في طهران الرامية إلى تشجيع اليهود على العودة إلى بلادهم ، وتحضير الجو الملائم لعودتهم . وثانيهما ؛ الحالة المأساوية التي سادت حياة اليهود الإيرانيين الذين هاجروا في الخمسينيات . ولم يصدق هؤلاء السياح ما رأت عيونهم من أحوال الفقر والذل في الحزام الأسود وفي « مدن التطوير » ؛ حيث يعيش المهاجرون الإيرانيون مع إخوانهم يهود الإسلام . وقد واجه الزوار اليهود الأتراك نفس الصدمة عندما رأوا أحوال أقربائهم في إسرائيل ؛ فعادوا إلى تركيا وأسرعوا في العودة . بالإضافة إلى ذلك ؛ فقد كان هؤلاء « السياح » الإيرانيون (١٩٧٩) الذين سكنوا الفنادق — يشكون من معاملة السلطات الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي ؛ في شؤون العمل والسكن . وكان اليهود الأشكناز يسمونهم « خمينيين » و « بدائيين » و« فارسيين » و« ليفنتنيم » (أي شرقيين غير متحضرين) . وكان معظم هؤلاء الإيرانيين تجارا وأغنياء وأصحاب مهن حرة وثقافة جامعية ، ودخل نحو ٥٠٠ شاب منهم الجامعات الإسرائيلية . وعلى إثر المباحثات التي جرت بين ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية والسلطات الإيرانية في طهران ؛ أخذ أقرباؤهم في إيران يخابرونهم تلفونيا ، وينصحونهم أن يعودوا إلى إيران ؛ لأن السلطات الإيرانية تعاملهم بالإحسان كأهل الذمة . وبلغ عدد هؤلاء الذين ظلوا في إيران ٥٠٬٠٠٠ نسمة . ونتيجة لهذه الاتصالات ؛ عاد عدد كبير من اليهود إلى إيران ، وفضل الآخرون الهجرة إلى الغرب ؛ بسبب مصالحهم الرأسمالية [نفس المصدر] . ولقد قال بن غوريون عام ١٩٥٦ : « لاأستطيع أن أرى ماهو الإسهام الذي بمقدور اليهود الإيرانيين أن يقدموه لإسرائيل » [عل همشمار ، ٨١/٩/٢٨] ، ويعني بذلك أن إنسانية الشرقي منحطة .

وفي السبعينيات تمكنت الصهيونية من خداع يهود القفقاس (القوقاز) في جنوب الاتحاد السوفياتي (وهم من أصل عربي إسلامي أندلسي) ، واستجلبت الآلاف منهم وأسكنتهم في « مدن التطوير » مع إخوانهم اليهود العرب ؛ فأصبحوا هدفاً للتمييز العنصري في العمل والسكن ، وشنت الصحف حملة مُهينة ضدهم وسمتهم « سكارى مجرمين » . ويقول غدعون إيلون (هآرتس ، ٨٠/٢/١٥) إنه من ضمن ٣٣٬٠٠٠ يهودي جيورجي ؛ تركت ٥٠ عائلة إسرائيل . وأعلن بن صيون يعقوشفيلي أحد زعمائهم : « لن نعود إلى إسرائيل أبداً » . ومما يجدر ذكره ؛ أن ٢٠٪ من هؤلاء المهاجرين هم أصحاب مهن حرة ، و٧٠٪ منهم عمال مهرة (ولم يصل يهود الإسلام تحت

الحكم الصهيوني إلى هذه الدرجة من المهارة والثقافة) . وبسبب فقرهم في إسرائيل ؛ لم يستطيعوا النزوح إلى الغرب ، كما أن الاتحاد السوفياتي رفض إعادتهم إلى جيورجيا وطنهم ، وقام بعضهم بمظاهرات صاخبة في فيينا مطالبين بالعودة إلى الاتحاد السوفياتي . وتقول حنه كلدرون (ملحق هآرتس ، ٨٦/١٠/١٧) إن يهود القفقاز كانوا مزارعين وعاشوا حياة تقليدية . وفي إسرائيل أسكنوا في برديس حنه وأور يهودا (ساقية) وأور عقيبا ؛ وهناك تركوا بدون مساعد ولا معين . وكان المحيط عدائيا تجاههم ، وأدت أحوالهم التعيسة مثل الأحوال السكنية وقلة الأجور والفقر إلى أن شبيبتهم أصبحت بعد مدة وجيزة من الزمن جانحة ؛ زاولت اللصوصية واقتحام الأملاك . ويتعرض أبناء القفقاز للإهانات مثل : « جيورجي ، أو قفقازي وسخ ، أو لص » ؛ ولذلك فضل القفقازيون الوحدة على الانسجام ، وأخذوا يشاهدون البرامج السوفياتية التليفزيونية بدلاً من البرامج الإسرائيلية ، ويفضل الشباب التربية التي تلقوها في العائلة على التربية الإسرائيلية . ويذكرون أنهم كانوا سعداء في بلدهم السوفياتي ، ولم يفتقروا إلى شيء ، ولم يعانوا من الفقر ، « أما هنا في إسرائيل فإنها لَغَابة (أي فوضى) . هناك كان لكل واحد بيت ، هناك كان كل واحد مثل رئيس بلدية هنا » ـــ على حد قولهم [نفس المصدر] (غير إن أكثرية اليهود الأشكناز الذين هاجروا من شمال الاتحاد السوفياتي يتميزون بالعداء لبلدهم الأصلي ، وانضموا عادة إلى العناصر الدينية اليمينية وإلى المستوطنين في الضفة وقطاع غزة) .

المعسكرات الانتقالية في الخارج :

لقد عَلِمت المؤسسة الصهيونية أن يهود الإسلام سوف يرفضون المرتبة السفلى التي حددت لهم في المجتمع الإسرائيلي ؛ لأنهم انتموا إلى الطبقة الوسطى في دار الإسلام ؛ أي طبقة التجار وأصحاب المهن الحرة ؛ وحتى فقراؤهم عاشوا مكرمين على الحرف اليدوية . ومن هنا ؛ كان لابد من إذلالهم وتحطيم معنوياتهم وكرامتهم الإنسانية ؛ حتى يستجدوا الخبز ويتوسلوا في طلب عمل يتعيشون منه ؛ أي عمل ، ويكونوا ممنونين عندما تعطيهم المؤسسة الأعمال الدنيا . لذلك ؛ أقيمت « مختبرات كيماوية » انتقالية لهم ؛ يدخلها يهود الإسلام وهم تجار وأصحاب مهن حرة أو حرفيون ، ويخرجون منها بعد عدة سنوات وهم قوة عمل رخيصة ، قابلة للتنقل في سوق العمل الرأسمالية ، تقبل الدور الأسفل الذي حدد لها من قبل المؤسسة الحاكمة .

وهذه المختبرات ، هي المعسكرات الانتقالية في الخارج ، ثم « المعبروت » وهي المعسكرات الانتقالية في الداخل . وعندما أكملوا صياغتهم الأخيرة ؛ وضَعُوهم في مايسمى « مدن التطوير » ، والتعاونيات ، وفي « الحزام الأسود » ؛ أي أحياء الفقر في المدن الكبرى . هكذا ؛ نُفِذَت عملية « الهضم » بصورة عامة ، واختلفت وسائل « الهضم » في بعض الأحيان ؛ لتناسب الظروف المختلفة ؛ فاليهود العراقيون ـــ مثلاً ـــ لم يوضعوا في المعسكرات الانتقالية في الخارج ؛ وإنما نقلوا إلى المعسكرات الانتقالية (معبروت) في الداخل مباشرة . ولقد أدعى المؤرخون الصهاينة وحلفاؤهم

ـــ كذباً ؛ عندما قالوا إن المهاجرين الأشكناز عانوا من نفس المشقات ؛ فالأشكناز الذين أدخلوا هذه المعسكرات على اختلاف أسمائها ـــ كانت نسبتهم صغيرة جدا ، ومنحوا امتيازات كثيرة ، كما أن مدة وجودهم في هذه المعسكرات كانت قصيرة جدا ، ومن ثَمَّةَ نقلوا إلى المدن الكبرى أو إلى المستوطنات الأشكنازية ؛ حيث استلموا وظائف تلائم مؤهلاتهم المهنية ومنازل مريحة ، وانسجموا بسرعة في المجتمع الأشكنازي الاستيطاني الصهيوني . أما يهود الإسلام ؛ فمازالت المؤسسة الحاكمة تسميهم وتسمي أبناءهم وحفدتهم الذين ولدوا وتربوا في إسرائيل ـــ « مهاجرين » ، أو « سكان الضائقة » ، أو « سكان مدن التنمية » ، أو « سكان الأحياء » ، أو « إسرائيل الثانية » . كما تسمي أطفالهم « الذين يحتاجون إلى العناية » (أي متخلفين عقليا) . وهكذا قسمت المؤسسة الصهيونية اليهود إلى قسمين معادين ، والهوة بينهما تتعرض وتتعمق سنة بعد سنة ـــ أعني الفجوة الاقتصادية والثقافية والحضارية والسياسية .

والقاسم المشترك لجميع هذه المعسكرات هو : أوضاع معيشية قاسية تسلب الإنسان أبسط حقوقه ، وتدمر كرامته الإنسانية . ويمكن تناول المعسكرات الانتقالية في الخارج ، التي أقيمت من أجل المغاربة واليمنيين على النحو التالي : في شباط ١٩٤٩ ؛ أرسلت الوكالة اليهودية إيريس لويس إلى المعسكر الانتقالي في الجزائر ، وبعد عودتها كتبت في تقريرها عن المعسكر مايلي : « يعيش في شارع صغير وراء المدارس في مبنى « إليانس » أناس في ازدحام شديد كالحيوانات ... يعيشون بدون الطعام ، ويموتون من الأمراض ، ويتناسلون ويموتون ... رجالا ونساء ، شباباً وشيوخاً ـــ كلهم بعضهم مع بعض . ويسكن أكثر من ٥٠ شخصاً في غرفة واحدة تتراوح مساحتها بين ٤ ـــ ٥ أمتار مربعة » [الأرشيف الصهيوني المركزي ، S20/550I] . أما المرشدة هيدا غروسمان فكتبت مايلي : « انتمى جميع الشبان إلى عائلات كثيرة الأولاد ، وأدت الهجرة إلى تمزيق الروابط العائلية . إن الحنين والشوق إلى أبناء العائلات ، والقلق على مصيرهم ينغص حياة الناس بصورة دائمة ، وقد سبب في البداية ممارسات هستيرية ، وبكاء وصراخاً في الليل . وكان شبان بلدة جبس ـــ بصورة عامة ـــ أكثر هدوءًا وانضباطاً بالنسبة إلى هذه التأثيرات ؛ مع أن عناءهم وتوترهم كانا كبيرين (...!) . وقد اشتملت الروابط بين أبناء الجنس الواحد على مظاهر المحبة الجسدية القريبة جدا إلى الشذوذ الجنسي ، الذي تعتبر جذوره بديهية داخل شبكة العلاقات بين الجنسين لدى هذه الطوائف . وكان هناك أيضاً ظواهر النضوج الكامل والعلاقات الفاسدة . وستسبب هذه المشكلة ـــ طبعاً ـــ تعقيدات كثيرة في إسرائيل ؛ عندما يصبح هناك عدد ضئيل من البنات ، وخللاً في العلاقات الجنسية بين أبناء الطوائف الشرقية جميعاً . ولم تكن في هذه المجموعة التابعة لنا ـــ مثلاً ـــ أية فتاة ! » [ملفات دائرة الهجرة ، حزمة ٦١ ، ملف ٣٩٣ ـــ الترقيم الأصلي 2421/73، بدون تاريخ] . وقد فضلت مؤسسة الهجرة استجلاب الشبان بغية تجنيدهم في الحال . ووصف مبعوث الوكالة اليهودية في ليبيا هـ . ارتسيئيلي ، وصف اليهود المغاربة وكأنه تاجر خيل : « أجسادهم رشيقة ومظاهرهم جميلة ، لكن يصعب عليَّ تمييزهم من النموذج العربي الممتاز » [٩ /٨ /٤٩ ، الأرشيف الصهيوني المركزي ، S20/555] . وكتب أحد أطباء المعسكرات في مرسيليا إلى دائرة الهجرة في إسرائيل

يقول : « يحضر المهاجرون من شمال إفريقيا إلى مرسيليا وهم معدومون ... ومن دون ملابس تقريباً . ولا يتلقون أي طعام طوال مدة السفر في السفينة التي تستغرق ٣ أيام . إن الظروف في السفينة سيئة جدا ، والمهاجرون يفترشون الأرض ليناموا من دون أغطية ومن دون حد أدنى من الثياب التي تتلاءم وأحوال الجو . وفي ٤٨/ ٩/٢٣ ؛ توفي طفل على متن السفينة ، وقد جزمت السلطات الصحية الفرنسية بأن الطفل توفي نتيجة البرد والجوع . إنني أطلب الاتصال بالجهات المعتمدة ؛ لإصلاح هذه الوضع (...) . هناك نقص كبير في البطانيات في معسكري غراند أرنس ومزراع ب (في مرسيليا) ، وينام المهاجرون في أكواخ من الأبطنة ذات سقوف خشبية ، على أسرة عسكرية ، ومن دون فرش سوى بطانية واحدة . ونتيجة الظروف السكنية السيئة وانخفاض مستوى التغذية ــ في الآونة الأخيرة ؛ حدثت ١٢ حالة وفاة بين الأطفال ... وهناك نقص كبير في الصابون والملابس ... إنني لاأفهم لماذا توزع الملابس على المهاجرين من دول أوروبا جميعاً ، في حين لايوزع أي شيء على جماعة شمال إفريقيا ؟ » (أي لماذا توزعون الملابس على المهاجرين الأشكناز ، ولا توزعون الملابس على يهود الإسلام) [من الدكتور غولدمان إلى الدكتور كورنبليط ، ٤٨/٢/٣١ ، الأرشيف الصهيوني المركزي ، S20/550I] . وفي إحدى جلسات المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية ، حذر الدكتور يسرائيل غولدشتاين من التمييز ضد المغاربة في هذه المعسكرات [المجلس التنفيذي الصهيوني ، ٤٩/٧/١٨] . وهناك مواد كثيرة في الأرشيف الصهيوني عن الأحوال التعيسة في معسكرات مرسيليا . وبسبب الأحوال القاسية في معسكرات المهاجرين في إسرائيل ؛ يقول أحد المبعوثين « إن الأمر الأول البارز اليوم هو انعدام الرغبة في الهجرة ، وكانت هذه ظاهرة جماعية ؛ يجب أخذ هؤلاء الناس الآن بالقوة والصعود بهم إلى السفينة » [تقرير إيلي بيليغ ، ٤٩/ ٧/٢٤ ، الأرشيف الصهيوني المركزي ، S20/562] . واعترف الياهو دوبكين ، في جلسة المجلس التنفيذي الصهيوني ، في ٤٩/ ٧/٣١ بأن « هناك ظاهرة عدم الرغبة في السفر » . ودمرت المؤسسة الصهيونية وحدة العائلات المغربية بواسطة أختيار الأقوياء والشبان واستجلابهم لإسرائيل ؛ كلحوم لمدافعها ، وتُرك الشيوخ والمرضى ليموتوا رويداً رويداً في المعسكرات الانتقالية في فرنسا . واستخدم الصهاينة نفس الطريقة في تهجير اليهود الأحباش ــ فلاشا ــ عام ١٩٨٤ و ١٩٨٥ . وحدث هذا أيضاً قبل النزوح من المغرب إلى فرنسا ؛ إذ إن المبعوثين الصهاينة دفعوا باليهود المغاربة من الريف ، وأرغموهم على ترك منازلهم وأعمالهم والذهاب إلى الدار البيضاء ؛ حيث أهملوا لمدة طويلة يُعانون من الجوع والمرض والبطالة ، وفي هذا الوقت بالذات انهمك المبعوثون الصهاينة في عملية انتقاء « الصالحين » للهجرة .

وفي أحد ملفات دائرة الهجرة توجد وثيقة بدون توقيع ؛ كتبت بأيدي طبيب اشتغل نحو عام ونصف العام في المعسكرات الانتقالية الخاصة بالمغاربة ؛ في مرسيليا ــ يقول فيها : « إن المهاجرين من شمال إفريقيا سوف يزودون إسرائيل بالعمل الرخيص : العمل غير الماهر ، بدلاً من العامل العربي الذي كان يتوفر على هذا العمل حتى حرب الاستقلال !! إن مستوى معيشة الشمال ــ إفريقي لم

يكن أعلى من مستوى الفلاح العربي ، وسيكون مستواهم في إسرائيل اعلى مما كان عليه ، حتى ولو ظل دون المستوى المعيشي الأوروبي الذي يتمتع به الأشكناز . إن المهاجر من شمال إفريقيا سوف يتكيف ترتيباً على ذلك ــ من دون أية صعوبة ــ مع وضعه ...» [ملفات دائرة الهجرة ، حزمة 71 ، ملف 343 ، الترقيم الأصلي 2421/73] . وقال بيرل لوكر ؛ رئيس المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية ــ للسياسي والمليونير اليهودي الأمريكي هنري مورغنتاو ، في تشرين الأول ١٩٤٨ : « في رأينا أن اليهود السفاراديم (يهود الإسلام) واليمنيين ؛ سوف يضطرون إلى أخذ نصيب كبير جدا في بناء البلد ، وعلينا إحضارهم إلى هنا ؛ من أجل إنقاذهم ، ومن أجل توافر العنصر البشري اللازم لبناء البلد » [المجلس التنفيذي الصهيوني ، ٤٨/١٠/٢٤] . وفي هذه الفترة بالذات ؛ تعرفت (الكاتب) على عدد كبير من المهاجرين من أرض الإسلام ؛ وخاصة من ذوي المؤهلات الثقافية العالية ، وشاهدت كيف أرغموا على التدهور إلى هامش المجتمع ، أو الهجرة إلى فرنسا وأمريكا وبريطانيا . وفي معسكر كفار عانه ، قرب تل أبيب ، سكن سليم روبين ، وكان يشغل أعلى المناصب في مصلحة السكك الحديدية العراقية ؛ لقد كان مديراً لمحطة بغداد ومديراً لمحطة كركوك ومديراً لمحطة الموصل وخانقين . وعندما جاء إلى إسرائيل ؛ رفضت السلطات تشغيله في مهنته فأصبح عاطلاً فقيراً يسب إسرائيل والذي أنشأ إسرائيل . وفي عام ١٩٦٢ ؛ علق زعيم مغربي على هذه الظاهرة قائلاً : « إن عدد اليهود الأساتذة المغاربة في جامعة السوربون أكبر من عدد الطلاب المغاربة في جامعة القدس » . وبالرغم من هذه الحقائق ؛ يقول المؤرخ التقدمي إن يهود الإسلام « تدهوروا إلى هامش المجتمع ؛ لأنهم لم يجلبوا معهم المعطيات اللازمة للتنافس الحر على منزلتهم في المجتمع الإسرائيلي ... أو لأنهم لايتقنون اللغة العبرية » [سيغف ، ص ١٨٠ و ١٨١ ، الترجمة العربية] (يلاحظ أن الأشكناز المهاجرين لم يعرفوا اللغة العبرية أيضا ، وإذا كان هذا موقف المؤرخ التقدمي ؛ فلك أن تتصور موقف الرجعي – انظر الفصل الثامن) . إن خدعة البعض الذين يدعون أنهم من « التقدميين » الإسرائيليين و« أصدقاء » منظمة التحرير الفلسطينية هي أن ٩٥٪ من أقوالهم صحيحة ، ولكن الباقي – وهو هام وخطير جدا – تلفيق وتضليل .

أما عن أحوال المهاجرين اليمنيين ؛ فبالرغم من الاتفاقية السرية بين الصهاينة والإمام ؛ لم تنفذ عملية تهجير اليمنيين بصورة مكشوفة ؛ خوفاً من الرأي العام العربي والإسلامي ؛ لذا تقرر إرسال اليهود إلى عدن . وهناك أرغموا على الانتظار في ساحة رملية أطلق عليها « معسكر غيؤلا » (أي خلاص) ، إلى أن تقلهم الطائرات إلى إسرائيل . ويصف الدكتور يوسف مئير مجيء اليمنيين إلى هذا « المعسكر » كما يلي : « ... وصلت ١٥ شاحنة تحمل ٣١٣ جسداً عارياً أو شبه عار : سواء من القيظ ، أو مراعاة للعادة ، أو بسبب النقص في الثياب ؛ يجلسون باكتظاظ ، قذرين ، أجسادهم ملآنة بالجروح ، والوجوه تشخص بهم وتصمت . وحتى بعد إلقاء التحية ؛ كان من الصعب التحدث إليهم : سواء بسبب الإعياء – يقولون إنهم في تجوال منذ ١٥ يوماً – أو بسبب اللامبالاة ، أو بسبب التفجع ، أو بسبب الخوف مما هم مقبلون عليه . وقد سألنا البعض : هل أنتم من

الإنكليز ؟ على الرغم من أننا كنا نتكلم العبرية ، وحرصنا على الاقتراب منهم . بدأ إنزالهم من السيارات ؛ الواحد تلو الآخر ؛ بصمت وهمس وهدوء وبطء تام ، حتي إنك لاتكاد تسمع بكاء طفل . والصورة شبيهة بقطيع من الغنم يقاد من الحقل قبيل المساء ويسير بطيئا ؛ الرأس وراء الآخر ؛ حتى يصل إلى الحظيرة – هذه الأجمة المظلمة التي يكتظون فيها . في الليلة الأولى يحصلون على الخبز والماء والتمر ، وهذه الليلة الأولى لقاء تاريخي بين عنصر عبري عتيق وعناصر يهودية من أوروبا والشرق الأوسط . لاتبدو على وجوههم أية ملامح من السعادة ، أو أية علامة انفعال ، أو أية دلالة على الشعور بالخلاص وانتهاء المحن كافة . إنني أقول بفظاظة : أناس لهم ملامح حيوانية ، ونعرف أنهم يتمتعون بمستوى عال جدا من الذكاء والقدرة العقلية .. » [وزارة الصحة ، أيلول ١٩٤٩ ، أرشيف الدولة ، وزارة الخارجية ، 2397/15 ــ نقلها سيغف] . وكان هذا المعسكر قد أقيم ليضم ٥٠٠ نسمة ، غير إن عدد المهاجرين فيه بلغ ١٢ ألفا : بدون خيم ، يفترشون الرمال وينامون عليها ليلاً ، يقضون حاجاتهم داخل المعسكر أو بالقرب منه . وفي بعض الأحيان كانت تهب عاصفة رملية على المعسكر ، أو تهطل أمطار غزيرة ؛ فكان جميع اللاجئين يغرقون بالماء هم وأغراضهم [من يوسف صادوق إلى مناحيم ، ٢١/٧/ ٤٩ ، الأرشيف الصهيوني المركزي ، S20/ 457 II] . ويقول الدكتور مئير « إن أحداً لم يعرف عدد المرضى في المعسكر ، أو مكان وجودهم ، وكان بعضهم يتمكن من الوصول إلى العيادة للحصول على ضمادة أو حقنة بنيسيلين ، وآخرون يلفظون أنفاسهم في أماكنهم ولاسيما المسنون والمسنات » . كان هناك نساء يلدن أطفالهن على الرمل ، ولا تتمكن الممرضة من الوصول إلا لقطع السرة . وعندما تأتي النساء إلى العيادة أو غرفة المرضى كن يضطجعن على الأرض مرهقات غير مباليات ، وأطفالهن بالقرب منهن ، من دون فرح ومن دون هياج . وكان الموتى يدفنون في الرمال ، ولا تسمع أي نحيب [حسب تقرير الدكتور مئير] . وعندما يصل اليمنيون إلى المعسكر ؛ كان يطلب منهم انتزاع ملابسهم وإحراقها ، وكانوا يتلقون ملابس أوروبية ؛ لطمس هويتهم العربية والإسلامية . وكانت النساء يشعرن بأنهن عاريات ؛ عندما يرتدين الفساتين العصرية ؛ إذ كن يرتدين في اليمن سراويل ملونة تحت الفساتين ؛ مشدودة حتى الأقدام ؛ للمحافظة على حشمتهن . وكثيراً ما أعطيت لليمنيين أسماء عبرية بدلاً من الأسماء العربية الإسلامية . (قال لي صديقي نعيم : « ... وعندما سكنت في كيبوتس غيفع في أثناء الحرب العالمية الثانية ــ وصلت إلى الكيبوتس جماعة من الشبان اليمنيين ؛ من اليمن مباشرة . وكانوا يلبسون الملابس التقليدية العربية البيضاء ، وكان لهم شعر طويل وجميل للغاية ؛ فأخذوا منهم هذه الملابس وأحرقوها ، وأعطوهم البنطلونات القصيرة المصنوعة من الخاكي* . ثمت أخذوهم إلى الحمام ؛ وأجلسوهم الواحد بعد الآخر على كرسي وحلقوا شعورهم الجميلة الطويلة . وكان منظرهم بعد ذلك مضحكاً للغاية ... ») . ويوجد في ملفات الوكالة اليهودية شكاوى كثيرة عن المعاملة الوحشية من جانب المسؤولين تجاه اليمنيين ؛ لقد كانوا يضربونهم ويعرضونهم للإهانات .

* الخاكي Khaki ؛ نسيج له لون مزيج من البني والأخضر ، والأشهر تسميته الكاكي ــ تصنع منه ملابس العساكر والأنصار .

وفي إسرائيل جرى نقاش بشأن استجلاب اليمنيين : قال إسحق غرينبويم ؛ وزير الداخلية : « لماذا نعمل على إلغاء المهجر في اليمن ، وتهجير أناس يلحقون بنا الضرر أكثر مما يفيدوننا ؟ وفي حال تهجير ٧٠٪ من المرضى ؛ فإننا سنلحق الضرر بأنفسنا وبهم ... » . وقال إسحق رفائيل (٥/٦ /٤٩) مطمئناً أقرانه في المجلس التنفيذي للوكالة : « لم يكن بين المهاجرين من اليمن مرضى كثيرون » ؛ ملمحاً إلى أن المرضى سوف يموتون في الطريق ، ثم قال : « يجب عدم الخوف من العدد الكبير من المرضى المزمنين ؛ إذ يجب عليهم السير على الأقدام لمدة أسبوعين تقريباً . أما المرضى الذين في حالة خطرة ؛ فلا يستطيعون السير » . وكتب بن غوريون في مذكراته (٢٨/٩/٤٩) : « الأطفال (اليمنيون) يموتون كالذباب . علينا إنقاذهم . صحيح أن نسبة الوفيات عالية هنا أيضاً ، ولكن يوجد هنا علاج أكثر فعالية وأكثر صدقاً » . وبعد بضعة أسابيع قال : « إذا كتب عليهم الموت فمن الأفضل لهم أن يموتوا هنا » [محاضر الكنيست ، المجلد ٣ ، ص١٢٨ ، ٢١/١١/٤٩] .

ويبدو أن الشروط القاسية التي فرضت على اليمنيين في طريق تهجيرهم من اليمن إلى عدن ، والشروط الصحية والغذائية في معسكر غيؤلا — لم تهدف إلّا إلى التخلص من الضعفاء والمرضى ؛ من أجل استيعاب الأقوياء فقط ؛ ليتمكنوا من القيام بالأعمال الجسدية في الاقتصاد والقوات المسلحة في إسرائيل . وبعد أن مات هؤلاء ؛ نقل اليمنيون بالطائرات إلى إسرائيل . وقد يتساءل المرء : لماذا سمحت بريطانيا العظمى بحدوث هذه الأعمال الإجرامية اللاإنسانية تحت رايتها في عدن ؟ لقد استجلبت إسرائيل خلال ١٩٤٨ — ١٩٧٥ ؛ ٨١٩٫٠٠٠ يهودي أشكنازي من أوروبا ، ولم تعاملهم بهذه القسوة . فإذا لم تكن هذه التفرقة عنصرية ، فماهي ؟!

الفصل الخامس

استيعاب أمْ هضم ؟

يعالج هذا الفصل استيعاب المهاجرين في إسرائيل . وأنا لا أحب استعمال كلمة « استيعاب» ؛ لأنها أكثر إنسانية مما حدث في الحقيقة ؛ وأفضل كلمة « هضم » بدلاً منها ؛ لأنها تعكس الواقع في المعسكرات الصهيونية ، التي أنشئت للمهاجرين – حيث هضمت حقوقهم الإنسانية . لقد بدأت عملية الهضم الرامية إلى تحويل يهود الإسلام إلى طبقة عاملة متدنية ، في المعسكرات الانتقالية في الخارج – كما ذكرنا في الفصل السابق – ثم استمرت في إسرائيل في « معسكرات المهاجرين » والمعسكرات الانتقالية (معبروت) ، وأخيراً في المحطة الأخيرة : « مدن التطوير » ، أو « التعاونيات » ، أو « الحزام الأسود » في المدن الكبرى .

أولاً – معسكرات المهاجرين :

حدثتني وداد عن هجرتها من بغداد ؛ فقالت : « كنا لابسين ملابس السبت ، وفكرنا عند هبوط الطائرة ، أن إسرائيل سوف تستقبلنا وترحب بنا ، ولكن هيهات . عندما هبطت الطائرة في مطار اللد ، صعد إليها عامل يحمل ماكينة أخذ يرش علينا وعلى وجوهنا مادة الـ « دي . دي . تي » ، وكأننا مملوؤن بالقمل .. إيش لون مقابلة هذي ؟ شعرنا بأنهم يبصقون في وجوهنا . ثم نزلنا من الطائرة ، وأدخلونا إلى قطار حملنا كأننا بهائم . كان الازدحام شديداً للغاية ، وكنا ندوس الواحد على الآخر ، وتلوثت ملابسنا الجميلة . وبكى زوجي ، وبكيت أنا ، ثم أخذ الأطفال يبكون ، وتصاعد البكاء إلى السماء ، وخيم الظلام على القطار . ولم يكن في القطار أي نور كهربائي ، لأنه قطار يستخدم لنقل البهائم والبضائع المختلفة . وقطع القطار المسافات بسرعة ، وتذكرنا قطارات الموت التي كانت تحمل يهود أوروبا إلى المعسكرات النازية . وأخيراً ، وصلنا إلى هذا المعسكر « شاعر هعليا » (شاعر معناها « بوابة » ، و « هعليا » معناها « الصعود » ؛ لأن الصهاينة لايستخدمون كلمة « هغيرا » وإنما كلمة « صعود » ؛ لأنهم يعتبرون الهجرة إلى الأرض المقدسة « صعوداً ») ، وأدخلونا إلى هذه الخيمة مع عائلات أخرى » . ثم نظرت حولها ، فكان زوجها وأطفالها يغطون في النوم على أسرَّة متلاصقة الواحد بالآخر . وتواصل وداد : « ثم سجلوا أسماءنا ،

وابدلوا بالاسماء العربية أسماء عبرية . هكذا أصبح سعيد يسمى حيم ، وأصبحت سعاد تدعى تمار ، وأنا - وداد - أصبحت أهوفه ... إلخ . وأخذنا ننتظر في طوابير طويلة نستجدي الأكل ، كأننا متسولون . ونحن لانعرف ماذا سوف يحل بنا » . ثم نظرت إليَّ وعيناها مملوءة بالدموع ، طالبة النجدة والمساعدة ، وسألت : « أهذه هي إسرائيل ؟ » . قلت : « نعم » .

كان شاعر هعليا معسكر اعتقال تابع للجيش البريطاني ، ثم حولته إسرائيل إلى معسكر انتقالي للمهاجرين . وقوت السلطات وسائل الأمن في المعسكر بواسطة مضاعفة ارتفاع الأسلاك الشائكة حوله ، وإقامة خط تلفوني يربط المعسكر بالشرطة الإسرائيلية في ميناء حيفا . وأقيمت قوة بوليسية تتألف من ٦٠ شرطيا وأربعة رقباء ؛ للسيطرة على المهاجرين . وأسكن المهاجرون في خيام أو ثكنات مغطاة بسقوف من الصفيح ، كانت تستخدم مخازن للعتاد من قبل ، ولم تكن لها أرضية مبلطة . وبينما كنت أتجول بين هذه الخيام ، استوقفني شيخ عراقي قائلاً : « بالله عليك ، بس سؤال واحد ، هل نحن مهاجرون أو أسرى حرب ؟ » ، فتلعثم لساني ولم أجب ، فبصق الشيخ على الأرض وسبَّ إسرائيل والذي خلق إسرائيل . وشاهدت أن الشروط الصحية في المعسكر بدائية جدا ، وكانت المراحيض تفيض بمحتوياتها ، وقلما رأيت فصل الجنسين في هذه الحالات . وبسبب انعدام الحمامات ازدادت أوساخ الناس وعظمت روائحهم النتنة . ومن شاعر هعليا نقل المهاجرون إلى معسكرات أخرى : لاتختلف عن شاعر هعليا من حيث الشروط المعيشية . وبلغ عدد السكان فيها عام ١٩٤٨ - ٩٠,٠٠٠ نسمة ، أي ثلثي المهاجرين - آنذاك . أما باقي المهاجرين (وهم الأشكناز) فمنحوا المنازل الفلسطينية بعد تشريد أهلها . وحذَّر يهودا برغنسكي ، أحد موظفي دائرة الاستيعاب - من أن مخازن الأغذية آخذة بالنفاد ، وأن المجاعة سوف تشمل ١٠٪ من سكان المعسكرات [محاضر الإدارة الصهيونية ، ٤٩/٨/١٢] . وفي الشهر التالي استلم سكان المعسكرات خبزاً وحليباً للأطفال فقط ، أما الخضراوات فقد قلصت بنسبة الثلثين . وقام المهاجرون في معسكر برديس حنه بمظاهرة صاخبة [الأرشيف الصهيوني المركزي ، S 41/2471 ـــ من يوسيفطال إلى لوكر ، في ٤٩/٦/٩] . وأدت الحالة الصحية وقلة الأطباء والأدوية والأغذية إلى تدهور صحة المهاجرين ، وتفشي الأمراض السارية ، وازدياد عدد الوفيات . وأعلن الدكتور موشيه سنيه : عضو البرلمان (مبام) ـــ في تقريره - أن من ضمن ٣٧٠ طفلا في معسكر رعانانا يوجد ٢٠٠ طفل مريض ، وأن المستشفيات لاتقبل إلّا ٢٥٪ من المرضى الذين يُرسلون من قبل الأطباء المحليين [محاضر الكنيست ، ٤٩/٦/٧] . وقال عضو الكنيست يعقوب غيل : إنه رأى معسكرات جديدة تحتوي على مئات العائلات ، بدون طبيب دائم أو عيادة ملائمة [محاضر الكنيست ، ٤٩/٨/١٠] كما رأى مئات المرضى المصابين بالأمراض السارية يسكنون مع عائلاتهم ، الأمر الذي يعرّض أقاربهم لنفس الأمراض ، وكانت المستشفيات لاتستطيع قبولهم . وفي قرية برانديس جنب الخضيرة ، رأى طفلاً مصاباً بالسل ينام في نفس السرير الذي يستعمل من قبل عائلتين [نفس المصدر] . **وقال تسبي حرمون ، أحد موظفي دائرة الاستيعاب « إن الأحوال في معسكرات المهاجرين لاتُطاق ، وأنا لاأبالغ إذا قلت إن الأحوال في المعسكرات النازية بعد الحرب العالمية الثانية - كانت**

أحسن » [محاضر الإدارة الصهيونية ، ٤٩/٣/٢٩] . **وفي أيلول ١٩٤٩ كتبت روت كليفر ، موظفة في مؤسسة الهجرة – في تقريرها : « يهود يحتفظون بيهود آخرين في المعسكرات ، يبدو أنهم لم يتعلموا أي درس من مأساة الماضي »** [أرشيف الدولة ، مكتب رئيس الوزراء ، قسم 333/0/43] . وأضافت أن « المهاجر (تعني المهاجر من أرض الإسلام) يشعر بأنه إنسان من درجة ثانية » . أما التعليم فقد كان مفقوداً تماماً في المعسكرات : لا مدارس ولا رياض للأطفال ، وكان معظم الكبار عاطلين عن العمل . ومن الجدير بالذكر ، أن الشخص المسؤول مباشرة عن هذه الأحوال كان يهوديًّا هرب من ألمانيا النازية – قبيل الحرب ، ثم أصبح مدير قسم الاستيعاب في الوكالة اليهودية ، ويدعى غيورا يوسيفطال . وتضم ملفات مكتب رئيس الوزراء عدة تقارير عن مصاعب المهاجرين . أما الفساد في توزيع الأغذية ، فقد دُوّن في الأرشيف الصهيوني المركزي [استيعاب ، S41/2471] . قال يهودا برجنسكي لأعضاء المجلس التنفيذي الصهيوني أو الإدارة الصهيونية : « لم نحضر لهم (للمهاجرين من اليمن) معسكرات ولا مساكن . ماذا أفعل الآن ؟ إنني أقيم الآن سياجاً من الأسلاك ، واحتفظ بهم كالحيوانات في حالة من الخداع البصري » (٤٩/٩/٤) . وزار بن غوريون الأطفال اليمنيين في مستشفى تل هشوم ، ثم قال : « هذه هي أكثر الصور هولاً شاهدتها في حياتي » ، وفي خطابه في الكنيست أضاف أن **هؤلاء الأطفال « يشبهون الهياكل العظمية أكثر مما يشبهون الأحياء .. وكانوا يفتقرون القدرة على البكاء ، ويفتقر بعضهم القوة لابتلاع الطعام .. »** [محاضر الكنيست ، ٤٩/١١/٢١] .

وفي نيسان ١٩٤٩ ، صرح سكرتير حزب المباي الحاكم قائلاً : « إن البيروقراطية تصل إلى حد الجريمة » – بالنسبة لاستيعاب المهاجرين . وأخبر يوسيفطال حزبه أن المعسكرات المتاحة لديه تتسع لنحو ٤٠,٠٠٠ نسمة ، ولكنه أدخل إليها ما بين ٥٠,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠ نسمة ، نصفهم في الخيم . وتوقع بنحاس لفون ، سكرتير الهستدروت – « انفجاراً كبيراً » . وطالب بعض أعضاء الحزب بإسكان المهاجرين في المعسكرات العسكرية . غير إن بن غوريون : رئيس الوزراء وزعيم الحزب – عارض ذلك ، وقال إن على الدولة ألا تُدَلِّل المهاجرين ؛ « لا أقبل هذا الدلال ... في استطاعة هؤلاء الناس أن يسكنوا الخيم عدة أعوام . ومن لايريد أن يسكن فيها ، عليه ألا يأتي إلى هنا » [٤/٢٢ /٤٩ ، أرشيف حزب العمل ؛ 24/49 ، المجموعة الثانية] . بعد سنة ، ذهبت (الكاتب) إلى المعسكر الانتقالي « ساقية » ؛ لأزور أقربائي . كان المعسكر مغطى بالخيم تتلاصق بعضها ببعض ، وخطب هناك بن غوريون قائلاً : « النبي موسى خلّاكم في الخيم مدة ٤٠ سنة في صحراء سيناء ، أما أنا فلا أخليكم في الخيم إلّا لمدة بضعة أعوام فقط » . وهمس بعض الواقفين حولي : « يسوّي نفسه أحسن من النبي موسى » .

وكانت غولدا مئير (مئيرسون سابقاً) مسؤولة عن بناء مساكن للمهاجرين ، بصفتها وزيرة العمل ، فأمرت ببناء أكواخ من الصفيح أو الخشب ثم أكواخ من الأسمنت . كان حجم الكوخ الواحد لايزيد على مساحة غرفة واحدة ، تم تركيبها بواسطة آلة ذات أنابيب طولية ، أطلق عليها اسم

« مدافع غولدا » . وبلغ عدد الأكواخ التي بنيت ذلك العام (١٩٤٨) . ٢٧,٠٠٠ كوخ ، منها ١٨,٠٠٠ كوخ مصنوع من الخشب لإسكان سكان الخيم [أرشيف الدولة ، مكتب رئيس الوزراء ، إسكان المهاجرين ، ج 7135/5559] . وقال حرمون المسؤول عن الاستيعاب في جلسة المجلس التنفيذي الصهيوني ، في ٤٩/٣/٢٩ : « إننا نسير في اتجاه إقامة أحياء فقيرة (Slums) وازدحام سكني خانق » . وهذا ماحدث بالضبط بالنسبة لهذه المعسكرات ومدن التطوير والتعاونيات ؛ كلها أصبحت أحياء فقيرة تشبه الأحياء الفقيرة في المدن الكبرى ؛ أي « الحزام الأسود » . وكتبت روت غروبر : الصحافية الأمريكية إلى بن غوريون – تقول « إن لامبالاة الجمهور مخيفة ، إذ ناضل المجتمع الصهيوني زمن الانتداب من أجل الهجرة ونجح ، أما الآن فلا أحد يهتم بسكان المعسكرات .. والقلائل الذين يشعرون بالذنب يقولون : كابدنا العذاب عند قدومنا ، فليتعذبوا هم أيضا » [غروبر ، ٤٩/٨/١٢ ، أرشيف الدولة ، مكتب رئيس الوزراء ، معسكرات اللاجئين ، ج 5588] . أما القيادة العسكرية التي جنّدت شباب المهاجرين وأرسلتهم حالاً إلى الجبهة ، فقد رفضت إيواء شيوخهم وأطفالهم خلال الفيضانات في اللد ، عندما وصل معدل الأمطار ٤٠٠ ملليمتر مكعب . وقال يهودا برجنسكي ، من دائرة الاستيعاب ، إنه طلب من الجيش أن يضع في تصرف الدائرة – المطار الموجود في كفار سركين ؛ لإنقاذ المهاجرين ، ولكن السلطات العسكرية رفضت ، واقترحت منح معسكر تل نوف جنب معسكر المظليين . ثم أخبره المظليون أنهم سوف يزرعون الألغام ؛ لمنع سكان الخيم من الاقتراب منهم [المجلس التنفيذي الصهيوني ، ٤٨/١٠/١٢ و ٤٩/٣/٢١ و ٥٠/١/٢] . ورفض كيبوتس مسغاف عام إيواء المهاجرين المهربين من لبنان ، واضطر هؤلاء إلى متابعة السير على الأقدام أكثر من ساعتين ، وعندما وصلوا إلى كيبوتس مناره قيل لهم إنه مالم تُدفع نفقات إيوائهم ، فلن يستقبل الكيبوتس مهاجرين آخرين في المستقبل [الأرشيف الصهيوني المركزي ، يهود الشرق الأوسط ، S20/538] .

قال لي الأخ نعيم : « إن معاملة الكيبوتسات تجاه اليهود العرب الذين استجلبوا بأيدي المهربين الصهاينة – ليست جديدة . وأنا أذكر كيف عاملوني وعاملوا رفاقي العراقيين في بداية الحرب العالمية الثانية : أوصلنا المهربون الصهاينة إلى بيروت ، ثم أرسلونا تجاه الحدود الفلسطينية مع دليل لبناني — أعتقد أنه كان مسلماً . توقفت السيارة في ناحية جبلية ، وأخذنا نمشي وراء الدليل عدة ساعات . وعندما بدأ هطول المطر قال لنا الدليل : اذهبوا نحو هذا النور الكهربائي فإنه الكيبوتس . ثم تركنا وعاد إلى بيروت . مشينا طوال الليل ، وكانت الأمطار غزيرة جدا والبرد قارساً ، وكان النور الكهربائي في آخر الدنيا . وعندما وصلنا إلى الكيبوتس ، كانت ملابسنا مبللة وملوثة بالوحل ، وفقد بعضنا أحذيتهم في الأرض الرخوة . أخذنا الحارس إلى المطعم ، وهناك أعطونا أكواباً من الشاي مع خبز وزبد صناعي ، ثم أخذونا إلى المكتبة ، وهناك جلسنا على الكراسي نرتجف من شدة البرد وثيابنا مبللة . وفي الصباح أخذونا إلى مخزن التبن ، وهناك نمنا كما ينام البهائم في التبن . كان هذا درساً مفيداً في حسن الضيافة الأشكنازية . ويدعى هذا الكيبوتس — كيبوتس غلعادي » . « ثم تفرقت الجماعة ، وأرسلوني إلى كيبوتس حولاتا قرب بحيرة الحولة ، وهناك زجوا بي إلى كوخ

خشبي صغير مملوء بالقمل والبق ؛ يقع في أقصى المستوطنة ، خصص لإيواء اليهود العرب فقط – وكان يشبه زريبة . وبالرغم من كوني صبيا صغيراً نحيف الجسم شاحب اللون ، فرضوا عليَّ العمل الجسدي في الزراعة – من الصباح إلى المساء . وفي المساء كان أحد الأعضاء يدرسني اللغة العبرية لمدة نصف الساعة ، وكان العمل شاقاً جدا ، وكنت أشعر بأن ظهري يتهشم من شدة الألم والتعب . وكانت رئيسة العمل شابة ألمانية تدعى « غيردا » ، دأبت على الزعق بي وإهانتي طوال النهار . ولم أعرف السبب – آنذاك ؛ لأنني كنت أجاهد أن أعمل جيداً . هكذا ، كانت « غيردا » تضطهدني نهاراً ، و « الأحلام » تضطهدني ليلاً . أضف إلى ذلك هجمات البق والقمل في الكوخ . كنت أرى في منامي كل ليلة والدي يبحث عني في الجبال والأودية ، والحقد يتطاير من عينه ؛ لأن الصهاينة أخذوني بدون معرفة أهلي . وكنت أفكر في هتلر وغيردا دون أن أدرك مايجري حولي : هتلر اضطهد غيردا ، ثم جاءت غيردا إلى فلسطين ، والآن غيردا تضطهدني ! وأخيراً ، هربت من مزرعة الخضراوات ، من غيردا... لا ألوي على شيء . وأخذت أركض وأبكي ... أبكي وأركض ، نحو الجبل ، إلى خارج المستوطنة . فجأة ، قابلني موسى ، وكان أسمر اللون ، له عينان سوداوان براقتان ، يعرف اللغة العربية . وكان هو وموسى الآخر : الإسكاف – اليهوديين العربيين الوحيدين في الكيبوتس ، موسى الأول كان فلسطينيا ، أعتقد من أصل يمني ، وموسى الثاني كان شاميا . سألني : « مالك يانعيم ؟ لماذا تبكي ؟ » ، وعندما حكيت له عن معاملة غيردا ، غضب وزعق بها مؤنباً ، وقال : ابقَ معي ... نعمل معاً في نقل الأشياء بهذه العربة . وكان موسى الأول – أول شخص عاملني بالإحسان في المجتمع الصهيوني . وكثيراً ماكنت أذهب إلى دكان الإسكاف : موسى الثاني ، الدمشقي ، وكنّا نتحدث باللغة العربية .. كنت أشعر في الحديث بلذة عميقة لاأستطيع وصفها ، والآن أعرف السبب : إنها لغة الحديث – لغة أمي ولغة أبي وأجدادي . ولم أفهم

معاملة غيردا إلى أن وقعت حادثة أوضحت لي وضعي في المجتمع الأشكنازي : كان في كيبوتس حولاتا عضو يدعى « يسرائيل » ، حسب ذاكرتي ، ولكن أهل الكيبوتس كان يسمونه « ستالين » ، ولم أعرف السبب ، وكان ستالين هذا يستعين بجماعة من العمال العرب في صيد الأسماك من بحيرة الحولة . ورأيته مرة واقفاً عند حافة البحيرة مع عماله العرب ، يصرخ فيهم ويسبهم ثم مسك بأحد العرب ، وأخذ ينهال عليه بالضرب المبرح ، لكماً ورفساً . ولم يدافع العربي عن نفسه ، وسكت أترابه العرب ولم يتحركوا ، فتعجبت كثيراً ، لأنني لم أر في حياتي يهوديا يعامل مسلماً هكذا . وهنا يهودي ألماني أو بولوني ؛ أجنبي ، جاء من « برّه » يضرب إنساناً عربيا مسلماً من أهل البلد . وهنا أيضا غيردا تعامل نعيم معاملة فظة . منذ تلك اللحظة ، أدركت وضعي المتدني ، ووضع أخي العربي الفلسطيني المتدني بالنسبة للمستعمرين الأشكناز . ولم أتعجب عندما استجلب والدي وعائلتي في أوائل الخمسينيات ، وزُجوا في معسكر برديس حنا ومعسكر ساقية ومعسكر بيتح تكفا – على التوالى . وتوفي والدي في المعسكر الأخير ، في كوخه الخشبي بعد عشر سنوات ، حيث رفض طبيب المعسكر أن يأتي إلى الكوخ لمعالجته ، وقال لأمي : « خلّي يجي إلي هون » ، ولم يستطع والدي أن يمشي على قدميه ، لأنه كان مريضاً ، وبقي في سريره إلى أن توفي بعد بضعة أسابيع ،

فأخذوه إلى مستشفى « أبو كبير » لمعرفة سبب الموت . وقالت أمي : هذا ماصنع النازيون بهم » — انتهى حديث الأخ نعيم .

بالرغم من الأوضاع المأساوية في هذه المعسكرات ، كان بن غوريون ، رئيس الوزراء وزعيم حزب المباي (العمل حالياً) يحسد اليهود العرب على لقمة الخبز التي يأكلونها . وفي المؤتمر الثامن لحركة التعاونيات (موشابيم) قال الزعيم : « يسكن ١٠٠ ألف يهودي في معسكرات المهاجرين ، ويأكلون الطعام المقدم إليهم كصدقة » [إسحق كورين ، ص ٥٦] . وبعد بضعة أسابيع ، **طالب بن غوريون بتعبئة المهاجرين في « كتائب عمل » ، وفرض أعمال السخرة عليهم** مثل أعمال البناء وشق الطرق ... إلخ ؛ من أجل المصلحة العامة ، « بدون ربح خاص » ، وفرض نظاماً عسكريا أو شبه عسكري عليهم . وفكّر بن غوريون في أن رجال هذه الكتائب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٤٥ عاماً ، سوف يحصلون على كل حاجاتهم وحاجات أبناء عائلاتهم ، بالإضافة إلى مبلغ صغير ، كالذي يتقاضاه الجندي الإلزامي . وشكلت لجنة خاصة لدراسة الاقتراح ، شملت الأعضاء : يهودا الموغ ، ويوسيف الموغي ، وحيم غفاتي ، وهليل دان ، وغرشون زاك ، وغيورا يوسيفطال ، وشالوم هكوهين . واقترحت اللجنة إقامة المعسكر الأول في ضواحي بئر السبع ليشمل ٣٠٠٠ مهاجر مجند . غير إن المشروع انهار ، بسبب معارضة وزارة العمل ، لأنها لم تستطع أن تدفع النفقات اللازمة لهذا المشروع ، كما أنها لم تتمكن من التنازل عن أماكن العمل التي كانت قد منحت للمهاجرين في المعسكرات العادية [أرشيف الدولة ، 1/160] . وظهر مبدأ « كتائب العمل » مؤخراً في صورة أعمال الطوارىء وأجور الطوارىء ... إلخ ، والتي سنعالجها في الصفحات التالية . وعندما بلغ عدد السكان اليهود في فلسطين المليون ، نظم المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية مهرجاناً في تل أبيب ، ولم يلبِ الدعوة إلّا ١٥ شخصاً فقط [المجلس التنفيذي الصهيوني ، ٤٩/١٢/١٨] ، وهذا يدل على رفض الهجرة المكثفة من قبل المهاجرين ، ومن قبل الاستيطان الصهيوني أيضا ، والذي تقارب وضعه العددي إلى الأقلية ، وأخذ يعلل خوفه بالثرثرة عن « نوعية المجتمع » . وأعدت وزارة الخارجية تقريراً وزعته على ممثلي إسرائيل في الخارج ، لفتت فيه انتباههم إلى أن معظم المهاجرين يصل الآن من « دار الإسلام » ، وأن نسبة هؤلاء اليهود تزداد باستمرار ، وحذّرت الوزارة من أن هذه الحقيقة « سوف تترك بصماتها على جميع مجالات الحياة في الدولة ، والنتيجة هي أن المحافظة على مستوى الييشوف (أي المجتمع الأشكنازي الاستيطاني) الثقافي — تتطلب جلب المهاجرين بأعداد غفيرة من البلدان الغربية ، لا من بلاد الشرق المختلفة فقط » [٤٩/١٠/٢ ، ملفات مؤسسة الهجرة وأرشيف الجيش ، 14/372] . وقالت عضو الكنيست شوشنه برسيتس — عن يهود الإسلام : « لالغة مشتركة لنا معهم ، كما أن مستوانا الحضاري لايتلاءم ومستواهم الحضاري . أما نمط حياتهم فهو نمط حياة العصور الوسطى » [محاضر الكنيست ، ١٩٥٠/٣/٦] . وفي الوقت نفسه قامت وسائل الإعلام الإسرائيلية الموجودة كلها بأيدي الأشكناز — بحملة عنصرية ضد يهود الإسلام ، وحضارتهم العربية الإسلامية « المنخفضة » — على حد قولهم — وكان مغزى هذه الحملة تبرير التمييز العنصري ضد اليهود أبناء « دار السلام » (انظر

الفصل الثامن) .

ذكرنا سابقاً كيف « اهتز » ضمير بن غوريون عندما شاهد الأطفال اليمنيين المرضى في مستشفى تل هشومير ، ووصفهم بأنهم « هياكل عظمية » . والسبب في ذلك هو أحوال معيشتهم في المعسكرات : معسكر عتليت ، روش هعاين ، عين شيمر ، بيت ليد ، وكلها تتكون من الخيم . وتقول المصادر الصهيونية إن ٧٠٪ من اليمنيين الجدد وجدوا معيشتهم في الزراعة في « المستعمرات الزراعية » ، التي بلغ عددها خلال ١٩٤٩ – ١٩٥٣ سبعاً وخمسين مستعمرة زراعية – وهذه أكاذيب معروفة في إسرائيل ، فقد زرتُ هذه المستعمرات ولم تكن إلّا « معسكرات عمل » ، يعمل معظم سكانها لصالح المستعمرات الأشكنازية المجاورة ؛ لأن القاعدة الاقتصادية في « المستعمرات » اليمنية ضعيفة جدًّا ، ولايستطيع اليمني أن يجد معيشته فيها . وسوف نفصل هذا في الحديث عن التعاونيات الزراعية – فيما بعد . ولذلك ، احتج عضو الكنيست اليمني زكريا غلوسكا على أعمال التمييز العنصري الموجه ضد هذه الطائفة الفقيرة ، في مجال السكن والخدمات الدينية والتوظيف في وزارات الحكومة والحصول على الدعم للعائلات متعددة الأولاد ؛ وفي برامج الراديو . وقال غلوسكا : حتى البرامج اليمنية كانت تعدّ من قِبَل « خبراء أشكناز » . وبالرغم من أن هذه الطائفة تعتني بالنظافة أكثر من أية طائفة أعرفها ، ادعى ممثل الوكالة اليهودية أن « هناك نوعاً من السكان يصعب ترويضه على ظروف صحية » . ووعدت الوكالة أن « تدأب على بناء مراحيض بالقرب من المباني السكنية ، لتعويد هؤلاء الناس (أي اليمنيين) على استخدامها » [هآرتس ، ٥٠/١٢/١٨] . إضافة إلى ذلك ، فقد كان المرشدون الحزبيون الأشكناز مصممين على تغيير نمط حياة اليمنيين ، وعملوا ضد السلطة الأدبية للأب والمدرس . وبعبارة أخرى ، تعرّض اليمنيون لقمع حضاري شديد ، وحاولت السلطات طمس هويتهم العربية اليمنية وتقاليدهم الإسلامية ، وأدى هذا الأمر إلى كسر معنوياتهم وثقتهم بنفسهم ، ثمَّ إلى الجنوح في صفوف شبيبتهم .

اختفاء أطفال اليمنيين وبيعهم في السوق السوداء :

منذ نيسان ١٩٥٠ ، أخذ اتحاد اليمنيين يرسل برسائله إلى وزير الشرطة بشأن اختفاء مئات الأطفال اليمنيين بعد نقلهم إلى المستشفيات [أرشيف الدولة ، مكتب رئيس الوزراء ، معسكرات المهاجرين ج 5558 : ٥٠/٤/١١ و ٥٠/٤/١٨ و ٥٠/٥/٨ — وانظر أيضا جريدة معريب ، ٦٦/٤/١] ، ولم يجب الوزير على هذه الرسائل . وبعد ١٨ عاماً ، أرسلت السلطات العسكرية بأوامرها التي تقضي بتجنيد « الأطفال » المفقودين ، وهكذا أصبحت المشكلة فضيحة مكشوفة . وتقول مصادر يهود الإسلام في فلسطين إن الأشكناز الذين « اعتنوا » بشؤون اليمنيين – سرقوا الأطفال وباعوهم للتبني في فلسطين وخارجها . أما لجنة التحقيق الحكومية التي شكلت عام ١٩٦٨ ، فقد عزت اختفاء الأطفال إلى حالة الفوضى التي سادت المعسكرات ، غير إنها اعترفت بأن المسألة « مذهلة » . حققت اللجنة في ٣٤٢ شكوى معظمها عن اليمنيين ، والباقي بشأن أطفال

آخرين من البلدان العربية الأخرى . ولم تجد اللجنة إلّا ٤ أطفال أحياء ، ولم تتوصل إلى أية نتائج بخصوص هذه اللصوصية ، ولكنها أشارت إلى أن المعلومات بهذا الأمر تبرر التحقيق البوليسي في فلسطين وخارجها ، وأرسلت بتقرير بهذا المعنى إلى وزيري البوليس والعدل ، ولكن السلطات الصهيونية دفنت القضية [آذار ١٩٦٨ ، أرشيف الدولة ، 1/968/1] . وفي تموز ١٩٨٦ ، أقام يهود الإسلام اجتماعاً جماهيريا في ياد الياهو قرب تل أبيب ، وطالب المجتمعون السلطات بإجراء التحقيقات اللازمة ، من أجل العثور على ٥٥٩ طفلاً سرقوا في أوائل الخمسينيات [زو هديرخ ، ١٩٨٦/٧/٩] .

لاشك أن الاضطهاد الموجه ضد اليمنيين هو أسوأ بكثير بالمقارنة بالاضطهاد ضد باقي يهود الإسلام ، ربما بسبب هويتهم العربية الإسلامية الكاملة ، إذ إن اليمنيين لم يتأثروا بالحضارة الأوروبية إلّا مؤخراً ، وبقوا إلى هذا القرن يحتفظون بجميع التقاليد العربية الأصيلة . وسوف لا أنسى شتاء ١٩٤٤ ؛ حين استجلبت الوكالة اليهودية مئات المهاجرين من اليمن ، وأسكنتهم في معسكر قرب قرية شموئيل التابعة لقضاء حيفا ، ثم أرسلتهم نقابة العمل « الهستدروت » إلى معسكر موتسكين . وعندما زرت المعسكر ، رأيتهم حفاة يلبسون الملابس البالية ، وكان شيوخهم يكتسون بالخرق ، وكانوا يرتعدون من شدة البرد ، كما كانت خيامهم تشرف على البحر ، وتتلقى الرياح الباردة والأمطار الغزيرة . ولم يعتنِ حزب المباي (العمل) وحزب هبوعيل همزراحي المتدين إلّا بصيد أصوات هؤلاء المنكوبين في الحملة الانتخابية . أما في الصيف فقد تحول المعسكر اليمني إلى جهنم ؛ بسبب الاكتظاظ السكاني والأوساخ المتراكمة . وأخيراً ، ثار اليمنيون ، واحتلوا المنازل التي كانت تبنى ولم تكن كاملة ؛ ولذلك قرر زعماء البلدة الأشكناز عدم بناء شبابيك وأبواب في هذه المنازل ، وقطع المياه عنها ؛ بغية إرغام اليمنيين على إخلاء المنازل . وفي الوقت ذاته أسكن المهاجرون الأشكناز في منازل جاهزة في قرية حيم . وعندما تذمر اليمنيون ، قالوا لهم : « هل في اليمن أحسن ؟ » ، وأجاب اليمنيون : « أي والله » .

وبعد أن تأسست دولة إسرائيل أصبح التمييز سياسة ظاهرة : منحت الوكالة اليهودية المهاجرين الأشكناز أحسن المنازل التابعة للاجئين الفلسطينيين ، أو منازل جديدة – مجاناً . ومنذ ١٩٥٠ – عندما تقرر إرغام المهاجرين على دفع ثمن المنازل بصورة تدريجية – قامت الوكالة اليهودية والهستدروت والسلطات المحلية في المدن ، ببناء مساكن للمهاجرين الأشكناز ، ومنحتهم قروضاً طويلة المدى ؛ سمحت لكل أشكنازي بأن يشتري منزلاً أو شقة ، ويدفع ثمنها خلال ٣٠ عاماً . وفي الوقت نفسه ، زجت المؤسسة الصهيونية بمئات الآلاف من يهود الإسلام في المعسكرات ، ولم تُغلق هذه المعسكرات نهائيا حتى ١٩٨٠ ، ومن ثم نقلوا إلى أحياء الفقر أو مدن التطوير أو التعاونيات – حيث كانت ــ ولاتزال ــ شروط المعيشة قاسية .

وتدل محاضر المجلس التنفيذي الصهيوني التالية على أن جميع الأحزاب الصهيونية – من أقصى

اليمين إلى أقصى اليسار – قد قررت تفضيل المهاجرين الأشكناز من بولونيا على حساب يهود الإسلام :

التاريخ : ١٩٤٩/١٠/٩ .

الياهو دوبكين (حزب مباي : العمل حاليا) : « علينا منح هؤلاء المهاجرين امتيازات ، وأنا لاأخاف من هذه الكلمة » .

ليفي أشكول (مباي) : « ... إذا كنا نقيم معسكرات لسكان يبلغ تعدادهم ١٠٠ ألف نسمة ، وبينهم مهاجرون كثيرون من بولونيا ، ثم نعطي الأشكناز امتيازات فجأة ، فلن يكون من الصعب تخيل الضجة التي ستقوم .. من أجل الأشكناز ، يوجد كل شيء ! » (...) .

تسفي حرمون (حزب مبام – أقصى اليسار الصهيوني) : « ... إذا كانت القضية هي منح الامتيازات خلال الاستيعاب ، فإني أخشى ألا يبقى منا أحد على قيد الحياة .. أيمكنكم أن تتخيلوا معنى حصول ٢٠ ألف شخص على ترتيب خاص ؟ ... » .

... ثم اتفق الجميع على تأليف لجنة لدراسة الموضوع .

... وبعد مرور شهرين

التاريخ : ١٩٤٩/١٢/٢٦ .

ي . غرينبويم (قائمة مستقلة) : « ... ستكون هناك حاجة إلى إعداد فندق لنحو ٨٠٠ شخص ، من أجل استقبال أوائل القادمين من بولونيا ، في نهاية شهر تشرين الثاني ، وعلينا الإسراع في هذا الموضوع ، كي لاتحدث مفاجأة ، وكي لايضطر أشخاص محترمون إلى الذهاب إلى المعسكرات ، فبين المهاجرين أشخاص ذوو منزلة كهذه ، وسوف تحدث فضيحة إذا ما اضطررنا إلى إرسالهم إلى المخيمات » .

أ . دوبكين (حزب مباي) : « ... ثمة حاجة هنا إلى جهد خارق لتسهيل استيعاب هؤلاء الناس . إنني لا أرى ضيراً فيما إذا استأجرت اللجنة العامة فندقاً لترتيب إقامة هؤلاء المهاجرين ... إن الهجرة من بولونيا متوقفة على استيعاب المهاجرين الأوائل . وإذا فشلنا في الاستيعاب ، فسيتوقف هؤلاء الأشخاص عن القدوم ... وسوف يشكل هذا ضربة للحركة الصهيونية كلها » .

م . غروسمان (اليمين الصهيوني أو التصحيحيون) : « أعتقد أن علينا أن

نعمل كل ما في وسعنا ، للمساعدة في استيعاب مهاجري بولونيا . ولكنني أعارض أن تكون المبادرة الرسمية في يد المجلس التنفيذي (للوكالة) . إن أحداً في الخارج لن يفهم ذلك . ومع الاحترام كله ليهود بولونيا ، فإن هذا الأمر لن يكون مفهوماً . لماذا نعتني فجأة بهؤلاء اليهود أكثر من غيرهم ؟ فهذا سينشر ، وسيتم تعيين عضو مجلس تنفيذي خاص . ماذا بشأن يهود ألمانيا ومراكش وتونس وطرابلس وسائر اليهود ؟ إنني مع الرأي القائل بأننا نقرر هنا في الداخل مانقرر ، لكن يجب ألّا يعين المجلس التنفيذي السيد غرينبويم مفوضاً له . إنه شخصية مهمة ومقبولة لدى يهود بولونيا ، وسوف ينجز ما سيكلف به ، إننا سنساعده جميعاً . إنني لا أريد أن يعرف العالم كله أننا نأخذ على عاتقنا فجأة إيلاء هذا الموضوع العناية ... يمكن إنشاء لجنة عامة ليهود بولونيا ، على أن يشترك فيها السيد غرينبويم ، ولكن ليس بصفته مفوضاً للمجلس التنفيذي . إنني أتخيل سلفا عناوين الصحف ، ومستعد (لرصد) أموال لهذا العمل ، لكن من دون أي نشر ، لأن النشر سيضر بنا . إنني لا أرى أية ضرورة له ... » .

ب . لوكر (مباي) : « إننا في الحقيقة ؛ نؤيد جميعاً هذا العمل ، والسؤال هو : هل سننجزه بتفويض رسمي من المجلس التنفيذي أم لا ؟ ... » .

ي . غرينبويم (مستقل) : « بالنسبة للنشر تستطيعون الاعتماد عليّ للحؤولة دونه » .

... ثم قرر المجلس إقامة لجنة عامة لمعالجة استيعاب يهود بولونيا ، يشترك فيها السيد غرينبويم . وسوف يتظاهر بأنه لايمثل اللجنة التنفيذية وإنما بصفته أحد قادة يهود بولونيا .

... وبعد أسبوع (٥٠/١/٢) ، اجتمع المجلس ، وبحث في تخصيص معسكر خاص يقيم فيه المهاجرون من بولونيا ، وفيه غرفة خاصة لكل عائلة – خلافاً لقاعات النوم المشتركة لعدة عائلات – وتعهدت دائرة الاستيعاب بتنظيم إقامة ٢٠٠٠ مهاجر بولوني بهذه الشروط . غير إن ي . غرينبويم (البولوني) طلب توسيع هذا الترتيب ؛ كي يشمل جميع البولونيين . لكن مسؤولي الاستيعاب رفضوا ذلك .

ي . غرينبويم : « هذا يعني أنه ستكون هناك ، ابتداءً من شهر شباط ، حاجة إلى إدخال مهاجري بولونيا في كوخ واحد ، فيه ٢٠ – ٣٠ سريراً ؛ الواحد منها بجوار الآخر ، وستنام العائلات جميعها معاً ؛ العائلة بالقرب من الأخرى ... وسوف تسبب إشاعة هذا الأمر انطباعاً سيئاً جدا ... » .

ي . رفائيل (الحزب الديني العمالي - هبوعيل همزراحي) : « إن مهاجري بولونيا لايشبهون مهاجري البلاد الأخرى . إن مهاجري البلاد الأخرى - الذين يأتون اليوم بناء على طلبنا - لم يرغبوا في الهجرة منذ وقت طويل ، وقد أجلوا هجرتهم . ولهذا السبب ، ليست لنا أية التزامات نحوهم ، في حين أن يهود بولونيا لم يتمكنوا من الهجرة ، لأنها لم تكن متاحة لهم .. وإذا أعفينا يهود بولونيا من المعسكرات ومنحناهم الأولوية في السكن ، فسينظمون أنفسهم في البلد بسهولة أكثر من المقيمين في المعسكرات من الطوائف الشرقية ؛ لأن بينهم أصحاب مهن يحتاج اقتصاد البلد إليهم . وسيعود هذا الأمر بالنفع على الاقتصاد كله ، لذلك اقترح منحهم الأولوية في السكن . إن يهود بولونيا قادمون من ظروف معيشية جيدة ، ولذا فإن حياة المعسكر بالنسبة إليهم أصعب كثيراً مما هي بالنسبة إلى يهود اليمن ، الذين يعتبرون المعسكر ـــ في نظرهم ـــ عملية إنقاذ . ولهذا السبب ، أرى أن هناك أسباباً كافية لتفضيل يهود بولونيا . يجب أن يكون التفضيل في اتجاهين : أ ـــ يجب منح يهود بولونيا الأولوية في المساكن المتاحة . ب - إذا كان ذلك مستحيلاً ، فإنني أؤيد اقتراح السيد غرينبويم بأن نهيء لهم ظروفاً أفضل في المخيمات ... ويمكن إقامة صندوق اقتراض خاص للإسكان ، يتم تمويله من مساعدات الأقارب ومن أموال يجلبها القادمون معهم . إن هذه الفئة من المهاجرين لاتشبه مهاجري اليمن ، فاليهودي البولوني عندما يحصل على قروض يعلم أن عليه سدادها » .

ي . برجينسكي (حزب المبام الماركسي) : « ثمة احتمال أن يكون لدينا معسكر واحد ، وهو معسكر عتليت الذي يقيم فيه الآن يمنيون . سنخرجهم وندفع بهم إلى مكان ما ، وعندها سيكون هناك معسكر لنحو ٣ـــ٤ آلاف نسمة (مع أن حالته ليست مريحة كما يطلب غرينبويم) بازدحام ، كما هي الحال في سائر المعسكرات ... حرصنا على حجز (احتياطي) ٢٠٠ـــ٣٠٠ شقة : إيجار الواحدة ٢٠٠ ليرة . سنأخذ هذه المنازل التي وزعت على القادمين من شمال إفريقيا واليمن ، ونقدمها إلى البولونيين . وسنحتاج لهذا الغرض إلى مبلغ ثلاثمئة ليرة لا مئتي ليرة . والمشكلة هي هل في الإمكان جمع هذا المبلغ ؟... » .

الياهو دوبكين (حزب مباي : العمل) : « قررنا تفضيل يهود بولونيا . وقرارنا صائب ... (لكن) حق الأولوية هو للمهاجرين الأوائل الذين سيحضرون . إنني لا ألتزم العمل ذاته للأواخر . وكان هدفنا أن يرسل الأوائل بتحية إلى بولونيا يقولون فيها : إن الوضع ليس مريعاً كثيراً في البلد ... إنني لست ملزماً بمثل هذا العمل لكل ١٠ آلاف يحضرون ... أما الذين

سيحضرون بعد ذلك ، فلا ضير في أن يعيشوا وضعاً يشبه وضع سائر المهاجرين ... » .

ي . غرينبويم : « ... بدلاً من زج يهود بولونيا في مثل هذا الوضع ، أعتقد أنه من الأفضل زج يهود تركيا ويهود ليبيا . وهذا لن يكون إجحافاً . عليكم أن تعلموا أن أولئك الناس (البولونيين) هم من النخبة ؛ فقد كان لكل عائلة منهم منزل مكوّن من ٣ـــ٤ غرف ، منزل ألماني وأثاث ألماني ، وجميع وسائل الراحة التي تتمتع بها مدينة ألمانية ... يحضر أطباء من بولونيا .... أدخِل طبيباً كهذا إلى بيت ليد ، أو برديس حنه ، وانظر بعد ذلك ما سيفكر فيه ، وكيف سيشعر في قرارة نفسه » .

هكذا ، تقرر تكليف ليفي أشكول ، ويتسحاق غرينبويم ، ومفوض دائرة الهجرة ـــ بالبحث عن وسائل لإسكان يهود بولونيا ، « بروح المقترحات التي عرضت في الجلسة » [سيغيف ، الترجمة العربية ، ص ١٨٤ـــ١٨٨] .

وأذكر أن معظم القرارات التي تعارض القانون الدولي والعدالة الإنسانية ـــ اتخذت بصورة غير رسمية . وكان قرار تشريد العرب من اللد والرملة نموذجيا : يقول الضابط إسحق رابين إنه عندما ذهب إلى بن غوريون ؛ وزير الدفاع ورئيس الوزراء ـــ وسأله عن مصير أهالي اللد والرملة ؛ لم يجب بن غوريون وإنما أومأ إليه مشيراً بما معناه : اطردهم ، وبعد ذلك قالوا إن بن غوريون لم يأمر بطرد سكان اللد والرملة . **وعندما سأل أحد الضباط عام ١٩٥٦ عن مصير الفلاحين الذين سوف يأتون من الحقول إلى كفر قاسم ، ولم يعلموا بفرض منع التجول ـــ أجاب الضابط الأعلى : الله يرحمهم (باللغة العربية) ؛ ومعنى هذا الجواب ؛ بلغة الجيش : اذبحهم ؛ فذبحهم ، وكانت مجزرة كفر قاسم المعروفة . وفي لبنان ، أمروا الكتائب أن تدخل صبرا وشتيلا ، ولم يكن يعني هذا القرار إلّا ذبح اللاجئين الفلسطينيين . وعندما حذرهم داوُد ليفي : الوزير المغربي ـــ مؤكداً أن دخول الكتائب يعني مذبحة ، تغاضوا عنه تماماً** . وهكذا ، فضلوا يهود بولونيا وسائر اليهود الأشكناز المهاجرين ، الذين بلغ عددهم منذ ١٩٤٨ أكثر من مليون نسمة .

ثانياً – المعسكرات الانتقالية (معبروت) :

قلنا في القسم السابق من هذا الفصل ، إن بن غوريون كان يحسد المهاجرين على الطعام المجاني القليل الذي أعطي لهم ، ولذلك أراد تجنيدهم في كتائب عمل خاصة ، تعمل بدون أجور ، ثم أهمل المشروع بسبب صعوبات مختلفة . ولكن المبدأ نفسه طُبق بدءًا من عام ١٩٥٠ بصورة مختلفة ؛ هي إقامة المعسكرات الانتقالية (معبروت) . منذ ذلك الحين تحولت معسكرات المهاجرين إلى معسكرات انتقالية ، أو أرغم المهاجرون على الانتقال إلى المعسكرات الجديدة ، وكذلك معظم

المهاجرين الذين وصلوا إلى فلسطين من البلدان العربية والإسلامية – نقلوا إلى هذه المعسكرات . وأوقفت المؤسسة الصهيونية تزويد المهاجرين بالأكل ، وقيل لهم إن عليهم إيجاد عمل يتعيشون منه . وهدفت المؤسسة الصهيونية بذلك إلى تقليص مصاريف الهجرة المكثفة ، وإرغام يهود الإسلام على العمل الجسدي لقاء أجور منخفضة جدا . وعندما رفض بعضهم الانتقال إلى هذه المعسكرات ، استخدمت المؤسسة ضغطاً قاسياً ، وأوقفت جميع الخدمات الاجتماعية [محاضر المجلس التنفيذي الصهيوني ، ٥٠/١/٢] .

وقد أقيمت هذه المعبروت إلى جانب المعسكرات الأشكنازية الغنية ، لتزويد الأخيرة بالعمل الرخيص ، أو أقيمت إلى جانب المدن الكبرى . أما الشروط المعيشية فلم تختلف : الخيم وأكواخ الخشب والصفيح . وربما كان العيش في هذه المعسكرات أصعب بكثير ؛ لأن المؤسسة الحاكمة لم تكن مسؤولة عن تدبير الأغذية للسكان ، ولم يكن هناك ما يسمى « دولة الرفاهة » ، فمن كان عاطلاً عن العمل ، لم يستلم أية مساعدة مالية من الحكومة . وفي حين أن بعض سكان المعسكرات القديمة استلم منازل أو شققاً مجاناً ـــ فُرض على سكان المعبروت شراء المنازل أو الشقق من الشركة الحكومية ، ودفع الثمن اللازم . واستخدمت السلطات ولاسيما الحزب الحاكم : مباي ، استخدمت البطالة لإضعاف يهود الإسلام اقتصاديا وسياسيا وحضاريا ؛ فإيجاد عمل ، أي عمل (عادة العمل الأسود ، أي غير الماهر) – أصبح مسألة حياة أو موت بالنسبة للإنسان الذي كان صاحب عائلة متعددة الأفراد . وفُرض على يهود الإسلام – سكان هذه المعسكرات – تطوير الاقتصاد الإسرائيلي عن طريق توسيع الأرباح دون الاستفادة منها ؛ بسبب الأجور القليلة والبطالة وكونهم ضحية الأزمات الاقتصادية . وتراوحت نسبة البطالة في هذه المعسكرات عام ١٩٥٢ بين ٤٠ – ٥٠٪ ، على حين كانت نسبة البطالة العمومية في البلاد ٦ – ١٠٪ فقط . وبالرغم من انخفاض معدل البطالة في البلاد ، بقيت نسبة البطالة في المعسكرات لم تعانِ من البطالة ؛ لأن سكانها يشتغلون في البناء وشق الطرق وغرس الأشجار في الغابات الحكومية ، وفي مستوطنات غور الأردن وغنوسار . ويعمل كل عامل ٤ أيام كل أسبوع (ويصبح عاطلاً يومين في الأسبوع) . وتقاضى شخص أجرة يومية قدرها ليرتان .

وبعد أن قام سكان معبرة قريات شمونه بتجفيف بحيرة الحولة ؛ استلمت الكيبوتسات الأشكنازية ٤٠,٠٠٠ دونم ، وأقيمت على هذه الأرض ٤ مزارع واسعة لزراعة القطن ، وغيرها من المحاصيل التي تستخدم في الصناعة . واستخدمت رابطة الكيبوتسات نفس العمال (الذين جففوا البحيرة) في زراعة القطن والمحاصيل الأخرى . ولم يمنح هؤلاء العمال أية قطعة من الأراضي الجديدة . وكذلك شغل الجيش الكثير من سكان المعسكرات في أعمال وحدات الهندسة . وعمل آخرون في مشروع « ملحة » التابع لشركة « مكوروت » (الشركة التي سرقت مياه الأردن) . وعمل عدد كبير من سكان المعسكرات في الزراعة الموسمية مثل قطف الثمار عندما ينتهي الموسم . ويقول تقرير المجلس المحلي في مغدال (٥١/٦/٨) إن ٨٠٪ من سكان مغدال والمعسكر – عاطلون بعد انتهاء موسم الخضراوات .

ولم يكتف أصحاب العمل بدفع أجور منخفضة بالنسبة للأجور في باقي أنحاء البلاد ، وإنما استلموا دعماً ماليا من السلطات ، لتشجيعهم على تشغيل المهاجرين . وفي الفصل التاسع سوف نفصّل كيف ساعدت أرباحهم على تطوير الاقتصاد الإسرائيلي . علاوة على ذلك اخترعت الحكومة طريقة جديدة من أجل تقليل الأجور ، وهي تشغيل المهاجرين فيما يسمى « أعمال الطوارىء » ، واستلم العمال « أجور طوارىء » أقل بكثير من الأجور العادية الآنفة الذكر . وزعمت الحكومة أن « أعمال الطوارىء » غير مهمة ، وأنها منحت للعمال لمنع انتشار البطالة . وتدل البحوث على أن هذه الأعمال كانت متشابهة والأعمال العادية ضمن ميزانية التنمية . وكانت أعمال الطوارىء عام ١٩٥٤/١٩٥٣ – مثلاً – كما يلي :

إصلاح بساتين ، توسيع إنتاج الخضراوات ، أعمال المحافظة على التربة والمراعي الطبيعية ، مشاريع التشجير ، إصلاح أراضي وغابات حكومية ، إصلاح أراضي « الصندوق القومي » ، تنمية الحمضيات ، إصلاح الأراضي بالقرب من المدارس والمستشفيات وإبعاد أنقاض المباني المهدمة ، مشاريع التنمية والأشغال العامة ، مشاريع الري ، تبليط الطرق . وقد غطت ميزانية التنمية مشاريع مماثلة ؛ ولذلك ماكان يحق للحكومة تسمية هذه المشاريع « أعمال الطوارىء » ، من أجل دفع « أجور الطوارىء » . وكان معدل الأجور اليومية في المدن الكبرى – آنذاك – ٥ أو ٦ ليرات إسرائيلية (أي مايقارب الجنيه الإسترليني الواحد) . أما سكان المعسكرات فلم يستلموا إلا ليرة إسرائيلية واحدة أو ليرة ونصف الليرة . أضف إلي ذلك ، أن هذه الأعمال كانت شاقة جدا بالنسبة للمهاجرين من الوطن العربي والإسلامي ، حيث عملوا كتجار أو كتّاب أو حرفيين ... إلخ . إن عائلة وداد التي قابلتها في معسكر « شاعر هعليا » – مثلاً – أرسلت إلى معبرة مغيدو ، ثم إلى معبرة تل – موند ، ثم إلى معبرة سلمه ج ، وكان زوجها أبو صالح صاحب حافلات في بغداد ، يعمل في الصباح إلى بعد الظهر سائق حافلة . وبعد أن عمل ثلاثين سنة في هذه المهنة رفضت الشرطة الإسرائيلية إعطاءه إجازة للسياقة ؛ فأرغم على العمل في هذه الأعمال الشاقة وهو كهل ، وبعد ١٠ سنوات أصابه مرض القلب . وقال له الطبيب – في حينها – « عليك ألا تشتغل أبداً » ، وقلت أنا (الكاتب) لوداد : « إذا استمر في هذه الأعمال الشاقة سوف يموت » ، قالت : « إيش اسوّى ؟ نموت من الجوع ؟ عندنا ٧ أطفال ! » ، والحكومة لم تساعد . واستمر أبو صالح في الأعمال الشاقة ، وبعد بضعة أسابيع توفي ... صرخت وداد : أبو صالح .. أبو صالح .. وين نروح ؟ ، وصرخ الأبناء : « بابا .. بابا » ، وصرخت البنات : « بابا .. بابا » . وبعد ذلك أخذت الأرملة وداد تعمل في الخياطة ، وفي خدمة البيوت لتربي أطفالها السبعة ، إلي أن انكسر ظهرها تماماً ، وأصيب أحد الأطفال بمرض القلب أيضا ، وأصيب الثاني بانهيار الأعصاب ، وطرد الثالث من عمله ؛ لأنه انتقد الفساد في محل عمله ، وفصل الرابع ؛ لأنه كان ماهراً مجتهداً ... إلخ . وكانت عائلة أبو صالح محظوظة جدا ؛ لأن أبناءها لم يصلوا إلي حضيض المخدرات والإجرام والدعارة كما وصل الكثير من الأطفال ، الذين تربوا في هذه المعسكرات الصهيونية .

بالإضافة إلي قلة الأجور ، لم تُمنح حقوق العمال المعروفة لهؤلاء المهاجرين . وكان أصحاب العمل يماطلونهم في دفع الأجور ، ويعرضونهم للإهانة . وعمل بعضهم ٥ أيام أو ٤ أيام أو يومين في الأسبوع ، وكانت طوابير العاطلين تصطف أمام مكتب العمل بدءًا من منتصف الليل إلى آخر النهار ، وكثيراً مايعود المهاجر إلى خيمته بدون عمل ، وتمنح الأعمال حسب المحسوبية الطائفية أو الحزبية . وكان العاطلون يصرخون : أعطني عملاً ، صار أسبوع لم أشتغل . أولادي جوعانين ، إنهم يموتون من الجوع ... إلخ ، ثم يبدأ النزاع والضرب ، ويصرخ أحد العمال : « خدعتمونا وجئتم بنا إلى هذه المخيمات ، الله ينتقم منكم ، اذهبوا إلى جهنم وبئس المصير » . وكان الموظفون يجيبونهم قائلين : « اذهبوا إلى العراق ... اذهبوا إلى جهنم ! ماذا تريدون منّا ؟ » . وانتشرت في المعسكرات الأغنية العربية العامية التالية :

إيش سوّيت يا بن غوريون ،
هرّبتنا
بسبب الماضي ؛ أسقطنا جنسيتنا
وجينا إلي إسرائيل
ياريت ركبنا الحمار
وما وصلنا بَعْدُ
آه من الساعة السوداء !
آه من الطيارة السوداء التي جابتنا لهون

ويعتقد المهاجرون العراقيون أن تشريدهم تمَّ بعد الاتفاقية السرية بين نوري السعيد وبن غوريون ، وقد نظموا أغنية شعبية عن هذه المؤامرة ؛ منها :

باعونا باعونا باعونا
اشترونا اشترونا اشترونا
جابونا جابونا جابونا

وفي بعض الأحيان ، كان العاطلون يقتحمون مكاتب العمل بالقوة ، فتهرع قوات الشرطة ، وتغلق مكاتب العمل ، ويبقى العاطلون بدون عمل بعد أن ينتظروا ساعات طويلة ؛ في حرارة الشمس أو في المطر . وفي أحايين أخرى ، لم تدفع أجورهم إلّا بعد أسابيع أو شهور طويلة . كما سمحت الهستدروت بتخفيض أجور أعمال الطوارىء بنسبة الثلث . وفي حزيران ١٩٥٣ ، رفض مجلس الهستدروت الاستماع إلى ممثلي المعسكرات ، فقام سكان المعسكرات بمظاهرات صاخبة حول المبنى ، وهرعت قوات البوليس للدفاع عن حياة أعضاء المجلس .

واستغل الحزب الحاكم (مباي : العمل حاليا) محنة المهاجرين ، لتثبيت سلطته . وترأس هذا

الحزب الحكومة ، والهستدروت ، والوكالة اليهودية ، و الاستيطان الزراعي الأشكنازي ، ومعامل الهستدروت ... إلخ . ووُزعت الوظائف في المعسكرات بين أعضاء هذا الحزب والأحزاب الدينية الصغيرة ، التي اشتركت في الائتلاف الحكومي ، وكان جميع هؤلاء الموظفين من اليهود الأشكناز* . واستخدم الحزب الحاكم الرشوة (كانت عادة في صورة منح عمل) والإرهاب وأعمال العنف ، وألّف في كل معسكر عصابة من الزعران للقيام بالأعمال الإرهابية ، ضد أي شخص ينتقد الحكومة . ودُمِّرت الأوساط التقدمية الديمقراطية التي كانت قد اشتركت في النضال من أجل التحرر القومي والاجتماعي ، في البلدان الإسلامية . واستخدمت المخابرات الهستيريا الماكارثية لتغطية استبدادها ، وانفراد حزب المباي بالحكم . ونعتوا بالشيوعية كل من فتح فمه ودافع عن حقوق شعبه ، واستخدموا الفصل عن العمل كمسدس في عمليات الإرهاب ، ومضت هذه الحالة إلى أن انتصر الليكود اليميني في انتخابات ١٩٧٧ . وبسبب الضغط الاقتصادي ، كان الحزب الحاكم يحصل على الأغلبية الساحقة من الأصوات في الانتخابات البرلمانية على حين لم يحصل على أكثر من ثلث الأصوات ، في المدن الكبرى .

وحرم سكان المعسكرات من التمثيل في المجالس المحلية التي انتمت إليها معسكراتهم ؛ لأن « الانتخابات كانت قد جرت قبل الانتماء » . أما المجالس المحلية التي أقامتها المعسكرات ، فقد أصدرت وزارة الداخلية أمراً يحدد صلاحياتها . وفي بعض المعسكرات ، عينت الوكالة اليهودية لجنة محلية مُنحت – فقط – حق « الوساطة » بين السكان وإدارة المعسكر ، ولم تعترف وزارة الداخلية بأية لجنة معينة أو منتخبة في المعسكرات .

وكثيراً ماكانت عصابة سكرتير الحزب وعصابة ضابط المخابرات – عصابة واحدة . واعتمد الحزب والمخابرات على عناصر إجرامية لتخويف سكان المعسكرات ، وكانت وظيفة المخابرات الرسمية الحفاظ على أمن الدولة ضد جاسوسية الدول العربية . أما الواقع ، فلم تكن هناك جاسوسية عربية قط ، ولم يحاكم أي شخص بمثل هذه التهمة ، ولم يكن قلم المخابرات (شين بيت) إلّا شرطة سرية سياسية ، عملت على تقوية الحزب الحاكم ، كما هو متبع في الأنظمة الفاشية . قال لي س . م . : إنه عُيِّنَ موظفاً صغيراً مقابل إمداد الشين بيت بالمعلومات ، عن الأشخاص الذين انتقدوا الدولة والنظام الحاكم ، ثم أضاف أن ضميره يقرعه لأن هذه المعلومات أدت إلى تدمير عائلات هؤلاء الأشخاص ، الذين فصلوا عن أعمالهم وانهارت أرزاقهم . ثم أشار إلى أن معظم هؤلاء الناس لم يكونوا أعداء الحزب الحاكم قط ، غير إن ضابط الشين بيت مضى يضغط عليه ويطالب بمزيد من الأسماء « المشبوهين » ، فاضطر س . م . إلى إعطاء أسماء المحايدين غير السياسيين ، حتى مؤيدي الحزب الحاكم . وقابلت ذات مرة – زكريا ، أحد رفاقي منذ أيام التلمذة ، فأخذ يتذمر ويتهجم على الحزب

* كانت أهم الوظائف في كل معسكر كما يلي : مدير المعسكر ، رئيس مكتب العمل ، سكرتير الحزب (وعصابته) ، عمال التنظيف ، الضابط الأشكنازي للمخابرات (شين بيت) وجواسيسه . وكانوا جميعا من اليهود الأشكناز عدا عمال التنظيف .

(مباي) ، وقال : « استغلوني من أجل السيطرة على معسكر اليمنيين ، ثم رموني » . واستطرد زكريا (اليمني) قائلاً : « عُيِّنتُ كمرشد زراعي في ذلك المعسكر ، أمّا عملي الحقيقي فكان مساعدة حزب المباي . وفي يوم الانتخابات البرلمانية ، وصل إلى المعسكر أناس يمثلون الأحزاب الأخرى للتأثير على سكان المعسكر ، فقررت أنا وجماعتي فرض منع التجول على المعسكر ، وقلنا للسكان « لأسباب أمنية » . وهكذا ، أجبرناهم على البقاء في خيمهم إلى أن ترك الحزبيون المذكورون المعسكر . ونتيجة لهذه الأساليب تمكن الحزب من الحصول على ٩٠٪ من أصوات اليمنيين في المعسكر » . وعندما زرت قرية القلنسوة العربية ، لجمع المواد ضد الحكم العسكري وقوانين مصادرة الأراضي ، قال لي أحد السكان : « المخابرات تعرف ، لا عدد الدجاج فحسب ، وإنما عدد البيض أيضا » .

وقد قررت الحكومة والوكالة اليهودية عدم تقديم خدمات اجتماعية للمعسكرات ، وفرضت هذه الواجبات على المجالس المحلية المجاورة للمعسكرات . لكن المجالس المحلية – الأشكنازية (طبعاً) – قلصت علاقاتها مع المعسكرات ، وعارضت إقامة معسكرات أخرى في مناطقها ؛ لأن سكان المعسكرات لايستطيعون دفع الضرائب البلدية ؛ بسبب فقرهم . وهناك أسباب عنصرية أيضا ، فمثلاً ، بلدية هرتسلية رفضت قيام المعسكرات في منطقتها ؛ لأن هناك فنادق كبيرة للزوار الأجانب ، ووجود جماهير غفيرة من الفقراء السمر – قد يسيء لسمعة الفنادق ولسمعة إسرائيل ، التي كانت قد نشرت أسطورة العدالة الاجتماعية والديمقراطية الصحيحة في جميع أنحاء العالم . وهكذا ، بالرغم من القانون ، بقي ٢٦ مخيماً عام ١٩٥٣ خارج أي حكم محلي (أي ٣٠٪ من سكان المعسكرات – آنذاك) ، وانضم الباقي إلى مجالس محلية فقيرة ، وفرض على ١٢ معسكراً إنشاء مجالس محلية ، وتزويد سكانها بالخدمات . وبسبب فقر سكان هذه المخيمات ؛ لم تستطع هذه المجالس تقديم الخدمات اللازمة ؛ فقررت الحكومة وضعها تحت سلطة وزارة الداخلية من حيث تقديم الخدمات ، إلّا أن الوزارة أهملت واجبها هذا . أما المجالس التي قبلت المعسكرات ، فلم تزودها بالخدمات ؛ لأن المهاجرين لم يتمكنوا من دفع الضرائب . وعندما طالبت المجالس المحلية بتقديم المزيد من المساعدات الحكومية – رفضت الحكومة . وفي عام ١٩٥٢/١٩٥٣ ، وعام ١٩٥٣/١٩٥٤ – انخفضت المعونة الحكومية للمجالس المحلية ، مما أدى إلى انخفاض مستوى الخدمات . وفي بعض الأحيان كان عدد سكان المعسكرات أكبر بكثير من عدد سكان البلدية نفسها ، وفي بلدية نحلات يهودا كانت النسبة ٤ أضعاف ، أما بلدية تل أبيب البالغ سكانها ٢٥٤,٠٠٠ نسمة ، فقد قبلت بعد ضغوط شديدة ضم ٢٧٠٠ نسمة فقط ، من سكان المعسكرات المجاورة . أما في مناطق المستعمرات الأشكنازية (كيبوتسيم وموشافيم) فقد انضمت المعسكرات إلى هذه المجالس ، ولكن حُرم السكان من إرسال ممثلين إليها . واستغلت هذه المستعمرات الأشكنازية يهود الإسلام في المعسكرات كقوة عمل رخيصة ، فأخذت أرباحها تتضاعف ، وارتفع مستوى معيشتها عدة مرات ، بالنسبة للفترة التي سبقت هذه الهجرة المكثفة .

وقد أقيم ٢٠ – ٣٠٪ من هذه المعسكرات في المناطق النائية ولاسيما مناطق الحدود . وعانت هذه المعسكرات من مصاعب اقتصادية مختلفة ، مثل :

١ – البطالة ؛ لأن الرأسماليين ورؤساء الهستدروت الذين تلقوا الدعم المالي لاستيعاب المهاجرين ، فضلوا توظيف الأموال في أواسط البلاد ؛ حيث الأرباح الكثيرة .

٢ – فضلت الهستدروت بناء المساكن في أواسط البلد ؛ لأن الأرباح هناك كانت أكثر من مناطق الحدود . ثم وافقت الحكومة على بناء المساكن في المناطق النائية ، لكن هذه الشقق كانت أصغر بكثير من الشقق التي بنيت في وسط البلد ، وكانت عملية البناء بطيئة جدا ، مما أجبر السكان على الإقامة في الخيم سنوات عديدة .

٣ – قلة التموين ، حيث فضلت الهستدروت ممثلة في شركة التسويق (شركة همشبير همركزي) إقامة حوانيت كثيرة لبيع الأكل والملابس في وسط البلاد ؛ مما أدّى إلى قلة المؤن ، ورفع الأسعار في المعسكرات النائية . وخلاصة القول أن الحكومة قد قررت توزيع السكان في البلاد ، من دون إرغام الجهات التي استلمت الدعم المالي الحكومي ؛ على توظيف الأموال في جميع أنحاء البلاد .

وبالنسبة لإهمال الهستدروت لواجباتها تجاه يهود الإسلام في المعسكرات ، علينا أن نشدد على أن هذه المنظمة قد قويت بسبب المعسكرات ، إذ إن ٨٦٪ من سكان المعسكرات أرغموا على الانتماء إليها ، على حين كانت نسبة سكان البلاد في الهستدروت تتراوح بين ٤٠ – ٥٠٪ فقط (١٩٥٠/١٩٥٤) . وكان ٧٨٪ من أطفال المعسكرات منتمين إلي مدارس الهستدروت (المعدل القطري ٤٣٪ فقط) . وحاز الحزب الحاكم على ٤٠ – ٥٠٪ ، وفي بعض المعسكرات ٧٠ – ٩٠٪ ؛ من أصوات سكان المعسكرات ، ولم يحتز أكثر من ٣٢٪ من أصوات السكان عامة . وإذا أضفنا إلى المعسكرات – مدن التطوير والتعاونيات وسكان « الحزام الأسود » ، لأدركنا أن الهجرة من أرض الإسلام – علاوة على الاستغلال الاقتصادي – مكنت الحكم المركزي (أي حزب مباي) من البقاء في السيطرة لمدة ٢٩ عاماً . وقالت أبواق إسرائيل في الخارج إن النظام الإسرائيلي هو أكثر استقراراً وديمقراطية من جميع الأنظمة العربية معاً . ولكن كل من عاش في إسرائيل والبلدان العربية يعلم أن الرقابة الحكومية على الفرد في إسرائيل ؛ أشد بكثير مما هي عليه في البلدان العربية .

وعانى يهود الإسلام من الشروط الصحية القاسية في هذه المعسكرات ، إذ سكنت كل عائلة في خيمة واحدة ، مساحتها أقل من مساحة غرفة عادية ، على حين كانت معظم العائلات متعددة الأطفال . وفي عام ١٩٥٠/ ١٩٥١ ، كان الشتاء باردا جدا ، وهطلت الثلوج في كل مكان . أما الحر فكان لايطاق في الخيم وأكواخ الصفيح ، ولم يكن هناك إلا بضع حنفيات في كل معسكر (معبرة) ، وكان الناس يصطفون في طوابير طويلة ؛ لاستلام كمية معينة من الماء . وفي المناطق الزراعية ، أعطيت الأولوية للمزارعين الأشكناز ، وقُطع الماء عن المخيمات . وكثيراً ما كان الماء

عكراً لايصلح للشرب ، مما زاد من تذمّر السكان وعنف مظاهراتهم ضد السلطات الصهيونية ، وكانت هذه المظاهرات تقمع بيد من حديد . أما (دُشُّ الاستحمام) بالماء البارد ، طبعاً — فقد أقيم واحد لكل ١٦ شخصاً ، غير إن « المَشَان » التي تعمل بانتظام كانت قليلة . وكانت المراحيض عبارة عن حفر صغيرة مساحتها متر مربع ، وكانت هناك حفرة لكل ٤ عائلات ، وكانت الطوابير أمام الحفرة طويلة ، وكثيراً ماكان هناك مرحاض واحد لكل ١٠٠ شخص ، وعندما تهطل الأمطار ، كانت المراحيض تفيض بما فيها ، وفي موسم الصيف كانت تبعث الروائح الكريهة ، وتغذي أفواجاً من الحشرات المؤذية . ولم تعتنِ الحكومة بجمع القمامة والأقذار ، ولم يكن هناك مجار للمياه الوسخة ، فتكونت بحيرات من المياه القذرة ، وارتفعت أكوام الزبالة ، وتحولت المعسكرات الصهيونية إلى مزابل لايسكنها إلّا يهود الإسلام . وبما أن بعض المخيمات أقيمت على طريق اللد – تل أبيب ؛ فقد كتبت الصحف الأشكنازية أن مناظر هذه المخيمات تسيء لسمعة إسرائيل في أعين السُيّاح الأجانب ، ومن الأفضل إبعادها عن الطريق الرئيسي . ولهذا ، أخذت المؤسسة تبني أكواخاً من الأسمنت على بعد بضعة كيلو مترات ، وطلبت من السكان شراءها والانتقال إليها . ولكن يهود الإسلام رفضوا الاقتراح ؛ لانعدام طريق مبلط من المكان الجديد إلى الطريق الرئيسي ، فأخذت الصحافة الصهيونية الأشكنازية تقول « إن هؤلاء اليهود العرب يرفضون العيش في مبانٍ ؛ لأنهم معتادون على العيش في خيم مثل العرب البدو » .

ولم تربط الحكومة هذه المعسكرات بشبكة الكهرباء القطرية ، فاضطر السكان إلى استخدام مصابيح النفط . أما خارج الخيام فبقي في ظلام دامس . ولم يكن هناك أي طريق مبلط داخل المعسكرات ، فكثر الوحل والبحيرات الصغيرة ، وأصبح من الصعب التنقل من خيمة إلى خيمة . وكثيراً ماكانت المواصلات بين المعسكرات وسائر المدن المجاورة صعبة جدا ، بسبب سوء الطرق وقلة وسائل النقل والحافلات ، وعلى إثر ذلك استفحلت العزلة الجغرافية والحضارية بين سكان المخيمات وباقي السكان في البلد .

وكانت العلاقة الوحيدة بين يهود الإسلام والمجتمع الأشكنازي الاستيطاني – علاقة الحاكم والمحكوم : مدير المعسكر وسكرتير العمل وصاحب العمل الأشكناز — من جهة ، وسكان المعسكر – من جهة أخرى . وتعذر الاتصال بين يهود الإسلام المهاجرين واليهود العرب الفلسطينيين : سكان المدن الكبرى – مما أضعف موقفهما . غير إن هذا الانعزال الاجتماعي كانت له فائدة واحدة ، وهي أن اليهود العرب سكان المعسكرات مضوا يعيشون حسب عاداتهم العربية : يتكلمون العربية ، ويستمعون إلى الموسيقى العربية ، وحافظوا على هويتهم العربية والإسلامية . وكان لهذا فائدة كبرى عند انتعاش الحضارة العربية في هذا المجتمع في السبعينيات والثمانينيات . مقابل هذا ، تمكنت المؤسسة من تحطيم العائلات ، فانتشرت كل عائلة في عدة معسكرات ، الأمر الذي أضعف نضالها ضد السلطات . بالرغم من هذا ، فقد اندمج يهود العالم العربي والإسلامي خلال هذه الفترة ١٩٤٨ – ١٩٨٧ ؛ في مجتمع واحد ، معظمه يتكلم اللغة العربية ، وتجمعه حضارة الأمة

الإسلامية . وفي الوقت نفسه ، امتزج اليهود الأشكناز أبناء البولونيين والروس والهنغاريين ... إلخ – في مجتمع أشكنازي واحد ، تجمعه الغطرسة بالنسبة إلى العالم الإسلامي ويهود الإسلام – معاً .

وأدّى الانعزال الجغرافي إلى قلة المؤن وغلائها ، وفرضت الحكومة في هذه الفترة نظام التقشف والتموين حسب بطاقات خاصة ؛ لذلك انتشر البيع والشراء بالسوق السوداء ، واستطاعت العائلات الأشكنازية في المدن الكبرى شراء الأغذية بالسوق السوداء ، الأمر الذي سبب قلة المؤن في البلد ، ولم يستطع الكثير من سكان المعسكرات أن يشتري حتى المؤن القليلة المحدودة لهم ، ومن ضمن هؤلاء : العاطلون وأصحاب العائلات الكبيرة ، فكانوا يبيعون بطاقات الأكل للأشكناز ، وعلاوة على ذلك فإن حوانيت الأكل في المخيمات البعيدة كانت تفتقر إلى المواد الأساسية ؛ ومن ضمنها الأغذية .

وقدمت الخدمات الصحية من قبل « صندوق المرضى » التابع للهستدروت وكذلك وزارة الصحة والجيش . وعانت الخدمات الصحية من قلة الأطباء والمباني والعتاد . وحاولت الحكومة تجنيد أطباء للعمل في المعسكرات ، لكنها فشلت في ذلك ، فاضطرت إلى تعيين أطباء من المهاجرين أنفسهم . وتبين لي من زياراتي لعدة معسكرات ، مثل : معسكر ساقية وبرديس حنه ومعسكر بيتح تكفا وتل ــ موند ... إلخ – أنه حدثت عدة وفيات ولم يعلم الناس عنها شيئاً ، إلى أن انتشرت روائح الموتى في المعسكر ، وأعني المسنين والمسنات خصوصاً . كما أن نسبة وفيات الأطفال كانت عالية جدا بالمقارنة بسكان المدن الكبرى والمستوطنات الأشكنازية . ولا شك أن نسبة الوفيات العالية نتجت عن قلة الأغذية وباقي الشروط الصحية والمعيشية .

وقام يهود الإسلام في هذه المعسكرات بعدة مظاهرات ، وأرسلوا بعرائض كثيرة إلى السلطات ، يشكون من أحوال معيشتهم . وهذه إحدى العرائض :

حضرة رئيس الدولة **٢٨ آذار ١٩٥٤**
القدس

نحن الموقعين أدناه ، سكان مخيم ب ومخيم ج ، قرب مدينة الرملة – نقدم لسيادتكم مطالبنا الحيوية ، كما يلي :

نحن نعيش في أحوال اقتصادية وثقافية ومادية مخيفة ، لم نعرف مثلها من قبل . إن أكثرية السكان الساحقة عاطلون أو يعملون بصورة جزئية ، ويتقاضون أجور أعمال الطوارىء ، أي ٣,٥ ليرات يومياً ، ولمدة ١٢ يوماً في الشهر على الأكثر . إننا نعيش في هذه الشروط الرديئة أكثر من ٣ سنوات ، بدون أي اهتمام أو مساعدة من قبل المؤسسات الحكومية أو البلدية . ويبلغ عدد الأشخاص في كل كوخ ٨ – ١٠ أشخاص . وتحيط بنا الأوساخ ، الأمر

الذي قد يسبب انتشار الأمراض والأوبئة ، إذ إن الجراثيم تجد لها إمكانيات كثيرة للنمو . قسم كبير من أولادنا لايُرسل إلى المدارس ، بسبب قلة الموارد المالية . عندنا طبيب واحد وممرضة واحدة لـ ٥٠٠٠ نسمة ، لايوجد لدينا طريق مبلط يربط المخيم بالمدينة ، مما يسبب صعوبات في المواصلات ، ويرغم هذا نساءنا ، ومن ضمنهن الحبالى والعجائز ، على السير مسافات بعيدة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى المخيم . ويحتم هذا الوضع أيضا على العمال الذين يشتغلون في المدينة – أن يمشوا مسافات بعيدة بعد تعب اليوم . ولاتستطيع أكثرية سكان المخيم دفع أجور المساكن وضرائب البلدية خلال سنتين وأكثر ؛ لذلك تقدم شركة « عميدار » وبلدية رملة — الناس إلى المحاكم . وفي الآونة الأخيرة ، ارتفعت ضرائب البلدية بنسبة ٢٠٪ ، وارتفعت ضريبة الدخل بنسبة ٧,٥٪ ، بغية دفع ديوننا للبلدية . أما دائرة المساعدات الاجتماعية فتدفع للمحتاجين ٤ – ٨ ليرات شهريا ، وليس بمقدور هذه المبالغ الصغيرة أن تحل المشاكل ، لأنها غير كافية لإعاشة عائلة تشمل ٦ – ٨ أشخاص ... [ثم تطالب العريضة بإدخال القوة الكهربائية إلى المخيمات ، وإدخال هاتف ، وتدبير سيارة إسعاف ...] .

ولقد سببت هذه الأوضاع هزة نفسية عنيفة في نفوس يهود الإسلام ؛ لأن الكثير منهم كانوا يعيشون في أجمل ضواحي بغداد والقاهرة والإسكندرية وبيروت ... إلخ . واشتد اليأس والشعور بعدم المبالاة في قلوبهم ، وأحياناً كثرت أعمال العنف ضد المؤسسة الصهيونية .

وتقول دبوره برنشتاين في دراستها المفصلة : « المعسكرات الانتقالية في الخمسينيات » – إن الوثائق الرسمية لاتذكر شيئاً عن المشاكل النفسية عند اليهود العرب في المخيمات . إلّا أن بعض سكان المعسكرات كتبوا عن هذه المشاكل ، في رواياتهم القصصية ، ومنهم شمعون بلاص : الكاتب العراقي الذي وضع أهم القصص عن المعسكرات الانتقالية « همعبره » (المعسكر الانتقالي) باللغة العبرية ، كما وضع الكاتب العراقي سامي ميخائيل الرواية المشهورة : « متساوون ومتساوون أكثر » . يقول بطل هذه القصة الأخيرة – وهو شاب يبلغ السادسة عشرة من العمر ، ويسكن أحد المعسكرات الانتقالية (معبرة خيرية ، قرب تل أبيب) – يقول :

« بكى والدي ... كالمتحجر استمعت إلى ألحان هذا البكاء ، وأنا لا أصدّق أذني : أبو شاؤل يبكي ! وبعد لحظة مسكت والدتي كتفه وهزّته وهي تهمس : « يعقوب ، كاف ! يعقوب ، علينا ألّا نحزن على ماكان » . ولكنني علمت أن والدي سوف لاينهي حزنه على حلمه المنهار ، ألم يقف على باب عشيقته الجديدة ، ثم دخل إليها بسرور ، ثم أغلق الباب وراءه ، فوجد نفسه فجأة في صحبة مسخ .. لايبالي . ربما أمي لم تفهم ... أنا فهمت :

جسم بابا مازال حيا ، ولكن نفسه كانت تحتضر في باطنه . إنه كان مهاجراً جديداً من العراق ، عجوزاً ، متحملاً عبء عائلته ، لايملك فلساً ، مشرداً مع قطيع من الناس ، بدون أي أمل لكسب قوت أبنائه بصورة مشرفة . وكل هذه الأمور ليست إلّا أرضية لاكتشاف آخر ، وهو الأسوأ بمرات عديدة : لقد اتضح له أنه ينتمي إلى عِرق منخفض ... ولم تنتصب نفسه في وجه هذه الإهانة المؤلمة » (ص ٢١ - ٢٢) . « إن نصف معبرة خيرية قد تحول إلى مزبلة واسعة النطاق ، استوعبت زبالة تل أبيب ، وشكلت هذه المزبلة نصبا تذكاريا لما حدث هناك ، حيث جميع السكان قد زجوا في هذه المزبلة الإنسانية بأيدي أناس مجهولين ، صفر الوجوه (يعني المستوطنين البيض) ، مواطني المدينة الكبيرة » (ص ١٠) . « لقد فكرنا أننا عائدون إلى بيتنا ، وسوف نعيش كيهود مع يهود ، ولكن لم يحدث هذا . لقد قُسمنا إلى شعبين . أتذكرُ ... في العراق عانينا من المضايقات ، ولكن مرتبتنا لم تكن أسفل من مرتبتهم . هنا لايضطهدون اليهود ، والحمد لله . ولكن قبل وصولنا ، حدّدوا لنا طبقة أخرى ، طبقة ذات مرتبة ثانية » (ص ٢٥) . « وكانت تسبوره : الموظفة (الأشكنازية) المسؤولة عن الشروط الصحية في المعسكر تؤمن بأنه يجب ، لا تطهير المراحيض والحمامات ... إلخ ، بل على المسؤولين تطهيرنا - أي القضاء علينا » (ص ٣٠) . « وعندما تأخر داؤد عن عمله في غسل قناني الحليب ، قال له رئيس العمل : غولدينبيرغ : الكسل رذيلة عربية محتقرة ..، وعندما حاول داؤد أن يشرح أن سبب تأخره كان الحافلات الملآنة ، تنهد السيد غولدينبيرغ قائلاً : « آه ... داؤد ، داؤد ، عليك أن تذكر أنك تركت البلدان العربية وإلى الأبد ، وهنا لاتستطيع أن تعيش على الأكاذيب والحجج » (ص ٥٢ - ٥٣) .

ويشعر داؤد في حرب ١٩٦٧ بأن التضامن بين الجنود الأشكناز ويهود الإسلام ظاهري فقط ، وعندما يعود من الحرب سوف يرجع إلى مكانه السابق في المجتمع : يحمل لون طائفته الأسمر . ويعود الأشكنازي إلى شُرَفه البيضاء ، واليهودي العربي إلى حارات البؤس . ثم يضيف أنه أرغم على الذهاب إلى الحرب ، وسوف يدافع عن نفسه . إنه يكره إسرائيل ... ولكنه لايعرف أي مصري ، ثم يتساءل كيف يستطيع أن يكره إنساناً لم يره من قبل (ص ٥٤ و٥٥) .

« وفي أيام الانتخابات البرلمانية عرض سماسرة الأشكناز على سكان المعسكر - ١٠ ليرات نقداً ، مقابل كل صوت » (ص ٧٨) .

« نعم هناك (في الكيبوتس) أيضا ، السود مواطنون من درجة ثانية ، وهناك راقبوني طوال

الوقت ، وكأنني قنبلة موقوتة أو قنبلة زخم » (ص ٨١) .

« قالت تسبوره (الأشكنازية) لداؤد العراقي : ابتعد عن ابنتي ... أسمعت ؟ مرغليت ليست لأمثالك يا أسود ... وسخ » (ص ٩٤) .

« قال داؤد : ... انظرْ إلى المدارس الثانوية ولا سيما الجامعات ، كم شرقيا تجد هناك ؟ مع العلم : نحن أغلبية السكان . إنّ التفرقة موجودة على كل مستوى : شمالي تل أبيب من جهة ، ومعسكر خيرية من جهة ، وحي هتكفا من جهة أخرى ، أشكناز من جهة ، وسفارديم من جهة أخرى . حتى عند شباك مكتب العمل : أنا من جهة وتسبوره من جهة أخرى » (ص ١١٢) .

« داؤد في العربة المدرعة ، يفكر في الجنود الأشكناز حوله ، ولايرى أية صلة تربطه بهم : لاصداقة ولاتعاطف ولا أخوة محاربين ... إنني شتلة غريبة بينهم » (ص ١٢١) .

[وهكذا ، يصف الكاتب أكبر المجرمين والزعران في المعسكر : « أبو حلاوة »] : « إنه لايخاف أحداً : جميع الأحزاب تحاول إرضاءه ، وسكرتير المعسكر يلحسه ، والشرطة لاترى أفعاله » (ص ١٢٧) .

[وكانت النكتة المشهورة عند الأشكناز] : **« أنا أكره بكل جوارحي شيئين : أولهما ؛ التمييز الطائفي ، وثانيهما ؛ فرينكيم – أي يهود العالم العربي والإسلامي »** (ص ٢١٦) .

وللأسف ! يُنهي الكاتب روايته بأمر يناقض كل ماجاء في الكتاب ولاسيما (ص ٥٤ و٥٥) : بطل الرواية يستلم وسام البطولة ، لاشتراكه في حرب ١٩٦٧ ، وحينئذ يشعر بأنه مواطن إسرائيلي ، وأن لون جلده لايشكل عقبة (ص ٢٥٤) .

يبدو أن « صفر الوجوه » هم الذين ألصقوا هذه « النهاية السعيدة » في الصفحة الأخيرة من هذه الرواية !

بلغت سياسة التجهيل في المعسكرات الانتقالية أقصاها : قسم كبير من الأطفال لم يتلق أي تعليم بالرغم من قانون التعليم الابتدائي الإلزامي ؛ بسبب قلة المدارس ، وانتشار الفقر ، والتدهور الاجتماعي ، وانهيار المعنويات . وكانت المؤسسات العلمية الوحيدة التي أقيمت في المعسكرات هي المدارس الابتدائية ، ورياض الأطفال ، التي عانت من قلة المباني والمدرسين المؤهلين والكتب وأجهزة التعليم . لقد بلغت نسبة الطلاب في سن ٦ – ١٢ عاماً في البلاد – ٨٥٪ من مجموع الطلاب . أما في المعسكرات فلم تتجاوز هذه النسبة ٥٠٪ فقط ، والباقي لم يتلقوا أي تعليم . وكان مستوى التعليم منخفضاً جدا بالنسبة للمدارس في باقي أطراف البلاد . وكتب إبراهيم عباس (السوري الأصل ، الذي ينتمي إلى حزب أحدوت هعبودا اليساري الصهيوني) – إن في منطقة بئر السبع ٥٠٪ من طلاب المعسكرات لايعرفون القراءة والكتابة . والمستوى الثقافي في هذه المدارس الابتدائية لايزيد على مستوى الصف الثالث في المدارس العادية (المدرسة الابتدائية في إسرائيل تحتوي على ٨

صفوف) . وأضاف أن ثلث الأطفال في سن ٦ - ١٣ عاماً - لايذهبون إلى المدارس بالرغم من قانون التعليم الإجباري ، وأن ٩٠٪ من الطلاب يتركون المدرسة في نهاية الصف الرابع . ثم أشار إبراهيم عباس إلى الانهيار الأخلاقي ، مثل ، الدعارة واللعب بالقمار ، بالرغم من النوعية الممتازة ليهود الإسلام . ويشدد على أن السبب الحقيقي لهذه الظواهر هو الواقع الثقافي المر ، ليس في ناحية بئر السبع فحسب ، وإنما في جميع المعسكرات والقرى التعاونية والحزام الأسود . وقال عباس إن الأجور المدرسية تسبب حرمان الأطفال من التعليم الابتدائي . وأضاف أنه لمّا كانت نسبة اليهود العرب في الجامعات ضئيلة جدا ، فقد استخدمت منظمة اليهود العرب العالمية ضغوطاً جبارة على الحكومة والوكالة اليهودية ، إلى أن تقرر تخصيص ١٤٥,٠٠٠ ليرة لمساعدة طلاب الطائفة . إن ٩٠٪ من المهاجرين من أرض الإسلام غير معتادين الأعمال الجسدية ، وكانوا يزاولون التجارة والوظائف الحكومية ... إلخ . إن ٩٠٪ من العاطلين في البلاد هم يهود عرب ، إضافة إلى العمال الذين يشتغلون في أعمال الطوارىء ويستلمون أجور الطوارىء . ويضيف عباس - نقلاً عن الدكتور سميلانسكي - أن ٤٠ ألف من الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ - ١٨ عاماً ، هم خارج أية مؤسسة ثقافية . ويقول إن ثلث الذين لايدرسون ، عاطلون عن العمل ، والثلث الآخر يعملون في أشغال غير منتظمة ، والثلث الأخير يتعيشون من مصادر مشبوهة . ونسبة المهاجرين من أرض الإسلام في المدارس الثانوية تقارب الصفر ؛ فمن ضمن ١٣٠٠ طالب ثانوي في تل أبيب - مثلاً - يوجد ١٣ من يهود الإسلام فقط (انظر الفصل السابع) .

وفي ١٩٥٤ ، بلغ عدد سكان المعسكرات ٢٠٠,٠٠٠ نسمة ، منهم ٨٠٪ مهاجرون من أرض الإسلام (ولكن حسب الأرشيف الصهيوني المركزي S84/77 ــ بلغت نسبة يهود الإسلام أكثر من ٩٠٪ ، عام ١٩٥٣) . غير إن الأقلية الأشكنازية في المعسكرات لم تبقَ هناك إلّا بضعة أيام أو أسابيع ، على حين بقي يهود الإسلام هناك سنوات عديدة . وفي ١٩٥٤ ، اقترح إسحق رفائيل : رئيس دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية - على الكنيست ، بحث قضية التمييز ضد يهود الإسلام ، إلّا أن الكنيست رفض الاقتراح بأغلبية ساحقة . ويقول عباس إنهم فكروا في أن رفضهم هذا سوف يحل المشكلة [شيبط وعام ، ١٩٥٤] .

وفي خطابه في المؤتمر السفارادي العالمي ليهود الإسلام - عام ١٩٥٤ بالقدس ، يصف إبراهيم المالح ، من زعماء الطائفة - الأحوال المأساوية في المعسكرات الصهيونية ، ويعلل المستوى الثقافي المنخفض للنشء الجديد بفقر العائلات ، وعدم استطاعة الآباء دفع الأجور المدرسية في المدارس الثانوية وفي الجامعات ، وبترك المدارس لمساعدة العائلات ، وبحالة البطالة ومرارة الحياة والجوع والشعور بالتمييز . وأشار المالح إلى أن الكثيرين من يهود الإسلام يريدون العودة إلى بلدانهم . ثم يتهم الموظفين الأشكناز بالظلم ، وبعدم فهم نفسية ضحاياهم ، بسبب الفارق الحضاري بينهم وبين المهاجرين من دار الإسلام . وبدلاً من حل مشاكلهم ، يماطل الموظفون هؤلاء المهاجرين بشكل « روح وتعالى ... إلخ » ، ويعاملونهم بغطرسة ، ويرسلونهم من موظف إلى آخر ، إلى أن يشمئز

المهاجر من حياته إلى درجة الجنون . وبالرغم من أنهم استجلبوهم إلى فلسطين يزعقون بهم : من طلب منك أن تهاجر إلى هذا البلد ؟ ولماذا صَنَعْت أولاداً كثيرين ... إلخ . ثم يندد إبراهيم المالح بالمبعوثين الصهاينة الذين يبذرون الأموال التي يجمعونها من التبرعات ، على حياة الترف ، بدلاً من صرفها على المهاجرين الفقراء . ويتهمهم ببث روح البغضاء بين أفراد العائلات ، وبخطف الأطفال من آبائهم وتوزيعهم بين الأحزاب ، مثلما يوزعون قطعان الماعز [شيبط وعام ، ١٩٥٤ ، ص ٣٠ - ٣٢] .

وبما أن المساعدات الاجتماعية للعاطلين وللأرامل والأيتام تكاد أن تكون معدومة ، فقد شاهدت (الكاتب) الأمهات يتركن أطفالهن في دوائر وزارة الشؤون الاجتماعية ويهربن ، ثم تقوم قوات الشرطة بمطاردة هؤلاء الأمهات واعتقالهن ، لإرغامهن على أخذ أطفالهن ، ولك أن تتصور النتائج النفسية في قلوب هؤلاء الأطفال . و لاشك أن معظم بنات الدعارة والمجرمين السجناء اليوم (١٩٨٧) - ولدوا وتربوا في هذه المعسكرات الرهيبة . وقد سألت أحد موظفي وزارة الشؤون الاجتماعية : « هل يقرعك ضميرك عندما ترى هؤلاء الأطفال يبكون ويصرخون في حالة هستيرية ؟ » ، فأجاب : « لا ؛ لأن إسرائيل سوف تحتاج إلى كنّاسين وعمال يقومون بالأعمال الدنيا ، وهؤلاء الأطفال سوف يقومون بهذه الأعمال .... » .

وتقول دبوره بيرنشتاين في دراستها - التي أشرنا إليها سابقاً - إن عدد هذه المعسكرات الانتقالية في نهاية ١٩٥١ قد بلغ ١٢٧ معسكراً ، عدد سكانها ٢٥٠,٠٠٠ نسمه (ص ٦) . وتضيف أنه لم يمنح عادة للمهاجرين حق اختيار المعسكر الذي أسكنوا فيه . وأنا رأيت بنفسي المصائب التي حلت بعائلة المرحوم أبو صالح ، عندما انتقل من معبرة مغيدو إلى معبرة تل ـــ موند بدون رخصة ، وذكرتني هذه الأحوال بالنظام الإقطاعي في أوروبا في القرون الوسطى ، وقد انتقل أبو صالح إلى هذه المعبرة ؛ لأنه أراد أن يكون مع أخته وأخيه .

واستمر معظم يهود الإسلام يعيشون في المعسكرات سنوات عديدة ، ومنها نقلوا إلى أكواخ الأسمنت البشعة بالقرب من المخيم ، وغيروا اسم المعسكر . وهذا ماحصل بالنسبة إلى معبرة ساقية ، ومعبرة خيرية ، ومعبرة كفرعانة التي أطلق عليها اسم « أور يهودا » (أي نور يهودا ؛ بسبب انعدام نور العلم فيها ، وتخلف الأوضاع الثقافية . والصهاينة يستخدمون الأسماء التي تناقض الحقائق ، فقد سموا المناطق المحتلة « المحررة » ، واستعباد يهود الإسلام « غيؤله » ؛ أي خلاص) . ونُقل بعض سكان المعسكرات إلى « قرى العمل التعاونية » وإلى « مدن التطوير » ، وانتقل قسم إلى أحياء الفقر في المدن الكبرى ، فتوسع الحزام الأسود . وبالرغم من أن هذه المعسكرات قد سميت « معبروت » ، أي معسكرات انتقالية - بقي ٣٠,٠٠٠ من سكانها يعيشون فيها حتى عام ١٩٨٠ [هآرتس ، ١٩٨٠/١٢/١٩] ، يسكنون في خيم في معسكر جاسي كوهين ، ونوف يام ، وحولون ، وبات يام . وقد نشرت الصحف الإسرائيلية مواداً كثيرة عن الأحوال المعيشية هناك ، وعن أعمال العنف والمظاهرات الصاخبة التي قام بها يهود الإسلام فيها ، ضد المؤسسة الصهيونية . وطالب المتظاهرون

الأمم المتحدة بأن تتدخل لصالحهم ، وأن تعتني بهم كما تعتني باللاجئين في أماكن أخرى في العالم . وبقي هؤلاء المظلومون في المعسكرات أكثر من ٣٠ عاماً (قارن بينهم وبين اللاجئين الفلسطينيين ، وانظر هآرتس ، ٢٣ /٥ /١٩٨٠ ، وزوهديريخ ، ١٣ /٢ /٨٠ و٩/٨ /٨٠) . واعترف نحوم غولدمان – رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في ١٩٥٩ – بأن الشقق السكنية التي بنيت لإسكان اليهود العرب ، منحت في آخر لحظة للمهاجرين الأشكناز ، الأمر الذي سبب انتفاضة وادي الصليب بحيفا (انظر الفصل العاشر ، ولاحظ المراجع العبرية المختصة بالمعبروت والهجرة) .

وأسرد فيما يلي مقولات لثلاثة من سكان المعبروت ، لتلقي مزيداً من الضوء على معاناة يهود الإسلام في هذه المعسكرات :

قال لي صديقي نعيم : « أسكنوا خالي « مناحيم » وعائلته وجدتي « كحيلة » في معسكر هارتوب في قضاء القدس . وكانت جدتي قد فقدت شابين في الحرب العالمية الأولى ، وبكت عليهما سنين طويلة إلى أن عمت عيناها . ولم يكن في قدرتها مجابهة البرد القارس في الخيمة ؛ فمرضت . وأرادت أن تراني قبل وفاتها ، ولكن بسبب تفرقنا وقلة المواصلات ، لم يتسنَ لها ذلك ، وتوفيت دون أن تراني . ثم نقل خالي مناحيم عائلته إلى إحدى حارات الفقر في تل أبيب ، وحاول تجديد عمله البغدادي ، فواجه صعوبات جمة ، أصابته على إثرها نوبة قلبية ، وتوفي وهو في الثامنة والأربعين من العمر (عاش أبوه في بغداد ٨٠ عاما) تاركاً أرملة وعشرة أطفال . وسكن والدي في معسكر بيتح تكفا مدة ١٠ سنوات ، إلى أن مات في كوخه . ووُضعت « سمرة » جدتي (أم أبي) في معسكر برديس حنه – بمفردها ، إلى أن توفيت بعد بضعة أعوام وعمرها أكثر من مئة سنة . وأسكنوا أختي « نزيهة » في معسكر ساقية ، إلى أن سقط زوجها في حضيض السكر والقمار فانهدمت العائلة . وهكذا ، مزقوا العائلة كما يلي : أختي « مرسيل » وعائلتها ، في معسكر تل – موند ، وبعد ١٠ سنوات توفي زوجها إثر نوبة قلبية أصابته ، بسبب العمل الشاق في الزراعة . عمي « سليم » ، في معبرة خيرية ، وكان موظفاً كبيراً في الحكومة العراقية ، وبقي عاطلاً إلى أن مات . عمي « يعقوب » ، رفض الهجرة ، وبقي في بغداد إلى أن مات ، وعائلته أسكنت في أحد المعسكرات ، لا أعرف أين ! زوجة عمي « صيون » وأولادها ، في معسكر مجهول ، لا أعرف أين ! عمتي « روزه » وعائلتها ، في معسكر اللد ، ولم أرها ! عمتي « بليحة » وعائلتها ، في معسكر مجهول ، لا أعرف أين ! عمتي « نجية » وعائلتها ، في معسكر رعانانا ، وقد توفي زوجها وهو كهل . خالي « إبراهيم » وعائلته ، في معسكر قرب حيفا ، لا أعرف أين بالضبط ! خالي « يعقوب » وعائلته ، في معسكر في منطقة الساحل ، لا أعرف أين بالضبط ! وتفرق أولاد عم أبي في معسكرات مختلفة ، لا أعرف أين ! ولو أسكنوا جميع أفراد العائلة في معسكر واحد ، لاستطعنا أن نؤلف كتيبة فدائية كاملة » – انتهى حديث الأخ نعيم عبدوش .

وقال جهاد خضوري ، أحد سكان المعسكرات الانتقالية : « في عام ١٩٤١ ، عندما كنت في التاسعة من العمر ، هاجمت العصابات الفاشية بغداد وسلبت كل ماكان في المنزل ، وكادت عائلتي

أن تُقتل بأكملها ، وقد أثرت هذه الحوادث علي ، وعندما هاجرت إلى إسرائيل عام ١٩٥٠ ، كنت مسروراً . وعند وصولي إلى شاعر هعليا ، جندوني ، ولم أعارض . وفي أثناء الخدمة العسكرية كان الضباط الأشكناز يعاملونني ويعاملون يهود الإسلام وكأننا عبيد . وأنا معروف في بغداد ... أنا لا أقبل ذلك ! (كان جهاد شجاعا ، أبيا ، نشيطاً غيوراً ، يستخدم العنف دفاعاً عن الحق — الكاتب) . كنا نسب الضباط ، كلما عرضونا للإهانة . وأخيراً توصلت إلى النتيجة .. بل هي دولة استعمارية ، تظلم يهود الإسلام والشعب العربي الفلسطيني ، وأن الأمة الإسلامية سوف تقتلع هذه الدولة من الوجود . وكنت أسب الدولة ، كلما ظلموني أو ظلموا رفاقي . مرة أخذوا وحدتي العسكرية إلى الحدود المصرية ، وطلبوا منّا أن نهاجم موقعاً مصريا ، فقلنا إن المصريين لايعتدون علينا ، ونحن لانريد أن نبدأ حرباً جديدة ، ثار الضباط الأشكناز وأخذوا يهددونا بالمسدسات ، ولم يفلحوا بذلك ، وعدنا إلى المعسكر العسكري . مرة جاء أحد الضباط ليوقظني صباحاً ، وأخذ يعاملني بفظاظة ، فبصقت في وجهه ، ثمت انهال عليَّ عدة ضباط بالضرب المبرح . وبعد أن أكملت الخدمة العسكرية ، رفضت الخدمة العسكرية الاحتياطية : كنت أستلم الأمر العسكري بهذا الشأن ، فكنت أمزقه وأقول لم أستلم أي أمر ؛ لذلك سألني ضابط الاحتياط : « ألا تريد أن تخدم العَلَمَ ؟ » ؛ أجبت : « هذا عَلَمُكَ ، ليس عَلَمي » . وقد عملت فترة في أحد المعسكرات الانتقالية ، الواقعة بالقرب من القرى العربية ، فأخذت أدخل إحدى القرى العربية ، وأقعد في المقهى ، وأتحدث إلى الفلسطينيين - باللغة العربية طبعاً ، وتصادقت معهم ، وأحبوني ، وكنت سعيداً بينهم ، فجاء إليَّ ضابط التحريات وطلب مني الامتناع عن هذه الزيارات ، لأسباب أمنية .. رفضت . واشتريت غرفة في تل أبيب ، وأخذت أسمح لسكان تلك القرية العربية بالسُّكْنَى معي على سطح البيت ؛ عندما عملوا في تل أبيب كعمال . وقد نهروني وقالوا إن هذا يعارض مصالح إسرائيل الأمنية ، فقلت لهم : « صايرين إلى جهنم » . وأخيراً لفقوا دعوة كاذبة ضدي ، حُبست من جرائها .وآنذاك ، قررت : لن أعيش في إسرائيل بعد . وسافرت إلى أوروبا . وبعد بضعة أيام جاء إليَّ يهودي إسرائيلي أعرفه ، وترجى مني أن يضع حقيبته في غرفتي لساعات معدودة ، إلى أن يعود . وبعد أن ترك الغرفة ، حضر رجال الشرطة وبدأوا يفتشون كل شيء ... فتحوا الحقيقة ووجدوا مخدرات . ولم يصدقوا ماقلت لهم ، وحبست للمرة الثانية . وبعد ذلك عدت إلى إسرائيل رغماً عني ، وقررت ألا أعترف بإسرائيل وألا أدفع أي ضرائب . وكنت قد اشتريت قطعة أرض صغيرة جنب ذلك المعسكر ، فطلبت البلدية مني دفع الضرائب ، فرفضت ؛ فحبسوني ، ثم رفضت ثانية ؛ فحبسوني ... » .

· ·

لأسباب مختلفة ، انقطعت علاقاتي مع هذا الثائر . ولكنني استطعت معرفة ماحَلّ به بعد ذلك من أخته « سعاد » ؛ قالت : « بعد أن حُبس عدة مرات ، انهارت أعصابه وعانى من اللامبالاة والانقباض النفسي : لم يشتغل ، لم يتكلم إلّا بعض الأحيان ، لم يزر عائلته ، لم يتزوج ورفض الزواج

قطعاً ، فضل الوحدة الكاملة ، وكان تقشفه يشبه تقشف علاء الدين المعري* . وأخيراً أصابته نوبة قلبية ، فأخذه الجيران إلى مستشفى ايخيلوف في تل أبيب عام ١٩٨٢ ، وعندما رأى الأطباء أنه لاينتمي إلى « صندوق المرضى » ، ولا لأي صندوق آخر يعتني بالأحوال الصحية ، قالوا له : « أنت بخير ارجع إلى بيتك » ، ولم يبق هناك ، بالمستشفى – إلّا ساعات معدودة ، فعاد إلى غرفته ، وأغلقها من الداخل وارتمى على سريره ، وتوفي . بعد بضع ساعات وصلت إلى الغرفة لأسأل ماحدث . طرقت الباب ، فلم يجب . حضر رجال البوليس وكسروا الباب ، فدخلنا الغرفة ووجدناه ميتاً ... » .

هكذا ، استشهد جهاد خضوري ، من محلة بني سعيد ببغداد – دفاعاً عن كرامته وكرامة يهود الإسلام ، في حربه الفردية ضد دولة إسرائيل والصهيونية .

وقال لي إلياس : « هاجرت إلى فلسطين عام ١٩٤٢ ، وأخذت أعيش في إحدى المستوطنات الأشكنازية . وبعد قيام دولة إسرائيل ، أراد الحكم العسكري في المثلث العربي أن يستغل معرفتي للغة العربية ، فعينت مساعداً للحاكم العسكري في إحدى القرى العربية ، وأصبحت آلة بأيدي المؤسسة العسكرية . وعندما تم الدور الذي قمت به ، فصلوني عن عملي . ثم عينتني الهستدروت (النقابة العامة للعاملين اليهود) موظفاً في دائرة الثقافة ، وأُرسلت إلى المعسكرات الانتقالية . وشكلت هذه الوظيفة غطاءً لعملي الحقيقي في المعسكرات : وهو تقوية النفوذ الحزبي لحزب مباي . وأقمت عصابة حزبية في كل معسكر لهذا الغرض . وعندما أنهوا استغلالي في هذا المجال ، فصلوني عن عملي » . وأردت أن أسأله : « هل يقرعك ضميرك ؟ » ، ولكن في اللحظة الأخيرة امتنعت عن السؤال ؛ لأنني أعرف أنه ليس عنده ضمير . وكثيراً ما سألته : « لماذا تدعهم يستغلونك ؟ » ، وكان جوابه : « إنهم يدفعون لي أجرة كاملة مقابل خدماتي » . وبعد عدة أعوام سألت ابنه عن مصير الوالد السياسي فقال : « إنه انضم إلى حزب حيروت ، حزب مناحيم بيغن ... »!! .

وهكذا اشتروا بعض المخاتير (شيوخ البلدان) الفلسطينيين ، والجنرالات في « جيش لبنان الجنوبي » ، وبعض زعماء الكتائب اللبنانية . وهكذا حصلوا على معاهدة كمب ديفيد . وهكذا ألفوا عصابات رابطة القرى في الأراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ .

وأخيراً ، أختتم الكلام عن هذه المعسكرات ، بمقتطفات من أقوال أبناء هذه المعسكرات ، كما وردت في قصة « همعبرة » لشمعون بلاص ، التي أشرنا إليها فيما سبق . إن العنصر المركزي في هذه الرواية – **الحقيقية** ، هو نضال سكان المعسكر الانتقالي العراقيين ، (أعتقد أنه معسكر « ساقية » ، حيث عاش الكاتب بعد هجرته من بغداد) ؛ من أجل انتخاب لجنة تمثل مصالحهم أمام السلطات .

* تقصد أبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري (٩٧٣ – ١٠٥٧ م) ، شاعر وكاتب جريء الفكر . ولد في معرة النعمان قرب حلب . زار بغداد ، ورجع إلى بلدته فاعتزل بمنزله ، وسمى نفسه « رهين المحبسين » ؛ أي عزلته ، وكف بصره . وأخذ بالنظم والتأليف منقطعاً عن أكل اللحوم ، ملتزما الصوم الدائم بضعا وأربعين سنة . أشهر مؤلفاته « رسالة الغفران » ، و « الفصول والغايات » .

ويصف الكاتب الاصطدامات الدموية بين يهود الإسلام ــ من جهة ، وقوات الشرطة والزعران المأجورين ومدير المعسكر الأشكنازي ، من جهة أخرى [« وانتصر الزعران في تحطيم أهم الاجتماعات الشعبية » (ص ٦٧) . « وهجم رجال الشرطة علينا وضربونا وضربوا النساء والأطفال واعتقلوا خمسة أشخاص » (ص ١٠٢)] . ولكن في الفصل الحادي والأربعين من الرواية ، تنتهي المجابهة العنيفة بهزيمة الشرطة . وقد اشتركت النساء البغداديات في هذه المعركة ، حيث كنَّ يقذفن وجوه رجال الشرطة **بالطين** . وهذه بعض المقتطفات من أقوال أبناء المعسكر . (ترجمها كاتب الرواية من اللهجة العراقية إلى اللغة العبرية ، وهنا أنقلها إلى اللغة العربية الفصحى أو شبه الفصحى ، لتكون مفهومة لدى كل العرب) :

امرأة : إن الله لا يسمع صوتنا ..

داؤد : لأن إله إسرائيل هو أشكنازي أيضاً (ص ١٦) .

إحدى الأمهات : في الخارج (العراق) كان من الممكن تربية الأطفال .. هنا فوضى ، هل من الممكن أن نسمي هذا الكوخ الضيق بيتاً ؟! لذلك الأطفال برَّه (ص ٢٩) .

أبو نعمان : بدون عمل، حتى الكلب لايرحمك ... اسمع مني في تلك الأيام الحياة كانت منظمة .. [كان أبو نعمان تاجراً يتجول في الريف العراقي . وعندما يدخل قرية إسلامية ، كان النساء والرجال يسرعون لإخبار الشيخ أن عزرا اليهودي قد وصل . وكان الشيخ يرحب به ويحسن ضيافته في أثناء بقائه في البلد (ص ٣٤)] . [وعندما طلب الطبيب الحكومي نقل أحد المرضى إلى المستشفى لإجراء عملية جراحية ، قال سكان القرية : نسأل عزرا اليهودي عن ذلك (ص ٣٥)] .

أحد السكان : إن أمراض القلب والوفيات الفجائية في سن الشباب مصدرها هموم الشروط المعيشية (ص ٥٠) .

عينـــي : منذ أيام الجالية البابلية ، لم تحدث مثل هذه النكبة لليهود العراقيين . تلك اليهودية القديمة المنورة ديست على الأرض وفُرقت على أراض قاحلة مطيِّنة تدعى « معبروت » (معسكرات انتقالية) . قلت لمدير المعبرة : إلى متى تعاملوننا بقساوة كأننا عبيد ؟ (ص ٥١) . هذا مصيرنا .. داسوا على كرامتنا . كل شيء اختلط ؛ اختلط الحابل بالنابل ، الحسب والنسب والمكانة والأخلاق ... (ص ٥٤) . عائلتي كانت معروفة بالعراق ... هناك جلسنا مع وزراء وأعيان وشيوخ . وعندما كنت أدخل قاعة الاستقبال كان الحضور يقومون إكراماً لي . هنا من يعرفني ! أصبحت كأحد الأميين (ص ٥٢) .

امرأة : موسى أخذ قطعة من الجبن من صفيحة الزبالة ، فأخذت بطنه تؤلمه ...

(ص ٥٨) .

سليم : [يعمل في إسرائيل كحمال بالرغم من أنه يحمل شهادة من « جنرال سميث » تدل على مهارته كموظف . وعندما قال ذلك لأحد المديرين الأشكناز ، أجاب الأشكنازي : أنت ؟ ماذا تعرف ؟ هناك خدمت العرب . غضب سليم ، وكان رده التالي :]

الصهيونية والقُنْدَرَة* مالي (الخاص بي) - وأومأ إلى حذائه .

[غضب الأشكنازي وسبَّه باللغة الرومانية (ص ٩١)] .

زوجة : زوجة نعيم الخباز ولدت طفلاً ميتاً ؛ لأن الطبيب رفض دخول المعسكر بسبب الوحل (ص ٩٦ و ٩٧) .

حييم الجنة : **من سيعقد الصلح مع البلدان العربية ؟ اليهود الأشكناز ؟! لا ، نحن ... نحن نعرف العرب ونحن نعرف كيف نتكلم إليهم . وسوف يسمعوننا ، وسوف يثقون بنا . هذا هو المصير يا أبو سهيل ، وليس المعسكرات الانتقالية** (ص ١٠٢) .

يوسف : القاضي (الصهيوني) هو أداة بأيدي السلطات ، كالشرطة . غير إن الشرطة هي أداة قمعية ، أما المحكمة فهي أداة لتغطية الظلم والعنف ، باسم القانون والعدالة (ص ١٠٩) .

مئير : أنت ورفاقك مازلتم تؤمنون بإمكانية إصلاح الأمور . منذ زمن طويل توقفت عن هذا الإيمان . هم يتكلمون ويكتبون (يعني الشيوعيين) : يجب منح عمل ، ويجب إعطاء سكن ... من يعطي ؟ الوكالة (اليهودية) ؟ الهستدروت ؟ الكنيست ؟ من ؟ أجل ؛ كلهم ضدك ! (ص ١٠٩) .

أبو نعمان : (يوبخ الصهاينة) بالعراق مرَّرتم حياتنا . عشنا هناك في استقرار من عرق جبيننا . كنا أسياداً لأنفسنا إلى أن حلّت بنا هذه المصيبة في فلسطين . قلتم : علينا أن نترك كل شيء ونهجر .. ماذا فعلتم ؟ وبعد أن نزحنا ، جئنا إلى المقابر ... (يعني المعابر : المعسكرات الانتقالية) (ص ١١٩) .

نعمان : طوِّل بالك يابابا ، طول روحك !

أبو نعمان : أطوّل روحي ؟ هذي حياة ، هذي ؟! (ثم عدّل ظهره ولوى قسمات وجهه) .

---

* القندرة هي النعل ، والمقصود الصهيونية على نعلي .

نعمان : ألا تشعر بخير ؟

أبو نعمان : ظهري يؤلمني . اشتغلنا أمس بالمطر (ص ١٢٠) .

حيم لجنة : الجنون استولى على المعبرة : مشاحنات ، مشاجرات ، اضطرابات ، شرطة . لجنة العمل مغلقة ... اليهود الأشكناز يضحكون علينا . يقولون إن العراقيين همجيون . كل واحد منهم (أي الأشكناز) ماكان يسوى حذراء بالي في بلده* – جاء إلى هنا وسوّى نفسه ريِّس علينا (ص ١٢٨) .

حييم : قال لي إبراهيم إن مدير معسكره – وهو من أولئك المتحايلين – كان يثير المشاحنات الطائفية بين العراقيين والمغاربة ، وبين أهالي الموصل والأكراد . وكانت هناك اضطرابات كل يوم . ثم جمع إبراهيم رؤساء الطوائف وشكل لجنة ، وذهب أعضاء اللجنة إلى المدير الأشكنازي وقالوا له : نحن إدارة المعسكر ؛ فقفز المدير إلى سيارته ، واختفى . ثم عاد بصحبة الشرطة ... (ص ١٣٠) .

موسى : (يغني) إلى إسرائيل كالغنم قُدْتونا ... وللمعبرة السودا جبتونا ... والعمل بالبناء علمتونا ... وكالخفافيش عُميان كنا (١٤٦) .

حييم : الأحزاب تُفَرِّقُنا ... توجد أحزاب كثيرة في هذا البلد ، لكن أسألكم سؤالاً : من يترأس هذه الأحزاب ؟ نفس اليهود الأشكناز الذين يحتقروننا (ص ١٤٩) .

مدير المعسكر : أنتم أُناس بدائيون ، ولن تعرفوا إدارة شؤونكم . ليس عندكم أي إلمام بالحياة الديمقراطية . أنتم تعرفون الهجوم من الخلف فقط [بعد أن اعتدى عليه مجهولون وأوقعوه في حفرة] .

يوسف : هذه إهانة وتزييف بلا مثيل ، من يهاجم من الخلف ؟ نحن ؟ أو هو ؟ من دفع بيعقوب وشفيق ، واستأجر الزعران من المعسكرات الأخرى للاعتداء على الاجتماع **يوم السبت**؟ (ص ١٨٤) .

ثالثاً ـــ مدن « التطوير » أو معسكرات للعمل الرخيص :

في سنة ١٩٥٢ ، غيرت المؤسسة الصهيونية سياستها تجاه استيعاب المهاجرين من الدول العربية الإسلامية ، ولا سيما من المغرب العربي : فبدلاً من إرسالهم إلى المعسكرات الانتقالية – الآنفة

* العبارة تعني إجمالاً : أن الأشكنازي ماكانت قيمته في بلده تعادل قيمة ريش عنق الدِّيك – والحِذْرِيَة في اللغة هي ريش عنق الديك وتجمع على : حَذَارَى .

الذكر – أخذت تقيم لهم مايسمى بـ « مدن التطوير » ، كما أوقفت هجرة الشيوخ والمرضى ، وكل من لايتمكن من القيام بالأعمال الجسدية الشاقة . وسميت هذه الهجرة بالهجرة الانتقائية ولم تطبق بالنسبة لليهود الأشكناز . ومنذ ذلك الحين ، نُقل المهاجرون من الباخرة عنوة إلى صحراء النقب ، أو الحدود اللبنانية ، أو غير ذلك من الأماكن النائية . وعندما رأى المهاجرون الصحراء القاحلة وعدم وجود أية مساكن ، رفضوا النزول من سيارات الحمل التي كانت تقلهم . وحينئذ ؛ أخذت محركات الشاحنات تقلبهم وترمي بهم إلى الأرض . ثم أجبروا على نصب خيمهم ، والعمل لصالح المستوطنات الأشكنازية المجاورة ، أو المشروعات الرأسمالية الأخرى . وأصبح هذا الاستيعاب أرخص بكثير من المعسكرات الانتقالية ؛ لأنه دائم ومباشر . وفي الفترة ١٩٥٤ – ١٩٥٦ ؛ نُقل ٤٢٪ من المهاجرين إلى النقب ، و ٤٢٪ إلى الجليل ، و٨٪ إلى منطقة القدس ، و ٨٪ إلى المنطقة الساحلية [سفيرسكي وبرنشتاين ، دفاتر للبحث والنقد – ٤] .

وتقول حية تسوكرمان – برالي ، في مقالها عن « أسباب النزوح عن مدينة التطوير » ، إن أسباب إنشاء هذه المدن – حسب إعلان الحكومة ومؤسساتها – « هي أسباب اقتصادية وأمنية واستيطانية » [ربعون لكلكاله ، أيلول ١٩٧٨] . ومعنى هذا تزويد المستوطنات الأشكنازية ورأس المال الخاص بالعمل الرخيص الموسمي ، وإسكان المناطق الفارغة لمنع عودة اللاجئين العرب ، وإقامة سور إنساني لحماية المستوطنات الأشكنازية من الأعمال الفدائية الفلسطينية .

ووصل عدد هذه المدن عام ١٩٨٤ إلى ٢٩ مدينة ، منها : أوفاقيم ، بيسان ، بيت شيمش ، ديمونه ، حتسور (في الجليل) ، يروحام ، مغدال هعيمق ، معلوت ، متسبيه رمون ، نيتيبوت ، قرية غاد ، قرية ملآخي ، قرية شمونه ، شدروت ، شلومي ... إلخ .

وبلغ عدد سكان هذه المدن عام ١٩٨٥ ، نصف المليون نسمة ، يشكلون ١٢٪ من مجموع سكان إسرائيل (مناطق ١٩٤٨) . وهناك ١٢ مدينة تشبه « مدن التطوير » تماماً ، من حيث فقرها وانعدام التطوير الاقتصادي فيها ، ولكن الحكومة ترفض اعتبارها من « مدن التطوير » ، ولو ضمتها إلى مدن التطوير لبلغ عدد سكان « إسرائيل الثالثة » ٧٥٠,٠٠٠ نسمة . (« إسرائيل الثانية » هو الاسم الذي يطلقه المستوطنون الأشكناز على يهود الإسلام في إسرائيل ، أي مواطنين من الدرجة الثانية) . وإذا اعتبرنا الأحوال الاقتصادية والثقافية والسكنية ؛ سوف لا يوجد أي فارق بين مدن « التطوير » ، وأحياء الفقر في المدن الكبرى ، والقرى التعاونية ؛ حيث يعيش اليهود العرب : قدماء أو مهاجرون .

وفي السبعينيات ، بلغ عدد العاملين في مدن التطوير ١٥٠,٠٠٠ . وعمل ٤٥٪ منهم في الصناعة ، و ١٢٪ في البناء ، والباقي في الزراعة والخدمات . وتعد أهم المشروعات الصناعية التي أقيمت بدعم حكومي كبير – صناعة النسيج والملابس والأغذية ، وهي صناعات لاتتطلب رؤوس أموال ضخمة ، بل تحتاج إلى أيد عاملة رخيصة غير تقنية . وهكذا ؛ يعمل في ديمونه ٩٦٪ من العمال الصناعيين في مصنعين للنسيج ، وهم ٥٠٪ من الأيدي العاملة في المدينة . وفي قرية شمونه

يعمل ٧١٪ من الشغيلة في صناعة النسيج أيضاً . و ٩٢٪ في يروحام ؛ في عِدَاد عمال الصناعة الكيماوية والمناجم . وعندما يُغلق معمل المدينة ؛ يصبح معظم سكان البلدة عاطلين عن العمل . وبسبب هذه التركيبة الاقتصادية ؛ بلغت نسبة ذوي الياقات الزرقاء (العمال) في مدن التطوير — ٧٨٪ من مجموع العاملين ، مقابل ٥١٪ في المدن الكبرى . وبلغت نسبة ذوي الياقات البيضاء ٢٢٪ فقط ، مقابل ٤٦٪ على المستوى القطري . وذوو الياقات البيضاء (المهندسون ، وأرباب العمل ، والمديرون ، والموظفون ... إلخ) هم يهود أشكناز ، على حين أن ذوي الياقات الزرقاء (العمال) هم يهود الإسلام . وهكذا ؛ أصبح التمييز الطبقي العرقي مضاعفاً ، أي في العمل ورأس المال [الباز ، الأزمنة الحديثة] . وتحتوي طبقة أرباب العمل في مدن التطوير على شريحتين : رأسماليون أشكناز ، وأعضاء الكيبوتسات « الاشتراكية » — أشكناز أيضاً . وقد شمل الدعم الحكومي لأرباب العمل منح أراضي (مجاناً — تقريباً) ، وقروضاً ، وأموالاً حكومية أخرى .

ويقول سفيرسكي وشوشان إن الأجور والشروط المهنية في هذه المعامل ، تقل بكثير بالمقارنة بشروط العمل في المدن الكبرى ، وفي نفس الصناعات . بالإضافة إلى ذلك ، فإن الأجور التي تدفع في مدن التطوير تقل من سنة إلى أخرى بالنسبة للمدن الكبرى [مدن التطوير ، ١٩٨٥] .

ويبرهن إحصاء السكان والأحوال السكنية لعام ١٩٨٣ على أن الفجوة عظيمة بين مدن التطوير وباقي مناطق البلاد ؛ من حيث البطالة والعمل والسكن ومستوى المعيشة . وبلغت نسبة العائلات التي تحتاج إلى المساعدات الحكومية الاجتماعية ٣٠٪ ؛ على حين أن النسبة على المستوى القطري هي ٢٠٪ . واستناداً إلى معطيات دوائر التشغيل الحكومية لعام ١٩٨٥ ؛ بلغت نسبة العاطلين في مدن التطوير ٢٨٪ من مجموع العاطلين في القطر ، في حين أن نسبة سكان مدن التطوير بلغت ١٢٪ من مجموع السكان في البلاد . وهذه النسبة تزداد من سنة إلى أخرى (ففي ١٩٨٤ ؛ كانت ٢٦,٨٪ ، وفي ١٩٨٣ كانت ٢٤٪) . وإذا حققنا في كل بلدة على حدة نجد أن حالة البطالة أسوأ بكثير من ذلك : ففي بلدة شدروت — مثلا — يبلغ عدد العاطلين ١٠٨٠ شخصاً من مجموع ٢٧٠٠ شخص . ومعنى هذا أن ٤٠٪ من سكان هذه البلدة عاطلون عن العمل ، في حين أن نسبة البطالة في القطر ٧٪ فقط [سكرتير مجلس العمال في المدينة ، زوهديريخ ، ٨٦/٧/٩] . وإذا حققنا في أحوال البطالة على الصعيد الإثني في البلاد ، نجد أن جميع العاطلين تقريباً هم من يهود الإسلام وأبناء الشعب العربي الفلسطيني . وفي المستوطنات الأشكنازية تبلغ نسبة العاطلين عن العمل صفراً — بالضبط ، ولايمكن أن يكون هذا صدفةً (حقّق في كمية الأموال الموظفة للشخص الواحد في المستوطنات الأشكنازية ، والمشاريع التي تشغِّل اليهود الأشكناز ، ثم قارنها بالأموال الموظفة في مدن التطوير والقرى التعاونية ــ حيث يسكن يهود الإسلام ، والقرى العربية الفلسطينية ؛ حينئذ تجد الجواب على هذا الفارق) . وهناك مستوطنون أشكناز في الأراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، يتمتعون بوظيفتين : واحدة في المستوطنة ، وأخرى في القدس أو في إحدى المدن اليهودية في إسرائيل ؛ ولهم منزلان : واحد في إسرائيل ، وآخر في الأرض المحتلة (على حساب الشعب — طبعاً) .

إن جميع الخدمات الاجتماعية في مدن التطوير تعد من الدرجة الثانية بالمقارنة بالمستوى القطري ، ومن الدرجة الثالثة بالمقارنة بالخدمات الاجتماعية التي تمنح للمستوطنين الأشكناز . ففي المجال الصحي ؛ معظم مدن التطوير بعيدة عن المستشفيات الكبيرة ، والعيادات الصحية في مدن التطوير تحتاج إلى أطباء اختصاصيين وعتاد حديث ، وتزيد نسبة الغرف في العيادات الصحية في المدن الكبرى بنحو ٢,٣٥ مرة بالمقارنة بالعيادات الصحية في مدن التطوير ، كما تزيد نسبة الأطباء في العيادات في المدن الكبرى عنها في مدن التطوير ؛ بثلاثة أضعاف ، على الرغم من أن نسبة سكان المدن الكبرى تزيد بمرتين فقط على سكان مدن التطوير*.

وهذه الفجوة تنطبق على التربية والتعليم أيضاً ؛ فأطفال يهود الإسلام يتلقون تعليماً من الدرجة الثالثة من حيث نوعية المدرسة ، والعتاد ، والكتب ، ومؤهلات المدرسين ، والمستوى التدريسي ؛ ولذلك تبلغ نسبة التسرب من مجرى الحياة الدراسية أقصاها في مدن التطوير . ويبين الجدول التالي البون الشاسع بين **إنجازات طلاب يهود الإسلام في مدن التطوير ، وإنجازات الطلاب الأشكناز في المستوطنات الصهيونية الأشكنازية الغنية :**

البلدة	عدد السكان (سن ١٥ فأكثر)	نسبة أصحاب الشهادة الثانوية	نسبة أصحاب الشهادة الجامعية
مدن التطوير السفاردية			
أوفاقيم	٨,١٨٥	٣٣,٤٪	١,٢٪
بيسان	٨,١٤٥	٣٠,—٪	١,٩٪
حتسور الجليلية	٣,٦٠٥	٣٢,٤٪	١,١٪
يروحام	٣,٨٤٥	٣٣,٥٪	٢,١٪
شدروت	٥,٧١٥	٣٠,٨٪	١,٩٪
شلومي	١,٤٠٠	٣٠,١٪	١,١٪
المستعمرات الأشكنازية			
غبعتايم	٣٦,٥٧٥	٥٨,٣٪	١٠,٩٪
هرتسليا	٤٣,٥٥٠	٥٧,٦٪	١٣,٢٪
سبيون	١,٨٢٠	٧٤,٥٪	٢٥,٨٪
عومر	٢,٧٨٠	٧٦,٣٪	٣٦,—٪
قريات أونو	١٥,٣٢٠	٦١,١٪	١٥,٤٪
قريات طبعون	٧,٨٣٥	٥٦,—٪	١٣,١٪

* لذلك ؛ زادت نسبة وفيات الأطفال في مدن التطوير بمرتين ونصف المرة بالمقارنة بالمستعمرات الأشكنازية .

المصدر : الإحصاءات الرسمية ، زوهديريخ ، ٨٦/٧/١٦ ، ص ٦ .

لاحظ أن الحقيقة أسوأ من هذه الفجوة ؛ لسببين : أولهما أن الكثير من أصحاب الشهادات الثانوية والجامعية في مدن التطوير ، ينتمون إلى الأقلية الأشكنازية المتحكمة في كل من هذه المدن ؛ بصفة أرباب عمل ومهندسين ومديرين ... إلخ ، وأبنائهم ؛ وثانيهما ؛ هو أن عملية طرح عدد يهود الإسلام الذين يسكنون في المستعمرات الأشكنازية كعمال وخدم ، تجعل نسبة أصحاب الشهادات الثانوية والجامعية أعلى (انظر الفصل السابع عن سياسة التجهيل والقمع الحضاري) .

وبسبب الأوضاع الاقتصادية والثقافية التعيسة ولاسيما البطالة ؛ زاد عدد النازحين على عدد السكان الجدد في مدن التطوير . ويوضح البيان التالي ــ **نسبة النازحين ونسبة القادمين الجدد من عدد السكان (١٩٧٨ - ١٩٨٤) :**

البلدة	شدروت	بيسان	مغدال هعيمق	نيتيبوت	يروحام	المعدل لجميع مدن التطوير
نسبة النازحين	٣٢٪	٢٦٪	٢٨٪	٣٦٪	٤١٪	٣٧٪
نسبة القادمين	١٣٪	٢٪	١٣٪	١٣٪	٠,٥٪	١٣٪

المصدر : الإحصاءات الرسمية ، زوهديريخ ، ٨٦/٧/٩ .

وفي نهاية عام ١٩٨٥ ؛ عقد رؤساء أربعة مجالس عمالية هستدروتية في مدن التطوير هي : شدروت ، وقرية شمونه ، ويروحام ، وبيسان – اجتماعاً صحفيا مع ممثلي الهستدروت ؛ صرحوا فيه بأن مدن التطوير تسير نحو الانحطاط السريع ، وأن ٩٠٪ من الشبيبة تترك المدن بسبب البطالة ، وأن ٢٥٪ من سكانها نزحت خلال ١٩٧٩ -١٩٨٤ [نفس المصدر] .

أسباب الانحطاط والنزوح والبطالة في مدن التطوير :

١ – إن هذه « المدن » تفتقر إلى قاعدة اقتصادية ، وتحتاج إلى أموال كثيرة لتوظف في مشروعاتها الاقتصادية . ولم يكن تخطيط قيام هذه المدن – منذ بدايته – لصالح السكان ، وإنما لصالح المستوطنين الأشكناز : أصحاب العمل ، ولصالح السياسة التوسعية والأمنية للمؤسسة الأشكنازية الحاكمة . ويلاحظ أن إنشاء معمل لتشغيل معظم سكان بلدة ما بأجور قليلة جدا ، لايمكن أن يكون قاعدة اقتصادية تنمو عليها مدينة كاملة .

٢ - عدم إشراك سكان مدن التطوير في إدارة المشاريع وفي الأعمال التقنية ، وإنما استخدموا للقيام بالعمل الأسود ؛ غير المهني . ولم يتسنَ ليهود الإسلام أي مجال للتقدم المهني ، وفرضت عليهم التبعية للأشكناز ، الذين قبضوا أموال التطوير من الحكومة .

٣ - أوجبت سياسة الحرب والعدوان ضد الدول العربية استخدام معظم موارد الدولة لدعم هذه السياسة ؛ على حساب مدن التطوير والحزام الأسود وسائر قرى يهود الإسلام . ويشمل هذا تطوير الطائرة الحربية « لفي » .

٤ - منذ ١٩٦٧ ؛ منحت الحكومة الأولوية للمستوطنات الأشكنازية في الأراضي العربية المحتلة ، وتركت « مدن التطوير » تسير نحو الانهيار الاقتصادي والاجتماعي . ولايمكن تفسير ذلك بالسياسة التوسعية فقط ، إذ إنه لو كان سكان مدن التطوير أشكنازاً بولونيين أو أمريكيين - مثلاً - لما عاملتهم الحكومة بهذه الصورة . وفي ١٩٨٤ ؛ بلغت نسبة الأموال الموظفة في المستوطنات الأشكنازية في الأراضي المحتلة - ٧,٢ أضعاف الأموال الموظفة في مدن التطوير [زوهديريخ ، ٨٤/٤/٤] . وتقول جريدة هآرتس (٧٩/١١/٢٣) إن الحكومة تنوي صرف ٤,٧ بليون دولار على بناء هذه المستوطنات ، وإن هذا المبلغ يشكل ٤٠٪ من ميزانية الدولة ، أو ٤ أضعاف الأموال اللازمة لإعادة إسكان سكان الضواحي الفقيرة ؛ في المدن الكبرى . وتقول جريدة التايمز اللندنية (٨٠/٣/٤) إن الدولة سوف تصرف ١٠٠ مليون جنيه إسترليني على الاستيطان ، عام ١٩٨٠ . ويعتقد عيزر وايزمان الصهيوني المعتدل أن المستوطنات لاتساعد أمن إسرائيل ؛ كما يدعي الحكام [هآرتس ، ٨٠/٣/٧] . وصرح زعيم الفهود السود : شارلي بطون في الكنيست (٨٠/١١/١٩) ، بأن المستوطنات في الأراضي المحتلة تُعدّ مناطق تنمية من الدرجة A ، أو الدرجة +A ، على حين أن مدن التطوير السفاردية تُعدّ مدن تنمية من الدرجة B ، ولذلك ؛ تصرف ٨٠٪ من ميزانية البناء في الريف على المستوطنات الأشكنازية في الأرض المحتلة . وهذا التمييز ينطبق على الثقافة أيضا ؛ إذ إن الصفوف المدرسية مكتظة بالتلاميذ ، على حين أن الصفوف في المستوطنات لاتحتوي إلّا على عدد صغير من الطلبة . وخصصت الحكومة مبلغاً قدره ٤١٣ مليون ليرة لبناء مدارس في القطر ؛ منها ٧٦ مليون لبناء مدرسة واحدة فقط ، في مستوطنة معليه أدوميم في الضفة .

ودفعت الحكومة تعويضات هائلة لمستوطني سيناء البالغ عددهم ٣٥٠ عائلة ، واستلمت كل عائلة ١٩٠,٠٠٠ جنيه إسترليني ؛ بالرغم من أن الأراضي التي تركوها لم تكن ملكاً لهم ، بل أراضي مصرية ، وكانت أغلبية الأموال الموظفة في مستوطناتهم من أموال الدولة . وسمّت صحيفة هآرتس (٨٠/١١/٢١) هؤلاء المستوطنين الأشكناز : « سماسرة السلام » . وعلاوة على هذه المبالغ فقد دفعت الدولة مبالغ مماثلة لسكان مدينة يميت في سيناء . ونتيجة لهذه المصاريف ؛ قلصت الحكومة ميزانية التعليم بنسبة ٧,٥٪ ، وميزانية

المساعدات الاجتماعية بنسبة ٣,٣٪ ، بعد أن قلصت ميزانية التعليم للعام السابق بنسبة ٢٣٪ ، وبناء المدارس بنسبة ٥٠٪ [هآرتس ، ٨٢/١/٢٢] . ولذلك ؛ لم تنل الحكومة في التصويت على نزع الثقة إلّا ٥٥ صوتاً ، مقابل ٥٢ صوتاً [التايمز ، ٨٢/١/٢٧] . وصرح عيزر وايزمان ؛ بشأن سكان مدن التطوير الذين كانوا قد صوتوا إلى جانب الليكود ، عام١٩٧٧ — بأنه يخاف مقابلتهم . لأن الليكود لم يحسِّن أحوالهم [التايمز ، ٨٠/١١/٢٠] .

ونشرت جريدة هآرتس (٨٢/٢/٥) تقريراً عن اجتماع رؤساء بلديات مدن التطوير في مدينة هرتسليا . وفيه هاجم المجتمعون السياسة الحكومية التي تفضل المستوطنات في الأراضي المحتلة . وقال رئيس بلدة نيتيبوت إن الحكومة تبني هذه السنة ٣٦ شقة سكنيةً فقط في مدينته ؛ البالغ عدد سكانها ٩٠٠٠ نسمة ، وإن ثلثي حالات الزواج الحديث بدون مأوى ، ويضطرون إلى السكنى مع عائلاتهم . وأضاف رئيس بلدية بيت شيمش أن المساكن تمنح مجاناً تقريباً في المستوطنات ، في الضفة الغربية وقطاع غزة . وتقول جريدة يديعوت احرونوت (٧٩/١١/٢٦) إن ٨٥٪ من المستوطنين الأشكناز يملكون بيتين : أحدهما في إسرائيل ، والثاني في الأراضي المحتلة .ويبرهن هذا الاجتماع لرؤساء بلديات مدن التطوير السفاردية على أن هناك تناقضاً بين مصالح يهود الإسلام في مدن التطوير ، ومصالح المستوطنات الأشكنازية . وتصرف الدولة ٧٥٪ من ميزانيتها على الأمن ، الذي يشمل الاستيطان في الأراضي المحتلة وتثبيت الاحتلال — على حساب الخدمات الاجتماعية في إسرائيل . وفي ٨٦/١/١٧ ؛ أعلنت جريدة هآرتس أن رؤساء بلديات مدن التطوير بدأوا الاعتصام في مكتب رئيس الحكومة ؛ بغية التشديد على مطالبهم .

وفي تاريخ ٨٦/٣/٧ ؛ نشرت جريدة هآرتس الليبرالية المستقلة لائحة الحقائق التي تبرهن على تفضيل المستوطنات الأشكنازية ؛ بالنسبة لمدن التطوير ، وتستند هذه الحقائق إلى الإحصاءات الحكومية الرسمية . وتنقسم هذه اللائحة إلى أربعة جداول :

الجدول الأول يعتني بتشجيع الصناعة والتجارة . وحسب سياسة الأفضلية الحكومية قسمت الحكومة مدن التطوير إلى ثلاث درجات : +A و A و B ؛ ولكنها قسمت المستوطنات في الأرض المحتلة إلى درجتين فقط : +A و A .

لاحظ :

١ — إن مدن التطوير الفقيرة مثل بيت شيمش وقرية ملآخي وغيرها ؛ لم تمنح إلّا الدرجة الثالثة ، في حين مُنحت جميع المستوطنات الغنية ؛ مثل : اريئيل التي تعيش في الفيلات — درجة الأفضلية الأولى أو الثانية .

٢ — مدن التطوير ؛ مثل : ديمونه ، وشدروت ، ونيتيبوت ، وأُفاقيم ، وغيرها — تعاني من

البطالة والجوع ولم تمنح إلّا درجة الأفضلية الثانية ؛ بالمقارنة بمستوطنات الدرجة الأولى أو الثانية . وهذا ينطبق أيضاً على مدن التطوير في الدرجة الأولى بالمقارنة بالمستوطنات من نفس الدرجة .

مدن التطوير (يهود الإسلام) ومناطق التنمية			المستوطنات في الأرض المحتلة (يهود أشكناز)	
الدرجة الأولى	الدرجة الثانية	الدرجة الثالثة	الدرجة الأولى	الدرجة الثانية
قرية شمونه	كرميئيل	يقناعم	معليه أفرايم	باقي المستوطنات
شلومي	صفد	عكا	عُفره	التي أقيمت
معلوت	طبريا	بيت شيمش	قدوميم	والتي ستقام .
حتسور الجليلية	روش بينه	قرية ملآخي	بيت إيل	
بيسان	العفولة	قرية غاد	اريئيل	
قتسرين	غوش سيغب	بئر السبع	سنور	
المطلة	نهاريا	أشقلون	تقوع	
مغدال	مغدال هعيمق		نيفيه تسوف	
يينيئيل	أوفاقيم		شيلو	
بني يهودا	نيتيبوت		قرينه شمرون	
مركز حسبيت	شدروت		إيلون موريه	
يروحام	ديمونه		معليه شمرون	
متسبي رمون	عراد (أشكناز)		دوتان	
إيلات	رمات حوييب		رمونيم	

المصدر : وزارة الصناعة والتجارة .

والجدول الثاني يبرهن على التمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام في إسرائيل في منح الرهون العقارية ؛ بالمقارنة بسكان المستوطنات الأشكنازية في الأراضي المحتلة .

لاحظ :

١ – الرهون العقارية التي تمنح للمستوطنين الأشكناز في الأرض المحتلة أكبر بكثير من الرهون العقارية التي تمنح لسكان مدن التطوير الفقراء .

٢ – نسبة القروض غير المرتبطة بالدولار التي تمنح للأشكناز أكبر مما هي عليه في مدن التطوير السفاردية . وهذا يعني أن التضخم المالي سوف يقلل تدريجيا قروض الأشكناز . وهذه نقطة هامة ؛ سببت إفلاس العائلات الفقيرة التي استلمت قروضاً دولارية لشراء مساكن . وكلما زاد التضخم المالي ، زادت القروض بصورة مطردة حالاً ، على حين أن علاوة الغلاء لم تدفع إلّا بعد شهور ، وبصورة جزئية . وهكذا ؛ تراكمت الديون ، حتى زادت المدفوعات الشهرية على جميع مصروفات العائلة ، وأصبح يهود الإسلام رهائن بأيدي جشع البنوك الخاصة والحكومية ، التي يسيطر عليها المستوطنون الأشكناز .

توزيع قيم الرهون حسب ارتباطها	الرهون العقارية فى مدن التطور للعائلات التى لها			الرهون العقارية فى المستوطنات فى الأراضى المحتلة للعائلات التى لها		
	لاأكثر من ٣ أولاد	٤ – ٥ أولاد	٦ أولاد فأكثر	لاأكثر من ٣ أولاد	٤ – ٥ أولاد	٦ أولاد فأكثر
شيقل جديد :	٢٦,٠٠	٢٣,٧٠٠	٤٠,٤٠٠	٣٨,٩٠٠	٤٣,٢٠٠	٤٨,٣٠٠
غير مرتبط بالدولار	٪١٥	٪٢٧	٪٣٤	٪١٥	٪٣١	٪٣٨
مرتبطة بالدولار	٪٨٥	٪٧٣	٪٦٦	٪٨٥	٪٦٩	٪٦٢

= ٢,٥ شيقل جديد تعادل جنيه إسترليني .
المصدر : وزارة الإسكان .

أما الجدول الثالث فيشرح سبب غلاء المساكن في مدن التطوير بالمقارنة بالمساكن في المستوطنات في الأرض المحتلة ؛ إذ إن ثمن الأرض لبناء المساكن في الضفة يعادل ٥٪ فقط من الثمن الرسمي ؛ بغية تشجيع الاستيطان ، أما ثمن الأرض في مدن التطوير في إسرائيل فيتراوح بين ١٦ و ٦٠٪ من الثمن الرسمي [إدارة أراضي إسرائيل – انظر الجدول العبري] .

ويبين الجدول الرابع أن سكان المستوطنات في الضفة يتمتعون بامتياز آخر ، وهو تنزيل ضريبة الدخل بنسبة ٧٪ ، في حين أن أفقر سكان إسرائيل في مدن التطوير لايتمتعون إلّا بتنزيل يتراوح بين ٣ – ١٠٪ [دائرة ضريبة الدخل] .

إذن تتلخص الامتيازات التي تمنح للمستوطنين الأشكناز في الأراضي المحتلة فيما يلي :

١ – توظيف الأموال لتشجيع التجارة والصناعة .
٢ – قروض طويلة المدى لشراء مساكن .
٣ – قيمة رخيصة لشراء أراضٍ للبناء .

٤ – تنزيل بضريبة الدخل .
٥ – مدارس ذات مستوى عال وصفوف صغيرة .

بالإضافة إلى ذلك ، تمنحهم الحكومة حق حمل السلاح والعربدة ، وضرب المواطنين الفلسطينيين ، واقتحام المدارس العربية وضرب المدرسين أمام تلاميذهم ، واقتحام المنازل وضرب الآباء أمام أبنائهم ، وتهديم السيارات وشبابيك السكان العرب ... إلخ .

ولم يبدأ هذا التمييز لصالح المستوطنين الأشكناز في ١٩٦٧ ، بل منذ بداية الاستيطان الصهيوني – كما ذكرنا في الفصل الثاني والفصل الثالث . وألخص – في الصفحات التالية – معالم التمييز ضد مدن التطوير بالمقارنة بالمستوطنات الأشكنازية داخل إسرائيل ، أي مناطق ١٩٤٨ :

في حين أن المستوطنات الأشكنازية (الكيبوتسات والموشافيم) مبنية على أساس اقتصادي متين من حيث : موقعها الجغرافي ، كمية الأراضي ، نوعية الأراضي ، كمية المياه ، الأموال الموظفة – فإن مدن التطوير لا تملك أراضي ولا معامل ولا أموال موظفة ؛ لا تملك إلّا سلاسل الاستعباد للمؤسسة الصهيونية ، ولأصحاب العمل الرأسماليين أو الكيبوتسات الاشتراكية ، كما أن موقعها الجغرافي بعيد عن المراكز الاقتصادية ؛ أي في صحراء النقب ، أو الحدود ؛ وذلك لأسباب أمنية استيطانية ليس لها أية علاقة بمصالح السكان ، إلى جانب أن الأموال العامة الموظفة لتشغيل السكان تقل بكثير عن الأموال التي وظفت في المستوطنات . والخدمات الصحية والثقافية في مدن التطوير منخفضة جدا بالمقارنة بالكيبوتسات المجاورة .

ونتيجة لهذه التركيبة الاقتصادية ؛ أصبحت مدن التطوير معسكرات للعمل الرخيص : تعمل لصالح الكيبوتسات ورأس المال المنبثق عن رأس المال الأشكنازي في المدن الكبرى . وأدى ذلك إلى تحطيم القاعدة الاشتراكية للكيبوتسات ؛ إذ أصبحت تستغل العمل الرخيص وتكثر أرباحها الفاحشة ، إلى أن أخذت تضارب في البورصة ، كباقي الرأسماليين . وقالت جريدة هآرتس (٨٣/٣/١٨) إن الحركة الكيبوتسية الموحدة (حزب العمل) تعتزم توظيف ٥٠ مليون دولار في الخارج . أما أموالها الحالية فموظفة كما يلي : ٧٢ مليون دولار في الأسواق المالية ، ٨ مليون دولار في العقارات ، ٦٠ مليون دولار في أسهم الشركات والبنوك . وشرعت المنظمة الكيبوتسية في شراء ٢٥٪ من أسهم شركة « كيمد » في الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد كانت نقطة التحول في اقتصاد الكيبوتسات هي تأسيس المشاريع الصناعية فيها ؛ حيث بلغ دخل الكيبوتسات منها ٣٩٪ من مجموع دخلها العام . وبلغت نسبة الأعضاء العاملين في الصناعة والخدمات ٥٠٪ [هآرتس ، ٨٢/١/٨] .

وتقول جريدة هآرتس في عددها الصادر يوم ٨٦/١/١٠ – إن طلاب الصف الثاني عشر (سن ١٧ – ١٨ عاماً) في كيبوتس « يفتاح » ؛ نشروا رسالة مكشوفة إلى أعضاء الكيبوتس ، طالبوا فيها بالعودة إلى مبدأ المساواة ، واحتجوا على أن بعض الأعضاء أخذوا يشترون السيارات الخصوصية والفيديو والشقق السكنية في المدن ، وفتحوا الحسابات الخصوصية في البنوك ... إلخ ؛باعتبار أن مثل هذه الإجراءات تشكل خرقاً لمبدأ الاشتراكية والمساواة بين الأعضاء والسكان .

ومن الجدير بالذكر ؛ أن جميع الكيبوتسات كانت – حتى ١٩٤٨ – ترفض تشغيل العمال الأجراء الذين لم ينتموا إليها : يهوداً أو عرباً ؛ لأن هذه المنظمات كانت تعارض الحصول على أرباح تنتج عن عمل الغير ؛ ذلك أن الأرباح تعني استغلالاً رأسماليا ، وهذا يناقض أهم الأسس الأيديولوجية لحركة الكيبوتسات . وفي زمن الانتداب ؛ كانت الكيبوتسات تمنع أعضاءها من الحصول على مذاييع خصوصية وغلّايات كهربائية ... إلخ ؛ لأن مثل هذه الحاجات من شأنها أن تشجع الغرائز الرأسمالية ، والجشع ، والعيش بصورة منفردة عن المجتمع الكيبوتسي . وقد عشت (الكاتب) في ستة كيبوتسات مختلفة – آنذاك – ولم أشاهد تعاطي الكحول أو المخدرات قَطٌّ ، في أيّ كيبوتس . وبعد ١٩٤٨ – عندما استلمت الكيبوتسات المنح المالية لفتح المعامل ؛ بغية تشغيل يهود الإسلام ؛ لأسباب قومية أيدها دافيد بن غوريون نفسه – بدأت الأرباح تتراكم ، واشتد الجشع الرأسمالي ، وانهارت الأسس الاشتراكية ، وأصبحت الكيبوتسات مؤسسات رأسمالية بالنسبة للعمال الأجراء ، وارتفع مستوى المعيشة ، وألغيت مبادىء التقشف الاشتراكية والمساواة . والأعضاء الذين اشتغلوا مع عمالهم ، استولوا على الأعمال « النظيفة » : الجيدة والتقنية والإدارية والتنظيمية ... إلخ . وانتشر تعاطي الكحول والمخدرات . وكثيراً ما كان الاستغلال ضد يهود الإسلام أسوأ من الاستغلال في المعامل الرأسمالية العادية ؛ فأخذ يهود الإسلام – الذين يعملون لصالح الكيبوتسات – يرون أن أعداءهم هم أعضاء الكيبوتسات وليس رأسمالية كتلة الليكود ، بزعامة مناحيم بيغن . وكانت هذه الظاهرة من أهم الأسباب التي دعت يهود الإسلام إلى التصويت لجانب الليكود وبيغن منذ ١٩٧٧ .

ويشكو العمال الذين يشتغلون لصالح الكيبوتسات من أن الأجور وشروط العمل في الكيبوتسات ؛ أسوأ ممّا هي عليه في المعامل الرأسمالية . ويستطيع الكيبوتس أن يفصل الأجراء عندما يبلغون سن الأربعين أو الخمسين . ويمنع الكيبوتس هؤلاء الأجراء من الدخول إلى مطاعم المستوطنة ، وبرْكة السباحة والمكتبات ... إلخ . ويعامل أعضاء الكيبوتس يهود الإسلام العاملين هناك – بصورة فظة ، ويعرِّضونهم للإهانة بسبب خلفيتهم العربية ولونهم الأسمر العربي . ويقوم يهود الإسلام بالأعمال الدنيا ، بدون أية إمكانية للترقي والتقدم المهني . وقد حاول عضو الكيبوتس بيت ألْفَه : غادي إيلات ، أن يحسن العلاقات بين الكيبوتس والأجراء إلّا أنه فشل واستقال من منصبه . ثم عُيّن « دان ساعر » لهذه الوظيفة ، إلّا أنه فشل أيضاً ، وصرّح لجريدة هآرتس (٨٢/١٠/٢٢) بأن قيادة « حزب العمل » والكيبوتسات لم تساعد مشروع التفاهم هذا .

وصرح إسحق نابون ، يهودي عربي فلسطيني ساير المنظمة الصهيونية ، بقوله : « ولكن عندما لايسمح لعامل من مغدال هعيمق (إحدى مدن التطوير) يعمل في معمل لصنع الحنفيات في كيبوتس ألوفيم ؛ عندما لايُسمح له باستعمال بركة السباحة ، وهي بحجم أولمبي – ينعكس إهمال الأماني الطلائعية الأساسية بصورة خاصة » [نيو أوتلوك ، ص ٣٦ ، تموز – آب : العدد الخاص باليهود العرب] . وبسبب سياسة فصل العمال عندما يبلغ عمرهم الأربعين أو الخمسين ؛ تفاقمت البطالة هناك . يقول تقرير مدير دائرة التشغيل إنه خلال عام ١٩٨٤ ؛ بلغت نسبة العاطلين عن العمل في مدن التطوير ٤٠٪ من مجموع العاطلين في البلاد ، بالرغم من أن نسبة مجموع سكان مدن التطوير ١٢٪ من السكان في البلد ؛ أي إن نسبة البطالة في مدن التطوير أكبر بنحو ٣,٣ مرات مما هي عليه في باقي أجزاء البلاد . وفي ١٩٨٤ ؛ بلغت نسبة العاطلين في البلاد ٧٪ من العاملين ، ولكن في مدن التطوير بلغت ٣٠٪ [زوهديريخ ، ٨٤/١١/١٤ و ٨٤/١٠/٢٤] .

وفي رسالته إلى جريدة هآرتس – ٨١/٩/٢٥ ؛ يشير البروفسور عزرا زوهر إلى أن يهود الإسلام الذين تربوا في مدن التطوير وأحياء الفقر ، لم يُمنحوا أية فرصة للتعليم . وكان النزوح من مدن التطوير ممنوعاً . ومن ترك محله فقد حقه في مشاريع الإسكان . أما بشأن المثقفين ؛ فيؤكد البروفسور أنهم لم يحصلوا في إسرائيل على المرتبة الاجتماعية التي كانوا قد حازوا عليها ؛ في البلدان العربية – سابقاً . وبخصوص التقاليد الاجتماعية لدى يهود الإسلام ؛ يقول إن الدولة حطمت الأسرة الشرقية ، بدون أن تنشىء بديلاً ، وإن اليهود العرب لم يستطيعوا الاندماج بالمجتمع الأشكنازي الاستيطاني ؛ بسبب المحسوبية والبيروقراطية .

وأخيراً ، قارَنَ الصحافي زئيب يفت بين سياسة الحكومة في مدن التطوير وسياستها في الأراضي المحتلة ، ولخص النقاط التالية :

١ – تعتبر الحكومة المستوطنات الأشكنازية في الأراضي المحتلة – « مناطق تنمية » ؛ من أجل تبرير ضخ الأموال إليها .

٢ – أراضي البناء في مدن التطوير أغلى من أراضي البناء في الأراضي المحتلة بنسبة ١٠ أضعاف : يدفع المستوطن الأشكنازي ٥٪ فقط من سعر الأرض ، أو يستلم الأرض مجاناً ؛ لبناء بيته الجديد . ويبلغ ثمن نصف الدونم في الأرض المحتلة ، ٣٠٠٠ شيقل فقط ، في حين أن سعره يتراوح بين ١٢٠ ألف و ٢٤٦ ألف شيقل في مدن التطوير في إسرائيل (مناطق ١٩٤٨) .

٣ – تشيّد الحكومة المعامل الجديدة في المستوطنات في الأراضي المحتلة ، على حين يعاني سكان مدن التطوير من البطالة ؛ بسبب قلة الأموال الموظفة في الاقتصاد [هآرتس ، ٨٢/٣/١٢] .

وبعد ، فأودّ أن أصف أحوال يهود الإسلام في بعض مدن « التطوير » الرئيسية ؛ بصورة منفردة .

١ – قرية شمونه :

يقدر الصحافي عموس ايلون عدد سكان هذه البلدة (تقع على الحدود اللبنانية) بنحو ١٤,٠٠٠ نسمة ، ثم يقارن أوضاعها بأوضاع الكيبوتسات المجاورة ؛ مثل : كيبوتس دان ، وكيبوتس دفنه ، وكيبوتس كفار غلعادي ، وكيبوتس منارة ... إلخ . يقول « عموس » إن الشباب ينزحون من البلدة بسبب البطالة وقلة الأعمال التقنية ، وإن ٥٠٪ من الأطفال يحتاجون إلى تعليم خاص ؛ أي إنهم متخلفون بسبب الحالة التعليمية والفقر . والناس يعيشون في بيوت متشابهة كالصناديق (قارن بمدن الأفارقة في جنوب إفريقيا) . والكيبوتسات المجاورة تعتبر مستوطنات حدود ؛ لذلك تستلم تعويضات من الحكومة عن الخسائر المادية الناتجة عن العمليات الفدائية ، أما قرية شمونه فلا تستلم تعويضات . ولنفس السبب ؛ لاتدفع الكيبوتسات الأشكنازية ضرائب حكومية ، أما قرية شمونه فتدفع الضرائب كاملة . ويسكن الأطباء في الكيبوتسات ولايسكنون في قرية شمونه . وقد بدأت قرية شمونه تاريخها كمعسكر انتقالي ، وتحولت في الوقت الحاضر إلى ضاحية فقيرة تحيط بها المستوطنات الأشكنازية الغنية ، التي تتزود منها بالقوة العاملة الرخيصة .

ثمت يقارن الكاتب هذه البلدة بقرية إربع الأشكنازية – قرب مدينة الخليل ، ويقول إن في قرية إربع يوجد تلفون في كل بيت ، أما سكان قرية شمونه فعليهم أن ينتظروا ٤ سنوات من أجل استلام تلفون . ويزيد ثمن الشقة السكنية في قرية شمونه بمقدار ٢٠,٠٠٠ ليرة على ثمن الشقة في قرية إربع وفي قرية شمونه ؛ يوجد ٤٠٠ شقة فارغة تنتظر المستوطنين الجدد ، في حين أن ٩٠ عائلة شابة بدون مأوى . أما الأسعار فهي أغلى من الأسعار في المدن الكبرى بنسبة تتراوح بين ٣ – ١٠٠ أضعاف ، ومواد البناء بنسبة ٢٥٪ . ثم يقول إن نفس الأوضاع سائدة في مدن التطوير الأخرى ، مثل : بيسان ، وكرميئيل ، ومعلوت [هآرتس ، ٧٩/٢/٢٣] .

ولخص الصحافي داؤد أورين مصاعب البلدة بما يلي :

١ – عدم وجود عيادة صحية أو مستشفى .

٢ – الأسعار غالية .

٣ – قلة الملاجىء – وهي تبنى على حساب السكان – اللازمة لحماية النساء والأطفال من صواريخ الفدائيين .

٤ – قوات الأمن تنذر الكيبوتسات قبيل هجمات الفدائيين ولاتنذر يهود الإسلام : سكان قرية شمونه .

٥ – قلة المؤن الغذائية والصحية والحاجات الحيوية في الدكاكين .

٦ – منح امتيازات للقادمين الأشكناز الجدد .

٧ – سوء المواصلات بين البلدة وباقي أنحاء البلاد .

٨ –انهيار معنويات السكان الناتجة عن التمييز . وانهيار أعصابهم بسبب صواريخ الفدائيين . ويقترح أطباء علم النفس تغيير سكان البلدة واستجلاب آخرين بدلاً منهم [هآرتس ، ٧٩/٦/٢٩] .

ومما يزيد الطين بلة أن المؤسسة الحاكمة ترسل متطوعين أشكنازاً إلى مدن التطوير ، بهدف « مساعدة سكانها ، وبث الروح الاستيطانية » . وينتقد مدير مدرسة البلدة : تسفي تسميرت – هؤلاء الشباب وغطرستهم العنصرية وجهلهم . ويصف داؤد أورين الأحوال السائدة في مدينة التطوير « يروحام » – في النقب ، ثم يتساءل : لماذا لاتصرف الحكومة أموالها على مساعدة هذه « المدن » بدلاً من صرفها على هؤلاء المتطوعين المتغطرسين ؟ [هآرتس ، ٨٠/٥/١٦] .

وفي الحملة الانتخابية لعام ١٩٨١ ؛ نشر مؤيدو كتلة الليكود اليمينية رسماً هزليًّا تحت عنوان « المافيا الكيبوتسية » ، وفيه يظهر مسخ هائل كُتب على صدره : « الحركة الكيبوتسية ومعراخ » ، وعلى ساعديه : « تحريض » و « تخويف » ومطرقة « التهديدات » ، والمسخ يقود جماعة كبيرة من الحيوانات الضارية ؛ تمثل الكيبوتسات المختلفة التي تحيط بالبلدة . ويحمل الرسم عنواناً ثانويا يقول : « اسكتوا : إنهم قادمون » . وفي مقدمة الرسم مباني قرية شمونه . ويعني الرسم أن الكيبوتسات تستغل يهود الإسلام في البلدة كقوة عمل رخيصة ، مستخدمة أساليب الإرهاب والتهديد .

وكتب يسرائيل شاحق ؛ رئيس لجنة حقوق الإنسان – يقول : إن سبب الكراهية بين الجانبين هو الاستغلال والهوة بين مستوى معيشة الشريحتين . وأضاف أن الكيبوتسات تهدد بمقاطعة قرية شمونه اقتصاديًّا ؛ من أجل فرض عقاب جماعي عليها ؛ بسبب مقاومتها . وبالإضافة إلى التحكم الاقتصادي ؛ فإن أعضاء الكيبوتسات يتحكمون بالبلدة سياسيا ، وأصبحوا رؤساء بلدية ومديرين ؛ يأتون إلى البلدة بسياراتهم الخصوصية ، ثم يجلسون في مكاتبهم المزودة بأجهزة تكييف الهواء [زو هديريخ ، ٨١/٧/٢٢ ، وهآرتس ، ٨١/٧/٥] .

واستناداً إلى جريدة هآرتس – ٨١/٧/٢٤ ؛ تشير إلى أن معظم سكان البلدة قد هربوا بسبب الصواريخ الفدائية ، ولم يبق إلّا ٣٠٠٠ – ٤٠٠٠ نسمة من ضمن ١٧,٠٠٠ نسمة . لأن السلطات لاتزود البلدة بالملاجيء المريحة ، مثلما فعلت في الكيبوتسات . أما الملاجيء القليلة في البلدة فإن حالتها يُرثى لها ، وهي مملوءة بالأقذار والمياه الوسخة والروائح الكريهة . وهذه الملاجيء ليست مزودة بمياه الشرب ولا بالكهرباء ولا بتلفون .

واعترف شمعون بيرس ؛ زعيم حزب العمل بأن لكل شخص في البلدة توجد مساحة ٠,٤ متر مربع في الملاجيء ؛ لا أكثر [هآرتس ، ٨١/٧/٣١] . وفي ٨١/٧/٢٩ ؛ أعلنت جريدة زو هديريخ أن ٩٥٪ من السكان قد هربوا من المدينة ؛ بسبب سقوط الصواريخ الفدائية ، ومن ضمنهم مستخدمو البلدية ؛ فقررت السلطة المحلية فصلهم عن وظائفهم ، وهو الأمر الذي أدى إلى

انتشار التذمر بين الأهالي . وهذه الأمور لاتحدث للكيبوتسات الأشكنازية ؛ لأن الحكومة تزودها بالملاجىء المريحة المزودة بأحدث الأعتدة .

وصرح العامل رافي بيرتس ؛ الذي يعمل في محاجر كيبوتس كفار غلعادي المجاور – بأن أعضاء الكيبوتس لايشتغلون في المحاجر ؛ لصعوبة العمل ، وبأن الكيبوتس يعارض إقامة مدرسة مشتركة لأبنائه ولأبناء قرية شمونه . ثم أضاف أن أعضاء الكيبوتس : « يركبوننا »* (يعني يستغلون أهالي البلدة) ، وأنهم « يأتون إلينا كأصدقاء في أيام الانتخابات فقط » ، وأنهم لايخصصون غرفة للأكل للعمال ، وقد أوقفوا لبس الملابس الخاكيَّة (يعني ألغوا نظام التقشف الاشتراكي) ، « ويجمعون الثروات على حسابنا ، ويشترون التلفزيون الملون ، ولا يأتون إلى البلدة إلّا بسياراتهم الخصوصية » [هآرتس ، ٨١/٩/١٨] .

وقد ندّد أمنون شموش بغطرسة الكيبوتسات . وقارن وضع اليهود المغاربة في إسرائيل بوضع أبناء طائفتهم في فرنسا ، وشدد على أن فرنسا تحترم المهاجرين من اليهود المغاربة ، وهم يعيشون هناك مرفوعي الرأس [هآرتس ، ٨١/٩/١٨] . (أمنون شموش هو أخو إسحق شموش ؛ اليهودي السوري الذي عمل أستاذاً للأدب العربي الحديث في الجامعة العبرية . وعندما كنت أتتلمذ على يديه في الجامعة – شاهدت (الكاتب) المضايقات التي عانى منها ، إلى أن أصابته نوبة قلبية توفي على إثرها . وبالرغم من اتصالاته الوثيقة بالمؤسسة الحاكمة ؛ فقد كان الدكتور إسحق شموش يتعاطف مع نكبة اللاجئين الفلسطينيين ، ويتوقع مسيرتهم الجماهيرية عبر الحدود ؛ متحدّين القوات العسكرية الإسرائيلية . وكان يعارض التمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام بشدة وبغضب) .

وكتب الصحافي يورام همزراحي في تقرير له [هآرتس ، ٨١/١٢/٢٥] أن فقراء قرية شمونه لايأكلون إلّا الخبز والمربّى والزبد الصناعي . وقال له أحد العجائز : « قل لهم إننا نعاني من البرد وليس لدينا فلوس لشراء النفط » . وقال له البقّال : « إن الناس لايشترون إلّا الخبز والحليب والزبد الصناعي ، والاستمرار في عملي بهذا الدكان لايفيدني » . واتضح للصحافي أن السكان هجروا البلدة ، وقسم منهم يهاجر إلى الخارج ، والبطالة تنتشر . وقال له مدير مصنع « راميم » : شموئيل احنا – إنه يحتاج على الأقل إلى توظيف ٧٠ مليون شيقل ، أما المبلغ الذي وظفته الحكومة فهو ١٣ مليون شيقل فقط . ويضيف مراسل هآرتس أن الكساد يشمل جميع قرى اليهود العرب في الجليل . وقد قلّصت قرية « مرغاليوت » عدد أشجارالخوخ ؛ خوفاً من ضريبة الدخل . وقرية « يردينه » تهدد بالإضراب العام وإغلاق المدارس . وأن الشرطة والمحاكم القضائية منهمكة بقضايا الديون التي لم تسدد [نفس المصدر] . والأجرة الشهرية لعامل في قرية شمونه هي ١١ ألف ليرة ، في حين أن أجرة صبي يعمل في جراج في تل أبيب تبلغ ١٨ ألف ليرة . وقد قام سكان البلدة بتجفيف مياه بحيرة الحولة وإصلاح ٤٠,٠٠٠ دونم ، إلّا أن الكيبوتسات الأشكنازية اختطفت الأراضي ،

* الكلمة المستعملة ذات معنى جنسي .

وتستخدم نفس السكان للعمل في إنتاج القطن والمحاصيل الصناعية . أما أعضاء الكيبوتسات فهم مسيطرون على جميع نواحي الحياة في البلدة ؛ بصفتهم أصحاب العمل ، ومديري العمل ، ورؤساء النقابات العمالية ، ورؤساء البلدية ، وموظفي الوكالة اليهودية ، وكوادر الحزب (حزب العمل) ، وموظفي الحكومة ... إلخ [انظر جريدة هآرتس في ٨١/٤/٣ و٨١/٧/٥ و ٨١/٧/٢٤ و ٧٩/٢/٢٣ و ٨١/٩/١٨ و ٨١/٩/٢٨ و ٢٩/ ٨٢/١٠] .

واستنكر الأديب دان شبيط ؛ عضو كيبوتس « كفار سولد » في الجليل [هآرتس ، ٨٣/٥/٢٠] ، استنكر تحكّم الكيبوتسات في اليهود العرب : سكان مدن التطوير . وعرَّف موقف الكيبوتسات تجاه اليهود العرب بأنه « أبوي » ، « سلطوي » ، « يؤمن بحكم الصفوة » . ثم يتساءل الكاتب : « هل من الممكن أن أرضى بأن يأتي إليَّ شخص من مُجتمع آخر ، ويتدخّل في شؤون حياتي ، ويقول لي : أنا أعرف ماهو جيد بالنسبة لك ، وأنا سوف أساعدك على التقدم » . ثم يضيف الأديب أنه يفهم تذمر يهود الإسلام ؛ لأن مامن أحد يريد أن يعيش مدموغاً بخاتم رسمي يقول : « دوني ، يعرف أقل من الآخرين ، يفهم أقل من الآخرين ، أقل مهارة من الآخرين » . ثم عبّر الكاتب عن تأييده لمناحم بيغن ، الذي أنّب رجال الكيبوتسات وسماهم « متغطرسين وأصحاب الملايين » . وأخيراً ؛ استنكر شبيط جشع الكيبوتسات وأنانيتها [نفس المصدر] .

ونقل الأستاذ شلومو سفيرسكي — في كتابه : « ليسوا متخلفين بل أُرغموا على التخلف » — حواراً مع سكان قرية شمونه ، ألخصه بمايلي :

م : زوج أختي قدم إلى إسرائيل عام ١٩٤٨ ، ولكنه هاجر منها بسبب التمييز ... ابنتي تطلب مني تغيير اسم العائلة المغربي ؛ لأنه يَحُول دون تقدمها ، وتريد أن نسمي أنفسنا باسم روسي [معظم المستوطنين الأشكناز من روسيا وبلدان أوروبا الشرقية] ، نحن لانفرق بين الأُشكنازي والسفاردي ، وهناك شخص واحد أشكنازي في البلدة ، ونحن انتخبناه .

د : لماذا لاتمنح الحكومة مشروع صناعة الجليل الأعلى لسكان قرية شمونه ، بدلاً من الكيبوتسات التي تملك أراضي واسعة ومشاريع صناعية مختلفة أخرى ؟

م : إنهم يوقفون تشغيلنا متعللين بالاشتراكية ثم يسلمون العمل إلى مقاولين ، وهؤلاء يأتون بعمال أرخص .

ب : اشتغلت لحساب الكيبوتسات ١٨ سنة ثم فُصلت ؛ لأنني أعارض نهب أراضي الحولة . جميع الأموال الموظفة في البلدة تذهب إلى جيوب الكيبوتسات وليس لسكان البلدة .

غ : سعر القميص هنا ٥٠٠ ليرة وفي تل أبيب ١٥٠ ليرة ، وسعر البنطلون هنا ١٢٠٠ ليرة وفي حيفا ٣٠٠ ليرة فقط ، وعليّ أن أسافر غداً إلى تل أبيب لشراء لوازم العائلة ،

وسوف أخسر يوم عمل ومصاريف السفر . كان عندنا رئيس لجنة اشكنازي ، وأقاموا حفلة له وأعطوه هدايا : آلة حاسبة ، وتعويضات ، ووظيفة مدير للأشغال في أحد فروع الشركة ، وأعطوه سيارة ، وضاعفوا مرتبه الحالي ، ليش ؟ لأنهم اكتشفوا أنه سارق ، وأرادوا إخفاء الفضيحة . ونحن سرنا وراءه كالقطيع ، ووثقنا به ، والآن عينوا أشكنازيا جديداً ، لايعرف شيئاً عن المشروع . لماذا لايعينون أحداً منا ... شخص عمل ١٨ سنة هنا ؟ ... هذا تمييز . مرة ؛ رفعوا واحداً منا فأخذ يساعدنا ، قال له المدير : هل أنت معي أو معهم ؟

ش : بما أن الكيبوتسات تدعي الاشتراكية وعدم استغلال الغير ؛ فقد قررت عدم تشغيل العمال في كل مستوطنة على حدة ، وأقامت شركة صناعية تشمل المستوطنات في المنطقة ، وهذه الشركة تشغِّل العمال الأجراء . هذا رياء . ولو بنوا المصانع في مدن التطوير لاختلفت الحالة . مرة ؛ طلبنا سيارة لأحد العاملين منا ؛ قال المدير : الميزانية لا تسمح . ثم عينوا أشكنازيا من أعضاء الكيبوتس ، وأعطوه سيارة رينو ١٢ . اليهود البولونيون والروس متحكمون في الدولة ويعملون من أجل مصالحهم ... «هـذي ديمقراطية ؟ الديمقراطية كلمة جميلة ، ولكن إذا عندك قوة وحكم تقدر تعمل اللي بدّك .

ب : قالوا للذين جاءوا من اليمن والعراق وشمال إفريقيا - إن حضارتهم التي جاءوا بها من البلدان العربية لاتساوي شيئاً ، حطموا النظام العائلي بعد أن كان للأب نفوذ فـي العائلة . وبعدين ؛ ألصقوا تعابير مهينة لليهود العرب ، مثل : « مغربي أبو السكين » ؛ يعني كلنا مجرمين وقتلة .

ش : ولاد الكيبوتسات لهم إمكانيات علمية مختلفة .. لولادنا إمكانية واحدة : عمال .

ب : مقاومة « الفهود السود » برهنت على أن للحكومة سياسة « فرق تسد » .

غ : لماذا لاتجلب الحكومة التعليم العالي والأعمال التقنية إلى البلدة ؟ (لاحظ أن جميع سكان مدن التطوير هم من اليهود العرب) لماذا تمنح الحكومة امتيازات خاصة لكل من ينتقل من المدن الكبرى إلى قرية شمونه ، ولاتمنح أية امتيازات لسكان قرية شمونه أنفسهم ؟ إن هذا التمييز قد يؤدي إلى حرب أهلية . لماذا جميع المنتحرين والمجرمين والعاهرات من أبناء اليهود العرب ؟

د : ما هو جوابك ؟

غ : لأن الحكومة - سواء أكانت « عمالية » أم « ليكودية » - خلقت هـذه الفجـوة الاجتماعية بواسطة التمييز . وفي الوقت الحاضر لايفكر الناس في النزوح من قرية شمونه فقط ، بل من إسرائيل . ثلاثة عمال في معملنا قبضوا التعويضات ونزحوا من البلد . وهون (هنا) يوجد واحد سيأخذ أولاده السبعة ويروح لفرنسا ...

م : لماذا يسألوننا في الجيش من وين جاء أبوك ؟

غ : كل الطباخين وسائقي السيارات وعمال التنظيف بالجيش ؛ كلهم من المغاربة . لماذا ؟ أما بشأن النضال السياسي من أجل المساواة ؛ فليس لي القوة والوقت لذلك . كل يوم أذهب إلى عملي في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، ولا أخلص شغلي حتى الساعة السادسة أو السابعة مساء . المعدل اليومي ١٤ – ١٥ ساعة ، وهذا يشمل الساعات الإضافية . بالرغم من ذلك ؛ الراتب لايكفي إلّا ١٥ يوما في الشهر . وفي باقي أيام الشهر أعيش على القروض . هكذا رتبوا حياتي ؛ عشان مايكون عندي فراغ للعمل السياسي . وإضافة إلى ذلك نحن غير متحدين .

م : عندما يرون أننا نحاول أن نتحد ؛ تبدأ سياسة « فرق تسد » . كنت أسافر مع سكرتير النقابات ، وكان يقول لي : اترك هذا الهراء ، سوف أتحدث مع فلان ومع فلان وأحصل لك على شغل .. تؤمن بالحق ؟ دبر بالك على نفسك ! هكذا كانوا يجذبونني إلى جانبهم . طبعاً ؛ بعض الناس ضعفاء .. مرة ؛ قلصوا عملي ، وطلبت المساعدة من رئيس اللجنة ؛ راح هذا إلى المدير ؛ قال المدير : إذا تترك اللجنة أعطيك شغل مليح . بعدين ؛ ترك اللجنة .. شوف كيف يفرقوننا ! مرة ؛ نظمت لجان في الجليل وحيفا وبيسان وكنت أسافر لهذه الغاية في يوم السبت . فجأة كل شيء انهار ؛ بسبب الرشوة .

غ : بدنا أعمال عنف ومظاهرات مثلما صار في وادي الصليب بحيفا . بدون تحريك العجلة باليد ؛ العجلة لاتدور . لازم نستعمل القوة ضد التمييز الموجه ضدنا ، وهذا لازم يتغير . بدنا واحد منا يوحدنا .

م : من أجل إفشال سياسة « فرق تسد » ؛ لازم نُبعد المدير الذي رشا رئيس اللجنة .

غ : وبدك كان فلوس ووقت وقوة (نفوذ) ، ليس لك قوة . الحكومة لاتسمح لك بإنشاء قوة . السياسة الاقتصادية لاتسمح ، لذلك ؛ أنت لاتقدر أن تحاربهم . وإذا فعلت ذلك يلقون القبض عليك بحجة ما . شوف بيرتس مسكين ! لم يعمل شيئاً إلّا من أجل العمال . لماذا طلبوا منه بطاقة الهوية ؟ كل واحد يعرفه « رفض » عملوا فضيحة . ليش ؟ لأنه هو بيرتس (بيرتس هذا مغربي تحدى الهستدروت ، ونظم إضراباً عاماً في ميناء أشدود ، ثم دُمر) . وعندما قام داؤد بن هروش بتنظيم مظاهرات وادي الصليب بحيفا – حاولوا إرغاءه . وعندما قمنا نحن بإضراب ؛ أرسلوا الشرطة ضدنا . ولكن شرطة قرية شمونه وشرطة صفد رفضت استعمال القوة . بعدين دفعوا بشرطة شفاعمرو ضدنا . جابوا أبناء الأقليات (يعني البوليس الدرزي) .

م : شوف شارلي بطون زعيم الفهود السود . راح دوّر على حزب يساعده فانضم إلى الشيوعيين (يعني الجبهة الديمقراطية مع الشيوعيين) .

م.ن. : لماذا لانتحد ونناضل من أجل البلدة . وأنت يا غ . عضو قوي في اللجنة -- ترأس النضال !

غ : ما عندي قوة . الهستدروت هي فوقي . وإذا الهستدروت لاتساعدني والعمال يتركونني ، فما أنا أساوي لوحدي ؟

ب : أنا فاهم ، عضو لجنة العمال هو إنسان فقط . وعنده مشاكل معيشية وتربية أطفال . فإذا عنده ٥ — ٦ أطفال بدون راتب ، وإمكانياته محدودة ، وإن كانت آراءه شريفة ... كيف يساعد العمال ويعيش كان – إذا دام النضال سنتين ؟ طبعاً ؛ يتحطم شيئاً فشيئاً .

أ : بالرغم من قوة غ . في اللجنة ، لايقدر أن يعتمد على رفاقه ؛ لأنهم قد يتركونه ، إذا دُفعت لهم الفلوس وحُسنت أحوالهم .

غ : يقولون لنا رُحْ من هون ، ارجع إلى المغرب ، عندي عمال عرب لا أحتاج إليك . إنهم لايحترمون الاتفاقيات المهنية . وعندما نذهب إلى الهستدروت يقولون لنا لازم نؤلف لجنة لبحث القضية . أنا اقترحت عليهم ، إننا نقوم بإدارة المشروع بأنفسنا . قالوا إن هذا سوف يؤدي إلى فشل المشروع .

د : هذا يدل على الضعف . الحل هو العمل الدءوب الشاق والنفس الطويل لتحقيق النجاح في النهاية .

أ : من أجل تغيير الأحوال ؛ نحتاج إلى تنظيم في الداخل .

ب : مدن التطوير صوتت (عام ١٩٧٧) إلى جانب الليكود ، واعتقدت أنه سيساعدها ، ولكنه أسوأ من الحزب السابق . والأغنياء صاروا أغنى من قبل .

أ : يارفاق ؛ علينا أن نقبل الحالة كما هي . مافيش حل .

ب : لا ؛ حرام ، حرام ، الويل لنا ..

م : هنا في إسرائيل ، كل واحد يعمل في سبيل نفسه .

أ : إذا لم نتحد ، الحالة تستمر .

غ : منظمتنا ، لايمكن أن تكون محلية .

أ : سوف نحتاج إلى مال .

م : سوف يمنعون عنك المال .

أ : نحن لانملك المال والوقت ؛ لأننا عمال .

ب : نحتاج إلى زعيم مثل زعيم أسود في أميركا ، الذي قُتل .

د : يعني بدك أن يغتالونا (ضحك) ..

غ : نفرض أننا أسسنا منظمة ، ونظمنا مظاهرات واجتماعات ، وبعدين حبسوني بحجة ما ؛ من سوف يدافع عني ؟ هذا ماعملوا ضد زعيم السفارديم بيرتس . حبسوه ثم لم نسمع شيئاً عنه . الآن هو ساكت لأنه أيقن أن السكوت أولى .

د : هل ننظم مظاهرات للدفاع عنه ؟

غ : أنا أيدته ، ولكن مظاهرة ...

د : لا ؛ المشكلة هي أن جميع الناس هنا أيدوه في قلوبهم .

غ : التأييد بالقلب لايحتاج إلى فلوس . ولو أضربنا نصف يوم هنا وفي بيسان وفي معلوت ... إلخ ، تأييداً له – لشكل هذا الإضراب قوة .

م : لو علموا إنك قادر على تنظيم إضراب ، لما حاولوا الإساءة لك .. بالعكس لخافوا منك ، لعلموا أنك تشكل قوة .

غ : سوف يختلقون مادة قانونية ، تزعم أنك ضد قانون الدولة .

د : يصير للإنسان قوة لمَّا يثق بنفسه . الطريق الوحيد هو الثقة بالنفس والتنظيم من أجل النضال . وإذا جاء التنظيم من الخارج فهو لايساوي شيئاً .

غ : مافيش فائدة ، إنهم سوف يحطموننا اقتصاديا ، وسوف يستخدمون الرشوة والإغراء ؛ لتفتيت الجماعة . نحتاج إلى هدف واحد : القوة .. [ص ١٠٤ – ١١٨] .

٢ – شلومي :

أقيمت هذه البلدة عام ١٩٤٩ – في الجليل ؛ من أجل إسكان المهاجرين من تونس والمملكة المغربية واليمن وبلغاريا . ويقول داؤد أورين في تقريره : إذا قارنا التطور الاقتصادي الذي يحصل في المستوطنات الأشكنازية المجاورة بأوضاع البلدة ؛ لاستنتجنا أن التنمية هنا صفر . ولذلك ؛ نزح ٤٠٪ من سكان البلدة عنها بعد ١٩٦١ . وكانت المؤسسة الاستيطانية تهدف إلى إسكان ١٥,٠٠٠ نسمه فيها ، ولكنها لم تستطع أن تسكن أكثر من ٣٠٠٠ نسمة فقط . أما المنازل فهي مهملة ، والكثير من الناس يشتغلون خارج البلدة . ويتقاضى السكان أجوراً متدنية بالنسبة للمدن الكبرى ؛ أي ٩٠ جنيه إسترليني شهريا . وتفاقمت الأوضاع بسبب التقليصات في الخدمات . ويعاني الناس من البطالة ، ومن انعدام التقدم بالنسبة للجيل الجديد والمسرحين من الجيش . ولايوجد في البلدة سينما ، ولاسيارة إسعاف ، ولا ملاجىء صالحة لحماية السكان من الصواريخ ، والملاجىء القليلة مملوءة بالزبالة . ويشكو السكان من التمييز الحكومي في توظيف الأموال في الاقتصاد المحلي ، ويهددون بالقضاء على حكم حزب العمل في المجلس المحلي . واستجلبت السلطات هؤلاء اليهود العرب ؛ ليكونوا الأيدي العاملة الرخيصة لخدمة المستوطنات الأشكنازية المجاورة . وقد اغتنت هذه

المستوطنات من هذا الاستغلال . ولذلك ؛ صوت ٤٧٪ من سكان البلدة إلى جانب كتلة الليكود في انتخابات ١٩٨١ ؛ تحدياً لأصحاب العمل في المستوطنات ، الذين ينتمون إلى حزب العمل . ولم يحصل حزب العمل إلّا على ٢٧٪ من الأصوات . أما في انتخابات ١٩٧٧ فقد صوتت الأغلبية إلى جانب حزب العمل ؛ ولذلك رفضت حكومة الليكود إدماج البلدة في مشروع إعانة ضواحي الفقر . ويشدد التقرير على أن الحكومة تصرف الأموال على الاستيطان الأشكنازي في الضفة وقطاع غزة ؛ بدلاً من مساعدة « شلومي » . ولذلك ؛ بادرت جماعة من النساء بمشروع « ساعد نفسك » . ثم بدأت منظمة « عوديد » السفاردية (انظر الفصل العاشر) في مشروع لمساعدة البلدة . وقد أفشلت الحكومة كلا المشروعين ؛ لأنها تهدف إلى إبقاء البلدة تحت تحكمها [هآرتس ، ٨١/٩/٤] .

٣ – قرية يام :

بلغت ديون هذه البلدة عام ١٩٨٦ – ٦٠٠,٠٠٠ شيقل جديد . وصرح رئيس البلدية بأن ٩٠٪ من هذه الديون عبارة عن الفوائد التي تدفع للبنوك ، وبأن تقليص الخدمات لم يحل المشكلة . وفي الماضي كانت البلدية تدفع الرواتب في الرابع من كل شهر ؛ ثم في التاسع من كل شهر ؛ فأرغم الموظفون على السحب على المكشوف ، ودفعت البلدية الفائدة . وفي الوقت الحاضر ترفض البنوك تسليف موظفي البلدية ؛ بسبب عجز البلدية عن دفع الفوائد . وفي ٨٦/١/١٣ ؛ أضرب الموظفون ، ونظموا مظاهرة صاخبة وسدّوا الطريق الرئيسي ، وأرسلوا بعثة إلى القدس ، تظاهرت أمام مباني الحكومة ، وتقابلت مع موظفي وزارة الداخلية ومع وزير الداخلية ، وسمعت الوعود المعتادة . ويبلغ عدد سكان البلدة ٣٦٠٠ نسمة [زوهديريخ ، ٨٦/١/١٥ و ٨٦/١/٢٢] .

٤ – يروحام :

تأسست هذه البلدة عام ١٩٥١ ؛ وهي تقع إلى الجنوب من مدينة بئر السبع . واستناداً إلى البحث العلمي الذي نشرته جامعة بن غوريون في بئر السبع – عام ١٩٨٠ ؛ تُعدّ يروحام من أفقر مدن « التطوير » ، كما أن ٣٠٪ من سكانها يتركونها كل عام ؛ من ضمنهم ٨٠٪ من الجنود المسرحين . والبلدة مملوءة بالأقذار ، بيوتها بشعة . والصناعة الرأسمالية تستخدم سكانها كقوة عمل رخيصة ؛ ولذلك فإن مستوى المعيشة منخفض . وبسبب ظروف التعليم الصعبة ؛ يرفض مدرسون كثيرون العمل في مدرستها ؛ لذلك تستخدم وزارة المعارف المدرسين الذين لايملكون المؤهلات التدريسية ، ومن ضمنهم جنود [زوهديريخ ، ٨٠/١٠/١٥] . وتقول جريدة هآرتس (٨٠/١١/٢٨) إن ألفاً من السكان يرحلون من البلدة كل عام .

وتقول التقارير التي نشرتها الصحافة الإسرائيلية – في نهاية ١٩٨٤ – إن عدد سكان البلدة قد بلغ ما بين ٦٥٠٠ و ٧٠٠٠ نسمة ؛ منهم ٧٠٠ عاطل . ولذلك اشتدت المظاهرات وأعمال العنف ضد السلطات الصهيونية ؛ فأحرقت بناية البلدية ، وهدد اليهود العرب بإرجاع بطاقات الخدمة

العسكرية الاحتياطية وبطاقات الهوية إلى الحكومة . وكانت أسباب الانتفاضة كما يلي :

١ – قلة المُؤَن الغذائية في الدكاكين .
٢ – قلة المدرسين في المدارس .
٣ – عدم وجود طبيب محلي .
٤ – فصل مدير المدرسة المحلي .
٥ – البطالة والفصل عن العمل .
٦ – الفقر المدقع : ٥٠٪ من السكان يعتمدون على المساعدات الاجتماعية ؛ من ضمنهم ٢٥٪ يستلمون هذه المساعدات بصورة دائمة .

ولايوجد في البلدة مخبز ولا محل تجاري ولا جراج ، ويرفض المدرسون والأطباء السكن فيها . ويشكل المغاربة ٥٠٪ من السكان ، والباقي إيرانيون وهنود وبعض الرومانيين – وأبناؤهم المولودون في البلاد . والقاعدة الاقتصادية للبلدة ضعيفة ، وهي بعيدة عن الطريق الرئيسي والمراكز الصناعية والزراعية . وقد انتخب السكان لجنة طوارىء للنضال من أجل حقوقهم ، وانضم إلى هذه اللجنة النائب شارلي بطون ؛ زعيم الفهود السود [هآرتس ، ٨٤/١٢/٢٨] .

وأرادت الحكومة إسكان ٦٠ عائلة حبشية في هذه البلدة ، إلّا أن باروخ المقيّس ؛ رئيس المجلس المحلي – رفض قبولهم بسبب استفحال البطالة ؛ وقد طالت ثلثي العاملين . وصرّح المقيّس بأنه يجب على الحكومة إسكان الأحباش في الكيبوتسات الأشكنازية ؛ حيث لاتوجد أية بطالة [هآرتس ، ٨٤/١٢/٢٨] .

وانضم موظفو المجلس المحلي إلى الانتفاضات الشعبية ضد السلطات ؛ احتجاجاً على قلة العمل والمماطلة في دفع الرواتب [زوهديريخ ، ٨٦/١/١٥] . ويقول نفس المصدر إن نسبة البطالة قد بلغت ٣٠٪ من العاملين . وقد حاورت مريم جليلي ؛ مراسلة « زوهديريخ » بعض السكان ؛ بهذا الخصوص ، وهذا ملخص التقرير الذي نشرته لها الجريدة في ٨٤/١٢/٢٦ :

راحيل عَمّار : مطلقة وعليها أن تعول ٤ أطفال . والدها مشلول ويعاني من مرض القلب . عاطلة عن العمل — وكذلك ولداها — بالرغم من أنها تحمل شهادات تدل على مهارتها ومؤهلاتها وخبرتها المهنية . وبدأت بطالتها منذ عامين ولم تستلم الإعانة المالية للبطالة إلّا لمدة نصف السنة . قالت بألم : « أشعر بأنني إنسان ميّت . يبدو أننا صالحون للخدمة العسكرية فقط ... » .

مئير شمعوني : ٢٥ عاماً ، عمل كشرطي ، وعاطل منذ سنة ونصف السنة . زوجته عاطلة أيضا . عُيّن كمفتش في البلدية ثم فُصل . يتساءل شمعوني : « لماذا يُرسلون المواطنين إلى هذه البلدة في حين لايوجد أي عمل لهم فيها ؟ » .

شاب : قال إن المؤسسة الحاكمة أقامت مدن التطوير في النقب لأسباب استراتيجية ضد مصر . وبعد عقد الصلح معها أخذت الحكومة توجه الأموال نحو بناء المستعمرات في الضفة الغربية المحتلة . وفي البلدة ١٠ شبان يدرسون في الجامعة ، ولكن لامستقبل لهم في البلدة .

ص . بيرتس : أب لأربعة أطفال ، وزوجته عاجزة . يقول إنه بالرغم من وجود عاملين مهرة في البلدة فإن ٧٠٪ من العاملين في المشاريع الاقتصادية في المنطقة ؛ ليسوا من أهل البلدة .

استرامسلان : ٢٢ عاماً . أكملت ثلاث دورات في كلية التكنولوجيا ، وفي الوقت الحاضر عاطلة .

تمر عمر : ٢٠ عاماً . عاطلة برغم أنها أكملت الدراسة الثانوية . أخوتها الثلاثة العاطلون تركوا البلدة . وهي تفكر في الرحيل أيضا .

شمعون : مسرَّح من الجيش ، وعاطل منذ عامين . يقول : « ماذا أعمل ؟ أتسكع في الشوارع وآكل بزر البطيخ !! » .

صبوره زعفراني : أم لسبعة أطفال . زوجها عاطل . ابنها جندي مسرح عاطل . وهي تعمل ٤ ساعات في اليوم فقط .

ويقول رئيس البلدية : ب . المقيّس – إن عدد العاطلين يبلغ ٧٠٠ شخص ، وإن مابين ١٨٠ – ٢٠٠ من المسرحين من الجيش سنويا لايجدون أي عمل ، ويُرغمون على ترك البلدة . ومن ضمن ٧٠٠ عاطل هناك ٤٨٠ في سن ١٨ – ٣٥ عاماً . ويتهم المقيّس البيروقراطية الحكومية التي تفضل تطوير المستعمرات في الضفة الغربية . ويضيف أن الصناعة في المنطقة تتدهور ؛ فمشروع البلاستيك أغلق ، ومعمل فينيتسيا في حالة غير مستقرة ، ومعمل الطابوق اكرشتاين مهدد بخطر الإغلاق ؛ ومعمل كراميكه النقب ومعمل تمروقي لغيس يعانيان من قلة البيع . وفي المشاريع الصغيرة للنسيج ؛ الأجور قليلة ، ومن الصعب تسويق الإنتاج . وقد قابل المقيّس أعضاء لجنة العاطلين ، وبحث معهم القيام بمظاهرات أمام البرلمان . ويقول آسي ارمه ؛ زعيم الانتفاضة الشعبية في البلدة : إن أزمة البطالة بدأت منذ عامين . أضف إلى ذلك ؛ ٢٨ سنة من الجمود الاقتصادي .

وكتبت جريدة هآرتس (٨٦/٣/٣٠) تقول : إن وزير استيعاب المهاجرين : يعقوب تسور – قدم برنامجاً بشأن استيعاب اليهود الأشكناز من جنوب إفريقيا ، بموجبه تستلم كل عائلة ٤٠,٠٠٠ دولار ؛ كرهن عقاري لشراء منزل لها . ويستنكر إبراهيم عسيس هذه السياسة في رسالته إلى الجريدة ، ثم يسأل : وماذا بشأن العاطلين في يروحام ؟ وكتب سامي هروش – في رسالته إلى جريدة زوهديريخ (٨٦/٣/٢٦) — يقول : إنه متزوج وله ولدان ، وجاءت عائلته من المغرب . وإنه سائق ماكينات ثقيلة ، وقد فُصِل عن عمله ٤ مرات . ثم يتساءل : أين الهستدروت ؟ ولماذا

لاتدافع عنه ؟ ثم يستنتج أن الجهاز الحكومي – كله : من فوق إلى تحت – مبني على الأكاذيب .

وفي شهر نيسان ١٩٨٦ ؛ بلغت انتفاضات يهود الإسلام سكان بلدة يروحام أقصاها ؛ ولاسيما في تل أبيب والقدس . وسافر النائب شارلي بطون ؛ زعيم منظمة الفهود السود إلى يروحام ، واشترك في مظاهرات اليهود العرب هناك . وقال في خطابه : « لازم نطلّع روح الحكومة ، ولازم نعمل ضدها بوسائل أقوى من وسائل الفهود السود » . واستنكر زعيم الفهود السود توجيه ميزانية الدولة نحو المستوطنات الأشكنازية ؛ لاستعمار الأراضي المحتلة الجديدة . وطالب سكان مدن التطوير بإغلاق مدنهم ، وسدّ الطرق ، والسير نحو القدس في مظاهرات صاخبة ؛ كي لاتنسى الحكومة وجودهم [زوهديريخ ، ٨٦/٤/٢] . وأرسل سكان يروحام – ٣٦ زعيماً محليا للتظاهر في تل أبيب والقدس ، وقاموا بإضراب عام في البلدة . ثم انتشرت الإضرابات حتى شملت مدن التطوير في الشمال وفي الجنوب . ودام الإضراب ساعتين تضامناً مع سكان يروحام . ويقول مراسل جريدة هآرتس ؛ مردخاي ارتسيئيلي – في تقريره عن الانتفاضة : إن ٣٥ ألف نسمة كانوا قد سكنوا هذه البلدة ، ولكن معظمهم نزحوا عنها ولم يبق إلّا ٦٢٠٠ نسمة . وينزح عنها الآن ١٠٠٠ نسمة كل سنة . وطلابها في الجامعة يخجلون من الاعتراف بأنهم من أبنائها ، وضباط الجيش في المنطقة يرفضون نقل عائلاتهم إليها . ويستنتج أنه « لامستقبل ليروحام ، ولا أمل أن يكون لها مستقبل » [هآرتس ، ٨٦/٤/٤] .

ونشر النائب شارلي بطون مقالاً عن مدن التطوير متهماً المؤسسة الصهيونية بالعنصرية والغطرسة ؛ تجاه اليهود العرب ؛ سكان هذه المدن . ثم قارن أوضاعهم التعيسة بالرفاهية والتطور في المستوطنات الأشكنازية [زوهديريخ ، ٨٦/٤/٩] .

وبخصوص التمييز العنصري ؛ صرّح داوْد مسيقي ، سكرتير عِمّاد يروحام قائلاً : قلصت الحكومة جهاز الحكم المحلي بنسبة ٣٪ وهو المعدل القطري . أما في يروحام فقد بلغت نسبة المفصولين عن الحكم المحلي ٢٥٪ [زوهديريخ ،٨٦/٧/٢٣] . وغاية هذا التمييز هي تقليص عدد المفصولين من الموظفين الأشكناز في المدن الكبرى . **وفي انتفاضة عام ١٩٨٥ طالب يهود الإسلام ؛ سكان البلدة « بالانفصال عن دولة إسرائيل »** [زو هديريخ ، ٨٥/٦/٢٦] .

وفي حواره مع ت . ديقل [زوهديريخ ، ٨٧/٦/٤] – طالب ب . المقيّس ؛ رئيس المجلس المحلي في يروحام ؛ بإعادة الأراضي المحتلة إلى أصحابها . وعارض احتلال هضبة الجولان السورية ، والمحاولات الرامية إلى احتلال بيروت . وأيد مبدأ حل النزاع القائم عن طريق المؤتمر الدولي المقترح .. والمقيّس مغربي ، درس الاقتصاد في جامعة بارايلان ، ويشغل في الوقت الحاضر منصب عضو اللجنة المركزية لحزب العمل . وعندما شاهد غطرسة المحتلّين في غزة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وكيف حاولوا تهديد أصحاب المحلات التجارية ؛ لكي يبيعوا بأسعار قليلة – تألّم : « كان شعوري زيّ الزفت » – على حد قوله . وأضاف المقيّس أنه بالرغم من انتصارات إسرائيل إلا أنها تخسر دائماً :

« ويجب علينا أن نفهم أن المفاوضات هي الطريقة الصحيحة ، بغض النظر عن الخلفية . القضية هي : علينا أن نحب الحياة وأن نحب الإنسان » . وعارض المقيس الآراء التي تقول « إن المرأة العربية لايهمها مقتل أحد أبنائها ؛ لأن لها عشرة » . وأيّد المقيّس مبدأ الحل الوسط والتعايش السلمي مع الشعب العربي الفلسطيني ، واقترح توعية الجماهير اليهودية بأن الشعب العربي الفلسطيني هو شعب يعتز بكرامته ، ويجب احترام كرامته . وبخصوص التصويت إلى جانب الليكود ؛ يقول المقيس : إن ٨٥٪ من سكان بلدته صوتوا إلى جانب هذه الكتلة اليمينية ، ولكن عندما يناقش المسألة مع هؤلاء السكان يقتنعون بصحة السياسة السلمية . ثم تبين له أنهم لا يؤيدون حزب العمل بسبب آرائه اليسارية ، بل لأنهم يؤمنون بأنه حزب أشكنازي يكره اليهود العرب . ويقول المقيّس أنه بالرغم من أن عائلته يمينية فقد كان والده يتحدث دائماً عن العلاقات الطيبة مع العرب (في المغرب) . ويضيف أنه تعلم منذ صغره أن يواجه المشكلة الطائفية ، ولونه الأسمر ، واسم عائلته العربي ، والمواطنية من الدرجة الثانية ، وكون اليهود العرب لحوماً للمدافع ، وكونهم الطبقة العاملة ، ومحاولاتهم للاعتداء على ديانة اليهود العرب . وبعد أن كان المقيّس نشيطاً في معركة « عوديد » (انظر الفصل العاشر) — يؤمن في الوقت الحاضر بالعمل الإيجابي ، ويشجب التعصب الديني الأشكنازي المستورد من أوروبا الشرقية ، ويدعو إلى العودة إلى حدود ١٩٤٨ ، وفتح الحدود بين إسرائيل والعالم العربي ، وهدم الحواجز والتعايش السلمي ، والتسامح الديني .

وبالنسبة لنضال الشعب العربي الفلسطيني أجدني على يقين من أن المقيّس واليهود العرب الذين يسيرون في طريقه ؛ أهم من اليسار الأشكنازي المتطرف . ولذلك ؛ أتوقع تكثيف الحوار الأخوي بين القيادات العربية ويهود الإسلام العاملين من أجل السلام ؛ المبني على الحق والكرامة ومقاومة الاستعمار .

٥ ـــ ديمونه :

أنشئت في عام ١٩٥٥ لاستيعاب المغاربة . ويقول تقرير مردخاي ارتسيئيلي في جريدة هآرتس (٨٠/٩/١٩) — إن هؤلاء المغاربة نقلوا من الباخرة إلى شاحنتين ، وقيل لهم إنهم مسافرون لمدة نصف الساعة من حيفا إلى البلدة الجديدة ، ولم تتوقف الشاحنتان إلّا بعد ٨ ساعات — في النقب . وعند وصولهم قابلتهم عاصفة رملية شديدة ، ولم يروا أي بيوت هناك ؛ لذلك رفضوا النزول من الشاحنتين . وبعد جدال حادّ ؛ أنزلوا وأسكنوا في أكواخ بسيطة مزودة بأسرّة حديدية وبطاطين رخيصة ودواشيك (مراتب الأسرّة) مصنوعة من القش ؛ بدون ماء أو كهرباء ، وثمة مراحيض بدائية خارج الأكواخ . وعاشوا في هذه الأكواخ إلى أن بنوا لأنفسهم شققاً سكنية صغيرة تبلغ مساحة الواحدة منها ٤٨ م٢ . أما الشبان فقد جُندوا في الحال . ويبلغ عدد سكان ديمونه ٣٠,٠٠٠ نفس ، يعانون من الفقر المدقع ، وبيوتهم بشعة تشبه الصناديق ؛ مصنوعة من الأسمنت ، ومتشابهة في المظهر . أما نوعية الحياة فهي في أسفل الدرجات ، والأوساخ منتشرة في كل مكان ، وتعاني البلدة من انتشار الجنوح و الإجرام وأعمال العنف بين الشبيبة ، ومن الأخيرة استخدام القنابل

اليدوية . وليس للشباب أية فرصة للتقدم الاجتماعي والمهني ؛ لأن العمل في مصانع النسيج يكاد أن يكون العمل الوحيد في البلدة ، ومعظم الشبان عاطلون عن العمل .

وتقول جريدة الجروساليم بوست - في عددها الصادر في ٨٠/٢/٢٤ - إن الأجرة الشهرية في مصنع كيتان للنسيج تتراوح بين ٤١ - ٨٠ جنيه إسترليني ، وهي أقل الأجور في إسرائيل . كما أن مستوى التعليم منخفض جدا ؛ بسبب عدم استقرار المدرسين في البلدة . وتقول جريدة هآرتس إن الأوضاع في ديمونه تُعد أرق بكثير من الأوضاع السائدة في باقي مدن التطوير ؛ مثل : يروحام ومتسبيه رمون ... إلخ ، وتسمى ديمونه « جوهرة مدن التطوير » ... ويستنتج تقرير « هآرتس » أن ديمونه تمثل فشل الدولة في مدن التطوير .

وفي ٨٢/١/١ ؛ نشر الصحافي داؤد أورين تقريراً عن عائلة بنحاس الباز - في جريدة هآرتس ، يتلخص فيما يلي :

ترك بنحاس الباز المدرسة أميًّا عندما بلغ الحادية عشرة من العمر . وكانت عائلته قد قدمت من الدار البيضاء حيث عمل والده في اليانصيب ، وكانت حالتهم الاقتصادية هناك جيدة . أما في ديمونه فقد عانت العائلة مشقات عديدة . ويكره الوالد العلاقات الاجتماعية التي تسود البلدة ؛ مثل : الإباحية والفظاظة ، والتخلي عن الأخلاق العربية التقليدية ، وعن احترام الأبوين والشيوخ ، كما يكره الوالد حالة الاكتظاظ السكاني والعزلة والغربة في مدن التطوير النائية . ويتذمر من حالة رزقه ؛ إذ يجب عليه أن يشتغل في عملين لكسب معيشته : يعمل كعامل نهاراً ، وكحارس ليلاً . أما ابنه بنحاس فيقول إنه ترك المدرسة ؛ لأنها لم تعتنِ به . وكان يتهرب من حضور دروسه ، ولم تبدِ السلطات أي اكتراث لذلك . وأخيراً ؛ ترك المدرسة لمساعدة عائلته الفقيرة . وأُرسل أخوه إلى مدرسة دينية ؛ من أجل تقليل عدد الأفواه في البيت ، وأرسلت أخته الكبيرة إلى العمل ، على حين بقيت أخته الثانية في البيت ؛ للقيام بالخدمة البيتية ، وأرسلت الأخت الثالثة إلى المدرسة . وبعد مدة ؛ أصبحت الأولى عاهرة ؛ لذلك سيطر اليأس على الوالد فأخذ يسكر إلى أن قُتل في حادث سيارة . وعندئذ أخذ بنحاس يؤمن بأن المؤسسة الحاكمة هي أشكنازية ، وتعتبر المغاربة عنصراً متدنياً ، وأن اليهود الأشكناز يقضون أوقاتهم في المقاهي على شواطىء تل أبيب ، وأنهم يدمرون المغاربة الذين يسكنون المنازل الرديئة في ديمونه ؛ محرومين من كل شيء إلّا الأقذار والرمال . وأصبحت ديمونه في نظره ونظر رفاقه مقبرة في نهاية المعمورة ؛ بدون مستقبل . أما بخصوص المقاومة ؛ فيقول الشاب بنحاس إن أمواج انتفاضة اليهود العرب لم تأتِ بعد . ثم يصرح ــ بالحرف الواحد : « **أنا أكره دولة إسرائيل وأكره الجيش ، وأكرههم جميعاً . وبعد الخدمة العسكرية سوف أرحل من البلاد . أنا أكره الأشكناز ولا أريد أن أتكلم معهم . لقد قرأت ماكتبه شلومو صادوق عن الكفاح المسلح الذي سيقوم به اليهود العرب ضد الأشكناز وأنا معه في ذلك . ويوجد آلاف من الشبان مثلي** » (نُشر ماكتبه شلومو صادوق في جريدة يديعوت احرونوت) . وعندما بلغ بنحاس ١٥ من العمر ؛ أرسل إلى مدرسة دينية في بريطانيا ثم ترك المدرسة ثانية ، وبقي في لندن بغية التهرب من

الخدمة العسكرية الإلزامية . واستطرد يقول : « لقد اعتدنا أن نسخر من اليهود العرب الذين جندوا . وكنا نسألهم : لماذا ؟ ماذا فعلت دولة إسرائيل من أجلكم ؟ علاوة على ذلك ؛ **كنت أشعر بأنه لم يكن هناك أي سبب يجعلني أضحّي بروحي في سبيل هذه الدولة ؛ لأنني لم أشعر بأنني جزء من هذه الدولة** » . وعاش بنحاس ٤ سنوات في لندن ، وهناك لم يهتم أي شخص بأصله سواء أكان أشكنازيا أم مغربيا . وعندما انقضت مدة جواز سفره ؛ أُرغم على العودة والالتحاق بالجيش . وبما أن الجيش لايستطيع استغلاله لأنه أميّ ؛ أخذت السلطات العسكرية تعلّمه القراءة والكتابة . أما أخوه الأصغر فقد أخذ ينزلق إلى عالم الإجرام .

وسأل داؤد أورين – محرر التقرير – دافيد بركان مفتش الشؤون الاجتماعية في المنطقة – عن مصير الشباب أمثال بنحاس ؛ فأجاب المفتش بأن الدولة فشلت في تحويل « هؤلاء » إلى مواطنين ؛ بسبب سوء التعليم ، وانعدام العلاقات بينهم وبين موظفي الشؤون الاجتماعية ، وغطرسة موظفي الدولة وشعورهم بالتفوق العنصري تجاه يهود الإسلام . ماذا حدث لبنحاس بعد هذا التقرير ؟ لا أعرف ، غير إنني أعرف أن مثل هؤلاء الشبان يُقتلون في أثناء خدمتهم العسكرية ، أو يسكنون السجون العسكرية لمدد طويلة ، ثم يعودون إلى الحياة المدنية كعاطلين . إذن الموت أو البطالة أو السجن – في أرض « الميعاد » .

ولخّص الصحافي رمان بريستر ، في جريدة هآرتس – مصاعب ديمونه في مشكلتين : البطالة والحالة السكنية . وتنتج المشكلتان عن توجيه موارد البلاد إلى بناء مستوطنات في قطاع غزة والضفة الغربية . وأضاف أن إمكانيات العمل في ديمونه محدودة جدا ، فهناك مصنعان للنسيج فقط والأجور فيهما منخفضة جدا . وفيهما تعمل ١٦٠٠ عائلة فقط . وتبلغ ديون البلدية نحو ٢٩٠ مليون شيقل . وصرح إيلي هليلي ؛ رئيس البلدية بقوله : « كيف يمكنني أن أطلب من خريجي الجامعات أن يشتغلوا في معمل النسيج ، على حين أن أعضاء المستوطنة (الأشكنازية) معليه أدوميم (في الضفة) يعملون في الكمبيوتر ؟ » . ومعظم السكان يصوتون إلى جانب الليكود احتجاجاً على ماحلّ بهم تحت حكم حزب العمل [هآرتس ، ٨٤/٨/٢٤] .

ويقول يوسف الغازي في تقريره : إن البطالة واليأس دفعوا بالسكان إلى تعاطي الكحول . ونتيجة لذلك ؛ توفي عام ١٩٨٥ فقط سبعة أشخاص . ويحاول السكان الهرب من مصائبهم بواسطة المسكرات [زو هديريخ ، ٨٦/٧/٩] .

٦ – شدروت :

إن أهم المشاريع التي تشغل سكان هذه البلدة هي مشاريع شاعر هنيغب (باب النقب) ؛ التي تملكها الكيبوتسات المجاورة . وبسبب تفشي البطالة ؛ أرغم عمال معمل « عوف كور » على التنازل عن بعض حقوقهم ، وتقليص أيام العمل الأسبوعية إلى ٤ أيام فقط [زو هديريخ ، ٨٦/١/١٥] . وانخفضت أجور الساعات الإضافية من نسبة ١٣١ – ١٥٧٪ إلى ١٢٥ – ١٥٠٪ ، وانخفضت

الأجور بنسبة ٢٥٪ . علاوة على ذلك ؛ فقد تآكلت الأجور بسبب التضخم المالي ؛ لذلك لجأ العمال إلى سلاح الإضراب ، ونجحوا في كسب يوم عمل خامس في الأسبوع . ويعمل في هذا المعمل نحو ١٧٠ عاملاً ؛ معظمهم من سكان البلدة ومن قطاع غزة ، وتبلغ نسبة النساء فيهم ٦٠٪ ، ولمعظم العمال فيه ٤ – ٥ أطفال . ويقول تقرير الصحيفة المذكورة إن هذه الأجور لاتكفي لشراء الحاجات الضرورية ، وتُصرف قبل انتهاء الشهر . كما أن البطالة والتذمر يحطمان معنويات السكان .

ووصف سكرتير مجلس العمال بلدة شدروت بأنها مثل « بلدة زنوج في الولايات المتحدة » ؛ عند بداية هذا القرن . وقال إن نسبة العاطلين بلغت مابين ١٦٪ و ٢٠٪ من المعالين. ويبلغ عدد المعالين ٢٧٠٠ شخص ، منهم ١٠٨٠ عاطلاً . ومعظم العاطلين عمال غير تقنيين أو عمال تقنيين . كما أن الشبيبة التي تركت البلدة لتدرس في أماكن أخرى ؛ لم ترجع إليها .

٧ – أوفاقيم ونيتيبوت :

تقع هاتان البلدتان في النَّقَب ، وتعتمدان على صناعة النسيج ذات الأجور القليلة . ويُدعى المشروع الصناعي هناك « كيشت » . ويواجه السكان الفصل عن العمل والبطالة [معريب ، ٨٠/١٢/٢٥] .

وتقول جريدة هآرتس (٨١/١/٩) إن معمل OP—AR في أوفاقيم سوف يُغلق قريباً ، وهذا يعني فصل ٤٦٠ عاملاً . ولذلك ؛ أخذ العمال يتوافدون على القدس للتظاهر أمام الكنيست . وقد أقيمت أوفاقيم في الخمسينيات ، وأسكن فيها مهاجرون من المغرب العربي ، واستخدمت المستوطنات الأشكنازية المجاورة سكان البلدتين كقوة عمل غير تقنية ؛ من أجل القيام بالأعمال الدنيا . وفي ١٩٨١ ؛ بلغت نسبة السكان العاملين في النسيج ٥٠٪ ، ثم انخفضت إلى ٢٠٪ ؛ بسبب تشغيل الفلسطينيين من قطاع غزة . وبالرغم من الفقر المدقع الذي يسيطر على البلدة ؛ فإن المنازل فيها أغلى من المنازل في المستعمرة الغنية القديمة « رحوبوت » : يبلغ سعر الشقة في رحوبوت ٢٧٠,٠٠٠ شيقل وفي أوفاقيم ٣٢٠,٠٠٠ شيقل . ولذلك ؛ صوت ٢٥٠٠ شخص لصالح الليكود ، ولم يحز حزب العمل إلّا على ١٢٠٠ صوت [هآرتس ، ٨١/٧/٢٧] .

وفي نيتيبوت تفاقمت البطالة ، واشتدت الانتفاضات الشعبية [هآرتس ، ٨٤/١٢/٢٨] . واستمرت المظاهرات عام ١٩٨٥ ؛ حيث بلغ عدد العاطلين ٣٠٠ عاطل . وحذّر يوسف انو ؛ رئيس المجلس المحلي ، ويوسف شوقي ؛ من كوادر النقابة العمالية – من أن البطالة تتعمق في المجتمع . وطالب حسقيل يغنا ؛ رئيس النقابات في البلدة – بتوظيف المزيد من الأموال في الاقتصاد بدلاً من توظيفها في الأراضي المحتلة . وطالب رئيس بلدية بئر السبع : الياهو ناوي – بنقل المصانع إلى النقب [زوهديريخ ، ٨٥/١/٩] . ويقول ع . دهّان ، من أوفاقيم ، لمراسل جريدة هآرتس (٨٦/٥/٣٠) : « هذا المكان خراب ، إبق إلى أن يخيم الظلام ، وسوف ترى كل شيء ميتاً » .

وقال ع . دعقنين : « أوفاقيم مقبرة للأحياء » ، ثم أضاف دهّان : « كل شيء في حالة انهيار وخراب » .

أما بشأن معمل OP-AR للنسيج فقد اشتغل فيه في منتصف الستينيات أكثر من ٦٠٠ شخص ، ثم انخفض هذا العدد إلى ٤٦٠ شخصاً ، وفي بداية الثانينيات انخفض العدد إلى ٣٨٠ عاملاً ، ووصل في الوقت الحاضر إلى ١٦٠ عاملاً فقط . وفي نهاية أيّار ١٩٨٦ ؛ لم يستلم العمال أجورهم ؛ فأضربوا وتظاهروا ، ثم تظاهروا أمام مبنى البرلمان بالقدس . ولو لم يستلموا قرضاً من الهستدروت ؛ لماتوا جوعاً . وصاحب العمل يهودي أشكنازي يدعى يعكوبو فيتش . ويقول أبو قسيس ؛ سكرتير النقابات في البلدة – إنه خلال ١٩٨٥ ؛ ثلاثة مصانع أغلقت ؛ حتى بلغ عدد العاطلين ٢٢٠ عاطلاً ، وفي الشهر القادم سوف ينضم إليهم ٦٠ شاباً مسرحاً من الخدمة العسكرية . وهناك ٣٣٠ عاملاً يعملون الآن في الأعمال الموسمية .

ويبلغ عدد سكان أوفاقيم في الوقت الحاضر – ١٤ ألف نسمة ، وقد تأسست في النقب الشمالي على محور بئر السبع – أشقلون ؛ مع شديروت ونيتيبوت . ومعظم الشبان ينزحون عنها بسبب البطالة [نفس المصدر] .

وعندما أعلنت الحكومة اعتماد ملايين الدولارات لإقامة ٦ مستوطنات جديدة في الأرض المحتلة ، أعرب رئيس المجلس المحلي عن استنكاره لهذه السياسة ، وقال إن الذين يطالبون بإقامة مستوطنات في الضفة يسببون البطالة في مدن التطوير ، وأضاف أنه خلال ست السنوات الأخيرة ؛ فصل ٦٢٥ شخصاً عن أعمالهم ، ووجدت الأعمال الجديدة لمئتين وأربعة عشر شخصاً فقط [الغازي ، زو هديرخ ، ٨٦/٧/٩] .

٨ – متسبيه رمون :

أقيمت هذه البلدة في النقب أيضاً ؛ على بعد ٨٥ كيلو متراً من مدينة بئر السبع . وأراد المخططون إسكان ٥٠٠٠ نسمة خلال خمس السنوات الأولى ، ثم ٢٥,٠٠٠ نسمة خلال ٢٠ عاماً ، و ٥٠,٠٠٠ نسمة خلال ٣٠ عاماً . وقيل للمهاجرين الذين أسكنوا هناك قبل ٣١ عاماً ؛ إن اقتصاد البلدة سوف يرتكز على الثروات الطبيعية في أرض رمون ، وسوف تصبح مركزاً لجميع المستوطنات في المنطقة . وعانى السكان من قلة الماء الذي استجلب بالشاحنات . ولم يكن ثمة أي طبيب أو ممرضة أو مدرسون أو دكان . ولم تُقدم لهم أية خدمات بلدية خلال شهور عديدة . لذلك ؛ قبل انتهاء السنة الأولى ؛ هرب معظم السكان من البلدة [م . أرتسيئيلي ، هآرتس ، ٨٦/٩/١٩] . ثمت جاءت المؤسسة الحاكمة بالمزيد من المهاجرين ، وأسكنتهم في المساكن الفارغة ، وبعد فترة من الزمن هرب هؤلاء أيضاً . وفي نهاية السنة التاسعة ؛ بلغ عدد المساكن ٨٠٠ – نصفها فارغة . وقام السكان بمظاهرات صاخبة ، رفعوا خلالها الرايات السوداء ، وأغلقوا الطريق الرئيسي المؤدي إلى إيلات ؛ بسبب انعدام مصادر الرزق في البلدة .

وفي بداية ١٩٨٦ ؛ سكن هذه البلدة ٣٨٠٠ شخص ، وبعد ٩ أشهر لم يبقَ فيها إلّا ٢٠٠٠ نسمة . ويبلغ عدد الوحدات السكنية في البلدة ١٦٠٠ ؛ منها ١١٠٠ وحدة سكنية فارغة ؛ من ضمنها ٤٠٠ وحدة سكنية جديدة . وانخفض عدد التلاميذ في مدارس البلدة الثلاث من ١٢٠٠ طالب إلى ٦٥٠ طالباً ؛ خلال السنوات الثلاث الماضية . وفي بداية السنة الدراسية ٨٥/٨٦ ؛ انخفض عدد طلاب المدرسة الثانوية فيها بنسبة ٢٠٪ . وتركت طبيبة الأسنان البلدة ، ولم يبق فيها إلّا طبيب عام ، وطبيب للأطفال . وأغلقت أكثرية الحوانيت ؛ بعد أن رحل أصحابها . وبعد غروب الشمس ؛ تبدو البلدة وكأنها مقبرة هادئة ، والخوف يخيّم على شوارعها . وقد أغلقت معظم مشاريع البلدة الصناعية . والمشاريع الصغيرة التي لاتزال موجودة ، قسم كبير من أصحابها وعمالها يسكنون خارج البلدة . ويسود التوتر والغضب بين السكان الذين ألفوا « قيادة للنضال » ، وبحثوا الاقتراحات التالية :

١ – إغلاق البلدة وسد الطريق المؤدية إليها .
٢ – نقل جميع السكان إلى القدس بالحافلات .
٣ – القيام بمظاهرة بالقدس .
٤ – الإضراب عن الطعام والإضراب عن العمل .
٥ – احتلال المنازل الفارغة في البلدة ؛ التي تتبع وزارة الإسكان .
٦ – هدم المنازل الفارغة في البلدة .
٧ – المطالبة بالتعويضات المماثلة للتعويضات التي دفعت لسكان مستعمرة « يميت » الأشكناز .

[نفس المصدر] .

٩ – يوقنعام « العليا » :

أقيمت عام ١٩٥٠ ، وبلغ عدد سكانها عام ١٩٨٠ – ٥٥٠٠ نسمة ؛ ٧٠٪ منهم يعملون في مصنع « سلتام » . ولايوجد في البلدة (تقع في منطقة حيفا) سيارة إسعاف ، ولاسيارة إطفاء ، ولاماكينة لتنظيف الشوارع ، ولا مركز للشرطة للدفاع عن السكان ضد العصابات الإجرامية ؛ التي نمت في هذه الحارة الفقيرة ، كما لا توجد أية سينما أو مقهى ، وتوجد صيدلية واحدة فتحت عام ١٩٨٠ . وعلى سكان البلدة الاعتماد على المستوطنة الأشكنازية المجاورة « طبعون » في سبيل الحصول على مثل هذه الخدمات .

وعلى مقربة من البلدة توجد مستوطنة أشكنازية صغيرة ، يبلغ عدد سكانها ٤٥٠ نسمة ، وهي التي تسيطر على يوقنعام « العليا » . وقد سميت يوقنعام بالعليا ؛ من أجل المغالطة ، أو من أجل « تضليل العدو » – كما يقولون في الجيش الإسرائيلي . ويعامل المستوطنون الأشكناز اليهود العرب في البلدة بغطرسة وجفاء ، ولذلك ؛ انتشرت الكراهية بين الطائفتين . وبعد الثورة الإسلامية في إيران ؛ فقد معمل سلتام إمكانية التصدير إلى إيران الثورة ؛ فانتشرت البطالة بين السكان ، وبلغ

عدد العاطلين عام ١٩٨٠ – ٤٠٠ شخص [هآرتس ، ٨٠/١١/٧] . ومنذ ذلك الحين ارتفعت نسبة البطالة ؛ وازداد التذمر . وانخفضت قيمة إنتاج مصنع سلتام – وهو المصنع الوحيد في البلدة – من ١٥٠ مليون دولار إلى ٥٠ مليون دولار سنويا . وأضاف سكرتير النقابات المهنية : رفائيل طوليدانو ؛ الذي أعلن هذه الأرقام – أن ٥٠٠ عامل قد فصلوا في الأشهر الأربعة الأخيرة ، وأن ٣٠٠ عامل سوف يفصلون حسب خطة الإدارة [زوهديريخ ، ٨٧/٧/١] .

١٠ – بيت شيمش :

تقع هذه البلدة في منطقة باب الواد – على طريق القدس . وقد أقيمت عام ١٩٤٨ كمعسكر انتقالي للمهاجرين من المغرب العربي . وفي عام ١٩٨١ ؛ بلغ عدد سكانها ١٣٠٠٠ نسمة . ولايزال الناس هناك يذكرون بغضب كيف أذلّتهم المؤسسة الصهيونية بعد أن كانوا جزءًا من الطبقة الوسطى في بلداهم الأصلية ، ويستحضرون في هذا الصدد – الارتقاء الطبقي الذي حصل عليه اليهود الأشكناز بسبب الامتيازات الصهيونية ؛ بهدف المقارنة . ويشدد السكان على أن المستوطنات الأشكنازية المجاورة ترفض إقامة مدارس مشتركة لكي يدرس أولادهم مع الأولاد الأشكناز سويًّا . ويقولون : « إنهم يأتون إلى البلدة مرة كل ٤ سنوات ؛ بغية الحصول على أصواتنا في الانتخابات البرلمانية » . أما الحالة الاقتصادية فلاتختلف عن باقي مدن « التطوير » : بطالة ، مشاكل سكنية ، شقق سكنية بشعة ... إلخ .

لذلك ؛ فقد الحزب الحاكم « حزب العمل » ؛ وهو حزب المستوطنات الأشكنازية المجاورة — أكثرية الأصوات عام ١٩٧٧ . وفي عام ١٩٨١ ؛ حصل الليكود على ٥٦٪ من الأصوات ، في حين انخفضت نسبة أصوات حزب العمل من ٣٥٪ إلى ٢٢٪ .

وفي ٨١/٥/٢٨ ؛ تمكن أعضاء الليكود من تحطيم اجتماع حزب العمل وطرّد زعيم الحزب : شمعون بيرس من البلدة ، وقد هرب بيرس تحت وابل من الطماطم والحجارة . وكان السبب المباشر لالتهاب العواطف ضد حزب العمل ؛ التصريحات العنصرية التي أدلى بها بعض زعماء حزب العمل ؛ مثل : موتي غور – الذي قال : « سوف ...* اليهود العرب ، مثلما ... * العرب [ملحق لجريدة هآرتس ، ٨١/٩/٤] . وصرّخ اليهود العرب في وجه بيرس ورفاقه : « نحن لانريدكم هنا ، يا أشكناز ...* ، روحوا إلى تل أبيب ، ثم صرخوا : ياسر عرفات ... ياسر عرفات ... ياسر عرفات ... بيغن ... بيغن ... إلخ .

وبما أن حزب العمل الاستيطاني يمثل جوهر المؤسسة الصهيونية الأشكنازية ؛ اعتقد (ولايزال) الكثير من اليهود العرب أن بيغن (و حزبه) هو الشخص الوحيد القادر على تحطيم هذه المؤسسة . ويقول سكان البلدة إن حزب العمل الذي سيطر على جميع نواحي الحياة قبل ١٩٧٨ ، فضّل اليهود

* ألفاظ ذات معنى جنسي .

الأشكناز في كل شيء واعتبرهم مواطنين « إسرائيليين » ، واعتبر اليهود العرب « طوائف » ، « بدائيين » ، وأرغمهم على « نسيان » حضارتهم العربية الإسلامية . واعتبرهم زعيم حزب العمل « تراباً آدمياً » ، من المحتم تحطيم مجتمعهم . وزعم بن غوريون أنهم « لايملكون لغة خاصة بهم ، بل يتكلمون بلغات مخلوطة » (يعني اللهجات العربية العامية) .

ويضيف عموس ايلون [هآرتس ، ٨١/٩/٢٨] الذي حاورهم — أن بعض اليهود العرب استطاعوا الانضمام إلى المؤسسة الصهيونية ؛ بواسطة تقليدهم لأسيادهم الأشكناز ، وبواسطة تكييف أنفسهم حسب بِنْيَة المؤسسة .

ويواجه مشروع المحركات ؛ وهو أهم معمل في البلدة – مشاكل مالية قاسية ، فُصل من أجلها ٦٠٠ عامل . وإذا أغلق المعمل كليا ؛ فإن البلدة سوف تغلق أيضاً . ويقول سكرتير مجلس العمال : حييم هروش – إن المفصولين « أكلوا » التعويضات ، وفي الوقت الحاضر يتسكعون في الطرق . ولذلك ؛ اتحدت جميع لجان العمال في البلدة وانتخبت « لجنة اللجان » . ويقول السكرتير ص . كوهين : « إن تآكل الأجور يسبب تذمراً شديداً ، وإن الإضرابات سوف تنتشر مثل الحريق » . ومن الجدير بالذكر ؛ أن سكان البلدة اعتقدوا – في بادىء الأمر — أن مشروع المحركات سوف يعلم أبناءهم التكنولوجيا الراقية ، وسوف يبقون في البلدة . ولكن تبين أن أغلبية المهندسين الساحقة مؤلفة من اليهود الأشكناز الذين يأتون من خارج البلدة [زوهديريخ ، ٨٦/٤/٢] .

١١ – بيسان (بيت شان) :

بلغ عدد سكان البلدة عام ١٩٨٥ نحو ١٣ ألف نسمة . وبسبب التناقضات الاقتصادية بين سكان البلدة والكيبوتسات الأشكنازية (التابعة لحزب العمل) صاحبة العمل ؛ قرر معظم السكان التصويت إلى جانب كتلة الليكود اليمينية . وعلى موجة السخط تلك ارتفعت أسهم زعيمهم المحلي : داوُد ليفي (المغربي) ، ووصل إلى زعامة حزب الحيروت الذي يقود كتلة الليكود . غير إن التصويت إلى جانب اليمين لم يُفد السكان ، ومعظم المعامل أغلق ، وانتشرت البطالة هنا أيضا [هآرتس ، ٨٥/٦/٢١] . ولذلك ؛ فإن ثلث مؤيدي الليكود قرروا مؤخراً عدم تأييد هذا الحزب في المستقبل .

ويعمل الكثيرون من سكان البلدة في صناعة النسيج والأغذية المعروفة بقلة الأجور . ويعاني السكان من رداءة الخدمات الاجتماعية والصحية . ويأتي إلى هنا (الكلام منقول من تقرير صحفي لمراسل جريدة هآرتس : رومان فريستر) زعماء الأحزاب الصهيونية ويلقون الخطب الحماسية ، غير إن الأهالي ترفض الاستماع ... فجأة استولت امرأة على الميكرفون وصرخت : « لانريد الأحزاب ، نريد أجوراً » . ويشير مراسل هآرتس إلى أن السكان سئموا من السياسيين المتحكمين في القدس وسئموا من الدولة . وقد قال بيني (سائق في تعاونية عين حارود) للصحافي : « هذه

البلدة أسوأ من غيتو » . وقال آخر : « لازم إغلاق هذا الغيتو » . وأضاف ثالث : « لقد آن أوان إغلاق هذه الدولة الخره – كلها » ؛ فوافق الحاضرون . ويستنتج رومان فريستر ؛ مراسل هآرتس – قائلا : « لقد كان في هذا الاجتماع العام والهادىء – شيء غير لطيف ، مُخيف . وبالرغم من ذلك ؛ فإنه مُقنع أكثر من صرخات (الزعاء في) الميكروفون ». [نفس المصدر] .

وفي تقرير آخر للصحافية ن . بارنير [زو هديريخ ، ٨٥/٧/٢٤] – تبين أن ٢٠٪ من العاملين عاطلون ؛ أي ٨٠٠ شخص . ويقول أحد العمال إنه لايشترك في المظاهرات خوفاً من الفصل ، ولايستطيع التعبير عن آرائه ؛ لأن حقوقه مهضومة . « نحن نعمل مثل الروبوتات Robot ، ويعاملوننا وكأننا صفر لايساوي شيئاً ، ويعرضوننا للإهانة » . وكان في البلدة صاحب معمل أمريكي يدعى جوليوس بير ، استغل أموال الدولة الموظفة في معمله ، واستغل العمل الرخيص ، ثم اختفى . وخلال فترة وجوده ؛ عَامَل العمال بفظاظة ، وفصلهم كلما حدث اختلاف معهم ، وعرضهم للتهديد والاحتقار ، كما عامل يهود الإسلام والفلسطينيين مثلما يعامل الأمريكان عمالهم من المكسيكيين . والآن ؛ يهدد مجلس العمال بإغلاق البلدة ، وإيقاف الخدمات العامة [نفس المصدر] . **ومن الجدير بالذكر ؛ أن جميع هؤلاء الصحافيين هم يهود أشكناز يعملون تحت الرقابة الأجنبية المباشرة وغير المباشرة ، كما أن جميع الإحصاءات الرسمية يتلاعب فيها الحكام ، ولذلك ؛ فالحقيقة في الساحة أسوأ بكثير من التقارير المذكورة .**

ولقد أجرى الدكتور سفيرسكي حواراً مع بعض سكان بيسان ، ألخص هاهنا أهم ماجاء فيه متوخياً عدم إعادة الآراء التي ذكرها سكان قرية شمونه :

هـ : (بصدد الكهول المفصولين) لو كان مجلس العمال يتألف من رجال الليكود ، لتمكن من النضال من أجلهم ضد الكيبوتسات ؛ صاحبة العمل التابعة لحزب العمل . وإذا توسعت البلدة واحتاجت إلى أراض ستكون المجابهة مع الكيبوتسات أمراً أكيداً ؛ لأنها كانت قد استولت على جميع الأراضي حول البلدة .

ش : إذا تطورت بيسان العليا (الأشكنازية) ؛ فإن « إسرائيل الثانية » (يهود الإسلام) سوف تكون « بيسان السفلى » (تلميحاً إلى الوضع في الناصرة ؛ حيث أقامت إسرائيل « الناصرة العليا » للأشكناز) .

هـ : لم توظف الكيبوتسات ولا ليرة واحدة في المشاريع الصناعية (التي تشغل يهود الإسلام) ، ثم وظفت الأرباح من الأموال الحكومية في البورصة ومشاريع أخرى . توجد يد توجه الأمور بالنسبة للمستقبل ؛ عن طريق الحزبية . لماذا لانوحد مدارسنا مع مدارس الكيبوتسات ؟

ز : لأن أولاد الكيبوتسات يكرهون أولادنا .

د : لماذا توحيد المدارس أفضل ؟

هـ : لأن إمكانيات التعليم في مدارسهم أفضل .

ز : تربية أولادنا في مدارس الكيبوتسات سوف تستأصل أولادنا من محيطهم وتغرسهم في محيط آخر ؛ يدعي أنه أكثر تطوراً . وعندما يعود أولادنا إلينا بعد إتمام دراستهم ؛ سيواجهون نفس المشاكل ، وستكون الغربة أصعب .

هـ : ٩٩٪ من أولادنا (القلائل) الذين درسوا في الكيبوتسات لم يعودوا إلينا .

ش : تربية الولد (اليهودي العربي) في مدرسة الكيبوتس تُنشيء إنساناً مجزأً من الناحية النفسية (يعني المجتمع الأشكنازي لايقبله في النهاية ، ولايستطيع أن يعود إلى مجتمعه بعد أن اعتنق الحضارة الأشكنازية) .

م : أنا ساكن في قرية شمونه . وقد تمكنت أنا وبعض العائلات من إرسال أولادنا إلى مدرسة الكيبوتسات (يعني مقابل أجور عالية) – في كيبوتس دفنه ، إلّا أنهم بقوا معزولين (وهذه ظاهره عنصرية موجودة في المجتمع الأشكنازي ولاسيما في الكيبوتسات) . وكانت مرة رحلة للطلاب ، وقد رفضت المدرسة إعطاء الأكل لأولادنا ، وتبين في أثناء الرحلة أنه كان يجب على أولادنا أن يأخذوا طعاماً معهم . والكيبوتس زود أولاده بالأكل ، وبقي أولادنا بدون أكل (نرى هنا التناقض الحضاري بين الطائفتين : الأشكناز ، ويهود الإسلام . ولم يفهم سكان قرية شمونه كيف استطاع الطلاب الأشكناز والمدرسون الأشكناز أن يأكلوا بدون عرض بعض الأكل على « رفاقهم » الجياع . وأثارت هذه الحادثة ضجة في مدن التطوير) . وبعد ذلك لم يخرج أبناء قرية شمونه إلى أية رحلة مدرسية . إن ولدي لم يشترك في أثناء دراسته هناك في أية ندوة طلابية أو اجتماعية . وقد واجه هناك مصاعب جمة أبقت في نفسيته انطباعاً قاسياً جدًّا .

ر : حوّلوا هذه المدن إلى غيتوات لليهود العرب . ففي بيسان – مثلاً – ٨٥٪ من سكان البلدة مغاربة ، وهذا خطأ . الحكومة تمنح امتيازات للمدرسين (الأشكناز) الذين يأتون من خارج البلدة ، وبعد مدة وجيزة يرحلون .

و : هذا مخيم انتقالي .

ز : ماهو مصير المدرس الذي تربى هنا ؟

ش : مسكين !

م.ي : يساعدون المدرس الذي يأتي من بره ، ولايساعدون المدرس المحلي . الذنب ذنبنا لأننا لم نكافح . وعندما نكافح نواجه القمع الحكومي .

م : لماذا لاتثورون ؟!

هـ : لأن أعضاء المجلس يعملون لصالح الحزب الحاكم ؛ بسبب مصالحهم الشخصية .

م : لماذا لاتعارضون هؤلاء ؟

هـ : قمنا بانتفاضة شعبية عام ١٩٥٧/١٩٥٨ ، وكسّرنا كل شيء ، وصرخنا : « خبز وعمل » ؛ إلّا أن الانتفاضة قمعت بالقوة : ألقت الشرطة القبض على بعض المتظاهرين ، وزجت بهم في السجن ، ثم طُردوا من البلدة ، وزعماء البلدة قبلوا الرشوة .

م.ي : سننجح ؛ إذا ثار كل الشعب ، مثلما حدث في وادي الصليب .

ر : لن نستطيع أن ننظم ذلك !

هـ : علينا أن نقيم حلقات سياسية في مدن التطوير والحزام الأسود في المدن الكبرى ... سكان مدن التطوير صوتوا إلى جانب بيغن ؛ من أجل تحسين أوضاعهم . وبما أن هذا لم يحصل ، فالزعيم القادم يجب أن يكون منّا : ليس بيغن أو كاتس ... إلخ .

....

هـ : الحكومة عاملتنا بازدراء . أقامت صناعة النسيج لتشغيل ٨٠٠ شخص وهدأت بركان التذمر . الشبان يتركون البلدة ويبقى الشيوخ . خلال ٧ – ٩ سنوات انخفض عدد السكان من ١٢ – ١٤ ألف نسمة إلى ١٢,٧٠٠ نسمة ، أين التكاثر الطبيعي ؟ لدينا ٢٥٠ – ٣٠٠ جندي مسرح كل سنة ؛ بدون عمل . المستوطنات استغلت المشاريع الاقتصادية عن طريق أعضائها في الحكومة المركزية والمركز الزراعي وشركة همشبير (للتسويق) ... إلخ – هذا هو نفوذهم . بيسان لاتملك هذه النفوذ . بالرغم من أن هدف المشاريع كان مساعدة بيسان ؛ فإنهم أقاموا معملاً في مستوطنة مسيلّوت ، وعلى حساب بيسان قبضوا المخصصات المالية ؛ قبضوا قروضاً ومنحاً مالية ، تلقوا تدريباً مهنيًّا ... إلخ .

ع : لأنهم متحدون ضمن رابطة الكيبوتسات .

ن : خذ مثلاً مستوطنة نيفيه ايتان ؛ أقامت معمل « بلسغون » ، وعندما لم ينجح في العامين الأولين ؛ أرسلوا بعض الأعضاء إلى بريطانيا وأمريكا للتدريب المهني ، على حساب المستوطنات الأخرى .

د : الحكومة تغطي خسارة الكيبوتسات بطرائق شتى .

هـ : الاحتكارات الكيبوتسية تحطم مبادراتنا الاقتصادية . قبل ١٠ – ١٢ سنة ؛ أقام رجالنا الذين عملوا على الماكينات الثقيلة مثل الجرارات والجرافات ؛ أقاموا تعاونية ، وسرعان ما ابتلعتها الكيبوتسات . ثم أقمنا تعاونية لسائقي الشاحنات ؛ فخُنقت بأيدي شركة « بيت شان – حارود » التابعة للكيبوتسات . لماذا لانقيم زعامة سياسية وروحية لنا ؟

د : أصحاب المعامل الصغيرة التي تشغل ٢٥ عاملاً — تابعون لجميع الطوائف . أما أصحاب المشاريع الكبيرة الذين يستخدمون التكنولوجيا المتطورة فهم تقريباً كلهم أشكنازاً . لماذا استطاع الأشكناز جمع الأموال الطائلة وفشل اليهود العرب ؟ لماذا تكاثر عدد السكارى والعاهرات والشبيبة الهامشية عندنا ؟ وليس لدينا لا وزراء ولاجنرالات ولاطيارون ... إلخ ؟ أتفهم !

ب : وإذا تخرج أولادنا من الجامعات ؛ لايجدون أية وظيفة .

ش : علينا أن نقول للمديرين الذين يأتون من خارج البلدة : لانريدكم ، ثم نوظف مديرين منا .

هـ : الشركات لاتقبل .

ن : لأننا لانشجع رجالنا — المغاربة .

ش : لأنهم غسلوا أدمغتنا .

ع : المغاربة لايساعدون بعضهم البعض .

ش : لأن الدولة تقول لك إن المغربي لايستطيع أن يدير أي مشروع .

هـ : على الدولة والمؤسسات أن تتبنى مبدأ المساواة في الفرص .

ب : ماحكَّ جلدك مثل ظفرك .

ن : علينا أن نقيم زعامة محلية لنا . لماذا لانتمكن — نحن — من إنشاء قوة سياسية عن طريق التنظيم ؟ [سفيرسكي ، ١٩٨١ ، ص ١١٩ — ١٣٨] .

ومن المهم أن نذكر في النهاية أن مدينة التطوير « عراد » لاتعاني من المشاكل الآنفة الذكر ؛ لأن سكانها أشكناز . وأن الحكومة تعاملها باعتبارها « مستوطنة أشكنازية » . ولذلك ؛ تختلف تركيبتها الاقتصادية كل الاختلاف عن مدن « التطوير » التي يسكنها يهود الإسلام [هآرتس ، ٨٠/٦/٢٧] .

رابعاً — القرى التعاونية :

كانت الطريقة الرابعة لهضم المهاجرين من الوطن العربي والإسلامي هي إسكانهم في القرى التعاونية ، التي أقيمت من أجلهم في المناطق النائية ولاسيما المناطق الجبلية في الجليل ، ومنطقة القدس ، والنقب . ويعزو آرييه نحمكين ، وزير الزراعة عام ١٩٨٦ ، إنشاء هذه القرى إلى أسباب أمنية وسياسية . أما مشكلة المعيشة فكانت مكانتها في أسفل السلم [هآرتس ، ٨٦/٨/٢٩] . وكان هدف القيادة العسكرية الإسرائيلية من إنشاء هذه القرى (وكذلك مايسمى « مدن التطوير ») في المناطق الحدودية — تقوية أمن المستوطنات الأشكنازية الغنية ؛ إذ فُرِضَ استيعاب الضربات الفدائية الفلسطينية على قرى يهود الإسلام . وهدفت القيادة السياسية إلى توزيع السكان

في جميع المناطق ولاسيما المناطق التي كان الفلسطينيون قد سكنوا فيها ، قبل تشريدهم عام ١٩٤٨ ؛ وذلك لإرغام العرب على قبول الأمر الواقع ؛ أي استحالة إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم . ويعترف وزير الزراعة بأن القاسم المشترك لهذه القرى هو انعدام أية قاعدة ولاسيما القاعدة الاقتصادية ، ويضيف : لم يفكر أي شخص في البداية في تحويل هذه القرى إلى قرى تعاونية (موشابيم) . ولذلك سميت هذه القرى في البداية « قرى التشجير » ؛ حينما أرادت المؤسسة الحاكمة تشغيل سكانها في تشجير الجبال ، لصالح « القيرن قيمت » (أي الصندوق القومي لتمليك الأراضي) . وكانت هذه الأعمال جزءًا من « أعمال الطوارىء » الآنفة الذكر ، وعندما تم الانتهاء منها تقرر تحويل هذه القرى إلى « قرى تعاونية » .

ولايذكر الوزير الهدف الاقتصادي ، وهو استخدام سكان هذه القرى كقوة عمل رخيصة تعمل لصالح المستعمرات الأشكنازية . وهذا هو الذي حدث في الواقع : أكثرية سكان هذه القرى تعمل كعمال أجراء خارج قراهم . وبسبب انعدام القاعدة الاقتصادية ؛ انهارت الأسس التعاونية في القرى ، وبلغ عدد التعاونيات التي أفلست ٢٥٠ تعاونية .

في عام ١٩٨٣ ؛ بلغ عدد التعاونيات الزراعية (موشابيم) ٤٠٢ تعاونية (عدا الكيبوتسات) ، منها ٦٥ مستوطنة أشكنازية أقيمت زمن الانتداب . أما معظم التعاونيات التي أنشئت بعد ١٩٤٨ فقد خُصصت لليهود العرب ، وافتقرت إلى أية قاعدة اقتصادية – كما ذكرنا ؛ ولذلك بلغت ديونها عام ١٩٨٣ – ٧ بلايين شيقل (٧٠ شيقل تعادل ليرة إسترلينية) [هآرتس ، ٨٣/٨/٥] . ويضيف بنحاس موسكو ؛ نائب مدير الوكالة اليهودية في منطقة النقب أن القرى التعاونية في النقب مديونة لمنظمة المشتريات بمبلغ ١٣٠ – ١٥٠ مليون دولار بالإضافة إلى الديون المستحقة للبنوك والمؤسسات المالية بالسوق الحرة والسوق السوداء . ومن ضمن ٣٣٦٠ عائلة في قرى النقب ، أصبحت ١٤٠٠ عائلة (أكثر من ثلث العائلات) عالة على القرى ، ولن تستطيع دفع ديونها أبداً . ويقول إسحق نحميا ؛ مدير منظمة المشتريات – إن ديون العائلة الواحدة قد بلغت ٥٠ – ١٠٠ ألف دولار ، وثمة عائلات تدين كل منها بأكثر من ٢٠٠ ألف دولار [هآرتس ، ٨٥/٧/٥] .

أما في الجليل فإن ممثلي القرى التعاونية قد أبلغوا شمعون بيرس (رئيس الوزراء – آنذاك) ، أن كل عائلة مديونة بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار (وتبلغ الفائدة الجشعة ٦٠٪ (ستين !) ؛ ولهذا أصبح الانتعاش الاقتصادي مستحيلاً) . وأعلن رئيس المجلس المحلي في معليه يوسيف أن ١٢٠٠ شخص من أبناء أعضاء التعاونيات الذين لايحق لهم أن يرثوا آباءهم (يحق لولد واحد فقط أن يرث والده) – هم الآن بدون بيت وبدون مزرعة [زوهديرخ ، ٨٦/٨/٢٠] . وأمرت إحدى المحاكم – قرية نوغه بدفع ديونها البالغة ٢,٠٠٠,٠٠٠ شيقل ، أو بيع الأملاك ، أو الدخول إلى السجن . واعتقلت الشرطة ١٢ عضواً من مجموع ٨٠ عضواً [هآرتس ، ٨٣/٨/٥] .

ونستدرك القول بأنه كان هناك سبب سياسي أيضاً لضم هذه القرى ، إلى منظمة المستوطنات

(موشابيم) : بما أن حزب مباي (العمل) سيطر تماماً على هذه المنظمة ، فقد كان من الممكن فرض هيمنته على سكان هذه القرى ، والحصول على معظم أصواتهم (وحصل هذا في المعسكرات الانتقالية ومدن التطوير أيضا) .

ذكرنا في العرض السابق اصطلاح « انعدام القاعدة الاقتصادية » وهو اصطلاح « اقتصادي » صرف . أما الواقع فهو أن هذا « الاصطلاح » كان يعني سلسلة من إجراءات التمييز العنصري ضد سكان هذه القرى ، من أبناء يهود الإسلام . نختصر بعضها كما يلي :

١ – عندما تُقيم المؤسسة الصهيونية مستوطنة أشكنازية تزودها في الحال بأراضٍ كافية للإنتاج الزراعي ، وبوسائل الإنتاج اللازمة : بقر ودجاج وجرارات ، وغير ذلك من الأعتدة الزراعية ، ومخصصات سنوية للمعيشة وللتطوير . أما بالنسبة ليهود الإسلام ، فقد حملتهم الشاحنات من السفينة إلى هذه المناطق القاحلة . وعندما رفضوا النزول من الشاحنات ، قُلبوا منها كأنهم تراب وليسوا آدميين ، ثم أمروا بإقامة خيم لأنفسهم . وبدأ تشغيلهم في أسفل الأعمال ، واستلموا أقل الأجور ؛ أي أجور الطوارىء . وحتى الأراضي القليلة والوعرة التي خصصت لهم ، لم يستلموها مع مضي سنوات عديدة ؛ لأن جيرانهم المستوطنين الأشكناز – أعضاء المستعمرات الغنية — اختطفوا هذه الأراضي بحجة أن يهود الإسلام لايعرفون زراعة الأرض ، وبعض هذه الأراضي لاتزال بأيديهم .

٢ – تمييز في مساحات الأراضي الزراعية : في المستوطنات الأشكنازية استلمت كل عائلة مابين ٨٠ – ١٥٠ دونم ، أما في القرى التعاونية ليهود الإسلام ، فكانت الحصة ١٨ دونم للعائلة الواحدة ، على الرغم من أنها كثيرة الأولاد .

٣ – كانت كميات مياه الري والمخصصات المالية ووسائل الإنتاج التي أعطيت للمستوطنات الأشكنازية ، أكبر بكثير من التي خصصت للقرى التعاونية . كما قدمت ٥٤٪ من الأموال الموظفة في الزراعة – إلى الكيبوتسات الأشكنازية ، و ٣٧٪ إلى القرى التعاونية . وذلك بالرغم من أن الكيبوتسات لم تمثل إلّا ١٢٪ من الاستيطان الزراعي القطري ، على حين أن القرى التعاونية مثلت ٦٦٪ منه : ففي ١٩٦٠ ، كان عدد الكيبوتسات ٢٢٩ ، وعدد القرى التعاونية ٣٦٦ . وفي ١٩٦٠ ، بلغ سكان الكيبوتسات ٧٧,٠٠٠ نسمة ، وسكان القرى التعاونية ١٢٤,٠٠٠ نسمة . إضافة إلى هذا التمييز ، لصالح الكيبوتسات – حدث تمييز آخر في صفوف القرى التعاونية ، لصالح التعاونيات الأشكنازية القديمة التي أقيمت زمن الانتداب البريطاني : فعضو القرى التعاونية الأشكنازية القديمة مُلكّ ٢,٣ بقرة و ٣٠٠ دجاجة ، أما القروي التعاوني بعد ١٩٤٨ ، فلم يُملك إلّا ١,٢ بقرة و ٥٠ دجاجة ، والقرية الأشكنازية ملكت ٢,٥ جرار ، على حين ملكت القرية الحديثة بعد ١٩٤٨ ، ٠,٧ جرار . علاوة على ذلك ، حصل تمييز آخر بين التعاونيات (الحديثة) التي يسكنها يهود الإسلام والتعاونيات (الحديثة) التي يسكنها المستوطنون الأشكناز . ولم تنشر إحصاءات هذا التمييز بعد .

٤ – نوعية الأرض : الأراضي التي استلمها المستوطنون الأشكناز كانت أخصب بكثير من

الأراضي التي أقيمت عليها تعاونيات يهود الإسلام . وهذه الأراضي – كما قلنا سابقاً – كانت أراضي صحراء النقب أو أراضي وعرة في الجليل ومنطقة القدس . وتحتم على يهود الإسلام – عادة – إصلاحها قبل زراعتها .

٥ – المستوطنات الأشكنازية أنشئت في وسط البلاد ، مما ساعدها على تسويق نتاجها بسهولة ، وإكثار أرباحها . أما القرى التعاونية ليهود الإسلام فقد أنشئت في المناطق النائية ؛ ولذلك كان تسويق نتاجها صعباً ، والأرباح قليلة ، ومصاريف المواصلات كثيرة ، وأسعار اللوازم التي تشتريها هذه القرى غالية .

٦ – الدعم الحكومي : بما أن المستوطنات الأشكنازية كانت غنية ومزدهرة ، فإن قيمة الدعم المالي الحكومي لنتاجها زادت على قيمة الدعم المالي التي استلمها سكان القرى التعاونية الفقيرة . وفي الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ – ١٩٧٧ ، كانت حالة القرى التعاونية جيدة نوعا ما ؛ بسبب الدعم المالي الذي دفعته حكومة العمل . وعندما تولى الليكود اليميني الحكم عام ١٩٧٧ ، قطع الدعم المالي ، وأخذت الحكومة تشجع زراعة الزهر ، ووعدت القرويين بمنح القروض اللازمة ، ثم رفضت أن تفي بوعدها . وفي غضون ذلك ، اقترضت القرى مبالغ كبيرة ، ودفعت فائدة بنسبة ٣٠٠٪ . وهكذا ، تراكمت الديون [هآرتس ، ٨٣/٨/٥] . وهذه الديون تزيد عادة على مجموع دخل القرى بأكمله ؛ ولذلك تماطل القرى التعاونية في دفع الديون والفائدة ، مستعملة طريقة « التسويق الأسود » ؛ أي بيع نتاجها الزارعي خارج منظمة التسويق الصهيونية . وتشكل هذه الممارسات أحد أسباب انهيار الأسس التعاونية .

٧ – تطوير الصناعة في الكيبوتسات : لم يكن مستوى المعيشة في الكيبوتسات الأشكنازية قبل ١٩٤٨ عالياً قط ؛ إذ إن المستوطنات اعتمدت على الزراعة فقط (عدا بعض المشاريع الصناعية الصغيرة) . أما بعد ١٩٤٨ ، فقد وظفت الحكومة أموالاً طائلة لتطوير الصناعة في الكيبوتسات ؛ من أجل تشغيل اليهود العرب : سكان مدن التطوير والمعسكرات الانتقالية والتعاونيات – في هذه المعامل ، كعمال أجراء . وبذلك أصبح أعضاء الكيبوتسات « الاشتراكية » أصحاب عمل ، يستغلون هذه القوى العاملة الرخيصة ، وأخذوا يكدسون الأرباح الفاحشة ، ويوظفونها في البنوك وفي البورصة ، وحتى في الخارج . ولم يحدث هذا في التعاونيات : لم توظف الحكومة أموالاً لتطوير الصناعة في القرى التعاونية ، ولم تكفِ المزرعة الصغيرة لإعاشة العائلة من اليهود العرب ، فأخذ سكان القرى التعاونية يجدون رزقهم كعمال أجراء خارج القرية (٦١٪ منهم يعملون كعمال أجراء لصالح الكيبوتسات كصاحبة العمل : في قرية الياقيم ـ مثلا ـ ٥٪ فقط يعملون في الزراعة و ٣٠٪ عاطلون و ٦٥٪ يعملون كعمال أجراء لصالح أصحاب العمل في المستوطنات الأشكنازية) .

٨ – المستوطنات الأشكنازية والحكم المركزي : لمّا كان الاستيطان الزراعي من أهم أهداف الصهيونية منذ بدايتها ، فقد أصبح المستوطنون الأشكناز من أهم عناصر قمة الهرم في القيادة

الصهيونية العالمية ، وفي القيادة القطرية ، أي في الحكومة والوكالة اليهودية ومنظمات الاستيطان الزراعي . وتقول جريدة هآرتس (٨٣/٨/٥) إن حكومة حزب العمل شملت ٤ وزراء من المستوطنين ؛ ولذلك استطاع هؤلاء الوزراء والمديرون أن يساعدوا مستعمراتهم من الناحية الاقتصادية والتجارية والسياسية ، فكانوا يدافعون عن مصالح المستعمرات ، ويخبرونها عن السياسات الحكومية والصهيونية المحضرة ، وبناء على هذه « المعلومات السرية » ، تتمكن المستعمرات من تدبير مصالحها بصورة ناجحة . أما القرى التعاونية ليهود الإسلام فلا تملك هذا التفوق والنفوذ : فليس لها أعضاء في قمة الهرم ، ولايمثل مصالحها أحد في القيادات المختلفة ، بل إن التخطيط الاقتصادي لهذه القرى موجود بأيدي « المرشدين » الأشكناز ، أعضاء المستوطنات المجاورة ، الذين يوجهون هذا التخطيط حسب مصالحهم ، قبل كل شيء . إضافة إلى ذلك ، فإن المستوطنات الأشكنازية ولاسيما الكيبوتسات المجاورة — مسيطرة تماماً على القرى التعاونية (وعلى مدن التطوير) عن طريق حزب العمل ، والهستدروت ، والمجالس المحلية . ويسيطر المستوطنون الأشكناز ، أعضاء القرى التعاونية الغنية التي تأسست قبل الدولة ، مثل : نهلال (مستوطنة موشيه ديان) — يسيطرون على منظمة القرى التعاونية ، وهذه المنظمة بدورها تسيطر على قرى يهود الإسلام [دفاتر للبحث والنقد — ٤] . وفي حين أن أبناء الكيبوتسات يستطيعون البقاء مع عائلاتهم في المستوطنات ، يُرغم أبناء عائلات التعاونيات على ترك القرية (عدا واحد) بسبب قلة الرزق ، وهكذا تتمزّق عائلاتهم .

وقد بلغ استغلال الكيبوتسات الأشكنازية ليهود الإسلام في القرى التعاونية أقصاه ، حتى دفع ببعض هؤلاء المظلومين إلى كتابة العبارة التالية على جدار مبنى نقابة المزارعين في شارع كبلان في تل أبيب : « الكيبوتسات تمتص دماء القرى التعاونية . عاشت الثورة الشرقية » — التوقيع « ماعتس » (وهذه أعنف منظمة سرية أسسها اليهود العرب ، وقامت بأعمال تخريبية كثيرة — انظر الفصل العاشر) .

وبشأن منح معظم الأراضي الخصبة للمستعمرات الأشكنازية ؛ يقول مساعد مدير الاستيطان — آرييه إيلياًب : « إن هذا لم يحدث نتيجة مؤامرة أشكنازية ... وليس نتيجة نية سيئة ، بل لأن زعماء الحركة الاستيطانية بحثوا عن الأشخاص القريبين منهم في العقلية والنظرة إلى الحياة والمنشأ . ولم تكن لهم لغة مشتركة مع الآخرين » (يعني يهود الإسلام) . « كما أخذوا في الاعتبار أن يعطي المستوطنون أصواتهم لحزب المباي » [مقابلة في ٨٣/٥/٢٠ ، نقلها سيغيف ، ص ١٨٢ و ١٨٣ ، الترجمة العربية] . وقال يوسيف فايتس . « يمكن استصلاح الجبال بتوطينها باليهود « البسطاء » (يعني يهود الإسلام) . وأضاف أن « مثل هذه الأراضي الوعرة لاتصلح للكيبوتسات الأشكنازية » [مذكراته ، ٥٠/٧/٧ ، نقلها سيغيف ، ص ١٨٣ ، الترجمة العربية] .

وكانت إحدى العقبات في هذا المجال عدم ملائمة العمل الزراعي ليهود الإسلام ، إذ إنهم زاولوا التجارة والمهن الحرة والحرف اليدوية في أرض الإسلام . وفرضت المؤسسة الأعمال الزراعية على أكثر من ٧٠٪ من اليمنيين ، وخلال ١٩٤٨ — ١٩٥٣ ، زُجوا في ٥٧ قرية تعاونية ، لم يصمد منها

إلّا ٣٩ قرية ؛ بسبب قلة الرزق الناتج عن التمييز الآنف الذكر . وكثيراً ماسميت هذه القرى « قرى عمل » ؛ أي معسكرات للعمال ، واشتغل سكانها في إصلاح الأراضي الوعرة . وقالت إحدى الصحف : « يعمل اليمنيون في تمهيد الأرض وزراعة الطماطم ؛ لأن عمل عضو الكيبوتس أكثر قيمة من غيره » . وجاء في صحيفة أخرى : « يعمل المهاجرون الجدد من اليمن (في الكيبوتس) حتى إنهم يتقاضون أجوز العرب ، لا أجور اليهود » [هآرتس ٥٠/١٠/١٣ : رسالة اتحاد اليمنيين بشأن استغلال اليمنيين . ورسالة من اتحاد اليمنيين إلى مكاتب العمل ٥٠/٥/٨ : أرشيف الدولة ، مكتب رئيس الوزراء ، معسكرات المهاجرين ، ج/5558] .

واحتج عضو الكنيست اليمني : زكريا غلوسكا — على سلسلة من أعمال التمييز في مجال السكن والخدمات الدينية والحصول على الدعم ، للعائلات متعددة الأولاد ، إذ إن الدعم لم يشمل أكثر من ٣ أولاد ولا أكثر من زوجة واحدة (لم تحظر التوراة الزواج من أكثر من امرأة واحدة ، ولايعترف يهود الإسلام بالحظر الذي فرضه الحاخامات الأشكناز) [محاضر الكنيست ٤٩/٧/١٨ و ٤٩/٤/٢٧ و ٤٩/١١/١٦ و ٤٩/٩/٥] . ويقول أحد التقارير الذي أُرسل به إلى رئيس الوزراء : بن غوريون ، إن البطالة في ٢٨ قرية تعاونية تشمل أغلبية السكان ، ويسود الجوع هناك . ويضيف التقرير — الذي وضعه عامي أساف من منظمة الاستيطان الزراعي — أن الناس لايستطيعون شراء اللوازم الغذائية القليلة ، التي تباع حسبُ نظام التقنين ؛ لأنهم لايملكون النقود لذلك . كما أنهم لايستطيعون شراء الملابس التي تباع لهم مجاناً تقريباً . ثم يعبر كاتب التقرير عن خوفه من أعمال اليأس التي قد يرتكبها هؤلاء السكان ، عندما يرون الجوع الذي يتحمله أطفالهم [١٩٥١/١/٢٣ ، أرشيف الدولة ، مكتب رئيس الوزراء : استيعاب المهاجرين في الزراعة ، ج /7133/5559] .

ولم تُربط معظم هذه القرى بشبكات الكهرباء والمياه والمجاري ، وكانت البيوت (أكواخ) بعيدة عن أية طريق مبلطة . كما عانى السكان من مصاعب التسويق ، واشترت « تنوفه » (شركة تابعة للهستدروت) نتاجهم بأسعار بخسة جدا ؛ بالنسبة للأسعار في أسواق المدن . كما عانى يهود الإسلام من انعدام الخدمات الصحية والثقافية [سيغيف ، ص ١٣٥ ، بالعبرية] . ويقول آربيه إيلياآب ، أحد مساعدي ليفي أشكول — رئيس قسم الاستيطان ، يقول — فيما بعد — « إن هؤلاء المهاجرين رفضوا النزول من الشاحنات . ولإجبارهم على النزول والاستيطان ، رُفعت قلابات الشاحنات إلى أعلى ، إلى درجة الانحدار ، وكان المهاجرون ينزلقون منها رغماً عنهم » [نفس المصدر ، ص ١٣٤] .

وفي عام ١٩٥٣ ؛ كلف بن غوريون كلاً من زلمان أران ، ويسرائيل يشعياهو ، وقديش لوز — بدراسة الوضع في القرى اليمنية . وفي تقريرهم قالوا : إن حالة الفقر والإهمال قد وصلت درجة الانحلال ؛ بسبب انعدام المساعدات من قبل السلطات . ولم يكن العمل متوافرا ؛ لأن دائرة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية اعتقدت أن من واجب وزارة العمل الاهتمام بذلك . وردّت دائرة

وزارة العمل بنقيض ذلك . وأصبحت المنازل متصدعة بعد سنتين . ولم يكن المرشدون أكفاء . ولم يدفع السكان الضرائب بسبب فقرهم ، فقطعت عنهم الخدمات الصحية . وتفتقر القرى إلى أي نشاط ثقافي ، فهجرها الكثير من الشبان ولم يبق هناك إلّا الشيوخ . وتحتم على السكان العمل نهاراً والحراسة ليلاً ، وقد أنهك هذا قواهم [أرشيف الدولة ، مكتب رئيس الوزراء : SS81/224/9012] . وفي ١٩٦٣ ، وصفت وزارة الشؤون الاجتماعية هؤلاء اليمنيين بأنهم « متخلفون بدائيون ، لاحول ولاقوة لهم » . وكان المرشدون الأشكناز يضغطون على اليمنيين كي يغيروا عاداتهم ، ثم هدموا سلطة الأب في العائلة . وكان معظم المرشدين مبعوثين حزبيين [لجنة مباي المركزية ، ٤٩/١/٤ ، أرشيف حزب العمل] . وعندما زرت (الكاتب) اليمنيين في رأس العين ، خلال الخمسينيات ، وجدت أن مرض السل قد انتشر بينهم ، بسبب الفاقة الاقتصادية .

وبعد عدة سنوات ، فرضت المؤسسة الاستيطانية على القرى الجبلية تربية الدجاج ، غير إن هذا العمل ماكان يشغل أكثر من ساعتين يوميا ، وعندما زاد الإنتاج أرغموا على تقليصه . ولم يكف هذا العمل ، إذ شكل أقل من نصف الدخل اللازم لكل عائلة ، فاستمر معظم سكان هذه القرى في العمل كعمال أجراء ، وغطت هذه الأعمال نفقات ٦٠٪ من معيشتهم . وفي المناطق الجبلية ، قرب القدس ، توقفت الأعمال تماماً ، وتحولت القرى التعاونية إلى أحياء سكنية فحسب . وأخذ السكان يهرعون مسافرين — صباح كل يوم — إلى خارج القرى لكسب الرزق . [هآرتس ، ٢٩ /٨ /٨٦] .

وفي منطقة لخيش في الجنوب ١٣ قرية تعاونية (من ضمن ١٤ قرية تعاونية) ، انهارت فيها الأسس التعاونية . ويعلل رئيس المجلس المحلي : أوحنا — هذا الانهيار بقوله : « ألبسونا إطاراً أُعدَّ لهم — للأشكناز » (يعني أن الأنظمة التعاونية لم تلائم يهود الإسلام) . ويقول بنحاس موسكو ، نائب رئيس هذه المنطقة في الوكالة اليهودية : إن معظم القرى التعاونية سوف تنهار وتتحول إلى قرى سكنية بدون أية صلة بالزراعة ، وقسم منها سوف يتحول إلى قرى سكنية تشمل بعض المزارعين . وأضاف : في المنطقة الواقعة بين إيلات وقسطينة ، توجد ٧٦ قرية تعاونية (٢٩ ألف نسمة) : ٤٨٪ منهم يتعيشون من الزراعة ، ١٩٪ يجدون معظم رزقهم خارج القرى ؛ لكنهم يعملون بالزراعة بصورة جزئية ، ٢١٪ يعملون خارج القرى ، ١٢٪ يعيشون على حساب التأمين الاجتماعي ، وعلى حساب وزارة الشؤون الاجتماعية [هآرتس ، ٨٦/٨/٢٢] .

وأخيراً ، نصف الأحوال في بعض هذه القرى التعاونية « موشابيم » ؛ مستندين إلى الصحافة الصهيونية ولاسيما جريدة هآرتس المستقلة :

موشاب بورات : بلغ عدد السكان عام ١٩٨٠ ألف نسمة ، وقدم الآباء أو الأجداد من ليبيا . وبما أن معدل عدد الأشخاص في كل عائلة هو ١٠ أفراد ، فقد بلغت الضائقة السكنية أقصاها ، حيث يعيش الآباء والأبناء والحفدة في نفس الوحدة السكنية ؛ لأن الأبناء كبروا وتزوجوا ، واستمروا

يعيشون في نفس الشقة . ويبلغ معدل الدخل السنوي الإجمالي للفرد ١٧ جنيه إسترليني . وتبلغ ديون القرية ١٩٣,٣٣٣ جنيه إسترليني . ولايستطيع الشبان ترك القرية ؛ لأنهم لم يتعلموا أية مهنة ، وليس بمقدورهم إيجاد محال سكنية لهم . وتقول جريدة هآرتس (٨٠/٩/٢٦) إن مشاكل القرية تشكل برميلاً من المتفجرات ، ولذلك ينتشر الإجرام وأعمال العنف في القرية وتخاف حافلات الإيجد أن تمر في القرية . وبسبب قلة مياه الري ؛ يبس معظم بستان القرية ، وهو عبارة عن ١٣٠٠ دونم حمضيات ، و ٣٠٣ دونم زهر . ويستولي على قلوب السكان التذمر إزاء سياسة التمييز العنصري . وقد اجتازوا – في الوقت الحاضر – مرحلة الحسد تجاه جيرانهم سكان المستوطنات الأشكنازية الغنية ؛ إنهم يريدون ترك القرية ، ولكن إلى أين ؟ بالرغم من أن مراسل « هآرتس » يكتب عن أسباب البؤس والشقاء في القرية ، فإنه يوجه إليهم الإهانات : يدعي أشير كشنير أنهم « متخلفون بالنسبة للحضارة (الأشكنازية) بعدة قرون » ، وذلك لأنهم يتمسكون بحضارتهم العربية الإسلامية الليبية . أما عنوان المقالة فهو « ورطة سكان الكهوف » ؛ بمعنى أن أمة العرب والمسلمين ، واليهود الذين عاشوا مع هذه الأمة ــ مازالوا يعيشون في مرحلة حياة الكهوف . وبعد سنة صرح اليهودي الليبي : شلمون كاردي ، لمراسل هآرتس : ي . همزراحي (٨١/١٠/٢) بأن اليهود الليبيين تقلدوا المناصب العالية في الحكومة والجيش والشرطة ، وحتى الألمان والإيطاليون عاملوهم بالإحسان !

موشاب الياقيم : تأسست هذه القرية لإسكان العدنيين عام ١٩٤٩ ، من دون أن يتم فحص التربة . وبعد عامين ، أدرك السكان أن التربة غير صالحة للزراعة ، وتركوا القرية . وبعد بضعة أعوام ، نُقل اليمنيون من معسكر صيمح إليها . وعندما أدركوا أن الأرض غير صالحة للزراعة ، أخذوا يعملون لصالح المؤسسة الاستيطانية ، كعمال أجراء . وتقول ساره إبراهيم إن أجرة زوجها الشهرية ١٢٠ جنيه إسترليني ، وإن أولادها تركوا القرية ؛ لأن الحكومة لم تسمح لهم بالبقاء . وتُضيف : « نود أن نعمل في الزراعة ، ولكننا لانقدر بسبب التمييز ضدنا » . ويقول سعديا سرّي ، أحد أعضاء المجلس المحلي : « إن من الممكن فلاحة الأرض ، بشرط أن يتلقى المزارعون معونات مالية من الحكومة » . ويستطرد سرّي قائلاً : « عندهم فلوس للمستوطنات في الأراضي العربية المحتلة ، ليش ماعندهم فلوس لمساعدتنا ؟ » . ويعيش نصف السكان في القرية على حساب التأمين الاجتماعي ، وثلثهم عاطلون [هآرتس ، ٨١/١١/٢٧] .

موشاب أبييم : تأسست هذه القرية عام ١٩٦٣ لإسكان المغاربة . وفي عام ١٩٨٢ ، بلغت ديون القرية ١٥ مليون شيقل . والأحوال السكنية في القرية يرثى لها . والأطفال يتلقون دراستهم من سن ٨ – ١٢ عاما فحسب ، والمدرسة لاتملك مكتبة أو مختبراً لتعليم العلوم الطبيعية ، ومستوى التعليم منخفض جدا . والآباء لايستطيعون دفع ضريبة الدخل ؛ لذلك تصادر الحكومة أجهزة الهاتف والتلفزيون وكل مايملكون من أثاث . وتحيط بالمنازل أكوام الزبالة التي تنشر الروائح الكريهة . ويتسكع الشبان في الشوارع ، بسبب البطالة . وفي القرية ممرضة واحدة ، ويأتي الطبيب مرتين في

الأسبوع . ونتيجة للتذمر الشديد ؛ أعلن سكان القرية الإضراب العام ، وانضم إليهم سكان القرى المجاورة ، مثل : شيفر ، ونطوع ، وغيرهما [زو هديريخ ، ٨٢/٣/٣١ و ٨٢/٣/٢٤] .

موشاب زرعيت : تقع هذه القرية على الحدود اللبنانية ، وتسكنها ٤٨ عائلة . ومن أهم أسباب التذمر فيها هو تراكم الديون ، وإرغام القرية على إنتاج ٣٢٠ بيضة **فقط** سنويا ! على حين يطالب السكان بإنتاج ٥٥٠ بيضة سنويا ؛ لسد ديونهم البالغة ٢,٢ مليون دولار . وتقول جريدة زو هديريخ (٨٦/٦/٢٦) إن السكان أعلنوا الإضراب العام ، وأغلقوا بوابات القرية ، بعد أن فشلت مفاوضاتهم مع السلطات . كما أنهم قرروا إعادة أسلحتهم إلى الجيش والامتناع عن الخدمة العسكرية الإلزامية الاحتياطية .

ويتهم رومان فريستر ، مراسل جريدة هآرتس (٧٠/٣/٦) – المؤسسة الصهيونية بخصوص حالة الإهمال ولاسيما في التعليم ، في قرية ملآخي . ويسمي القرية « قرية بدون ملائكة » استهزاءً باسمها العبري : ملآخ ؛ الذي يعني ملاكاً .

وتقول جريدة هآرتس (٧٠/٣/٦) إن ممثل الـ بي . بي . سي في إسرائيل ، قابل اليهود العرب ، سكان القرى الشمالية الذين يعانون من الفقر والتمييز . وقال معلقاً : إن هؤلاء اليهود العرب قد يتركون القرى ومدن التطوير الشمالية ، لا بسبب الأعمال الفدائية لمنظمة فتح ، وإنما بسبب : القلب البارد (القاسي) لأبناء تل أبيب (الحكام الأشكناز) .

وفي تقريره في جريدة هآرتس (٨٢/٤/٢) ، يقول دافيد أورين : إن الحكومة لاتنوي إنقاذ القرى من الإفلاس ، بل تفكر في تصفيتها وتحويلها إلى ضواحي سكنية . وهذا يعني أن الأراضي سوف تؤخذ من السكان وتمنح لشركات رأسمالية ، تقوم بتشغيل السكان في مشاريع مختلفة : زراعية وصناعية . وبذلك سوف يختفي الفارق بين مدن التطوير والقرى التعاونية – أي تحويل جميع سكانها من يهود الإسلام إلى أيد عاملة رخيصة ، تعمل لصالح الشركات الاحتكارية الرأسمالية الأشكنازية ، والكيبوتسات الأشكنازية المجاورة . وبعد خمس سنوات من نشر هذا التقرير ، اقترحت اللجنة المالية البرلمانية تصفية ٣٠ – ٤٠ تعاونية ـــ كما ذكر دافيد أورين . وارتفعت ديون التعاونيات من ٥٥٠ مليون دولار إلى ٢٠٠٠ مليون دولار ، خلال ١٩٨٥ – ١٩٨٧ ، وذلك بسبب ارتفاع نسبة الفوائد ، التي بلغت ١٠٠ – ١٥٠٪ في النصف الثاني لعام ١٩٨٥ ، و ٤٠٪ في ١٩٨٦ ، حتى بلغت قيمة الفوائد الإضافية خلال ١٩٨٥/١٩٨٧ – ٦٠٠ مليون شيقل (٣٥٠ مليون دولار) [ابري شوشان ، زوهديريخ ، ٨٧/٧/٢٩] .

خامساً ـــ الحزام الأسود (أحياء الفقر حول المدن) :

بدأت هذه الأحياء في النمو منذ نهاية القرن التاسع عشر ، عندما أخذت المؤسسة الصهيونية الأشكنازية توجه جميع الموارد اليهودية والتبرعات نحو المشروع الصهيوني ؛ أي إنشاء المستوطنات

الأشكنازية ، والإدارة الصهيونية ، والاستعدادات العسكرية السرية ، وأنظمة المخابرات .. إلخ . وفي المقابل أهملت مصالح الطائفة السفارادية (يهود الإسلام) التي سكنت المدن الكبرى ولاسيما القدس . هكذا ، انتشر الفقر في أحياء يهود الإسلام ، وانضم إلى هذه الأحياء آلاف من المهاجرين من أرض الإسلام ، الذين هاجروا إلى فلسطين لأسباب دينية ، منذ العهد العثماني (راجع الفصل الثاني والفصل الثالث) .

وبعد تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، واستجلاب مئات الآلاف من يهود العالم الإسلامي ، والزج بهم في معسكرات المهاجرين ، والمعسكرات الانتقالية ، ومدن « التطوير » ، والقرى « التعاونية » – هربت آلاف غفيرة من هؤلاء المهاجرين من المعسكرات الصهيونية – على اختلاف أسمائها الرنانة – لاجئة إلى الأحياء الفقيرة في المدن ، طلباً للرزق . وعلى هذا النحو توسعت هذه الحارات ، وعظم الفقر فيها ، وسميت بحارات الفقر أو الحزام الأسود ؛ لأن سكانها سمر مثل سائر أبناء الأمة العربية والإسلامية . وعندما تولى مناحم بيغن الحكم عام ١٩٧٧ ، وبدأ بمشروع « إنعاش » هذه الحارات ، بلغ عدد هذه الأحياء ١٦٩ حيًّا ، وشمل هذا الرقم بعض مايسمى بـ « مدن التطوير » .

ومن الناحية الاقتصادية ، لايوجد أي فارق مبدئي بين « مدن التطوير » و « حارات الفقر » عدا الفارق الجغرافي : مدن التطوير تقع في الريف وتزود المستوطنات الأشكنازية بالعمل الرخيص ، في حين أن حارات الفقر تشكل حزاماً حول المدن الكبرى ، وتزود رأس المال الأشكنازي بالعمل الرخيص ، والنساء الأشكنازيات بالخادمات ، ويذكر أن أسوأ أشكال الظلم يوجه نحو هؤلاء النساء الخادمات وبناتهن : هنّ محرومات من التعليم ، وعادة من الضمانات الاجتماعية التي تمنح للعمال النقابيين . وفيما يلي أعرض لأهم مشاكل أحياء الفقر :

١ – **مشكلة السكن** : هناك ازدحام سكاني فظيع : لقد كبر الأولاد وتزوجوا ، ولكن ليس بمقدورهم شراء وحدات سكنية لهم ، لذلك بقي الكثير منهم في نفس الشقق السكنية الصغيرة مع آبائهم وأمهاتهم ، وهناك وُلد أطفالهم . ومن هنا ترى ثلاثة أجيال تعيش في نفس الشقة الواحدة . وتنوي البلديات التي يسيطر عليها اليهود الأشكناز هدم هذه الحارات ، وتحويل أماكنها إلى مراكز تجارية أو سكنية غنية ، ولذلك تمنع السكان من توسيع منازلهم . وكثيراً مايبني يهود الإسلام غرفاً إضافية بدون ترخيص ، فتأتي الشرطة وتهدمها ، وفي غضون ذلك تقع اصطدامات دموية بين يهود الإسلام والشرطة ، ولاتنشر هذه الحوادث – طبعاً – بسبب النفوذ الصهيوني في الإعلام الغربي (وتعاني القرى العربية الفلسطينية من نفس المشكلة وعلى نحو مماثل) .

٢ – **مشكلة التعليم** : هناك هوة عميقة بين مدارس هذه الحارات (ومدارس يهود الإسلام عموماً) والمدارس الأشكنازية . وتتمثل هذه الهوة في نوعية مبنى المدرسة ، ومستوى التعليم ، وقدرة المدرسين ، والعتاد الثقافي مثل المختبرات والكتب ... إلخ ، وكذلك ، عدد الطلاب للصف الواحد . وبسبب هذه الأحوال الرديئة ، تكثر مشاكل الطاعة والشغب . وكثيراً مايترك الطلاب

التعليم منذ المرحلة الابتدائية ، على الرغم من قانون التعليم الإلزامي . ومن أجل تغطية هذه الظروف ؛ قررت الحكومة إرسال قسم من طلاب يهود الإسلام إلى المدارس الأشكنازية في الضواحي الغنية ، ثم سمّت هذه المدارس : « المدارس الشاملة » . إلّا أن طلاب يهود الإسلام لم يندمجوا باليهود الأشكناز ؛ لأن إدارة المدارس فصلتهم عن الصفوف الأشكنازية ، وأقامت صفوفاً خاصة بهم ، تُعرف بصفوف « المستوى المنخفض » ، وهذا بطبيعة الحال يمس بكرامة الطلاب المعنيين . كما أن إدارة المدرسة والمدرسين والطلاب الأشكناز يعاملون هؤلاء « المتخلفين » بصورة أبوية مهينة . وعندما تنتهي ساعات الدراسة ؛ تأتي الحافلات وتأخذ طلاب اليهود العرب إلى أحيائهم المأساوية ، على حين يبقى اليهود الأشكناز في المدرسة للاشتراك في النشاطات الثقافية والحضارية والرياضية والموسيقية ... إلخ . وعندما تُقام حفلات طلابية – مساءً ، يمنع اشتراك الطلاب « السود » ، أي اليهود العرب . وأحياناً ، يأتي هؤلاء المنبوذون ويحاولون الدخول بالقوة ؛ فتحدث اشتباكات عنيفة بين الجانبين (انظر الفصل السابع : عن سياسة التجهيل والقمع الحضاري) . وتعاني المدارس الفلسطينية من نفس المصاعب وعلى النحو نفسه ، غير إن إسرائيل لم تقض على اللغة العربية هناك كما فعلت في مدارس يهود الإسلام .

٣ – **البطالة وتسيب الشبيبة** : تعد البطالة من أهم أسباب الفقر ؛ ففي قرية آتا – مثلا – انتحر ثمانية مفصولين عن العمل (زوهديريخ ، ٢٥/٦/٨٧) . والذين يعملون يتلقون أجوراً متدنية جدا ؛ لأنهم – عادة – يشغلون الأعمال غير التقنية . وإذا أضفنا حجم العائلة – وهو ضعف حجم العائلة الأشكنازية أو أكثر ، والأحوال السكنية ، وقلة المؤهلات الناتجة عن سوء مستوى التعليم وغلائه ؛ ندرك الفارق بين مستوى معيشة اليهود العرب ومستوى معيشة اليهود الأشكناز . وكانت حكومة بن غوريون قد شجعت التكاثر الطبيعي ، ومنحت جائزة قدرها ٥٠ ليرة لكل أم تلد ١٠ أطفال فأكثر ، ووقع الكثير من الأمهات في هذا الشرك ، ذلك أن الدولة احتاجت إلى الكثير من العمال والجنود ، ليكونوا لحوماً لمدافعها .

وهناك آلاف كثيرة من الشبيبة التي لاتعمل ولاتدرس ، كما أنها ترفض الخدمة العسكرية الإلزامية . وهناك أحياء كاملة مغلقة : « مناطق لا للمرور » في وجه السلطات العسكرية ؛ أي إن هذه السلطات لاتتمكن من فرض قانون التجنيد الإجباري على هذه الشبيبة . وهذه السلطات تعرف أنها إذا حاولت تجنيد سكان هذه الأحياء بالقوة ، فسوف تقع اصطدامات دموية تؤثر على معنويات الجيش « الذي لايقهر » . والذين يحترمون هذا القانون هم قلة من الشواذ ، يتعرضون للتهكم والتحقير من جانب أصدقائهم في الحارة ، والسؤال النموذجي الذي يعرض عليهم : « لماذا تخدم هذه الدولة ؟ ماذا فعلت هذه الدولة من أجلك ؟ » . وقد أخذ الجيش يتغاضى عن هؤلاء الفارين ، أما الدولة فقد سنت القوانين التي تقلص حقوق الذين لايخدمون في الجيش ، أي المسلمين والمسيحيين واليهود العرب ، الذين يرفضون الخدمة العسكرية ، أما طبقة أرباب العمل الأشكناز فقد أخذ أعضاؤها يعاملون الفارين كمنبوذين ، ويرفضون تشغيلهم . وهذه المقاطعة الحكومية والرأسمالية

جعلت أوضاع هذه الفئات أكثر سوءًا ؛ فانتشرت هناك الانتفاضات الشعبية التي ترفض الصهيونية والتسلط الأشكنازي ، وتتعاون مع الشعب العربي الفلسطيني (انظر الفصل الأخير) – على أساس وحدة المصير ووحدة الأمة العربية والإسلامية .

وأدت أحوال الفقر والجهل إلى نمو الحالة التغريبية والجنوح والإجرام وتعاطي المخدرات والدعارة بين الشبيبة . ومن الجدير بالذكر ، أن هذه الظواهر كانت شاذة تماماً في المجتمع اليهودي ، في الوطن العربي والإسلامي . ويقول علماء الاجتماع إن الإجرام في صفوف الفئات المظلومة هو نوع من أنواع التحدي والكفاح المتسم بالعنف ضد السلطات وضد المجتمع النخبوي . وهذا هو سبب العنف في صفوف الأفارقة في الولايات المتحدة ، وفي صفوف الشعب الفلسطيني في الداخل .

والحق يجب أن يقال : إن إهمال « الحزام الأسود » لم ينتج عن العنصرية الصهيونية فحسب ، وإنما عن السياسة العدوانية ضد الشعب العربي الفلسطيني والأمة الإسلامية ، إذ إن ٧٥٪ من ميزانية الدولة تصرف على الأمن ، وهذا يشمل الجيش والحروب والصناعة العسكرية والشرطة والمخابرات ، والاستيطان في الأراضي المحتلة ، والسجون ، وسداد الديون وفائدتها . وقد تكلف غزو لبنان مليون دولار يوميا ، ناهيك عن الحروب السابقة ، وعن تمويل المرتزقة في جنوب لبنان ، ومساعدة الكتائب ، ومصروفات شبكات التجسس في الداخل والخارج . ولوانتهجت إسرائيل سياسة سلمية ؛ لتقلصت مصاريف الأمن ، ولكثرت الأموال الموجهة للخدمات الاجتماعية ولضواحي الفقر . هكذا ؛ التقت مصالح يهود الإسلام في إسرائيل مع مصالح الشعب الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية ، وهكذا ؛ رفع يهود الإسلام الشعار : اصرفوا الأموال على ضواحي الفقر ، لا على المستوطنات ! وعندما أخذت السلطات توجه أموالاً – لاتملكها – لتقوية قبضتها الاستعمارية على لبنان والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة ؛ استخدمت التضخم المالي ؛ أي إنتاج الليرات بالبلايين بدون أية تغطية اقتصادية ، وبلغت نسبة التضخم المالي أكثر من ١٠٠٠٪ ، وبذلك تآكلت الأجور ، وانتشر الفقر . وعندما قامت حكومة الائتلاف بين الليكود والعمل (١٩٨٤) ؛ لجأت هذه الحكومة إلى تقليص الخدمات الاجتماعية والثقافية ، وكان الفقراء ضحية هذه السياسة الاقتصادية – طبعاً . ومن هم هؤلاء الفقراء ؟ إن أكثر من ٩٥٪ منهم هم من يهود الإسلام ومن أبناء الشعب الفلسطيني ، أضف إلى هذا التضامن (الاقتصادي !) – وحدة اللغة والحضارة والتاريخ ، ووحدة الوطن : العربي الإسلامي ، ووحدة اللون والعادات والتقاليد والأخلاق ... إلخ .

٤ – **مشكلة العجائز** : صرح الدكتور يولي نودلمان ؛ من مستشفي رَمْبام في حيفا – بأن منظر العجائز الذين يعيشون في مؤسسات العجائز في إسرائيل ، يشبه منظر الناس الذين خرجوا من معسكرات الاعتقال النازية ؛ في نهاية الحرب العالمية الثانية [هآرتس ، ٨٠/٣/٧] . وقد وصل عدد العجائز اليهود في نهاية ١٩٨٦ إلى ٤٣٠,٠٠٠ فرد (من ضمن ٣,٥ مليون نسمة) ، أكثر من نصفهم يعيشون تحت « خط الفقر » ، ولايملكون حقوق التقاعد ، ويعيش ١٢,٦٠٠ فرد منهم في مؤسسات خاصة ، أما الباقي فمعظمهم يعيشون بدون عناية في أحوال سكنية ومعيشية يرثى لها

[تحقيق منظمة الجوينت الأمريكية – محاضر الكنيست ، حزيران ١٩٨٧] . وتنتظر إسرائيل موتهم ؛ لأنها تعتبرهم « جيل الصحراء » ؛ أي الجيل الذي وُلد وتربى في الوطن العربي ، ولغته الوحيدة هي اللغة العربية .

٥ – **حالة النساء والبنات في الحزام الأسود** : ذكرنا أن معظم النساء والبنات في مجتمع يهود الإسلام تحول إلى جيش جرار ؛ من الخادمات اللائي يعملن في بيوت النساء الأشكنازيات ويتلقين أجوراً قليلة ، حسب ساعات العمل . ومعظمهن محرومات من الضمانات الاجتماعية التي تمنح للعمال النقابيين . وهن يقفن – عادة – عند ركن شارع معين (سوق العبيد) ، فيأتي اليهود الأشكناز ويختارون المرأة أو البنت التي يريدونها . وتكوّن الفتيات أكثرية التلاميذ الذين يتركون المدارس الابتدائية ؛ من أجل مساعدة عائلاتهم . وهناك عدد كبير من النساء والبنات اللائي يعملن في المعامل والمزارع كقوة عمل مؤقتة ، موسمية ، رخيصة .

وبسبب أوضاع الفقر والجهل وانهدام التقاليد العربية والإسلامية في عائلات كثيرة ؛ سقطت فتيات كثيرات إلى حضيض الدعارة . ونشرت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بحثاً (هآرتس ، ٨١/٩/١٨) عن الدعارة ؛ يقول : إن ٩٧٪ من الفتيات العاهرات هن من أصل عربي . ويقول بحث آخر نشرته دينه غيل (هآرتس ، ٨١/١/٣٠) : إن الأمهات **غير المتزوجات** يعانين من نقص التغذية . وإن ٥٠٪ منهن مغربيات الأصل ، ومعظم الباقي من أصول عربية أخرى . ولم تكن هذا الظاهرة قسماً من حياة اليهود في الوطن العربي الإسلامي ، وإنما من صنع « إسرائيلي – صهيوني » . وتقول دائرة الشؤون الاجتماعية الحكومية (هآرتس ، ٨٠/٣/٢٠) : إن ٣٨٪ من الأرامل يعشن تحت خط الفقر ، و ٤٣٪ منهن يعملن خادمات ، و ٢٥٪ لم يتلقين أية ثقافة مدرسية قط . ويؤكد البروفسور شبيح وايز (زوهديريخ ، ٨٣/٨/٢٤) إن حالة المرأة في إسرائيل أسوأ بكثير من حالة المرأة في الغرب : هناك ٦٠,٠٠٠ امرأة إسرائيلية تعاني من الضرب المبرح ، والبوليس لايتدخل في هذا الأمر – عادة . وبسبب تقليص الخدمات الاجتماعية ؛ تغلق الحكومة الملاجىء التي تُعنى بهؤلاء النساء . وتبلغ أجور النساء ٦٠٪ من أجور الرجال ، وفي الزراعة تنخفض هذه النسبة إلى ٥٠٪ . ويبلغ عدد المهن في إسرائيل ٣٥٢ مهنة ، إلّا أن ٥٠٪ من النساء يعملن في ٢٠ مهنة منها فقط . ومن ضمن الموظفين في الدرجات الخمس العليا يوجد ٦٪ من النساء فقط . وانخفضت نسبة النساء في الحكم المحلي من ٤٪ عام ١٩٥٠ إلى ٢٪ عام ١٩٨٣ .

إن هذه الإحصاءات قد تضلل القارىء الذي لم يعش في البلد ؛ لأن الفجوة العميقة ليست بين النساء الأشكنازيات والنساء في البلدان الغربية ، وإنما بين النساء الشرقيات (يهوديات ومسلمات ومسيحيات) والنساء الغربيات (أشكنازيات أو نساء البلدان الغربية) . وعلينا أن نذكر أن اليهوديات من أصل عربي يمثلن ٧٠٪ من اليهوديات عموما ، أضف إلى ذلك النساء الفلسطينيات ، وهن يمثلن ١٧٪ من مجموع النساء في البلد . واليهود الأشكناز يخلطون الأرقام ؛ لأنهم لايحبون الاعتراف بالعنصرية الأشكنازية الصهيونية ؛ إذ إنهم – كمجتمع – يستفيدون ماديًّا منها . وبالرغم

من الحقائق الآنفة الذكر ، ينشر الإعلام الصهيوني في الخارج أسطورة تحرير المرأة في إسرائيل . والحقيقة هي أن حالة المرأة اليهودية من أصل عربي وكرامتها الإنسانية كانتا أفضل في أرض الإسلام . وعندما بحثت هذه القضية مع سياسي بريطاني يؤيد القضية الفلسطينية ، قال بحزن : « الأنظمة العربية زودت المستوطنين الأشكناز بجيش جرار من الخادمات » .

وأود – فيما يلي – أن أعرض شيئاً من الأوضاع في بعض هذه الأحياء الفقيرة :

حي المصرارا : هو أحد أحياء الفقر في القدس – بين القدس الجديدة والبلدة القديمة . وفيه نشأت حركة « الفهود السود » طليعة حركة تحرير يهود الإسلام من الظلم الصهيوني . وهذا وصف للأوضاع السكنية فيه :

- ٣٨٪ من السكان يعيشون في أحوال سكنية مزدحمة ، أي أكثر من ٣ أشخاص في غرفة واحدة .
- ٥٨٪ منهم يعيشون : أكثر من ٢ في كل غرفة .
- ٥٨٪ من المساكن تعاني من الرطوبة .
- ٥٣٪ من المساكن لا تملك الشروط الصحية اللازمة .
- ٣١٪ من العائلات لها أكثر من ٦ أطفال . والعائلة التي تسكن في شارع الأنبياء في العقار رقم ٥ ، لها ٨ أفراد يعيشون في غرفة ونصف الغرفة .
- من ضمن صف مدرسي يشمل ٢٥ طالباً : ٣ فقط قبلوا في مدرسة صناعية ، ولم يقبل أي منهم للدراسة في مدرسة ثانوية أكاديمية .
- ١٩٪ من الشبيبة (سن ١٦–١٧) لا يعملون ولا يدرسون .
- ٢٥٪ من الشبيبة لا يلتحقون بالقوات المسلحة (يعني يرفضون الخدمة) .
- ٣٩٪ من الرجال (سن ٢٢–٣٠) عاطلون عن العمل .
- ٦٥٪ من الأطفال لهم والد أُمّيّ أو والدة أُمّيّة .
- ٢٥٪ من الأطفال هم أبناء أُمّيّين .
- ٥٠٪ من الكبار لا يملكون ثقافة ابتدائية .

وعلينا أن نذكر أن معظم هؤلاء الأميين وُلدوا أو تربّوا في إسرائيل ، التي تدعي أنها « تقدمية » ، ولم يولدوا في الدول العربية « المتخلفة » – حسب أقوالهم [هآرتس ، ٧٩/٦/١٥ ، للمراسل عقيبة إلدار] .

وفي عام ١٩٨٢ ، بنت السلطات ٣ ملاجىء ضد الغارات الجوية ، ولكنها لم تبنِ ولو شقة سكنية واحدة (زوهديرخ ، ٨٣/٢/٩) ، ولذلك قررت عدة عائلات احتلال أحد الملاجىء وتحويله إلى مسكن ، تحدياً للقانون وللسلطات العسكرية .

وتنوي السلطات إرغام السكان على الرحيل من هذا الحي الاستراتيجي الواقع بين القدس القديمة والقدس الجديدة ، حيث تحدث اتصالات وديّة بين يهود الإسلام في الحي وأبناء الأمة الإسلامية في

القدس القديمة ، وهذا يعتبر خيانة في نظر المستوطنين الأشكناز ، وتريد أن تهدم الحي وأن تبني محله ضاحية فاخرة للأشكناز الأغنياء . وفي هذا الحي يسكن شارلي بيطون ؛ زعيم حركة الفهود السود ، المتهم « بإجراء مقابلات سرية مع « أبو جهاد » في سويسرا ، وبحيازة حساب سري في أحد البنوك السويسرية » . وهكذا ؛ تعتبر السلطات والمخابرات والبوليس السري ــ المغاربة والعراقيين في الحي « خطراً أمنيا » يجب إزالته من قلب المدينة .

وتقول شيلي بن عمي إن زوجها محبوس ، وهي تعيش بدون مأوى ، مع العلم بأن ابنها يعاني من مرض التهاب القصبات . ويعيش كثير من الآباء والأبناء والحفدة في شقة واحدة تحتوي على غرفة واحدة فقط . وتشير أورلي ادري إلى أنها تعيش مع زوجها وأطفالها الخمسة في منزل متداع ، وقد احتلته عنوة (تعني تحدياً للسلطات) . ويتعرض المنزل للرياح الباردة والمطر والرطوبة ؛ لعدم وجود شبابيك يمكن إغلاقها ، ولذلك فإن أطفالها مصابون بمرض التهاب القصبات . وقد أرغمت ٢٤ عائلة على شراء شقق سكنية رخيصة جدا في معليه ادوميم بالضفة الغربية المحتلة ، إلّا أن هؤلاء الناس نادمون ويحاولون العودة إلى المصرارا ؛ لأنهم يؤيدون حقوق الشعب الفلسطيني ، ويعارضون الاحتلال والاستيطان في الأراضي المحتلة .

وقد بلغ عدد سكان الحي عام ١٩٦٧ - ٦٠٠٠ نسمة . ومنذ ذلك العام حتى ١٩٨٣ ؛ تمكنت السلطات من إبعاد ٣٠٠٠ نسمة عن الحي . ويستمر الضغط على الباقي ، بغية إفراغ الحي تماماً . ويقول رئيس بلدية القدس ــ تدي كوليك :.إن الازدحام السكاني في القدس أكبر من الازدحام السكاني في تل أبيب بأربع مرات ، وإن بناء أحياء سكنية فاخرة للأشكناز قد يسبب اضطرابات في أحياء اليهود العرب ، تشبه اضطرابات المغاربة في وادي الصليب في حيفا عام ١٩٥٩ [هآرتس ، ٧٠/٣/٦] .

شخونة هأرغَزيم (حارة الصناديق) في تل أبيب : وهي إحدى حارات الفقر جنوب تل أبيب* ، سكنها يهود الإسلام الذين هربوا من المعسكرات الانتقالية والقرى التعاونية ومدن التطوير ؛ ولذلك ترفض البلدية تقديم الخدمات لهم : فالسكان محرومون من المياه والكهرباء وإصلاح الطرق والمجاري ، وتشكل الأوضاع غير الصحية خطراً على سلامة الجمهور ، إضافة إلى ذلك ، ينتشر الإجرام بين الشبيبة المسيبة .

وتقول جريدة هآرتس (٨٠/١٠/٢٤) إن السكان يبنون بيوتهم من الخشب والزفت والبراميل الفارغة ، وتسيطر على الحي جيوش جرارة من الفئران ، ويتعرض الناس للرطوبة والمطر والبرد القارس . ويبلغ عدد العائلات التي تقطن هذا الحي ٢٠٠ عائلة . وعندما تهطل الأمطار ، تفيض

* أكبر حارة فقيرة في تل أبيب هي : شخونة هتكفا ، وهي تحتوي على ٥٠٠٠ شقة سكنية ، منها ٣٠٠٠ شقة صغيرة جدا – ١,٥ غرفة للشقة [هآرتس ، ٧٩/٦/١٥] . وفي شهر نيسان ١٩٨٧ ، نشر الصهاينة العنصريون في الصحف الإسرائيلية أن الإجرام قد تفاقم في هذه الحارة ، بسبب الفلسطينيين الذين يسكنون هناك ويعملون بتل أبيب ، غير إن البلدية نفت هذه المزاعم .

البواليع بمحتوياتها . أما في أيام الحر ؛ فإن البواليع تبث روائح كريهة لاتطاق ، وآلافاً غفيرة من الحشرات المؤذية . وقد قدم سكان الحي من البلدان العربية والإسلامية عام ١٩٥٠ ، أما الآن فقد أصبحوا عجائز ومرضى ، لايهتم أحد بهم .

وفي عام ١٩٧٥ قررت البلدية نقلهم إلى أماكن سكنية أخرى ، فأسكنت – في إطار هذا القرار – ٢٨ عائلة ، ثم أوقفت المشروع ؛ بسبب « قلة المال » . واقترحت البلدية دفع مبالغ خاصة لكل من يترك الحارة ، إلّا أن هذه المبالغ لاتكفي لشراء شقق سكنية .

وعلى مسافة غير بعيدة ، بنت البلدية – بالرغم من « قلة المال » — ضاحية جميلة « نافيه شاديت » لليهود المهاجرين الجدد من الاتحاد السوفياتي . وقد أدى هذا التمييز الوقح إلى انتشار التذمر والعنف ضد اليهود الروس ، وأخذ أطفال يهود الإسلام يرمون هذه الشقق الجميلة بالحجارة ، فهاجر عدد كبير من هؤلاء المهاجرين إلى الولايات المتحدة ، وقالوا إنهم لايرغبون العيش على مقربة من « هؤلاء العرب السود » ، أي يهود العالم الإسلامي [نفس المصدر] .

حارة « د » في طبريا : يقول تقرير جدعون ايلون (هآرتس ، ٨١/٤/٣) إن عدد سكان هذه الحارة بلغ ١٢,٠٠٠ نسمة ، أي نصف سكان مدينة طبريا . وتتميز الحارة ببشاعة بيوتها وبأكوام الزبالة المنتشرة في جميع أنحائها ، وبالحالة التغريبية التي تفصلها عن باقي المدينة . ولذلك ، هرب الكثير من سكانها تاركين وراءهم ٢٣٣ شقة سكنية فارغة . أما الشقق الباقية فهي مزدحمة بالسكان ، ففي ٢٠٠ شقة يبلغ معدل الأشخاص للغرفة الواحدة ما بين ٢ – ٣ أشخاص . وهذه الشقق صغيرة جدا : مساحة الواحدة منها ٣٤ – ٥٤ م٢ ، أما باقي الشقق فمساحة الواحدة منها تبلغ ٦٤ م٢ . وتعاني هذه المساكن من الرطوبة والروائح النتنة . وبسبب الفقر المدقع ؛ وصل عدد العائلات التي تعيش على حساب المساعدات الاجتماعية إلى ما يتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ عائلة . وهناك أكثر من ٢٠٠ عائلة تضم كل منها أكثر من ١٠ أولاد . كما أن هناك مئات النساء الأميّات ، إذ إن الطلاب يتركون المدارس بالرغم من التعليم الإلزامي . وهناك عشرات الأولاد الذين لايدرسون ولايشتغلون . وتأخذ الحكومة كل عام ٤٠ – ٥٠ طفلاً وترسلهم إلى المؤسسات الخاصة التي تعتني بالأطفال ، ممن ليس لهم آباء وأمهات في إسرائيل .

ويقول رئيس لجنة مشروع إنعاش حارات الفقر : حييم هيخت – إن أكثرية العمال في الحارة تشتغل في معامل الكيبوتسات الأشكنازية ، في غور الأردن . ويعامل أعضاءُ الكيبوتسات هؤلاء العمال كحطابين وسقاة ماء ، يعني يستغلونهم للقيام بالأعمال الدنيا ، ويدفعون لهم أجوراً قليلة . وإمكانية التقدم المهني هناك – محدودة جدا . وفي غضون السنوات الأخيرة ، تفاقمت الحالة التغريبية بينهم وبين أرباب العمل « الاشتراكيين » . ويضيف نفس المصدر أن الكثيرين يتعاطون المخدرات ، ويلعبون القمار . ويستفحل الإجرام والسلب في الحي ، حتى إنه من الخطر أن تخرج الفتاة إلى الشارع وحدها ليلاً . ويشير غادي بن بورات ، مدير المركز الاجتماعي – إلى أن مشروع إنعاش الحارة الذي بدأ عام ١٩٧٩ ، يهدف إلى تجميل الظواهر الخارجية ، ولايعالج المشاكل الأساسية

بصورة جذرية .

وفي مدينة بيتح تكفا ، اضطر ز . شاشا وعائلته إلى السكنى في الشارع ، أمام بناية المحكمة ، فمرض أحد أطفاله بذات الرئة ، ومرض الآخر بقلة السوائل (الجفاف) . وكان شاشا نفسه رجلاً مريضاً يعاني من أمراض الكلية والتنفس ، وكان قد أرغم على العمل الشاق كصباغ . كما كان قد حاول اعتناق الدين الإسلامي ثم الدين المسيحي والعودة إلى وطنه العراق ؛ احتجاجاً على الظلم الصهيوني . وبعد مماطلة حكومية دامت ٤٠ يوماً ، انتحر وأحرق نفسه في حزيران ١٩٨٧ . وحينئذ ، وبعد ضجة إعلامية ، وافقت السلطات على منح شقة بالإيجار لأرملته ولأيتامه . وكان ز . شاشا ينتمي إلى عائلة محترمة معروفة في بغداد ، وهي عائلة بيت شاشا [الملحق الأسبوعي لجريدة هآرتس ، ٢٦/٦/٨٧] .

على النحو الذي عرضنا ، نجحت المؤسسة الصهيونية في هضم مئات الآلاف من المهاجرين من دار الإسلام ، وتحويلهم إلى قوة عمل رخيصة . ومن الممكن توضيح هذا النجاح بواسطة البحث العلمي الذي وضعته نزهة قصّاب ، عن مصير اليهود العراقيين في إسرائيل [شيبط وعام ، ١٩٨٧] . فبالرغم من أن هذه الطائفة (١٢٥,٠٠٠ نسمة) ناضلت نضالاً مستميتاً ؛ من أجل الحفاظ على ثقافتها ومهاراتها المهنية ، أكثر من باقي الطوائف التي هاجرت من أرض الإسلام — فإن نضالها باء بالفشل ، على نحو ما يبرهن عليه الإحصاء التالي الخاص بالتركيبة المهنية في هذه الطائفة ، عند هجرتها من العراق عام ١٩٥٠/١٩٥١ :

— ١٦٪ عملوا في الجهاز الإداري والأعمال المكتبية العراقية .

— ٦٪ عملوا في المهن الحرة والمهن التكنولوجية .

— ٢٧٪ عملوا في التجارة الداخلية ، وسيطروا على التجارة الخارجية وقسم كبير من البنوك .

— ٥١٪ أصحاب حرف يدوية : صيّاغ ، نجارون ... إلخ .

وبعد ١٠ سنوات من الهضم الصهيوني ، تحولت التركيبة المهنية إلى مايلي : ٢٨٪ عملوا في التجارة والجهاز الإداري والمهن الحرة (عادة ، تحت درجات الأشكناز) ، و ٧٢٪ أصبحوا عمالاً .

ويعني ذلك أن نسبة التجار انخفضت من ٢٧٪ إلى ٧٪ (وانخفضت مكانة هؤلاء التجار وأهميتهم بالمقارنة بالتجار الأشكناز . وهذا الأمر الكيفي أهم من الأرقام الكمية) ، وانخفضت نسبة أصحاب الياقات البيضاء من ٥٠٪ — تقريباً — إلى ٢٨٪ . أما أصحاب الحرف والدكاكين الصغيرة فقد فقدوا استقلالهم الاقتصادي ، وأصبحوا عمالاً أجراء يتعرضون للبطالة والمهانة والاستغلال الاقتصادي . وكان عدد الأطباء ٤٩٠ ، وعدد المهندسين ٢٢٤ ، وعدد المدرسين والأساتذة ٧١٦ (اعتقد أن هذه الأرقام لاتشمل الذين بقوا في العراق وهاجروا بعد ذلك إلى الغرب) . أما أولادهم وحفدتهم الذين تربوا أو ولدوا وتربوا في إسرائيل — خلال الـ ٣٧ عاماً الماضية ، فقلما وصلوا إلى

درجتهم الاجتماعية والثقافية . ماذا حدث لأولاد الأطباء والكتّاب والمهندسين والمحامين والأساتذة والشعراء ؟ هذا هو سر « أمني » معروف ! إن المعسكرات الانتقالية ، ومدن التطوير ، والقرى التعاونية ، وحارات الحزام الأسود - لم تنتج ما أنتجته بغداد وطائفتها اليهودية : لقد انتجت هذه المعسكرات الصهيونية عمالاً غير ماهرين ، شبيبة جانحة ، تعاطي المخدرات ، بيوت الدعارة ... إلخ . والذين وصلوا إلى قمة الهرم السياسي والعسكري (وهم حالات نادرة) ، يقولون ماقاله لهم أسيادهم الأشكناز الذين عينوهم وانتخبوهم . ولقد كان مصير اليمنيين والمغاربة أسوأ بكثير ، وهم أغلبية يهود الإسلام في البلد . وكان التمييز العنصري الموجه ضدهم أقسى بكثير من ذلك الموجه ضد العراقيين ، إذ إن العراقيين ـــ بصورة عامة - كانوا أكثر تقدماً ولاسيما من حيث الوعي السياسي ، واشتركوا اشتراكاً فعالاً في الحركة التحريرية العراقية والعربية قبل أن يبيعهم نوري السعيد إلى بن غوريون .

الفصل السادس

قضية التمثيل

انعدام التمثيل في الجهاز الحكومي :

إن قضية التمثيل هي في الحقيقة انعدام تمثيل يهود الإسلام في أجهزة الدولة ، على الرغم من كونهم أغلبية ساحقة في السكان اليهود . وقد نتج هذا الانعدام عن ثلاثة عوامل :

١ – طريقة الانتخابات الحزبية .

٢ – تمويل الأحزاب الصهيونية الأشكنازية بأيدي المؤسسة الصهيونية والدولة (أي بواسطة الضرائب التي يدفعها الشعب عامة ؛ بما فيه أبناء فلسطين) .

٣ – الحيلولة دون قيام أية منظمة سياسية تناضل من أجل مصالح يهود الإسلام ، وإضعاف ثم احتواء جميع المنظمات السفاردية التي قامت على الصعيد القطري ، وعلى الصعيد العالمي ، وتدمير استقلاليتها ؛ بواسطة التغلغل الهدام ، والتجسس ، والرشوة ، والفصل عن العمل .

وحتى الأقلية الضئيلة التي دخلت البرلمان ، وتقلدت المناصب الوزارية الحكومية والهستدروتية والعسكرية ؛ لا تُمثل مصالح يهود الإسلام ؛ بل تمثل مصالحها الأنانية الشخصية ولاسيما مصالح الأحزاب الأشكنازية الصهيونية ؛ التي عيّنتها ، وبالأحرى مصالح المجتمع الأشكنازي ونظامه الصهيوني . وهذا ينطبق تماماً على « الأقلية » الفلسطينية في دولة إسرائيل ، ولاسيما بخصوص القوائم العربية الانتخابية المرتبطة بالأحزاب الصهيونية .

إن انعدام التمثيل الديمقراطي في سائر أجهزة الدولة (وليس في البرلمان فقط) بالنسبة للسكان السمر : يهود الإسلام والفلسطينيين – هو أحد القسمات المشتركة الرئيسية بين دولة إسرائيل وجنوب إفريقيا ، ربما ليس من ناحية الشكل وإنما من ناحية المضمون . وسوف نرى في هذا الفصل كيف برهنت إسرائيل لجنوب إفريقيا على أنه من الممكن إعطاء حق التصويت لجميع « الملونين » – حتى لنسائهم – بدون منحهم حق المشاركة في الحكم على اختلاف مؤسساته .

هكذا ؛ بنت إسرائيل المشاركة الوحيدة في نظام الحكم وفي الاقتصاد بين البيض والسمر ؛ على نظرية التقاسم الوظيفي بين الراكب والمركوب ؛ بين الحاكم والمحكوم ؛ بين صاحب العمل الرأسمالي والمستدروتي الأشكنازي من جانب والعامل السفاردي والفلسطيني من جانب آخر .

رأينا في الفصل الثالث كيف ساعد الإنكليز المؤسسة الصهيونية على التسلط على جميع اليهود في فلسطين ؛ سواء أكانوا مستوطنين أشكنازاً ، أم يهوداً فلسطينيين ، أم يهوداً عرباً هاجروا إلى فلسطين في هذه الفترة . والإجراء الديمقراطي الوحيد الذي أيده الانتداب البريطاني في بادىء الأمر هو طريقة الانتخابات للمجلس النيابي اليهودي ؛ الذي تمتع بصلاحيات محدودة ، والتي تعرف منذ العهد الروماني باسم « كوريا » ، وبموجبها انتخبت كل من الطائفتين اليهوديتين عدداً من النواب ؛ يتفق مع نسبتها في المجتمع اليهودي . وبهذه الطريقة حاز يهود الإسلام على ٢٤,٧٪ من مجموع المقاعد ، وهي نسبة كانت تتفق مع نسبة الطائفة بين باقي اليهود – آنذاك .

وفي ١٩٤٥ ؛ قررت المؤسسة الصهيونية استبدال الطريقة الحزبية النسبية بهذه الطريقة . وبموجب الطريقة الجديدة لايستطيع الناخب أن ينتخب شخصاً معيناً يعرف خصاله ، وميوله السياسية ، ومؤهلاته ... إلخ ؛ بل يجب عليه أن ينتخب هذا الحزب أو ذاك . وبما أن جميع الأحزاب كانت – ولاتزال – أشكنازية وصهيونية تمول من قبل المؤسسة الصهيونية ؛ فقد استطاعت أن تعين زعماءها نواباً ؛ حسب نسبة الأصوات التي احتازتها . ثم حاولت هذه الزعامات تغطية التمييز بواسطة تعيين عدد ضئيل من أدواتها في المجتمع السفاردي نواباً ، وعادة ماكانت تختار الأشخاص الذين لايتمتعون بأية شعبية محلية أو قطرية ؛ لكي تتمكن من إقصائهم عن مناصبهم عندما تقوى شوكتهم (مؤخراً ؛ ساعد حزب الحيروت اليميني بعض الكوادر السفاردية على الارتقاء الحزبي ؛ بسبب شعبيتها المحلية ، وأدى ذلك إلى تقوية نفوذ يهود الإسلام في الحزب – أعني بصورة خاصة جماعة داؤد ليفي ؛ المغربي) .

وقد أدرك يهود الإسلام أن هذه الخدعة تهدف إلى تقليص نسبتهم في « المجلس النيابي » ؛ ولذلك عارضوها ، واقترحوا طريقة الانتخابات النيابية والمحلية المتبعة في بريطانيا . وبموجب هذه الطريقة ينتخب الناخب المرشح الذي يريده بصورة شخصية ، والمرشح الذي يحتاز أغلبية الأصوات يُعيَّن نائباً ، وهذا يعني في الحقيقة منح يهود الإسلام حق انتخاب أبنائهم الذين يمثلون مصالحهم ومصالح حاراتهم الفقيرة . ولاغَرْو أن الزعامة الصهيونية الأشكنازية رفضت هذا الاقتراح ، وشرعت تطبق طريقة الانتخابات الحزبية ؛ فقاطع يهود الإسلام هذه الانتخابات – كما قاطعها اليمين الصهيوني لأسباب مختلفة — ولم يشترك في تلك الانتخابات إلّا ٣٠٪ من الناخبين . وكادت الحكومة البريطانية أن تلغي نتائج الانتخابات ، إلّا أن اليمين الصهيوني قرر العودة إلى مجلس النواب واللجنة القومية ، بعد أن احتاز عدداً كبيراً من المقاعد والمناصب السامية .

لقد كانت لهذه المقاطعة نتائج سيئة بالنسبة لمكانة يهود الإسلام في دولة إسرائيل ؛ لأن هذا المجلس واللجنة القومية اللذين لم يمثلا إلّا ٣٠٪ من يهود فلسطين – قررا تأسيس دولة إسرائيل في ١٩٤٨

نيابة عن جميع اليهود في فلسطين ، ثم أقاما جهازاً حاكماً يرتكز على الطائفة الأشكنازية فقط ، وقال دافيد بن غوريون بتهكم : « يجب تعيين وزير سفاردي واحد وامرأة واحدة » ؛ بغية التظاهر بالديمقراطية . هكذا ؛ قامت وزارة بن غوريون المؤلفة من ١٣ وزيراً – كلهم أشكناز عدا بخور شطريت ؛ وزير الشرطة . وتألف مجلس الدولة (شبه برلمان) من ٣٧ عضواً كلهم أشكناز عدا بخور شطريت ، وكان من أعضاء الحزب الحاكم ؛ مباي .

وقابل الياهو الياشار ؛ زعيم يهود الإسلام — وزير الخارجية موشيه شرتوك (مؤخراً شاريت) ، وبحث معه موقف يهود الإسلام من الحكومة الإسرائيلية . ثم كتب الياشار عن هذه المقابلة يقول « إن شرتوك لم يكن قط من أصدقائنا ؛ إنه لم يفهم ولم يحاول أن يفهم آراءنا ، علاوة على ذلك ؛ فقد رفض كل تسوية توصلنا إليها مع زعماء حزبه من أجل تصفية الفجوة الاقتصادية والثقافية والسياسية ، بين الأشكناز والسفارديم ؛ لأنه احتقر السفارديم – أعضاء حزبه » [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٢٩١ و ٢٩٢] . وقد قامت زعامة يهود الإسلام برئاسة الياشار بمحاولات يائسة لتوسيع نطاق تمثيلها في الوزارة ومجلس الدولة ؛ ولكن بدون جدوى .

وكان زلمان آران (مباي) يعتقد أن مصالح الدولة تتطلب ضم وزير سفاردي إلى الحكومة ، لكن رأيه لم يكن مقبولاً من قبل جميع أفراد زعامة الحزب ، وقال أحد أعضاء مكتب مباي : « إذا دخل وزير سفاردي الحكومة ؛ فإننا سوف نعزز هذه العصابة الطائفية لعشرات السنين . إننا لسنا بحاجة إلى ذلك على الإطلاق » [م . غروخوفسكي ، مكتب مباي ، ٤٩/٢/٢١ ، أرشيف حزب العمل] . وحذر آران من أن يهود الإسلام سوف يصوتون إلى جانب حزب حيروت ؛ انتقاماً من حزب المباي الحاكم ، والأخطاء التي ارتكبها في حق يهود الإسلام . ومنذ شباط ١٩٤٩ ؛ أخذ يهود الإسلام في ضواحي تل أبيب يصوتون إلى جانب حيروت [نفس المصدر] .

بالإضافة إلى مناصب مجلس الوزراء والبرلمان ؛ منحت الوظائف الحكومية في الجهاز الحكومي للمستوطنين الأشكناز ولاسيما الوظائف السامية ؛ ذات النفوذ التنفيذي المهم . وهذا يعني القضاء على جميع الموظفين الفلسطينيين ويهود الإسلام الذين شغلوا مناصب جيدة تحت الانتداب البريطاني . حتى تعيين القضاة تم على أساس حزبي ؛ ولذلك لم يعين أي قاض سفاردي في المحكمة العليا .

وبهذا قام النظام الطائفي الأشكنازي الذي يشمل تمثيلاً رمزيا ليهود الإسلام ؛ الذين مثلوا — آنذاك – ٣٠٪ من سكان البلد اليهود (وصلت هذه النسبة في الوقت الحاضر إلى ٧٠٪) . ففي لجنة أمن الدولة (البرلمانية) عينوا يهوديا سفارديا واحداً من ضمن ١٣ عضواً . وفي المجلس الإداري للقدس الجديدة المؤلف من ٢٧ عضواً ؛ عينوا عضوين من يهود الإسلام ، بالرغم من أن يهود الإسلام في المدينة مثلوا أغلبية ، وبعد نزاع ضار أضافوا عضواً ثالثا . أما في لجنة الشؤون الخارجية فلم تعين الحكومة أي يهودي عربي ؛ على الرغم من أن مهمة هذه اللجنة هي معالجة العلاقات السياسية بين إسرائيل والدول العربية الإسلامية . وحاولت المؤسسة الصهيونية دائماً إبعاد يهود الإسلام عن الشؤون العربية ؛ لأن يهود الإسلام كانوا يسعون إلى إيجاد حل سلمي للنزاع مع الشعب

الفلسطيني ، وعارضوا الموقف المتغطرس الذي اتخذه المستوطنون الأشكناز تجاه الشعب الفلسطيني . أما الخلفية فقد كانت عدم الثقة باليهود العرب .

وفي ١٩٤٩ ؛ أجرت الحكومة أول انتخابات عامة للمجلس التأسيسي للدولة (الكنيست) مستخدمة الطريقة الحزبية الآنفة الذكر ، وأرغمت منظمة يهود الإسلام (لجنة الطائفة السفاردية) على خوض المعركة الانتخابية بالرغم من أنها ليست حزباً ، ولاتملك الكوادر الحزبية ولا الأموال الحزبية التي تدفع عادة من قبل المؤسسة الصهيونية العالمية . وشملت قائمتها الانتخابية لجنة طائفة السفارديم بالقدس برئاسة الياهو الياشار ، ولجنة الطائفة السفاردية بتل أبيب برئاسة بخور شطريت ؛ المتواطىء مع حزب المباي والذي شغل منصب وزير الشرطة والأقليات (يقصدون بالأقليات ماتبقى من الفلسطينيين في إسرائيل) . ولقد احتازت هذه القائمة ٤ مقاعد فقط ، وعين حزب المباي نائبين سفارديين آخرين ، في حين عيَّن حزب الحيروت نائبين آخرين ، واحتازت قائمة اليمنيين مقعداً واحداً . وهكذا ؛ بلغ عدد المقاعد التي احتازها يهود الإسلام ٩ مقاعد من مجموع ١٢٠ مقعداً ؛ أي بنسبة ٧,٥٪ ، على الرغم من أن نسبتهم في المجتمع اليهودي بلغت – آنذاك – أكثر من ٣٥٪ . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن معظم هؤلاء النواب السفارديم لم يمثلوا مجتمعهم بل أسيادهم الأشكناز ؛ نستنتج أن اليهود العرب أبناء البلد قد حرموا تقريباً من التمثيل البرلماني . وهذه هي أسماء النواب السفارديم في الكنيست الأول :

القائمة السفاردية : الياهو الياشار ، بخور شطريت ، إبراهيم المالح ، موشي بن عمي .

قائمة اليمنيين : زكريا غلوسكا .

حزب المباي : الياهو هكرملي – لولو ، إبراهيم طبيب .

حزب الحيروت : إبراهيم ركنتي ، حييم مغوري – كوهين .

ولم يقتصر التمييز في التمثيل على البرلمان فقط – كما ذكرنا – وإنما شمل جميع مؤسسات الدولة والحكومة ، والمؤسسات الدينية ، والمؤسسة الصهيونية الاستيطانية ، ودوائر الحكم المركزي والمحلي ، ونقابات العمال ، والقضاء .

وفي جلسة الكنيست الافتتاحية ؛ في ٤٩/٣/٩ – حذر الياشار من مخاطر الفقر والتجهيل وتسيب الشبيبة والحالة السكنية والصحية والجنوح ، ووعد بأن قائمته سوف تناضل من أجل التحالف العربي – اليهودي . وبعد ٣٠ عاماً قال الياشار إن هذه القضايا لم تعالج بصورة ملائمة ، والواقع أنها تفاقمت منذ ذلك الحين [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٣١٠] .

وفي أوائل الخمسينيات ؛ حاولت الأحزاب الصهيونية الأشكنازية تحطيم القائمة الانتخابية ليهود الإسلام بواسطة سياسة « فرق تسد » ؛ إلى أن قررت هذه القائمة ربط نفسها بقائمة الصهيونيين العموميين ؛ التي تمثل البورجوازية الأشكنازية . وبهذا تم فصل زعامة السفارديم عن الجماهير

السفاردية الفقيرة التي تعيش في المعسكرات ، والموجودة في قبضة حزب المباي الذي يسيطر على لقمة خبزها . وهكذا ؛ تقلص عدد المقاعد التي احتازتها القائمة السفاردية في الكنيست الثاني إلى مقعدين فقط . وفي الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٥٤ ؛ فشلت قائمة يهود الإسلام ، وعينت الأحزاب الأشكنازية ١١ نائباً من أدواتها في مجتمع يهود الإسلام — في الكنيست . وفي البرلمان الرابع — ١٩٥٩ ؛ عينت الأحزاب الأشكنازية ١٤ شخصاً من أدواتها في مجتمع يهود الإسلام نواباً ، وكانت انتماءاتهم الحزبية على النحو التالي :

حزب المباي : ٨ نواب في مقابل ٣٩ نائباً أشكنازيا مثلوا الحزب أيضاً .

حزب المبام : نائب واحد .

حيروت : نائبان .

احدوت هعبودا : نائب واحد .

المتدينون : نائب واحد .

العموميون : نائب واحد .

التقدميون (الليبراليون) : لا أحد .

اغودات يسرائيل (حزب ديني غير صهيوني) : لا أحد .

الحزب الشيوعي : لا أحد .

وكان مجموع هؤلاء النواب — كما أسلفنا — ١٤ نائبا من ضمن ١٢٠ نائبا في الكنيست . وهنا لابد من الإشارة إلى أن نسبة يهود الإسلام في السكان اليهود كانت تبلغ ٦٥٪ — آنذاك ، وأن جميع القوائم الانتخابية ليهود الإسلام في هذه الانتخابات — فشلت [شيبط وعام ، ١٩٦٠] .

وبهذه الكيفية تمكنت المؤسسة الصهيونية الأشكنازية التي تعتبر نفسها « الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط » ؛ من القضاء على جميع مساعي يهود الإسلام من أجل الحصول على تمثيل برلماني ديمقراطي مستقل ؛ يدافع عن مصالحهم كمجتمع له حضارة عربية إسلامية ، وله مشاكل اقتصادية قاسية . وفي رسالته الموجهة إلى رئيس الصهيونيين العموميين : بيرنشتاين — يصف الياشار مصاعب النضال ضد التمييز كما يلي :

بالرغم من أن التمييز غير موجود في القانون فهو موجود في الواقع . ويشكل هذه التمييز أخطر مشكلة داخلية في الشعب وفي الدولة [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٣٤٠] . ويستنتج الياشار أن يهود الإسلام غير قادرين على النضال ضد أجهزة الأحزاب الأشكنازية ؛ التي تسيطر على الموارد المالية . ثم يتهم الياشار أدوات الأشكناز التي تعمل داخل مجتمعه ، بالأنانية والعمالة [نفس المصدر ، ص ٣٤٠ و ٣٤١] .

تنظيم الأحزاب :

بالنسبة للناحية الاقتصادية ؛ علينا أن نؤكد ضعف يهود الإسلام : فبسبب فقرهم ؛ لايستطيعون أن يمولوا حزباً سياسيا قادراً على التنافس مع الأحزاب الأشكنازية ، التي تتلقى الدعم المالي من الصهيونية العالمية ، ومن دولة إسرائيل وحكومتها ، ومن مشاريعها الاقتصادية الكيبوتسية والهستدروتية – إذا كانت عمالية ؛ أو الرأسمالية – إذا كانت يمينية . والحكومة الإسرائيلية تخصص مبالغ كبيرة لكل حزب برلماني ؛ لتغطية مصاريفه الإدارية وحملاته الانتخابية ؛ حسب عدد نوابه في البرلمان أو الكنيست ، وبذلك تستلم الأحزاب الكبيرة دعما ماليا كبيراً يساعدها على إفشال الأحزاب الصغيرة ، أو الأحزاب الجديدة التي ليس لها تمثيل في البرلمان . ففي تموز ١٩٦٩ ؛ قرر الكنيست دفع مبلغ ١٢٠,٠٠٠ ليرة لكل نائب ؛ لتغطية مصاريف حملة حزبه الانتخابية للكنيست السابع ، الذي انتخب في تشرين الثاني ١٩٦٩ .

وفي انتخابات الكنيست التاسع (أيّار ١٩٧٧) ؛ قبض كل نائب ٥٨٠,٣٠٠ ليرة . وكان مجموع مادُفع لجميع النواب ٦٩,٦٣٦,٠٠٠ ليرة . ومنذ ١٩٧٣ ؛ تدفع الحكومة لأحزاب الكنيست مبالغ إضافية لتغطية مصاريف التنظيم الحزبي وفعالياته . وقد بلغت هذه المصاريف للنائب الواحد في ٧٨/٩/١٧ نحو ٣٧,٩٩٥ ليرة شهريا [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٣٨٨] .

وفي ١٩٨٣ ؛ قررت الحكومة دفع مصاريف الأحزاب الأشكنازية في حملة الانتخابات للسلطات المحلية ــ أيضا . وبما أن يهود الإسلام ليس لهم أحزاب ممثلة في البرلمان أو في السلطات المحلية ؛ فإنهم لا يستلمون أي دعم مالي للاشتراك في الحملات الانتخابية ، بل إنهم – مع إخوانهم الفلسطينيين – يدفعون مصاريف الأحزاب الأشكنازية في صورة ضرائب تفرضها الحكومة الأشكنازية لتمويل الأحزاب الأشكنازية ؛ بما يعني أن الضحية لابد أن تدفع ثمن حبل المشنقة (وقد كان النازيون يُجبرون ضحاياهم على دفع ثمن تذكرة السفر إلى معسكرات الموت) .

وهذه الإجراءات غير موجودة في أية دولة في العالم عدا إسرائيل . إن جميع الأحزاب في العالم ــ خارج إسرائيل – تُموَّل من قبل أعضائها ومؤيديها ، ولاتُفرض هذه المصاريف على الجمهور في صورة ضرائب حكومية . وتقدر جريدة هآرتس (٨٣/٧/٢٩) الدعم المالي الحكومي للأحزاب لتغطية مصاريف الانتخابات المحلية بنحو ١١,٥٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني . وهكذا ؛ شكل الدعم المالي الحكومي للأحزاب الأشكنازية أحد أسباب فشل القوائم الانتخابية ليهود الإسلام .

احتواء التنظيم العالمي لليهود العرب :

قبل أن نستعرض معطيات التمييز العنصري في جهاز الدولة والهستدروت والمؤسسة الصهيونية العالمية ؛ يجدر بنا أن نلفت الأنظار إلى كيفية احتواء التنظيم العالمي ليهود الإسلام من قبل الصهيونية العالمية .

لقد استنجد يهود الإسلام في فلسطين إخوانهم الذين يعيشون في الدول الغربية (الذين كانوا قد هاجروا من البلدان العربية والإسلامية ومن الأندلس) ، وأسسوا « المجلس العالمي لمنظمة السفارديم » (يهود الإسلام) . وفي ١٩٦٠ ؛ كان هذا المجلس يتألف من ٣٠ عضواً ؛ منهم ١٠ أعضاء من إسرائيل ؛ يمثلون الإدارة الإسرائيلية للمنظمة . أما رئاسة المجلس فتألفت من ٣ أعضاء وهم : رئيس الادارة فى لندن : السيد دنزيل صباغ مونتفيوري ، رئيس الإدارة في نيويورك : الدكتور شمعون نسيم ، رئيس الإدارة في إسرائيل : وزير الشرطة والأقليات ؛ بخور شطريت ، ونائبه الياهو الياشار .
أما أعضاء المجلس في إسرائيل فهم يمثلون الأحزاب الأشكنازية كمايلي :

مباي : شطريت ، إبراهيم خلفون ، شلومو هليل ، يعقوب نصاني .

مبام : إبراهيم عباس .

عموميون : الياهو الياشار ، داؤد ستون ، إسحق غنون ، بنيامين ساسون .

حيروت : ب . ارديتي [أبو شلومو . ي ، شيبط وعام ، ١٩٦٠] .

وفي ٥١/١١/٤ عُقد المؤتمر السفاردي العالمي في باريس . وحاولت المؤسسة الصهيونية بمساعدة أدواتها في مجتمع يهود الإسلام ــ منع عقد المؤتمر ؛ ولكنها فشلت . وترأس البعثة اليهودية الفلسطينية الياهو الياشار ، والحاخام عوزييل ، ووزير الشرطة : بخور شطريت . وحاول عملاء المؤسسة الصهيونية إثارة النزاع في جلسات المؤتمر مُدعين أنه لاتوجد « مشكلة سفاردية » في إسرائيل ، ولايوجد تمييز ضد يهود الإسلام في إسرائيل ، وأن الياشار وأعوانه يحاولون بث روح الطائفية بين صفوف « الشعب الواحد » . وعارض عملاء المؤسسة الصهيونية إقامة أي تنظيم اجتماعي أو سياسي خاص بيهود الإسلام للدفاع عن حقوقهم . ونجح هؤلاء العملاء في إخفاق مشروع قرار يندد بالتمييز العنصري في إسرائيل ، ثم تمكنوا من تحويل المؤتمر إلى أداة بأيدي الصهيونية العالمية ودولة إسرائيل .
وهذه هي مقررات المؤتمر ، أسردها للقارىء كي يتمعن فيها :

١ – يشكل اليهود على اختلاف قبائلهم شعباً واحداً .

٢ – يجب مساعدة دولة إسرائيل في تنفيذ أهدافها السامية .

٣ – تشجيع التراث اليهودي في المجتمعات المختلفة .

٤ – التعاون الوثيق مع جميع المنظمات اليهودية العالمية .

٥ – العمل على تأسيس المنظمة العالمية للطوائف السفاردية (ليهود الإسلام) ، على أن تكون غير سياسية .

٦ – إدارة المنظمة العالمية في إسرائيل تتألف من ٥٠٪ من ممثلي الهستدروت ، و ٥٠٪ من ممثلي يهود الإسلام في الأحزاب الأشكنازية ــ خارج الهستدروت ، ومن ممثلي لجان الطوائف الشرقية (ومعنى هذا سيطرة كاملة للأحزاب الصهيونية الأشكنازية على جميع تحركات المنظمة داخل إسرائيل) .

وبعد معاناة شديدة ؛ وافقت المؤسسة الصهيونية على منح ٢٥٪ من تبرعات يهود الإسلام في بريطانيا لهذه المنظمة العالمية السفاردية . وعارضت المؤسسة الصهيونية إقامة صندوق خاص لتبرعات يهود الإسلام في العالم لمساعدة المنظمة العالمية ليهود الإسلام . وبخصوص الـ ٢٥٪ - المنحة المذكورة - فقد بقيت حبراً على ورق . وقد اشتهر في أداء دور العمالة في هذا المؤتمر - الياهو لولو هكرملي ؛ الذي شغل منصب رئيس دائرة يهود الإسلام في الهستدروت وممثل مباي . واستعان هكرملي على أداء هذه الدور بجماعة من العاملين في الهستدروت .

واشترك في المؤتمر الأشكناز ــ ممثلو الدولة والوكالة اليهودية والهستدروت . وكتب بخور شطريت ؛ ممثل المباي ؛ يقول : « إن إحدى المشاكل التي أقلقت خواطر وفود المؤتمر هي الإشاعة التي ترددت عن وجود تمييز ظالم موجه من جانب الحكومة والمؤسسات الاجتماعية - ضد يهود الإسلام ، إلّا أن النواب من الخارج تنفسوا الصعداء عندما كُذبت هذه الإشاعة » . ونادى شطريت عشية افتتاح مؤتمر ١٩٥٤ - الجمهور السفاردي ؛ قائلاً : « استأصلوا من قلوبكم كل عقدة وكل فكرة بشأن وجود تمييز ظالم ومتعمد في دولة إسرائيل » [شينبط وعام ، ١٩٥٤ و ١٩٥٨] .

وفي المؤتمر العالمي اليهودي الثالث الذي عقد في جنيف عام ١٩٥٣ ؛ حاول الياهو الياشار عقد اجتماع خاص للوفود السفارديم ؛ للبحث في شؤونهم ؛ فأقبل - من لندن - اشير بن روي ؛ رئيس المنظمة العالمية للسفارديم ، وطلب إلغاء الاجتماع . ثم طالب بمناقشة شؤون يهود الإسلام في إسرائيل لا في الخارج . وكان واضحا مَنْ وقف وراء هذا التدخل ؛ إذ إن موظفي المنظمة العالمية للسفارديم في لندن كانوا قد عُينوا من قبل المنظمة الصهيونية العالمية ، كما كانوا يستلمون رواتبهم منها ، وكان من واجبهم إرسال ثلثي الأموال التي قبضوها من الوكالة اليهودية إلى القدس ؛ لتغطية مصاريف المنظمة السفاردية في إسرائيل . ولكنهم لم يرسلوا ولو بقرش واحد ؛ بغية عرقلة نشاطات منظمة يهود الإسلام في إسرائيل .

وفي أيّار ١٩٥٤ ؛ عُقد المؤتمر العالمي السفاردي في القدس . واشترك فيه ممثلون عن معظم طوائف يهود الإسلام في العالم وإسرائيل . وانقسمت الوفود إلى فئتين : فئة المدافعين عن حقوق يهود الإسلام في إسرائيل ضد التمييز العنصري الصهيوني ، وفئة المدافعين عن التمييز ؛ أي الذين لا يعترفون بوجوده . وقد اتهم هؤلاء الأخيرون الفئة الأولى بالطائفية . ثم قابلت بعثة سفاردية ممثلي الوكالة اليهودية التي تسيطر على التبرعات اليهودية في العالم ، وبحثت معها قضية تمويل المنظمة العالمية السفاردية ، واتفق الطرفان على مايلي :

١ - تدفع كل طائفة سفاردية في العالم ٢٥٪ من تبرعاتها إلى المنظمة العالمية السفاردية ، وتستلم المنظمة الصهيونية باقي التبرعات .

٢ - على المنظمة العالمية السفاردية أن تطلب مصادقة الوكالة اليهودية على كل عملية خاصة تتطلب اشتراكها - في إسرائيل وفي الخارج (ومعنى هذه المادة واضح : تسلط المنظمة الصهيونية والحكومة الإسرائيلية على المنظمة العالمية ليهود الإسلام ونشاطاتها السياسية) .

٣ - يبقى مركز المنظمة العالمية ليهود الإسلام في لندن (لا في القدس حيث تعيش الجماهير الفقيرة ليهود الإسلام) ، ويبقى أيضاً السكرتير الأشكنازي في منصبه في إدارة الطائفة السفاردية في لندن وإدارة المنظمة العالمية ليهود الإسلام أيضاً .

وفي غضون هذا المؤتمر ؛ اختفت جميع المواد السياسية والمناشير التي طبعها يهود الإسلام ؛ بغية توزيعها على وسائل الإعلام ووفود المؤتمر . وبعد عدة سنوات ؛ أرسل شارلس خلفون ؛ أحد أعضاء المؤتمر - برسالة إلى الياهو الياشار يعترف فيها بعملية إخفاء هذه المواد . كما اعترف بأن حزبه - حزب المباي - أمره بذلك [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٤٥٩ - ٤٧٥] . ويقول موشيه شرتوك ؛ وزير الخارجية الإسرائيلية ورئيس الوزراء الأسبق في مذكراته (٥٤/٥/١٧) : « أنا مرتاح من نتائج المؤتمر ومن إفشال دسائس الياهو الياشار » [مذكرة شخصية ، الجزء الأول ، ص ٤٨٩] . وعلّق على ذلك رتسهابي ؛ في هبوعيل هتسعير ؛ قائلاً : « إن المؤسسة الصهيونية في الخارج وفي الداخل كانت مستعدة كلها لإفشال كل نشاط إنشائي وعملي يقوم به المجتمع السفاردي ، ولتحطيم كل عملية مستقلة يقوم بها المجتمع غير الأشكنازي من أجل جماهيره » [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٤٧١] .

موقف المؤتمر اليهودي العالمي - ١٩٥٩ :

وفي ١٩٥٩ ؛ قررت رئاسة المؤتمر اليهودي العالمي الرابع المنعقد في ستوكهلم - بحث مشكلة يهود الإسلام في إسرائيل ؛ على ضوء الاصطدامات الدموية التي وقعت بينهم وبين قوات الشرطة في وادي الصليب بحيفا . إلّا أنها لم تدعُ أي يهودي عربي للاشتراك في هذا المؤتمر ؛ فاحتج الياهو الياشار ورفاقه من أعضاء المنظمة العالمية السفاردية في إسرائيل - على ذلك ؛ في رسالة نشرتها جريدة هآرتس (٥٩/٧/٢٧) ، وأعلنوا أن هذا المؤتمر ليس يهوديا وليس عالميا وإنما أشكنازيا . ثمت ألفوا وفداً وأرسلوه إلى المؤتمر بدون دعوة ؛ لكي يعرض مشكلة يهود الإسلام في إسرائيل ولا سيما إثر حوادث وادي الصليب . أما البعثة الأشكنازية الإسرائيلية ؛ فقد رفضت مناقشة هذه المشكلة بحجة أنها مشكلة داخلية إسرائيلية ، كما رفضت أن تقبل البعثة السفاردية كجزء منها . ولذلك ؛ لم يمنح للوفد السفاردي حق الاشتراك في المناقشات السياسية والثقافية . وفي آخر دقيقة ؛ أحضر الصهاينة الأشكناز بعض أدواتهم في المجتمع السفاردي ؛ ليعلنوا أمام العالم أن الحكومة والمؤسسة الصهيونية في إسرائيل تبذلان كل مافي وسعهما لتحسين أحوال اليهود العرب ، وأن المشكلة ليست ملحة .

وقد عقد الوفد السفاردي اجتماعات خاصة حضرها أعضاء المجتمعات اليهودية في الخارج وصحفيون أجانب ، وقبيل نهاية المؤتمر أرغمت رئاسة المؤتمر على ضم الوفد السفاردي إلى المؤتمر . وأبدى نحوم غولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي ورئيس الوكالة اليهودية ـــ عداءً للوفد السفاردي ، ولكنه أعلن بعض الوعود الرنانة التي بقيت حبراً على ورق . وكان لحضور الياهو الياشار وخطابه أثر بليغ في الإعلام العالمي ؛ فدب الرعب بين صفوف الصهاينة الأشكناز ، وأرسل

موشيه شاريت ببرقية إلى الوكالة اليهودية بالقدس قال فيها ـــ بالحرف الواحد : « اقتلوا الياشار » . وزعم بعد ذلك أن قصده كان إسكات الياشار ، وعدم نشر آرائه في وسائل الإعلام الإسرائيلية [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٤٦٩] .

ويستنتج الياهو الياشار ؛ رئيس المنظمة العالمية ليهود الإسلام في إسرائيل – أن الطريق الوحيد لحل هذه القضية هو التخلص من الوصاية الأشكنازية ... « وإلّا فلا يوجد أي خيار عدا الثورة الجماهيرية التي ظهرت بوادرها الأولى في انتفاضة وادي الصليب بحيفا ، والاصطدامات الدموية التي قام بها الفهود السود ، وظهور حركة أوهليم » ، « إن العميان فقط لا يرون الأخطار التي تحدق بالدولة نتيجة لهذه التطورات » [نفس المصدر ، ص ٤٧٥] .

الديمقراطية الأشكنازية !

يدعي الصهاينة الأشكناز أن الدول العربية والإسلامية هي « دكتاتورية » و « متخلفة » ؛ لذلك لايستطيع اليهود الذين جاءوا من البلدان العربية والإسلامية تأسيس منظمات سياسية واجتماعية . وهذا كذب صريح ؛ إذ إن اليهود تمتعوا بالحكم الذاتي في أرض الإسلام ، وأقاموا لأنفسهم جهازا اجتماعيا وثقافيا ودينيا واسع النطاق . أما في إسرائيل فقد قامت السلطات بقمع كل محاولة تنظيمية ليهود الإسلام بواسطة الإرهاب والرشوة والتغلغل الهدام . وكان هدف هذه الإجراءات إضعاف يهود الإسلام كمجتمع [شيبط وعام ، ١٩٧٣] . **ويدعي الصهاينة أيضا أنهم حصلوا على مهارة الحياة الديمقراطية والتنظيم الحزبي في أوروبا الديمقراطية ، أما الحقيقة فهي أن ٩٥٪ من الأشكناز لم يهاجروا من البلدان الغربية ؛ بل من أوروبا الشرقية ولاسيما من روسيا القيصرية وبولونيا الفاشية وألمانيا النازية ، ولم يعيشوا في أية دولة ديمقراطية . ولذلك ؛ اقتبست « ديمقراطيتهم » ظواهر الحكم البرلماني الغربي ، أما محتوياتها فلا تزال روسية قيصرية** . وهذه الخلفية تفسر موقف الصهيونية القمعي من الفلسطينيين ويهود الإسلام .

وقد أسس الأشكناز في إسرائيل ١٦٤ منظمة مقابل ١٢ منظمة سفاردية . ويعلل ماتي رونين فشل المنظمات السياسية ليهود الإسلام بعداء المؤسسة الحاكمة . ويستنتج رونين قائلا : « لم يكن ثمة خوف على مزج الأمة بل خوف حقيقي من فقدان الحكم » [نفس المصدر] .

وينتقد النائب الأشكنازي المعتدل ؛ اريبه ايلياّب ـــ المقولة الصهيونية : « إن اليهود العرب كانوا من الطبقة الدنيا عند وصولهم إلى إسرائيل : بدون تعليم ، وبدون خبرة قيادية ... » . يقول ايلياّب : « يا لها من كذبة فظيعة في حق الطوائف الشرقية التي أنجبت وزراء ، ومستشارين وممولين ، وأعضاء في المهن الليبرالية – في بلادهم الأصلية » . ثم يهاجم الوزراء القلائل من اليهود العرب في إسرائيل ، ويضيف : « إني على قناعة بأنه باستطاعة الشرقيين أن يقدموا للحكومة أي عدد من الوزراء ، لأي نوع من الوزارات وعلى مستوى مماثل لمستوى الأشكنازيم » . ويقول عن النواب من أصل عربي إنهم « يردون الجميل للمحسنين إليهم بأكبر قدر ممكن من التملق والتزلف ؛ لكى

يستطيعوا رؤية أسماءهم على اللوائح الانتخابية القادمة » . أما بصدد نسبة الوزارات التي تُعطى ليهود الإسلام فتبلغ عُشْرَ الوزارات ، وهي وزارات من الدرجة الثانية والثالثة ... « يجب أن يكون رئيس الشرطة هذا (أي الوزير) ومعه رجاله (وأغلبيتهم من أصل شرقي) جاهزين لتفريق المظاهرات ؛ التي ينظمها في أكثر الحالات شرقيون .. ألا يوجد هنا رغبة في رؤية رجال الشرطة سوداً يضربون متظاهرين سوداً ؟ » [الأزمنة الحديثة ، ص ٢٢ و ٢٣] . ثم يتساءل ايلياّب : « ولماذا يجب أن يكون الوزير الشرقي الثاني مسؤولاً عن المواصلات ؟ أليس لأنهم يعتبرون هذا المنصب « بدائيًّا » ويكتفي فيه المستخدمون بلصق الطوابع ، ونقل الحقائب البريدية .. ؟ » (ص ٢٤) . أما بشأن التمييز في الحقل النقابي فيقول ايلياّب : « ... فالوضع ليس مختلفاً مطلقاً في رئاسة الهستدروت عنه في الحكومة . إلّا أن المفارقة هنا أكبر ؛ من المفروض أن يكون هدف الهستدروت هو تمثيل العمال » (ص ٢٤) . وايلياّب متأكد من أن طبقة المديرين التي تدير الاقتصاد العام والاقتصاد الهستدروتي (معامل الهستدورت) مغلقة على الشرقيين (ص ٢٥) . ثم يضيف : « إني على قناعة بأننا سنجد بينهم أشخاصاً يملكون الجدارة الكافية لشغل كل المناصب الإدارية في القطاع العام والحكومة والأحزاب السياسية . وليجرؤ من يشك في صحة كلامي أن يعلن ذلك » [نفس المصدر ، ص ٢٦] .

وفي مقاله في مجلة « شبيط وعام » عام ١٩٥٤ ؛ يعدد ب . ارديتي (بلغاري الأصل وينتمي إلى اليمين الصهيوني) – حقائق التمييز العنصري ضد يهود الإسلام ؛ مثل : الاستهزاء والاحتكار وانعدام التمثيل في الحكم .. على النحو التالي : لهم وزير واحد فقط من مجموع ١٦ وزيراً ، و ١١ نائباً في البرلمان من مجموع ١٢٠ نائباً ، وفي إدارة الوكالة اليهودية لا أحد ، وفي اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية واحد فقط ، وعدد اليهود العرب في الحقل الديبلوماسي ضئيل جدا ، وفي زعامة الأحزاب الأشكنازية على نفس النحو ، ولايوجد أي رئيس بلدية من يهود الإسلام ، وفي رئاسة مدن « التطوير » هناك اثنان يشغلان منصب رئيس المجلس المحلي ، وفي وزارة الأديان يوجد اثنان فقط من مجموع ٣٠٠ موظف ، وفي إدارة البنك القومي لا أحد (على الرغم من مهارتهم في بنوك الشرق الأوسط قبل هجرتهم إلى إسرائيل) ، وعدد قضاتهم في البلاد ثلاثة أو أربعة قضاة ، وفي المحكمة العليا – بصفة خاصة – لا أحد .

ويتهم الكاتب الإعلام الصهيوني الأشكنازي ... « عندما ينشرون الأخبار عن الأعمال الإجرامية ؛ يذكر أصل المجرم إذا كان من يهود الإسلام ، ولايذكر أصله الأشكنازي إذا كان أشكنازيا » . كما يتهم الكاتب جريدة هآرتس بخصوص مقالات اريبه غلبلوم العنصرية (انظر الفصل الثامن) . وينتقد ارديتي المفكرين الأشكناز مثل شالوم بن حورين ، الذي صرح بقوله : « لقد قال هرتسل إننا شعب واحد ؛ ولكنه أخطأ ؛ لأنه لم يتعرف على يهود مراكش والعراق . إن صهيونيا أشكنازيا واحداً يعادل ١٠٠٠ من يهود الإسلام » .

وقبل أن نستعرض المعطيات الأساسية في التمثيل بصورة كميَّة شاملة ؛ أرى أنه من المهم التشديد

على أن مشكلة التمثيل مشكلة ازدواجية ذات شقين : الأول هو قلة يهود الإسلام في المناصب القيادية والمهمة في مؤسسات دولة إسرائيل ، والشق الثاني هو أن هذه القلة من يهود الإسلام التي انضمت إلى الجهاز الحاكم ؛ لاتمثل يهود الإسلام وإنما الأحزاب الأشكنازية التي عينتها ، ومن ثم فإنها تمثل المجتمع الأشكنازي الصهيوني الاستيطاني . وهذا ينطبق على « ممثلي » الشعب العربي الفلسطيني عدا بعض الشواذ . ويعني ذلك أن زيادة نسبة يهود الإسلام في جهاز الدولة — كما هي في الوقت الحاضر – لا تمثل تقدماً نحو الديمقراطية الصحيحة ، وقد يكون الوزير الأشكنازي التقدمي أفضل من الوزير السفاردي العميل ، الذي لايهتم إلّا بمصالحه الشخصية .

والحادث أنه كلما أراد النظام العنصري القيام بعملية قمعية ضد يهود الإسلام – عيّن إحدى أدواته في هذه الطائفة لتقوم بالعمل الوسخ : ففي الخمسينيات ؛ عينوا بخور شطريت وزيراً للشرطة لقمع المظاهرات الصاخبة التي نظمها اليهود العرب في المعسكرات الرهيبة ، وفي عام ١٩٨٧ ؛ وظفوا إسحق نابون وزيراً للمعارف لتقليص التعليم وفرض الرسوم الثقافية على أولياء الطلاب ، كما وظفوا نسيم وزيراً للمالية لتقليص جميع الخدمات الاجتماعية ، ولفرض البطالة على يهود الإسلام . وفي المجال الفلسطيني واللبناني ؛ عينوا سعد حداد وانطوان لحد وروابط القرى وبعض الدروز ؛ للقيام بأعمال وحشية ضد أمة العرب والمسلمين .

وبالرغم من كل هذا ؛ فإن التركيب الإثني الطائفي لأجهزة النظام الإسرائيلي يعكس الطبيعة العنصرية والكولونيالية للمجتمع الصهيوني الأشكنازي الاستيطاني ؛ وزعامته ، كما يبرهن على إغلاق معظم أبواب الرزق والتقدم أمام المثقفين من يهود الإسلام . وفيما يلي نقدم عرضاً للمعطيات الأساسية لهذا التركيب :

١ – التمييز في الحكومة والكنيست والتنظيمات والوظائف العليا والقضاء :

التركيب الإثني – الطائفي في الوزارات

السنة	١٩٥٢	١٩٥٨	١٩٧٣	١٩٧٧
يهود الإسلام	١	١	٢	٣
يهود أشكناز	١٥	١٥	١٦	١٦
المجموع	١٦	١٦	١٨	١٩
نسبة يهود الإسلام	٪٦,٣	٪٦,٣	٪١١,١	٪١٥,٧

المصدر : سموحة ، ١٩٧٨ ، ص٣١٠ .

يتضح من الجدول أعلاه أنه خلال الفترة ١٩٤٩ – ١٩٥٩ ؛ كان ليهود الإسلام وزير واحد فقط هو وزير الشرطة ، وخلال الفترة ١٩٥٩ – ١٩٧٧ ؛ بلغ عدد وزراء يهود الإسلام اثنين ، وفي ١٩٧٧ ؛ عندما وصل مناحيم بيغن إلى الحكم بمساعدة أصوات يهود الإسلام – أضاف وزيراً ثالثا . ويبلغ عدد وزراء هذه الطائفة الآن (١٩٨٧) أربعة وزراء من ضمن ٢٣ وزيراً ، غير إن نسبتهم في السكان اليهود قد زادت من ٣٠٪ عام ١٩٤٨ إلى ٧٠٪ في الوقت الحاضر .

إن أحد هؤلاء الوزراء من أرض الإسلام هو داؤد ليفي المغربي ، الذي كانت الصحافة الأشكنازية تنشر النكت عنه ، ولذلك ؛ كان أطفاله يبكون عند عودتهم من المدرسة كل يوم [هآرتس ، ٨٠/١٠/٢٤ و ٨٠/٤/١٣] . وقد عينه الأشكناز وزيراً للإسكان ؛ بغية تغطية سياسة الإسكان الحكومية التي تصرف الملايين على إسكان المستوطنين الأشكناز في الأراضي المحتلة ، ولاتبني المساكن ليهود الإسلام الذين يعيشون في أحياء الفقر والحرمان .

أما إسحق نابون (فلسطيني الأصل) الذي عُين رئيسا فخريا للدولة ثم وزيراً للمعارف ؛ فقد كان هدفاً لانتقاد الصحافة الأشكنازية ، وموشيه ديان نفسه . وعندما صرح نابون بأن والدته كانت تحب أم كلثوم ؛ قال موشيه ديان إن هذا تملق للعرب . ثم هاجمت وسائل الإعلام الأشكنازية الرئيس نابون ؛ بسبب تصريحاته السلمية تجاه العرب ، وقالت إنه لايحق للرئيس الفخري أن يدلي بأية تصريحات سياسية [هآرتس ، ٨٠/١١/٧] . وعندما أصبح نابون رئيس لجنة الدفاع والشؤون الخارجية في الكنيست ؛ طالب بإجراء حوار مع الفلسطينيين بدلاً من الأردن ، وآمن بالسلام المبني على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة [يوئيل ماركوس ، هآرتس ، ٨٢/٢/٤] . وعندما رفض مناحيم بيغن تأليف لجنة تحقيق بشأن مذابح صبرا وشتيلا بأيدي الكتائبيين ؛ طالب إسحق نابون بتأليف مثل هذه اللجنة عبر التلفزيون ، وكان ينوي الاستقالة من منصبه كرئيس للدولة ؛ إذا رفضت الحكومة طلبه . وعارض نابون مبدأ تهويد الجليل ، وقال : « إننا سوف نطور الجليل لصالح جميع السكان » [الجارديان البريطانية ، ٨٣/٥/٣ ، ص ١٩] . وعندما أصبح نابون وزيراً للمعارف ؛ عقد مؤتمراً صحفيا عن شؤون التعليم ، وتبين له وللصحافيين في أثناء المؤتمر (عام ١٩٨٥) أن وزارته قررت تقليص ميزانية التعليم بنسبة ٢٠٪ ؛ بدون معرفته وبدون موافقته ؛ فغضب نابون وترك المؤتمر ؛ احتجاجاً على تصرفات مساعديه الأشكناز . وهذا يدل على أن الحل والربط بأيدى المستوطن الأشكنازي — حتى إذا وصل اليهودي العربي إلى رتبة وزير .

أما هرون أبو حصيرة ، المغربي ؛ فقد حاول أن يحافظ على استقلاليته ؛ ولذلك تقرر تدميره تدميراً كاملاً ، وقدم إلى المحاكمة بتهمة « مالية » يقترفها عادة معظم السياسيين الأشكناز . ثم ألف حزب تامي ، واحتاز ٣ مقاعد (١٩٨١) في البرلمان ، ثم بدأت سياسة « فرق تسد » ؛ حيث حاول كل حزب أشكنازي أن يجذب واحداً من رؤساء هذا الحزب حتى فقد « تامي » معظم مقاعده (١٩٨٤) .

ولقد طالب مردخاي بن بورات (العراقي) ، وهرون أوزان (التونسي) بانسحاب القوات

الإسرائيلية من لبنان بدون شروط مسبقة [التايمز ، ٨٣/٤/٢٢] . وهذا يدل على أن الوزراء اليهود من أصل عربي وإسلامي هم عادة أكثر تقدماً ــ بالرغم من عمالتهم – من رفاقهم الصهاينة الأشكناز . حتى الحاخام إسحق بيرس ؛ زعيم الفئة الدينية « شاس » ؛ التي تعتبر « يمينية رجعية » – طالب بإشراك منظمة التحرير الفلسطينية في مباحثات السلام . وأشار إلى التفاهم والعلاقات الطيبة بين اليهود والمسلمين خلال تاريخهم المشترك [جريدة حدشوت ، ٨٧/٥/٨] .

نسبة يهود الإسلام من مجموع الوزراء ونواب الصف الأول حسب رتبهم ــ ١٩٧١

الرتبة الأولى : الوزراء الكبار	صفــر ٪
الرتبة الثانية : باقي الوزراء	١٨ر٢ ٪
الرتبة الثالثة : رئيس الكنيست	صفــر ٪
الرتبة الرابعة : نواب الوزراء	١١ر١٪
رؤساء اللجان المهمة في الكنيست	صفــر ٪
أعضاء لجنة الدفاع والخارجية	١٠ر٥٪
أعضاء لجنة القانون	١٠ر٥٪
الرتبة الخامسة : نواب رئيس الكنيست	٣٣ر٣٪
رؤساء اللجان الأخرى	٣٣ر٣٪

المصدر : سموحة ١٩٧٨ ، ص٣١٠ .

نسبة يهود الإسلام في الكنيست من الأول إلى التاسع

الكنيست	الأول ١٩٤٩	الثاني ١٩٥١	الثالث ١٩٥٥	الرابع ١٩٥٩	الخامس ١٩٦١	السادس ١٩٦٥	السابع ١٩٦٩	الثامن ١٩٧٣	التاسع ١٩٧٧
نسبة يهود الإسلام	٦,٨	٦,٣	٨,٨	١٢,٤	١٢,٣	١٨,٦	١٥,–	١٦,٧	١٧,٦

المصدر : سموحة ١٩٧٨ ، ص٣١١ ــ والصحافة الإسرائيلية .

وقد توسع التمثيل بعد ١٩٦٥ ؛ بسبب انشقاق الحزب الحاكم ، وقيام جبهة للمعارضة : « غاحال » . ثم انخفض التمثيل بعد ١٩٦٧ ؛ بسبب تحسين أحوال العمل ، وتوجيه غضب الشعب ضد العرب في حرب الاستنزاف ، وعاود الارتفاع بعد ١٩٧١ ؛ إثر انتفاضات الفهود السود . ونستنتج من ذلك أن الهدف ليس المساواة بل تخدير أعصاب الطائفة .

التركيب الإثني ــ الطائفي في الكنيست الثالث (١٩٥٥ - ١٩٥٩) - عدا النواب العرب غير الشيوعيين

الحــــزب	أشكنـــاز	يهود الإسلام
مباي	٣٥	٥
حيروت	١٣	٢
عموميون	١٢	١
متدينون	١٠	١
أحدوت هعبودا	٩	١
مبام	٨	١
اغودات يسرائيل	٦	صفر
تقدميون	٥	صفر
شيوعيون	٦	صفر
المجمـــوع	**١٠٣**	**١١**

= نسبة يهود الإسلام في السكان اليهود ــ آنذاك ــ ٥٥٪ .
= النواب الشيوعيون الستة أشكناز وعرب .
المصدر : إبراهيم عباس ، شيط وعام ، ١٩٥٨ .

عدد ونسبة يهود الإسلام في الوظائف الحكومية العليا

السنة	**١٩٦١**	**١٩٦٩**
يهود أشكناز	٧٧	٧٦
يهود الإسلام	٣	٣
نسبة يهود الإسلام	٣,٧٪	٣,٩٪

= نسبة يهود الإسلام في الوظائف الحكومية العليا أقل من نسبتهم في البرلمان ؛ لأن نفوذ الموظفين الكبار أقوى بكثير من نفوذ نواب البرلمان .

المصدر : بيرس ، ١٩٧٧ ، ص١٢٦ .

أما عن التركيب الإثني – الطائفي في طبقة الموظفين الكبار والقضاة والمديرين والسفراء والجنرالات – ١٩٥٥ ؛ فقد بلغ مجموع اليهود الأشكناز في هذه الطبقة ١٩٦٦ فرداً ، على حين وصل عدد يهود الإسلام فيها إلى ٧٧ فرداً فقط ؛ أي بنسبة ٨,٢٪ [إبراهيم عباس ، شبيط وعام ، ١٩٥٨] .

التركيب الإثني – الطائفي لطبقة القضاة – ١٩٥٤

المحاكم القضائية	يهود أشكناز	يهود الإسلام	المجموع
المحكمة العليا	٩	صفر	٩
محكمة منطقة القدس	٥	٢	٧
محكمة منطقة تل أبيب	١٣	٢	١٥
محكمة منطقة حيفا	٧	٢	٩
محاكم الصلح – القدس	٦	صفر	٦
محاكم الصلح – تل أبيب	٢٠	٢	٢٢
محاكم الصلح – حيفا	١٣	صفر	١٣

المصدر : الياشار ، ١٩٨٠ ، ص٣٣٢ و ٣٣٣ .

التركيب الإثني – الطائفي للمحكمة العليا

السنة	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٦٩	١٩٧٣
يهود أشكناز	٧	٩	٨	٩	٨	٩
يهود الإسلام	صفر	صفر	صفر	١	١	١
نسبة يهود الإسلام	صفر٪	صفر٪	صفر٪	١٠٪	١١,١٪	١٠٪

المصدر : سموحة ، ١٩٧٨ ، ص٣١٣ .

نسبة يهود الإسلام في الوظائف الحكومية - ١٩٦١

الــوزارة	نسبة يهود الإسلام
وزارة الصناعة والتجارة	٥ر٩٪
وزارة الخارجية	٣ر١٠٪
وزارة الدفاع	١ر١٠٪
وزارة المعارف	٩ر١٠٪
وزارة الزراعة	٢ر١٠٪
وزارة الصحة	ــر٢٤٪
وزارة المواصلات	٦ر٢٣٪
وزارة العدل	٤ر٢٦٪
وزارة البريد	٣ر٢٧٪
وزارة الشرطة	٣ر٢٩٪
السكك الحديدية	٤ر٣٥٪

المصدر : مكتب رئيس الوزراء ، ١٩٦١ .

ويلاحظ أن الحقيقة أسوأ من هذه الأرقام التي لاتكشف عن رتبة الوظائف التي استلمها يهود الإسلام ؛ وهي عادة منخفضة بالنسبة لوظائف الأشكناز : ٤٠,١٪ من الوظائف السفلى ، ٢٠,٨٪ من الوظائف المتوسطة ، ٦,٦٪ من الوظائف العليا (٣٪ من الوظائف العليا عام ١٩٦٧) [سموحة ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٧] .

عدد ونسبة يهود الإسلام في رئاسة المجالس المحلية

العــــام	١٩٥٥	١٩٧٢
يهود أشكناز	٨٥	٦٥ (في المدن الكبرى)
يهود الإسلام	١١	٣٣ (في مدن التطوير الفقيرة)
نسبة يهود الإسلام	١١,٥٪	٣٣,٧٪

المصدر : سموحة ، ١٩٧٨ ، ص٣٠٩ .

وخلال الفترة ٥٥ــ١٩٧٢ كان جميع رؤساء بلديات المدن الكبيرة والمتوسطة « القديمة » أشكنازاً . أما في المجالس المحلية لباقي القرى « القديمة » فكانت نسبة الرؤساء من يهود الإسلام تتراوح بين ٤,٤٪ و ٢٧,٣٪ و ١٩,٤٪ [نفس المصدر ، ص ٣١٤] .

التركيب الإثني – الطائفي في اللجان التنفيذية العليا في الأحزاب الإسرائيلية ــ ١٩٥٨

الحــزب	عدد اليهود الأشكناز	عدد يهود الإسلام
مباي (العمل)	١٥	١
أحدوت هعبودا (يساري قومي)	١٠	٣
مبام (ماركسي صهيوني)	١١	صفر
حيروت (يميني)	١٢	صفر
صهيونيون عموميون (رأس مالي)	١٦	صفر
الحزب الديني	١٥	صفر
التقدميون الليبراليون	١٥	صفر

المصدر : إبراهيم عباس ، شيط وعام ، ١٩٥٨ .

وفي ١٩٧٣ ؛ بلغت نسبة يهود الإسلام في قيادات خمسة أحزاب رئيسية ١٠,٨٪ . وفي الخمسينيات ؛ بلغت ٧,٧٪ [سموحة ، ص ٣٠٩] .

التركيب الإثني – الطائفي في القيادات الحزبية – ١٩٧٣

الحـزب	عدد الأشكناز	عدد يهود الإسلام
مباي	١٦	٢
أحدوت هعبودا	٥	صفر
مبام	٩	صفر
حيروت	٢٧	٤
مفدال (ديني)	١٢	٤
الحزب الليبرالي	٥	صفر

المصدر : سموحة ، ١٩٧٨ ، ص٣٢١ ــ ٣٢٩

لذلك قلنا إن الأحزاب الإسرائيلية هي أشكنازية استيطانية أصلاً .

٢ – التمييز في الشرطة :

تتباهى الحكومة الإسرائيلية بما تدعيه من « المساواة » بين الطائفتين العرقيتين في الشرطة ، وتقول إن نسبة يهود الإسلام قد بلغت عام ١٩٦١ – ٤٢,١٪ [الشرطة الإسرائيلية ، ١٩٦٢] . ثم تخلط هذه النسبة العالية مع النسب القليلة في الأجهزة الحكومية ؛ لترفع معدل نسبة يهود الإسلام في الجهاز الحكومي .

والمؤكد أن هذه الوظيفة لم تكن محبوبة لدى يهود الإسلام ، ولكنهم انضموا إلى هذه الخدمة ؛ بسبب البطالة . كما دفعت بهم الحكومة إلى هذه الحرفة ؛ لكي تستخدمهم ضد مظاهرات يهود الإسلام – كما ذكرنا سابقاً . وعلى كل حال فإن أفراد الشرطة موجودون تحت سلطة الضباط ، وأغلبية هؤلاء الضباط هم من المستوطنين الأشكناز ؛ فمن ضمن ٤٩٧ ضابطاً لايوجد إلّا ٣٥ ضابطاً من يهود الإسلام ؛ بنسبة ٧٪ فقط [نفس المصدر] .

٣ – التمييز في القوات المسلحة :

لم تشرع إسرائيل تبني القوات المسلحة عام ١٩٤٨ عند قيامها كدولة ، وإنما في زمن الانتداب البريطاني ؛ عندما أسست منظمة « الهاغانا » شبه الرسمية . وكانت معظم قواعد الهاغانا ولاسيما البلماخ ؛ أي الكوماندو – في الكيبوتسات والمستوطنات الأشكنازية المختلفة ؛ حيث مخازن الأسلحة ومعسكرات التدريب ، وحيث عاش معظم الكوادر العسكرية ؛ أي أبناء المستوطنات . وهذا يعني أن المؤسسة العسكرية الصهيونية كانت منذ زمن الانتداب أشكنازية ؛ عدا بعض الشواذ . وفي عام ١٩٤٨ ؛ عندما أعلن عن تأسيس الدولة – غيروا اسم منظمة الهاغانا إلى « جيش الدفاع الإسرائيلي » – الهاغانا معناها في العبرية : دفاع ، واستمرت الكوادر الأشكنازية في مهامها القيادية .

وكان أحد أسباب استجلاب اليهود من البلدان العربية والإسلامية – تزويد هذه الآلة العسكرية بلحوم للمدافع . إضافة إلى ذلك ؛ فرضت على يهود الإسلام في الجيش جميع الأعمال الدنيا ؛ مثل : الأعمال في المطابخ ، وقيادة السيارات ، وأعمال الصيانة العسكرية ، وأشغال التنظيف والحفر ، والمخازن العسكرية ... إلخ . وفي الوحدات العسكرية ؛ فرضت عليهم مهام المشاة والعربات نصف المجنزرة . أما الأشكناز فكان منهم الجنرالات والضباط والطيارون ، ورجال الأسطول الحربي والصواريخ والدبابات والمخابرات العسكرية ، وغيرها من المهام القيادية ذات الأهمية التقنية .

ويشهد على هذا التمييز النائب الأشكنازي المعتدل ارييه ايليآب : « يدعون – وهذه أيضاً « Formula » مستهلكة تماماً – أن تساهال (أي الجيش) هو بوتقة تنصهر فيها كل التجمعات اليهودية في الشتات . لكن هذا لم يعد صحيحاً اليوم ... كيف نندهش إذا ما امتلأت مدارس قيادة

السيارات بالفتيان الشرقيين ، على حين أن مدارس الملاحة كلها تقريباً « بيضاء » ؟ ... وهكذا حتى في تساهال .. وهو الانعكاس الصادق للمجتمع ... بعد كل حساب يكون الشرقيون متدنيين . ولا أريد أن يكلموني هنا عن قلة من العقداء وحملة الرتب العالية ذوي الأصل الشرقي ؛ فهم الاستثناء الذي يثبت القاعدة » [الأزمنة الحديثة ، ص ٢٩ و ٣٠] .

الأصل العرقي لحملة رتبة « لواء » في الجيش الإسرائيلي (١٩٥١ – ١٩٧٣)

السنة	١٩٥١	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٣
يهود أشكناز	١٢	٦	٦	١٢	١٧	٢١
يهود الإسلام	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر

المصدر : سموحة ، ١٩٧٨ ، ص٣١٣ .

٤ – التمييز في الهستدروت (اتحاد النقابات العامة) :

يقول إبراهيم عباس (سوري الأصل ، وينتمي لحزب احدوت هعبودا) : « لقد قررت الهستدورت قبل ٧ سنوات إلغاء الدائرة الخاصة باليهود العرب ؛ بغية استيعابهم في جميع دوائر النقابات . إلّا أن عدد الموظفين النقابيين من اليهود العرب لم يبلغ عشرة موظفين خلال سبع السنوات الأخيرة ؛ على الرغم من توسيع جهاز الهستدروت نتيجة للهجرة المكثفة » . ثم يتساءل عباس : « ما هو نصيب يهود الإسلام في سكرتارية مجالس العمال ، وفي جهاز الهستدروت ومؤسساتها الاقتصادية ؛ مثل : شركة سوليل بونيه ، وشركة كور ، وشركة تنوبه ، وشركة المشبير همركزي » . ويضيف : « قبل سنة ونصف السنة ؛ عُقد مؤتمر الهستدروت وانتخبت اللجنة التنفيذية واللجنة الإدارية ؛ فهل تغيّر التركيب الإثني لهذه المؤسسات بالنسبة لتغيير المجتمع الهستدروتي ؟ » (يعني بعد انضمام جماهير غفيرة من يهود الإسلام الذين هاجروا إلى إسرائيل) . ثم يقول : « لحزب المباي ٩ أعضاء في اللجنة الإدارية – كلهم يهود أشكناز ، وفي البعثات إلى الخارج ؛ لاتجد أي يهودي عربي ؛ حتى في البعثات التي ترسل إلى الدول الإسلامية (مثل إيران الشاه وإندونيسيا*) » . وتشمل اللجنة التنفيذية للهستدروت ٩٠ عضواً ينقسمون – تبعاً لانتماءاتهم الحزبية – كما يلي :

مباي : ٥٥ عضواً ؛ منهم ٥ أعضاء من يهود الإسلام .

* المثال لنا .

أحدوت هعبودا : ١٢ عضواً، منهم ٣ أعضاء من يهود الإسلام .

مبام : ١٢ عضواً كلهم أشكناز . وهذا ينطبق على باقي الأحزاب .

ثم يعارض إبراهيم عباس الادعاءات الأشكنازية الصهيونية بأن يهود الإسلام لايملكون القدرة على القيام بوظائف عالية . ويؤكد أن يهود الإسلام قادرون على تنفيذ جميع المهام ؛ بشرط ألا يتعرضوا لسياسة « فرق تسد » [شيبط وعام ، ١٩٥٨] .

نسبة يهود الإسلام في اللجنة المركزية للهستدروت (١٩٤٩ - ١٩٧٣)

السنة	١٩٤٩	٥٥-١٩٥٩	٦٠-١٩٦٥	٦٦-١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧٣
النسبة	صفر٪	صفر٪	٨,٧٪	٢٧,٨٪	٢٧,٨٪	٢٥٪

المصدر : أرشيف الهستدروت .

نسبة يهود الإسلام في اللجنة التنفيذية للهستدروت (١٩٤٩ -١٩٦٩) عدا الفلسطينيين

السنة	١٩٤٩	١٩٥٦	١٩٦٠	١٩٦٦	١٩٦٩
النسبة	٥,٩٪	٨,٨٪	١١,٢٪	١٦,٩٪	٢٠,٩٪

المصدر : أرشيف الهستدروت .

كما بلغت نسبة يهود الإسلام في شريحة الموظفين العليا للهستدروت ؛ عدا الفلسطينيين (١٩٧١) - ١٥,٨٪ (أي ١٩٧ من اليهود الأشكناز و ٣٧ من يهود الإسلام) [سموحة ، ص ٣١٧] . وبلغت نسبتهم في قيادة النقابات المهنية القطرية للهستدروت (١٩٧٣) - صفر٪ ؛ إذ كان عدد قيادة هذه النقابات - آنذاك - ٤٢ نقابيا جميعهم يهود أشكناز [نفس المصدر ، ص ٣١٨] . على حين كانت نسبة يهود الإسلام بين المديرين الكبار للمشاريع الصناعية الهستدروتية (١٩٧٠) - ٣,٦٪ (أي ٥ فقط من يهود الإسلام في مقابل ١٣٤ مديراً أشكنازيا [نفس المصدر] . وفي اللجنة التوجيهية وسكرتارية المشاريع الصناعية للهستدروت ؛ كانت كالتالي :

نسبة يهود الإسلام في اللجنة التوجيهية وسكرتارية المشاريع الصناعية للهستدورت (جعرات هعوبديم) – ١٩٧٣

العدد والنسبة	اللجنة التوجيهية	السكرتارية
عدد اليهود الأشكناز	١١	٣٢
عدد يهود الإسلام	صفر	١
نسبة يهود الإسلام	صفر٪	٣٪

المصدر : سموحة ، ص٣٢٠ .

٥ – التمييز في الوكالة اليهودية واللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية :

يقول إبراهيم عباس في دراسته التي استقينا منها مقولاته السالفة : إن هاتين المؤسستين قد تآمرتا مع الأحزاب الأشكنازية بشأن يهود الإسلام ، وإقصائهم عن الاشتراك في المؤسسات العليا للحركة الصهيونية . وإن اللجنة التنفيذية تشمل نحو ٨٠ شخصاً وعشرات الوفود – كلهم يهود أشكناز عدا واحد أو اثنين [شيبط وعام ، ١٩٥٨] .

التركيب الإثني – الطائفي في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (١٩٥١ – ١٩٧٣)

السنة	١٩٥١	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٣
يهود أشكناز	١٢	١٢	١٢	١١	١١	١٢
يهود الإسلام	صفر	صفر	صفر	١	١	١
نسبة يهود الإسلام	صفر٪	صفر٪	صفر٪	٨,٣٪	٨,٣٪	٧,٧٪

المصدر : حولية* الحكومة الإسرائيلية .

* النشرة السنوية التي تصدر عن الحكومة الإسرائيلية .

التركيب الإثني – الطائفي لمديري أقسام الوكالة اليهودية (١٩٥١ – ١٩٧٣)

السنة	١٩٥١	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٣
يهود أشكناز	٢٨	٢٠	٢١	٢١	١٣	١٦
يهود الإسلام	١	١	صفر	١	صفر	١
نسبة يهود الإسلام	٣,٤٪	٤,٨٪	صفر٪	٤,٥٪	صفر٪	٥,٩٪

المصدر : حولية الحكومة الإسرائيلية .

وفي اعتقادي أن موقف إبراهيم عباس من هذه المشكلة ساذج ؛ إذ إن الحركة الصهيونية كانت – ولاتزال – أشكنازية ، تستغل يهود الإسلام : عاطفيا ودينيا وماليا واقتصاديا .

وفي « المجتمع » (ج٩ – رقم ٧) ؛ يلخص الأستاذ سامي سموحة التمييز في التمثيل كما يلي : إن تقسيم الموارد مثل الدخل والثقافة والعمل بين اليهود الأشكناز ويهود الإسلام ؛ هو بنسبة ٢ : ١ تقريباً ، والفارق في النفوذ أكثر أهمية ؛ إذ إن الأشكناز يسيطرون سيطرة تامة على مراكز النفوذ الثلاثة في الدولة ؛ أي الحكومة والهستدروت والوكالة اليهودية ، إضافة إلى القطاعين العام والخاص في الاقتصاد . وفي الطبقات الوسطى من النفوذ تتسع الهوة كثيراً ؛ حيث تصبح النسبة بين الأشكناز ويهود الإسلام كنسبة ٥ : ١ . وفي الحكم المحلي ـــ لاغير ـــ يوجد تمثيل نسبي لكل طائفة تقريبا ـــ عدا المساواة ! ويسيطر الأشكناز أيضاً على الحياة الحضارية والثقافية . وتسود القيم الأشكنازية في المجتمع ، عدا بعض المأكولات الشرقية مثل الحمص والطحينة ، والحرف التقليدية اليمنية . أما كتب التاريخ التي تستعمل في المدارس فتكاد لاتذكر يهود الإسلام خلال خمسة القرون الأخيرة . والأدب العبري مقصور على الأشكناز فحسب ، وهذا ينطبق على الموسيقى أيضاً . وتسود أيضاً المثل الاجتماعية العليا للأشكناز في البلد ... واليهودي الشرقي يشعر أنه لامحل له في كل هذا [أيار ١٩٧٢ ، ص ٣٤ و ٣٥] . حتى القلة التي سمح لها بالاشتراك في الحكم ؛ تتذمر دائماً ، وتشكو من التمييز ضدها [سموحة ، ١٩٧٨ ، ص ١٩٤] . أي إن دولة إسرائيل هي ليست دولته (اليهودي الشرقي) ، ولذلك ؛ أخذ يطالب بحق تقرير المصير ، وإنهاء الاستعمار الصهيوني الأشكنازي .

الفصل السابع

سياسة التجهيل والقمع الحضاري

في القرن الماضي ، اندلع نقاش حاد في المجتمع البريطاني بين الأوساط المحافظة الرجعية والأوساط الليبرالية ، بشأن تعليم أطفال الطبقة العاملة : فالأوساط الرجعية عارضت فتح المدارس الرسمية لتعليم أولاد العمال ؛ خوفاً من أن الثقافة سوف تبعدهم عن الأعمال اليدوية ، أما الأوساط الليبرالية فقد شددت على أن تثقيف العمال هو أمر حيوي بالنسبة لتطوير الصناعة والزراعة والتجارة ، في عهد الثورة الصناعية ، وأن التعليم المدرسي هو نوع من أنواع النفوذ والمراقبة في المجتمع ولاسيما من الناحية الفكرية . وأخيراً ؛ انتصر الليبراليون ، وبدأ التعليم الابتدائي الإلزامي في بريطانيا عام ١٨٧٠ .

أما في فلسطين – زمن الانتداب البريطاني – فقد أيدت الزعامة الصهيونية « الاشتراكية » موقف المحافظين الآنف الذكر ، بخصوص عدم تعليم يهود الإسلام . ولكنها لم تترجم ذلك عن طريق قوانين التفرقة العنصرية ، وإنما بواسطة فرض الأجور المدرسية العالية ؛ ليتعذر على يهود الإسلام الفقراء إرسال أبنائهم إلى المدارس . لذلك ؛ بلغت نسبة يهود الإسلام الذين أنهوا المدارس الابتدائية آنذاك ١١٪ فقط ، ونسبتهم في المدارس الثانوية ٥٪ ، وفي الجامعة العبرية والتكنيون الحيفاوي (الجامعة التطبيقية في حيفا) صفراً تقريباً (انظر الفصل الثالث) . وحصل ذلك لأن « اشتراكية » الصهاينة كانت ولاتزال محدودة ؛ أي « ليست للتصدير » إلى يهود الإسلام وإلى الشعب الفلسطيني . ومن هذه الناحية ، بقيت الزعامة الصهيونية اليسارية واليمينية متأثرة بآراء روسيا القيصرية – مسقط رأسها وخلفيتها .

وبعد تأسيس دولة إسرائيل ، أخذت الزعامة العمالية الصهيونية تتأثر شيئاً فشيئاً بآراء علماء الاجتماع الغربيين ، وأخيراً ؛ قرر الكنيست منح التعليم الابتدائي « الإلزامي » و « المجاني » في أوائل الخمسينيات . (ومما يجدر ذكره أن الدول العربية التي تعتبرها إسرائيل « رجعية » و « إقطاعية » ، كانت قد منحت التعليم المجاني – على جميع المستويات – منذ العشرينيات . ولذلك ؛ كان المستوى الثقافي ليهود الإسلام الذين هاجروا إلى إسرائيل – منذ ١٩٤٨ – أعلى بكثير من مستوى يهود

الإسلام الذين عاشوا في فلسطين زمن الانتداب الإنكليزي) .

وبالرغم من أن قرار الكنيست بخصوص التعليم الابتدائي شكل خطوة إلى الأمام ، فإنه لم يكن في الحقيقة تعليما « إلزاميا » ولا «مجانيا » . أسوأ من ذلك ، فقد استخدمت المؤسسة الحاكمة المدرسة كوسيلة لغسل الأدمغة والقمع الحضاري .

ففي مرحلة بساتين الأطفال أو رياض الأطفال – قبل سن الست السنوات — وهي أهم مرحلة بالنسبة لبناء الأسس الثقافية في نفس الطفل ، بقيت الأجور المدرسية عالية ، عدا في سن ٥ – ٦ سنوات . وبلغت هذه الأجور ، عام ١٩٨٠ ، ٢٨ جنيهاً إسترلينيا للشهر الواحد [هآرتس ، ٨٠/١/١١] . ولذلك ؛ أصبح معظم أطفال يهود الإسلام محروماً من التعليم في هذه المرحلة . وفي الوقت نفسه يدفع أولياء هؤلاء الأطفال الضرائب الحكومية ، التي تستخدم لدعم التعليم الجامعي ، حيث ٩٠٪ من الطلاب و ١٠٠٪ من الأساتذة — مستوطنون أشكناز . وعندما يدخل التلميذ الأشكنازي والتلميذ السفاردي الصف الأول الابتدائي ، في سن السادسة من العمر – يظهر حالاً الفرق في المستوى الذهني بين التلميذ الأشكنازي – الذي كان قد درس سنوات في بساتين الأطفال – والتلميذ السفاردي الفقير الذي كان محروماً من هذا التعليم ، عدا سنة واحدة على الأكثر ، وبقي خلال هذه الفترة في البيت ، أو تُرك يلعب في زبالة الحارة ، على حين كانت أمه تذهب لتنظف بيوت اليهود الأشكناز – الرأسماليين والاشتراكيين على السواء (ولم أرَ في حياتي – منذ زمن الانتداب – عائلة أشكنازية لاتستخدم الخادمات من اليهود العرب) . أضف إلى ذلك الفوارق الاقتصادية والسكنية والاجتماعية والغذائية بين الطفلين ، وآنذاك ، تدرك أن الفجوة بين الطفلين قد تكونت قبل دخولهما المدرسة الابتدائية ، ومن ثم تتعمق وتتعرّض سنة بعد أخرى ، وتكون المنافسة بينهما مستحيلة ، وتكون الفجوة بين جيل المولودين في إسرائيل أعمق من فجوة الجيل المهاجر . هكذا ؛ ينمو في إسرائيل شعبان متنافران : لا من الناحية الطبقية فحسب ، وإنما من الناحية الحضارية الإثنية أيضا . ويدعي الأشكناز أن التعليم الابتدائي (سن ٦ – ١٤ عاماً) مجاني ، ولكن على أولياء التلاميذ أن يدفعوا مايلي :

١ – أجرة التسجيل .
٢ – نفقات تعمير أبنية المدرسة .
٣ – قيمة الاشتراك في جمعية أولياء الطلبة .
٤ – أجرة لتعليم الموسيقى والمسرح والرقص وغيرها من المواد الخاصة .
٥ – ضريبة التعليم للحكومة .
٦ – ثمن تأمين حياة التلاميذ .
٧ – ثمن المواد المستخدمة في الدروس الصناعية .
٨ – نفقات الرحلات المدرسية .
٩ – قيمة معالجة الأسنان في المدرسة .
١٠ – قيمة سائر الخدمات الصحية العامة للتلاميذ .

١١ – قيمة الكتب والدفاتر والأقلام والملابس الرسمية .
١٢ – ضريبة التعليم للمجلس المحلي . [زوهديريخ ، ٨٠/٥/١٤ و ٨٠/٦/٢٥] .

أما في المرحلة الثانوية – سن ١٤ – ١٨ عاماً ؛ أي من الصف التاسع إلى الثاني عشر ، فعلاوة على جميع الأجور الآنفة الذكر ، أو معظمها – كان أولياء الطلبة يدفعون رسوماً باهضة منذ زمن الانتداب البريطاني إلى عام ١٩٧٨ . وبالرغم من أن هذه الرسوم تفرض حسب دخل أولياء الطلبة فإن أغلبية يهود الإسلام لايستطيعون دفعها ، ولذلك ؛ يقول شلومو بن يعقوب : إن نسبة يهود الإسلام في المدارس الثانوية الأكاديمية لم تبلغ حتى السنوات الأخيرة أكثر من ٢ – ٣٪ [شيبط وعام ، ١٩٥٨] . ويقول الدكتور سميلانسكي إن من ضمن ١٣٠٠ طالب ثانوي في تل أبيب ١٣ طالبا فقط من يهود الإسلام ، وإن ثلث الطلاب في سن ٦ – ١٣ سنة لايذهبون إلى المدارس ، بالرغم من قانون التعليم الإلزامي ، وإن ٩٥٪ من الطلاب يتركون المدرسة في نهاية الصف الرابع (سن ١٠ سنوات) . وتسود هذه الأحوال في بئر السبع وفي جميع المعسكرات الصهيونية وحارات الفقر والقرى التعاونية ؛ حيث يسكن يهود الإسلام [شيبط وعام ، إ . عباس ، ١٩٥٨] .

وفي عام ١٩٧٨ ، أُلغيت الأجور المدرسية في المدارس الثانوية مقابل فرض ضريبة التعليم الثانوي على جميع السكان . ودفع معظم هذه الضريبة العمال والعاملون ، لا أصحاب الأعمال والرأسماليون : دفع العاملون ٠,٣٪ من أجورهم ، ودفع صاحب العمل ٠,١٪ من الأجور ، ودفع الرأسماليون ٠,٤٪ من دخلهم . وتضيف جريدة هآرتس التي نشرت هذه الأرقام (٨٢/٥/٢١) – أن عبء هذه الضريبة على كاهل الفقراء أثقل مما هو عليه بالنسبة للطبقة المتوسطة والطبقة العليا ، ولذلك ؛ تطالب بإلغائها . وبالإضافة إلى هذه الضريبة ، يدفع أولياء الطلاب الرسوم الآنفة الذكر ، مثل : أجرة التسجيل ، وثمن الكتب ... إلخ .

وفي ميزانية ١٩٨٧/١٩٨٦ ، أُلغي التعليم المجاني وفرضت ضريبة قدرها ٦٠ دولاراً على كل عائلة لها طفل واحد في المدارس على اختلاف أنواعها ، و ١٢٠ دولاراً على كل عائلة لها أكثر من تلميذ واحد . وعلى هذا النحو توفي التعليم « المجاني » رسمياً [التايمس ، ٨٥/١٢/٢٤] .

وتحتم على الطالب الجامعي – منذ زمن الانتداب – أن يدفع الأجور الدراسية بالإضافة إلى نفقات السكن والغذاء والملابس والمواصلات والكتب ... إلخ ، في حين أن معظم دول العالم تمنح كل هذا مجاناً ، ولذلك ؛ بلغت نسبة أبناء الطبقة العاملة في الجامعات البريطانية مثلاً ٣٥٪ في السبعينيات . وأسوأ من هذا ، ارتفعت الأجور الدراسية على النحو التالي :

١٩٤٩ : ٤٠ جنيها إسترلينيا .
١٩٨٠/١٩٧٩ : ٢٢٥ جنيها إسترلينيا[زوهديريخ ، ٨٠/٢/١٣] .
١٩٨١/١٩٨٠ : ٥٠٠ جنيه إسترليني .
١٩٨٣ : ٧٠٠ جنيه إسترليني [هآرتس ، ٨٢/٥/٢٧] . وقد أوضحت

الجريدة أن سكان مدن التطوير وأبناء العائلات الكبيرة يدفعون نصف إلى ثلثي هذه الضريبة فحسب .

١٩٨٦/١٩٨٥: ١١٠٠ دولار [زوهديريخ ، ٨٠/١٠/١٦] .

١٩٨٧ : ١٢٥٠ دولارا

وتطالب وزارة المالية – في الوقت الحاضر – بدفع ١٦٥٠ دولاراً سنويا . على حين يطالب الطلاب بدفع ٨٠٠ دولار فقط * . وهناك – لهذا السبب — مظاهرات عنيفة واصطدامات بين الطلاب وقوات الأمن [نفس المصدر ، ١٩٨٧/٤/١٦] .

وبالرغم من الدعم الحكومي للجامعات ، أبعدت نفقات التعليم الجامعي الأغلبية الساحقة ليهود الإسلام (والفلسطينيين) عن الجامعات . ويقول إبراهيم عباس إن نسبة هذه الطائفة في الجامعة العبرية لم تتعدّ ٥٪ – عام ١٩٥٧ . وفي التكنيون ٣٪ فقط . في حين أن نسبتها في السكان اليهود قد بلغت – آنذاك – ٥٥٪ [شيبط وعام ، ١٩٥٨] . ولذلك ؛ صرّح أحد زعماء اليهود المغاربة – عام ١٩٦٢ – بأن عدد **الأساتذة** اليهود من أصل مغربي في جامعة السوربون أكبر من عدد **الطلاب** اليهود المغاربة في الجامعة العبرية . وقد طالبت زعامة يهود الإسلام بجمع التبرعات من يهود الإسلام في الخارج ؛ لمساعدة الفقراء على نيل التعليم الثانوي والعالي ، ولكن الوكالة اليهودية خشيت من أن مثل هذا الإجراء قد يقلل التبرعات التي تجمع بأيدي المؤسسة الصهيونية في الخارج ؛ لذلك قررت أخذ زمام المبادرة وإنشاء مشروع المنح الدراسية ، على أن يمول من قبل الحكومة والوكالة اليهودية معاً . وبلغ عدد المنح المالية التي أعطيت للطلاب عام ١٩٥٤ – ١٥٠٠ منحة ، قيمتها الإجمالية ١٤٥,٠٠٠ ليرة فقط [إبراهيم خلفون ، شيبط وعام ، ١٩٥٤] . ثم بلغ عدد المنح خلال الفترة ١٩٥٤ – ١٩٥٨ ، ١٥٠,٠٠٠ منحة ، وعينت الحكومة والوكالة اليهودية لجنة تنفيذية لإدارة المشروع ، كان جميع أعضائها – تقريباً – من اليهود الأشكناز – طبعاً ، وأقيم مجلس رئاسة للمشروع ، ولم يمنح لليهود العرب حق الأشتراك فيه ، وسُمح لهم فحسب بالاشتراك في المجلس الاستشاري للمشروع ، وهو المجلس الذي لم يكن يملك أي نفوذ . وفي عام ١٩٥٨ ، بلغ مجموع مبالغ المنح ٦١٢,٠٠٠ ليرة فقط ، ومنح حق الأولوية لطلاب المدارس الصناعية والزراعية ، وهذا يعني توجيه يهود الإسلام نحو المهن الصناعية لا الأكاديمية . وبسبب قلة قيمة المنح ؛ لم تُقلص الأجور المدرسية ، إلّا بالنسبة لثلث طلاب التعليم الثانوي ، أما الآخرون فأرغموا على دفع الأجور المدرسية كاملة ؛ مما أجبر قسماً منهم على ترك المدرسة . وكان المشروع يهدف إلى مساعدة طلاب يهود الإسلام ، لكن الواقع أن كثيراً من الطلاب الأشكناز استفادوا منه ، وبلغ عدد هؤلاء الأشكناز ١٣٣٦ طالبا من مجموع ٤٠٠٥ طلاب ضمن المشروع . وقد بلغت نسبة الطلاب الجامعيين الذين

* في ٨٧/٥/١٧ ، قررت الحكومة أن على الطالب اليهودي أن يدفع ١٣٥٠ دولارا ، والطالب الفلسطيني ١٥٥٠ دولارا سنويا . ثم قررت الجامعات فرض ٢٠٠٠ دولار على كل طالب أيًا كان [هآرتس ، ٨٧/٧/١٠] .

حصلوا على المنح – ٥٪ من مجموع الطلاب الذين استفادوا من المشروع . ويعني هذا أن سياسة المشروع هي عدم مساعدة يهود الإسلام في المجال الجامعي . أما بالنسبة للتعليم الثانوي ، فبالرغم من التطبيل الدعائي ، لم يشمل المشروع إلّا عدداً ضئيلاً من يهود الإسلام ؛ إذ بلغت نسبة يهود الإسلام في المدارس الثانوية الأكاديمية ٦٪ فقط عام ١٩٥٧ ؛ أي بزيادة قدرها ٣٪ فقط خلال خمس السنوات السابقة . وإذا أخذنا بعين الاعتبار التكاثر الطبيعي والهجرة ؛ أي ارتفاع نسبة يهود الإسلام في السكان – نستنتج أن زيادة نسبتهم في المدارس الثانوية لم تكن نوعية قط . أما قيمة هذه المنح فقد كانت تختلف حسب حالة الطالب الاقتصادية ، إلّا أن أغلبية المنح كانت تغطي جزءًا من أجور التعليم فقط [شيبط وعام ، ١٩٥٨] . وبذلك حاولوا معالجة سرطان التجهيل بالأسبيرين .

وتبين الأرقام التالية انخفاض نسبة يهود الإسلام في التعليم الإسرائيلي – القسم اليهودي ، كلما ارتفع مستوى التعليم :

التعليم الابتدائي	٥٢,–٪
الصف التاسع الثانوي (سن ١٥)	١٥,٨٪
الصف العاشر الثانوي	١٣,٥٪
الصف الحادي عشر الثانوي	٩,٨ ٪
الصف الثاني عشر الثانوي	٧,٨ ٪
الجامعة العبرية	٥,– ٪
التكنيون بحيفا	٣,– ٪

ويتساءل إبراهيم عباس ، الذي نشر هذه الأرقام – ١٩٥٧ ، كيف نستطيع أن نمزج الطوائف اليهودية لتكون شعباً واحداً ، في حين أن الفجوة بين الطائفتين تتعمق كل سنة – بمقاييس واسعة ؟ [شيبط وعام ، ١٩٥٨] . حتى في المدارس الصناعية والزراعية (أي غير الأكاديمية) لا تتجاوز نسبة يهود الإسلام ١٧٪ . وإذا أضفنا إلى هذه المدارس طلاب المدارس الكيبوتسية ومؤسسات الشبيبة المهاجرة ، لانخفضت نسبة يهود الإسلام إلى ماتحت ١٧٪ . ومن الجدير بالذكر ، أن نسبة طلاب التعليم الثانوي في المدن الكبرى – حيث نسبة اليهود الأشكناز كبيرة – قد بلغت ١٤١ طالباً لكل ١٠٠٠ نسمة ، أما نسبتهم في معسكرات يهود الإسلام فهي ١٠ فقط لكل ألف نسمة . وإذا أخذنا بعين الاعتبار الحزام الأسود في المدن الكبرى – حيث التعليم الثانوي يكاد أن يكون معدوماً ؛ لارتفعت نسبة الطلاب الأشكناز في التعليم الثانوي لكل ألف نسمة . وقد اعترف بن غوريون بأن التعليم الثانوي – الأكاديمي والصناعي – لايمنح إلّا لعدد ضئيل من الشبيبة . وأكدت النائبة شوشنه اربيلي أن يهود الإسلام الذين وصلوا إلى الصف الثاني عشر من المدارس الثانوية (سن ١٨ سنة) معظمهم ينتمون إلى العائلات الغنية ، التي سكنت فلسطين منذ زمن الانتداب البريطاني [نفس المصدر] .

ويوضح الجدولان التاليان التركيب الإثني – الطائفي في الجامعة العبرية بالقدس والتكنيون بحيفا :

طلاب الجامعة العبرية حسب بلدانهم الأصلية وانتمائهم الإثني / الطائفي – ١٩٥٧

البلـد	الأصـل	العـدد	النسبة المئوية
إسرائيل	يهود أشكناز – عادة	١٨٨٨	٥٦,٦
أوروبا الشرقية	يهود أشكناز	٨٣٧	٢٥,١
أوروبا الغربية	يهود أشكناز	٣٥٠	١٠,٥
أمريكا	يهود أشكناز	٨٣	٢,٥
سوريا ولبنان	يهود الإسلام	١٢	٠,٤
العـراق	يهود الإسلام	٩٦	٢,٨
تركيا	يهود الإسلام	١٣	٠,٤
اليمن وعـدن	يهود الإسلام	٦	٠,٢
مصـر	يهود الإسلام	٢٤	٠,٧
المغرب العربي	يهود الإسلام	٩	٠,٣
بلدان آسيوية أخرى	يهود الإسلام	١٦	٠,٥

= مجموع نسب يهود الإسلام في الجامعة العبرية بالقدس ــ ٣ر٥٪ .
= مجموع نسب اليهود الأشكناز في الجامعة العبرية بالقدس ــ ٧ر٩٤٪ .

المصدر : شييط وعام ، إ . عباس ، ١٩٥٨ .

طلاب الجامعة التطبيقية (تكنيون) بحيفا حسب بلدانهم وأصولهم ــ ١٩٥٧ .

البلـد	الأصـل	العـدد
إسرائيل	أشكناز ــ عادة	٢٧٧
أوروبا الشرقية	أشكناز	١١٠
أوروبا الغربية	أشكناز	٢٩
أمريكا وجنوب إفريقيا	أشكناز	٦
سـوريا	يهود الإسلام	صفر

تابع

تركيا	يهود الإسلام	٢
اليمن وعدن	يهود الإسلام	**صفر**
مصر	يهود الإسلام	٢
المغرب العربي	يهود الإسلام	٣
العراق	يهود الإسلام	٦
بلدان آسيوية أخرى	يهود الإسلام	١

= نسبة اليهود الأشكناز ــ ٩٧٪ .
= نسبة يهود الإسلام ــ ٣٪ .

المصدر : شيبط وعام ، إ . عباس ، ١٩٥٨ .

ويشير إسحق موشي عمانوئيل إلى أن الحكومة توجه طلاب يهود الإسلام إلى التعليم الصناعي ، لا الأكاديمي ، وهذا هو الدور الذي خُصص لهم في دولة إسرائيل . وكلما ارتفع مستوى التعليم ، انخفضت نسبة يهود الإسلام . وإليك متابعة رقمية لحقيقة انخفاض نسبة يهود الإسلام في التعليم الإسرائيلي – القسم اليهودي ، كلما ارتفع مستوى التعليم :

المدارس الابتدائية	٥٣,٢٪
ثلاثة الصفوف الابتدائية الأخيرة	٤١,-٪
الصف الأول الثانوي (سن ١٤ – ١٥)	٢٢,-٪
الصف الرابع الثانوي (سن ١٨)	٨,٨٪
المدارس الثانوية الأكاديمية	٧,٨٪
الجامعة العبرية	٥,٢٪
التكنيون بحيفا	٤,٥٪

وهذه الأرقام تعبر عن الأوضاع السائدة في عام ١٩٥٩ ، ومن المهم مقارنة النسبة الخاصة بيهود الإسلام في المدارس الثانوية الأكاديمية بنسبتهم في المدارس الثانوية الفنية خلال نفس السنة :

المدارس الثانوية الأكاديمية	٧,٨٪
المدارس الثانوية المهنية	٤٢,-٪
المدارس الثانوية الزراعية	٤٨,-٪

ويقول عمانوئيل إن « نسبة البنين والبنات في سن التعليم الثانوي ترتفع بسرعة : ففي ١٩٦٠ تشكل هذه الفئة ٢٥٪ ، وفي ١٩٦٤ سوف تبلغ ٦٤٪ . وإذا لم تتحسن حالة التشغيل ولم يمنح

التعليم الثانوي مجاناً ؛ فسوف يرتفع عدد الشبان الذين لايدرسون ولايشتغلون » [شيبط وعام ، ١٩٦٠] .

وفي عدد سابق للمجلة السفاردية نفسها ، يقول الكاتب إن أغلبية الطلاب الساحقة في مدارس الأحياء الشمالية بتل أبيب – أشكنازية ، في حين أن الأغلبية الساحقة في الجنوب من يهود الإسلام . وبذلك يلمح الكاتب إلى التفرقة العنصرية ، وإلى الفارق بين نوعية المدارس في شمالي المدينة وجنوبها . ثم يتكلم الكاتب عن التمييز العنصري في تشغيل المدرسين وفرض المدرسين الأشكناز على يهود الإسلام : ففي تل أبيب – يافا ، مثلاً ، بلغ عدد مديري المدارس ١٠٦ مديرين منهم خمسة فقط من يهود الإسلام . ثم يستند إلى الإحصاءات الإسرائيلية الرسمية لعام ١٩٥٥ ؛ فيقول إن نسبة المدرسين من أصل عربي – إسلامي تبلغ ٩,٨٪ فقط [شيبط وعام ، ١٩٥٩] .

وقد ازداد عدد الطلاب من ١٤٠,٠٠٠ طالب عام ١٩٤٨ إلى ٥٤٠,٠٠٠ طالب عام ١٩٥٨ [المكتب المركزي للإحصاء ، ١٩٧٨] ؛ وهذا يعني أن الهجرة المكثفة قد أتاحت مناصب كثيرة لليهود الأشكناز في مجال التربية والتعليم . وبلغت نسبة العاملين في هذا المجال عام ١٩٧٢ – ٨٪ من مجموع العاملين في البلاد [وزارة التربية والثقافة ، ١٩٧٦] . وقد بلغت نسبة يهود الإسلام في فئة مدرسي المستوى الثانوي ٣ أو ٥٪ من مجموع مدرسي المستوى الثانوي . وفي دور المعلمين بلغت نسبة الأساتذة من أصل عربي إسلامي ٢٪ [المكتب المركزي للإحصاء] . وفي الجامعات بلغت نسبتهم صفراً بالمئة ، ولكن سُمح لهم أن يكونوا ٢٠٪ من مدرسي المدارس العمالية المسائية [نفس المصدر] . وفي عام ١٩٥٣ ، بلغ عدد مديري يهود الإسلام في المدارس الثانوية اثنين من ضمن ٦٧ مديراً . وفي المدارس الزراعية والصناعية ودور المعلمين كان عددهم صفراً ، وكانت نسبتهم في المدارس الابتدائية ١٤٪ [نفس المصدر] . كما أن يهود الإسلام يعملون عادة في المدارس الريفية ، حيث مستوى المدارس منخفض وشروط التعليم صعبة (أعني مدن « التطوير » والقرى التعاونية والمعسكرات ... إلخ) .

ومن أجل إقصاء يهود الإسلام عن مهنة التدريس ؛ استخدمت وزارة المعارف طريقة الفصل التعسفي ، والمضايقات المستمرة ، وتشغيل يهود الإسلام بصورة مؤقتة ، وإرغامهم على التوقيع كل عام على موافقتهم على العمل المؤقت وإلّا الفصل . ثم استخدمت أساليب مختلفة لكسر معنويات هؤلاء المدرسين ، وتعريضهم للإهانة ، والمس بكرامتهم العربية – الإسلامية ، وقد شاهدت (الكاتب) هذه الظواهر بنفسي .

وهذه الحقيقة لاتعني تمييزاً في حق المثقفين السفارديم فحسب ، وإنما تشكل أحد أسباب سقوط طلاب يهود الإسلام في حياتهم المدرسية : ففي إسرائيل يوجد مدرسون أشكناز كثيرون يعاملون هؤلاء الطلاب بصورة مهينة . والمدرسون الأشكناز لايعرفون شيئا عن حضارة طلابهم من الأرض العربية الإسلامية ، ولايهتمون بمصير هؤلاء الطلاب ولا بشقائهم ؛ فتحصل هوة نفسية حضارية بين الطلاب ومدرسيهم الأشكناز ، وتبدأ مشاكل النفور والطاعة ، وتنتهي بترك المدرسة .

ويؤكد عمانوئيل أنه بالرغم من أن الدكتور هندل ؛ مفتش المدارس الثانوية ، يعترف بأن يهود لإسلام كانوا حتى القرن السادس عشر أهم جزء في المجتمع اليهودي – فإن جميع مواد التاريخ والأدب التي تدرس مواد أشكنازية ، وأن المناهج الدراسية تهمل تاريخ يهود الإسلام وحضارتهم العربية الإسلامية ، وتتركز في تاريخ الأشكناز وأدبهم وحياتهم في جيتوات أوروبا الشرقية ، وهي مواد غريبة ومُمِلة بالنسبة لتلاميذ العالم العربي الإسلامي ، ولذلك ؛ تقل نسبة يهود الإسلام بصورة عكسية كلما ارتفعت درجة التعليم . ثم يستعين عمانوئيل بدراسة موشيه سميلانسكي عن تركيب التعليم في إسرائيل [مجلة مغاموت ، تموز ١٩٥٧] . وهذه الدراسة نفسها استعملها إبراهيم عباس .

وفي عددها الصادر عام ١٩٧٣ ؛ تعود مجلة يهود الإسلام « شيبط وعام » لتؤكد أن المناهج الدراسية الصهيونية لاتلائم طلاب يهود الإسلام ؛ لأنها لا تعنى إلّا بتراث اليهود الأشكناز ومجتمعهم – في أوروبا الشرقية . ولذلك ؛ تسأم نفس الطالب ذي الخلفية العربية الإسلامية من هذه المواد الأجنبية ، ولنفس السبب ؛ يعجز الآباء عن مساعدة أولادهم في تحضير وظائفهم المدرسية . وتهدف هذه المناهج الأشكنازية إلى طمس الهوية الشرقية ، حتي يسهل على الطبقة الحاكمة أن تتحكم في يهود الإسلام ، وأن تؤثر على عقليتهم . ويقول البروفسور بتسلئيل روت إن اليهودية السفاردية قد اختفت من التاريخ المدوَّن (يعني لاتدرس ضمن المناهج الإسرائيلية) .

ويعتقد ماتي رونين أن « فقر اليهودي العربي لايمكنه من الحصول على ثقافة ، ثم إن انعدام ثقافته لايمكنه من رفع مستوى معيشته ، والدائرة مغلقة . ويرى أن سلسلة الفجوة بين اليهودي الأشكنازي واليهودي العربي سوف تبقى بالضرورة إلى الأبد ، وحلقاتها سوف تزداد ازدياداً طبيعيا ، ولايمكن كسر حلقة الفقر المغلقة . ولذلك ؛ يعتبر ابنُ الشرق المجتمعَ الأشكنازي مجتمعاً مُجْحفاً ، ويحاول مقاومته بأساليب يعتبرها الحكام حضارة منخفضة وإجرامية » [شيبط وعام ، ١٩٧٣] .

أسباب التساقط :

إن تساقط يهود الإسلام في مجال التعليم لم ينتج عن « أصلهم العربي البدائي غير المتحضر » كما يدعي الحكام الأشكناز ؛ بل عن السياسة الكولونيالية تجاه يهود الإسلام والشعب الفلسطيني معاً ، وهي سياسة التجهيل والقمع الحضاري . ونلخص فيما يلي أسباب هذا التساقط في المستويات الدراسية المختلفة :

١ – **الرسوم الدراسية** ، من بساتين الأطفال حتى الجامعات ، تشكل عبئًا ثقيلاً على كاهل يهود الإسلام ، لأن أغلبيتهم الساحقة فقيرة – كما ذكرنا سابقاً .

٢ – **أحوال الفقر** والجوع والاكتظاظ السكاني في منازل متداعية أو شقق صغيرة ، لاتشجع التلميذ في دراسته ، ولاتساعده في تحضير وظائفه المدرسية . وكثيراً ماتطلب العائلة منه ترك المدرسة والعمل لمساعدة العائلة متعددة الأفراد . ويقول إسحق يطيب [شيبط وعام ، ١٩٥٩] إن مجموع

الدخل الشهري للفرد في العائلة الشرقية يتراوح بين ١٠ – ٢٠ ليرة (٨ ليرات كانت تساوي جنيها إسترلينيا واحداً آنذاك) ؛ على حين يبلغ الدخل الأشكنازي ١٠ أضعاف ذلك . وإن نتيجة هذا الفقر ستكون شعبين متناجرين في إسرائيل – بما في ذلك من أخطار . وليس من المفيد نشر الجداول الحكومية الرسمية بشأن الدخل ؛ لأن هذه الجداول تعتني بـ « المعدل » فقط ، والمعدل دائماً يضلل (لاحظ الفصل التاسع عن التقاطب الاجتماعي) . ولايمكن فصل سياسة إفقار يهود الإسلام وتحويلهم إلى طبقة عاملة رخيصة ؛ تقبل مكانتها المتدنية في المجتمع الاستيطاني – عن سياسة التجهيل والقمع الحضاري .

٣ ــ **مستوى التعليم** في مدارس يهود الإسلام في الحزام الأسود ، وفي مدن التطوير ، والقرى التعاونية ، والمعسكرات – منخفض جداً بالمقارنة بمدارس الأشكناز ؛ بسبب نوعية مباني المدارس وعدد الغرف ، ونوعية الأجهزة التدريسية ، وعدد التلاميذ للصف الواحد ، ونوعية المدرسين . وفي ١٩٥٨ ؛ بلغت نسبة المدرسين الذين لايملكون المؤهلات اللازمة ٤٠٪ في المدارس الابتدائية . وهؤلاء المدرسون – وبعضهم جنود – درَّسوا في مدارس يهود الإسلام [شبيط وعام ، ١٩٥٨] . وفي بني براك – مثلاً – أرغم صف يحتوي على ١٠٠ طالب على الدراسة في ملجأ ضد الغارات الجوية ؛ بسبب قلة الغرف المدرسية [هآرتس ، ٨١/٩/٤] . وقبل بضع سنوات ؛ بدأت وزارة المعارف بالتعليم « الشامل » ؛ أي نقل بعض تلاميذ يهود الإسلام من مدارسهم في حارات الفقر إلى مدارس الأشكناز ؛ بغية « مزجهم » – كما يدعون . وهناك زُجُّوا في صفوف « خاصة » بـ « المتخلفين » ، وعوملوا بصورة مهينة . ثم حُرموا من الاشتراك في الحفلات والنشاطات الثقافية والرياضية بعد الدَّوام (الزمن الذي يجب عليهم قضاؤه في المدرسة) . وأدت هذه السياسة إلى نشوب اصطدامات دموية بين الطلاب الأشكناز وطلاب يهود الإسلام .

وقد كتبت جريدة هآرتس (٧٩/٣/٧) عن مثل هذه المعارك في مدرسة رمات هشرون . وأضافت أن اليهود العرب – هناك – يعانون من الفقر ، وقد أُرغموا على الالتحاق بالصفوف المتدنية علميا . أما التلاميذ الأشكناز فيسكنون في الأحياء الغنية ، ويأتون إلى المدرسة بسياراتهم الخاصة ، ويتميزون بالغطرسة في سلوكهم . وسميت هذه المدارس الثانوية بـ « المدارس الشاملة » .

وتصف الجريدة المدرسة الشاملة رقم ١٤ في شكون دان – قرب تل أبيب ، وتضيف أن الاندماج العنصري غيرناجح في معظم الأحوال ، وأن الطلاب من كلتا الطائفتين لا يندمجون ولا يزورون بعضهم بعضا . وبما أن التلميذ من الحيّ الفقير لم يدرس في مدرسة أكاديمية سابقاً ؛ فإنه يجد صعوبات كثيرة في هذه المدرسة التي تستخدم الأساليب الأكاديمية التقليدية . ولذلك ؛ يرسب في دراسته ؛ فيستولي عليه اليأس والغضب ولاسيما بسبب غطرسة الطلاب الأشكناز ، وتحقيرهم للحضارة العربية الإسلامية . ويحاول المدرسون التخلص من الطلاب الضعفاء ليصعد الطلاب الأشكناز إلى الصفين الآخرين من المدرسة الثانوية . وتعلق مرشدة المدرسة ؛ فاعومي ناوي – على هذه الأمور قائلة « إن الاندماج العنصري ضروري جدا إذا أردنا منع الانفجار الاجتماعي . ولكن

المدارس لاتستطيع أن تقوم بهذه المهمة وحدها . ويجب أن يبدأ الاندماج في بساتين الأطفال ، وفي المجتمع عامة ... العقبة الرئيسية هي العنصرية التي يأتي بها الطلاب الأشكناز من عائلاتهم » [ملحق هآرتس ، ٨١/٥/٢٢] .

وكتبت الطالبة ل . رام مقالاً مفصلاً في جريدة « زوهديريخ » (٨٣/١٠/٥) تصف فيه الحالة المأساوية التي تخيم على تلاميذ يهود الإسلام – تلاميذ مدرستها « الشاملة » في القطمون بالقدس — وكيف يتعرض رفاقها لشتى أنواع الذل والاحتقار من جانب الطلاب والمدرسين الأشكناز . وتقول إن بعض رفاقها أُرغموا على تقليد اللهجة الأشكنازية ، وأخذوا يلفظون الحاء مثل الخاء والعين مثل الألف ، وهَلُمَّ جَرًّا . كما أخذوا يشعرون بالخزي ؛ بسبب عائلاتهم وأصلهم العربي « البدائي » . أما الطلاب الذين دافعوا عن كرامتهم وحضارتهم فلم يكونوا « محبوبين » لدى الزمرة الحاكمة في المدرسة . ثم تصف الطالبة إصرار إدارة المدرسة على توجيه اليهود العرب إلى الصفوف غير الأكاديمية ، وإبعادهم عن دراسة الرياضيات والعلوم الطبيعية . ولم يسمح إلّا لستة طلاب (من ضمن ٤٠ طالباً) بالتقدم للامتحانات النهائية (البجروت – الثانوية العامة) .

٤ – ذكرنا سابقاً أن **مناهج الدراسة** في إسرائيل **الأشكنازية** تتجاهل تراث وتاريخ اليهود العرب ، ومحيطهم الإسلامي ، وحضارتهم العربية ؛ إذ تحاول طمس هويتهم العربية الإسلامية . وعندما تذكر هذا التاريخ بصورة مختصرة ، تحيطه بالأكاذيب عن « اضطهاد وعنصرية الأمة الإسلامية » ضد اليهود ؛ بغية بث روح الكراهية ضد الشعب العربي الفلسطيني والأمة الإسلامية . وبالرغم من أن لغة اليهود العرب هي العربية منذ الفتوحات الإسلامية (ومنذ فجر التاريخ بالنسبة ليهود الجزيرة العربية) ؛ فإن برامج التعليم لاتشمل تدريس اللغة العربية إلّا بعض الحصص بالصفوف الثانوية ؛ التي لاتفضل اللغة الفرنسية . أي إن اللغة العربية أصبحت لغة أجنبية ثانية أو ثالثة بعد الإنكليزية والفرنسية . ونتج عن هذا القمع الحضاري أمية اليهود العرب الذين تربوا في إسرائيل بالنسبة للغة العربية : فهم لايعرفون القراءة والكتابة باللغة العربية ، بالرغم من أنهم مازالوا يتكلمون بها في البيت . وتشكل هذه السياسة جريمة في حق الحضارة الإنسانية ؛ لأن اللغة العربية ليست لغة « العدو العربي » فحسب ؛ وإنما لغة الحضارة الإنسانية خلال قرون عديدة ، ولأنها انتشرت من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً . ويعترف الصهيوني الأشكنازي اريبه ايلياآب ؛ من قادة حزب العمل : « أولاً ؛ نزعنا منهم بالقوة – تقريباً – إحدى الثروات القيمة التي كانوا قد حملوها معهم : اللغة العربية ، لقد كانت تجتاحنا – نحن الأشكناز – موجة عاتية من الاحتقار العميق والغطرسة الشديدة حيال العالم العربي ... لقد جعلنا من اللغة والثقافة العربية أشياء مكروهة ومحتقرة » [الأزمنة الحديثة ، ص ٢٠] . وفي مقابل هذه الأميَّة ؛ يجري تعليم اللغة العربية بصورة جيدة في بعض الصفوف الثانوية النهائية . وتتألف هذه الصفوف من عدد صغير جدا من اليهود الأشكناز الذين يدرسون هذه المادة : لا لأهْداف السلم وإنما لأهداف الحرب والمخابرات . .ويعتني بتوجيه هذه الدروس مكتب رئيس الحكومة لا وزارة المعارف ، ويجري التعليم تحت شعار : « اعرف عدوك » . وتسود في التدريس النظرة الكولونيالية المتغطرسة بالنسبة لأمة العرب والمسلمين .

ومأساة اليهود العرب هي أنهم لايعرفون لغة أجدادهم ، وأنباء الشعراء والكتاب العراقيين والسوريين والمصريين .. إلخ ، ولا يعرفون الكتابة والقراءة بلغة آبائهم ، ولايعرفون أن معظم التراث اليهودي – حتى التراث الديني – قد كتب باللغة العربية دون غيرها ؛ فمعظم أعمال موسى بن ميمون وسعديا غاؤن كتبت باللغة العربية . وقد بلغ غسل أدمغتهم درجة عالية ؛ إذ إن معظمهم يؤمنون بأنهم (مع العرب) أغبياء وغير متحضرين بالنسبة لليهودي الأشكنازي . وكان هذا أحد أسباب فشل بعض الأحزاب الشرقية . هكذا ؛ انتصرت إلى حد كبير سياسة الاستعمار الحضاري والعدمية الحضارية في حق يهود الإسلام والشعب الفلسطيني .

« إن التعليم الثانوي والجامعي ليس من شأني – إنه من شأن الأشكناز » ـــ هذا مايقوله الكثير من أبناء المهاجرين العراقيين والسوريين والإيرانيين ... إلخ ، على الرغم من أن آباءهم مثلوا جزءًا من الطبقة المثقفة في أرض الإسلام . ويعترف آريه ايلياَب بما يلي : « لقد فصلنا اليهود الشرقيين – وخاصة الجيل الشاب منهم – عن ماضيهم وأصولهم ومجدهم ، وقمنا بتلقينهم – كما فعلنا مع أبنائنا – أن كل شيء قد بدأ في أوروبا الشرقية : النظرة اليهودية ، الصهيونية ، الفكر الطليعي ، الاستيطان في فلسطين . وروينا لهم أن كل الجمال والشعر والثقافة والاستمرارية ... كانت قد وجدت هناك ... وهذا يعني أنه لم يحدث أي شيء عند آبائهم . وبذلك توصلنا بسرعة إلى أسطورة « أميَّة » وتخلف اليهود الشرقيين . لقد نزلوا للتو من فوق أشجارهم وخرجوا من كهوفهم » [الأزمنة الحديثة ، ص ٢٠] . « وفي الواقع – كنا نحكم بالموت على حضارة وماضي عشرات التجمعات اليهودية » [نفس المصدر ، ص ٢١] . هكذا ؛ طمست المدرسة الصهيونية الحضارة العربية والإسلامية لليهود العرب ، وأقنعتهم بأنهم غير صالحين لمواصلة دراستهم .

٥ – امتحان **نسبة الذكاء** (I.Q.) : ففي نهاية المدرسة الابتدائية (سن ١٤ سنة) ؛ يجب على الطالب الذي يريد أن يدخل المدرسة الثانوية بمساعدة المنحة المالية الآنفة الذكر ـــ أن يتقدم إلى امتحان خاص لاختبار ذكائه . غير إن أسئلة هذا الاختبار تتعلق بحياة اليهود الأشكناز وحضارتهم ، وكثيراً ما يرسب يهود الإسلام في هذا الامتحان : لا لأن نسبة ذكائهم (I.Q.) منخفضة ، بل لأن الأسئلة بعيدة عن حضارتهم وتجاربهم (لذلك ؛ أُلغيت هذه الامتحانات في بريطانيا في الستينيات) . وأحياناً يرسب يهود الإسلام لأن مستوى التعليم في مدرستهم كان ضعيفاً جدا ؛ الأمر الذي يجعل منافسة الطلاب الأشكناز – الذين درسوا في مدارس جيدة – مستحيلاً . وترتيباً على ذلك ؛ لاتمنح لهم المنحة المالية ؛ أي يتحتم عليهم أن يدفعوا الرسوم المدرسية كاملة ؛ الأمر الذي يؤدي – عادة – إلى ترك المدرسة ؛ بسبب عجزهم عن دفع هذه الرسوم .

٦ – معظم يهود الإسلام المجتهدين الذين يصممون على مواصلة دراستهم الثانوية والجامعية ؛ والعمل ليل نهار في المطاعم والمعامل في أثناء العطلة المدرسية ؛ لتمويل دراستهم ، معظم هؤلاء يلاقون **العداء والتحقير من جانب بعض الأساتذة الأشكناز** ؛ فيترك بعضهم المدرسة أو الجامعة . أما البعض الآخر فيستمر في دراسته ، وبعد الحصول على الشهادات العالية يجد أن أبواب الرزق مغلقة

أمامه ؛ بسبب أصله العربي الإسلامي ، فتنكسر معنوياته . وأمثال هذا يرحلون إلى الخارج ، أو يقبلون الأعمال المتدنية ، أو يذهبون إلى مستشفيات الأمراض العقلية ... بسبب ضائقتهم النفسية . وعندما يرى إخوتهم وأقاربهم ماحلّ بهم ؛ يقولون : « لاتوجد فائدة في التعليم ؛ أحسن نروح نشتغل ونعيش » .

٧ – **انهيار المجتمع** : فبسبب الهجرة ، والحياة المأساوية في المعسكرات والحارات الفقيرة ، والبطالة ، والأحوال السكنية ، والاستعمار الحضاري الأشكنازي – انهار النظام العائلي في عائلات يهود الإسلام ، وانهارت التقاليد الاجتماعية والأخلاق والقيم اليهودية – الإسلامية ؛ التي تطورت في الشرق الأوسط ، وانتشر تعاطي المخدرات والدعارة والجنوح والإجرام . وجميع هذه الأحوال لاتشجع أطفال يهود الإسلام على الجد والاجتهاد وكسب العلم . وتنطبق معظم هذه الأحوال على الشعب العربي الفلسطيني في الداخل ، غير إن الفلسطينيين يعيشون في قراهم ؛ أي إنهم ليسوا مهاجرين ، والمدرسون في المدارس العربية هم عرب فلسطينيون ، ومازالوا يدرسون اللغة العربية والتاريخ العربي الإسلامي ، كما أنهم ينالون الدعم الأدبي من جانب منظمة التحرير الفلسطينية والأمة العربية الإسلامية التي تحيط بهم ، ولذلك ؛ لم تنهار حضارتهم وهويتهم العربية – الإسلامية بعدُ . لكنهم يمضون في طريق يهود الإسلام ؛ إذا استمر الاحتلال والاستعمار . وهذه الأمور تبرهن على أن النزاع القائم في فلسطين ليس سياسيا فحسب ؛ وإنما يشمل قضايا حياتية ، ومعيشية ، وثقافية ، وحضارية ، وأخلاقية .

٨ ـــ **الكلمات اللاتينية والأجنبية** : فلغة التدريس في المدارس اليهودية هي اللغة العبرية ، وتشمل هذه اللغة – كما طورها المستوطنون الأشكناز ـــ عدداً ضخماً من الكلمات اللاتينية والأوروبية المقترضة من اللغات الأوروبية ؛ لغات اليهود الأشكناز . وفي حين يستطيع الطالب الأشكنازي أن يستعين بوالديه لفهم هذه الكلمات الأجنبية ؛ يتعذر على الأب الناطق باللغة العربية أن يساعد ابنه في هذا المجال . إضافة إلى ذلك ؛ فإن معظم طلاب يهود الإسلام مازالوا يتكلمون اللغة العربية في بيوتهم ، ومازالوا – وهذا أهم ـــ يفكرون باللغة العربية : لغتهم الأصلية التي استعملوها منذ فجر التاريخ ، أو – على الأقل – منذ الفتوحات الإسلامية . وعندما يدخل هؤلاء الطلاب المدرسة ؛ يقابلون عقبة لغوية تشبه العقبة اللغوية التي يواجهها أبناء الطبقة العاملة في بريطانيا في مدارسهم ؛ حيث لغة التدريس هي لغة الـ « بي.بي . سي . » المستعملة في الطبقتين الوسطى والعليا من المجتمع الإنكليزي . واللغة الإنكليزية التي تستعملها الطبقة العاملة تختلف عن لغة الـ « بي . بي . سي . » من حيث مجموع المفردات ومعانيها ومن حيث تركيب الجمل ... إلخ .

٩ ـــ **سياسة تقليص الخدمات الثقافية والاجتماعية** ؛ ذلك أن إسرائيل – كجزء من العالم الغربي ـــ تعاني من الأزمة الاقتصادية التي تواجه الرأسمالية العالمية . وبسبب الثورة الإسلامية في إيران ؛ قطعت جميع العلاقات التجارية مع هذا البلد ، وأغلقت المعامل التي كانت تصدر نتاجها إلى إيران ، أضف إلى ذلك ؛ نفقات الحرب اللبنانية وتمويل المرتزقة في لبنان ، ونفقات الاستيطان في

الأراضي المصرية والفلسطينية والسورية . لذلك ؛ أخذت إسرائيل تقلص الخدمات الاجتماعية والثقافية . وكانت ضحية هذه السياسة هي – بالطبع – الطبقات الشعبية الفقيرة ؛ أي يهود الإسلام والفلسطينيين . وتصديقاً لهذه النتيجة ؛ نذكر أن عدد الطلاب في إسرائيل قد ارتفع من ٨٠٠ ألف طالب عام ١٩٦٩/ ١٩٧٠ إلى ١,٢ مليون طالب عام ١٩٨٠/١٩٨١ ، غير إن ميزانية التعليم انخفضت من ١٠,٥٪ في مجموع ميزانية الدولة عام ١٩٧٢ إلى ٥,٨٪ عام ١٩٨٠ . وفي ١٩٨٠/١٩٨١ وحده ؛ أُلغيت ٣٥ ألف ساعة دراسية في المدارس الابتدائية والمتوسطة ، وفُصل ١٣٠٠ مدرس ، وقُلصت ميزانية التغذية في المدارس بنسبة ٧٠٪ . وفي ١٩٨١/١٩٨٢ ؛ أُغلقت ٣ قرى زراعية لتعليم الشبيبة الفقيرة ، وفصل ٢٧٢ مرشداً للشبيبة في أحياء الحزام الأسود ، وأغلقت ٧٠ مدرسة لتعليم الكبار ، وألغيت البرامج الخاصة بإرشاد الأمهات في مدن التطوير . وفي ١٩٨٢ ؛ قلصت ميزانية التعليم بنسبة ٧,٥٪ . وهذا بدوره يعني فصل آلاف أخرى من المدرسين والعاملين .. إلخ . ولذلك ؛ أكمل الدراسة الثانوية من كل ١٠٠٠ طالب دخلوا الصف الأول الابتدائي عام ١٩٦٩/١٩٧٠ ــ ٢٦ طالباً فقط ، معظمهم من الأشكناز . وكانت نسبة التساقط في القطاع الفلسطيني أكبر بكثير [زوهديريخ ، ٨٢/٤/٥ – استناداً إلى الإحصاءات الرسمية] .

وقد مضت سياسة التقليص سنة بعد أخرى ؛ ففي ميزانية ١٩٨٦/١٩٨٧ ؛ بلغت قيمة التخفيض في ميزانية وزارة المعارف ٤٧,٥ مليون دولار ، وهذا يعني إلغاء ١٧٠ ألف حصة دراسية ، وفصل ٧ – ١٠ آلاف معلم ، وفرض ضريبة التعليم الآنفة الذكر [الصحافة الإسرائيلية] . وفي ١٩٦٩/١٩٧٠ ؛ امتد التعليم الإلزامي حتى سن ١٥ سنة إلّا أنه لم يُطبق ، وشجعت بعض المدارس الطلاب « الضعفاء » على ترك المدرسة ؛ للتخلص منهم .

تفاقم التساقط في الأجيال الحديثة :

عندما نشرت حقائق تساقط يهود الإسلام في الخمسينيات ؛ اتهمت إسرائيل الدول العربية والإسلامية بأنها السبب في هذا التخلف ، وفي ظهور الفجوة الثقافية بين الطائفتين اليهوديتين .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ارتفاع نسبة يهود الإسلام في المجتمع اليهودي الإسرائيلي من ٥٠٪ في الخمسينيات إلى ٦٥٪ في السبعينيات ثم إلى ٧٠٪ في الثمانينيات ؛ نستنتج من الأرقام التالية أن نسبة التساقط قد استمرت وتفاقمت ثم حصلت فجوة إضافية : بين يهود الإسلام الذين تعلموا في البلدان العربية والإسلامية ، من جانب ، والذين ولدوا وتعلموا في المدارس الإسرائيلية من جانب آخر – لصالح الأولين ، وهذه النتيجة تتفق تماماً وسياسة التجهيل الاستعمارية الصهيونية وتفند المزاعم الإسرائيلية .

نسبة يهود الإسلام في المدارس والجامعات

السنة	٦٩/٧٠	٧٥/٧٦
الصف الأول الابتدائي	٦٣,-٪	٥٩,٦٪
الصف الثامن الابتدائي	٥٧,٤٪	٥٣,٩٪
الصف التاسع الأكاديمي الثانوي	٣٥,-٪	٣٦,٢٪ (معدل)
الصف الثاني عشر الأكاديمي الثانوي	٢٤,٧٪	
نسبة النجاح في الامتحانات الثانوية النهائية	١٨,٧٪	٢٣,٨٪
طلاب الـ B.A.	١٤,٢٪	١٦,٤٪
طلاب الـ PH.D. والـ M.A.	٩, —٪	١٠,١٪

= الباقي يهود أشكناز وأقلية فلسطينية .

= نسبة يهود الإسلام في المجتمع اليهودي تبلغ ٦٥٪ .

المصدر : المكتب المركزي للإحصاء ، إسرائيل ، نشرات ١٩٧١ و ١٩٧٤ و ١٩٧٦ .

وفي أواخر الستينيات ؛ حصل ٦٪ من شبيبة يهود الإسلام على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) مقابل ٣٥٪ من طلاب المستوطنين الأشكناز [نائب وزير المعارف ، التقرير الحكومي عن شبيبة يهود الإسلام ، ١٩٧٢] . وفي ١٩٧٢/١٩٧٣ ؛ كانت المعطيات ٧,٤٪ مقابل ٧١,٧٪ . على حين كانت معطيات التعليم العالي : ٢,٨٪ من يهود الإسلام المولودين في فلسطين مقابل ١٣,٨٪ من الأشكناز . وبالنسبة للمولودين في الخارج : ٢٪ مقابل ٩,٣٪ [سموحة ، ١٩٨٧ ، ص ١٦٠ و ١٦١] .

وبصدد نسبة يهود الإسلام في الجامعات ؛ يقول النائب الصهيوني المعتدل اربيه ايليآب : « يبدو لي أن تلك النسبة المحزنة ... لاتكاد تصل إلى ١٠٪ . ولكي نصل إلى هذا الرقم ؛ يجب أن نُدخل في الحسبان طلاب المدارس الدينية والمؤسسات الأخرى غير الرسمية » [الأزمنة الحديثة ، ص ٢٦] (لاتحتاج إلى أي تعليق) . ويعني ايليآت أن نسبة يهود الإسلام في الجامعات قد كُبرت بصورة اصطناعية ؛ لتبرهن على « تقدم يهود الإسلام في إسرائيل » . ثم يضيف ايليآب : إن إسرائيل لاتستطيع أن تتهم البلدان العربية والإسلامية بتأخر اليهود العرب ؛ لأن هذا الجيل الثاني وُلد وتربى في إسرائيل . ثم يستنتج « إنه الفشل الأكبر في مجتمعنا . لقد نجحنا في نقل الهوة التعليمية من جيل إلى آخر » . ويحذر الكاتب إسرائيل من خلق مجتمعين مختلفين على مدى عدة أجيال .

ويعدد ايليآب أسباب هذا الفشل الإسرائيلي كما يلي : « عدم المساواة في فرص الانطلاق ،

مساكن صغيرة جدًا لأسر كبيرة العدد ، فقدان الثقة والتراث الثقافي ، عدم التوازن في التمثيل السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، إعطاء الأولوية للقوات المسلحة » . أما بشأن « تخلف المحيط العربي والإسلامي » فيقول النائب : « إن الشبان اليهود الذين يأتون إلى إسرائيل من الدول العربية والإسلامية – بعد أكثر من ٢٠ عاماً (يقصد من تأسيس دولة إسرائيل) يتمتعون بمخزون فكري ومهني أفضل بكثير من ذلك الذي يملكه الفتيان من نفس عمرهم ؛ ممن ولدوا في إسرائيل . وتبدو هذه الظاهرة بشكل أوضح إذا أخذنا بعين الاعتبار مستوى التعليم العالي ؛ لدى مئات الآلاف من اليهود ، الذين هاجروا من البلاد الإسلامية إلى فرنسا وإسبانيا وكندا والولايات المتحدة – خلال ثلاثين السنة الأخيرة » . وأخيراً ؛ يحذر ايليآت من أن التمييز في التعليم يهدد أمن الدولة [نفس المصدر ، ص ٢٦ – ٢٩] (يعني بقوله : إمكانية الكفاح المشترك بين الفلسطينيين ويهود الإسلام ضد إسرائيل) .

تركيب قمة الهرم في التعليم :

والآن لنفحص تركيب قمة الهرم الثقافي في إسرائيل بعد ثلاثين عاماً من تأسيس الدولة :

تقسيم نسبة طلاب الدكتوراه حسب الأصل العرقي الحضاري ـــ ١٩٧٧ /١٩٧٨

المولودون في إسرائيل من أب من دار الإسلام (يهود الإسلام)	٢,٥٪
المولودون في دار الإسلام (يهود الإسلام)	٧,٤٪
مجموع نسب يهود الإسلام	٩,٩٪
المولودون في إسرائيل من أبٍ مولود في البلد (عادة – يهود أشكناز)	٤,٣٪
المولودون في إسرائيل من أب مولود في أوروبا وأمريكا (يهود أشكناز)	٤٤,٥٪
المولودون في أوروبا وأمريكا (يهود أشكناز)	٤١,٣٪
مجموع نسب اليهود الأشكناز	٩٠,١٪

المصدر : المكتب المركزي للإحصاءات الإسرائيلية ، الكتاب السنوي للإحصاءات الإسرائيلية ، ١٩٨٠ ، ص ٦٠٥ .

ويلاحظ بصدد هذه الأرقام مايلي :

١ – الفجوة العريضة بين نسب يهود الإسلام واليهود الأشكناز : ٩,٩٪ مقابل ٩٠,١٪ .

٢ – الفجوة بين نسب يهود الإسلام واليهود الأشكناز المولودين في الخارج : ٧,٤٪ مقابل ٤١,٣٪ .

٣ – الفجوة العميقة بين يهود الإسلام واليهود الأشكناز المولودين في إسرائيل : ٢,٥٪ مقابل ٤٨,٨٪ . وجميع هؤلاء الطلاب ولدوا وتعلموا في إطار المؤسسة الصهيونية الإسرائيلية ، وهذا يعني تفاقم التناقضات الحضارية الإثنية والطبقية ؛ أي تقاطب الطائفتين اليهوديتين وسيرهما نحو الانفجار الاجتماعي .

٤ – الفجوة بين يهود الإسلام المولودين في إسرائيل وآبائهم المولودين في أرض الإسلام : ٢,٥٪ مقابل ٧,٤٪ . وهذا يعني أن الشروط الاقتصادية والثقافية بالنسبة لليهود كانت أفضل في أرض الإسلام مما هي عليه في إسرائيل . ولذلك ؛ حصل هذا التدهور بالنسبة للجيل الثاني المولود في إسرائيل .

٥ – ذكرنا أن المولودين في إسرائيل من أب مولود في فلسطين هم – عادة – يهود أشكناز ؛ لأنهم حفدة المستوطنين الأشكناز الذين هاجروا من روسيا القيصرية ومن بولونيا . أما يهود الإسلام – من أبناء جيلهم ـــ فلم يصلوا إلى التعليم العالي قط (عدا عدد ضئيل من أبناء بعض العائلات الغنية) . وذكرنا سابقاً ـــ أيضا ـــ أن الأغلبية الساحقة ليهود الإسلام في فلسطين – زمن الانتداب – لم تُنه حتى مرحلة الدراسة الابتدائية .

٦ – استناداً إلى ماقاله اريبه ايلياَب ؛ من الممكن جدا أن يكون المكتب المركزي للإحصاءات الإسرائيلية قد كبرّ نسبة يهود الإسلام ؛ وأن تكون النسبة الحقيقية أسوأ بكثير مما ذكرنا .

ونضيف في هذا المجال أنه قد جرى في عام ١٩٨٤ إحصاء أصحاب الشهادات الجامعية والعالية الأخرى في إسرائيل ؛ حيث بلغ العدد الكلي لهؤلاء ٢٠٥,٧٠٠ (نسبة الفلسطينيين في هذا العدد ٤,٣٪ في حين أن نسبتهم في السكان ١٧٪) .

ثم لنفحص مجموع الأكاديميين اليهود حسب الأصل العرقي الحضاري (١٩٨٤) في إسرائيل :

الأكاديميين اليهود في إسرائيل حسب أصلهم العرقي الحضاري ودرجة شهاداتهم ـــ ١٩٨٤

القارة والأصل	المجموع	الشهادة الأولى	الشهادة الثانية	الشهادة الثالثة والعليا
المولودون في إسرائيل من أب مولود في إسرائيل – أشكنازي (عادة) .	٦,٤٪	٨,٢٪	٣,٥٪	٢,٨٪
آسيا وإفريقيا – يهود الإسلام (مجموع)	١٤,٦٪	١٨,٧٪	٧,٨٪	٧,٢٪
المولودون في إسرائيل	٥,٤٪	٧,٦٪	٢٪	**صفر**
المولودون في أرض الإسلام	٩,٢٪	١١,١٪	٥,٨٪	٦,٧٪
أوروبا وأمريكا – أشكناز (مجموع)	٧٩٪	٧٣,١٪	٨٨,٧٪	٩٠٪
المولودون في إسرائيل	٣٢,٢٪	٣٨,٣٪	٢٠,٦٪	٣٠,١٪
المولودون في الخارج	٤٦,٨٪	٣٤,٨٪	٦٨,١٪	٥٩,٩٪

المصدر : الكتاب السنوي للإحصاءات الإسرائيلية ، ١٩٨٦ ، ص٦٠٨ .

ويلاحظ بصدد هذه الأرقام ما يلي :

١ – مجموع نسب اليهود الأشكناز على الترتيب : ٨٥,٤٪ ، ٨١,٣٪ ، ٩٢,٢٪ ، ٩٢,٨٪ . على حين أن مجموع نسب يهود الإسلام : ١٤,٦٪ ، ١٨,٧٪ ، ٧,٨٪ ، ٧,٢٪ .

٢ – جَمَعَ المكتب المركزي للإحصاءات « البيض مع البطاطا » ، أي خلط ذوي الشهادات الجامعية مع ذوي شهادات المعاهد غير الأكاديمية ؛ مثل : مدرسي رياض الأطفال ومدرسي المدارس الابتدائية ، والمعاهد الدينية ... إلخ ، وذلك ؛ لتضييق الفجوة بين الأشكناز ويهود الإسلام . ولو تركز الإحصاء في ذوي الشهادات الجامعية لكانت الفجوة أعرض وأعمق .

٣ – يفصل المكتب اليهود الأشكناز المولودين في إسرائيل من أب مولود في فلسطين ـــ كأنهم عرق خاص – عن باقي الأشكناز ؛ وذلك لتضليل القارىء الأجنبي ، ولتقليص النسبة العالية لليهود الأشكناز .

٤ – الهوة العريضة بين نسب يهود الإسلام المولودين في البلدان العربية الإسلامية ويهود الإسلام المولودين في إسرائيل ؛ الذين تربوا ودرسوا في المدارس الصهيونية ، وعانوا من سياسة التجهيل الكولونيالية .

٥ – نسبة يهود الإسلام المولودين في إسرائيل بين حاملي شهادة الدكتوراه هي صفر بالمائة ، على حين أن نسبة الأشكناز من أبناء جيلهم هي ٣٠,١٪ . ونسبة أصحاب الشهادة الثانية (M.A. تقريبا) هي ٢٪ مقابل ٢٠,٦٪ . ونسبة ذوي الشهادة الأولى (B.A. تقريباً) هي ٧,٦٪ مقابل ٣٨,٣٪ . ونسبة المجموع ٥,٤٪ مقابل ٣٢,٢٪ . وهذه الأرقام تبرهن – مرة أخرى – على أن الهوة لم تنتج عن « تخلف » الدول العربية والإسلامية ؛ إذ إن كلتا الشريحتين ولدت ودرست في المدارس الإسرائيلية الصهيونية ، ومع ذلك فإن الفجوة بينهما أعرض من الفجوة بين مواليد الأرض الإسلامية ومواليد أوروبا وأمريكا . ومعنى هذا أن التقاطب بين يهود الإسلام واليهود الأشكناز يتفاقم من جيل إلى آخر .

٦ – يبدو هذا التقاطب أسوأ مما هو عليه إذا أخذنا بعين الاعتبار ازدياد عدد الجامعات الإسرائيلية ، وعدد الطلاب فيها . ففي ١٩٤٨ ؛ لم يكن في إسرائيل إلا معهدان ؛ وهما الجامعة العبرية والتكنيون بحيفا . ثم أنشئت بعد ذلك جامعة تل أبيب ، وجامعة حيفا ، وجامعة بئر السبع ، وجامعة بار ايلان . وقد ارتفع عدد الطلاب الجامعيين من ١٦٣٥ طالباً عام ١٩٤٨ إلى ٥٢,٧٨٠ طالباً عام ١٩٧٦ ، ولكن نسبة الطلاب من يهود الإسلام ظلت ضعيفة – كما ذكرنا سابقاً [الأزمنة الحديثة ، ص ١٣٠] (أضف إلى هذا المتغير ازدياد نسبة يهود الإسلام في السكان) .

٧ – النسبة الآنفة الذكر هي نسب قطرية . وإذا ركزنا التحقيق في الأماكن التي أقيمت خصوصاً لتزويد المستوطن الأشكنازي بالعمل الرخيص – مثل مدن التطوير ؛ فسوف تظهر سياسة التجهيل بكل بشاعتها : ففي « شلومي » – مثلا – بلغت نسبة أصحاب الشهادات العالية ١٪ (من ضمنهم أشكناز ؛ أبناء أرباب الأعمال) . ولكن في المستوطنة الأشكنازية « سفيون » بلغت

هذه النسبة ٢٥,٨٪ ، وفي « عومر » الأشكنازية ٣٦٪ [معطيات وزارة المعارف ــ ١٩٨١ ، والإحصاء السكاني ــ ١٩٨٣] . وتشير إحصاءات المكتب المركزي للإحصاء – ١٩٦١ و ١٩٧٦ إلى أن الفجوة بين الطائفتين بالنسبة للشريحة الأكاديمية قد تضاعفت ، والفجوة في المواد « المهمة » مثل : الرياضيات والعلوم الطبيعية والطب – أعمق بكثير [نفس المصدر ، السلسلة الخاصة ٤١٨ ، جدول ١٩] . وفي معهد العلوم الطبيعية والأدبية – وهو أعلى مؤسسة علمية في البلد ــ قلما تجد عضواً غير أشكنازي ، وهذا ينطبق على الوظائف العلمية في الجامعات .

طمس الحضارة العربية الإسلامية خارج المدرسة :

تمارس السلطات الإسرائيلية سياسة الاضطهاد الحضاري ضد يهود الإسلام : لا في المناهج الدراسية فحسب وإنما في جميع نواحي الحياة ؛ مثل : الإذاعة الصوتية والإذاعة المرئية والأدب والمسرح ... إلخ . وتصور هذه الوسائل الإعلامية يهود الإسلام كأنهم « بدائيون » ، لايملكون أية حضارة قيمة عدا التراث الشعبي ، وتحاول طمس هويتهم العربية الإسلامية . فالإذاعة لاتعالج التراث الحضاري ليهود الإسلام إلّا ساعة واحدة في الأسبوع ، أما البرنامج الثاني فيخصص ١١٪ من ساعات إرساله لنشر تراث جميع الطوائف الإسرائيلية [شبيط وعام ، ١٩٥٨] .

وقد اشتهر اليهود في العالم العربي والإسلامي بالموسيقى . وكان قسم كبير من الموسيقيين العراقيين يهوداً ، وكانوا من خيرة مغني المقامات العراقية . وقد أورد الحنفي في كتابه : « المغنون البغداديون والمقام العراقي » ، عام ١٩٦٤ – أورد ١٨٨ مغنيا ، منهم ٢١ مغنيًّا يهوديًّا ؛ مثل يوسف حوريش وساسون زعرور وموشي سليمان وغيرهم . وأقام اليهود العراقيون الجوقات الموسيقية (أو الجالغيات) . واشتهر – بصورة خاصة – عزرا هرون الذي كان يطرب الملك فيصل الأول بعزفه على العود . وقال له الملك مرة : « أفرحتني ؛ ياولدي ، ولم أفرح هكذا من قبل » ، ثم قال له رئيس المراسيم الملكية : « أنت سوف تنير وجه العراق بالموسيقى » . وقدمت له مرة طاسة مملوءة بالدنانير العباسية الذهبية – من عهد هرون الرشيد ، مكتوب اسم الله على كل واحد منها ، وكان لكل دينار منها سلسلة ذهبية ، ولكن عزرا هرون اكتفى بدينار ذهبي واحد فقط . وكان عزرا يغني أغاني الفنانَيْنِ اليهوديين إبراهيم وإسحق الموصلي . وبرز عزرا هرون في المؤتمر الموسيقي الذي عقد في مصر تحت رعاية الملك فؤاد ؛ عام ١٩٣٢ . وبعد أن هاجر إلى إسرائيل ؛ أصبحت حياته مليئة بالبؤس والشقاء والجوع [شبيط وعام ، ١٩٦٠] . ويقول الشاعر اليهودي المغربي ؛ ايرز بطون – عن المغنية اليهودية المغربية ؛ زهرة الفاسية – إنها كانت مغنية الملك محمد الخامس في الرباط . ويحكى عنها أنها عندما كانت تغني ؛ كان الجنود يحاربون بالسكاكين ؛ من أجل الوصول إليها . أما الآن فهي موجودة في معسكر المهاجرين في اشكلون ؛ قرب مكتب المساعدات الاجتماعية ؛ تعاني الفقر والذل [منحة مراكشية ، ص ٢٩] .

كان هذا مصير معظم الفنانين اليهود من أرض الإسلام . وتوفي فنّهم عند موتهم في المعسكرات الصهيونية . واستمرت هذه الحال إلى السبعينيات ؛ حيث بدأ البعث الحضاري الإسلامي في هذا

المجتمع تحدياً للمؤسسة « الحضارية » الأشكنازية . وكان سبب هذا البعث ظهور الحركة التحررية للفهود السود ، التي ربطت نضال يهود الإسلام بنضال الشعب العربي الفلسطيني . ثم أخذ يهود الإسلام ينشرون أغانيهم من خلال شُرُط التسجيل ، ويستمعون إلى إذاعات وتلفزيونات البلدان العربية المجاورة .

ويستمر الاستعمار الحضاري تحت ستار مبدأ « الاندماج العنصري » : يقول دافيد بن غوريون – وهو أول رئيس وزراء إسرائيلي : « إن هدف الحكومة هو تلقين المهاجر اليمني أنماط الحياة الإسرائيلية ؛ إلى أن ينسى من أين أتى .. » [محاضر الكنيست ، المجلد ٨ ، ص ١١٠٢ ، ٥١/٢/١٤] .

وقد كتب أحد زعماء يهود الإسلام : صموئيل ركنتي ؛ أحد النائبين في الكنيست الأول – مقالاً ينتقد فيه نظرية « الاندماج » ويقول : إن معناها الحقيقي هو القضاء على حضارة يهود الإسلام وتقاليدهم ، وفرض الحضارة اليهودية الأشكنازية عليهم . ثم أضاف : تشمئز نفسي من الخنوع ومن العدمية الروحية والاجتماعية ، وتثور ذاتي ضدهما ؛ يجب علينا أن نرفض هذه الآراء الفاسدة ، وأن نندد بالذين يعرضوننا للمهانة ويُرَكِّبون على رءوسنا الجنرالات والأوصياء . ويؤمن الكاتب بأن الطريق الوحيد لحل هذه المشكلة هو « لا اندماج وإنما تشجيع كلتا الحضارتين ، ويجب على حضارة يهود الإسلام أن تحتل مقامها السامي في الشعب » [شيبط وعام ، ١٩٥٤] . كما طالب النائب اليمني ؛ زكريا غلوسكا – بالمزيد من الأغاني اليمنية في الإذاعة الإسرائيلية . ثم قال : إن البرامج اليمنية في الإذاعة كان يُعِدّها « خبراء أشكناز » ، وإنها لا تُثير إلّا السخرية [محاضر الكنيست ، ١٩٤٩] .

وفي تموز ١٩٧٩ ؛ عقد وزير المعارف ؛ زبولون هيمر – اجتماعاً خاصاً للمجلس العمومي للثقافة والفن ؛ لبحث الفجوة الحضارية والطائفية في إسرائيل . وقال حييم شيران ؛ من رجال التلفزيون التعليمي – إن ثمة قمعاً حضاريا موجهاً ضد يهود الإسلام ، وبسبب هذا الظلم – خلال الثلاثين سنة الماضية ؛ فقد يهود الإسلام كرامتهم . وقال الدكتور جبرائيل بن سمحون ؛ وهو مغربي الأصل : « بما أن وسائل الإرسال لاتذيع الموسيقى التي تلائم ذوق يهود الإسلام ، فإن هذه الموسيقى تنتشر بواسطة شرط التسجيل . وباستمرار القمع الحضاري ضدهم ؛ يستمر شعورهم بالإحباط » . وقالت الرسّامة ؛ زيفا لبليخ – إن إسرائيل لاتستعمل الكنوز الغنية الكامنة في يهود الإسلام . وأشار نسيم يوشع ؛ المسؤول عن تراث يهود الإسلام في وزارة المعارف – إلى أن ثمة أناساً كثيرين يعتقدون أن يهود الإسلام لايملكون حضارة ، وإنما تراثاً شعبيا فحسب (مصدر هذا الرأي هو أن الحضارة هي ملك للأوروبيين فقط) ، ونادى بمزج التراث الأشكنازي مع التراث السفاردي .

وفي المقابل ؛ شدد البروفسور داؤد العازار على أن اليهود الأشكناز يطالبون يهود الإسلام بالانضمام إلى حضارتهم ، وأنه لايوجد مبرر لهذا الطلب [هآرتس ، ٧٩/٧/٢٠] . وفي مقاله في

جريدة هآرتس (٨٠/٤/٦) - صرح البروفسور شمعون شمير بأن المجتمع الإسرائيلي (يعني الأشكنازي) لم يدع يهود الإسلام ليكونوا جزءًا من الصفوة الحاكمة . أما بصدد العلاقات الحضارية بين إسرائيل ومصر ؛ فيقول الأستاذ : إن المجتمع الأشكنازي يشك في تضامن يهود الإسلام مع اليهود الأشكناز ، في حالة الانفتاح تجاه الشعوب العربية (يعني يشكون في إخلاص يهود الإسلام لهم) . وأضاف شمير أن الأشكناز يخافون من تقدم اليهود العرب ، ولهم آراء مسبقة بشأن الشرق وحضارته . ثم يذكر شمير آراء بن غوريون وجبوتنسكي بهذا الصدد (انظر الفصل القادم) . ويمكن صياغة آراء شمير في عبارة أخرى : إن تطور الحضارة العربية والإسلامية في مجتمع يهود الإسلام ، قد يوحد يهود الإسلام مع الشعوب العربية ضد المستوطنين الأشكناز ؛ في حالة السلام وفتح الحدود . ولو عاملوا يهود الإسلام بصورة إنسانية ما خافوا منهم وما خافوا من السلام .

وفي حواره مع مراسلة جريدة هآرتس ؛ ليئه عِنْبال (٨٠/٥/٢٨) - صرح بن سمحون (المغربي) بأنه كي يبقى في الوجود ويتقدم في حياته الدراسية ؛ أُرغم على التبرؤ من حضارته العربية الإسلامية ، والامتزاج في حضارة الأشكناز . [ولد بن سمحون في المغرب ، وهاجر مع عائلته إلى إسرائيل ؛ عندما كان عمره ٩ سنوات . وكان أحد التلاميذ القلائل الذين تغلبوا على جميع العقبات . وحاز على الشهادة الجامعية في القدس ، ثم درس المسرح والسينما في جامعة السوربون الفرنسية . ويعمل الآن أستاذاً في جامعة تل أبيب في قسم الفنون . وبشأن هجرته إلى إسرائيل ؛ يؤكد بن سمحون أن موقف عائلته كان - ولايزال - دينيا روحانيا ؛ فقد اعتقد والده أن الملائكة سوف يحومون حوله عندما يصل إلى الأرض المقدسة ، ولذلك ؛ ألبس أبناءه ملابس يوم السبت البيضاء . وفجأة وجد نفسه مع عائلته يعانون من الفقر والوحل والاكتظاظ السكاني والبلبلة ؛ في معسكر شاعر هعليا . وهناك دفع الموظفون الصهاينة إلى أيديهم سمك الرِّنْجَة ، وكان هذا هو غذاء العالم الآخر ! ولم يظهر مسيح اليهود لمساعدتهم ! وبالرغم من أن حالة العائلة قد تحسنت خلال ثلاثين السنة الماضية ، يقول أبوه : « هناك في المغرب كُنَّا أغنياء ؛ لأننا شعرنا بالغنى ، وهنا نشعر بالفقر ؛ لأننا حُقِّرْنا » . واعترف بن سمحون بأنه - خلال فترة طويلة من حياته — أرغم على تقليد اليهود الأشكناز ، ورَفْضِ هويته . وأضاف أن النكتة التي انتشرت بين المغاربة - آنذاك - تقول : عندما سُئِل الطفل المغربي في إسرائيل ؛ ماذا تريد أن تكون عندما تكبر — أجاب : أشكنازيًّا ! ومضى بن سمحون يقول : إن كل امرأة يهودية في المغرب آمنت بأن كل طفل من أطفالها العشرة ؛ قد يكون مرشحاً لمنصب المسيح اليهودي المنتظر ، أما في إسرائيل فقد أصبح هؤلاء الأطفال سكان السجون ، واليأس يدب في قلوبهم . ثم أضاف أنه وأخاه ولدا في المغرب ، ولذلك ؛ استطاعا أن يكملا دراستهما الجامعية ، أما باقي الإخوة — الذين ولدوا في إسرائيل — فلم ينجحوا حتى في إنهاء دراستهم الثانوية ، وأصبحوا عمالاً . وحكى بن سمحون أنه عندما قابل يغآل ألون ؛ وزير المعارف - آنذاك ؛ بصحبة ٣٩ جامعيا مغربيا ؛ لبحث مشاكل الطائفة - قال الوزير ألون : « إن مجرد وجود ٤٠ جامعيا مغربيا جالسين معي هنا في مكتبي ؛ يشير إلى إنجاز ما ؛ وهو أننا أحرزنا

تقدماً ما في هذا البلد » ، فأجابه بن سمحون قائلاً : « إن من المهم أن تعلم أن من ضمن أربعين الجامعي يوجد واحد فقط نال ثقافته في إسرائيل ، أما الباقي فقد حصلوا على ثقافتهم خارج إسرائيل » . ويقول بن سمحون إنه بالرغم من حصوله على شهادته الجامعية في إسرائيل ؛ فإنه ليس نموذجاً بالنسبة للمغاربة في إسرائيل ، بل شاذاً أو معجزة : كبر عن طريق النضال المستميت ، وشدد على أن « هذا البلد لم يعطني أي شيء » . وعندما فرضت عليه الخدمة العسكرية الإلزامية ؛ التحق بوحدات جنود المظلات المؤلفة من أبناء الكيبوتسات ؛ ليحصل على حقوق متساوية مع اليهود الأشكناز ، ولكنه بقي معزولاً عن باقي الجنود . وأضاف أن رجال الكيبوتسات هم رمز العنصرية — في بعض النواحي – مغلقون تماما تجاه كل شخص يختلف عنهم ... وعندما دخل الجامعة العبرية بالقدس ؛ أخذ يعمل كعامل ، وعاش في معسكر عسكري مهجور مُنح للجامعة ؛ كي يمول دراسته . غير إن بن سمحون كان الطالب الوحيد الذي قبل هذا المسكن السيء ؛ حيث يسود البرد القارس شتاءً . ويعتقد بن سمحون أن اليهود العرب يدركون الآن أنه يجب عليهم أن يؤلفوا قوة مضادة للقوة التي لا تمثّلهم (يعني المتحكمين الأشكناز) ، ويشدد على مايلي : « عليك أن تقيم قوة مضادة ، منظمة ، مستعدة للحرب – قوة من شأنها أن تكون تابعة لك فقط » . ويصف بن سمحون القمع الحضاري ضد اليهود العرب بأنه « إبادة حضارية » . ويذكر أنه عندما كان تلميذاً في المدرسة ، لم يُعَلَّم أي شيء عن تراثه . ويقول : « لقد أبادوك وقضوا على هويتك الحضارية ؛ لا حَقّ لك في الوجود — في نظرهم ... إن الموسيقى والبرامج الثقافية التي تذيعها وسائل الإرسال الإسرائيلية — كلها أجنبية بالنسبة لي ولأغلبية اليهود العرب » . ووضع بن سمحون مسرحية عن هجرة اليهود المغاربة تدعى « ملك مغربي » ، وصف فيها مجتمعاً يهوديا في المغرب ، قيل له إن المسيح اليهودي المنتظر قد ظهر ، وإنه جاء ليأخذهم إلى القدس ؛ لتأسيس المملكة الإلهية على الأرض . وبما أن الأسطورة اليهودية تقول إنهم سوف يطيرون على متن السحب إلى القدس ؛ فقد صعد جميع أبناء الطائفة إلى السطوح ، ثم قفزوا منها ؛ كي يركبوا السحب ؛ إلّا أنهم سقطوا على الأرض وماتوا ! هكذا ؛ يلمح الكاتب إلى أن هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل لم تكن إلّا انتحاراً جماعيا ؛ حدث في المعسكرات الانتقالية ، وفي مدن التطوير ، وفي أحياء الحزام الأسود . وقد وافق المسرح الإسرائيلي – بعد عناء شديد – على إخراج المسرحية – بصورة تتفق والمبادىء الصهيونية] .

وفي ندوة خاصة نظمتها الوكالة اليهودية في كفر همكابيا ؛ قال اشير عيدان (تونسي) ؛ وهو أستاذ في جامعة تل أبيب – قسم الفلسفة ؛ قال : « إن المشكلة هي أن الكولونياليين الأوروبيين جاءوا إلى هذه البلاد وسيطروا على حضارة اليهود العرب ، وإن نيل المساواة لا يتم إلّا إذا سيطر اليهود العرب على المصادر المالية في الدولة ، وتغلبوا على الهستدروت (اتحاد النقابات العامة) الأشكنازي » . وقال شلومو صادوق : إن موتي غور ؛ رئيس الأركان السابق – عنصري ، وإنه أطلق الرصاصة الأولى عندما قال : « إننا سوف ...* اليهود العرب مثلما ...* العرب » .

* ألفاظ تحمل دلالة جنسية .

واشترك في النقاش – الذي دار في الندوة – الدكتور جبرائيل بن سمحون ــ الآنف الذكر ــ قائلاً : « إننا نعيش في مهجر حضاري . إنهم غيروا حضارتنا بدون إخبارنا بذلك أولاً » . وقال حيم سيران ؛ مختص بالشؤون المسرحية – إن ثمة تمييزاً في المسرح ، ومن الصعب إخراج مسرحيات تهتم بقضايا اليهود العرب . وذكر أنه في وظيفته في التلفزيون الإسرائيلي يتحتم عليه أن يناضل من أجل تشغيل اليهود العرب ؛ في هذا المجال [هآرتس ، ٨١/٩/٢٥] .

وفي حواره مع مراسل جريدة زوهديريخ (٨٢/٢/٣) – يقول المغني المغربي شلومو بار : « أريد أن أعلّم ابني اللغة العربية ؛ ليتمكن من التكلم مع جيراننا العرب ، وليكون جسراً للسلام » . وقد ألّف بَار جوقة غنائية من المغنين المغاربة تدعى « جوقة الخيار الطبيعي » ؛ لإحياء الموسيقى العربية والأغاني العربية في مجتمع يهود الإسلام . ويقول بار إنه – منذ مجيئه من المغرب ــ عانى من الفقر ومن القمع الحضاري . وقد حُقر دائماً لكونه مغربيًّا ، وأرغموه على الشعور بالنقص بسبب أصله العربي . ويضيف أن والديه كانا ساذجين إلى درجة أنهما لم يدركا مكانتهما المتدنية في المجتمع ، وأنه لم يتمكن من أن يشرح لهما ذلك . ويقول إن ٩٥٪ من السجناء هم مغاربة ؛ بسبب الأوضاع الاجتماعية السائدة ، على حين لم يعانِ اليهود ــ في المغرب ــ من المجازر بأيدي المسلمين ، وإن الجيران المسلمين – في المغرب – كانوا يحترمون قبور الأولياء اليهود ، ويزورونها طالبين الشفاعة من هؤلاء الأولياء [نفس المصدر] .

وإثر تقليص ميزانية التعليم ؛ طالب اليهود العرب بإلغاء الدعم المالي للجوقة القومية للموسيقى الغربية . ولقد عارض هذا الرأي الصحافي ناتان دونيفيتس – قائلاً : « يجب تغيير الموسيقى الغربية ؛ لتكون محبوبة من الشرقيين أيضا » . ولكنه لم يقترح إنشاء جوقة قومية للموسيقى العربية [هآرتس ، ٨٢/٤/١٦] .

إلغاء الخط العبري الشرقي :

ومن أجل « وحدة الشعب » ؛ ألغت المؤسسة الصهيونية الخط العبري القديم الذي استخدمه يهود العالم العربي والإسلامي ؛ خلال قرون عديدة ، وفرضوا الخط العبري الأشكنازي . وهذه جريمة أخرى ارتكبها الصهاينة في حق الحضارة الإنسانية ؛ إذ إن معظم الوثائق والنصوص العبرية ، والأعمال العربية التي وضعها علماء يهود الإسلام – كتبت بهذا الخط . فكتاب « دلالة الحائرين » للفيلسوف اليهودي الإسلامي موسى بن ميمون ؛ كُتب باللغة العربية ؛ ولكن بالحروف العبرية . وكذلك استخدم اليهود في دار الإسلام هذا الخط العبري في رسائلهم ومذكراتهم وحساباتهم العربية ، واستعملوا الخط العربي أيضا .

تشويه لفظ الحروف الأبجدية العبرية :

اللغة العبرية لغة سامية ولدت في قلب الشرق الأوسط ، واستخدمها إبراهيم الخليل العراقي ، وإسحق ويعقوب الفلسطينيان ، وموسى بن عمران المصري ، وداؤد وسليمان عليهما السلام ،

وموسى بن ميمون الاندلسي – المصري ؛ طبيب صلاح الدين الأيوبي . ولذلك ؛ يطابق لفظ الحروف الأبجدية العبرية لفظ الحروف العربية . وهكذا لفظها اليهود أبناء هذه المنطقة منذ فجر التاريخ إلى أن ظهرت إسرائيل الأشكنازية . أما اليهود الأشكناز فلا يستطيعون لفظ ٥٠٪ من الحروف العبرية بصورة صحيحة ؛ بسبب أصلهم الأوروبي . ويقول بعض المؤرخين إن هذا يدل على أن أجدادهم لم يعيشوا في فلسطين أو في الشرق الأوسط عامة . ولذلك ؛ شوهوا اللفظ الصحيح ؛ فلفظوا الحاء كالخاء ، والراء مثل الغين ، والعين كا الألف ... إلخ . ثم أخذوا يحافظون على هذا التشويه ويتباهون به كجزء من هويتهم الأوروبية ، ويضحكون على كل يهودي عربي يلفظ الحروف بصورة صحيحة ، ويعتبرون اللفظ الشرقي « بدائيًا وعربيًا » .

ولهذا ؛ أخذ الكثيرون من أطفال العرب يقلدون لفظ مدرسيهم الأشكناز للحروف ؛ لتجنب الضحك عليهم والاستهزاء بهم . على حين راح آخرون يقلدون اللفظ الأشكنازي ؛ من أجل إخفاء أصلهم ؛ للتغلب على عامل التمييز العنصري في سوق العمل . ولكن منذ ظهور الفهود السود في السبعينيات ؛ أصر الكثيرون على الحفاظ على لفظهم الأصلي .

وقد سبَّب هذا التشويه مشاكل عديدة في تعليم اللغة العبرية ، وزاد الأميَّة والأغلاط اللغوية . وصار الطالب يكتب – مثلاً – « تالب بدلاً من طالب » ؛ لأنه يلفظ التاء والطاء بصورة مماثلة تماماً ، ويكتب « أربات » بدلاً من « عربات » ... إلخ . وهذه هي الحروف العبرية التي شوه الأشكناز لفظها :

الباء (خفيفة الشدة) : أصبحت مثل V الإنكليزية .

الواو : أصبحت مثل V الإنكليزية أو W الألمانية .
الغين : أصبحت مثل الجيم المصرية .
الهاء : أصبحت مثل الألف .
الحاء : أصبحت مثل الخاء .
الطاء : أصبحت مثل التاء .
العين : أصبحت مثل الألف .
الصاد : أصبحت مثل تس (تسوم بدلاً من صَوْم) .
القاف : أصبحت مثل الكاف (كلب بدلاً من قلب) .
الراء : أصبحت مثل الغين (الغملة بدلاً من الرملة) .

ولم يغير الأشكناز الحروف الباقية ؛ لأنها معروفة باللغات الأوروبية . وبذلك حولوا رنة هذه اللغة السامية الشرقية إلى رنة أوروبية ؛ سلافية على وجه الخصوص ؛ لأن مصدر اليهودية الأشكنازية هو أوروبا الشرقية . وهم يصرّون على أن إسرائيل دولة « غربية » — وإنْ كان ٩٠٪ من سكانها من

الناطقين بالضاد ؛ أي فلسطينيين ويهود من دار الإسلام (النسبة تشمل سكان الأراضي المحتلة)* .

القضاء على الأدباء والشعراء اليهود من أرض العروبة والإسلام :

سؤال : أين الأدباء والشعراء اليهود الذين هاجروا من الوطن العربي إلى إسرائيل ؟

جواب : إسرائيل قضت عليهم حضاريا .

إن جو التعصب القومي الصهيوني ضد العرب ، وضد كل شيء عربي أرغم هؤلاء الكُتَّاب والشعراء على أن يوقفوا أعمالهم الشعرية والأدبية . إضافة إلى ذلك ـــ ومع اعتبار أن أبناء وحفدة يهود الإسلام ، الذين ولدوا وتربوا في إسرائيل ؛ لم يتسنَّ لهم دراسة اللغة العربية ـــ فإن معظم الجيل الجديد لا يتمكن من قراءة اللغة العربية ، وإنْ كان في استطاعته أن يتكلم هذه اللغة في محيط العائلة . ولذلك ؛ تقلص قراء العربية ، وصعُب نشر الكتب العربية ، وأخذ بعض هؤلاء الكتاب يكتب باللغة العبرية ، ومن بينهم سامي ميخائيل . لكن العراقي سمير نقاش كان الوحيد الذي أصرَّ على مواصلة أعماله باللغة العربية . وهو الذي صرح بقوله : « مازلت أحب نفسي كعراقي » . ويصف نقاش في أعماله هجرة اليهود العرب إلى إسرائيل باعتبارها « نكبة » ، منعته من غرس جذوره من جديد في إسرائيل ، بعد أن استُؤصل من الأرض العراقية بصورة تعسفية . وتصف جريدة هآرتس (٨٦/٥/١٦) هذا الكاتب بأن وضعه « معقد » : « إنه يهودي ويعيش في دولة يهودية ، ولكنه يكتب باللغة العربية » . وبالنسبة لليهود الأشكناز هذا شيء « معقد » ؛ إذ إنهم يرفضون الاعتراف بالحقيقة التاريخية : إن اليهود العرب هم جزء لايتجزأ من الحضارة العربية الإسلامية . ومن الجدير بالذكر ؛ أن المهاجرين الأشكناز من روسيا السوفياتية يستمرون في أعمالهم الأدبية باللغة الروسية ، ومع ذلك فإن جريدة هآرتس لاتصف وضعهم بأنه « معقد » !

إن أصل القضية هو أن المستوطنين اليهود الأشكناز حاولوا ويحاولون إقامة ستار فولاذي ؛ ليفصل يهود الإسلام عن أمتهم العربية الإسلامية ، وعن دار الإسلام – وطنهم الأصلي منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا . إن مئات الآلاف من اليهود الأشكناز يرحلون إلى بلدانهم الأصلية أو إلى أمريكا ، ولايصفهم أحد بالخيانة . على حين أن يهوديًّا عربيًّا واحداً ؛ عراقيًّا ؛ اسمه ناوي ـــ حاول العودة إلى العراق ؛ فقبضوا عليه وحكموا عليه بالحبس خمس سنوات ؛ لمجرد رغبته في زيارة وطنه ومسقط رأسه .

التغاضي عن أدباء يهود الإسلام في العالم :

إن وسائل الإعلام الإسرائيلية والمناهج الدراسية لاتتغاضى عن التراث القديم لليهود العرب فحسب ؛ بل عن جميع الكتاب والأدباء والعلماء والشعراء الذين ينتمون إلى المجتمع اليهودي العربي ، ويعيشون الآن في الخارج . وفي الوقت نفسه ؛ تتباهى إسرائيل الأشكنازية بكل عالم أو أديب

* يقصد الكاتب بالأراضي المحتلة الضفة الغربية وقطاع غزة دون بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة .

أشكنازي يعيش في أوروبا أو أمريكا ، وتحتكره تماماً – وإنْ كان بعيداً عن النظرية الصهيونية .

وكتب عن أدباء اليهود العرب في الخارج الصحافي بيني تسيبر ؛ في جريدة هآرتس (٦/ ١١/ ٨١) ؛ وأشار إلى أن فرنسا ، لا إسرائيل – أقامت الحفلات التأبينية إثر وفاة البيرت كوهين : اليهودي السفاردي اليوناني الذي يعتبر من أعظم الروائيين في هذا القرن . وقد نشرت رواياته الفرنسية المحبوبة في جمع أنحاء العالم ، وترجمت إلى لغات مختلفة . ويؤكد تسيبر أن هذا الأديب الفذ يمثل مصير الحضارة السفاردية التي أهملتها إسرائيل . ويضيف هذا الصحافي أن فرنسا قد استوعبت جميع الأعمال الفنية والأدبية الجيدة ؛ التي وضعها الأدباء السفارديم (يهود الإسلام) الذين ينتمون إلى المجتمع الذي يُدعى في إسرائيل : « الطوائف الشرقية » ؛ تحقيراً لأصله العربي . ويذكر هذا الصحافي بعض أسماء هؤلاء الكتاب ؛ مثل : باتريك مودينانو ، وأدموند زبس ؛ المصري ، الذي يُعتبر أكبر الشعراء المعاصرين في فرنسا ، وداريدا الجزائري ؛ الذي يمثل الفكر الفرنسي الحديث – في مجال الفلسفة . ويجب أن نشير هاهنا إلى الأديب الياس كانيتي ؛ الذي لم تعرفه إسرائيل إلى أن احتاز جائزة نوبيل ، فنشرت جريدة هآرتس مقالاً عنه . وبالرغم من أن هذا الأديب غير صهيوني ؛ فقد عني معظم المقال عنه بـ « نضال الحركة الصهيونية في بلغاريا » .

بسبب سياسة القمع الحضاري ؛ تكاد شبيبة يهود الإسلام لاتعرف شيئا عن تراثها وتاريخها . والحكام الأشكناز يعرفون جيداً أن الإنسان الذي يعرف تاريخه يستطيع أن يطوّر هويته ، وأن من له هوية يستطيع أن يصنع مستقبله . بالرغم من ذلك ؛ فإن وقائع التمييز التي تحدث لليهودي العربي – منذ ولادته إلى وفاته – تساعده على تكوين هويته ، علاوة على ذلك ؛ علينا ألا ننسى أنه محاط بنحو ١٦٠ مليون عربي يعتزون بحضارتهم .

نتائج سياسة التجهيل والقمع الحضاري :

١ – انتشار الأمية والرسوب في المدارس . وقد وضع أرنولد لويس ؛ الأنثروبولوجي الأمريكي — دراسة مهمة عن هذا الموضوع بعنوان « قوة البؤس والثقافة » (١٩٧٩) ، يقول فيها إن ثلث تلاميذ المدارس الابتدائية يدرسون في مدارس « المتخلفين » أو « المحتاجين إلى العناية الخاصة » . وحسب القاموس الصهيوني الأشكنازي فإن معنى هذه التعابير هو « أبناء يهود الإسلام » . ومن ضمن ٢٨٧ طالباً في المدرسة التي أجري التحقيق فيها ؛ كان عدد الطلاب من أبناء اليهود الأشكناز ٢٢ طالباً فقط . ويقول الكاتب الأمريكي إن ٢٥٪ من المدرسين لايملكون المؤهلات لتدريس مواضيعهم . وإن مُدرِّسة اللغة الإنكليزية لا تعرف سوى بعض الكلمات الإنكليزية . وحاولت المدرسات إقناع الكاتب بأن « هؤلاء التلاميذ » تربوا في حضارة « بدائية » ، ولذلك ؛ فإن مؤهلاتهم الذهنية وبواعثهم النفسية « ضعيفة » . ويؤكد المحقق أن وزارة المعارف تعيّن المدرسين ذوي المؤهلات القليلة ؛ اعتقاداً بأن « هؤلاء التلاميذ » لايحتاجون إلى مدرسين ومديرين من ذوي المستوى العالي ، لذلك ؛ عَيَّن المفتش – مثلاً – مدرِّسة للغة الإنكليزية ؛ بعد أن

فشلت في مدارس أخرى . وعندما سأل أرنولد لويس عن ذلك ؛ أجاب المفتش : « الحقيقة هي أن هؤلاء التلاميذ لايحتاجون إلى دراسة اللغة الإنكليزية ؛ لأن كلهم سوف يشتغلون في مهن بسيطة » [زو هديريخ ، ٨٥/٥/٢٩] .

وقد نشرت وزارة المعارف تحقيقاً علميا عن هذه المشكلة ؛ نشرته الصحافية نيلي مندلر [هآرتس ، ٨٣/٦/١٠] . يقول التقرير : ٤٠٪ من التلاميذ في سن ٩ سنوات – في الأحياء الفقيرة – سقطوا في امتحانات القراءة والكتابة والحساب ، في حين أن المعدل القطري للسقوط هو ١٤,٣٪ . ويؤكد التحقيق أن التلاميذ الساقطين لم يعرفوا حتى بعض الكلمات الأساسية . غير إن نسبة الرسوب بلغت في بعض الأحياء ٢٠ – ٢٥٪ ، وذلك ؛ لأن عدد التلاميذ للصف الواحد كان ٢٠ تلميذاً فقط . وصرح مدير مدرسة « هرتسليا » بتل أبيب ؛ الدكتور كارمي يوغيب – بأن ٨٠٪ من تلاميذ يهود الإسلام الذين أكملوا دراستهم الابتدائية في حي « هتكفا » الفقير ؛ لايعرفون القراءة والكتابة ، ولايعرفون جميع الحروف الأبجدية العبرية ، ومحصولهم اللغوي ضئيل .

وتقول جريدة زوهديريخ – نقلاً عن إسحق قدمون ؛ رئيس نقابة العاملين الاجتماعيين (٨٠/٤/٢) – إن ١٤,٠٠٠ أميٍّ التحقوا بالقوات المسلحة خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، وإن السجين يكلف الدولة ١٨٠,٠٠٠ ليرة سنويا ، في حين أن معالجة صبي جانح تكلّف أقل من ذلك بكثير : نحو ١٠,٠٠٠ ليرة .

وبسبب المستوى التعليمي المنخفض الذي يمنح ليهود الإسلام في الأحياء الفقيرة ومدن التطوير ؛ أخذت بعض العائلات ترسل أطفالها إلى المدارس الداخلية ؛ حيث يعيشون هناك بعيدين عن عائلاتهم . وهذه المدارس هي – عادة – مدارس دينية أو زراعية أو فنية أو عسكرية ... إلخ . وتبلغ نسبة المبعدين عن أسرهم ؛ سن ١٣ إلى ١٨ عاماً – مابين ١٥٪ و ٢٠٪ من مجموع الأطفال . وتبين من التحقيق الذي أجرته اللجنة الجماهيرية للدفاع عن تعليم يهود الإسلام ـــ أن مستوى التعليم في المدارس « الداخلية » ليس أفضل من المستوى في مدارس الأحياء الفقيرة ، وهذا يعني أن الطفل المُبعَد يفقد علاقاته العائلية ؛ بما يترتب على ذلك من نتائج سيكولوجية سيئة ؛ ولكنه لايحصل على ثقافة أفضل [حدشوت هلا ، رقم ٧ ، نيسان ١٩٨٧] . وبالإضافة إلى الناحية النفسية ؛ فإن المدارس الداخلية تمكنت من فصل هؤلاء الطلاب عن حضارتهم العربية ، ومحيطهم التقليدي ، وغسلت أدمغتهم بالتطرف الديني أو السياسي أو بهما معاً .

أما في المدارس الأشكنازية فقد بقي المستوى عالياً بالرغم من التقليصات ، وأخذت هذه المدارس تدفع لمدرسي المواد « المهمة » كالرياضيات والعلوم الطبيعية ثلاثة أضعاف مايتلقاه باقي المدرسين من رواتب . ويتم ذلك عن طريق الغش المعروف حتى لدى مدير وزارة المعارف ؛ الدكتور شوشاني ؛ إذ صرّح بأن هذه الطريقة هي « ضرورة لاتُستنكر » . ومن أهم أساليب الغش في هذه الصدد ؛ دفع أجرة ٢ – ٣ ساعات دراسية في حين أن المدرس قد درس ساعة واحدة فقط . ثم أخذ أولياء الطلبة يدفعون أجوراً إضافية لتدريس المواد التي ألغتها وزارة المعارف ، وقد استولى على نقابات

المدرسين الأشكناز الصمت في هذا الشأن . هكذا ؛ انقسم التعليم في المدارس الرسمية إلى قسمين : تعليم الأغنياء (الأشكناز) وتعليم الفقراء (يهود الإسلام) . وتقول الصحافية نوريت دوبرات التي نشرت هذه الحقائق [معريب ، ٨٧/٣/١٦] إن هذه الظاهرة – وهي تدعى ظاهرة التعليم الرمادي – موجودة في الخدمات الصحية أيضاً ، حيث تسمى « الصحة السوداء » . واعترف نحمان راز ؛ رئيس لجنة التعليم في البرلمان بأن هذه الظاهرة تمثل « إفلاس التعليم » [نفس المصدر] .

ويرتكب الفلسطينيون في إسرائيل خطأً جسيماً عندما يقارنون بين مستوى التعليم في الوسط العربي **ومعدل** مستوى التعليم في الوسط اليهودي ؛ لإبراز الفجوة الناجمة عن سياسة التمييز [المرصاد ، ١٩٨٧/٧/١] . ولو قارنوا بين مدارسهم ومدارس المستوطنين الأشكناز (في الكيبوتسات ، وفي الضواحي الأشكنازية في المدن) ؛ لاكتشفوا أن الفجوة الحقيقية أعمق وأعرض بكثير مما قد يتصورون . ويرتكب الفلسطينيون الخطأ نفسه عندما يقارنون أحوالهم الاقتصادية **بمعدل** هذه الأحوال في الوسط اليهودي عامة . وهذا الخطأ لا يشجع المسحوقين الناطقين بالضاد على التضامن والكفاح المشترك ، بل على النقيض ، وهذا مايريده المستعمر الأشكنازي .

٢ – **تدهور أحوال الأبنية والأجهزة المدرسية** ؛ فبعد أن قررت الحكومة تجميد بناء مدارس جديدة أو غرف إضافية ؛ أرغم قسم من المدرسين على التدريس في الملاجيء المقامة للاحتماء من الغارات الجوية ، وفي حظائر البقر . وبسبب تقليص ميزانية التعليم ؛ أبعدت الحكومة جميع علماء النفس والعمال الاجتماعيين عن المدارس ، وكانت مدارس يهود الإسلام والفلسطينيين الضحية الأولى . وفي الوقت نفسه ؛ تصرف الحكومة مبالغ هائلة لبناء مدارس حديثة في المستوطنات الأشكنازية في الأراضي العربية المحتلة – منذ ١٩٦٧ ، وكذلك لشراء أحدث الأجهزة المدرسية لهذه المدارس . ويبلغ عدد الطلاب للصف الواحد في هذه المستوطنات ٥ – ٨ تلاميذ فقط ؛ على حساب الصفوف المكتظة بالتلاميذ في مدارس يهود الإسلام والفلسطينيين [زو هديريخ ، ٨٣/٤/٢٠] .

٣ – **ازدياد عدد** البنين والبنات **الذين لايذهبون إلى المدارس ولا يشتغلون** . وتبلغ نسبة هؤلاء في حي المصرارا فقط ١٩٪ من مجموع النشء الجديد . وصرح نسيم غاؤن ؛ رئيس المنظمة العالمية ليهود الإسلام – بأن عدد هؤلاء الشباب في سن ١٤ – ١٧ سنة فقط قد بلغ أكثر من ٢٥,٠٠٠ شاب ، وبأن ٦٠٪ من أطفال يهود الإسلام يتسربون من مدارسهم ، وبأن ٧٠٪ من الجانحين في البلاد ينتمون إلى هذه الطائفة [هآرتس ، ٨٠/٤/٤] .

٤ – لقد أدت سياسة التجهيل إلى **قلة المؤهلات العلمية والمهنية لدى جماهير يهود الإسلام** ، وأدّى هذا بدوره إلى انتشار البطالة ثم الفقر ، ومكنت هذه الأوضاع من تحويل يهود الإسلام إلى قوة عمل رخيصة .

٥ – **انتشار الجنوح والإجرام وتعاطي المخدرات** ولاسيما في وسط الشبيبة التي لاتدرس

ولاتشتغل ، ومن ثم في المدارس الثانوية والقوات المسلحة . وتقول مصادر الشرطة إن ٥٠٪ من طلاب المدارس الثانوية جرّبوا الحشيش ، وإن مديري المدارس يتجاهلون ذلك ، ولايتعاونون مع الشرطة في هذا الشأن [هآرتس ، ٨٢/٥/١٤] . ويقول تقرير وزارة الرفاهة – عن الجنوح في الشبيبة – إن نسبة الجانحين الدائمين في شبيبة يهود الإسلام قد بلغت ٩٢,٩٪ من مجموع الشبيبة الجانحة بصورة مستمرة [هآرتس ، ٧٥/١٠/٣١] (انظر الفصل التاسع عن التقاطب الاجتماعي) .

٦ – **انتشار الحالة التغريبية وجو اليأس والإحباط** بالنسبة لدولة إسرائيل – من جهة ، **وفقدان الهوية العربية الإسلامية** لعدد كبير من الطائفة – من جهة أخرى . غير إن انتفاضات الفهود السود أيقظت الكثيرين من أجل استعادة تراثهم وهويتهم العربية (لاحظ الفصل الأخير) .

ويعترف الصهيوني المعتدل اريه ايلياآب بالقمع الحضاري قائلاً : إنها حلقة مفرغة . يكرّرون على مسامعك – منذ شبابك – أنك خرجت من الظلمات والفراغ ، وأن بيئتك كانت بدائية تماماً (وهذا أيضا له صلة بالكره والغطرسة التي يُعامَل بها العرب) ؛ حتى تنتهي بالاقتناع بكل ذلك ، وحينئذ ؛ لايبقى أمامك سوى خطوة واحدة تقوم بها ؛ لتبدأ عن وعي منك – أو لاوعي – بكره أهلك والبلد الذي أتيت منه ، وبالخجل من أصولك . ولكن في المرحلة التالية تبدأ بكره أولئك الذين أدخلوا في رُوعك كل هذا ، والذين يكرهونك ، وتبدأ في طرح الأسئلة على نفسك : « ألم يكن كل هذا سوى مجموعة من الأكاذيب ؟ » ... [الأزمنة الحديثة ، ص ٢١ و ٢٢] .

إن تعمق الفجوة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين يهود الإسلام والمستوطنين الأشكناز – يؤدي إلى تفاقم التناقضات الاجتماعية التي تدفع بدولة إسرائيل نحو الانفجار الاجتماعي . ويُجمع السياسيون والاجتماعيون في إسرائيل على أن هذا « الخطر » هو أعظم من « خطر » منظمة التحرير الفلسطينية ؛ والجيوش العربية معاً . وقد أدى هذا التفاقم إلى ظهور الفهود السود ، وآراء الكفاح المسلح والتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ضد الكولونيالية الصهيونية الأشكنازية (انظر الفصل الأخير) . ويقول النائب شارلي بطون ؛ زعيم الفهود السود – إن ٩٠٪ من السجناء في السجون العسكرية هم من يهود الإسلام ، ويضيف « إنهم يرفضون الخدمة العسكرية الإلزامية بسبب التمييز العنصري » [زوهديرخ ، ٨١/١/٧] .

الفصل الثامن

« تبرير » التمييز العنصري

لقد أدت سياسة التمييز العنصري إلى تقسيم « الشعب » الإسرائيلي اليهودى إلى بِنْيَتَين من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية : أولاهما البنية النخبوية الأشكنازية ، وثانيتهما البنية التحتية المؤلفة من يهود الإسلام (والفلسطينيين) . أضف إلى هذا الانقسام ؛ الاختلاف الحضاري : الحضارة الأشكنازية الأوروبية من جهة ، والحضارة العربية الإسلامية من جهة أخرى .

ويحاول الصهاينة الأشكناز « تعليل » أو « تبرير » هذا الانشقاق بواسطة آراء عنصرية معروفة في الغرب ؛ ولاسيما في جنوب إفريقيا . وتشكل هذه الآراء جزءًا لايتجزأ من الآراء العنصرية الموجهة ضد الشعب العربي الفلسطيني ، والأمة العربية الإسلامية ، والحضارة الإسلامية . وهذه الآراء لا يطرحها الزعماء السياسيون فحسب ، بل يطلقها أيضاً صحافيون وعلماء اجتماع ، وتعبر عنها جميع الأحزاب الصهيونية ؛ وإن اختلفت في التكتيك ، حتى اليسار الأشكنازي غير الصهيوني ؛ أو المعادي للصهيونية – مثلما يدعون .

أولاً – آراء الزعماء السياسيين :

هرتسل ؛ مؤسس الحركة الصهيونية العالمية : « إن الصهيونية ستكون حصناً للحضارة الأوروبية ضد البربرية الشرقية » [الدولة اليهودية ، ص ٣٠] . وهذا هو رأس الحية . ومن هذه النظرية الكولونيالية العنصرية ؛ انتشرت آراء وإجراءات قاسية في حق الشعب الفلسطيني ، والعرب عامة ، ويهود الإسلام أيضاً ؛ كجزء من هذه « البربرية » الشرقية .

جابوتينسكي ؛ زعيم اليمين الصهيوني التصحيحي ، الذي خلّف العصابات الإرهابيّة كالأرغون وعصابة شتيرن وحزب الحيروت وجبهة الليكود : « ليس لليهود – والحمد لله – أي شيء مشترك مع الشرق . ويجب علينا أن نزيل جميع آثار النفس الشرقية الموجودة لدى اليهود في فلسطين » [مقاله المعنون : « الشرق » ، ١٩٢٦] . وفي مقاله « يهود الشرق » المنشور ١٩١٩ ؛ يعارض – هذا الزعيم الروحاني لحزب حيروت – الزواج من اليهود العرب ، وخلق شعب يهودي واحد .

ويقول أيضاً إنه يعارض المزج بين اليهود الأشكناز واليهود العرب ؛ لأنه لايعرف ماذا قد يُوَلِّد : شعباً عبقريا أو عنصريا بليداً . ويعتقد أن على اليهود الأشكناز أن يحافظوا على أغلبيتهم في المجتمع اليهودي ؛ في فلسطين [هآرتس ، ٨٣/٧/٢٢] .

دافيد بن غوريون ؛ بولوني ، زعيم أكبر حزب عمالي (مباي) ، وزعيم الهستدروت ، ورئيس الوكالة اليهودية ، وأول رئيس وزراء ووزير للدفاع في إسرائيل : وصف يهود الإسلام – في اجتماع مع قادة الجيش – عام ١٩٥٠ بأنهم « غبار آدمي ، بدون أية حضارة يهودية أو إنسانية . يحتاجون إلى مرحلة طويلة من التربية والتمدن إلى أن يستطيعوا أن يحتلوا مكاناً لائقاً في المجتمع » [بن غوريون ، نيتسح يسرائيل ، ص ٣٤ ، منشورات عينوت ، ١٩٦٤] . ونشر بن غوريون مقالاً تضمن مايلي : « تلاشت الألوهية لدى طوائف يهود الشرق ، وتضاءل تأثيرهم في الشعب اليهودي أو زال تماماً . وخلال مئات السنين الأخيرة ؛ يسير يهود أوروبا في مُقَدم الشعب ؛ سواء من الناحية الكمية أو من الناحية النوعية » ، وأضاف بن غوريون أنه يقصد يهود أوروبا الشرقية [المصدر السابق ، ص ١٧] (لأن بعض الطوائف اليهودية في الغرب قد هاجرت من الأندلس العربية الإسلامية ، وتنفصل عادة عن اليهود الأشكناز الذين هاجروا من أوروبا الشرقية وأواسطها) . ويعلق المؤرخ توم سيغف على أقوال بن غوريون هذه قائلاً : « بدا أن الدولة تبنت وجهة النظر القائلة بأن بيت صعلوك يهودي في بلونسك (قرية بولندية متخلفة ولد فيها بن غوريون) تبارك بـ « ألوهية » ، أما بيت طبيب يهودي جزائري خريج السوربون فلم يتبارك بها» [الترجمة العربية ، ص ١٦٧] . ويرى بن غوريون أن يهود أوروبا شكلوا شخصية الشعب اليهودي في العالم بأسره ، وأن الصهيونية كانت – في الأساس – حركة اليهود الأشكناز ؛ الذين كانوا في نظره المرشحين الأوائل للمواطنية في دولة إسرائيل . ويرى أيضا أن المعنى الحقيقي للكارثة النازية : هو أن هتلر دمَّر القوة الرئيسية والأساسية لدولة إسرائيل ؛ قبل تأسيسها . وقد قامت الدولة ولم تجد الشعب الذي كان ينتظرها ، ولذلك ؛ استجلبت اليهود العرب . وقد شبههم بن غوريون بالزنوج الذين استجلبوا إلى أمريكا كعبيد في مزارع الأمريكيين البيض [نيتسح يسرائيل (خلود إسرائيل) ، ص ٩ و ١٤ و ٢٣ و ٣٤ و ٣٧ . واللجنة التنفيذية الصهيونية ، ١٩٤٩ ، ص ١١٨]. وفي ٤٩/٧/١٣ ؛ قال بن غوريون في لجنة الدستور التابعة للبرلمان الإسرائيلي – إن اليهود المراكشيين « وحوش بشرية » . ولكنه اعترف بأن معظم اللصوص والنشالين هم يهود أشكناز [تراث بن غوريون ، مذكراته ، ٤٩/٧/٢٠] . وفي ١٩٥٦ ؛ قال بن غوريون إن اليهود المغاربة « ليس لهم حضارة ، إنهم متأثرون بالعرب ، ونحن لانريد هنا حضارة مغربية » . وقال عن اليهود الإيرانيين : « لا أستطيع أن أرى ماهو الإسهام الذي بمقدور اليهود الإيرانيين أن يقدموه إلى إسرائيل » [عل همشمار ، ٨١/٩/٢٨] . وفي ١٩٥٩ – بعد انتفاضة اليهود العرب في وادي الصليب بحيفا ؛ وصف بن غوريون المغاربة بأنهم « طائفة بدائية » ، واتهمهم بالتعاطف مع « الخارج على القانون واللص والقواد أو القاتل » [من بن غوريون إلى القاضي عتسيوني ، ٥٩/٨/٣ ، تراث بن غوريون].

أما عن اليمنيين فقد كتب بن غوريون في رسالته إلى رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ؛ يغآل يَدين : « إن استيعاب هذا القوم من الناحيتين الحضارية والاقتصادية أسهل من استيعاب آخرين : إن اليمني يحب العمل ولا يتهافت على المدينة .. » (يقصد أنه بالإمكان استغلالهم كقوة عمل رخيصة في الزراعة) . ويستطرد بن غوريون بقوله : « لكنه يشكل – من جهة أخرى – المشكلة الأصعب ؛ إذ إنه بعيد عنّا مسافة ٢٠٠٠ عام ، ويفتقر إلى صميم المفاهيم المدنية الأساسية الابتدائية (لاحظ الفارق بين هذه المفاهيم والحضارة) . وهو ينظر (أي اليمني) إلى الأطفال والمرأة نظرة الرجل البدائي . وحالته الصحية ضعيفة ، وقوته الجسدية خائرة ، ولايدرك حاجته الصحية الأولية ... » [١٩٥٠/١١/٢٧ ، تراث بن غوريون] . وطالب بن غوريون بتحضير اليمنيين ، وقال في الكنيست : « إن هدف الحكومة هو تلقين المهاجر من اليمن أنماط الحياة الإسرائيلية ؛ إلى أن ينسى من أين أتى ... » [محاضر الكنيست ، المجلد ٨ ، ص ١١٠٢ ، ٥١/٢/١٤] (يعني طمس هويته العربية الإسلامية) . [صحيح أن التكنولوجيا الغربية لم تنتشر في اليمن بسرعة كبيرة ، غير إن أوضاع اليهود في اليمن كانت أفضل من أوضاع اليهود الأشكناز : سكان غيتوات أوروبا الشرقية (انظر أعمال الكاتب الأشكنازي منديله موخير سفاريم ولاسيما « رحلات بنيامين الثالث » . لقد كان اليهود في اليمن أصحاب حرف يدوية مهمة ؛ مثل : الصياغة والحدادة والنجارة ، على حين تعيَّش الأشكناز في الغيتوات من البيع بالتجول ومن ذبح البهائم والطِّهارة وغيرها من المهن الدينية ، ولم تكن هناك أية قاعدة اقتصادية بناءة في حياتهم . وفي حين شارك يهود اليمن جيرانهم اللغة والحضارة ، كان اليهود الأشكناز منفصلين تماماً عن جيرانهم حضاريا ، ولم يفهموا حتى لغتهم (انظر الفصل الثاني ولاسيما اعترافات ينيئيلي)] .

وفي ١٩٦٠ ؛ صرح بن غوريون قائلا : « إن اليهود في البلدان الإسلامية عاشوا في مجتمع متخلف ، فاسد ، يفتقر إلى ثقافة واستقلالية وكرامة ذاتية . أبناء الجيل القديم منهم ؛ سوف لايتغيرون بصورة أساسية ، أما الأجيال الشابة فيجب تشبيعها بصفات أخلاقية وعقلية راقية : صفات الذين شيدوا دولة إسرائيل : وإذا فشلنا في ذلك – لاسمح الله ـــ فسوف نواجه خطراً ؛ وهو أن الجيل القادم قد يحوِّل إسرائيل إلى دولة ليفنتينية* » [نيويورك تايمس ، ١٩٦٠/١٠/٢٥ – نقلها ايلي خضوري ، ص ٤٤٨] . وطالب بن غوريون – وزعماء آخرون ـــ باستجلاب المزيد من اليهود الأشكناز من روسيا وأوروبا وأمريكا ؛ من أجل تحسين تركيب سكان البلاد (يعني تقليل نسبة اليهود العرب) . وقال بن غوريون أيضاً : علينا أن نقاوم روح الليفانت (الشرق) ؛ لأنها تفسد الأفراد والمجتمعات . وفي ١٩٦٢ – عندما اقترح عليه ضم وزير « شرقي » آخر ؛ أجاب غاضباً : « دولة إسرائيل لن تكون دولة ليفنتينية » . وخلال الفترة ١٩٤٧ – ١٩٧٣ ؛ جرت مراسلات مهمة بين بن غوريون والياهو الياشار ؛ زعيم اليهود العرب ، شدد فيها الياشار على أهمية إلغاء التمييز الموجه ضد

* ليفنتيني : صفة يستعملها اليهود الأشكناز لتحقير سكان الشرق الأوسط . ويعنون بها إنسانا شرقيًا بدون حضارة – بدائيًا ؛ يقلد ظواهر الحضارة الغربية فحسب ؛ كالملابس والموسيقى والمراسيم الاجتماعية . و Levantine بالإنجليزية : من سكان البلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط .

يهود الإسلام ، وتوسيع تمثيل هذا المجتمع في مؤسسات الدولة ؛ من أجل وحدة « الشعب » . وفي رسائله ؛ تهرب بن غوريون من مشكلة التمييز ، وأشار إلى أن اليهود العرب لايشكلون مجتمعاً واحداً ، وزعم أنه لايشعر بأنه أشكنازي وإنما « يهودي فقط » . ومن الجدير بالذكر ؛ أن المؤسسة الصهيونية – كلها – لاتعترف بوحدة اليهود العرب الحضارية ، وهذا ينطبق على الأمة العربية والإسلامية ؛ لأن هذه الوحدة – في كلتا الحالتين – تناقض مصالحهم التوسعية والاستعمارية . وأخيراً ؛ اعترف بن غوريون في رسالته المؤرخة بتاريخ ٧٣/٧/٢٥ بوجوب إلغاء « الفجوة » (بين اليهود الأشكناز واليهود العرب) ؛ من أجل « وحدة الشعب » . ونشرت هذه الرسائل في مجلة شيبط وعام ـــ ١٩٧٣ ، وفي كتاب الياشار « العيش مع اليهود » . وكان بن غوريون أهم شخصية في جميع المؤسسات الصهيونية – منذ زمن الانتداب ، وفي حرب ١٩٤٨ – بصفته رئيس الوزراء ووزير الدفاع ؛ فكان مسؤولاً رئيسيا عن تشريد الشعب الفلسطيني ، وتهديم مئات القرى ومصادرة أملاكها وأراضيها ، واستجلاب يهود الإسلام من بلدانهم والزج بهم في المعسكرات ، ومؤامرة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

ارثر روبين ؛ وهو من زعماء الصهاينة القدماء ، واختص في الاستيطان الزراعي : في عام ١٩١٣ ؛ عبّر عن خوفه من أن هجرة اليهود العرب إلى فلسطين قد تخفّض المستوى الحضاري في البلاد . وعيّن ارثر روبين دوراً خاصا لليهود العرب في البنية الاقتصادية والاجتماعية الصهيونية ؛ وهو « التنافس مع العامل العربي » ؛ لأن اليهودي العربي « يستطيع أن يقوم بالأعمال الدنيا مقابل الأجرة نفسها التي يتقاضاها العامل العربي » [نقلا عن الدكتور شطريت ، على همشمار ، ٨١/٩/٢٨] .

غولدا مئير (مئيرسون – سابقاً)؛ رئيسة وزراء ووزيرة العمل ، من زعماء حزب العمل (مباي سابقاً) : « نحن – في إسرائيل ـــ بحاجة إلى مهاجرين ذوي مستوى رفيع ؛ لأن مستقبل بنيتنا الاقتصادية يقلقنا . إن لدينا مهاجرين من مراكش وليبيا وإيران ومصر ، ومن بلدان أخرى ترجع مستوياتهم الاجتماعية إلى القرن السادس عشر » [ميخائيل الباز ، الأزمنة الحديثة ، ص ١٢٠] . ولغولدا تصريحات أخرى كثيرة (انظر نزاعها مع الفهود السود في الفصل العاشر) .

موشيه شاريت (شرتوك سابقاً) ؛ وزير خارجية ورئيس وزراء ، ينتمي إلى حزب العمل : قال شاريت لوزير الخارجية السوفياتي ؛ فيشنسكي : « ثمة بلاد ـــ وهنا تحدثتُ (النص منقول من تقرير كتبه شاريت حول مباحثاته مع فيشنسكي) عن بلاد شمال إفريقيا – ليس اليهود فيها مضطرون جميعاً إلى الهجرة . إنها ليست مسألة عدد الأشخاص ؛ بل نوعيتهم . إن مهمتنا في البلد مهمة طلائعية ، ونحن بحاجة إلى أشخاص ذوي قابلية معينة للمرونة .. لانستطيع الاعتماد على يهود مراكش كي يبنوا البلد وحدهم ؛ لأنهم غير مؤهلين لذلك .. إننا بحاجة إلى أشخاص قادرين على الصمود أمام كل صعوبة ، ويتمتعون بقدرة على الاحتمال . إنك تعرف أنه بالنسبة لبناء البلد – في الوقت الحاضر ـــ فإن يهود أوروبا الشرقية هم مِلْح أرضنا .. » [تقرير شاريت ، ٤٨/١٢/١٢ ،

أرشيف الدولة ، وزارة الخارجية ــ ١٣٠/١١/٢٥٠٢/٨ . نقلها سيغف ، ص ١٨٣ ، الترجمة العربية] .

آبا ايبان ؛ من جنوب إفريقيا ، ومن زعماء حزب العمل والخارجية الإسرائيلية : كتب عن « الخطر الذي يحدّق بالأشكناز في إسرائيل » ؛ من جراء هجرة اليهود العرب . وحدد هذا الخطر بقوله إن هذه الهجرة « قد ترغم إسرائيل على مساواة مستواها الحضاري مع العالم المجاور » . وعارض ايبان الرأي القائل بأنه على اليهود العرب أن يشكلوا جسراً في طريق الاندماج بين إسرائيل والبلدان العربية . وأضاف أن هدف الصهيونية هو غرس الروح الغربية في اليهود العرب بدلاً من السماح لهم بجر إسرائيل إلى الحضارة الشرقية [المجتمع ، الجزء التاسع ، أيّار ١٩٧٢، ص ٤٢] .

موتي غور ؛ رئيس الأركان السابق وأحد وزراء إسرائيل ؛ من قادة حزب العمل : « إن الطوائف الشرقية لن تصل إلى المستوى الأشكنازي خلال ٢٠ – ٣٠ عاماً . وإن جميع المساعي التي بذلت من أجلهم لم تعطِ إلّا نتائج جزئية ، ولم يصل إلى المستويات العالية إلّا القلائل منهم ، وبعد عناء شديد .. لايسد أي شخص طريق التقدم أمامهم . للأسف الشديد ؛ سنوات عديدة جدا سوف تمضي إلى أن تصل الطوائف الشرقية – من ضمنها ذوو الشهادات الجامعية – إلى المستوى الذهني والتكنولوجي الغربي – وإنها لمشكلة » [هآرتس ، ٧٨/٥/٢١] .

وموتي غور على حق ؛ إذا استمرت سياسة التجهيل ؛ فاليهود العرب الذين هاجروا إلى فرنسا وبلدان غربية أخرى – برهنوا على نقيض ما يقوله غور . وقد أشار الياهو الياشار إلى أن عدد اليهود العرب الأساتذة في جامعة السوربون في باريس – قد بلغ الثمانين ، وأن ٤٩٪ من الطلاب اليهود في هذه الجامعة من المغرب العربي . وأن جراح الجنرال ديغول كان يهوديًّا جزائريًّا يدعى البروفسور أبو الخير . على حين أن البروفسور البغدادي إيلي خضوري درَّس في جامعة لندن . وفي الولايات المتحدة ؛ اشتهر البروفسور البغدادي دانيال خزوم ... إلخ . ولنترك آراء موتي غور ، ولنتناول أخلاقه وأسلوبه . ففي حملته الانتخابية لصالح حزبه ؛ أعلن غور في اجتماع حافل مايلي : « إننا سوف ... اليهود العرب مثلما ... العرب » [ملحق لجريدة هآرتس ، ٨١/٩/٤] (هذا هو المستوى الذهني والأخلاقي لرئيس الأركان ولوزير أشكنازي صهيوني . وللقارىء أن يتصور عامة اليهود الأشكناز !) . ولقد شكل هذا الاستفزاز الوقح أحد الأسباب التي دفعت باليهود العرب إلى التصويت إلى جانب الليكود ، لإبعاد الزعران « الاشتراكيين » عن دفة الحكم . وهكذا ؛ بقي مناحيم بيغن في الحكم ؛ لسوء الحظ . وأخيراً ؛ نذكر له تصريحه بأنه مستعد لأن ينسحب من القدس العربية مقابل مليون يهودي روسي ... (يعني أشكنازي) [هآرتس ، حزيران ١٩٨٧] .

موشيه دايان ؛ من زعماء حزب العمل وأحد قادة المؤسسة العسكرية الصهيونية : صرح في عام ١٩٧٤ بما يلي : « إن أكبر مشكلة تواجه إسرائيل هي أن عدد اليهود العرب قد زاد على عدد المهاجرين الأوروبيين » . وكان المستمعون لهذه المقولة من المستوطنين البيض في جنوب إفريقيا ، ولذلك ؛ فهموا هذا « الخطر » من دون إيضاح إضافي .

ثانياً ــ موقف الصحافة الصهيونية الأشكنازية :

قامت الصحافة الصهيونية – وكلها أشكنازية – منذ ١٩٤٨ بحملة عنصرية ضد يهود الإسلام « المتوحشين » ، كانت غايتها تبرير سياسة التمييز الحكومية . وكتبت هذه الصحف أن « هؤلاء لايعرفون المراحيض ولا ورق التواليت ، ويزرعون الخضراوات تحت أسرّتهم ! ويخبئون أطفالهم في الصناديق ؛ لإنقاذهم من الطبيب والأدوية » . وفي ٥١/٣/٢٢ ، كتبت جريدة هآرتس الليبرالية عن العراقيين من سكان المخيمات الانتقالية (معبروت) : « إن الكثير من الآباء يجبرون أبناءهم على السرقة ، ويقف المدرسون عاجزين أمام هذه الظاهرة . وقالت إحدى الفتيات : إذا لم أنفذ أوامر والديّ ؛ فإنهما يقللان من طعامي ، ويضاعفان من ضرباتهما لي ... ويرتشف الأطفال الخمر من حين إلى آخر . ويعودونهم الكذب » .

وفي ١٩٥٢ ؛ نشرت الجريدة نفسها مقالات عن التونسيين (٥٢/٥/٥) ، وعن الأفغان (٥٢/٥/٢١) ، وعن الإيرانيين (٥٢/٦/٢) . وفيها أبرزت فقرهم وأمراضهم و « انحلالهم » . وكتبت أن قسماً كبيراً من اليهود الإيرانيين يتعاطى الأفيون والحشيش وهناك مصابون بالسفلس (مرض الزهري) ، حتى من الأطفال ؛ ذلك أن هناك عنصراً وراثيا لهذه الأمراض – على حد قول الجريدة . وفي ٥٢/٤/١١ ؛ تقول افتتاحية الجريدة إن هجرة اليهود من البلدان العربية « المتخلفة » تحمل معها خطراً على وجود إسرائيل كدولة عصرية .

وكتبت جريدة يديعوت احرونوت (٥١/٣/٣١) أن مستوى يهود الإسلام حسب المقياس الأوروبي أقل من المعدل ... وهناك تخوّف من انخفاض المقياس الوظيفي في البلاد . وفي ٥٢/٢/٢٣ ؛ كتبت الجريدة نفسها أن أصحاب الأعمال يطلبون عمالاً « متحضرين » ، ومن « غير الطوائف الشرقية » . ونفصل فيما يلي آراء بعض الصحافيين :

اريه غلبلوم :

لقد بلغت الهجمة ذروتها في مقال « اريه غلبلوم » في جريدة هآرتس (٤٩/٤/٢٢) . وفيما يلي فقرات منه : « ... إنها هجرة عنصر لم نعرف مثله في البلاد ؛ حتى الآن . ويبدو أن هناك فوارق بين القادمين من طرابلس (ليبيا) ومراكش والجزائر . ولكني لا أستطيع القول أنني تمكنت من دراسة ماهية هذه الفروق – هذا إذا كانت موجودة . يقولون – مثلاً – إن الليبيين والتونسيين « أفضل » ، وإن الجزائريين والمراكشيين « أسوأ » ، لكن المشكلة واحدة . بصورة عامة ... أمامنا شعب بلغت بدائيته الذروة ، وتصل ثقافته إلى حد الجهل المطلق . والأخطر من ذلك أنه يفتقر إلى القدرة على استيعاب أي شيء روحاني . وبصورة عامة فإن مستواهم لا يفوق المستوى العام للسكان العرب والزنوج والبرابرة ــ في مواطنهم – إلّا بمقدار قليل . وهكذا ؛ فإن مستواهم أقلّ مما أَلِفْنَاه لدى عرب أرض إسرائيل في الماضي . وهم يفتقرون – خلافاً لليمنيين – إلى جذور في اليهودية . وفي مقابل ذلك ؛ فإنهم خاضعون تماماً للعبة الغرائز البدائية والمتوحشة . كم من الحوادث يكلف

تثقيف الإفريقيين الذين يقفون في الصف للحصول على الغذاء ، في غرفة الطعام ؛ من دون أن يقيموا ضجة عامة ؟ كان هناك يهودي بلغاري يجادلهم في مسألة الوقوف بالصف ؛ وإذا بإفريقي يستل مدية على الفور ويجدع أنفه . وحدث أكثر من مرة أن انقضوا على موظفي الوكالة اليهودية واشبعوهم ضرباً . وعلى كل حال فإن موظفي المعسكر يواجهون خطراً دائماً من هذه الهجمات . وفي أركان مساكن الإفريقيين في المعسكر ؛ تجد الأقذار ولعب القمار وتعاطي الكحول والدعارة . ويعاني الكثيرون منهم من أمراض العيون الخطرة ، ومن أمراض جلدية وجنسية ، إضافة إلى أعمال السطو والسرقة . إن هذا العنصر المعادي للمجتمع لا يؤمن جانبه ، وليس هناك من يكبح جماحه بصورة « جدِّية » ... لا تختفي أمتعة المهاجرين فقط ، بل الأجهزة العامة التابعة للمعسكر أيضاً . وقد سطوا على أحد المعسكرات التي كنت أزورها (كاتب المقال) وأفرغوا المخزن العام . ووقعت في معسكر آخر – مثلاً – حادثة قتل عادية . وفي غرفة بالقرب من المستشفى ؛ غسل المُغسِّلون (الحنوطيون) ميتاً ، وعندما عادوا من الجنازة ؛ لم يجدوا أدوات التنظيف .

هذه هي الصورة الحياتية التي ينقلها الإفريقيون إلى أماكن إقامتهم . ولا غرابة في ارتفاع عدد الجرائم العامة في الدولة . ولم يعد في بعض أجزاء القدس أمان لفتاة أو لشاب يخرج وحده إلى الشارع بعد غروب الشمس . وكان هذا أيضاً قبل تسريح الشبان الإفريقيين من الجيش . وبهذه المناسبة ؛ لقد وعدني أيضاً هؤلاء أكثر من مرة قائلين : « عندما ننتهي من الحرب ضد العرب ؛ فسوف نشن حرباً على الأشكناز » . وفي أحد المعسكرات ؛ « وضعوا خطة تمرّد » تتضمن الاستيلاء على أسلحة الخفراء ، وقتل جميع موظفي الوكالة اليهودية في المعسكر . وعندما يأتي رجال الشرطة ؛ تحدث أحياناً مشاجرات . والأهم من ذلك كله ؛ هناك حقيقة أساسية لاتقل خطورة ؛ وهي النقص في جميع معطيات التكيف مع حياة البلاد ولاسيما الخمول العضال وكراهية العمل . إنهم يفتقدون – جميعاً ، وبدون استثناء تقريباً – إلى المهن ، ومن ثم فإنهم يعانون من الفقر المدقع . وكلهم يقولون لك إنهم كانوا « تجاراً » في إفريقيا . والحقيقة أنهم كانوا باعة متجولين . وكلهم يريدون العيش في « المدينة » ! ماذا يمكن أن نفعل بهم ؟ كيف يمكن استيعابهم ؟... هل فكّرنا فيما سيجري لهذه الدولة إذا كان هؤلاء هم سكانها ؟ وفي أحد الأيام سوف يضاف إليهم المهاجرون من يهود (باقي) البلدان العربية ! ماذا ستكون وجهة دولة إسرائيل ومستواها في وجود سكان كهؤلاء ؟.... » .

ويعتبر هذا المقال أكبر إهانة في حق يهود الإسلام والمغرب العربي ككل . وقد قابلت بنفسي مثل هؤلاء المغاربة ، وكانت الأغلبية الساحقة منهم شريفة بكل معنى الكلمة . أما الصحافي الأشكنازي « غلبلوم » فيتهم هذا المجتمع برمته بجميع الرذائل المذكورة في مقاله . وأعتقد أن اليهود الأشكناز كانوا – ولايزالون – يكرهون المغاربة ؛ لأنهم كانوا يدافعون عن حقوقهم بشجاعة . وفي ذلك الوقت (وقت كتابة مقال غلبلوم) كنت أسكن في عمارة بالقدس ، وكان معظم جيراني مغاربة مهاجرين ، وكلهم كانوا لطفاء يمتازون بالكرم والمحبة والصداقة المخلصة والعواطف الرقيقة ؛ وغيرها من الخصال العربية الإسلامية الحميدة . وكان اليهود الأشكناز يسمونهم « مروكو سكين » ؛ أي

مغربي مجرم قد يطعنك بالسكين . وفي حين كان هذا الاستفزاز الأشكنازي يثير غضبهم ، كان المستوطنون الأشكناز يخافون منهم . حتى الشاعر الأشكنازي **ناتان الترمان** المعروف « بإنسانيته » وحبه للسلام بين الشعوب – لم تشمل إنسانيته حب يهود الشرق الأوسط ! فوصفهم في أعماله بأنهم « سكان الأغوار المظلمة ، والزنزانات التي يتصاعد منها الدخان » [يوم المليون ، الترمان ، المجلد الأول ، ص ١٢٠] .

وبالإضافة إلى اليمنيين ؛ فإن التمييز العنصري ضد المغاربة كان أسوأ بكثير من التمييز الذي وُجه ضد باقي يهود الإسلام . أما الرذائل التي يصفها غلبلوم فقد نمت في المعسكرات الرهيبة في فرنسا وفي إسرائيل ، وأما بشأن شجاعتهم ودفاعهم عن كرامتهم العربية ، فقد قال المدير العام لوزارة المالية ــ آنذاك ــ دافيد هوررفيتس لدافيد بن غوريون : « إن سكان معسكرات المهاجرين يشكلون شعباً ثانياً ؛ شعباً متمرداً ، ويعتبروننا نشكل الطبقة الثرية الحاكمة . وهذه مادة من شأنها أن تشتعل . وهي مادة ممتازة بالنسبة لحزب حيروت والشيوعيين . إنها مادة ديناميت . إنهم يحتلون مكان العرب من نواح عديدة ، وقد أصبحت لدينا نظرة خاصة تجاههم : نظرة التفوق » [٤٩/٤/١٢ ، أرشيف الدولة ، وزارة الخارجية ، 130. 02/2447/3] . ولقد صَدَقَ دافيد هورفيتس فيما ذهب إليه . وسوف نرى في الفصل العاشر كيف كوَّن المغاربة طلائع المقاومة : مقاومة يهود الإسلام للحكم الصهيوني الأشكنازي .

كلمان كتسنلسون :

إن العنصرية الصهيونية الأشكنازية وصلت إلى أقصاها في أعمال هذا الكاتب اليميني التصحيحي ؛ فهو يعلل كثرة اليهود الأشكناز في المناصب العالية بالتفوّق الأشكنازي بالنسبة ليهود الإسلام . ويرجع هذا التفوق ــ على حد قوله ــ إلى أن اليهود الأشكناز عاشوا في أوروبا مئات السنين ؛ على حين عاش اليهود السفارديم في البلدان الإسلامية ، وعلاوة على ذلك ؛ فإن اليهود الأشكناز يشكلون « أمة واحدة » ، إلى جانب أن العنصر الأشكنازي قد تغلّب على الانفصالية الطائفية داخله . ثم يضيف أن تخلف يهود الإسلام هو السبب الرئيسي لوضعهم السيء ، وأن التمييز الأشكنازي ضدهم نتج عن تخلفهم ، وأن يهود الإسلام يحتاجون إلى ١٥٠ عاماً من أجل الوصول إلى مستوى اليهود الأشكناز .

أما بالنسبة للتمثيل في البرلمان ؛ فيؤكد الكاتب كفاية الأشكناز ، ويعارض مبدأ المساواة ، ثمت يشدد كتسنلسون على أن إشراك يهود الإسلام في الحكم بالنسبة لعددهم في السكان ؛ يناقض مبدأ « الشعب اليهودي كشعب مختار بين الشعوب » . ويضيف أن هذه القاعدة ؛ أي « الشعب المختار » ــ موجودة أيضا بالنسبة للعلاقات الداخلية في الشعب اليهودي نفسه !! . وأن اليهودي ــ على حد قوله ــ لايعترف بحكم الكمية ، وإنما بحكم النوعية . وأن اليهودي الواعي لن يخضع لأي حكم يهودي لم ينتخب على أساس النوعية ، بل على أساس كمي . ثم يعود ويشدد على أنه ــ

بموجب المبدأ اليهودي ـــ الحكم يمنح للمختار (بعبارة أخرى : إن الشعب اليهودي هو الشعب المختار ، وإن الطائفة الأشكنازية هي الشعب المختار بالنسبة لباقي اليهود ؛ أي يهود الإسلام . وكشعب مختار يحق لهم التحكم في الغير) .

وأخيراً ؛ يقول إن الأمة الأشكنازية مستعدة لاحتواء يهود الإسلام . ويهدّد قائلاً : إذا صمّم يهود الإسلام على كونهم أمة واحدة ، مقابلة ومنفصلة عن الأمة الأشكنازية ـــ فسوف يقرر الأشكناز أن يكونوا أمة منفصلة تماماً ، ويهتموا بتقوية أنفسهم وبنوعيتهم ، وسوف يعاملون السفارديم كطائفة انفصالية [شيبط وعام ، ١٩٥٩] . ولقد نشرت مجلة يهود الإسلام : « شيبط وعام » المقال الذي وردت فيه هذا الآراء ؛ ليتمكن قادة يهود الإسلام من التعليق عليها .

وفي عام ١٩٦٤ ؛ نشر كتسنلسون كتابه المشهور « الثورة الأشكنازية » ، وفيه يقول : إن اليهود العرب يشكلون الأغلبية ، وإن التكاثر الطبيعي عندهم أكبر مما هو في الطائفة الأشكنازية . وهم يشبهون العرب في مظهرهم ، وفي طريقة تفكيرهم ، ولذلك ؛ يتحتم على اليهود الأشكناز أن يمنعوهم من أن يتحدوا ضد الأقلية الأوروبية (الأشكنازية) . ويضيف : أن الأمة الأشكنازية المتفوقة ـــ التي قدر لها أن تحكم ، قد أخطأت عندما سمحت لغير الأشكناز ؛ الدونيين ـــ بالهجرة . وعليها أن تأخذ زمام الحكم حالاً ؛ لمنع تدهور حكمها وانهيار إسرائيل . ثم يعدد الكاتب الوسائل العنصرية اللازمة لإبعاد يهود الإسلام عن النفوذ والحكم . ويشير يهودا نيني إلى أن هذا الكتاب هو الوثيقة الحقيقية الوحيدة التي تعكس الموقف الواقعي لليهود الأشكناز ؛ تجاه يهود الإسلام (انظر الفصل الأخير) .

إن هذه الآراء ليست جديدة ؛ إذ إن الكاتب اقتبسها من المبادىء الهتلرية والفاشية المعروفة في أوروبا . وكل من عاش في فلسطين منذ زمن الانتداب ، وتعاشر مع اليهود الأشكناز ـــ يعرف أن أغلبيتهم تؤمن بهذه الآراء ؛ بالنسبة للعرب وليهود الإسلام . والعنصر الجديد هنا هو أن هذا الكاتب عبَّر عن هذه الأفكار علنا . ولذلك ؛ غضب عليه أشكناز كثيرون . وثمة مستوطنون أشكناز يعارضون هذه الآراء ، ولكنهم يطبقونها عمليا . وثمة مستوطنون أشكناز آخرون يعارضون هذه الأفكار عمليا ونظريا ؛ بالنسبة للفلسطينيين ، ويتجاهلون التمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام ؛ لأنه يخدم مصالحهم في البلاد . وثمة شواذ أيضاً .

ويسمي الياهو الياشار ؛ زعيم يهود الإسلام في فلسطين ، يسمي كتسنلسون « يهوديا نازيا » . ويؤكد الياشار « أن ثمة الكثير من الأشكناز الذين يؤمنون بآرائه ، ولكنهم لايعبرون عنها خطيا » [العيش مع اليهود ، ص ٤١٣] .

وفي مقال خاص نشره في شيبط وعام (١٩٥٩) ؛ يقول داؤد ستون إن كتسنلسون يعبر عن آراء الكثير من الأشكناز ؛ ومن ضمنهم زعماء دولة إسرائيل . ثم يضيف : ليس لهذه الآراء أي أساس ؛ فيهود الإسلام يشملون أناساً لهم مستوى عالٍ ، كما أن للأشكناز فئات ذات مستوى

منخفض . ثم هو يتهم كتسنلسون بالعنصرية والإيمان بنظرية « التفوق الأشكنازي » . ويعزو داؤد ستون الأوضاع السيئة لدى يهود الإسلام إلى إهمال المنظمة الصهيونية ؛ إذ إنها لم تعتنِ بهذا المجتمع إلّا بعد أن اتضح لها أن مصدر الطاقة الإنسانية الأشكنازية ؛ قد أبيد بأيدي النازية . ويدلل على ذلك بأن ٧٪ من طلاب المدارس الثانوية هم يهود عرب ، وأن نسبتهم في الجامعة ٥٪ ، وفي التكنيون الحيفاوي ٣,٣٪ . ثم يطالب بمنح التعليم المجاني في الصفين الأولين من المدارس الثانوية ، وتوظيف الأموال لتشجيع يهود الإسلام على الالتحاق بالجامعة . أما بصدد « تخلّف » السفارديم ؛ فيشير الكاتب إلى الطبقة ذات المستوى العالي التي تمتعت بمكانة مهمة في إدارة اقتصاديات وسياسات بعض الدول ؛ مثل : مصر والعراق والجزائر ودول البلقان ... إلخ . ويقوم بعض المنتمين إلى هذه الطبقة ـــ في الوقت الحاضر ـــ بإدارة بنك دسكونت الإسرائيلي ، وبعض الصناعات في البلاد ، ويطالب ستون بإشراك يهود الإسلام في إدارة المجالس المحلية ، والجمعية الصهيونية ، والبرلمان ، ومجلس الوزراء ـــ بدون أن ينتظروا ١٥٠ عاماً . ثم يسأل : لماذا لم يُعين أي يهودي عربي في إدارة الجمعية الصهيونية خلال ستين السنة الماضية ؛ أي منذ تأسيسها ؟ ويجيب : لأن المنظمة الصهيونية العالمية تمثل يهود أوروبا وأمريكا فقط ، وهذا شأن مؤسسات الحكومة والبرلمان والأحزاب وسائر المنظمات الأشكنازية : كلها تأسست أولاً في بلدان أوروبا الشرقية ، ثم انتقلت إلى فلسطين . أما يهود العالم الإسلامي فليس لهم الخبرة في تشكيل منظمات سياسية ، ولم يشكلوا في بلدانهم السابقة إلّا جمعيات خيرية أو دينية . وينفي مزاعم كتسنلسون بأن للأشكناز موقفا قوميا لا طائفيا . ويشدد على أن المنظمات الأشكنازية هي طائفية في تركيبها ، ولم تعتنِ قط بإشراك يهود الإسلام في العمل أو المسؤولية ؛ إلّا قبيل الانتخابات ؛ حيث تضم بعض السفارديم ؛ فيصبح التغيير شكليا فقط . ويذكر ستون أن الوكالة اليهودية واللجنة القومية اليهودية اللتين أعلنتا عن تأسيس دولة إسرائيل ـــ لم تشملا أي يهودي عربي . ثم ينتقد ستون طريقة الانتخابات الحزبية الأشكنازية وتمويلها ، ويقترح طريقة الانتخابات الفردية المتبعة في بريطانيا (وقد شرحنا ذلك في الفصل السادس) [نفس المصدر السابق] .

وعلق الدكتور موشي الموزيلينو على مقال كتسنلسون بقوله إن الديمقراطية الإسرائيلية هي « أسطورة » ؛ لأن اليهود العرب غير ممثلين في البرلمان بصورة حقيقية . أما مبدأ « الحكم للأقلية وللصفوة » فقط فهو « مبدأ نازي ، عنصري ، وغير ديمقراطي » . أما بشأن المزاعم التي تقول إن « الأشكناز أمة واحدة ، مستعدة أن تستوعب السفارديم في حضارتها » ؛ فالكاتب يشبهها بمحاولات روسيا القيصرية لإلغاء حضارات الشعوب الصغيرة ، واستيعابها في الحضارة الروسية . ويعتقد الكاتب أن هذا هو بالتحديد ماتفعله وسائل الإعلام الصهيونية الأشكنازية . ثم يشدد على أن المثقفين ـــ أكثر من غيرهم ـــ يرفضون التحول إلى أشكناز ، ويطالب بالتعاون ، ويرفض « الاستيعاب أو الاحتواء » . وينقل الدكتور موشي الموزيلينو مقولة كتسنلسون : « إن الأشكناز لايوافقون على تحويل إسرائيل إلى دولة شرقية » ، ويتساءل : « مامعنى لايوافقون ؟ هل الدولة ملك لهم ؟ وهل يحتكرون أوروبا وحضارتها ؟ » . ويشير إلى أن « ليس كل شيء أوروبي ممتازاً ! » .

ويحذر الدكتور من أن يهود الإسلام « قد عانوا من التمييز بصبر ، إلّا أن صبرهم سوف ينفد » . ويذكّر القارىء بأن « الهيكل الثاني (أي الدولة اليهودية الثانية) قد انهار ؛ بسبب الحرب الأهلية الداخلية » . وقد نفى الكاتب في بداية مقاله — « تفوق كل الأشكناز » وتخلف كل يهود الإسلام ؛ كما فعل ذلك السيد ستون [شيبط وعام ، ١٩٦٠] .

دافيد شيحور :

يعلل هذا الصهيوني ظهور الشبيبة الهامشية (التي لاتدرس ولاتشتغل) والأوضاع القاسية التي يعيش فيها يهود الإسلام ؛ بالأسباب التالية : ١ – التطور الاقتصادي السريع والتصنيع في إسرائيل . ٢ – قلة المهارة التقنية لدى يهود الإسلام . ٣ – تبعية اليهودي العربي لعائلته أقوى بكثير من طموحه الذاتي ، ولذلك ؛ فإنه لايترك العائلة بحثاً عن أحوال أفضل . ٤ – أصل يهود الإسلام هو الوطن العربي الإسلامي ؛ غير الصناعي .

ومغزى مايدعيه شيحور هو : لاتوجد عنصرية في إسرائيل ... يهود الإسلام فقراء ؛ لأنهم بدائيون ، قدموا من بلدان عربية إسلامية متخلفة [شيبط وعام ، ١٩٧٣] . والحقيقة هي أن أوضاع معظم المستوطنين الأشكناز في غيتوات أوروبا الشرقية ؛ كانت أسوأ بكثير من أوضاع يهود الإسلام في بلدانهم العربية الإسلامية . وأن سبب تقدمهم الاقتصادي والثقافي في فلسطين لم ينتج إلّا عن استيلائهم على جميع التبرعات المالية لليهودية العالمية ، واستغلالهم لأراضي العرب وأملاكهم ، وتحويل الفلسطينيين ويهود الإسلام إلى أيدٍ عاملة رخيصة ، واحتكارهم الطائفي لجميع مراكز النفوذ السياسي والاقتصادي . ولو كانت نظرية دافيد شيحور صحيحة بشأن تأخر يهود الإسلام ، ما وصلت مئات الآلاف من يهود الإسلام التي هاجرت إلى الغرب — إلى قمة الهرم الاقتصادي والمالي والثقافي في بريطانيا وفرنسا وأمريكا ؛ وغيرها من البلدان الغربية . ويقول الياهو الياشار إن جميع الأحزاب الأشكنازية تخاف من تكاثر يهود الإسلام ، ومن تقوية نفوذهم . وفي انتخابات بلدية اللد نُشرَ إعلان يقول إنه من الخطر انتخاب رئيس البلدية من يهود الإسلام ؛ بسبب وجود المطار الدولي هناك ، ويتحتم انتخاب رئيس بلدية أشكنازي . وهذا يعني أن يهود الإسلام يشكلون خطراً أمنيا على دولة إسرائيل [الياشار ، ١٩٨٠ ، ص ٤١٣] .

يوئيل مركوس :

يعلل « تفوق » اليهود الأشكناز على يهود الإسلام — في مقاله « الانحطاط الإثني » (هآرتس ، ٨٢/٤/٢٣) — بقوله إن الأشكناز عاشوا في أوروبا تحت ظلال الحضارة الأوروبية — منذ ألف سنة ؛ على حين جاء يهود الإسلام من بلدان بدائية لاتملك أية حضارة . ويتناسى مركوس أن اليهود الأشكناز عاشوا في غيتوات خاصة ، ولم يشتركوا في الحضارة الأوروبية حتى القرن التاسع عشر ، ولم يعرفوا حتى لغات جيرانهم الأوروبيين . ويتجاهل مركوس العناصر السلبية للحضارة الأوروبية ؛

مثل : التعصب الديني ، والمذابح الطائفية ، والكولونيالية ، والفاشية ، والنازية ، والعنصرية ، والتعصب القومي . ولقد كان اليهود الأشكناز من ضحايا هذه العناصر السلبية . أما مزاعمه بشأن « بدائية » العالم العربي الإسلامي و « انعدام الحضارة » الإسلامية — فلا تدل إلّا على كراهية عمياء .

امنون دنكنير :

كتب هذا الصحافي الأشكنازي مقالين عن يهود الإسلام ، نشرهما في جريدة هآرتس في شباط ١٩٨٣ . يصف دنكنير يهود الإسلام فيهما بأنهم « متخلفون » ، « خمينيون » ، « بدائيون » ، « يعيشون في ظلام حضاري » . ثم يمتدح اليهود المستوطنين الأشكناز وحضارتهم « الغربية ، الإنسانية ، الليبرالية » ؛ إذا إنهم — على حد قوله — « ورثة الشاعر هيني ، وعالم النفس فرويد ، وعالم الذرة أينشتاين » . ويقول المثل العربي العامي : « تتباهى القرعاء بشعر أختها » . وأنا متأكد (الكاتب) من أن دنكنير لم يقرأ أعمال هؤلاء العلماء الأشكناز . ولو قرأها لعلم أن آراءهم تناقض المبادىء الصهيونية والمعاملة غير الإنسانية تجاه الشعب العربي الفلسطيني . ومما يجدر ذكره ؛ أنهم اقترحوا على العالم أينشتاين أن يهاجر إلى إسرائيل ليكون رئيس الدولة ، ولكنه رفض ذلك .

ولقد أدّى هذا الموقف العنصري في وسائل الإعلام وفي التربية والتعليم والأدب — إلى اشتداد التنافر والاحتكار والعداء من جانب المجتمع اليهودي الاستيطاني الأشكنازي — ككل — في علاقاته اليومية مع يهود الإسلام . ولايظهر التمييز الأشكنازي بصورة مقنعة (كذلك المتبع في بريطانيا — مثلاً) ، وإنما بصورة مكشوفة فظة ؛ في أماكن العمل والجيش والحافلات والشوارع ... إلخ . وثمة قاموس أشكنازي مملوء بالتعابير المهينة المستخدمة لتحقير يهود الإسلام (وأبناء الشعب الفلسطيني ، والعرب عامة) ؛ مثل : عربي وسخ ، أسود ، نتن ، فرنك ... إلخ . ويستخدم اليهود الأشكناز الكلمة « عربي » كشتيمة توجه ضد اليهود العرب ، أو كصفة لوصف كل شيء سيء .

وأشهد — كإنسان عاشر اليهود الأشكناز منذ زمن الانتداب البريطاني في فلسطين — أن عنصرية هذا المجتمع في إسرائيل أسوأ بكثير من عنصرية الشعوب الأوروبية تجاه السود الأفارقة . وبعد أن عشت (الكاتب) عدة سنوات في بريطانيا ؛ أشهد أيضا أن التمييز العنصري ضد يهود الإسلام في إسرائيل أقبح بكثير من ذلك المتبع في بريطانيا ضد السود .

وإذا عقد الصلح المنشود بين إسرائيل وجاراتها العربية ؛ فكيف يستطيع العرب — المعروفون بالعزة والكرامة والشرف — أن يعيشوا ويشتغلوا يوميا مع هؤلاء المتغطرسين ؟ حتى « التقدميون واليساريون » منهم يمتازون بالموقف « الأبوي » تجاه الفلسطينيين . وقد كتب أحدهم — وهو يحتكر القضية الفلسطينية احتكاراً — في آخر كتبه برنامجاً لحل هذه القضية ، واقترح على الأخ ياسر عرفات أن يقول كذا وكذا للأمم المتحدة . ولم يكتفِ بذلك ؛ بل كتب الخطاب بأكمله ! ولم يشعر بأن مثل هذا العمل يُعد إهانة في الشرق الأوسط ؛ إذ إن الأخ أبو عمار لايحتاج إلى يهودي أشكنازي

ليكتب له خطابه أمام الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة .

وكتب أحد الصحافيين البريطانيين عن هؤلاء المتغطرسين الذين يزورون مصر ؛ يقول : « إن المصريين لايفهمون كيف استطاعت هذه « الغوغاء » أن تنتصر عليهم ثلاث مرات » .

وتدل جميع البحوث العلمية في إسرائيل على أن الآراء العنصرية المسبقة منتشرة لدى معظم المجتمع الاستيطاني ، وأن وسائل الإعلام والتعليم تمكنت من غسل أدمغة يهود الإسلام ؛ حتى أخذ الكثيرون منهم يؤمنون بدونيتهم وبدونية الإنسان العربي وبالتفوق العنصري للإنسان الأشكنازي .

ثالثاً – آراء علماء الاجتماع :

١ – مدرسة التحديث :

مدرسة يرأسها الأستاذ ش . ن . ايزنشتات وتلاميذه في الجامعة العبرية بالقدس . وترتكز نظريتهم على نظرية أمريكية تدعى « الوظيفية » ، وهي تقسم الإنسانية إلى قسمين : حديث تقدمي وهو العالم الغربي ، وتقليدي متخلف وهو العالم الثالث . ويقول هؤلاء العلماء إن سبب الفجوة بين اليهود الأشكناز ويهود الإسلام ليس هو التمييز العنصري في العمل والسكن ... إلخ ؛ بل هو تخلّف يهود الإسلام . ويرون أنه من أجل سد هذه الفجوة ؛ يجب على يهود الإسلام أن يتخلوا عن حضارتهم العربية الإسلامية ، وأن يقتبسوا الحضارة الأشكنازية . وهذا يعني ــ بالطبع ــ استعماراً حضاريًّا ، بالإضافة إلى الاستعمار الاقتصادي والسياسي . ويتجاهل هؤلاء العلماء أن معظم الرذائل في المجتمع الإسرائيلي لم تستورد من الحضارة الإسلامية ؛ وإنما من الحضارة الغربية « المتفوقة » .

ومن الناحية التكنولوجية والاقتصادية ؛ لم تكن أوضاع معظم اليهود الأشكناز في غيتواتهم ــ في أوروبا الشرقية ــ أفضل من أوضاع اليهود الذين جاءوا من مصر أو العراق أو سوريا أو لبنان ... إلخ . إضافة إلى ذلك ؛ فإن تحصيل التعليم العالي لايساعد يهود الإسلام على نيل المساواة ؛ فقد أعلنت لجنة التحقيق الحكومية بعد الصدامات الدموية بين الشرطة والفهود السود بالقدس (١٩٧١) ــ أعلنت أنه كلما كان اليهودي العربي أكثر ثقافة ، كلما تعرض لتمييز أكثر قسوة . أما بصدد المستوى الاقتصادي فلم يكن راقياً في المجتمع الأشكنازي في فلسطين ــ زمن الانتداب ــ ولم يكن أفضل بكثير من مستوى البلدان العربية المجاورة .

وإذا لم يكن هناك مفر من الفجوة بسبب « تخلف » يهود الإسلام ؛ فلماذا لم تحدث مثل هذه الفجوة بين يهود الإسلام والمجتمع الغربي في أوروبا الغربية ؟ والواقع أن أحوالهم أفضل من أحوال الإنكليز والفرنسيين ... إلخ .

وخلافاً لتنبؤات أهل « التحديث » ؛ فإن الجيل الثاني والثالث الذي ولد في إسرائيل « التقدمية » « الحديثة » ، وتعلم في مدارسها – قد انخفض مستواه الاقتصادي والثقافي بالمقارنة بآبائه الذين

هاجروا من الوطن العربي ، فأين هو التحديث ؟

٢ – مدرسة التعدد الطائفي الإثني :

وهي مدرسة أمريكية أيضاً ، يترأسها في إسرائيل يوحنان بيرس وسامي سموحة . وتقول هذه النظرية إن معظم الأمم تحتوي على أكثر من طائفة واحدة ، وتشترك جميع الطوائف في بعض مجالات الحياة معاً ؛ كالاقتصاد والسياسة ، وتعيش على حدة في المجال العائلي والديني والحضاري . ويرى سموحة أن الفرق بين الأشكناز والسفارديم — في إسرائيل — يتلاشى ، وأن هناك تقدماً نحو الاندماج . وبهذا يؤيد سموحة أهل التحديث ، ولكنه يشرط ذلك بتغيير سياسة الحكومة . ثم يضيف أن إيقاف سيل الأموال من الخارج ، وإنهاء حالة الحرب قد يسببان أزمة طائفية .

وأرى أن التقاطب الاجتماعي يناقض هاتين النظريتين (انظر الفصل التاسع) : إن نظرية التعدد الإثني لاتطابق الوضع الإسرائيلي ؛ لأن الطوائف في هذا البلد غير متساوية ، بل توجد طائفة واحدة تتحكم في باقي الطوائف (أي الفلسطينيين ويهود الإسلام) .

إن « الاندماج الذي لا عودة عنه » غير موجود إلّا في خيال سموحة وبيرس . وقبل ثلاثين عاماً ؛ كان اليهودي العربي يخجل من الاستماع إلى موسيقى عبد الوهاب وإلى أم كلثوم ، وكان يفعل ذلك سرًّا ، أما اليوم فأسواق إسرائيل مملوءة بشرط الموسيقى العربية والأفلام العربية . ومعظم يهود الإسلام يستمعون إلى الإذاعات والتلفزيونات العربية أكثر من وسائل الإعلام الإسرائيلية . **وإذا كان هذا الاندماج حقيقيا ؛ لماذا يشرط باستمرار حالة الحرب وسيل الأموال من الخارج ؟ وماذا سيحدث إذا قررت منظمة التحرير الفلسطينية ضرب الأهداف الأشكنازية فقط ، ورفع راية التضامن مع يهود الإسلام على أساس وحدة الأمة العربية الإسلامية ؟ إن هناك عناصر واعية في مجتمع يهود الإسلام تدعو إلى التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ؛ على أساس وحدة اللغة والحضارة والتاريخ والمصير ، وهذا ما لم يحدث عام ١٩٤٨ ؛ فأي اندماج هذا ؟** (انظر الفصل الأخير) .

٣ – مدرسة التبعية (نظرية فرانك — فالرشتاين — دوس سانتوس) :

تقول هذه النظرية إن المجتمعات الإنسانية مرتبطة : الواحد بالآخر ؛ في إطار عالمي رأسمالي . وإن هذا التركيب الاجتماعي يؤثر على نوعية العلاقات فيما بينها ، وعلى العلاقات داخل كل منها . وبهذه الكيفية ؛ تنقسم الدول إلى دول صناعية غنية ودول متخلفة فقيرة . ولأن غنى الدول الغربية يرتكز على فقر الدول الفقيرة ؛ أي على استغلال العالم الثالث ؛ فإن بلدان العالم الثالث أصبحت مصدرا للمواد الخام الرخيصة ، وسوقاً لبضائع الدول الصناعية الرأسمالية الاستعمارية . وهذا هو تقاسم العمل بين الحاكم والمحكوم . وبموجب هذا النظام تنقسم المحاصيل بصورة غير متساوية ، ولذلك ؛ تتعذر المساواة بين هاتين المجموعتين من الدول ، أو سدّ الفجوة القائمة بينهما . وتنطبق هذه النظرية على العلاقات بين الطوائف المختلفة في كل مجتمع ؛ ففي كل مجتمع توجد طائفة متحكمة اقتصاديا

وسياسيا في باقي الطوائف ، ويؤدي هذا الوضع إلى تكتّل المحكومين ونضالهم من أجل الانفصال والتحرر . وفي إسرائيل ؛ يسعى يهود الإسلام إلى تكوين هُوِيَّة خاصة للتخلص من الاستعمار الأشكنازي (انظر الفصل العاشر) .

٤ - رأي العلماء « الإنسانيين » :

وفي ١٩٥١ ؛ توجهت مجلة « مغاموت » الإسرائيلية إلى خمسة أساتذة أشكناز ؛ من أركان الجامعة العبرية ؛ لمناقشة مشكلة الفجوة بين الأشكناز والسفارديم ؛ من خلال مقالات يكتبونها في المجلة . وهؤلاء الأساتذة هم : عقيبا آرنست سيمون ، ناتان روتشترايخ ، ميشولم غرول ، يوسيف بن دافيد (غروس) ، كارل فرنكنشتاين .

يقول كارل فرنكنشتاين : « علينا الإلمام بالعقلية البدائية لدى الكثيرين من المهاجرين القادمين من البلاد المتخلفة » . وقد وافق قرناؤه على ذلك . ثم اقترح أنه من أجل فهم عقلية يهود الإسلام يجب مقابلتها بـ « التعبير البدائي » لدى الأطفال ، أو المتخلفين عقليا ، أو الذين يعانون من الاضطرابات النفسية . واعتقد يوسيف غروس أن اليهود العرب يعانون من « تقهقر نفساني » و « خلل في تطور الذات » . ثم ناقش الأساتذة « جوهر البدائية » .

غير إن البروفسور سيمون ؛ وهو من زعماء منظمة « احود » (وحدة) التي ناضلت من أجل الوفاق العربي ــ اليهودي ؛ زمن الانتداب البريطاني ــ حذر من فرض حضارة أجنبية على يهود الإسلام ؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى نشوء الحالة التغريبية من الناحيتين الاجتماعية والأخلاقية . وشدد على الجوانب الإيجابية في « العقلية البدائية » ؛ مثل : « الدين والصلاة ، وقوة رِدَّة الفعل العاطفية على ظواهر الخير والجمال والقدسية والود الحقيقي في العلاقات الشخصية » ، وهي جوانب إيجابية نسبها ليهود الديار الإسلامية ؛ خلافاً لليهود الأشكناز .

وبلورت هذه المقالات إجماعاً أشكنازيا : قسم منه أبوي ، وقسم آخر ينطوي على التفوق الذاتي والاحتقار للغير . كما برز ــ هنا وهناك ــ إحساس بأن الخطر يتربص بالحضارة الأشكنازية . وقد اعتبر المشاركون في هذه الندوة « استيعاب » يهود الإسلام « مهمة حضارية » ؛ تهدف إلى تلقين يهود الإسلام قيم الحضارة الغربية ؛ بغية الوصول إلى الدمج بين المستوطنين الأشكناز ويهود الإسلام .

وأخيراً ؛ حذّر البروفسور سيمون من أن « استيعاب مئات الآلاف من ذوي العقليات البدائية ــ يهدد بخطر الانشقاق إلى معسكرين ، سيبرز الأول بشعوره المتعالي والثاني بشعوره الدوني » [مغاموت ب/٣ ــ نيسان ١٩٥١ ، والأعداد ب/٤ وج/١ ، والملحق الأسبوعي لجريدة هآرتس ــ ٨٢/٣/١٩] .

لقد اختلطتُ باليهود الأشكناز سنوات عديدة ، وأؤكد أن هذا التعميم الفظ في حق الأمة العربية والإسلامية لاينحصر في طبقة الأساتذة والمثقفين الأشكناز فقط ، بل يتعدى ذلك إلى الأميّ

الأشكنازي ، وحتى اللص والقواد والمجرم الأشكنازي : كلهم يؤمنون بهذه الاراء ، وبتفوقهم الحضاري على أساتذة الجامعات المصرية — مثلاً ، ويعتقدون أن علْم العَالم الشرقي « سَطْحيّ » بدون جذور ، وبدون خلفية حضارية .

٥ - **فئة « دفاتر للبحث والنقد »** (محبروت لمحكار ولبكورت) :

وهي فئة أشكنازية تقدمية ، نشأت حول الدكتور شلومو سفيرسكي ، الأستاذ في جامعة حيفا ، وتشمل أيضاً دبوره برنشتاين ، وسارة كتسير . وقد أخذت هذه الفئة تنشر « الدفاتر » عن أحوال الفلسطينيين ويهود الإسلام منذ ١٩٤٨ — ومن هنا كانت تسميتها . وبالرغم من أنها لا تستعمل تعابير مثل « تمييز » أو « عنصرية » ؛ فقد جمعت وقائع وأرقاماً مهمة عن هذا الموضوع . وبما أن هؤلاء العلماء مختصون في علم الاجتماع ؛ فقد أهملوا النظرة التاريخية وتغاضوا عن نقطة مهمة ، وهي أن العلاقات بين المجتمع الاستيطاني واليهود العرب لم تبدأ عام ١٩٤٨ ؛ وإنما تطورت منذ بداية الاستيطان الصهيوني ، كما تغاضوا عن القمع الحضاري والقمع السياسي الذي قام به الحزب الحاكم .

ويقول سفيرسكي وبرنشتاين : « حتى النيات الحسنة ليس في مقدورها تغيير الفجوة التي حصلت » [دفاتر للبحث والنقد ، رقم ٤ ، ص ٧] . وكل من عاش في فلسطين منذ زمن الانتداب يعرف أن نيات المستوطنين الأشكناز لم تكن حسنة تجاه أهل البلد ؛ سواء أكانوا عرباً فلسطينيين أم يهود الإسلام .

وأنا (الكاتب) أعجب من « الموضوعية » الباردة في أسلوب فئة الدفاتر ؛ إذ إنها خالية من أية عواطف إنسانية تجاه المنكوبين ، أو عواطف استياء تجاه البِنْيَة الفوقية ؛ فكأنَّ المنتمين إلى فئة الدفاتر يكتبون ؛ لا عن أبناء بلدهم وإنما عن شعب آخر يسكن المريخ . وفي القسم الثالث من كتابه (١٩٨١) ؛ يرفض سفيرسكي ثلاث الطرائق المعروفة لتحسين أحوال يهود الإسلام ، ويبرر رفضه على النحو الآتي :

١ - **توسيع الخدمات الاجتماعية** : وهذه الطريقة — حسب قوله — لاتخلق المساواة ، ولاتغير « تقاسم العمل » في المجتمع . والخدمات — في الواقع — تعمق الفجوة وتجعلها دائمة ؛ لأن معظم الموظفين الذين يستفيدون من جهاز الرفاهة هم من الأشكناز . وهم يستفيدون أيضاً من توظيف الأموال في الجامعات أكثر من يهود الإسلام . إذن الخدمات مهمة ، ولكنها لا تستطيع أن تغير التركيب الاجتماعي في البلاد — على حد قوله .

٢ - **التنظيم السياسي ليهود الإسلام** : إن ثمة الكثير من يهود الإسلام الراديكاليين الذين يهدفون إلى إقامة حزب سياسي ؛ بغية الوصول إلى الحكم . ويقول الكاتب بصدد هذه الحقيقة : حتى إذا تمكن هؤلاء من تأليف حكومة « شرقية » ؛ فإنها سوف تقابل معارضة شديدة من قبل المؤسسات والتنظيمات الأشكنازية ؛ مثل : أصحاب الأموال ، وقيادة الهستدروت ، وجهاز الدولة . ويضيف أن يهود الإسلام يركزون مساعيهم في هذا المجال ؛ بسبب تغطيته المكثفة من قبل الإعلام الذي

لا يعنى كثيراً بالمجال الاقتصادي ، وأن لكل حزب أشكنازي خلفية اقتصادية تتضمن رءوس الأموال ، والمشاريع الهستدروتية ، والبنوك والمعامل ... إلخ . وهذه الخلفية هي مصدر قوة الحزب ، وهي أكثر أهمية من التنظيم السياسي البرلماني الذي يمثلها . ولذلك ؛ فسوف يكون التنظيم السياسي « الشرقي » بدون قاعدة اقتصادية تدعمه ، ولن ينجح في تغيير البنية الاجتماعية في البلاد – على حد قوله .

ولم يخطر على بال سفيرسكي أن الحكومة « الشرقية » قد تعقد صلحاً مع الشعب الفلسطيني ، وتعيد توزيع الأراضي لصالح السكان ، وتعيد تنظيم الاقتصاد لصالح المسحوقين . وقد حصلت مثل هذه الإجراءات في الجزائر وفي زمبابوي .

٣ – **الانفجار الاجتماعي** : وتعني القيام بأعمال العنف مثلما حصل في وادي الصليب بحيفا وفي القدس بأيدي الفهود السود ؛ وفي معامل مختلفة بأيدي جماعة ماعتس التي مارست بعض الأعمال التخريبية (انظر الفصل العاشر) . وعن هذه الطريقة يقول سفيرسكي : إن مثل هذه الأعمال سوف تنتهي بالوعود ، وتحسين الخدمات ، وإقامة لجان تحقيق ، وتوسيع ميزانية الرفاهة ، واستيعاب بعض الزعماء ــ إلّا أن تقاسم العمل الطائفي أو التركيب الاجتماعي لن يتغير ــ على حد قوله .

ثمت يقترح سفيرسكي إقامة قاعدة اقتصادية وتنظيمية تحت حكم يهود الإسلام ؛ ترتكز على النقابات المهنية وأماكن السكن . باعتبار أن من شأن هذه القاعدة أن تؤثر على المستوى السياسي والبرلماني ؛ فيشارك يهود الإسلام في جميع الدوائر الاستراتيجية للدولة .

ويقترح الكاتب أيضا إقامة تعاونيات للسيطرة على مشروع إنعاش الأحياء الفقيرة ، وعلى المعامل التي تسيطر عليها الكيبوتسات في مدن التطوير ، إلى جانب شركات تُشرِك أعضاء الكيبوتسات ويهود الإسلام في الملكية والإدارة . ويقول إن هذه التعاونيات سوف تشكل قوة اقتصادية من شأنها أن تضغط على الحكومة ؛ في سبيل تحسين أوضاع مدن التطوير الفقيرة التي يسكنها يهود الإسلام . وكذلك توحيد جميع التعاونيات الزراعية التي يسكنها يهود الإسلام ؛ في إطار واحد ، وضمن حركة التعاونيات العامة ؛ أو خارجها ــ ثم تتحد جميع هذه المؤسسات والتعاونيات في إطار قطري . أما بخصوص الهستدورت (اتحاد النقابات العامة) فيقترح الكاتب على الأكثرية السفاردية أن تغير تركيب مؤسسات الهستدروت ، أو الانفصال عنها وإقامة نقابات خاصة بهم ؛ على أن تتعاون مع العمال العرب والأشكناز . ويعتقد سفيرسكي أنه من المحتم تعيين مدرسين وعمال اجتماعيين من يهود الإسلام في الأحياء الفقيرة والمدارس ، وتغيير منهج التعليم ؛ لإحياء حضارة يهود الإسلام ، وإقامة جهاز إعلامي « شرقي » يعتني بمشاكل يهود الإسلام . ويدعي سفيرسكي أن القاعدة الاقتصادية والتنظيمية الشرقية سوف تشكل خطوة ؛ لا في سبيل تحسين أحوال اليهود العرب فقط ، وإنما أيضا في سبيل تجديد الأمنية الأصلية للحركة الصهيونية : إنشاء مجتمع مبني على الحق والمساواة . ولم يقدم الكاتب أية إثباتات لدعم هذه الادعاء الأخير .

وفيما يتعلق بمقولة أن نضال يهود الإسلام يجب أن يكون طبقيا عاديا ــ يقول : لايمكن مقارنة النضال الطبقي في إسرائيل بالنضال الطبقي في بريطانيا ــ مثلاً ــ حيث إن البورجوازيين والعمال من أصل واحد . ويتابع : إن تطور الاقتصاد والمجتمع في إسرائيل لم يخلق تقسيما طبقيا عاديا وإنما تقاسُمَ عمل طائفيًّا . ولذلك ؛ فإن النضال « الطبقي » ليس نضال عمال بسطاء ، وإنما نضال يهود الإسلام كطائفة ؛ لأن البورجوازي يهود أشكنازي ، والعامل سفاردي (وهذا ينطبق على العامل العربي ؛ فهو ليس كالعامل في أوروبا ؛ إذ إنه أصبح عاملا بسبب سياسة سلب الأراضي العربية ، وعدم تطوير المناطق العربية ، ولذلك ؛ يجب أن يكون نضاله في إطار قومي وليس في إطار حركة طبقية غير قومية) . أما العمال الأشكناز فلا يقومون بهذا النضال ؛ لأنهم في مراتب مفضلة . ويضيف : أن الأحزاب اليسارية لاتدافع عن يهود الإسلام المسحوقين ؛ لأنها مشغولة بأمور قومية (ولا يقول الكاتب لأنها أشكنازية تستفيد من التمييز الطائفي الإثني ، واكتفى بقوله أن تعليل هذا يحتاج إلى بحث علمي منفرد ...) .

ويحذر سفيرسكي من أن المؤسسة الأشكنازية قد تُفشل مشروع إقامة القاعدة الاقتصادية والتنظيمية ليهود الإسلام ؛ بواسطة شراء الكوادر السفاردية واحتوائها . وهذا بالضبط ماحدث ويحدث منذ بداية الاستيطان الأشكنازي ، بالإضافة إلى القمع وسياسة الفصل عن العمل والإفقار . والأستاذ سفيرسكي يعيش في جامعة حيفا ، ولم يجرب هذه السياسة ، ولايعرف أن الأوضاع أسوأ بكثير مما يتخيل . وبالرغم من أنه حطم في أعماله أساطير كثيرة ؛ فإنه مازال متأثراً بالأسطورة الصهيونية التي تقول إن الفجوة بين الأشكناز والسفارديم تتعارض وأماني الحركة الصهيونية ؛ التي هدفت إلى إنشاء « مجتمع يهودي جديد يكون نموذجاً للشعوب » ــ على حد قوله [سفيرسكي ، ١٩٨١ ، ص ٣٦١] . وأنا لا أريد أن أفنِّد هذه الخلاصة بنقل مقولات الصهاينة البورجوازيين والرأسماليين واليمينيين ، وإنما أنقل قول بير بوروخوف (١٨٨١ - ١٩١٧) ؛ الأب الأيديولوجي لحزب مبام الصهيوني الماركسي : « الأسس التي يُبنى عليها مجتمعنا العتيد هي كما يلي : عمال سفارديم أو يمنيون ، بسطاء ، أصحاء ، يمكن تحويلهم إلى بروليتاريا ، وقسم كبير من الحفارين وسائقي الجمال والحمالين » [عن مسألة صهيون والإقليم ، مختارات الأعمال ــ بالعبرية ، المجلد ١ ، نشرة عام عوبيد ، مكتبة داعت ، ١٩٤٤] .

رابعاً - مواقف الأحزاب :

تشكل الأحزاب الصهيونية الأشكنازية معاً ــ من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ــ المؤسسة المتحكمة في الدولة ورأس المال الخاص والهستدروت والحركة الصهيونية العالمية .

مبدئيا ؛ لايوجد أي فرق بين هذه الأحزاب بالنسبة للقضية الفلسطينية ، والأمة العربية الإسلامية ، ويهود الإسلام ، وإنما الفوارق تكتيكية فحسب . والآراء التي نستعرضها الآن تعبِّر ــ في الحقيقة ــ عن آراء جميع الأحزاب الصهيونية ، والمجتمع الاستيطاني الأشكنازي ككل .

تحاول الأحزاب الصهيونية التغاضي عن مشكلة يهود الإسلام ؛ لأنها تعتقد أن مناقشة المسألة قد تؤدي إلى « تفتيت وحدة الشعب » . والخط العام لها هو أنه لاتوجد مشكلة ، ولايوجد تمييز ، وإذا كانت هناك فجوة فإنها شيء عابر . وقبيل الانتخابات ؛ تسارع الأحزاب إلى تسخير بعض العملاء من صفوف اليهود العرب ؛ بغية كسب أصوات هذا المجتمع بواسطة الوعود البراقة . وبعد انتهاء الانتخابات كل شيء يرجع إلى حاله .

وفيما يتعلق بحزب الحيروت القومي اليميني ــ من هذا الجانب ــ يجب أن نشير إلى أنه استغل مصائب يهود الإسلام ، واستنكر التمييز ضدهم . كما أن أعضاءه حاولوا معاملة يهود الإسلام بصورة إنسانية ؛ لأسباب قومية وحدوية . إن هذا الحزب ــ أكثر من أي حزب آخر ــ فتح أبواب التقدم في السُّلم الحزبي أمام الأعضاء من يهود الإسلام ؛ عدا المناصب العليا : الوزارية والبرلمانية ، تلك التي بقيت في أغلبيتها بأيدي اليهود الأشكناز . ولذلك ؛ رأينا أن الصراع المستميت ــ عام ١٩٨٦ ــ بين إسحق شمير البولوني وداؤد ليفي المغربي ؛ لم يكن صراعاً شخصيا وإنما كان صراعاً بين فئتين إثنيتين داخل الحزب . وهذا لايعني أن الفئة السفاردية تمثل مصالح يهود الإسلام ؛ وإنما مصالحها السياسية داخل الحزب . ولو سمح باقي الأحزاب لليهود العرب بالوصول إلى القيادات الحزبية عن طريق الانتخابات الديمقراطية ؛ المتبعة في حزب حيروت اليميني ؛ لحصل نفس الصراع بين الشريحتين . وعلى كل حال ؛ فقد كانت أهم أسباب التصويت السفاردي إلى جانب حيروت ومناحيم بيغن ؛ عام ١٩٧٧ (نصف أصوات الطائفة تقريباً) ــ سياسة التمييز التي اتبعها حزب العمل الحاكم منذ ١٩٤٨ .

ويحصل الحزب الشيوعي الإسرائيلي على ٤٠٪ من أصوات الناخبين الفلسطينيين في مناطق ١٩٤٨ ؛ لأنه ــ حتى ظهور القائمة التقدمية ؛ مؤخراً ــ كان هو الحزب الوحيد الذي يمثل المصالح القومية والطبقية للشعب الفلسطيني في الداخل . وقد بلغت نسبة العرب في الكوادر الحزبية ٥٠٪ من الأعضاء وأكثر . أما باقي الكوادر فقد كانت ــ ولاتزال ــ يهودية أشكنازية . ولم يحصل هذا الحزب إلّا على نسبة ضئيلة جدا من أصوات اليهود ؛ سواء كانوا أشكنازاً أو يهوداً عرباً (ربما ٢٪ من مجموع الناخبين اليهود) . واليهود الأشكناز لايصوتون إلى جانبه ؛ لأنه غير صهيوني أو معاد للصهيونية ــ كما يقول ؛ بالرغم من أنه يؤيد الدولة الصهيونية ، ولأنه يدافع عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني .

وقد يتساءل المرء : لماذا لايصوت المسحوقون من يهود الإسلام إلى جانب هذا الحزب ؛ الذي يدافع عن المسحوقين دائماً ؟ وأحاول فيما يلي تلخيص الأسباب التي لاتجعلهم يصوتون إلى جانب هذا الحزب :

١ – في حين أن الحزب الشيوعي يدافع عن الفلسطينيين كشعب وكطبقة عاملة ــ في آن واحد ــ فإنه لايدافع عن يهود الإسلام إلّا كطبقة عاملة . فالصحف الشيوعية التي تدافع عن أحياء

الفقر ومدن التطوير والعاطلين .. إلخ ؛ لاتشخص هؤلاء الناس **كمجتمع يهودي ــ عربي إسلامي ؛ من حيث الحضارة ، ومن حيث مرتبتهم في المجتمع كفئة تعاني من التمييز العنصري ؛ مثلما يعاني السود في أمريكا أو في جنوب إفريقيا** . وتكتفي الصحف الشيوعية بقولها : « الطبقة العاملة » . ففي جريدة الحزب « زو هديريخ » توصف أحوال التعاونيات الزراعية (٨٦/٣/١٩) ، ويقال إن التعاونيات الغنية قد تسلب أملاك التعاونيات الفقيرة ، ولكن الجريدة لا تشخص بالضبط ؛ فتقول إن التعاونيات الغنية هي في الحقيقة المستوطنات الأشكنازية التي تسيطر على معظم الأراضي الخصبة ، على حين أن التعاونيات الفقيرة هي في الحقيقة التعاونيات التي زُجَّ فيها يهود الإسلام بدون أية قاعدة اقتصادية .

وعندما تصف الصحافة الشيوعية أحوال هذه « الطبقة العاملة » لاتقول إن أصل المشكلة هو التمييز العنصري . وتتغاضى عن محنة يهود العرب المثقفين وأبناء الطبقة الوسطى ؛ لأنها ــ أي الصحافة الشيوعية ــ لاتستطيع أن تضعهم ضمن القالب الاصطناعي : « الطبقة العاملة » أو « طبقة العمال » .

لكن هؤلاء ليسوا عمالاً ولا طبقة عاملة ، ولايريدون أن يكونوا « طبقة عاملة » . إن اليهود العرب الذين هاجروا من أرض الإسلام لم يكونوا « طبقة عاملة » ، بل تجاراً ومثقفين وأصحاب الحرف اليدوية . واليهود العرب الذين أصبحوا « طبقة عاملة » في إسرائيل لم يختاروا هذه الطبقة لأنفسهم ؛ وإنما أرغموا على الانتماء إليها بسبب الأوضاع الكولونيالية . والرأسمالي الذي يستغلّ يهود الإسلام ليس رأسماليًا عاديًا بل رأسماليًا أشكنازيًا له حضارة تختلف عن حضارة العامل القادم من أرض الإسلام . ففي بريطانيا نجد العمال وصاحب العمل ينتميان إلى الشعب نفسه والحضارة نفسها ، وهذا لاينطبق على جنوب إفريقيا أو إسرائيل ــ كما قال سفيرسكي . ولو كانت المشكلة طبقية فقط لتساوت أحوال العمال الأشكناز مع أحوال العمال من يهود الإسلام .

والذين تحكموا في يهود الإسلام (والفلسطينيين) ودمروهم اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ؛ لم يكونوا رأسماليين وإنما هم أعضاء حزب العمل الاشتراكي خلال ١٩٤٨ ــ ١٩٧٧ . وخلال هذه الفترة ؛ تحسنت أوضاع العمال الأشكناز على حساب يهود الإسلام والشعب الفلسطيني . والكيبوتسات الأشكنازية تستغل يهود الإسلام أكثر من أصحاب العمل الرأسماليين . والتمييز في المشاريع الصناعية للدولة والهستدروت ، حيث يسيطر الاشتراكيون الأشكناز ، أسوأ من التمييز والاستغلال في القطاع الخاص الرأسمالي . ولقد دفع هذا الأمر بكثير من يهود الإسلام إلى الانضمام إلى الليكود البورجوازي : اقتصاديا وسياسيا ؛ لسوء الحظ .

إن يهود الإسلام لايناضلون من أجل المأكل والمشرب والملبس والمسكن فقط ؛ وإنما يناضلون ضد طمس حضارتهم العربية . فكيف تستطيع النظرة الطبقية أن تشمل هذه النقطة ؟

وفي ١٩٨١/١/١٤ ؛ نشر أحد قادة الحزب الشيوعي مقالاً وقعه باسم « أخ » في جريدة

« زوهديريخ » ، وفيه يعلل هذا « الأخ » قلة التمثيل ليهود الإسلام في الجهاز الحكومي ؛ بقلة رأس المال السفاردي ؛ إذ إن « إسرائيل هي دكتاتورية بورجوازية » — على حد قوله . ولو كان هذا التعليل صحيحاً لَمَا حكم حزب العمل الأشكنازي إسرائيل خلال ١٩٤٨ — ١٩٧٧ ، ولَمَا وصل حزب العمال البريطاني إلى الحكم عدة مرات . ويحاول « الأخ » الدفاع عن التمييز الأشكنازي — بصورة غير مباشرة — بواسطة الإشارة إلى أن التمييز في دولة إسرائيل لايرتكز على القانون كما هي الحال في جنوب إفريقيا (كأنَّ التمييز الذي لايرتكز على القانون أفضل من التمييز الذي يرتكز على القانون ... ، مع ملاحظة أن قرارات الحزب المطولة لاتشمل إلّا ثلاث كلمات عن مشاكل التمييز العنصري ضد يهود الإسلام وهي : « ضد التمييز الطائفي » ؛ وانتهى الأمر) .

وفي بعض الأحيان ؛ تتذكر الصحافة الشيوعية أن هناك « طوائف شرقية » بالإضافة إلى « الطبقة العاملة » . وعند ذلك فإنها تقابل بين « المجتمع الإسرائيلي » والطوائف الشرقية . أي إن الطائفة الأشكنازية الاستيطانية التي جاءت من الخارج هي « المجتمع الإسرائيلي » — على حد قول الصحافة الشيوعية ، أما المجتمع اليهودي العربي الذي عاش على أرض هذا الوطن الواحد — منذ فجر التاريخ — فليس إلّا « طوائف شرقية » (لاحظ أنها طوائف لا طائفة واحدة) . وهذا يعني أن ذلك الحزب مثل جميع أحزاب المؤسسة الصهيونية ؛ لايعترف بوحدة يهود الإسلام الحضارية ؛ إذ إن الصهيونية لاتعترف بوحدة الأمة العربية والإسلامية وإنما تؤيد الإقليمية العربية (لاحظ أيضا استخدام كلمة « شرقية » : إن يهود الإسلام لم يسموا أنفسهم شرقيين قط ، ولكن اخترع هذا الاسم الأشكناز ؛ بغية فصل أنفسهم عن سكان المنطقة ، ورفع مرتبتهم بالنسبة للسكان السمر) .

وعندما سئل الرفيق أميل حبيبي — في اجتماع عقده في لندن قبل بضع سنوات — عن يهود الإسلام في إسرائيل ؛ رفض الإجابة مدعياً أنه لايعرف كثيراً عن هذا الموضوع ! أرأيتم زعيماً شيوعيا لايعرف الكثير عن ٨٠٪ من « الطبقة العاملة » في بلاده ؟! وعندما حضر رئيس الدولة المؤتمر الشيوعي الذي عقد عام ١٩٨٦ ؛ مدح الحزب بسبب دفاعه عن « أسس دولة إسرائيل » .

ولقد حاولت في هذه النقطة أن أوضح لماذا لايصوت يهود الإسلام إلى جانب الحزب الشيوعي ، وخلاصة هذه المحاولة أنهم لايفعلون ؛ لا لأنهم فاشيون ، بل لأن الحزب الشيوعي لايمثلهم كمجتمع له حضارة تختلف عن حضارة المستوطنين الأشكناز . لكن هناك أسباباً أخرى :

٢ — إن ٥٠٪ من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي فلسطينيون و ٥٠٪ مستوطنون أشكناز . وتجد نفس التركيب في مؤسسات الحزب الأخرى . وهذا يعني أن الهيئات الحزبية لاتمثل يهود الإسلام الذين يشكلون ٨٠٪ وأكثر من أبناء الطبقة العاملة في الإقليم الإسرائيلي . واليهود العرب الذين انضموا إلى الحزب شعروا بأن الحزب يعاملهم كهامشيين . وفي الاجتماعات الجماهيرية يرى يهود الإسلام دائماً — أو دائماً تقريباً — اليهود الأشكناز على المنصة الحزبية ، وهذا يبعدهم عن الحزب وسياساته .

٣ – في الخمسينيات ، كانت هناك كوادر نشيطة من يهود الإسلام تعمل في الحزب الشيوعي ، وقد هاجر هؤلاء الشبان من العراق ومصر وبلدان عربية أخرى حيث اشتركوا في النشاطات السياسية . غير إن البوليس السري الإسرائيلي تمكن من تدميرهم اقتصاديا وأحيانا نفسيا ؛ بواسطة سياسة الفصل عن العمل والمضايقات ، واشترت المؤسسة الصهيونية قسماً آخر منهم بواسطة منحهم بعض المناصب . وأؤكد للقارىء أن المضايقات ضد يهود الإسلام الشيوعيين والموالين لهذا الحزب من تلك الطائفة ــ كانت أقسى بكثير من المضايقات ضد الشيوعيين الأشكناز . وقد استطاعت المؤسسة الحاكمة أن تزرع الخوف في قلوب يهود الإسلام ، وشعر الكثيرون بأن مجرد التعاطف مع أعضاء الحزب قد يؤدي إلى الفصل عن العمل .

٤ – الدعاية المسمومة في وسائل الإعلام ، وفي المدارس ضد الاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي والعرب عامة ــ كانت فعالة في الجماهير اليهودية ؛ فأبعدت هذه الجماهير عن الحزب الشيوعي .

ولا شك أن المضايقات ضد الشيوعيين ومؤيديهم في الوسط اليهودي كانت أقسى من المضايقات في الوسط العربي الفلسطيني . وهناك نظرية تقول إن إسرائيل تفضل توجيه العرب نحو الحزب الشيوعي ؛ لإبعادهم عن القومية العربية . وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق دقيق . غير إن الحقيقة الواضحة هي أن هذا الحزب دافع بشجاعة فائقة عن مصالح الفلسطينيين داخل إسرائيل . ولو انتهج نفس السياسة تجاه يهود الإسلام « لتعرَّضت » قاعدته الجماهيرية في الوسط اليهودي أيضاً ، ولاستطاعت هذه السياسة المنشودة أن تقوي بدورها التضامن بين الشعب العربي الفلسطيني ويهود الإسلام ؛ على أساس وحدة الحضارة واللغة والمصير .

وقد ساعد انضمام الفهود السود إلى الجبهة الديمقراطية مع هذا الحزب ومنظمة رؤساء البلديات والمجالس العربية المحلية ، ساعد على انتخاب شارلي بيطون للبرلمان ، ولكنه حوّل هذه المنظمة (أي الفهود السود) من منظمة جماهيرية إلى منظمة برلمانية .

خامساً – موقف اليسار الأشكنازي المتطرف :

في السبعينيات ؛ أيد اليسار الأشكنازي المتطرف نضال يهود الإسلام ، وساعد منظمة الفهود السود ، ولكن بعد أن انضمت هذه المنظمة إلى الجبهة الديمقراطية بقيادة الحزب الشيوعي ؛ أوقف اليسار المتطرف تأييده لها ، ولنضال يهود الإسلام . تمث أخذ بعض اليساريين المتطرفين يبثون روح الشقاق بين الشعب العربي الفلسطيني ويهود الإسلام ؛ متهماً اليهود العرب بالعنصرية والفاشية والعداء للعرب . وهذا الموقف يمنع أي تضامن بين الفئتين المسحوقتين ، ويساعد المؤسسة الصهيونية والبوليس السري .

وفي مؤتمر مجلس التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني الذي عقد في لندن عام ١٩٨٥ ؛ قدم ممثل حركة يهود الإسلام مشروع قرار يستنكر التمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام في

إسرائيل ، غير إن اليسار الأشكنازي المتطرف عارضه بشدة . ووصفه زعيمهم بأنه « اقتراح صهيوني مُقنَّع » . وهكذا ؛ رُفض الاقتراح بأغلبية ساحقة ، ولم يصوت إلى جانبه إلّا الشخص الذي قدمه بالإضافة إلى فارس غلوب ؛ المعروف بتضامنه مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وبالرغم من أن الحضارة العربية والإسلامية توحد جميع يهود الإسلام مثلما توحد المسلمين والمسيحيين في دار الإسلام ؛ فإن اليسار الأشكنازي المتطرف لا يعترف بهذه الوحدة ، ويقول إن الفوارق الحضارية والإقليمية والقومية شكلت أحد أسباب عدم ظهور وحدة سياسية لدى هذا المجتمع (أي مجتمع يهود الإسلام في إسرائيل) [انظر ماك ، « إسرائيل والفلسطينيون» ، ص ٢٥٤ و ٢٥٥ ، إثاكا بريس] . وهذا يتفق مع موقف جميع الأحزاب الأشكنازية في إسرائيل . ومن الجدير بالذكر ؛ أن الذين لايعترفون بوحدة يهود الإسلام الحضارية يعارضون أيضاً مبدأ وحدة الأمة العربية والإسلامية .

وفي آخر كتاب نشر لواحد من كُتّاب اليسار المتطرف عن التفرقة العنصرية في إسرائيل ؛ لم يذكر الكاتب التفرقة العنصرية ضد يهود الإسلام ، وتغاضى عن نضالهم وتضامنهم مع الشعب العربي الفلسطيني ، وشدد على عدم إمكانية الكفاح المشترك مع الإسرائيليين (ويهود الإسلام من ضمنهم) عدا حفنة من الهامشيين الأشكناز (الذين يعيشون في لندن) . وحكومة إسرائيل توافق على ذلك .

رفض مشروع قرار مناهض للعنصرية :

في ٨٢/٥/٢٦ ؛ رفض الكنيست مشروع قرار يقضي بحظر التمييز ، والتحريض ، ونشر الكراهية ، والقيام بأعمال العنف لأسباب عنصرية أو دينية . وقد صوتت ضد هذا القانون المقترح أحزاب الائتلاف الحكومي وحزب العمل المعارض ، وامتنع عن حضور الجلسة حزب المبام الماركسي الصهيوني [زوهديريخ ، ٨٢/٦/٢] .

وفي ١٩٨٥ ؛ صوتت الأغلبية في البرلمان ضد مشروع قرار مماثل ؛ بحجة أنه لاحاجة لمثل هذا القانون ؛ لأن « إسرائيل ليست عنصرية » .

وأخيراً ؛ في أيّار ١٩٨٥ ؛ سنَّ الكنيست قانوناً ضد التحريض العنصري فقط ، وأعطى حق إقامة الدعوى على المخالف للدولة لا للجمهور . أما بشأن التمييز العنصري الذي تقوم به الحكومة أو الجماعات والأفراد الصهاينة ــ فقد بقي كما كان سابقاً ؛ أي إنه غير مخالف للقانون .

صحيح أن الإعلان بقيام دولة إسرائيل ــ عام ١٩٤٨ ــ وعد سكان البلاد بالمساواة ؛ بغض النظر عن الأصل أو الدين أو الجنس ... إلخ ، غير إن هذا الإعلان لايعتبر قانوناً ، ولم يقبله الكنيست كقانون من قوانين الدولة حتى الآن .

وبسبب الطابع العنصري لدولة إسرائيل الصهيونية ؛ قررت الجمعية العمومية لهيئة الأمم

المتحدة في ١٠/١١/١٩٧٦ ــ أن « الصهيونية هي شكل من أشكال العنصرية والتفرقة العنصرية » .

وكتب اليهودي المغربي ؛ ميخائيل الباز ــ يقول : « إن هذا الاستعمار الداخلي لليهود الشرقيين ، الذي يرتكز على استخدام الأيديولوجية اليهودية ــ قد أصبح شرعيا بسبب العرقية المتبدلة . وإن ظهور الحس العرقي الشرقي ــ في هذا السياق ــ يرمز إلى رفض هوية إسرائيلية منقوصة ، ويمكن أن يصبح فتيل المعركة لتحقيق مجتمع يتساوى فيه المواطنون كافة من يهود وعرب » [الأزمنة الحديثة ، ص ١٢٥] .

الفصل التاسع

تنمية اقتصادية ... استغلال ... تقاطب

رأينا في الفصل الخامس كيف حولت المؤسسة الصهيونية ٧٥٠,٠٠٠ يهودي من الوطن العربي الإسلامي إلى أيدٍ عاملة رخيصة ؛ في معسكرات العمل على اختلاف أسمائها . وفي هذا الفصل ؛ أود أن أشرح كيف استغلت إسرائيل الأشكنازية : « الاشتراكية » والرأسمالية ــ هذه القوة العاملة في سبيل التنمية الاقتصادية ، وتقوية الطائفة الأشكنازية الاستيطانية ، وجهازها السياسي والاقتصادي والعسكري المتمثل فيما يسمى « دولة إسرائيل » . ثمت أتناول التقاطب الاجتماعي الناتج عن سياسة الاستغلال .

إنني لا أبحث في مصادرة أراضي الفلسطينيين واستغلال هذا الشعب ؛ لأن هذه القضية بُحثت مراراً وتكراراً في المحافل الدولية والعربية ؛ وإنما أعالج الاستغلال الاقتصادي الموجه ضد يهود الإسلام ، وهو موضوع لم تعالجه من قبل أية مؤسسة عالمية أو عربية أو يهودية ؛ بسبب النفوذ الصهيوني في وسائل الإعلام الغربية . وفيما يلي تفصيل ذلك :

١ ــ تطوير الصناعة :

عانت الصناعة الصهيونية زمن الانتداب البريطاني من قلة نسبة العمال ، وقلة الأموال الموظفة ، وقلة العتاد الصناعي الحديث ، وصغر المعامل . واهتمت المعامل ــ آنذاك ــ بإكمال المنتوجات الصناعية المستوردة . أما بعد تأسيس دولة إسرائيل فقد زودت الدول العربية والإسلامية إسرائيل بمئات الآلاف من العمال ، وهؤلاء ــ بالإضافة إلى مئات الآلاف من الدول الاشتراكية ــ وسعوا الأسواق الاستهلاكية . وساعدت هذه الهجرة المكثفة إسرائيل على استيراد الأموال في صورة تبرعات يهودية ومنح أمريكية وتعويضات ألمانية ... إلخ . وبذلك أتيحت لإسرائيل جميع الشروط اللازمة للتنمية الاقتصادية : الأيدي العاملة ، المال ، السوق الاستهلاكية .

وكانت نسبة الأموال الموظفة في الصناعة من ميزانية التطوير كما يلي :

في ١٩٤٨ ــ ١٩٥٣ ؛ وظفت الحكومة ١١٪ من ميزانية التطوير .

في ١٩٥٤ ــ ١٩٥٥ ؛ وظفت الحكومة ١١٪ من ميزانية التطوير .

في ١٩٥٦ ــ ١٩٥٩ ؛ وظفت الحكومة ١٩٪ من ميزانية التطوير .

وفي ١٩٥٥ ــ ١٩٥٨ ؛ شكلت التعويضات الألمانية ١٧,٥٪ من مصاريف استيراد المكائن [مكتب رئيس الحكومة ، ١٩٦٨ ، ص ٤١٣ ــ ٤١٨] . وفي ١٩٥٨ ؛ أُنشىء بنك لتطوير الصناعة .

ونتيجة لهذه السياسة الاقتصادية ؛ بلغت نسبة العاملين في الصناعة خلال ١٩٥٩ ــ ١٩٦٥ مايعادل ٢٥٪ من مجموع القوة العاملة . ولذلك ؛ انخفضت نسبة البطالة من ٩٪ في الخمسينيات إلى ٤٪ بدءًا من عام ١٩٦١ . وكان العامل الأساسي في هذا التطوير السريع هو العمل الرخيص الذي ساعد أصحاب العمل على تكديس الأرباح الفاحشة . ففي الفترة ١٩٥٨ ــ ١٩٦٣ ، فترة التصنيع السريع ، حدثت فجوة عميقة بين أجور أصحاب المهن الحرة والعمال التقنيين (الأشكناز) وأجور العمال غير التقنيين (اليهود العرب) [بنك إسرائيل ، ١٩٦٨] .

واستفادت المشاريع الرأسمالية والهستدروتية (المعامل التابعة لنقابات العمال) ، التي يسيطر عليها المستوطنون الأشكناز ــ من سياسة التصنيع الحكومية ، واستلمت مبالغ هائلة من المال الحكومي في صورة قروض بفوائد قليلة ، ودفعت الضرائب القليلة ، وتمتعت بتسهيلات مالية مختلفة ــ ناهيك عن جيوش الأيدي العاملة الرخيصة .

وبسبب التطوير الصناعي ؛ حدث **ارتقاء طبقي** ؛ إذ عظمت طبقة أشكنازية أخرى هي طبقة المهندسين والمديرين وأساتذة الجامعات ، الذين دربوا وعلموا الاختصاصيين ورجال التسويق وموظفي البنوك ... إلخ . وبلغت نسبة هذه الطبقة ــ عام ١٩٧٥ ــ من مجموع العاملين الأشكناز ٣٢,٤٪ . أما نسبة يهود الإسلام فلم تبلغ إلّا ١١,٨٪ من مجموع العاملين لهذه الطائفة ، وكانت مرتبتهم ثانوية بالمقارنة بالموظفين والمديرين الأشكناز . وتفاقمت هذه الفجوة بين الطائفتين في جيل المولودين في فلسطين : ٤٢٪ من الأشكناز مقابل ١٢,٥٪ من يهود الإسلام [دفاتر للبحث والنقد ، رقم ١ ، ص ٤١] . وتعني هذه الأرقام أن التصنيع ساعد المستوطنين الأشكناز على الارتقاء الطبقي على حساب يهود الإسلام ؛ ومن ضمنهم أولئك الذين ولدوا وتربوا في إسرائيل .

أما الفجوة في الطبقة العاملة فتتمثل بالأرقام التالية : ٢٥,٥٪ من الأشكناز يعملون كعمال (عادة تقنيين) ، و ٤٢,١٪ من يهود الإسلام (عادة كعمال غير تقنيين) . وأما بالنسبة للجيل المولود في فلسطين فالفجوة تتعمّق : ١٧,٤٪ من الأشكناز مقابل ٤٢,٤٪ من يهود الإسلام [المصدر السابق] . حتي اليهود العرب الذين تمكنوا من اقتحام القلعة الأشكنازية وحازوا وظائف حكومية ؛ لايمثلون إلّا طبقة « الفراشين » في الأرستقراطية الأشكنازية المتحكمة .

وفي عام ١٩٦٥ ؛ بلغ عدد العاملين في صناعة النسيج ٤٣,٧٥٠ عاملاً ؛ أي ضعف ما وصل إليه عام ١.٩٥٥ ؛ وصاحب ذلك ارتفاع قيمة الإنتاج بنسبة ٢٥٠٪ [وزارة التجارة والصناعة ،

ص ٢٨ و ٢٩ و ٤٠] وازدادت قيمة التصدير من ٥,٧ مليون دولار إلى ٤٦,٦ مليون دولار في الفترة نفسها . وبلغت الأرباح ٩٠٪ من رأس المال [المصدر السابق . وانظر : كلاينر ، ١٩٦٦ ، ص ١٥٣] .

وقد فضلت المؤسسة الصهيونية تطوير هذه الصناعة ؛ بسبب قلة الأموال اللازمة لتطويرها ، وبسبب كثرة الأرباح ووجود الأيدي العاملة الرخيصة في مدن التطوير ؛ مثل : ديمونه ، وقرية شمونه ، وأوفاقيم ، وقرية غاد ، ... إلخ .

أما في صناعة الملابس فقد ازداد عدد العاملين من ١٣,٤٩٠ عاملاً عام ١٩٦١ إلى ٣٠,٥٩٠ عاملا عام ١٩٧٢ . وازدادت نسبة يهود الإسلام في هذه الصناعة أربعة أضعاف . ولم ترتفع نسبة العاملين الأشكناز فيها إلّا بنسبة ١٧٠٪ في الفترة نفسها [دفاتر للبحث والنقد ، رقم ٤ ، ص ٤٦] . وكانت الأجور أقل من المعدل القطري . ومن ضمن ٣٣٤ معملاً ؛ نجد يهود الإسلام في مناصب قيادية في ٤٦ معملاً صغيراً فقط . أما المعامل الكبيرة فكلها بأيدي المستوطنين الأشكناز [المصدر السابق] .

وبلغ عدد المعامل التي تشغل أكثر من ٨٠ عاملاً في الصناعة المعدنية ١٦٨ معملاً . ولم يبلغ عدد هذه المصانع قبل تأسيس إسرائيل إلّا ٢٨ معملاً فقط [دان اند بردستريت ، ١٩٧٩] . وتسيطر الشركات الأشكنازية الفوقية على الكثير من المصانع المعدنية ، وهذه الشركات هي : كور ، وكلال ، وشركة التوظيف لبنك دسكونت ... إلخ . ومن ضمن ١٧٠ مصنعاً معدنيا تشغّل أكثر من ٨٠ عاملاً للمعمل الواحد ؛ يوجد ١٧ معملاً فقط بأيدي اليهود العرب ، وهي تعمل تحت نفوذ الشركات المذكورة [المصدر السابق] .

وفي نهاية الستينيات ؛ قدمت الحكومة إلى أصحاب صناعة الماس ٨٠٪ من ثمن المواد الخام ، و ٩٠٪ من مصاريف التصدير ، مقابل فوائد قليلة وشروط سهلة ، وساعدت على إيجاد القوة العاملة وتدريبها . وإثر ذلك ؛ ارتفعت الأرباح بنسبة ٣٦٠ مرّة (٤٩ — ١٩٧٠) ، وارتفعت قيمة الإنتاج من ٢ مليون ليرة عام ١٩٤٩ إلى ٧٠٠ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ؛ أي بنسبة ٣٥٠ مرّة . وازداد عدد العاملين من ٨٠٠ عامل إلى ٩,٥٠٠ عامل خلال الفترة نفسها [دفاتر للبحث والنقد ، رقم ٤ ، ص ٤٢] .

٢ — تطوير البناء :

أدت الهجرة المكثفة إلى تطوير البناء حتى بلغ توظيف الأموال في هذا المضمار ١٨ — ١٩٪ من الإنتاج القومي الإجمالي ؛ خلال الفترة ١٩٥٦ — ١٩٦٥ ، مقابل ٩ — ١٣٪ في أوروبا الغربية . وعمل في البناء ١٠٪ من القوة العاملة ، وارتفع حجم الأبنية الجديدة من ٨٤٣,٠٠٠م٢ إلى ٣,٣٧٣,٠٠٠م٢ في الفترة ١٩٤٩ — ١٩٦٢ [المكتب المركزي للإحصاء ، ١٩٧٣] .

وينقسم هذا الفرع الاقتصادي إلى قسمين : العام ؛ أي المساكن التي بنيت بأيدي الحكومة والسلطات المحلية والمؤسسات الصهيونية ، والخاص ؛ أي المساكن التي بنيت بأيدي الرأسماليين . وكانت هذه البيوت الأخيرة أفضل وأوسع ، ومنحت لليهود الأشكناز . وبنى القطاع العام البيوت الرديئة والصغيرة ليهود الإسلام ، بالرغم من أن عائلاتهم أكبر بكثير من عائلات الأشكناز . وبلغت مساحة الشقة التي منحت ليهود الإسلام ٤٥ ــ ٦١ م٢ خلال ١٩٥٥ ــ ١٩٦٥ ، على حين أن مساحة الشقة التي أعطيت للعائلة الأشكنازية بلغت ٧٥ ــ ٩٢م٢ في الفترة نفسها [هيفر ، ١٩٧٥ ، ص ٩٣] .

وقام الهستدروت ببناء ٧٠ ألف شقة جيدة لإسكان اليهود الأشكناز [ربعون لكلكالا ، ١٩٦٣] في المناطق المركزية من البلد . أما مساكن يهود الإسلام فبنيت في المناطق النائية ، وتحتم عليهم دفع ٦٥٪ من الثمن نقداً والباقي بالأقساط ، بالإضافة إلى الفوائد التي كانت أكبر من الفوائد التي دفعها سكان البلدان الأوروبية إلى حكوماتهم . علاوة على ذلك ؛ دفع يهود الإسلام مبلغاً إضافيا (٢٢٪) لشق الطرق المؤدية إلى المدينة أو القرية ، ولبناء المجاري ، ولتطوير الأراضي المجاورة ، ولبناء شبكة الكهرباء في تلك المنطقة النائية .

أما القوة العاملة التي استخدمت في البناء فقد كانت من يهود الإسلام ، ومن أبناء الشعب العربي الفلسطيني ــ بأغلبيتها الساحقة ــ ولاسيما فيما يتعلق بالأعمال غير الماهرة (أي العمل الأسود) . وكان الاستغلال في هذا الفرع أبشع ؛ لأن العمال عملوا بصورة متقطعة ، واعتبروا « غير دائمين » . حتى « سوليل بونيه » : الشركة العمالية الهستدروتية قامت بتشغيل ٧٠ ــ ٨٠٪ من عمال البناء كعمال غير دائمين ، ودفعت لهم أجوراً تقل عن الأجور التي دُفعت للأشكناز العاملين في الصناعة التعاونية الهستدروتية . ولذلك ؛ كانت أرباح الهستدروت من البناء أكثر من أرباحها من باقي الفروع الإنتاجية ولاسيما الإنتاج التعاوني (٣٦٪ من الإنتاج مقابل ١١,٥٪ من الإنتاج التعاوني) .

ويقول ابراهام كوهين إن الأرباح من البناء في القطاع العام والهستدروتي ــ في ١٩٦٠ ــ بلغت قيمتها ٣٠ ــ ٣٥٪ من رأس المال مقابل ٦٠٪ من رأس المال الخاص [أرباح في إسرائيل/ بَشّاعَر ٦ ، ١٩٦٣] . وهكذا ؛ استغلوا يهود الإسلام والفلسطينيين معاً . ومن أهم ظواهر التطوير الاقتصادي في هذا المجال هي ظهور شركة « سوليل بونيه » التابعة للهستدروت (النقابات العامة) ؛ كقوة جبارة ــ ليس في إسرائيل فقط بل في بلدان العالم الثالث ــ تساند النفوذ الإسرائيلي ، وتبني المطارات الذرية للأمريكان في تركيا وغيرها من البلدان . ففي عام ١٩٤٨ ؛ بلغت قيمة أعمال هذه الشركة ٥ ملايين ليرة ، وفي ١٩٥٣ ؛ بلغت قيمة أعمالها ٦٠ مليون ليرة . وفي ١٩٥٨ ؛ انفصلت عنها شركة « كور » الصناعية التي تزود جنوب إفريقيا بالأسلحة .

وبالرغم من ذلك ؛ تقول الدعاية الصهيونية في الغرب إن الهستدروت منظمة « اشتراكية » . لقد سمح الهستدروت لليهود العرب بأن يشتركوا في التمثيل في اللجان المحلية ، أما مصانعها فبقيت إلى

الآن بأيد أشكنازية . ويقول سموحة إنه على مدى الفترة ١٩٦٩ ـــ ١٩٧٣ كان من ضمن ٣٣ عضواً في السكرتارية التي تدير المعامل التابعة للهستدروت ـــ يهودي عربي واحد ؛ إلى جانب ٣٢ عضواً أشكنازيا .

وقد اقترن تطوير البناء بإنشاء بنوك جديدة شكلت همزة الوصل بين الحكومة وشركات البناء وسكان المساكن الجديدة . ومن ضمن هذه البنوك بنك مِشْكَنْتُوت لِشِكّون » ، الذي أقيم عام ١٩٥١ بأيدي الهستدروت . وتوسعت هذه البنوك وكثرت أموالها وأرباحها . وكلها بأيدي المستوطنين الأشكناز . ويجب أن نضيف هنا أن تطوير الصناعة ـــ ولاسيما الصناعة المعدنية ـــ ساعد على تطوير الصناعة العسكرية لصنع الأسلحة المختلفة ؛ حتى أصبحت إسرائيل إحدى الدول الرئيسية التي تصدر الأسلحة إلى الخارج ولاسيما للأنظمة الفاشية الموالية للولايات المتحدة الأمريكية ، وقتلت أسلحتها آلافاً من المناضلين الأحرار .

وخلاصة القول هي أن إسرائيل لم تكن أرقى من الدول العربية صناعيا عام ١٩٤٨ ، وقد مكنتها الهجرة المكثفة ـــ منذ ذلك الحين ـــ من أن تكثر أرباحها الفاحشة ، وتوسع أسواقها الاستهلاكية ، وتضاعف الأموال المستوردة ؛ من أجل بناء صناعة راقية ترتكز على العمل الرخيص المستورد من دار الإسلام .

٣ – تطوير الزراعة :

وأوجبت الهجرة المكثفة توسيع إنتاج الأغذية أو بمعنى آخر توسيع الزراعة . فازدادت أراضي الحمضيات من ٢٥٠,٠٠٠ دونم* عام ١٩٤٥ إلى ٤٣٠,٠٠٠ دونم عام ١٩٧٨ ، وازدادت باقي الأراضي المزروعة من ١٦٥٠ مليون دونم عام ١٩٤٨ إلى ٤١١٠ مليون دونم عام ١٩٥٨ . وهذه الأرقام تشمل الأراضي العربية المصادرة ، أي أراضي اللاجئين وأراضي الفلسطينيين الذين بقوا في إسرائيل . وفي هذه الفترة ؛ تضاعف إنتاج الخضراوات بنسبة ٣٣٠٪ ، وإنتاج البيض بنسبة ٢٤٠٪ ، والحليب بنسبة ٣٣٠٪ ، والحِنْطة (القمح) بنسبة ٣٤٠٪ ، وعدد الجرارات الزراعية بنسبة ٥١٠٪ . وحدث هذا التطوير بالرغم من أن عدد السكان لم يزد إلّا بمقدار الضعف (تتناسى المصادر الإسرائيلية أن هذه الزيادة تساوى عدد الفلسطينيين الذين شردوا من ديارهم) . وإلى جانب ذلك ؛ اعتنت الحكومة بتوسيع الري والأحراش ، وبتحسين التربة ، وإنعاش الحمضيات ، واستغلال الأراضي العربية الخصبة .

وارتفعت قيمة المنتوجات الزراعية من ٢٧٤,٢ مليون ليرة خلال ١٩٤٩ إلى ٥٨٦,٥ مليون ليرة خلال ٥ سنوات ، ثم تضاعفت مرة أخرى خلال خمس السنوات التالية . وازدادت قيمة المنتوجات

* الدونم : مقدار من الأرض الزراعية تختلف مساحته في البلاد العربية ؛ ففي سوريا يساوي ٩١٩,٠٤ متر مربع ، وفي العراق يساوي ٢٠٠٠ متر مربع ، وفي فلسطين والأردن يساوي ١٠٠٠ متر مربع .

المصدرة من ١٨ مليون دولار — عام ١٩٤٩ — إلى ٣٥ مليون دولار — عام ١٩٦٤ . وتضاعف رأس المال المستثمر في الزراعة خلال ١٩٤٨ — ١٩٦٥ ثلاث مرات . وبذلك ؛ تمكنت إسرائيل من تزويد سكانها بالخضراوات اللازمة ، وطورت الحمضيات والمنتوجات الزراعية المستخدمة في الصناعية وتربية المواشي والدواجن . وأنتجت القرى الجديدة خلال ١٩٥٨ — ١٩٦٠ ما يعادل ٦٠٪ من الخضراوات المنتجة إجمالاً ، و ٤٢٪ من الأعلاف ، و ٤٦٪ من قصب السكر والفستق ، و ٣٦٪ من الألبان ، و ٢٥٪ من منتوجات الطيور الداجنة ، أما مايعادل النسب الباقية فقد أنتجته المستعمرات الغنية القديمة ، التي استخدمت يهود الإسلام والفلسطينيين — لتوسيع الإنتاج والأرباح — ولاسيما في الأشغال الموسمية المؤقتة مثل الحمضيات والكروم والمنتوجات الزراعية المستعملة في الصناعة كالقطن . وخصصت هذه الأعمال ليهود الإسلام والفلسطينيين ؛ بسبب أجورها القليلة ، ولأنها مؤقتة توجب البطالة بعد انتهاء الموسم . وكثيراً ما دُفعت أجور الطوارىء لعمال الحمضيات . وقد بلغت في حالة هؤلاء العمال ٢٨ ليرة شهريا مقابل ٤٠ ليرة لعمال البناء و ٤١ ليرة لعمّال الصناعة . وقد تكاثرت الأرباح من الحمضيات ؛ نتيجة للدعم المالي الحكومي والعتاد العصري ، واستلمت إسرائيل قرضاً من أمريكا لشراء هذا العتاد . وفي ١٩٥٦ — ١٩٥٩ ؛ بلغ الدخل لكل دونم ٤٥٠ ليرة ، ومصاريف العمل ٢٤٠ ليرة ، والربح ٢١٠ ليرات . وقد عانى أطفال العمال الفلسطينيين ويهود الإسلام الذين عملوا في هذه البيارات — من الجوع معظم أيام السنة . وأعقب هنا بأن الأعمال الموسمية في الزراعة تمثل الفارق العظيم بين الأشكنازي الظالم والفلسطيني واليهود العربي المظلومَيْن .

وبالإضافة إلى الاستغلال في زراعة الحمضيات اشتد الاستغلال الصهيوني في الزراعة التي تنتج المواد المستعملة في الصناعة ؛ مثل : زراعة القطن والسكر والزيوت ، وذلك بالرغم من الدعم المالي الحكومي لهذه الزراعة الذي دُفع لأرباب العمل .

وقد ساعدت هذه الزراعة الميزانية الحكومية ؛ فعلى سبيل المثال ؛ بدأت زراعة القطن عام ١٩٥٤ ؛ وبعد ١٠ سنوات فقط ؛ بلغت المساحة المزروعة ١٢٩,٥٠٠ دونم ، وبلغ الإنتاج نحو ٢٠,٠٠ طن ، والربح ٩٢ ليرة للدونم الواحد . وكذلك تطورت زراعة قصب السكر والفستق ؛ باستخدمة المكائن الحديثة والعمل الرخيص ولاسيما في المستعمرات الكيبوتسية الأشكنازية .

إضافة إلى ذلك ؛ استخدمت وزارة العمل يهود الإسلام في أعمال الري والتشجير ، وتيبيس بحيرة الحولة التي أضافت ٤٠ ألف دونم للكيبوتسات ، ودفع الحكام أجور الطوارىء القليلة .

واقترن تطوير الزراعة بتوسيع الخدمات المختلفة كخدمات شركات التسويق (تنوبه والمشبير) ، ومشاريع التصدير ، والصناعات المرتبطة بالزراعة ، والبنوك والمؤسسات المالية . ومن ذلك حصدت هذه المؤسسات وحصد أرباب العمل الأرباح الفاحشة [سفيرسكي وبيرنشتاين ، ١٩٨٠ ، ص ١٨ — ٢٦] .

٤ – تطوير جهاز الحكم :

إن هجرة مئات الآلاف من الوطن الإسلامي (بالإضافة إلى الهجرة المكثفة من أوروبا الشرقية) ، ونسبة مواليدهم العالية – أوجبتا توسيع جهاز الدولة ، ومكّن هذا المستوطنين الأشكناز من الارتقاء الطبقي ، ونيل المناصب العليا في الدولة بما فيها الحكومة والجيش والهستدروت والوكالة اليهودية ... إلخ . إضافة إلى ذلك ؛ فإن فقر يهود الإسلام ومشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية أوجب أيضاً إقامة أجهزة حكومية لمعالجة هذه المشاكل . وشغل معظم هذه الوظائف أبناء الطائفة الاستيطانية (يعني اليهود الأشكناز استفادوا حتى من مصائب يهود الإسلام) . وهذا ينطبق على توسيع مجال التربية والتعليم : فقد ازداد عدد الطلاب من ١٤٠,٠٠٠ طالب عام ١٩٤٨ إلى ٥٤٠,٠٠٠ طالب عام ١٩٥٨ [المكتب المركزي للإحصاء ، ١٩٧٨] . ففي عام ١٩٥٣ ؛ بلغ عدد المديرين من اليهود العرب في المدارس الثانوية اثنين فقط من ضمن ٦٧ مديراً . وفي المدارس الزراعية والصناعية ودور المعلمين ؛ لم يكن لهم وجود ألبتة [المصدر السابق] — بالرغم من أن يهود الإسلام قد أصبحوا أغلبية السكان (انظر الفصلين السادس والسابع) . لقد أدّى التشريد ، وتحطم العائلات والتقاليد ، وانتشار حياة الذل في المعسكرات ، والبطالة ، والفقر — إلى تسيب الشبيبة ، والدعارة ، وتعاطي المخدرات ، والطلاق ، والإجرام ، والجنوح ، إلى آخر ذلك من المشاكل الاجتماعية . إن ٩٠٪ من الذين يحتاجون إلى المساعدات الحكومية في هذه الشؤون — هم من اليهود العرب ، و ٩٠٪ من الموظفين الذين يعملون في هذه الأجهزة الحكومية هم من الأشكناز ! وبذلك غرسوا روح التبعية والخنوع في نفوس يهود الإسلام ، وقتلوا فيهم الروح الاستقلالية وروح المبادرة .

وقد أنشأت إسرائيل أربعة معاهد علمية خاصة في الجامعات لتدريب العاملين في هذا المجال ، وتم تعيين الأساتذة الأشكناز لهذا الغرض ، وهذا يعني إيجاد وظائف إضافية للمثقفين الأشكناز ، وغسل أدمغة العاملين بآراء رجعية مثل نظرية « التحديث والتقاسم الوظيفي » التي تلائم التركيبة العنصرية للمجتمع الصهيوني . والخلاصة : لمّا كان التطوير الاقتصادي السريع الذي اقترن بالهجرة المكثفة مبنيا على التمييز العنصري — ولايزال — فقد تكونت في إسرائيل أربع فئات اجتماعية هي :

١ – فئة جهاز الدولة بما فيها الحكومة والهستدروت والجيش والوكالة اليهودية .

٢ – فئة أرباب الأعمال والبنوك .

٣ – فئة المهندسين وأصحاب المهن الحرة والعمال التقنيين .

٤ – فئة العمال شبه التقنيين وغير التقنيين وسكان السجون وبيوت الدعارة والعاطلين ... إلخ .

إن ثلاث الفئات الأولى هي في جوهرها استيطانية أشكنازية ، على حين أن الفئة السفلى في جوهرها من الناطقين بالضاد ؛ أي يهود الإسلام وإخوانهم الفلسطينيين . ففي كل مؤسسة إسرائيلية — سواء أكانت حكومية أم أهلية أم اقتصادية أم عسكرية أم طبية ... إلخ — تجد اللون

الأبيض فوق واللون الأسمر تحت ـــ عدا بعض الشواذ . وبذلك ساعدت الهجرة المكثفة من أرض الإسلام (ومن أوروبا الشرقية) على تثبيت أقدام المستوطنين الأشكناز ؛ من الناحية الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

حتى الأستاذ الذي وضع بحثاً علميا ضد غرس روح التبعية في نفوس يهود الإسلام ؛ لم يكن يهوديا من أرض الإسلام وإنما أشكنازيا ؛ وهو الدكتور شلومو سفيرسكي (مع ش . كتسير) ـــ في دفاتر للبحث والنقد رقم (١) . وقد استخدمت السياسة نفسها تجاه الفلسطينيين .

وفي محاضرته أمام الجنود بشأن كسر المعنويات في الأراضي العربية المحتلة ، قال الضابط الأشكنازي الأمريكي المختص بعلم النفس : إنه من المحتم تدريب العرب كما يُدَرِّب الإنسان الكلاب . وعندما سأله أحد الجنود الأشكناز ما إذا كان من الممكن تطبيق ما قاله ـــ عن العرب وعن حضاراتهم وثقافتهم ـــ على اليهود من البلدان العربية ؛ أجاب الضابط : « أجل ؛ معظمهم يشبهون العرب . وإذا كان عملنا على مايرام فإن الكثير من اليهود الحقيقيين سوف يأتون من الولايات المتحدة » [زوهديريخ ، ١٩٨٠] .

التقاطب الإثني ـــ الاقتصادي :

إن تاريخ الصهيونية في فلسطين يتميز بالتحدي والاستفزاز ثم التقاطب والانفجار . وهذا لا ينطبق على العلاقات بين المستوطنين الأشكناز ويهود الإسلام فحسب وإنما بين المستوطنين الأشكناز والشعب الفلسطيني أيضا . وقد بدأ هذا النزاع الأخير بين الأشكناز والفلسطينيين ؛ ثم صعَّدوه فأصبح بين يهود العالم عامة والأمة العربية الإسلامية ، ثم بين الكتلة الغربية والكتلة الشرقية ، ثم التهديد بالقنبلة الذرية .

أما بالنسبة للنزاع بين الأشكناز الصهاينة ويهود الإسلام ؛ فقد أدَّت الأحوال القاسية في المعسكرات الصهيونية ، والتطورات الاقتصادية السريعة الآنفة الذكر ـــ إلى تسريع التقاطب الإثني بين الطائفتين . ولم يبدأ هذا التقاطب بعد ١٩٤٨ وإنما منذ بداية الاستيطان الصهيوني الأشكنازي على أرض فسلطين ـــ كما شرحنا في الفصول السابقة .

في ١٩٤١/١١/٣١ ؛ صرح أكبر المفكرين في الحركة العمالية الصهيونية : بيريل كتسنلسون ، صرح بقوله : « أن العامل الأشكنازي المنظم داخل الهستدروت (اتحاد النقابات العمالية الصهيونية) يشبه الأرستقراط بالمقارنة بالعامل السفاردي (اليهودي العربي) ؛ الذي يعيش في هوامش الهستدروت . وأن هذه الطبقة من الفقراء المعدمين قد تثور يوماً ما ضد الهستدروت إذا لم تتحسن أحوالها » . ونقل هذا التصريح الياهو الياشار ؛ زعيم طائفة يهود الإسلام بالقدس ؛ عن مجلة « هبوعيل هتسعير » ـــ عدد ١٤/١٣ ، معلقاً على ذلك بأن سوء حالة يهود الإسلام منذ ذلك الوقت قد تضاعف عشر مرات [شيبط وعام ، ١٩٦٠] .

ويقول الياشار في مقاله [شيبط وعام ، السلسلة الثانية ، رقم (١) - ١٩٧٠] « إن الذين يطالبون بمزج اليهود في فلسطين يطلبون من يهود الإسلام أن يتنكروا لأنفسهم ولماضيهم ولحضارتهم ، وأن يقتبسوا حضارة الغيتو الأشكنازية . أما بشأن التكنولوجيا الغربية ؛ فكل إنسان يستطيع أن يقتبسها إذا أتيحت له الفرصة ، واليهود العرب في الجامعات قد برهنوا على ذلك » . وبصورة درامية يتهم الياشار المؤسسات الصهيونية وعملاءها بين اليهود العرب بالمسئولية عن انتشار البؤس والشقاء بين أفراد هذه الطبقة ؛ مستخدما الكلمتين : « أنا أتهم » في بداية كل جملة .

إن الياشار يتهم الزعماء الأشكناز الذين بذّروا الملايين من أموال الدولة بدلاً من استخدامها لحل المشاكل الاقتصادية ؛ كالفقر والسكن . ثم يتهم المسؤولين بشأن انتشار الدعارة بين فتيات الطائفة ، ويشير إلى أن عددهن قد بلغ أكثر من ٢٠٠ فتاة ! ويشدد على أن الدعارة لم تنتشر بين يهود الإسلام عندما عاشوا في الأرض الإسلامية . ويذكر أنه طلب من وزير المالية اعتماد ٣٠ مليون ليرة لتحسين الأحوال السكنية إلّا أن الوزير رفض الطلب ؛ بالرغم من أن هذه القضية قد أساءت إلى أحوال الثقافة والعمل والتدريب المهني . ثم يضيف أن الزعماء يبنون القصور لهم بدلاً من منح التعليم المجاني على المستوى الثانوي والجامعي .

ويمضي الياشار قائلاً : في حين أن الدولة تشجع عائلات يهود الإسلام على التكاثر الطبيعي ؛ فإنها لاتساعد هذه العائلات ، ولاتوظف بضعة ملايين من الليرات لهذا الغرض من ضمن ١٠ بلايين ليرة ؛ هي حجم ميزانيتها السنوية . وفي الوقت نفسه ؛ تستغل الدولة أولاد هذه العائلات الكبيرة للخدمة العسكرية الإلزامية . أما في الخارج فإن ممثلي الدولة يستغلون هذا البؤس ويبالغون في وصفه ؛ لجمع التبرعات من يهود العالم . وينتقد الزعيم السفاردي العملاء من اليهود العرب ؛ الذين يقبلون المناصب الرمزية الفخرية في الدولة ، ولايساعدون أبناء طائفتهم ، وقد عارضوا — سابقاً — إقامة تنظيم غير سياسي للدفاع عن هذه الطائفة .

ثم يعدد الياشار المنظمات التي أقامها يهود الإسلام في فلسطين منذ بداية الانتداب البريطاني ، ويتهم المؤسسة الصهيونية بإفشال هذه المنظمات كلها ؛ من أجل تثبيت الهيمنة الطائفية والحزبية والطبقية الضيقة ، وهو الأمر الذي أدّى إلى انعدام أي تمثيل لليهود العرب في مؤسسات الدولة العليا ؛ عدا وزير الشرطة : بخور شتريت الذي مثل حزب المباي أصلاً .

ويهدد الياشار بأن استمـرار الفقـر والتـذمر — بين يهود الإسلام — يشكل خطراً أمنيا على سلامة الدولة ؛ لأن معظم أفراد الجيش هم من يهود الإسلام . ويطالب بإقامة منظمة تعمل على سد الفجوة بين الطائفتين . ثم يهدد الدولة بقوله : في المستقبل ؛ قد تظهر جماعة من الديماغوغيين تعمل على تحريض الجماهير الشرقية المسحوقة (الياشار رجل أعمال ليبرالي) . وتحذر نيلي اركين من أن الفقر والتخلف الثقافي والأوضاع السكنية التعيسة — قد تؤثر على مقدرة الشباب العسكرية ، وأن هؤلاء الأطفال قد يشكلون خطراً على الدولة في المستقبل . ويعدد شلومو تمير في مقاله [مجلة بمعرخه ، رقم ١٠٦ ، ١٩٧٠] — الأخطار المحدقة بالدولة نتيجة الفقر ، ويطالب بإزالة الفقر

بوسائل غير عادية .

وننبه القارىء هاهنا إلى أن العسكرية الإسرائيلية قد وصلت إلى درجة لا يستطيع معها الإنسان أن يتكلم باسم الحق والعدالة والأخلاق ؛ بل باسم « الأمن » و « الوحدة ! » ... إلخ ، وأن من يتكلم عن التمييز يُدعى « خائناً » ؛ لذا تُستخدم كلمة « الفجوة » بين الطائفتين بدلاً من كلمة « التمييز » .

« بيغن » ومشروع إنعاش الأحياء الفقيرة :

عندما قامت دولة إسرائيل ـــ عام ١٩٤٨ ؛ كان مناحيم بيغن زعيماً لحزب يميني صغير يدعى « حيروت » (حرية) . وقد أدرك بيغن أنه لن ينتصر على المؤسسة « العمالية » التي حكمت المؤسسة الاستيطانية سنوات عديدة ؛ إلّا بواسطة استغلال غضب يهود الإسلام ؛ فوعد بيغن بإقامة نظام جديد مبني على المساواة التامة ؛ لا في الدولة فحسب وإنما في حزبه أيضاً (وشكل هذا الحزب كتلة يمينية مع الرأسماليين والليبراليين تدعى ليكود) . وبث بيغن الإشاعة الكاذبة بأنه « مراكشي » ـــ مع العلم بأنه بولوني ـــ هرب من الجيش البولوني القومي في بداية الحرب العالمية الثانية إلى فلسطين ، ثم تزعم منظمة الأرغون الإرهابية . وأخيراً ؛ وبعد ٢٩ عاماً ؛ تمكن بيغن من كسب قسم كبير من أصوات يهود الإسلام عام ١٩٧٧ ؛ بسبب مزاعمه عن المساواة وليس بسبب سياسته المعادية للعرب ، واستطاع أن يشكل الحكومة اليمينية الأولى (ولم تكن حكومة حزب العمل أقل عداءً للعرب من بيغن ؛ فهي الحكومة التي شردت الشعب الفلسطيني ، وهدمت مئات القرى والمدن العربية ، وسلبت أراضي وأملاك العرب عام ١٩٤٨ ، وضمت قسماً كبيراً من أراضي الدولة الفلسطينية ـــ حسب قرارات الأمم المتحدة ، وغزت سيناء عام ١٩٥٦ ، واحتلت الضفة الغربية وسيناء والجولان عام ١٩٦٧ ... إلخ) .

وفي ١٩٧٨ ؛ بدأ بيغن برنامجاً جديداً « لتحسين أحوال الشعب » ـــ كما وعد من قبل . وسمي هذا المشروع « مشروع إنعاش أحياء الفقر » . وقد شمل المشروع ١٦٩ حيا فقيراً ، من ضمنها أحياء الحزام الأسود في المدن الكبرى ومدن « التطوير » والقرى التعاونية المفلسة . وتقول جريدة هآرتس (٧٩/١/٥) إن عدد سكان هذه المناطق يبلغ ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، وإن الأموال التي خصصت للمشروع بلغت ١,٢ مليون دولار ـــ في المرحلة الأولى . ووافقت حكومة بيغن على دفع ليرة واحدة مقابل كل ليرة يدفعها اليهود الأمريكيون من أجل هذا المشروع .

وبعد بضعة أعوام ؛ تبين للجماهير أن المشروع قد فشل تماماً ، وإنْ قام بتزيين بعض ظواهر الأحياء الفقيرة ؛ وكان معظم الذين استفادوا منه ينتمون إلى الطائفة الأشكنازية الحاكمة !

وقد حدث ذلك لأن الحكومة لم تسمح ليهود الإسلام المعنيين ؛ سكان الأحياء الفقيرة ـــ بأن ينتخبوا لجاناً خاصة تتولى إدارة المشروع ، وصرف هذه الأموال على ما يحتاجونه من مساكن وعمل

وثقافة ... إلخ ، ولكنها أقامت جهازاً هائلاً من الموظفين الأشكناز الذين ينتمون إلى سلطات مختلفة ؛ مثل : الحكومة المركزية ، والسلطات المحلية ، والوكالة اليهودية ... إلخ . ومن هذه اللجان : لجنة حكومية مؤلفة من بعض الوزراء ــ لجنة حكومية تشمل موظفين من وزارات مختلفة ــ مراقب المشروع في مجلس رئيس الوزراء ــ مدير المشروع في الوكالة اليهودية ــ مدير المشروع في وزارة العمل والرفاهة . ومن هذه اللجان ــ على الصعيد المحلي : مدير اللجنة التوجيهية ــ مدير البناء والسكن ــ موظفو السلطة المحلية ــ موظفو الدوائر الحكومية في الأقضية المختلفة ، الذين يعتنون بالأحوال السكنية والثقافية والعمل والصحة . وبالنسبة لجهاز الحكومة المركزية ؛ أضف دوائر المستشارين في الشؤون الجغرافية والسوسيولوجية والهندسية ، وكذلك شركة « عميدار » وشركة « عميغور » للإسكان ... إلخ .

وعندما أخذت هذه الدوائر تشم رائحة الملايين والنفوذ السياسي المنبثق عنها ؛ بدأ الصراع المستميت فيما بينها ، وحاولت كل دائرة التسلط على المشروع .

ومن ضمن مبلغ قدره ٤٠٠ مليون ليرة تقرر صرفه عام ١٩٧٨ ــ خُصصت ٢٠٠ مليون ليرة للمباني الرسمية ، ومبلغ آخر لدفع رواتب الموظفين التقنيين الأشكناز ، ولم يُخصص إلّا مبلغ صغير لرفاهة الأحياء الفقيرة [أنباء المجتمع الجديد ، ١٩٧٩ ــ نقلها سفيرسكي ، ١٩٨١ ، ص ٣٤٤ ــ ٣٥٥] .

وتقول الصحف الإسرائيلية إن ٦٠٪ من أموال المشروع تدفع كرواتب لهذا الجيش من الموظفين الأشكناز ، وتُصرف أغلبية الأموال الباقية على تزيين الحارات الفقيرة بالأبنية العامة والحدائق لأغراض دعائية أمام الزوار الأجانب ؛ بدلاً من صرفها على بناء الشقق السكنية ، وتحسين أحوال المعيشة ، ومكافحة البطالة والجنوح والإجرام وتسيب الشبيبة .

وأخذت السلطات المحلية التي يسيطر عليها الأشكناز تصرف الأموال ــ أكثر فأكثر ــ على الضواحي الأشكنازية ؛ على حساب تقليص الخدمات البلدية في ضواحي الفقر ، ثم تطلب من إدارة المشروع تخصيص الأموال لخدمات البلدية في الضواحي الفقيرة . وبذلك استغلت البلديات ــ بصورة غير مباشرة ــ المشروع لتحسين أحوال الأشكناز . ويقول سكان حارة « شخونه هتكفا » بتل أبيب إن معهد الفنون الذي أقيم في الحي يبتلع قسماً كبيراً من أموال المشروع ؛ بالرغم من أن طلاب المعهد أشكناز يسكنون في الضواحي الغنية . وطالب سكان الحارة بنقل المعهد من الحي . وأخيراً وافقت البلدية [هآرتس ، ٨٦/٤/٤] .

علاوة على ذلك ؛ بدأت الحكومة المركزية تقلص ميزانية الخدمات الاجتماعية ، ثم تُوجِّه السلطات المحلية إلى مشروع إنعاش ضواحي الفقر لطلب المساعدة المالية . ومكّن هذا التصرف الحكومة المركزية من صرف الكثير من الأموال على المستوطنات الأشكنازية في الأراضي المحتلة .

وفي ١٩٨٠/٤/٤ ؛ كتبت جريدة هآرتس تقول إن سكان حي « عميدار » تركوا اللجنة

التوجيهية للمشروع ؛ لأنهم لا يمثلون فيها إلّا ٤ أعضاء من مجموع ٢٤ عضواً ، وطالبوا بأخذ زمام المبادرة . وكتبت الجريدة نفسها (٨٠/٥/٢٣) إن سكان الأحياء الفقيرة في قرية « آتا » يقولون إن المشروع يستخدم لتشغيل الموظفين الأشكناز ، وطالبوا بإقامة لجان محلية تدير المشروع . وبعد وصف الأحوال التعيسة في الأحياء الفقيرة ؛ تقول الجريدة إن يهود الإسلام أنذروا بأنهم سوف يقومون بالثورة ؛ متعاضدين مع يهود الإسلام في الضواحي الفقيرة في « تل حنان » و « طيرة الكرمل » ، ومنظمة « أوهَليم » بالقدس . وتضيف الجريدة أن في بناية واحدة يوجد ٢٠٠ طفل بدون أية حديقة للّعب ؛ لذلك يلعب الأطفال في الشارع ، وأن الضاحية مملوءة بالإجرام وتعاطي المخدرات والدعارة .

وفي ٨٠/٨/١ ؛ نشر توم سيغيف مقالاً في جريدة هآرتس ، تحت عنوان : « كل شيء خدعة » ــ يصف فيه التطورات الآنفة الذكر ، ويؤكد أن « كل شيء على الورق فحسب » . ثم يعدد الدوائر التي تعتني بالمشروع ، ويصف نزاعاتها المستمرة ، ويشدد على تقليص ميزانيات الخدمات الاجتماعية من قبل الحكومة ، ويؤكد أن الرؤساء قد اغتنوا من المشروع ، وأن بعض الأموال تصرف على أشياء « مُبَهْرَجَة من أجل الدعاية » .

وفي ٨٠/١٠/٨ ؛ كتبت جريدة زوهديرخ تقول : إن من مجموع ٦ ملايين دولار جُمعت في أمريكا لهذا المشروع ؛ صرفت الحكومة ٧٠٠ ألف دولار فحسب حتى شباط ١٩٨٠ ، وإن البيروقراطية (الأشكنازية) قد ابتلعت الأموال .

وأهم ما نشر في جريدة هآرتس عن هذا الموضوع هو المقال القيِّم الذي كتبه زئيب يفت (٨٢/١/٢٩) ــ تحت عنوان ؛ « هروب الميزانية » :

يقول يفت إن رؤساء المشروع بنوا رصيفاً غير كامل للتنزه من أجل الأحياء الفقيرة في كفر « سابا » . وفي « إسدود » أقاموا حديقة كبيرة بعيدة عن حارة الفقر تماماً . وفي حارة « عميدار » في « رامات غن » غرسوا الزهر بدلاً من معالجة مصاعب السكن والإجرام والعنف . ويقول إن رؤساء البلديات يسيطرون على المشروع ، وإن هؤلاء هم الذين أهملوا هذه الأحياء وحوَّلوها إلى أحياء فقيرة لصالح الأحياء الغنية (الأشكنازية) . والآن ؛ الزعماء أنفسهم تولوا أموال المشروع (يعني حاميها حراميها) ، ويصرفون أمواله بدون رقابة . وبعض البلديات تصرف أموال المشروع على الخدمات العادية التي يجب أن تقدم على حساب ميزانية البلدية . ففي حارة « د » في يافا ــ مثلاً ــ توجد مدرسة لتعليم الموسيقى كانت بلدية تل أبيب تمولها ، لكن رئيس البلدية : السيد « لاهط » (ا) أعلن أنه ــ من الآن فصاعداً ــ لن تستطيع البلدية أن تمول المدرسة أبداً ، وعلى « المشروع » أن يدفع نفقاتها . ويشير رؤساء نقابة المستخدمين في الشؤون الاجتماعية إلى أن البلديات تفصل الموظفين العاملين في هذا المجال ثم توظفهم من جديد ؛ على حساب مشروع الإنعاش . وفي بيت شيمش ؛ استلم المجلس المحلي ٣٠٠ ألف شيقل من أموال المشروع فصرفه على

جمع الزبالة ، وفي قديمة ؛ قلصت وزارة الداخلية مساعدتها المالية بمقدار ٨٠٠ ألف شيقل ؛ بحجة أن المجلس المحلي يستطيع أن يستلم هذا المبلغ من المشروع . ومن ضمن ٦ ملايين شيقل خصصت للمشروع ؛ تصرف ٣ ملايين على خدمات حكومية عادية لا تضيف شيئاً في طريق « الإنعاش » . وفي حصور في الجليل ؛ توقفت الحكومة عن دفع نفقات الدروس الإضافية بعد الظهر ، وأرغمت مشروع الإنعاش على دفع هذه النفقات . وفي صفد ؛ قلصت وزارة الداخلية ووزارة الإسكان ـــ الميزانية العادية ، وطلبتا من رئيس البلدية استخدام أموال المشروع . وأرغم المشروع أيضاً على تمويل الصفوف المتوسطة في المدارس الثانوية بدلاً من تمويلها من قِبَل وزارة المعارف ، وألغت هذه الوزارة برامج ثقافية أخرى كانت تهدف إلى مساعدة يهود الإسلام .

وبعد نشر هذه الفضائح ؛ أعلنت الحكومة أن الأموال التي وظفت في المشروع بلغت ٦٠٠ مليون دولار ، وأنه جرى تحسين ٥٠ ألف شقة وتوسيع ٢٠ ألف أخرى . ولم تكشف الحكومة عن النسبة الضئيلة لهذه المصروفات من المبلغ الإجمالي البالغ ٦٠٠ مليون دولار . واعترف البيان الحكومي بأن الحكومة صرفت أموال المشروع على إنشاء عيادات صحية ورياض للأطفال ومبانٍ رياضية وأبنية عامة [هآرتس ، ٨٦/٣/٢٨] . ولقد كان من واجبها أن تنشيء هذه المؤسسات على حساب ميزانيتها وليس على حساب المشروع .

هكذا ؛ توفي مشروع إنعاش الأحياء الفقيرة ، وابتلعت الحكومة المركزية والبلديات والجهاز الأشكنازي معظم أموال المشروع . أما مناحيم بيغن ؛ رئيس الوزراء ؛ الذي نصب نفسه « مسيحاً مرتقباً » لإنقاذ يهود الإسلام من الظلم والاضطهاد ـــ فقد شاهد كل هذا ولم يفعل شيئا إيجابيًّا (وهو رئيس الحكومة) ، بل أرسل أولاد المظلومات ليموتوا في الحرب اللبنانية ، وربما قرَّعه ضميره إلى أن انهار نفسيًّا وجسديًّا .

وفي تقريرها ـــ لسنة ١٩٨٥/١٩٨٤ ـــ لم تنشر مراقبة الوكالة اليهودية ؛ رينه غوطمان ـــ نواقص خطيرة في إدارة المشروع . غير إن التقرير يقول إن موظفي دائرة المشروع لم يُعيَّنوا عن طريق إعلان الوظائف للجمهور ؛ بل على أساس قرار مدير المشروع . ولم تدقق إدارة المشروع في مؤهلات الموظفين ، ولم يكن هناك إطار لتعيين نظام الأولويات في أعمال المشروع . وصرفت الوكالة حتى ذلك الوقت ١٧٥ مليون دولار [هآرتس ، ٨٥/٧/١٢] .

معطيات تفاقم التقاطب :

● إضافة إلى فشل مشروع إنعاش « الحزام الأسود » ؛ فإن سياسة الانفتاح اليمينية التي اتخذتها حكومة الليكود بقيادة مناحيم بيغن ـــ أدت إلى تفاقم التقاطب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين اليهود الأشكناز ويهود الإسلام (عدا فئة ضيقة من يهود الإسلام ؛ استطاعت أن تترق طبقيا وأن تنضم إلى الطبقة البورجوازية الصغيرة ؛ التي تشمل أصحاب المطاعم والجراجات والدكاكين الصغيرة ، ولذلك ؛ ربطت هذه الفئة مصيرها بكتلة الليكود : لأسباب اقتصادية لاتتعلق بسياسة

الليكود العدوانية المعادية للعرب) .

● التطورات الاقتصادية السريعة : الزراعية والصناعية والتجارية ـــ منذ قيام الدولة ـــ ساعدت الأشكناز على الارتقاء الطبقي ، ودفعت بيهود الإسلام إلى أسفل الدرجات . وهذا ينطبق على الشعب الفلسطيني إثر مصادرة أراضيه ، ونتيجةً لسياسة التمييز العنصري ضده . وهكذا أصبحت الطبقة العاملة في جميع الأراضي المحتلة « سمراء » ـــ كلها أو ٩٠٪ منها على الأقل (قارن ذلك بجنوب إفريقيا) .

● الأزمة الاقتصادية التي أصابت العالم الغربي كانت ضحيتها الأولى هي الطائفة « السمراء » أو الناطقين بالضاد .

● قطع العلاقات التجارية بين إسرائيل وإيران الثورة ، وما أدّى إليه ذلك من إيقاف تصدير البترول الأيراني إلى إسرائيل،وإغلاق جميع المعامل الإسرائيلية التي كانت تصدر إنتاجها إلى إيران الشاه .

● غزو لبنان الذي كلّف إسرائيل ملايين كثيرة من الدولارات ، وجاء ذلك ـــ بالطبع ـــ على حساب تقليص الخدمات الاجتماعية والثقافية ... إلخ .

● إنشاء المستعمرات الأشكنازية في الأراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ . وقد بلغت نفقات « الدفاع » ، بالإضافة إلى الديون ـــ ثلثي ميزانية الدولة [التايمس ، ٨٢/٢/٢٢] . وفي ميزانية ١٩٨٦ ؛ بلغت نسبة نفقات الدفاع والديون (التي حصلت بسببه) ٦٩,٢٪ ، على حين بلغت نسبة جميع الخدمات الاجتماعية والبلدية ١٧,٨٪ فقط [زو هديريخ ، ٨٦/١/٢٩] .

● البطالة وتآكل الأجور وتقليص الدعم المالي للمواد الغذائية والتضخم المالي ؛ ولاسيما منذ ترأس شمعون بيرس ؛ زعيم حزب العمل ـــ الحكومة الائتلافية عام ١٩٨٤ . وأشارت جريدة التايمس (٨٤/١٠/٢٥) إلى أن نسبة التضخم المالي قاربت ١٠٠٠٪ ، وأن البرنامج الاقتصادي الجديد يشمل تقليص علاوة الغلاء بنسبة ٣٠٪ وتقليل الميزانية بمقدار ٥٠٠ مليون دولار ، وتقليص العمل في القطاع العام بنسبة ١٠٪ ؛ أي فصل ١٤ ألف عامل . وتفيد التقارير في الجريدة إلى أن ثمة خطر انتشار أعمال العنف والإخلال بالنظام ؛ بسبب سياسة التقشف ، وأن الشرطة تقوم بإعداد الخطط لمعالجة هذا الموقف حال حدوثه . ففي أيلول ١٩٨١ ؛ كانت النفقات الشهرية للعائلة في المدن التي تضم ٣,٤ شخصاً ـــ ٨,٨٩٨ شيقل ، أما في أيلول ١٩٨٤ فبلغت هذه النفقات ٢٥٧ ألف شيقل [نقلا عن دائرة الإحصاء الإسرائيلية] . وقال أحد الباعة في سوق تجاري كبير لمراسل التايمس : « إن الناس مستعدون أن يقتلوا ؛ من أجل الحصول على دجاجة مجمدة واحدة » . ولم يذكر مراسل التايمس نفقات العائلات الكبيرة .

وبعد ؛ فلاشك أن نسبة اليهود العرب الذين يعيشون تحت خطر الفقر قد تضاعفت منذ وصول بيغن إلى الحكم عام ١٩٧٧ . ولقد صرح شارلي بطون ؛ زعيم الفهود السود في البرلمان ـــ بأنه

خلال ١٩٧٧ ـــ ١٩٧٩ زاد حجم هذه الفئة بنسبة ٧٨٪ ، وأن تخفيض الضرائب المفروضة على الكماليات (سيارة ، تلفزيون ... إلخ) لم يساعد هذه الفئة المسحوقة . وفي الوقت نفسه ؛ دفعت الحكومة ١٠٠ ألف دولار كتعويضات للمستوطنين الأشكناز الذين أُخرجوا من سيناء ، وقد كان من الممكن بناء ١٧ ألف شقة سكنية للفقراء بهذا المبلغ [زوهديريخ ، ٨١/٤/٩] .

ويضيف التقرير السنوي لمعهد الضمان الاجتماعي الحكومي (١٩٨٠) أن الفجوة الاجتماعية خلال حكم الليكود : ١٩٧٧ ـــ ١٩٨٠ ؛ قد تعمقت ، وأن نسبة الأطفال الفقراء قد تضاعفت . أما نسبة الفقر في العائلات التي لها ٤ ـــ ٥ أطفال فقد ازدادت بنسبة ٣٠٠٪ . وبلغت نسبة هذه العائلات ١١,٧٪ من المجموع القطري للعائلات . وزاد الفقر لدى العائلات التي لها ٥ أطفال فأكثر بنسبة ٤٠٠٪ ، وبلغت نسبة هذه العائلات ٢٥٪ من المجموع القطري للعائلات . ويضيف التقرير أن أحد أسباب هذه الظاهرة كان إلغاء بعض الضرائب التي كانت مفروضة على الأغنياء (على الأملاك والمحلات التجارية والوراثة ... إلخ) . ووصف النائب الليبرالي ؛ امنون روبنشتاين هذا الفقر بأنه « **قنبلة موقوتة وضعها يغفو في وسطنا** » [هآرتس ، ٨١/١١/٦] .

وكانت نسبة الأطفال الذين عاشوا تحت خطر الفقر عام ١٩٧٧ نحو ٣,٨٪ ؛ أي ٢٨,٢٠٠ طفـل . وفي ١٩٨١ ؛ بلغت نسبتهم ٨,٤٪ ؛ أي ٦٧,٠٠٠ طفـل [زو هديريخ ، ٨٣/٣/٩ ـــ نقلا عن التقرير السنوي لمعهد الضمان الاجتماعي] . ويقول تقرير جمعية تسويق الألبان إنه منذ إلغاء الدعم المالي الحكومي للألبان ؛ انخفضت مشتروات الحليب بنسبة ١٣ ـــ ٢٩٪ . وأعلن مستشفى ايخيلوف بتل أبيب أنه أخذ يعالج أطفالاً يعانون من نقص التغذية [زو هديريخ ، ٨٠/١٢/٢٨] .

وإلحاقا بماسبق ؛ يجب أن نذكر أن خط الفقر في إسرائيل هو أسفل من خط الفقر في الدول الغربية ، وأن العائلات التي تعيش تحت هذا الخط في إسرائيل هي العائلات التي تستلم أجرة تقل عن ٣٦ جنيها إسترلينيا شهريا . وقد ازداد عدد الناس الذين يعيشون تحت خط الفقر حتى وصل إلى ٤٥٧,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٨٣ [هآرتس ، ٨٥/٢/٢٢ ـــ نقلاً عن التقرير السنوي لمعهد الضمان الاجتماعي] ؛ أي ١٣٪ من السكان . وفي ٨٥/٥/٢٢ ؛ نشر المكتب المركزي للإحصاء تقريراً خاصاً عن دخل العاملين يقول فيه : إن مستوى معيشة معظم الأجراء قد انخفض عام ١٩٨٤/١٩٨٣ ؛ فدخل العائلات الغنية والمتوسطة انخفض بنسبة ١,٥٪ (أي الأشكناز) ، أما دخل العشر الأسفل (أي يهود الإسلام) فقد انخفض بنسبة ١١,٥٪ [زوهديريخ ، ٨٥/٥/٢٩] .

والمصادر الإسرائيلية (أي الأشكنازية) ـــ عندما تتكلم عن الفقراء وسكان مدن التطوير وسكان الحارات الفقيرة ـــ لاتقول إن هؤلاء هم يهود عرب أو يهود الإسلام ؛ خوفاً على « الوحدة القومية » ، وتتظاهر بأن المشكلة هي فجوة بين أغنياء وفقراء ليس إلّا .

وكتب المفكر المغربي : ميخائيل الباز ؛ يقول « إن تبعية يهود الإسلام للمؤسسات الاجتماعية

الحكومية تتفاقم من جيل إلى آخر : في ١٩٦٤ ؛ كانت ٣٤,٥٪ من الأسر في مدن التطوير (يهود عرب) بحاجة إلى المعونات الحكومية مقابل ١٧,٤٪ على المستوى القطري . وفي ١٩٧٣ ؛ ارتفعت نسبة المعوزين ... إن ٤٠,٣٪ من المعوزين في البلد يتجمعون في مدن التطوير ، في حين كانت تلك المدن لا تتسع إلّا لنحو ١٧٪ من السكان الإسرائيليين » (حسب الإحصاءات الحكومية ١٢٪ فقط) . ويضيف الباز أن ٨٣٪ من طلاب الصفوف الابتدائية يجدون صعوبة في الفهم مقابل ٤٥٪ على المستوى القومي [الأزمنة الحديثة ، إسرائيل الثانية ، ص ١١٢] . ويشدد الباز على أن « اليهود الشرقيين — على الصعيد القومي — يتجمعون بالفعل في البروليتاريا الصناعية ، وفي الأعمال رخيصة الأجر التي لا تتطلب مؤهلات ، ويعيشون داخل الأحياء العرقية الواقعة في وسط المدن الكبرى ، وهم غير ممثلين إلّا في الأجهزة الدنيا للدولة . ومهما كان المعيار الذي تعيش به هذه الفئة (الملكية ، العائلات ، التعليم ، السلطة السياسية) فإن اللامساواة هي بِنْيَويَّة بين الفئتين العرقيتين .. » [المصدر السابق ، ص ١١٣] .

حتى علماء الأشكناز كانوا قد اعترفوا بهذه الحقائق منذ عشر سنوات قبل أن يكتب الباز ملاحظاته : يقول يونه روزنفلد وابراهام زلاتشوي — في ١٩٦٥ : إن عدم المساواة الاجتماعية (بين يهود الإسلام والأشكناز) يميل إلى التفاقم في الجيل الذي ولد في إسرائيل .

وتقول أبواق الدعاية الصهيونية إن حالة يهود الإسلام قد تحسنت في إسرائيل بالمقارنة بحالتهم السابقة في أرض الإسلام . وقد برهن الدكتور يعقوب ناهون على نقيض ذلك : ففي تحقيقه العلمي الذي نشره المعهد المقدسي للأبحاث الإسرائيلية ؛ يقول الدكتور ناهون إن عدد المستوطنين الأشكناز بين أصحاب الياقة البيضاء قد ازداد بنسبة ٩٠٪ بالمقارنة بيهود الإسلام ، وأن عدد يهود الإسلام بين أصحاب الياقة الزرقاء (أي عمال) قد ازداد بنسبة ٩٠٪ بالمقارنة بالأشكناز . أما عدد الأشكناز في الوظائف العلمية والأكاديمية فيزيد بنسبة خمسة أضعاف على عدد يهود الإسلام . وأما نسبة يهود الإسلام في الأعمال الدنيا فتزيد بنسبة ٢٠٠ — ٣٥٠٪ على نسبة الأشكناز [زو هديريخ ، ٨٤/٨/١٥] . وإذا كانت هناك مساواة أو شبه مساواة فهي موجودة في البورجوازية الصغيرة ؛ حيث تبلغ نسبة كل من الطائفتين في هذه الطبقة ١٨٪ .

وقد بلغ تفاقم الفقر والاستقطاب إلى درجة أعلن معها حسقيل صنعاني (يمني) أنه مستعد لبيع عينه وكليته من أجل شراء شقة سكنية ؛ بدلاً من النوم في الحافلات خلال ثماني السنوات الماضية . على حين أعلنت ساره برنيياع أنها تعرض للبيع طفلها الجديد (كانت حُبْلَى) بغية شراء شقة صغيرة تحتوي على غرفة واحدة [زو هديريخ ، ٨١/١/٢٨] .

ويشير الصحافي ناتان دونيفيتش في جريدة هآرتس (٨١/٦/٢٦) ؛ نقلاً عن أحد علماء الاجتماع : يوحنان بيرس — إلى **أن الفجوة الإثنية والاجتماعية في إسرائيل أعمق بكثير مما هي عليه في أي بلد آخر في العالم ، ومن ضمن ذلك الولايات المتحدة .**

وقد لاحظنا أن أحد أسباب هذه الفجوة هو الاستغلال الاقتصادي . ففي ١٩٨٤ ؛ كانت الأجرة الإجمالية لساعة عمل واحدة في الولايات المتحدة ١٣ دولاراً ، وفي كندا ١١,٥ دولار ، أما في إسرائيل فكانت ٤,٥ دولار فقط [زوهديريخ ، ٨٥/١٢/٣١ — نقلاً عن تقرير معهد الإنتاج] . وهذا الرقم يعبر عن المعدل العام الذي هو مضلل دائماً ؛ ذلك أن الجماهير المسحوقة من أرض الإسلام والفلسطينيين تستلم أجوراً أقل من هذه المعدل بكثير .

ويقول يوحنان بيرس : « **إذا لم تتقلص الفجوة الطائفية فإن الشعور المتزايد بالإجحاف قد يؤدي إلى انفجار مدمر** » [بيرس ، ١٩٧٧ ، ص ٨٢] . ويقول « **إن الجيل الثاني المولود في البلد** (من يهود الإسلام) **يشعر بالإجحاف أكثر من الجيل الأول المولود في الخارج** ... » [المصدر السابق] . ويضيف أن دخل العائلة الأشكنازية العادية يزيد بنسبة ٤٠٠٪ على دخل العائلة الشرقية العادية [المصدر السابق ، ص ١٣٢] . وأن**الفجوة الطائفية بين البيض والسود في الولايات المتحدة في مجال العمل ، والوظائف الهامة ، وفي المهن الحرة ، وفي الوظائف الإدارية والفنية — أفضل مما هي عليه في إسرائيل** [المصدر السابق ، ص ١٤٣] (يعني التمييز العنصري ضد يهود الإسلام في العمل أسوأ من التمييز العنصري ضد السود في أمريكا) .

وبلغت نسبة الإسرائيليين الذين اقترنوا بآحاد من خارج طائفتهم في ١٩٧١ — ١٨,٥٪ [المصدر السابق ص ١٤٧] ، وهذا لا يعني أن الطائفتين اليهوديتين تسيران نحو الامتزاج بل على الضد ؛ إنه يعني أن الأغلبية الساحقة : ٨١,٥٪ لا تتزوج من أبناء أو بنات الطائفة الأخرى . إلى جانب أن الأقلية التي تتزوج من أبناء أو بنات الطائفة الأخرى متساوية من حيث الطبقة الاجتماعية ؛ ولاسيما من المنظور الاقتصادي والثقافي .

وبخصوص العلاقات الإنسانية بين الطائفتين ؛ فقد شاهدت (الكاتب) منذ زمن الانتداب آلاف الحوادث التي تدل على أن مزج اليهود في إسرائيل في « شعب واحد » أو « أمة إسرائيلية واحدة » ؛ ماهو إلّا أسطورة صهيونية كاذبة . لقد سافرت مرة من حيفا إلى مرسيليا في باخرة تركية ، وكان جميع الركاب « إسرائيليين » : أشكناز ، ويهود عرب (سفاراديم — كما يسمونهم) ... وفي بداية الرحلة كانت العلاقات بين أبناء الطائفتين لطيفة متحفظة ، وتحدث يهود الإسلام فيما بينهم عن حياتهم وأعمالهم في إسرائيل ، ثمت عن مشاكلهم في إسرائيل ، وبعد ذلك عن مشقاتهم ومصائبهم ، وأخيراً قالوا إنهم سوف يبقون في فرنسا إذا وجدوا أعمالاً ملائمة ولن يعودوا إلى إسرائيل ... أما العلاقات مع الأشكناز فكانت تبرد كلما اقتربنا من مرسيليا أكثر فأكثر ... وعندما نزلنا من الباخرة تجمع الأشكناز في جماعة واحدة ، على حين شكل يهود الإسلام جماعة ثانية ؛ منفصلة عن الجماعة الأولى .. واستأجرت كل جماعة سيارات الأجرة منفردة ، ولم نقل لهم « مع السلامة » ولم يقولوا لنا : « إلى اللقاء » ... ولم ننظر إليهم ولم ينظروا إلينا . وفي لندن يوجد « إسرائيليون » كثيرون من كلتا الطائفتين ولم أر أية علاقات ودية بين الطرفين . ويقول يهود الإسلام للإنكليز « الله خلصنا منهم ومن غطرستهم ومن تحكمهم ... » ، في حين يقول الأشكناز

للإنكليز عنا : « هؤلاء شرقيون ، بدائيون ، غير متحضرين ! » . وبهذا الشكل بلغ النفور المتبادل أقصاه ولاسيما خارج الحكم الأشكنازي .

وفيما يلي ؛ نقدم مزيداً من الحقائق حول التقاطب الإثني ــ الاقتصادي ، وأبرز هذه الحقائق ــ يبرهن عليها الجدول التالي ــ مايأتي :

١ – تجمع مكثف ليهود الإسلام في الطبقة العاملة .

٢ – تجمع مكثف لليهود الأشكناز في طبقة المديرين والمهن الحرة .

٣ – تعمق الفجوة بين الطائفتين في الجيل الثاني المولود في إسرائيل بالنسبة للطبقة العليا ؛ إذ إن ١٢,٩٪ من يهود الإسلام المولودين في دار الإسلام (عام ١٩٧٧) ينتمون إلى الطبقة العليا ؛ مقابل ٣٠,٩٪ من الأشكناز . أما في الجيل المولود في إسرائيل فقد كبر الفرق حتى بلغ ١٤,٦٪ مقابل ٤٥,٦٪ . وهذه الأرقام تثبت أيضاً أن التخلف لم يستورد من أرض الإسلام وإنما حصل نتيجة سياسة التمييز العنصري .

بنية العمل عند السكان اليهود بحسب الأصل العرقي

المهنة	المولودون في إفريقيا وآسيا٪		المولودون في أوروبا وأمريكا ٪		المولودون في إسرائيل من أصل شرقي٪		المولودون في إسرائيل من أصل غربي٪	
	١٩٧٤	١٩٧٧	١٩٧٤	١٩٧٧	١٩٧٤	١٩٧٧	١٩٧٤	١٩٧٧
المهن الحرة للكادر المهني والمديرين	١١,٤	١٢,٩	٢٧,٨	٣٠,٩	١١	١٤,٦	٤١,٤	٤٥,٦
شغيلة في الخدمات والتجارة	٣٩,٠	٤١,٥	٢٨,٠	٢٨,٢	٤٠,٦	٤٣,١	٣٣,٨	٣١,١
شغيلة زراعيون عمال مهنيون								
مدربون وغير مهنيين	٤٩,٥	٤٥,٧	٣٤,٢	٣٠,٨	٤٨,٤	٤٢,١	٢٤,٨	٢٢,٢
المجموع بالآلاف	٣٠٦٧٠٠	٣٠٢٦٠٠	٣٩٣٣٠٠	٣٩٠٢٠٠	٩١٩٠٠	١٢٢٥٠٠	١٥٠٨٠٠	١٧٥٢٠٠
المجموع ٪	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : ميخائيل الباز ، الأزمنة الحديثة ، إسرائيل الثانية ، ١٩٨١ ، ص ١١٦ .

وإذا كان الجدول السابق يؤكد إجمالاً وجود تقاطب مهني بين اليهود الأشكناز ويهود دار الإسلام ؛ فإن الجدول التالي يبين حقيقة التقاطب بينهما في جميع المجالات .

وضع يهود الإسلام في إسرائيل في القطاعات المختلفة بالنسبة المئوية

الأصل العرقي	السياسي	الإداري	الاقتصادي	الأكاديمي	الوظيفي	الفني والفكري	الشرقيون
آسيوي وإفريقي	٨,٥	٢,٧	١,٦	٢,٢	١,٦	٥,٥	٣,٢

= نسبة يهود الإسلام في المجتمع اليهودي ٧٠٪ .

المصدر : ميخائيل الباز ، الأزمنة الحديثة ، إسرائيل الثانية ، ١٩٨١ ، ص ١١٨ .

وفيما يتعلق بالتباين في الدخل ــ على وجه التحديد ــ يمكن استقراء الجدول الآتي ، ومنه يتضح أن التباين في الدخل يظهر بين المرتبتين الأعلى . فالأجور المدرجة في المرتبات السفلى لم تبلغ في عام ١٩٦٦ سوى ٣٠٪ من متوسط الأجور ؛ أي أقل بعشر مرات من أعلى أجر .

	من٩ – ١٢ عاماً دراسيًّا		من ١٣ عاماً دراسيًّا فما فوق	
شرائح السكان	شرقيون	أشكناز	شرقيون	أشكناز
خامسة دنيا	١٠,٨	١٢,٠	١٥,٥	٧,٦
ثانية خامسة	٢١,٦	١٦,٤	٨,٥	٩,٧
ثالثة خامسة	٢٦,٠	١٧,٣	٩,٩	١٣,٠
رابعة خامسة	٢٤,٦	٢٤,٨	٣٦,٦	٢٣,٢
خامسة عليا	١٧,٠	٢٩,٥	٢٧,٣	٤٦,٥
المجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

المصدر : ميخائيل الباز ، الأزمنة الحديثة ، إسرائيل الثانية ، ١٩٨١ ، ص ١١٩ .

إذن فالأصل العرقي يتحد مع إفقار السكان ؛ لأن ٣٠,١٪ من الشرقيين مقابل ١١,٩٪ من الغربيين كانوا ضمن تلك الشريحة من المواطنين ، التي كانت تضم الأسر الكبيرة من الشرقيين

والأفراد المتقدمين في العمر من الغربيين . ولكي نتمكن من تصور اتساع الفقر فإننا نسجل في عام ١٩٧٩ نسبة ١٩٪ من السكان الإسرائيليين (أي ٤٤٥,٠٠٠ نسمة منهم ٧٥٪ من الشرقيين) كانوا مصنفين ضمن تلك الفئة . إذن فإن ما يميز البروليتاريا الشرقية المستغلة هو حجم الأسرة والوزن الكبير للتناسل الاجتماعي ؛ إذ إن ٧٨٪ من الأولاد الفقراء حسب إحصائية (ج .حبيب) و ٩٢٪ حسب تقرير (كاتز) كانوا ينمون في تلك الأسر ، وحجم المعونات التي كانوا يتقاضونها لم تكن تخفف من بؤسهم ؛ لأنها لا تتجاوز ٤٣٪ من المعدل القومي .

وجاء في التقرير الذي أعده مركز أبحاث السياسة الاجتماعية حول الدخول أن توزيع الدخل في إسرائيل يعتبر الأقل عدلاً بين الدول الغربية الرأسمالية [عل همشمار ، ١٩٨٥/٩/٦] . فالعشر الأعلى في سلم الدخول (عدا الرأسماليين) يركز في يديه ٤٠٪ من مجموع دخول جميع العاملين والمستغلين (يعني اليهود الأشكناز ـــ عادة) ، وأن فئة الأكثر ثراء بين الأغنياء التي تشكل ١٪ من السكان ؛ ركزت في يديها في العام ١٩٨٤ أكثر من ١١,٥٪ من الدخل القومي الإجمالي [هآرتس ، ٨٥/٩/٦] . وتشير المعطيات إلى زيادة دخول الأغنياء (أشكنار ـــ عادة) ؛ ففي ١٩٨٠ ؛ بلغ معدل دخل الفرد ٨٦,٩٠٠ دولار في السنة ، أما في العام ١٩٨٤ فقد بلغ ١٠٠,٧٠٠ دولار .

ويتضح التقاطب الاقتصادي بين المجتمع الاستيطاني الأشكنازي ـــ من جهة ـــ ويهود الإسلام والفلسطينيين ـــ من جهة أخرى ـــ في المعطيات العينية عن دخول العائلات كمايلي : ففي الدرجة الأولى والثانية (في أسفل درجات السلم الاجتماعي) بلغ معدل دخل العائلة ١٥٠ ـــ ٢٠٠ دولار شهريا ـــ عام ١٩٨٤ (وهؤلاء الناس عادة يهود عرب وفلسطينيون) ، وفي الدرجة السادسة بلغ ٥٠٠ دولار شهريا ، وفي الثامنة ٩٠٠ دولار (أشكناز ـــ عادة) ، والتاسعة ١٢٠٠ دولار شهريا ، (أشكناز ـــ عادة) [انظر : مقال أحمد سعد ؛ في فلسطين الثورة ـــ ١٩٨٥/١١/٩ ، وكذلك مقال سالم جبران ؛ في فلسطين الثورة ـــ ٨٥/٧/١٣] .

وتؤكد المعطيات الرسمية الأخيرة انتشار الفقر بين يهود الإسلام والفلسطينيين . ونقلت جريدة يديعوت احرونوت عن المصادر الرسمية ـــ تقول : إن عدد الناس الذين يعيشون تحت خط الفقر قد بلغ ٢٦٧ ألفاً منهم ١٢٠ ألف طفل (٨٥/٩/١١) . وقد ازداد عدد هؤلاء بنسبة ٢٥٪ خلال العامين ١٩٨٣ و١٩٨٤ . ومنذ بداية العام ١٩٨٥ ؛ أدت السياسة الاقتصادية الجديدة إلى تآكل الأجور بنسبة ٣٥ ـــ ٤٠٪ . وإن الحد الأدنى من الأجور قد انخفض من ٤٠٪ إلى ٢٣٪ من معدل الأجور . وازدادت البطالة حتى بلغ معدلها القطرى ١٠٪ ، وفي أحياء يهود الإسلام والمدن الفلسطينية ٣٠ ـــ ٤٠٪ . وتتواصل إجراءات تقليص الدعم المالي للأغذية الضرورية ومخصصات الأطفال وسائر الخدمات الثقافية والاجتماعية * .

* في بئر السبع ـــ مثلاً ـــ يدخل ٣٠٠ طفل مستشفى « سوروكا » كل شهر ؛ بسبب تدهور أحوالهم الصحية ، منهم ٢٠ – ٣٠ طفلا

ويصف اليسار الأشكنازي التقاطب الاجتماعي في إسرائيل بأنه تقاطب بين الرأسماليين والفقراء ؛ أي تقاطب اقتصادي فقط . ويتناسى أن هذا التقاطب هو تقاطب مزدوج : اقتصادي — إثني ؛ فالرأسماليون والمنتفعون هم عادة يهود مستوطنون أشكناز ، والفقراء هم يهود الإسلام والفلسطينيون . ويتغاضى اليسار الأشكنازي عن التقاطب الإثني ؛ لأنه يخاف على « وحدة الشعب اليهودي » الموجودة في جرائده فقط . إنهم يدافعون عن حقوق جميع السود في العالم عدا « اليهود السود » ؛ لأن المجتمع الأشكنازي الاستيطاني — ككل — ينتفع من النظام العنصري ضد يهود الإسلام (والفلسطينيين — طبعاً) .

الجنوح والتعذيب :

وقد يتساءل المرء : كيف قابل يهود الإسلام هذا الظلم الصهيوني الأشكنازي ؟ هل استسلموا للأمر الواقع ، أم ناضلوا ؟ وكيف ؟

لقد استسلمت فئة الانتهازيين وقبلت الفتات والعظام التي رماها إليها الأسياد الأشكناز . وينتمي قسم كبير من هذه الفئة إلى الطبقة الغنية والمتوسطة ، وهذه الطبقة ضيقة جدا نسبيا ، ولكنها موجودة .

أما فئة الياهو الياشار — التي انتمت إلى الطبقة « الأُرستقراطية » اليهودية الفلسطينية الأصل — فقد ناضلت وسايرت في آن واحد ، وفشلت فشلاً ذريعاً .

في حين أن فئة بخور شطريت (وزير الشرطة السابق) وإسحق نافون (رئيس الدولة السابق) — تعاونت مع المؤسسة الصهيونية ولاسيما مع حزب العمل . وتنتمي هذه الفئة أيضاً إلى طبقة « الأرستقراطيين » اليهود الفلسطينيين .

وهناك فئة واسعة وهي فئة الساكتين المنتظرين والصابرين . وفئة الداعين والمناضلين ؛ مثل : الفهود السود ومنظمة « شاحق » ومنظمة « عوديد » ومنظمة « الشرق نحو السلام » ومنظمة « أوهليم » ، وغير ذلك من المنظمات الصغيرة ؛ التي نما معظمها في حارات الفقر . وسوف نعالج هذه المنظمات ونضالها وتضامنها مع الشعب العربي الفلسطيني — في الفصل القادم .

وأخيراً ؛ هناك فئة الجانحين ؛ وهي فئة تعيش في الحارات الفقيرة في المدن الكبرى ومدن التطوير والقرى التعاونية . ويقول علماء الاجتماع إن الجنوح والإجرام هما من وسائل النضال لدى الجماهير المسحوقة ضد المؤسسة الحاكمة والمجتمع المسيطر . لقد كانت نسبة الإجرام في المجتمع اليهودي في

يشبهون الأطفال الذين خرجوا من المعسكرات النازية عند انتهاء الحرب العالمية الثانية ؛ بسبب معاناتهم من قلة الأغذية . وهؤلاء الأطفال هم أبناء يهود الإسلام وأبناء الشعب الفلسطيني والزنوج العبرانيين [انظر : تقرير البروفسور ستانلي يودتسكي من مستشفى سوروكا — زوهديرغ ، ١٩٨٧/٧/٢٢] .

الوطن العربي والإسلامي ١,٠٪ ، أما في إسرائيل فإن ٩٠٪ من السجناء اليهود هم من يهود الإسلام . وتجد نفس النسبة في بيوت الدعارة . وصرح قائد شرطة تل أبيب : موشيه تيموكان ؛ مشيراً إلى تفاقم هذه الحالة ... إننا نواجه في حي واحد فقط ٢٠٠٠ من الفتيان (سن ١٠ — ١٦) لهم سجلات عدلية (جنائية) غير نظيفة . وينذر علماء الاجتماع بأن « العزل الاجتماعي أشد خطراً من العدو الخارجي » . وترى في هذه الأحياء حرس الحدود مدججين بالسلاح والعصي في أيديهم . وقد أصبح تبادل إطلاق النار بينهم وبين شبان الأحياء الفقيرة عادة يومية [شالوم كوهين ، الأزمنة الحديثة ، ص ٩٥] . وينتمي قسم من هذه الفئة إلى فئة المناضلين ، وبالأحرى ؛ فقد تطور قسم من هذه الفئة حتى امتزج بفئة المناضلين .

وفي ١٩٧٠ ؛ مثل يهود الإسلام البالغون نسبة ٧٨٪ من مرتكبي الجنح والجرائم ، ومثلت شبيبتهم ٩٣٪ [المكتب المركزي للإحصاء ، ١٩٧٠ : السلسلة الخاصة ٤١٧ جدول B ، والسلسلة الخاصة ٤٠٨ جدول E] .

وقد جابهت المؤسسة الأشكنازية الصهيونية جميع هذه التحديات بسياسة القمع التي لاتعرف الرحمة ؛ أي فرض العقوبات الصارمة ، والضرب المبرح ، والتعذيب والرشوة . إضافة إلى أنها جندت جيشاً جراراً من الجواسيس الصغار ولاسيما في مكافحة النضال السياسي ، الذي قام به الواعون من صفوف يهود الإسلام ، الذين أخذوا يتحدون السياسة العدوانية تجاه الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية . وكانت سياسة الفصل عن العمل من أهم الإجراءات القمعية التي استخدمت ضد المناضلين السياسيين . وكثيراً مانجحت هذه السياسة الأخيرة في كسر معنويات المناضلين ، وإرغامهم على التعاون والاستسلام . وجندت إسرائيل ٨٨٪ من رجال الشرطة من ضمن يهود الإسلام والدروز . إلى جانب أن ٩٠٪ من السجانين تابعون أيضاً لهاتين الطائفتين ، وذلك لتتمكن قوات القمع من القيام بجميع الأعمال الوحشية بدون أن يستطيع المرء أن يتهمها بالعنصرية . وعينت بخور شطريت الذي ينتمي إلى اليهود الفلسطينيين الأصليين — وزيراً للشرطة لعدة سنوات . أي إن إسرائيل استخدمت الطريقة نفسها التي استخدمتها روديسيا العنصرية وجنوب إفريقيا : حيث إن معظم أفراد الشرطة والجنود هناك أفارقة سود . وتقول المصادر الصهيونية إن معظم أفراد المرتزقة في جنوب لبنان هم من أبناء الشيعة .

لقد نشرت الصحافة العالمية مواداً كثيرة عن حقائق التعذيب في السجون الصهيونية ، وعن أساليب التعذيب المختلفة ضد أبناء فلسطين ، ولكنها لم تنشر أي شيء عن التعذيب الذي استخدم ضد يهود الإسلام ، عدا جريدة تريبيون البريطانية التي نشرت عن ذلك في رسالة يعقوب يروباعل (٨٠/٣/٢٥) . وتمكن النفوذ الصهيوني من إخفاء هذه الحقائق ؛ خوفاً من أن تسبب ضجة استياء في اليهودية العالمية ولا سيما بين مئات الآلاف من يهود الإسلام في الغرب ، وهذا الاستياء قد يسبب بدوره انخفاض سيل التبرعات المالية اليهودية إلى إسرائيل .

ونقدم فيما يلي بعضاً من هذه الحقائق :

يحيى حزان : أدّى تعذيبه إلى إمكانية إصابته بفقدان البصر في عينه اليمنى . ويقول محاميه « عوديد دوفرات» إن يحيى نقل إلى مركز الشرطة في مدينة رحوبوت ، وهناك هجم عليه ضباط البوليس ضرباً ولكماً ورفساً ؛ بغية إرغامه على الإقرار إلى أن انهار واقعاً على الأرض . وعندما رفع رأسه — بعد ذلك — رفسوا عينه إلى أن أغمي عليه من شدة الألم . ثمت أجبر على التوقيع على « الاعتراف » بما نسب إليه ، وهو لا يعي . وعندما أخذ يتقيّأ دماً ؛ نُقل إلى المستشفى لإجراء عملية في عينه [يديعوت احرونوت ، ٧٩/١/١٧] . وعاودت جريدة هآرتس نشر الخبر نفسه (٧٩/٣/٢) وصورة الضحية ، وأضافت أن ضباط الشرطة كادوا يخنقونه وهم يسحبونه من شعره بقوة . وبعد العملية الجراحية في عينه ؛ أُرسل إلى سجن رحوبوت . وفي وقت لاحق ؛ فحصه طبيب خصوصي فوجد ضرراً خطيراً في عينه أدّى إلى رؤية كل شيء بصورة مزدوجة ، وأن من الممكن أن يكون الضرر دائماً .

أوري نقّاش : أُلقي القبض عليه عندما كان راكباً إحدى الحافلات ؛ لأن الشرطي لم يحب سلوكه وطريقة حديثه . ثم أدّى تعذيبه إلى تمزيق طبلة أذنه [يديعوت احرونوت ، ٧٩/٢/٢٢] .

س. نونيكاشفيلي : جندي من جيورجيا* ، عمره ١٩ سنة ، عُذب في مركز البوليس في مدينة بيتح تكفا . قال إنه يخجل من وصف ماحدث له هناك : بدأوا بضرب وجهه ثم تبوَّل أحد رجال الشرطة عليه . وبعد ذلك ؛ نزعوا عنه ملابسه وسرواله ، ثم أدخلوا عصا المكنسة إلى شرجه (مرتين) . وأدخلوا خرقة مبللة بالبول إلى فمه ؛ بغية إيقاف صراخه . وعندما طلب مقابلة طبيب ؛ أُخذ إلى قيادة البوليس ، وهناك بدأ الضرب مرة ثانية ، وقال له شرطي : « إذا طلبت مقابلة طبيب سوف أشنقك ، ثم أقول إنك قد انتحرت » [هعولام هزه ، ٧٩/٢/٧] .

مجهول : يقول المحامي لدسكي إن أحد زبائنه قد أُرغم على نزع ملابسه ، ثم هجم عليه رجال الشرطة ضرباً ولكماً ورفساً ؛ مستخدمين العصي ، ثم رشوا عليه الماء البارد . وبعد ذلك أدخلوا الغاز المسيل للدموع إلى عينيه ، ودفعوا عصا المكنسة إلى فمه ، ثم استعملوا البندقية للغرض نفسه . وعندما حققوا معه ؛ هدَّدوه بقطع أعضائه التناسلية ، ووجهوا السكين نحو هذه الأعضاء ، ثم ألقوا به إلى الأرض المغطاة بالماء [الصحافة الإسرائيلية ، ٧٩/١/١٥] .

بنحاس بحبوط : عُذب إلى أن وقّع على الإقرار [يديعوت احرونوت ، ٧٩/٧/١] .

بنيامين شطريت : رُبط بالسلاسل وعذب إلى أن أصبح من الضروري إرساله إلى المستشفى . وفي السنة السابقة ؛ عُذب إلى أن حاول الانتحار بواسطة إلقاء نفسه من أعلى شبابيك مركز البوليس ، ولكنه لم يمت . ومضى البوليس في ملاحقته [زو هديريخ ، ٨٠/٣/٥] .

* يهود جيورجيا السوفياتية تابعون من الناحية الحضارية إلى مجتمع يهود الإسلام .

ايلي إبراهيم : له قصة طويلة عن تعذيبه بأيدي الشرطة العسكرية ؛ لأنه رفض الخدمة العسكرية . وقال إنه يرفض التجنيد الإجباري بسبب التمييز العنصري في إسرائيل [زوهديريخ ، ٨٠/٧/٩] .

شمعون أبو طبول : انتحر في السجن ، وهو شاب مراهق أصبح بعد انتحاره بطلاً رمزيا في الأغاني الشعبية ليهود الإسلام [زوهديريخ ، ٨٢/٢/٣] .

ولقد اعترف الجنرال موشيه ناتيف ؛ رئيس قسم مجموع أفراد القوات المسلحة ـــ بأن ١٦ جنديًّا انتحروا خلال ستة أشهر فقط [معريب ، ٨٠/١٢/٢٥] ، وينتحر الجنود بسبب التعذيب والمعاملة العنصرية المذلة (ويساوي هذا العدد بالنسبة لبريطانيا ٥٧٦ جنديا في السنة !) . وأرسل النائب شارلي بطون ؛ زعيم منظمة الفهود السود ـــ برسالة إلى وزير العدل ، استنكر فيها هذه المعاملة ضد يهود الإسلام ، وذكر أسماء بعض هؤلاء الجنود كما يلي : **ايلي إبراهيم** ، **موسى بحبوط** ، **البيرت دانينو** ، **أتيآس ريكاردو** ، **مئير بدوسه** ، وقال إن هؤلاء الجنود شكوا من التعذيب بواسطة إدخال الغاز المسيل للدموع إلى داخل العيون . وأضاف بطون أن السلطات العسكرية ترفض معالجة هذه الشكاوى [زوهديريخ ، ٨١/١/٢٨] . وفي كانون الأول ١٩٨٠ ؛ أعلنت الإذاعة الإسرائيلية أن أولياء الجنود يتذمرون من انهيار حالة الجنود النفسية ؛ بسبب المعاملة الوحشية التي يتلقونها في الجيش ، وأن بعض هؤلاء أرسلوا إلى المستشفيات للعلاج من الأمراض النفسية .

واعترف ناتان دونيفيتش ؛ مراسل هآرتس بأن يهود الإسلام هم ضحايا التعذيب ، ولذلك ؛ لا يهتم الجمهور الأشكنازي بهذه القضية (٨٠/٤/١١) . أما عن التعذيب بالتيار الكهربائي على الأعضاء التناسلية ؛ فقد اعترف به كإجراء متبع ضابط كبير في البوليس الصهيوني . واعترف أيضاً بإدخال العُنْوق (أغصان ذات شعب) إلى أشراج المتهمين . وتباهى بهذه الأساليب : « ... إنها « فعّالة » ، وعندها ؛ المتهم مستعد لأن يوقّع على أي شيء يطلب منه » [يديعوت احرونوت ، ٧٩/٣/٣٠] . واستنكر قاضي المحكمة العليا : حييم كوهين ـــ التعذيب . وتقول جريدة الجروساليم بوسط التي أوردت هذا النبأ إن مثل هذا الاستنكار في أي بلد ديمقراطي يؤدي عادة إلى استقالة رؤساء الشرطة (٧٩/٦/٢٩) . ولم يستقيلوا .

وتقول جريدة هآرتس (٨٢/٢/٢٦) إن التعذيب بالحقنة الشرجية يستخدم في سجن الرملة ، وإن رئيس السجون في البلد : الدكتور فيرثيمر يعرف أن التعذيب يمارس في السجون ويوافق عليه . وسوف يخطط السجناء لاغتياله .

وفي ٨٥/٢/١٣ ؛ نشر يوسف الغازي ـــ في جريدة زوهديريخ الإسرائيلية ـــ تقريراً جديداً أعدته منظمة الدفاع عن حقوق الإنسان الإسرائيلية . يقول الغازي : لايمضي يوم بدون أن تقدم شكوى عن التعذيب وأعمال العنف التي يمارسها البوليس الصهيوني . وكثيراً ما لا تقدم أية شكوى خوفاً من انتقام البوليس . وبالرغم من هذا فقد ازداد عدد الشكاوى في السنوات الأخيرة : ففي ١٩٨٢ ؛ كان العدد ٢٠٩٨ شكوى ثم ارتفع إلى ٢٢٣٠ شكوى في ١٩٨٣ . وارتفع عدد رجال

الشرطة الذين قُدموا إلى المحاكم البوليسية في ١٩٨٤ ثلاث مرات عما كان عليه في ١٩٨٣ . وبما أن الحاكم والمحكوم عليه هما من رجال البوليس ؛ فقد كان أكبر عقاب فرض على المتهمين بالتعذيب هو غرامة مالية قدرها ٥ جنيهات إسترلينية . وهذه بعض أسماء المعذبين من يهود الإسلام :

يوسف بركة : أدّى تعذيبه إلى نزيف دموي وكسر العمود الفقري .

شلومو (سالم) زريحان : عُذّب بالتيار الكهربائي ١٨ مرة متوالية أدت إلى أضرار جسيمة لحالته العصبية ولبصره .

منشي عزرا : عُذب بالضرب المبرح لمدة ساعة ، ثم وخزوا جروحه بالإبر ، ورفسوا أعضاءه التناسلية وبصقوا عليها ، ثم سبُّوه : « ابن العاهرة » ؛ لإذلاله .

مرسيل ويافه احنا : عُذبتا بالضرب المبرح والغاز المسيل للدموع .

يوحاي كوهين : عُذب إلى أن فارق الحياة في ٢٠/١/٨٥ . وشوهد قبل وفاته بأحد عشر يوماً مُعلقاً يعاني من التعذيب . ويدعي الأنذال أنه شنق نفسه . ثم نشرت جريدة معريب وجريدة حدشوت ــ حادثة قتله بأيدي البوليس ؛ فدعت الشرطة الصحافيَّين المعنيين إلى مركز البوليس وهددتهما .

رحمين سالم : عُذب بالضرب المبرح من قبل جماعة من رجال الشرطة على طريقة الضرب المتسلسل .

يهودا ادرى : عذب بالضرب المبرح والرفس في أعضائه التناسلية وفي بطنه وعنقه .

ولايعذب البوليس المتهمين الأشكناز الذين يختلسون البلايين ، والذين يقومون بأعمال القتل والعنف ضد اليهود أنفسهم أو ضد أبناء الشعب العربي الفلسطيني ــ أعني بصورة خاصة المستوطنين الأشكناز الذين يقومون بأعمال العربدة في الضفة الغربية وقطاع غزة .

الفصل العاشر

طريق المقاومة والتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني

المقاومة السلمية :

بدأت مقاومة يهود الإسلام ضد المؤسسة الصهيونية قبل إعلان دولة إسرائيل بزمن ، إلّا أنها انحصرت في الأوساط التقليدية الفلسطينية ولا سيما ضمن لجنة طائفة السفاراديم في القدس ؛ بقيادة الياس (الياهو) الياشار . وقد ناضلت هذه الأوساط من أجل الأمور التالية :

١ ـــ تأسيس منظمة سياسية تدافع عن حقوق يهود الإسلام ؛ أي اليهود العرب الفلسطينيين واليهود الذين انضموا إليهم من البلدان العربية والإسلامية ؛ قبل تأسيس دولة إسرائيل .

٢ ـــ إلغاء الانتخابات الحزبية وإبدال الانتخابات الفردية (المتبعة في بريطانيا) بها ؛ كي يتمكن يهود الإسلام من انتخاب ممثليهم بصورة مباشرة .

٣ ـــ إسكان الفقراء في تعاونيات زراعية .

٤ ـــ منح التعليم المجاني في المدارس الابتدائية .

٥ ـــ إقامة نقابة عمال ليهود الإسلام تعينهم على إيجاد أعمال يرتزقون منها .

لكن جماعة الياس الياشار فشلت في الحصول على هذه المطالب للأسباب التي ذكرناها في الفصل الثالث . ولم يُمنح التعليم المجاني في المدارس الابتدائية إلّا بعد قيام دولة إسرائيل ؛ عندما أصبح أطفال يهود الإسلام أغلبية . ولم تكن هذه « المجانية » كاملة ـــ على النحو الذي أوضحناه في الفصل السابع .

بدء الانتفاضات الشعبية :

بعد تأسيس « دولة إسرائيل » عام ١٩٤٨ ؛ شردت المؤسسة الصهيونية ـــ بمساعدة الاستعمار وأذنابه في الدول العربية والإسلامية ـــ معظم يهود الإسلام ، واستجلبتهم إلى فلسطين ؛ فانضموا إلى اليهود العرب فيها ، وأصبحوا أغلبية اليهود المواطنين في الدولة . وساعدت الأوضاع المأساوية ـــ التي ذكرناها سابقاً ـــ في مخيمات اللاجئين والحزام الأسود ومدن التنمية والتعاونيات الفقيرة ؛ على ظهور مقاومة من نوع جديد ؛ لم يمارسها يهود الإسلام من قبل : وهي الانتفاضات الشعبية والإضرابات والمظاهرات والاصطدامات الدموية مع قوات الشرطة وحرس الحدود .

ففي مدينة اشقلون ؛ قاد النقابي نعيم خلاصجي (جلعادي ـــ في الوقت الحاضر) آلافاً غفيرة من اليهود العرب ضد سياسة التمييز العنصري . وبعد ذلك بعدة سنوات ؛ ساعد الأخ نعيم على إقامة منظمة الفهود السود في السبعينيات .

وفي أواخر إبريل ١٩٤٩ ؛ قَدِمَ ٣٠٠ من يهود الإسلام ـــ من سكان مدينة الرملة ـــ إلى تل أبيب ، وقاموا بمظاهرة صاخبة في شارع النبي ؛ مطالبين « بالخبز والعمل » ثم حاولوا اقتحام بناية الكنيست السابقة ، إلّا أن قوات البوليس الصهيوني تمكنت من التصدي لهم . وبعد ذلك سار

المتظاهرون إلى مكاتب الحكومة في هَكِرْيَا ، وهناك قابلهم بعض الموظفين ووعدوهم بأن الحكومة سوف تشغّلهم في « أعمال الطوارىء » [هآرتس ، ٤٩/٤/٢٦] . وبعد أسبوعين ؛ اقتحم يهود الإسلام بناية الوكالة اليهودية في مدينة حيفا ، وحطموا جميع محتويات مكاتب قسم الاستيعاب ؛ مطالبين « بالعمل والمسكن » ، ولم تتمكن الشرطة من التغلب عليهم إلّا بعد استخدام قوات كبيرة . وأدت الاصطدامات بين الجانبين إلى جرح بعض المتظاهرين وإلى عدة اعتقالات [هآرتس ، ٤٩/٥/٩] .

وفي شهر يوليو من العام نفسه هجم المتظاهرون اليافاويون على بناية الكنيست القديمة بتل أبيب ، وحطموا أبوابها مستخدمين الهراوى ، وفي آخر لحظة ؛ تمكنت الشرطة من منعهم من الدخول إلى قاعة الجلسة البرلمانية . ورفض رئيس الكنيست : يوسيف شْبرِنْساك مقابلة المتظاهرين ، وأعلن : « لامفاوضات مع مقتحمي الأبواب » [محاضر الكنيست ، مجلد رقم ٢ ، ص ١١٣٧ ، ٢٦/ ٧/ ٤٩] .

وفي هذه الآونة ؛ عندما كانت المؤسسة الصهيونية تأتي بمئات الآلاف من المهاجرين وترميهم في المخيمات غير الإنسانية ــ استمعت الوكالة اليهودية إلى تقارير مفصلة عن هؤلاء المنكوبين وعن مجاعتهم [محاضر الوكالة اليهودية ، ٤٩/٣/٧ و ٤٩/٤/٢٩] . وكان الأطفال الجياع يهجمون على أطفال آخرين في طريقهم إلى المدرسة لسلب طعامهم [محاضر الكنيست ، مجلد رقم ٣ ، ص ٦١٨ ، ٥٠/١/٢٤] .

حوادث وادي الصليب بحيفا (١٩٥٩) :

كانت هذه الحوادث من أشهر الانتفاضات الشعبية التي قام بها يهود الإسلام ولاسيما المغاربة ، وقد حدثت في تموز ١٩٥٩ . وكان السبب المباشر لهذه الانتفاضة منح دور سكنية جيدة ومريحة للمهاجرين الأشكناز البولونيين ؛ في حين أن مئات الآلاف من يهود الإسلام مازالوا يعيشون ــ منذ ١٩٤٨ ــ في مخيمات قذرة وفي بيوت متداعية ، إضافة إلى أن الحكومة اشترت شققاً سكنية إضافية من الشركات الأهلية ؛ لسد حاجة هؤلاء المهاجرين البولونيين . ومما يجدر ذكره ؛ أن معظم قادة إسرائيل والصهيونية هم من أصل بولوني .

واعتبر يهود الإسلام هذه التفرقة بمثابة استفزاز عنصري* ؛ فقام المغاربة الذين يسكنون في الحارة الفقيرة « وادي الصليب » بحيفا ــ بمظاهرات احتجاجية بقيادة داوُد بن هروش ، ودمّر المتظاهرون المقر المحلي للهستدروت ، ثم خرجوا من وادي الصليب واندفعوا في موجة إنسانية هائلة نحو أحياء اليهود الأشكناز في « هدار » وشرعوا يحطمون شبابيك المحلات التجارية في الشوارع الرئيسية . واشترك في هذه المظاهرة كثير من الأطفال والنساء . وقد هرعت قوات الشرطة وحرس الحدود إلى

* في هذا الوقت تحديداً ؛ أطلق رجال الشرطة النار على رجل مغربي في حيفا ظلماً وعدواناً .

هذه الشوارع ، وكأنها تحاول إخماد ثورة فرنسية ثانية ، وقام رجال الأمن بأعمال العنف ضد الأطفال والنساء الحَبَالَى والشيوخ ، وأصيب الكثيرون بجروح خطيرة ، وتمكنت قوات القمع من محاصرة الزعماء ومن ضمنهم داؤد بن هروش . وعندما بدأت عملية الاقتحام ؛ أطلق بن هروش النار من مسدسه ، إلّا أن البوليس تمكن بعد عناء شديد من إلقاء القبض عليه وعلى أعوانه . ثم بدأت أعمال التعذيب والمحاكمات ضد بعض هؤلاء الثوار ، وأعمال الاحتواء والرشوة ضد الآخرين . وفي الوقت نفسه ؛ انتشرت أعمال العنف في معظم مخيمات يهود الإسلام ، وقامت الجماهير بمظاهرات عفوية وبأعمال تخريبية وأشعلت النار في المباني الحكومية ؛ ليلاً . وقدرت الأضرار المادية بالملايين .

ومن أجل تخدير أعصاب يهود الإسلام ؛ ألّف رئيس الوزراء : دافيد بن غوريون ــ لجنة لبحث المشكلة برئاسة م . عصيوني ؛ عضو المحكمة العليا . ووضعت اللجنة تقريراً مفصلاً عن الفجوة الاجتماعية بين اليهود الأشكناز واليهود العرب ، وعرضت توصيات مطولة عن كيفية سد هذه الفجوة ؛ إلّا أن الحكومة تغاضت عنها [انظر : الفجوة الثقافية والفجوة الاجتماعية ، « هديم » ، أكتوبر ١٩٧٨] . ونفت لجنة التحقيق وجود أي تمييز طائفي في إسرائيل . ثم مُنح بن هروش شقة جديدة ووظيفة ... وفي ١٩٦٣ ؛ قامت **جبهة المساواة الوطنية** ، السرية ، وقضي عليها بصورة سرية [بمعرخة ، رقم٢٥ ، يوليو ١٩٦٣] .

انتفاضات « الفهود السود » :

وفي عام ١٩٧١ ؛ شكل يهود الإسلام في حي « المصرارا » بالقدس أعظم منظمة نضالية ؛ ألا وهي « منظمة الفهود السود » . وقد اتخذوا لأنفسهم اسم إحدى منظمات السود في أمريكا؛ لأنهم يؤمنون بأنه ليس ثمة أي فرق مبدئي بين التمييز العنصري ضد السود في الولايات المتحدة الأمريكية والتمييز العنصري ضد يهود الإسلام في إسرائيل ؛ فيما يتعلق بالعمل والتعليم والإسكان ... إلخ . كما أنهم صمموا على تحدي مزاعم المؤسسة « العمالية » الحاكمة بشأن « المساواة » و « الاشتراكية » و « الديمقراطية » و « تحرير اليهود » و « أرض الميعاد » .

بالإضافة إلى هذه الخلفية المعروفة ؛ فإن قيام المنظمة كان على إثر استفزازات حكومية وعوامل مباشرة أخرى أثارت الغضب في صفوف يهود الإسلام في « المصرارا » وفي جميع أنحاء البلاد . وكان من أبرز هذه الاستفزازات ما ارتبط باستقبال المهاجرين الأشكناز من روسيا : ففي حين أن يهود الإسلام كانوا يعانون من الفقر والبؤس في المخيمات لسنوات عديدة ــ منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ ، وفي الأحياء الفقيرة في المدن الكبرى ــ منذ عهد الانتداب البريطاني ؛ في حين ذلك استقبلت الحكومة والوكالة اليهودية في آذار عام ١٩٧١ بحفاوة عظيمة ــ الموجة الأولى من المهاجرين الروس الأشكناز ، ومنحتهم المنازل المريحة المزودة بأحسن الأثاث والثلاجات الكهربائية والتلفزيون . وأعطتهم الوظائف الراقية حسب مؤهلاتهم المهنية . وأخذت رئيسة الوزراء : جولدا مئير ــ وهي من أصل روسي ــ تسرع إلى مطار اللد أيام الأثنين والأخمسة بعينين مغرورقتين

بالدموع ... يتلعثم لسانها ... ويرتجف صوتها بالخطب الرنانة ! وكانت السيدة غولده تقول عن هؤلاء اليهود : « إنهم يهود حقيقيون ، كنّا ننتظرهم منذ ٢٥ سنة ، إنهم ناطقون بلغة الإيديش » (وهي لغة اليهود الأشكناز في أوروبا الشرقية) . كما كانت تقول : « على كل يهودي مخلص أن يتعلم الإيديش ، ومن لا يعرف الإيديش فهو ليس يهوديا » [هودار ، إسراكا ، ١٩٧٣ ، ص ١٨] . ومن أقوال غولده أيضاً : « إنهم ينتمون إلى شريحة متفوقة ستقدم لنا أبطالاً » [ولفسون ، أنبياء في بابل ــ بالإنكليزية ، ص ٢٦٧] .

وقد أثار هذا الترحيب الحار ضجة استياء بين يهود الإسلام ، واعتبروه بمثابة إهانة لهم ، لأن السيدة غولده قسمت ــ رسميا ــ اليهود إلى طبقتين : الطبقة العليا وهم « اليهود الحقيقيون » الذين يتكلمون بلغة الإيديش ، والطبقة السفلى ؛ أي طبقة اليهود « غير الحقيقيين » الذين لايعرفون لغة الإيديش بل اللغة العربية ، وهم اليهود السمر أبناء الوطن العربي والإسلامي . كما أن احتفالات الترحيب والتهليل التي قام بها زعماء الدولة على شرف المهاجرين الأشكناز ــ أثارت الغضب في نفوس يهود الإسلام ؛ الذين مازالوا يذكرون كيف قوبلوا في المطار عند هجرتهم إلى إسرائيل : كان الموظفون الأشكناز يصعدون إلى الطائرة ويرشون الـ دي . دي . تي . عليهم ، ثم يدفعون بهم إلى سيارات الحمل أو قطارات الحمل التي كانت تنقلهم إلى مخيمات الذل والبطالة والجوع .

وبالإضافة إلى احتفالات الترحيب ؛ مُنحت الامتيازات التالية للمهاجرين الأشكناز :

١ ــ رهن عقاري منخفض الوظيفة ــ أي الفائدة ــ ولمدة طويلة . وقد مكّن ذلك كل عائلة من دفع أقل من ربع الثمن العادي . كما خُفضت هذه الديون بواسطة التضخم المالي السريع .

٢ ــ شقق جيدة وكبيرة ؛ فلقد تسلّمت كل عائلة تشمل ٣ أفراد شقة فيها ٣ غرف واسعة ــ عادة في المدن الكبرى . وبلغت مساحة الشقة الواحدة ٨٠ م٢ في حين أن عائلات يهود الإسلام ــ متعددة الأفراد ــ كانت قد منحت شققاً تبلغ مساحة الشقة الواحدة منها ٣٠ ــ ٤٠ م٢ . وفي تل أبيب ؛ أسكن اليهود الأشكناز في حي جميل يدعى « نيفيه شاريت » ؛ بجوار أفقر حي في المدينة يسكنه اليهود العرب وهو « شيخونة هأرغازيم » . ومعظم سكان هذا الحي الفقير شيوخ ومرضى . ولك أن تتصور شعور هؤلاء المظلومين تجاه جيرانهم اليهود الأشكناز المدللين !

٣ ــ تأجيل الخدمة العسكرية الإجبارية للأشكناز ، في حين أن الحكومة دفعت بيهود الإسلام إلى الجبهة رأساً ؛ ليكونوا لحوماً لحروبها العدوانية ضد الأمة الإسلامية .

٤ ــ الإعفاء من ضريبة الدخل لمدة معينة .

٥ ــ الإعفاء من دفع الرسوم الجمركية والضرائب الاستهلاكية ؛ ومعنى هذا أن كل مهاجر يستطيع أن يشتري سيارة أو ثلاجة كهربائية ... أو غير ذلك بأقل من نصف السعر ، وأن يدفع الثمن في صورة قرض طويل المدى .

٦ ــ وظيفة جيدة تلائم مؤهلات المهاجر المهنية .

وبالرغم من أن هذه الامتيازات كلّفت أكثرية الشعب ـــ وهم يهود الإسلام ـــ أكثر من ٢٥ ألف دولار للعائلة الواحدة [هودار ، إسراكا ، ١٩٧٣] ؛ عامل المهاجرون الأشكناز جيرانهم ـــ يهود الإسلام (والفلسطينيين) ـــ بصورة مُهينة ، وحقّروهم ، ثم أرسلوا بعرائض إلى بلدية تل أبيب ؛ للتعبير عن استيائهم من العيش بجوار اليهود « السود » ، وهددوا بالنزوح من البلاد [هآرتس ، ١٩٧١/٣/٢٢] . وادعوا أن يهود الإسلام « غير متحضرين » ، « ليفنتينيم » ؛ وهو لقب يطلق في إسرائيل على سكان الشرق الأوسط ؛ بغية تحقيرهم ، ومعناه « شرقيون بدون حضارة » . وقد خضعت السلطات الأشكنازية لبعض مطالب هؤلاء الأشكناز ؛ فأبعدت أولاد يهود الإسلام عن مدارس الأشكناز ونواديهم ، وفي بعض الأحيان عن حمامات السباحة المحلية . وأدت هذه الغطرسة الأشكنازية إلى أن أبناء الحي الفقير المجاور أخذوا يرشقون هؤلاء المهاجرين بالحجارة ، ونزح الكثير منهم إلى أمريكا سعياً وراء المال [هودار ، إسراكا ، ص ١٧ و١٨ . وولفسون ، أنبياء في بابل] .

ومن ضمن هؤلاء المهاجرين ؛ اشتهر واحد يدعى اولتشيك . وقد استلم إولتشيك هذا شقة مريحة في ضاحية جميلة تسمى قرية يوبيل يسكنها المهاجرون الأمريكان ، وعُيّن موظفاً في شركة « سوليل بونيه » الهستدروتية . وهو يكره يهود الإسلام كرهاً شديداً . وعندما يقولون له إن ثمة ثمانين ألف طفل بدون أسرّة ؛ يجيب بغضب « أنتم « تصنعون » الأولاد وتريدون مني أن أدفع نفقات ثقافتهم وأغذيتهم ؟ وإذا « صنعت » عشرة أطفال فهذا ليس ذنبي أنا » . وفي عطلة الصيف ؛ تشغل شركة « سوليل بونيه » عدداً من طلاب المدارس مقابل أجرة يومية قدرها ١٢ ليرة ، ولكنها تمنح ابن اولتشيك٤٧ ليرة . ويعلق الأب على هذا صارخاً « هذا ليس تمييزاً بل محسوبية ، وكل البلد مبني على المحسوبية » . ويقول شارلي بطون أحد زعماء « الفهود السود » : « إذا استمرت هذه الهجرة ، فإن حرباً أهلية سوف تنفجر » [الفهود السود ، ٧٢/١١/٩] .

وبالرغم من أن هؤلاء المستوطنين الأشكناز ولدوا وتربوا في دولة اشتراكية (الاتحاد السوفياتي) فإنهم يشكلون ـــ مع المتطرفين الأمريكيين كالرابي كاهانا ـــ أقصى اليمين العنصري ، والعمود الفقري للاستيطان الصهيوني في الأرض العربية المحتلة .

إضافة إلى هذه الهجرة الاستفزازية؛ كان هناك عامل آخر لانبثاق انتفاضات «الفهود السود»؛ وهو مؤامرة هدم « المصرارا » وتحويلها إلى ضاحية غنية لليهود الأشكناز . فبعد احتلال القدس القديمة ؛ أصبحت حارة المصرارا مركزاً مهما ـــ من الناحية الاقتصادية ـــ بين القدس القديمة والقدس الجديدة . ولذلك ؛ أرادت المؤسسة الحاكمة هدم البيوت العربية القديمة وتحويل الحارة إلى منطقة « تطوير » ؛ لبناء عمارات فاخرة لليهود الأشكناز . وهذا يعني إغناء الأغنياء ، وتشريد يهود الإسلام وتفتيت مجتمعهم والزج بهم إلى هذه الأبراج البشعة التي بنيت حول القدس العربية . أضف إلى ذلك أن يهود الإسلام يرفضون بصورة عفوية الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة ؛ ربما لأنهم يشعرون بأن المستوطنات في الأراضي المحتلة تبنى على الرمال ، والرمال في الشرق متنقلة !

وهناك عامل استفزازي آخر : إن الكثير من شبان حيّ المصرارا وأحياء « شرقية » أخرى كانوا ينتمون إلى فئة الشبان الذين لايدرسون ولا يشتغلون ولا يخدمون في الجيش . وكانت الشرطة تستفزهم وتعتقلهم وتعرضهم للمهانة والتعذيب ، والمحاكم تفرض عليهم أقسى العقوبات ؛ بسبب جنوحهم ، ولكنها تتساهل مع المجرمين الأشكناز وترسلهم إلى مستشفيات الأمراض النفسية بدلاً من السجون ، وبذلك أخذ شبان حي المصرارا والأحياء الفقيرة الأخرى يعتبرون الدولة عدواً لدوداً لهم ولمجتمعهم اليهودي العربي الإسلامي : المجتمع السفاردي . كما أن هؤلاء الشبان سمعوا قصصاً حقيقية طويلة — من آبائهم — عن المعاملة المهينة التي تعرضوا لها من قبل الوكالة اليهودية والحكومة الأشكنازية ؛ عند هجرتهم إلى هذا البلد .

وأخيراً ؛ تأثر هؤلاء الشبان بالانتفاضات الشعبية التي قام بها السود في أمريكا وجنوب إفريقيا وبلدان العالم الثالث ؛ ضد العنصرية والكولونيالية . وقد « ساعد » المستوطنون الأشكناز هؤلاء الشبان على الوصول إلى « الوعي » الصحيح بتسميتهم لهم : أسود ... شفارتسي ... عربي ... إلخ ؛ بسبب بشرتهم العربية السمراء . ولذا ؛ سموا أنفسهم « الفهود السود » تضامناً مع السود في أمريكا .

ولم تكن أوضاع حي المصرارا أفضل من أوضاع أحياء السود في الولايات المتحدة . ويصف ش . ملكا هذا الحي والأوضاع السائدة فيه كما يلي : « المصرارا حي يقع على تخوم القدس اليهودية وعلى أطراف المدينة القديمة . أقيم على عجل في اليوم الثاني من عام ١٩٤٨ ؛ ليحتضن مهاجرين من مراكش ومن العراق . ثم أهملته السلطات العامة فبقي مجهولاً منطوياً على نفسه . حجارته داكنة .. والثياب المغسولة تنطق بالفاقة والبؤس ... ترفرف على النوافذ وفي الشوارع . المنازل متداعية يتكىء بعضها على البعض الآخر ، والناس في الداخل يسكنون كل ستة أشخاص أو سبعة في حجرة واحدة ... يعانون من الضيق والعسر . والأسرة كثيرة العدد ... وكل الأسر في حي المصرارا كثيرة العدد — يتوزع أفرادها بين ثلاثة أو أربعة أدوار (طوابق) . وفي الخارج يعلو الصخب المثير للأعصاب من حناجر أناس يتجمهرون بلا انقطاع . والفراغ يثير وينهك . وأخيراً ... الجنوح ؛ ذلك الابن الطبيعي للأكواخ القذرة وللمادة البشرية : أكثرية بروليتارية ، عمال نازحون ، عاطلون عن العمل ، طبقات مجردة من كل مؤهل ... مجموعة من الشعب تعاني من الحرمان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ... **مصرارا مملكة الفقراء ... إنهم سفاراديون** ..» [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ص ١٦٩ ، ترجمة فؤاد جديد] .

وفي مقابل هذا الشقاء والبؤس اللذين كانا نصيب يهود الإسلام (والفلسطينيين) ؛ أخذ اليهود الأشكناز — حينذاك — يتمتعون برخاء اقتصادي لم يسبق له مثيل ؛ نتيجة لاحتلال المزيد من الأراضي العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان السورية . وأخذوا يتكالبون على تحسين أوضاعهم المادية ، ويعبدون السيارة والتلفزيون والأدوات الموسيقية . ونمت طبقة الأثرياء الجدد الذين اندفعوا بجنون نحو المضاربات العقارية والعمليات المالية المريبة . وبدأ التضخم المالي

وارتفاع الأسعار الذي أبرز اللامساواة الاجتماعية والاستقطاب الاجتماعي بين المستوطنين الأشكناز ويهود الإسلام (ناهيك عن أوضاع الشعب العربي التعسة تحت نير الاحتلال اللئيم) .

على هذه الأرضية ... نمت وازدهرت حركة « الفهود السود » ، التي أخذت تناضل : لا من أجل يهود الإسلام فحسب ، بل من أجل حقوق الشعب العربي الفلسطيني أيضا . وأخذ زعماؤها يعتزون بأصلهم العربي وبحضارتهم العربية الإسلامية ؛ الأمر الذي أدخل الرعب في قلوب المؤسسة الأشكنازية الحاكمة ، التي أخذت بدورها تبث بذور التفرقة على أساس « فَرِّق تسد » ولا سيما عن طريق اليساريين المتطرفين الأشكناز ، الذين يتظاهرون بحب الشعب العربي الفلسطيني . وهذه بعض مزاعم اليساريين — الأشكناز — عن عوامل قيام حركة الفهود السود :

١ — إن سكان الأحياء الفقيرة أخذوا يواجهون خطر العمل العربي الرخيص الآتي من الأراضي المحتلة . **والحقيقة هي أن معظم الأعمال التي شغلها عمال الأرض المحتلة كانت قد رفضت من قبل يهود الإسلام*** . ومن أجل خلق تناقض بين يهود الإسلام والشعب الفلسطيني يضيف هؤلاء « الأصدقاء » أن الاحتلال يخدم مصالح يهود الإسلام بيد أن **الحقيقة على الضد تماماً؛ لأن الدولة تصرف الملايين على الاستيطان الأشكنازي في الأراضي المحتلة على حساب الخدمات الاجتماعية ، وعلى حساب إهمال أحياء الفقر ومدن التنمية التي يعيش فيها يهود الإسلام . والتناقض بين هاتين النقطتين واضح .**

٢ — إن انتصار إسرائيل في حرب ١٩٦٧ شجع يهود الإسلام على المطالبة بحصتهم من هذا الانتصار ؛ بعد أن حاربوا ضد العرب . **أما الحقيقة فهي أن معظم شبان حركة الفهود السود ومؤيديهم لم يشتركوا في هذه الحرب ، وهم يرفضون الخدمة العسكرية الإجبارية ، ولم تستطع المؤسسة العسكرية أن تفرض هذه الخدمة على هؤلاء الشبان « الهامشيين » كما سمّتهم . وهذا هو الدّسّ الصهيوني .**

مظاهرات الفهود السود :

في ١٩٧١/٣/١ ؛ طلب الفهود السود من الشرطة السماح لهم بالتظاهر سلميا — أمام بلدية القدس — ضد التمييز العنصري ؛ فأتى القرار من رئيسة مجلس الوزراء : غولده مئير — بكلمة « لا » ، قاطعة ، وبدون أي تعليل . وفي مساء اليوم نفسه ؛ قام رجال الشرطة بحملة اعتقالات استفزازية ضد حركة الفهود السود ومؤيديها بالقدس . وعلقت الجريدة الفرنسية « فرانكتون » التي تصدر في الجامعة العبرية بالقدس ، والتي يحررها بعض الطلبة المغاربة ؛ علقت على هذه الاعتقالات التعسفية بقولها : « مساء البارحة ؛ ماتت الحرية في إسرائيل ، ماتت دون أن تحدث ضجة ، ودون احتفال جنائزي ، ودون تأوهات ... إذ ألقى رجال الشرطة القبض على ١٥ شاباً من الفهود السود ، كانوا قد اعتزموا القيام بتظاهرة أمام دار البلدية ... » .

* واليهود العرب يعرفون أن سلب أراضي الفلسطينيين وإقامة المستوطنات تدفع بالفلسطينيين إلى سوق العمل في إسرائيل .

وفي ١٩٧١/٣/٣ ؛ قامت التظاهرة وسجلت نجاحاً باهراً ؛ فقد انضم إليها طلاب ويساريون ومتسكعون ، وبلغ مجموع المتظاهرين أمام البلدية ٥٠٠ شخص . ودوى الهتاف « أطلقوا سراح السجناء » ، ثم أطل رئيس البلدية : تيدي كوليك من الشرفة بثياب النوم وتوجه إلى المتظاهرين مستهزئا : « تظاهروا إنْ شئتم ، ولكن لاتدوسوا بأقدامكم على أعشابي » . وسياسة الاستهزاء والسخرية والتحقير سياسة أساسية يستخدمها الصهاينة ضد العرب وضد يهود الإسلام ؛ بغية تحطيم معنوياتهم وثقتهم الذاتية . غير إنها لم تنجح هذه المرة ؛ فقامت الحكومة في اليوم الثاني للتظاهرة بحملة « ابتسامات » أبوية بهدف معالجة هؤلاء « الأولاد غير الظرفاء » ـــ كما سمتهم رئيسة الوزراء : غولده مئير في أثناء مقابلتها إياهم . وأخذت غولده تلاطفهم وتداعبهم كأنهم أولادها وهي الأم الحنون ، وتذكّرهم : « كلنا يهوداً » ... إلخ . ولكنها لم تنجح في ذلك . وقال أحد أعضاء الحركة وهو خارج من مقابلتها : « إن نظرتها لتقريب وجهات النظر سطحية وعاطفية ... « أولاد ظرفاء » وأولاد خبثاء .. إن خادمتي سفارادية .. إن ابنتي متزوجة من يمني ... إلخ » .

وبعد ذلك ؛ أخذ الفهود السود يطورون حركتهم الاجتماعية ضد التمييز العنصري وينادون : « نريد منازل أكواخاً حقيرة ، نريد معلمين أكفاء وليس أنصاف معلمين ، نريد أن ندرس نظريات موسى بن ميمون وليس بياليك وتشرنيخُفْسْكي (شاعران صهيونيان أشكنازيان) » . وهكذا ؛ تحول الهمس إلى صراخ ، وتحولت صرخات الاستغاثة الصادرة عن حي المصرارا وحي القطمون إلى استعراض جماهيري في القدس ، وإلى اصطدامات دموية بين الفهود وقوات الشرطة ، وإلى إلقاء قنابل المولوتوف ... « **قنابل ألقاها اليهود ضد اليهود في دولة يهودية** » : **هذا ماقالته غولده مئير وهي ترتجف** .

إن الشرارة التي اندلعت في حي المصرارا أدت إلى إضرام النار في جميع الأحياء الفقيرة التي يسكنها يهود الإسلام ، الفقراء ، العاطلون ، المحرومون ، المنبوذون ، المحتقرون ... وعندما رأى المتظاهرون أن البوليس الصهيوني يستعمل الإجراءات القمعية نفسها التي تستخدم ضد أبطال الشعب الفلسطيني ؛ أي الضرب المبرح والتعذيب والاعتقال ـــ **انهار السور الذي يفصل بين الفلسطينيين ويهود الإسلام ، وبدأ تضامن المسحوقين** ؛ إذ صرح كوخابي شيمش ؛ أحد زعماء الفهود قائلا : « من غير المعقول أن يقوم شعب على حساب شعب آخر . يجب الاستعجال في إيجاد لغة مشتركة للتفاهم مع الشعب الفلسطيني » .

وفي ١٨/٥/١٩٧١ ؛ قام الفهود بإحدى المظاهرات الكبرى ؛ حيث اعتقلت الشرطة ٢٦٠ متظاهراً ، واستعمل البوليس الهراوى لضرب المتظاهرين ضرباً مبرحاً ، ودامت المظاهرة سبع ساعات ونصف الساعة ، واستطاع الجمهور رؤية وحشية الشرطة في أعمالها القمعية . واستمرت مظاهرات الفهود طيلة صيف عام ٧١ ، غير إن الإعلام لم يعتن إلّا بالمظاهرات العنيفة فقط .

وفي ١٩٧١/٨/٢٣ ؛ جرت كبرى المظاهرات : اشترك فيها ٦ أو ٨ آلاف شخص ، وحرقت

في أثنائها صورة رئيسة الوزراء ، وحدثت فيها اصطدامات دموية خطيرة بين المتظاهرين وقوات الأمن ، أدّت إلى جرح واعتقال الكثير وإبقائهم في السجون لمدد طويلة . وتعد هذه المظاهرة قمة تحديات الفهود . وبعد هذه التظاهرة ؛ نظم الفهود تظاهرة عند انعقاد المؤتمر السنوي للجمعية الصهيونية العالمية في القدس ، وحاصروا بناية المؤتمر ، واضطرت السلطات إلى استخدام ألف شرطي لحماية المؤتمر الصهيوني .

وفي ١٩٧٢/٥/١ ؛ تظاهر الفهود إيماناً بأن أول أيّار (مايو) هو عيد المظلومين . واتخذ زعماء الفهود منزل شارلي بطون ــ أحد قادتهم ــ مقراً للاجتماعات الليلية ، يناقشون فيها المشاكل المطروحة .

لقد كان نمو الوعي السياسي الصحيح لدى الفهود بطيئا ؛ لأنهم كانوا غير مثقفين ومعظمهم لم ينهِ المدرسة الابتدائية ؛ بسبب سياسة التجهيل والتجويع التي اتخذتها المؤسسة الصهيونية ضد يهود الإسلام . وساعدتهم الاصطدامات الدموية في الشوارع والسجون الصهيونية على الوصول إلى الوعي النضالي السليم . وفي هذه الأيام (مايو ١٩٧٢) ؛ استولى الفهود على قناني الحليب التي كانت توزع على بيوت أغنياء الأشكناز ــ في حي راحبيا ، ووزعوا الحليب على فقراء يهود الإسلام . ثمت حملوا نعشاً وطافوا به في شوارع القدس في مسيرة جنائزية طويلة وهم يرددون « سندفن الهوة الاجتماعية والكراهية » .

وعندما نظم سكان الحي الفقير هاتكفا في تل أبيب مظاهرةضد التمييز الموجه ضد فريق كرة القدم التابع لهم ؛ استخدمت الحكومة حرس الحدود المعروف بقساوته . وفرضت هذه القوات حصاراً شديداً على الحي في ٧١/٦/٧ وفي ٧١/٦/٨ مستخدمة جميع أساليب القمع . وعندما سُئل الأشكناز أصحاب المحال التجارية عن هذا القمع أجابوا : « على السلطات أن تضرب هذه الغوغاء أكثر .. » [معريب ، ٧١/٦/٨] . ثم أخذت الحكومة توجه المافيا بقيادة المجرم مينتش للهجوم على الفهود [هآرتس ، حزيران ١٩٧١ . وإسراكا ، يناير ١٩٧٣] .

آراء الفهود السود :

يعد كوخابي شيمش من أشجع زعماء الفهود ؛ إذ عبر عن آرائه الثورية علناً . ففي حواره مع مراسل مجلة « إسراليفت » ISRALEFT (٧٢/١١/٢٠) ــ يقول هذا الفهد : إن مشكلة اللامساواة الطائفية بين المستوطنين الأشكناز ويهود الإسلام سوف لاتجد حلاً نهائيا ؛ إلّا بعد حل المشكلة الفلسطينية . واتهم الحكومة ووسائل الإعلام ببث العداء ضد العرب بين الفقراء اليهود ، ونوّه بوجوب تضامن العمال العرب والعمال اليهود ؛ من أجل تخفيض التوتر بين الشعبين ، وتحريكهما نحو النضال المشترك ضد حكام إسرائيل . واستطرد قائلاً إن الحكومة لا تستطيع تغيير أوضاع يهود الإسلام بدون تغيير التركيبة الاجتماعية في البلاد ، ولكنها لاتريد أن تفعل ذلك ، ويجب

على الفهود أن يقوموا بهذه العملية ؛ من أجل إعادة توزيع الدخل القومي والموارد الوطنية وتعديل المعايير التي تُدير الخدمات الاجتماعية ؛ مثل : التعليم والإسكان والرفاهة وغيرها . وأضاف أن الجنوح لدى اليهود العرب ناتج عن انعدام العدالة الاجتماعية . وتحدث عن طريق النضال الذي سوف يُسلك من قبل جماعات أخرى من الشبيبة . وقال إن الفهود أسسوا فروعاً حزبية في جميع أنحاء البلاد ، ولم يواجهوا أية صعوبة في إيجاد مؤيدين في كل مكان ؛ إلّا أن من الأفضل تنظيم مظاهرات في القدس بدلاً من القرى النائية .

وعندما سئل شيمش عن مبدأ الصهيونية بالنسبة لحل المشاكل اليهودية في العالم ؛ أجاب : لقد حلَّت الصهيونية مشكلة اليهود الأشكناز في إسرائيل ، أما يهود الإسلام فشروط معيشتهم في إسرائيل أسوأ مما كانت عليه في البلدان العربية الإسلامية ــ من الناحية الاقتصادية ــ أما من الناحية الأمنية فهم يواجهون أخطاراً في إسرائيل أكثر مما واجهوا في البلدان العربية من قبل .

وبصدد اللاسامية ؛ أشار شيمش إلى أن البلدان العربية لم تكن فيها لاسامية قوية عدا في أثناء الحكم الموالي للنازية في العراق عام ١٩٤١ . وشدد على أن اللاسامية موجهة الآن في إسرائيل (أي ضد يهود الإسلام) ، وأن ماحدث لليهود الأشكناز في أوروبا يحدث الآن لليهود العرب في إسرائيل ، ويتم التعبير عن هذا الاضطهاد ضد يهود الإسلام في إسرائيل بالشتائم : « بدائي » ، « فرينك » ... إلخ ، ومصدر هذه الشتائم هو التفكير العنصري . ويضيف شيمش : « شاهدت ولداً أشكنازيا في برنامج تلفزيوني يقول إن أمه أمرته بألا يلعب مع السفاراديم » (يعني اليهود من البلدان العربية والإسلامية) .

ثم تحدث شيمش عن اليسار اليهودي الأشكنازي ؛ فقال إنه يساعد يهود الإسلام في نضالهم ، ولكنه لا يستطيع أن يقودهم في الكفاح نحو النصر ؛ لأنه مشغول ــ أكثر من اللازم ــ في المشاحنات الداخلية . وعلى كل حال فإن من واجب الفهود أن يقودوا نضال المسحوقين حتى النهاية .

ثم سئل : « هل حاولت المؤسسة الحاكمة أن ترشوك ؟ » ؛ فأجاب : « إنهم حاولوا . وجربوا أساليب مختلفة ، ولكن بدون نجاح . وعندما فشلت أساليبهم ؛ حاولوا تحطيم منظمتنا بواسطة الاعتقالات والمضايقات البوليسية ، ولذلك ؛ قرر اثنان أو ثلاثة أعضاء التخلي عن النشاط السياسي . وهذا لا يعني أن المنظمة مستعدة لأن تخون العهد . إن من الصعب « شراء » الأعضاء الذين بقوا في المنظمة ، وأنا آمل أنهم لن ينجحوا في ذلك » .

وأخيراً ؛ أعرب شيمش عن أمله في أن يتم تكوين حزب جديد للدفاع عن حقوق جميع المسحوقين من يهود أشكناز ويهود عرب وفلسطينيين ؛ على أن يكون مستقلاً . وأبدى اهتماماً بإرسال الوفود إلى الخارج لجمع التبرعات من يهود العالم [إسراليفت نيوز سيرفس ، رقم ٦ ، ١٩٧٢/١١/٢٠] .

وبخصوص السياسة الصهيونية الهادفة إلى طمس الهوية العربية والحضارة الإسلامية ليهود الشرق ؛ يقول الأخ شيمش : « إن القضية الشرقية — بحسب رأيي — تبدأ مع الصهيونية ؛ لأن اتّباع الأيديولوجية الصهيونية يعني التخلي عن ثقافتك الأصلية ؛ أي الثقافة العربية ، وكل من يفهم الأيديولوجية الصهيونية جيداً يعلم أنها أيديولوجية ترتكز على ثقافة يهود أوروبا ، وهي معروفة جيداً بتناقضها المباشر مع الثقافة الشرقية — العربية . ومن إحدى المغالطات الكبرى عند المؤسسة قولها — مثلاً — أن الثقافة الشرقية لا تتعدى كونها نوعاً من الفولكلور ، وبالأحرى ؛ هي الفولكلور اليهودي في البلاد العربية ؛ لأن المؤسسة كانت تخشى أن نسلم بسهولة بالفكرة التي تقول : إن لدينا ثقافة عربية . وهنا يبدو البون شاسعاً جدا بين اليهودية الأوروبية واليهودية الشرقية ؛ فنحن لايوجد عندنا مسارح ولاصحف ... إلخ ، عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا كانت عربية : سواء أتينا من اليمن أو من بلاد فارس أو من العراق أو من الشرق الأوسط أو من المغرب ؛ فإننا نشكل جزءًا من العالم الثقافي العربي . وهذا أكثر ما تخشاه الصهيونية . ومن أجل هذا ؛ فعلت كل شيء كي تحرمنا من ماضينا ، ومن جهة ثانية ؛ فإن أحد الأساليب الصهيونية هو إظهار الثقافة العربية كثقافة متخلفة ... كانوا يسخرون من لفظنا ... كانوا يحقروننا ... ولو كنت أشارك الصهيونية في مصالحها فإن هذا يعني أنني أعمل ضد ذاتي وأني أتنكر لتلك الذات . من أجل هذا يجب علينا — نحن الشرقيين — أن نقطع صلتنا بالحركة الصهيونية ، ونقول لها : أَجَلْ ؛ نحن شرقيون ، أَجَلْ ؛ نحن شرقيون ، وإن لفظة شرقي هي تعبير إيجابي وليس سلبيا . إننا لسنا ضد الثقافة العربية الشرقية ، بل على النقيض نحن من تلك الثقافة . وإنني أرى أن من الواجب تيسير كل الإمكانات للشرقيين ؛ من أجل تنمية شخصيتهم الثقافية الشرقية العربية » . ثم قال شيمش إنه لايريد أن يدرس الأدب الذي يصف حياة اليهود الأشكناز في أوروبا الشرقية ، أو تاريخ اليهود الأشكناز ؛ في حين أنه لايعرف شيئا عن تاريخ آبائه . ثم صرح قائلا : « **إنني أقولها عالية : إننا هنا في منطقة شرقية ، وإذا أرادت الصهيونية البقاء فإنها لا تستطيع ذلك إلّا بشن الحروب . ومن أجل هذا ؛ فإن الإمكانية الوحيدة لبقاء ووجود إسرائيل هي في أن تتحول إلى بلد شرقي ، وأن تندمج بالمنطقة فعلاً** » [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ترجمة فؤاد جديد ، ص ١٨٨] .

ويقول سعديا مرصيانو : « إن الثقافة السفارادية (يعني حضارة يهود الإسلام) ومفهوم الحياة السفارادية — كانا مخنوقين طوال ثلاثين العام الأخيرة . إنني أتكلم عن الفن ... عن الموسيقى ... عن كيفية التكوين . لقد عمدت المؤسسة إلى خنق كل هذا تماماً ؛ لكي تمنعه من التفتح . وقد تجاهلته عن عمد ؛ خشية أن تدمر الثقافة السفارادية (القريبة من الثقافة العربية) نمط الحياة الذي أرادوا أن يخلقوه هنا . وبالفعل ؛ فإن المؤسسة الأشكنازية كادت أن تنجح في خطتها تلك . غير إن نهضة **الجيل الذي أنتمي إليه** ؛ الجيل الذي يحب الموسيقى الشرقية لأنها جميلة أخاذة ، والذي يبعد كل البعد عن الخجل من ثقافته وتقاليده — بل ويفخر بها — والذي يعتبر أن على عاتقنا — نحن اليهود السفاراديين — يقع عبء الحفاظ على تلك الثقافة ، **وأن التنمية الأكثر أهمية تكمن في الوضع الجديد الذي سيخلقه مستقبل السلام مع مصر** — هذا الجيل بكل معطياته السالفة ؛ يعني

وجوده أن كل هذا التجاهل وكل هذا النبذ حيال الثقافة السفارادية الشرقية ـــ سيزول ويختفي . إن الاتصال سيصبح طبيعيًا عندما تفتح الحدود ، وعند ذلك سيرى إخواننا الأشكنازيون كم هي عظيمة ورائعة تلك القيم الشرقية ... سوف لن يخْشوها ، بل سيتقبلونها ، وتصبح ـــ حينئذ ـــ إمكانية العيش المتكامل ممكنة ؛ بأخذ كل ما هو أحسن من كلتا الثقافتين : الشرقية والغربية ... » [المصدر السابق] .

إن أشواق يهود الإسلام نحو وطنهم العربي والإسلامي غرست في قلوبهم الأمل بأن السلام مع مصر سوف يتوسع ليشمل الشعب العربي الفلسطيني ؛ وباقي الشعوب العربية الإسلامية ، وأن الحدود العربية سوف تفتح أمامهم فيتمكنون من زيارة وطنهم أو العودة إليه . وقد برهنت الحوادث التي أعقبت هذا « السلام » على أن هذا الإيمان لم يكن إلا سذاجة سياسية .

وبعد أن انتخب « الفهود السود » رئيسا لهم وكذلك أمين صندوق ومستشارا قانونيا ، وأقاموا جهازا إداريًا لنشاطاتهم ـــ قاموا بتحديد أهدافهم الاقتصادية والسياسية ؛ كما يلي :

١ ـــ إنعاش الأحياء الفقيرة .

٢ ـــ تعميم التعليم المجاني من بساتين الأطفال حتى الجامعة ؛ لجميع ذوي الدخل المحدود .

٣ ـــ تدبير السكن المجاني للأسر الفقيرة كافة .

٤ ـــ إغلاق إصلاحيات الأحداث الجانحين ، وإقامة معاهد زراعية لهم .

٥ ـــ إحداث زيادة عامة في أجور أرباب الأسر متعددة الأفراد .

٦ ـــ إيجاد تمثيل كامل ليهود الإسلام في جميع الإدارات .

واعتقدت المؤسسة الأشكنازية الحاكمة أن « حركة الفهود السود » تشكل خطراً هائلاً عليها ؛ للأسباب الآتية :

١ ـــ حركة سياسية ثورية تحاول توحيد يهود الإسلام وتقوية تمثيلهم في الدولة .

٢ ـــ تعادي المستوطنين الأشكناز المسيطرين على الدولة وعلى اقتصاديات البلاد .

٣ ـــ تتعاطف مع نضال الشعب العربي الفلسطيني .

٤ ـــ تعتز بحضارة يهود الشرق العربية ـــ الإسلامية ، وبهذا دمّرت جميع مساعي المؤسسة الحاكمة لمحو الهوية العربية الإسلامية ليهود الإسلام .

٥ ـــ تستعمل المظاهرات المتسمة بالعنف في نضالها .

ولم تكتفِ الحكومة بالقيام بأعمال القمع ضد الفهود وإنما أقامت لجاناً للتحقيق في هذه المشكلة ؛ بغية تخدير أعصاب الفهود . غير إن موقفها الأساسي كان تمزيق وحدة الحركة بواسطة عملاء المخابرات ، الذين بثوا بذور المنازعات في صفوف الفهود . وأخذت الأحزاب اليسارية الأشكنازية تجذب هذا « الفهد » أو ذاك إلى جانبها ؛ مستخدمة جميع وسائل الإغراء والمغالطة الأيديولوجية :

« الاشتراكية » و « الصهيونية » و « الماركسية » ... و « الشيطانية » ! ... إلخ . ولم يكن بمقدور هؤلاء الفهود ــ الذين لايملكون الخبرة السياسية والتنظيمية ــ الصمود صفاً واحداً أمام خبث هؤلاء اليهود الأشكناز الصهاينة . وبذلك تحطمت وحدة الفهود .

ففي عام ١٩٧٣ ؛ انضم الجناح الثوري الذي يعارض الصهيونية والمجتمع الأشكنازي ، انضم إلى حزب الديمقراطيين الإسرائيليين الجديد الذي شكله الصحفي « شالوم كوهين » (يهودي عراقي ، تلقى ثقافته في مصر ، ثم أصبح محرراً لمجلة « هعولام هزه » الراديكالية تحت زعامة « اوري افنيري ») . وقاد شالوم كوهين هؤلاء الفهود إلى الانتخابات الهستدروتية والنيابية عام ١٩٧٣ ؛ فباء بالفشل .

وأقام الفرع المعتدل من الفهود السود منظمة « أزرق وأبيض » (لَوْنا الحركة الصهيونية) ، وهذا الفرع يؤمن بالعمل السياسي داخل إطار المؤسسة الصهيونية .

وفي عام ١٩٧٧ ؛ أخذ الفهود يلهثون من جديد وراء السلطة التشريعية ، إلّا أنهم تناثروا إلى فصائل صغيرة ، بقيت كلها ضمن الأحزاب اليسارية الأشكنازية : فانضم شارلي بطون إلى الجبهة الديمقراطية (حداش) ، التي تشمل الحزب الشيوعي والمجالس المحلية الفلسطينية وبعض العناصر اليسارية الثورية اليهودية . ووضع شارلي بطون في المحل الثالث لهذه القائمة الانتخابية ؛ فعين نائباً في البرلمان ، وبقيت منظمة شارلي بطون تدعى « منظمة الفهود السود » . وانضم سعديا مرصيانو إلى حزب شيلي ــ الذي يمثل أقصى اليسار الصهيوني ــ برئاسة اريه ايلياَب واوري افنيري وماتي بيليد . ثم انضم شالوم كوهين ويهوشوع بيرص ــ والأخير أحد النقابيين المراكشيين ــ إلى « افرايم كيشون » ؛ الكاتب الإسرائيلي المعروف . وانضم جزء آخر من الفهود إلى حزب داش الذي يرأسه يغآل يادين . ومنذ ذلك الحين توفي هذا الحزب واختفى سياسيا جميع زعماء الفهود عدا شارلي بطون وكوخابي شيمش .

وقد جاء انضمام شارلي بطون إلى الجبهة الديمقراطية التي يتزعمها الحزب الشيوعي بعدة فوائد ونواقص . والفوائد هي كما يلي :

١ ــ انتخاب شارلي بطون عضواً في البرلمان لتمثيل مصالح الفلسطينيين ويهود الإسلام .

٢ ــ المساعدات المالية التي يتلقاها الفهود من الجبهة .

٣ ــ تفاعل يهود الإسلام مع الشعب العربي الفلسطيني ؛ إذ إن الأغلبية الساحقة في الجبهة وفي الحزب الشيوعي عربية ــ فلسطينية ، ولذلك ؛ فإن ٤٠٪ من أصوات الفلسطينيين تمنح لهذه الجبهة ــ عادة .

أما النواقص فقد تمثلت في أن الفهود السود ــ قبل هذا الانضمام ــ كانوا يشددون على « التمييز العنصري الموجه من قبل المجتمع اليهودي الاستيطاني الأشكنازي ومن قبل المؤسسة الصهيونية ؛ ضد مجتمع يهود الإسلام ــ ككل » ، ولكن بعد الانضمام أصبحوا يشددون على « نضال « الطبقة

العاملة » ضد الرأسمالية » . **وهذا هو موقف الحزب الشيوعي ــ بالضبط** . وأدى هذا التحول إلى إبعاد الكثير من يهود الإسلام عن الفهود السود ؛ لأن معظم يهود الإسلام لايفهمون ــ أو لايؤيدون ــ هذه النظرة الطبقية التي نشأت في البلدان الصناعية الرأسمالية . وعندما عاش يهود الإسلام في البلدان العربية الإسلامية ؛ لم ينتموا إلى « الطبقة العاملة » ــ حسب المفهوم الأوروبي ــ وكانت تركيبتهم الاجتماعية والاقتصادية تشمل التجار والبورجوازيين الصغار والمثقفين وأصحاب المهن الحرة ؛ والفقراء منهم كانوا أصحاب حرف يدوية لا عمالاً أجراء . أما في إسرائيل فقد استطاعت الدولة أن تحوِّل معظمهم إلى « عمل رخيص » . غير إنهم لم يستسلموا لهذا ، وقد حاولوا ــ ولايزالون يحاولون ــ العودة إلى مكانتهم الاقتصادية السابقة . ومن الجدير بالذكر ؛ أن الجبهة الديمقراطية لا ترتكب هذا الخطأ عندما تتحدث إلى الجماهير الفلسطينية وإنما تتحدث إلى الفلسطينيين باعتبارهم « شعباً مضطهداً » لا « طبقة عاملة » . ويعود سبب النظرة الطبقية بالنسبة لمجتمع يهود الإسلام إلى أن جميع زعماء الحزب الشيوعي في القطاع اليهودي ؛ ينتمون إلى المجتمع الأشكنازي ، وهم يخْشون من أن نضال يهود الإسلام باعتبارهم « مجتمعاً مضطهداً » ضد « المجتمع الأشكنازي الاستيطاني » قد يمزق وحدة « الشعب الإسرائيلي اليهودي » . ولهذا السبب ــ على وجه الخصوص ــ نرى أن الصحافة الشيوعية قلما تغطي فعاليات الفهود السود بالرغم من أنهم جزء من الجبهة نفسها .

إضافة إلى ذلك ؛ فإن ضحايا التمييز العنصري ليسوا سكان الأحياء الفقيرة والطبقة العاملة ــ فقط ــ بل المثقفين وأصحاب المهن الحرة والتجار من أبناء يهود الإسلام أيضاً . والحقيقة هي أن اضطهاد هذه الطبقة المتوسطة أسوأ بكثير من اضطهاد الطبقة العاملة ؛ لأن المستوطنين اليهود الصهاينة يرون في هذه الطبقة خطراً على سيطرتهم السياسية والاقتصادية والثقافية ، وأن الجبهة الديمقراطية لا تعبر عن مصائب هذه الطبقة ، وهو الأمر الذي يُبعد هذه الطبقة عن الجبهة .

وفيما يلي ننشر حديث شارلي بيطون عن مبادىء الفهود السود ، نقلاً عن فلسطين الثورة في ١٩٨٧/١/١٧ . وهو الحديث الذي أجراه معه سعيد دبور في أثينا ؛ حيث كان بيطون مشاركاً في أعمال الندوة التي دعت إليها لجنة التضامن اليونانية ؛ بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ؛ بهدف تعريف الرأي العام اليوناني بالممارسات الفاشية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة :

ف.ث. : أولاً ؛ دعنا نتحدث عن بدايات شارلي بيطون . وتكوّن فكره وقناعاته السياسية التي تنادي بإقامة دولة فلسطينية مستقلة ؟

بيطون : المعروف أن حكومة إسرائيل تتعمد اضطهادنا كيهود شرقيين . وفي الوقت الذي تقدم فيه كل الامتيازات والتسهيلات والرعاية لليهود الأوروبيين ، نغاني نحن من مستوى معيشي متدن : بيوت من صفائح التنك ، وخدمات معدومة نوعا ما ، ومدارس من الدرجة الثانية أو الثالثة ، الأمر

الذي دفعنا لرفض هذا الواقع من خلال حركة « الفهود السود » التي بدأت بممارسة نضالها الاقتصادي والاجتماعي لرفع هذه المعاناة عن اليهود الشرقيين . لكن الحكومة الإسرائيلية حاربتنا بكل الوسائل ، وكأننا أعداء لدولة إسرائيل ، ولم نفهم سر هذه الحملة التي قامت بها حكومة إسرائيل ضدنا في الوقت الذي كانت فيه مطالبنا لاتتعدى أي مطلب اجتماعي أو اقتصادي .

وهكذا ، رويداً رويداً ، بدأنا نتفهم أن الحكومة الإسرائيلية ، المبنية على أساس « أشكنازي » من اليهود الغربيين ، تكره التجمع السياسي لأبناء الطوائف الشرقية ، وتهدف إلى القضاء على أي تجمع شرقي وتحاربه وتضطهده . وبدأنا نفهم كيف أن الحكومة الإسرائيلية تحارب وتضطهد الشعب العربي الفلسطيني ، وتسلبه حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

إزاء هذا الاضطهاد الحكومي لنا وطوال عشرين عاماً ، حاولنا الوقوف في وجهه ، وجنينا مزيداً من الاضطهاد والتنكيل من حكومة إسرائيل ، ففهمنا ماذا ينتظرنا في منتصف الطريق ، لذا وقفنا ، جميعا ، نناضل لأجل مطالب إنسانية ، وللمساواة في جميع المجالات . وواجهنا الاعتقال والضرب والإهانات وفرض الغرامات الباهظة . الأمر الذي انعكس ، إيجابيا ، على تطور وتوسع نضالاتنا . وفي هذا المسار اقتنعنا بضرورة الاعتراف بأن هناك مصالح مشتركة مع الشعب العربي الفلسطيني ، والاعتراف بحقوقه وبإقامة دولته المستقلة إلى جانب دولة إسرائيل .

ف . ث . : هل نفهم من ذلك أنكم ترون أن إقامة الدولة الفلسطينية ستخلصكم من معاناتكم كيهود شرقيين ؟

بيطون : **نعتقد أن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ستخلصنا من الحبل الملفوف على أعناقنا** ، والذي يتلخص بالتهديد اليومي لنا من جانب حكومة إسرائيل بالتزام الهدوء لأن « الدولة محاطة بالأعداء العرب الذين هدفهم رمي اليهود في البحر » . ولذا علينا السكوت والسماح لحكومة إسرائيل بإنشاء ترسانة عسكرية ، والتوسع والاحتلال العسكري . وتكون النتيجة أن يصبح أولادنا وقود الحروب والمعارك التي خاضتها حكومة إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الحرب الأخيرة في لبنان ، ولنتحول ، كإسرائيليين ، إلى شرطي أمريكي في منطقة الشرق الأوسط .

ف . ث . : معاناتكم كيهود شرقيين المشتركة مع الشعب الفلسطيني من جراء الممارسات الحكومية الإسرائيلية ؛ هل هي التي أوصلتكم إلى الاعتراف بحقوق هذا الشعب بإقامة دولته المستقلة ؛ أم أن الأمر يتعلق أيضاً بقناعات فكرية أو أيديولوجية معينة ؟

بيطون : الحديث لا يدور عن أيديولوجيات سياسية وإنما عن معاناة يومية من أوضاع مزرية . **فنحن كيهود شرقيين ، كنا عبيدا لحزب « حيروت » ولـ « بيغن » وأمثاله** ، وذهبنا بصورة عمياء وراءه ، وأستطيع القول أن كل من يفهم العقلية السياسية لحكام إسرائيل ، سيلاحظ عدم وجود أيديولوجية سياسية لهذا الحزب أو ذاك .

من جهتنا فإن الذين يعانون يوميا في الأحياء الفقيرة ويعانون أيضا من الحروب ، هم الذين ذهبوا

وراء « بيغن » بصورة عمياء ، لكن في لحظة معينة اتضحت لهم الأمور بصورة سليمة ، وأثبتت الوقائع ، الآن ، أن كل الذين كانوا يؤيدون اليمين المتطرف في حركة « حيروت » ، هم الآن الأساسيون في حركة الفهود السود ، ولا سيما وأننا ندفع يوميا ثمن حروب حكومة إسرائيل .

ف . ث . : وما الذي دفعكم لأن تكونوا كيهود شرقيين عبيداً لـ « بيغن » كما قلت ؟

بيطون : المعروف أنه في الوقت الذي كانت فيه حكومة العماليين تضطهد أبناء الطوائف الشرقية ، كان « بيغن » يترأس المعارضة الرئيسية لهذه الحكومة ، وهو الذي كان ، بدوره ، يعد بإعطاء اليهود الشرقيين حقوقهم . وأستطيع القول أن الوعود الفارغة التي أطلقها « بيغن » في ذلك الوقت هي التي خدعت معارضي « مباي » و « مابام » و « المعراخ » .

ف . ث . : حركة « الفهود السود » ... أين هي ؟ وماهي مساحات تأثيرها داخل الخريطة السياسية والجماهيرية في إسرائيل ؟

بيطون : نحن ممثلون بعضو واحد ضمن أربعة أعضاء للجبهة الديمقراطية للسلم والمساواة في الكنيست الإسرائيلي ، ويمكن أن لا يكون لصوتنا ذلك التأثير الكبير ، إلا أن تأثيره الأساسي هو في الشارع وداخل الجماهير التي نستطيع تحريكها وإخراجها للتظاهر لأي مطلب سياسي أو اقتصادي .

ف . ث . : بصفتك عضو كنيست ، كيف ينظرون في الكنيست الإسرائيلي إلى مطلب إقامة دولة فلسطينية مستقلة ؟

بيطون : هناك (١٥) عضو كنيست من أصل (١٢٠) عضواً على استعداد للقبول بدولة فلسطينية مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل . وهناك إمكانية لأن يزداد هذا العدد .

ف . ث . : كيف تتصور سيناريو الحل العادل لقضية فلسطين ولأزمة الشرق الأوسط ؟

بيطون : بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، وإقامة الدولة الفلسطينية ، بواسطة الجلوس إلى مائدة المفاوضات ، بحضور جميع الدول العربية المعنية ، بما في ذلك قيادة الشعب العربي الفلسطيني : منظمة التحرير الفلسطينية ، مع حكومة إسرائيل ، فذلك يحل كل المشاكل العالقة .

وأذكر ، بهذا الخصوص ، أنني طلبت داخل الكنيست حل القضية الفلسطينية ، وانسحاب إسرائيل إلى حدود عام ١٩٦٧ ، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل ، **فأجابني شمير بأنه يمكن التوصل إلى هذا الحل غدا ، إذا كانت إسرائيل توافق عليه ، وبالطبع فإن إسرائيل لا توافق عليه وهذا أمر واضح** . لهذا فإنني أرى ضرورة ممارسة ضغط من جانب الدولتين العظميين ، لعقد المؤتمر الدولي الذي أراه الحل الوحيد الذي يستطيع أن يعطي الفلسطينيين حقوقهم ، وأن يضع حدًّا لتجاوزات حكومة إسرائيل .

ف . ث . : الرئيس مبارك وشمعون بيرس اتفقا خلال اجتماعهما في الإسكندرية على انعقاد مؤتمر دولي وتشكيل لجنة تحضيرية له .

بيطون : **أتحدث عن مؤتمر دولي بكل معنى الكلمة ، وأعتقد أن المبادرة الفرنسية ـــ السوفياتية ، بتشكيل لجنة تحضيرية تضم فقط الأعضاء الدائمين الخمسة في مجلس الأمن ، هي الحل الأفضل : لأن إسرائيل لا تعرف أي حل غير الذي يفرض عليها ، وهو الأفضل بالنسبة لها . البعض يعتقد أن الضغط يأتي من خلال أمريكا ، لكننا ، نحن ، نرى أن الطريق الوحيد هو تغيير سياسة إسرائيل بواسطة الضغط المستمر من جانب الجمهور الإسرائيلي ، الذي عليه أن يناضل من أجل حل عادل للقضية الفلسطينية ، كي تتغير أوضاعه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ؛ خاصة وأنه يدفع يوميا ثمن الحروب العربية الإسرائيلية .**

ف . ث . : هذا يقودنا إلى سؤال لابد منه ، ألا يشكل العمل العسكري العربي ، وتحديداً الكفاح المسلح الفلسطيني عامل ضغط على إسرائيل لأجل الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ؟

بيطون : إنني ، كباقي الإسرائيليين الآخرين ، لا أستطيع القول أن الكفاح المسلح ضد دولة إسرائيل أو حكومة إسرائيل هو الطريق الذي يستطيع أن يفرض على الحكومة الإسرائيلية حلا . نحن نعتقد أننا ، بواسطة النضال السياسي الشعبي الاقتصادي والاجتماعي وبواسطة العمل الجماهيري ، نستطيع أن نقنع الرأي العام الإسرائيلي ، **ونكشف له عن أن قيادته السياسية هي العدو الأساسي لشعب إسرائيل . وعلينا أن نناضل جميعا لتغيير هذا النظام من أجل نظام أفضل ، ولمصلحة كل الشعوب .**

ف . ث . : لكن إسرائيل قامت بالضغط العسكري على العرب وعلى الفلسطينيين خصوصاً ، ونذكر اعترافات الإرهابيين اليهود بأن المذابح التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ ، كان لها الأثر الفاعل في إقامة دولة إسرائيل وتشريد الشعب الفلسطيني ... أفلا تعتقد أن العمل العسكري الفلسطيني له تأثيره على النظام الإسرائيلي للاعتراف بحق الشعب الفلسطيني ؟

بيطون : إن المآسي التي تعرض لها الشعب الفلسطيني لا يمكن أن تكون دافعا لوقوع مآسٍ جديدة لشعب ولد منذ عام ١٩٤٨ . وحتى هذه اللحظات التي نجلس فيها ، خاصة وأن هؤلاء لايفهمون ولا يعرفون هذه الأمور التي أصبحت تاريخية ، فإن الشعب الإسرائيلي الذي يعاني ، الآن ، من سياسة الحكومة الإسرائيلية لا يدرك أن سبب معاناته هو السياسة التي تنتهجها الحكومة الإسرائيلية بتبذير الأموال على الحروب والاستيطان ، وحرمان هذا الشعب من العيش الآمن والمطمئن اقتصاديا وسياسيا لمستقبله ، وأن استمرار هذه السياسة سيقودنا إلى كارثة . فقط كل ما يعرفه هذا الشعب هو ازدياد كراهيته للعرب ، وأعتقد أن كل عمل عسكري ضد مواطنين مدنيين يؤجل الحل لسنوات طويلة ، ويضعف إمكانية التفاهم بين الشعبين .

ف . ث . : أنت تقول إن أي عمل عسكري يؤجل الحلّ . لكن ماذا عن الأعمال العسكرية

الإسرائيلية اليومية ضد الفلسطينيين في لبنان ، وقصف مقر القيادة الشرعية للشعب الفلسطيني في تونس ، وأعتقد أن سجل إسرائيل حافل في هذا المجال ... فكيف يمكن أن نلقي اللوم على الشعب الفلسطيني إذا ماقام بعملية عسكرية ضد هذا النظام الذي تعارضه أنت . وتقول إن ذلك تأجيل للحل ؟

بيطون : إجابتي الأولى لا تعني أننا جزء من المعسكر أو الجيش الذي يقصف المخيمات الفلسطينية . وبالإضافة إلى عمليات القصف التي تقوم بها إسرائيل ، هناك الاضطهاد اليومي للمواطنين الفلسطينيين على يد الحكومة الإسرائيلية .

وباعتقادي أن هذا الأمر أشد خطورة من أي شيء آخر ، لأنه طوال الوقت الذي يحدث فيه اعتداء على مواطنين فلسطينيين ، أو العكس عندما يرد الفلسطينيون بالاعتداء على مواطنين إسرائيليين عاديين ، فإننا نواجه صعوبات في شرح وجهة نظرنا للشارع الإسرائيلي ، ولو حاولنا ذلك ، نصبح في نظر شعبنا خونة ، هدفنا سلب حق الشعب الإسرائيلي في الحياة .

ولنأخذ ، مثلا ، ماحدث في القدس العربية مؤخراً على يد جماعات « كهانا » الذي لايمكن أن نتجاهل تزايد شعبيته ، فإنني أعتقد أنه لولا حدوث عملية صغيرة في القدس ... — هذا إذا كنت تسميها عملية عسكرية — فإنه لايمكن لهذا العنصري أن يجد مؤيديه ، وأن يطأ بقدمه الحي القديم في القدس العربية ... أمام هذا كيف يمكن أن تأتي وتشرح وتدافع عن هذه العملية ، ليس أمام الجمهور بل عبر شاشات التليفزيون ؟ أعتقد أنه إذا استطعنا عمل ذلك ، فإنه لا يمكننا توسيع صفوف حركتنا .

ف . ث . : أنا لا أقصد العمل العسكري ضد المدنيين العاديين الإسرائيليين ، وإنما قصدت حق الشعب الفلسطيني الذي أقرته المواثيق الدولية ، بالكفاح المسلح ضد غاصبي أرضه وحريته واستقلاله ، هذا الشعب الذي يعاني من الاحتلال والتشرد والاضطهاد والقمع ، أليس من حقه النضال ، ليس ضد مدنيين وإنما ضد جنود الاحتلال ؟ وضد غاصبي أرضه ؟

بيطون : ضد الاحتلال يجب أن نكافح وأن نناضل جميعا ، ونحن لانسلب الشعب العربي الفلسطيني حقه في النضال ، خاصة وأن هذه الطريقة الوحيدة التي بقيت أمامه ، وهي النضال ، أما نحن فنضالنا سياسي ، لذلك فإن النضالين مختلفان نهائيا ، نضالنا سياسي بواسطة الشرح ، والحل العادل يأتي عن طريق المفاوضات ، أما الشعب الفلسطيني فله الحق بأن يناضل بطرقه للوصول إلى حقوقه العادلة .

ف . ث . : يلاحظ تأكيدك على الأساليب السياسية في نضالكم . على حين نجد أن الجماعات الدينية والعنصرية المتطرفة على شاكلة كهانا وغيره ، تستعمل أساليب إرهابية وغير سياسية في التعامل معكم ومع غيركم ؟

بيطون : في حالة استمرار ذلك ؛ فإنه لايوجد طريق أمامنا ، سوى الرد بنفس هذه الأساليب .

ف . ث . : دعنا ننتقل إلى موضوع آخر ، كسياسي إسرائيلي كيف تنظر إلى موضوع تزويد إيران بالسلاح الأمريكي عن طريق إسرائيل ؟

بيطون : من الواضح أن مصلحة الإمبريالية وهدفها هو استمرار الحروب في مناطق العالم ، وأعتقد أن حرب الخليج هي أحد أماكن التوتر في هذا العالم . ونحن نرى أن تدخل إسرائيل اليومي في هذه الحرب ، سواء بواسطة ضرب المفاعل النووي العراقي ، أو بإرسال الأسلحة لإيران ، هو لخدمة الهدف الفاسد للحكومة الإسرائيلية بتشجيع القوى السوداء في كل مكان في هذا العالم . إن هذه من الأمور التي تفاجئنا بها الحكومة الإسرائيلية ؛ تدخل وتشجيع وبيع للسلاح الفتاك القاتل ، وقتل الناس ، بدون أن نفهم المصلحة السياسية التي ستجنيها إسرائيل من وراء ذلك ، سوى أن الحكومة الإسرائيلية تريد إشعال بؤر التوتر في العالم ، فحكومة إسرائيل ترسل بالأسلحة إلى « سيريلانكا » ضد الأقلية التاميلية ، وإلى « الكونتراس » ضد الحكومة الشرعية في نيكاراغوا ، وإلى كل بؤر التوتر في العالم ، واعتقد أن الادعاءات الحكومية بأننا حولنا السلاح لإيران ، لحماية مصالح اليهود هناك ، هي غير صحيحة ، ولاسيما وأننا حولنا أسلحة إلى الطغمة العسكرية في التشيلي والأرجنتين ، حيث كانوا يذبحون اليهود يوميا . نحن لا نستطيع أن نفهم هذه السياسة الفاسدة العمياء التي تعتمد في استمرارها على دعم ومساندة كل القوى الشريرة في العالم .

ف . ث . : هل التقيت مسؤولين يونانيين في أثناء زيارتك هذه إلى اليونان وماهي المواضيع التي بحثتها معهم ؟

بيطون : التقيت مسؤولين في الحزب الاشتراكي (الباسوك) ، وفي الحزب الشيوعي اليوناني ومجموعته النيابية ، وفي الحزب الشيوعي — الداخلي ، **وبحثنا وإياهم مخاطر التوسع الإسرائيلي ، والممارسات الإسرائيلية وعربدتها في المنطقة ، وطلبنا منهم مساندة ودعم القوى الديمقراطية المناهضة للصهيونية في إسرائيل ، وكانت وجهات النظر متفقة .**

كما بحثنا مخاطر الاعتراف اليوناني بإسرائيل ، حيث إنه — في رأينا — سيزيد من شهية إسرائيل التوسعية في المنطقة ، وسيسهم في التغطية على سياسة الحكومة الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، وفي دعم التوجهات الفاشية والعنصرية داخل إسرائيل .

ف . ث . : سؤالي الأخير ، هل إنْ نشر حديثنا هذا في مجلة « فلسطين الثورة » المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية (م . ت . ف .) سيسبب لك مشاكل قانونية في إسرائيل ؟ بالنظر لما حصل للذين شاركوا في لقاء رومانيا مع شخصيات من م . ت . ف . ، بسبب قانون بهذا الخصوص صدر عن الكنيست الإسرائيلي ؟

بيطون : صحيح لقد تعرض زملاء لنا للملاحقة القانونية بسبب لقاء بوخارست ، الذي لم أشارك فيه ، لكن المقصود من قانون الكنيست منع الاتصال مع م . ت . ف . ، هو المواطنين

العاديين ، وليس أعضاء الكنيست أو الرسميين الذين يملكون حصانة قانونية ... فانشرها ولا تخف علي .

ف.ث . : ياسيد بيطون قلت إنك لم تشارك في « لقاء بوخارست » هل أستطيع معرفة السبب ؟

بيطون : لا شك أن أي لقاء بين الشعبين هو هام وضروري لنسج عرى التفاهم بينهما ، أما سبب عدم مشاركتي ، فهو أن زملائي في الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ، فضلوا أن يكون اللقاء رسميا ، وأن يصدر عنه بيان مشترك . وعندما اتضح أن شيئا من هذا لن يحدث فضلنا عدم المشاركة [انتهى الحديث] .

لماذا لم تصبح منظمة الفهود السود حركة جماهيرية ؟

١ ـــ وسائل الإرهاب والعنف والاعتقالات والتعذيب التي استخدمتها الحكومة ضد الفهود السود ـــ أبعدت الكثير من الناس عنهم ؛ خوفاً من الإرهاب الحكومي .

٢ ـــ الرشوة الحكومية التي منحت لقسم من مؤيدي الفهود في صورة نقود أو وظيفة أو عمل آخر .

٣ ـــ سياسة « فَرِّقْ تَسُدْ » التي استخدمتها الأحزاب اليسارية الأشكنازية . وعلينا أن نلاحظ أن جميع فصائل الفهود التي انضمت إلى الأحزاب الصهيونية اليسارية ؛ مثل : شيلي وداش ... إلخ ـــ ذابت واختفت . وهذا يبرهن على خطأ الرأي القائل بأن « علينا أن نعمل داخل المؤسسة من أجل تغييرها لصالحنا » . فالمؤسسة الصهيونية كانت ـــ ولا تزال ـــ أقوى من هذه الفصائل الثورية .

٤ ـــ انضمام الفهود برئاسة شارلي بيطون إلى الجبهة الديمقراطية حطَّم استقلالية الفهود ، وأبعد عنهم كل من لا يؤيد نظرية الطبقات والحزب الشيوعي . وهنا علينا أن نؤكد أن الدعاية ضد الشيوعية والحزب الشيوعي في إسرائيل كانت ـــ آنذاك ـــ أقوى دعاية استخدمت في العالم الغربي ضد الشيوعية . وفي غضون الحرب الباردة والحركة الماكارثية ؛ كانت الهستيريا المعادية للاتحاد السوفياتي والشيوعية في إسرائيل أعنف مما كانت في الولايات المتحدة . وحطمت هذه الهستيريا آلافاً من اليهود والفلسطينيين في إسرائيل ـــ معظمهم لم يكونوا شيوعيين قط . أضف إلى هذا ؛ أن الجبهة لم تعتن بنضال طبقة المثقفين وأصحاب المهن الحرة من أبناء يهود الإسلام ـــ ضد التمييز العنصري .

٥ ـــ انعدام القاعدة الاقتصادية لدى الفهود . فلكل حزب في إسرائيل (وكل الأحزاب أشكنازية بقياداتها وكوادرها العالية) قاعدة اقتصادية تدعم الحزب ماليًّا ، والحزب بدوره يمثل هذه القاعدة في المؤسسات الحكومية ويدافع عن مصالحها . فقاعدة حزب المباي ـــ مثلاً (حزب العمل) هي الهستدروت ومؤسساتها الاقتصادية كالمعامل والبنوك وشركات البناء والتطوير والمواصلات والتسويق ... إلخ ؛ وكذلك الحركة الاستيطانية التابعة للحزب مثل الكيبوتسات

والقرى التعاونية الزراعية . وجميع هذه المرافق الاقتصادية تشكل معاً أكبر صاحب عمل ، وتسيطر على معظم الوظائف والأعمال ؛ أي على لقمة العيش لأغلبية السكان . وعندما وقع خلاف بين بن غوريون ، زعيم الحزب ، وأكثرية رؤساء الحزب ؛ انشق بن غوريون وألف حزباً جديداً : « رافي » ، وآمن بأنه سوف يجذب الحزب إلى جانبه ، ولكنه فشل وبقي حزبه صغيراً ضعيفاً وهذا يبرهن على أن الجهاز السياسي « والإمبراطورية » الاقتصادية من وراء الحزب ، أقوى من الزعيم الواحد ؛ الذي تزعم الهستدروت والوكالة اليهودية والحكومة والمؤسسة العسكرية . أما قاعدة حزب المبام الصهيوني اليساري فهي الكيبوتسات التي تنتمي إلى الحزب ، وهي رابطة « هكيبوتس هأرتسي » . وقاعدة حزب « حيروت » وكتلة الليكود هي رأس المال الخاص : أصحاب المعامل الرأسمالية والبنوك والشركات التجارية ... إلخ . لكن منظمة الفهود السود لم تكن لها أية قاعدة اقتصادية ، وأعضاؤها كانوا ــ ولايزالون ــ أفقر الناس ، ولذلك ؛ لم تملك المنظمة المصادر المالية لتمويل نشاطاتها ولمساعدة مؤيديها . علاوة على ذلك ؛ فإن الدولة تمول الأحزاب ومعاركها الانتخابية ، وتمنح لها مخصصات مالية بالنسبة لعدد أعضائها في البرلمان أو في المجالس المحلية ، ولهذا ؛ تتعذر على الأحزاب الجديدة أو الصغيرة منافسة الأحزاب الكبيرة القديمة . ومن هنا كان اشتراك الفهود في الانتخابات العامة انتحاراً أكيداً ، وكان من الأفضل أن تبقى المنظمة حركة ثورية شعبية خارج البرلمان ، تمثل اليهود العرب على اختلاف عقائدهم السياسية ، وتوحدهم من أجل هدف واحد ؛ وهو مكافحة التمييز العنصري والعمل من أجل السلام والمساواة التامة بين جميع أفراد الشعب : عرباً ويهوداً .

٦ ــ إن قسماً كبيراً من يهود الإسلام يعيشون خارج نطاق تأثير الفهود ، وهؤلاء يعيشون في « مدن التنمية » والتعاونيات النائية ؛ تحت قبضة السيطرة الصهيونية : اقتصاديا وسياسيا وتنظيميا . ولقمة العيش موجودة في يد السيد الأشكنازي (لاحظ الفصل الخامس) . أما الفهود فهم يسكنون الحزام الأسود في المدن الكبرى .

٧ ــ كان جميع زعماء الفهود « هامشيين » في المجتمع ؛ بسبب قلة ثقافتهم وبعدهم عن النقابات العمالية والمهن الحرة والبورجوازية السفارادية .

٨ ــ في حين أن النقابات العمالية والأحزاب اليسارية في كل بلد تؤيد المسحوقين والطوائف المظلومة ؛ تمثل هذه الأنظمة في إسرائيل العمود الفقري للاستيطان الصهيوني الأشكنازي العنصري ، حتى الحزب الشيوعي يؤيد يهود الإسلام كفقراء وعمال فحسب لا كمجتمع إثني له حضارة خاصة : حضارة عربية إسلامية .

٩ ــ صورت وسائل الإعلام الأشكنازية « الفهود » وكأنهم غوغاء ومجرمون ، مما أبعد عنهم الأوساط « المحترمة » في المجتمع السفاردي . ويقول شارلي بيطون عن هذا : « لقد جاهرنا بفضيحة التمييز ونشرناها في كل مكان ؛ آملين أن ينضم إلى صفوفنا شباب جامعيون ــ شباب من النخبة ــ غير إن هذا كان عبثاً ، وللأسف الشديد كانوا يتعاطفون مع الأسباب التي دفعتنا إلى التمرد حتى إنهم

كانوا يساعدوننا ... ولكن من بعيد ؛ لأن الأغلبية العظمى منهم كانت تخشى على مراكزها وعلى مكتسباتها » [مردخاي سومان ، الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ص١٨١ ، ترجمة ف . جديد] . والحقيقة أن الفزع كان مستولياً على عقول يهود الإسلام المثقفين ؛ إذ كان مسدس « الفصل عن العمل » مسدداً نحو رءوسهم ، وكان ذلك سلاحاً حقيقيا وفعَّالاً .

١٠ ـــ مكَّنت حرب ٧٣ الحكومة من إشغال الجماهير « بالخطر الخارجي » ، **وكادت إسرائيل تخسر هذه الحرب** . ومنذ زمن الانتداب البريطاني ؛ استغلت الصهيونية « الخطر العربي » ؛ لتذويب النضال ضد العنصرية ... من أجل « وحدة الشعب اليهودي ضد العدو العربي » . كما ساعدها هذا « الخطر » على صرف معظم موارد المجتمع في المشاريع التوسعية والعسكرية ، وإبقاء الفجوة الاقتصادية بين المجتمعين اليهوديين . لذلك ؛ تخاف الصهيونية من السلام . وفي الخمسينيات ؛ قالوا إنهم يحتاجون إلى ٣٠ سنة من التوتر والحصار العربي إلى أن يموت « جيل الصحراء » ؛ أي يهود الإسلام الذين ولدوا في الوطن العربي الإسلامي ، وتربوا مع أبناء الأمة الإسلامية ؛ حتى يمتزج المجتمع الإسرائيلي ليصبح شعباً واحداً .

وبالإضافة إلى وسائل الإرهاب الحكومية ؛ أعلنت رابطة الدفاع اليهودية التي يترأسها الرابي الأمريكي مارتن كاهانا ـــ أعلنت الحرب ضد الفهود السود عام ١٩٧٣ ، وفي الثمانينيات ـــ بعد أن شكلت هذه العصابة الفاشية حزب « كاخ » ـــ أخذ أعضاؤها يتظاهرون حول بيت شارلي بطون بالقدس ويصرخون : « أين العربي شارلي بطون ؟ نحن لسنا مستوطنين أجانب » .

ولقد كان ٩٩٪ من أعضاء هذه المنظمة يهوداً مهاجرين من أمريكا ؛ممن اصطدموا بالسود في الولايات المتحدة . والآن ؛ أخذوا يوجهون عنصريتهم نحو يهود الإسلام والشعب الفلسطيني . ويشترك المهاجرون الجدد من الاتحاد السوفياتي اشتراكاً فعالاً في هذه المنظمات الإرهابية المتطرفة . ولاشك أن العرب يحثون هذه النقطة مع أصدقائهم السوفيات .

مزاعم اليسار المتطرف الأشكنازي :

نشرت زمرة اليساريين المتطرفين الذين احترفوا القضية الفلسطينية « الأسباب » التالية لـ «فشل» الفهود السود . وسوف يلاحظ القارىء أن مصدر مزاعمهم هو الصهيونية ودوائرها المشبوهة :

١ ـــ يهود الإسلام (أو « الشرقيون » حسب اصطلاحهم الأبوي) لايشكلون مجتمعاً واحداً ذا حضارة واحدة ؛ فهناك العراقيون والمغاربة واليمنيون ... إلخ ، ولكل فئة حضارة مختلفة . وهذا الرأي يتفق تماماً ومزاعم الصهيونية والاستعمار بشأن انعدام وجود أمة عربية إسلامية وحضارة عربية إسلامية واحدة . ولهذا مزقوا هذا الوطن الواحد إلى عدة دويلات ضعيفة متناحرة ، وبعض هؤلاء اليساريين الأشكناز يجهلون الأوضاع الحقيقية في الوطن العربي والإسلامي . ومن ولدوا في إسرائيل فإنهم بقوا بعيدين عن الحضارة العربية الإسلامية ، وعندما يتكلم هؤلاء مع زملائهم

الفلسطينيين ؛ لا يستعملون إلّا اللغة الإنكليزية ، ويدعون أنهم « فلسطينيون » ولا يعرفون لغة الفلسطينيين : اللغة العربية !

٢ ــ انعدام تعاون الفهود مع الشعب العربي الفلسطيني لسببين : أولهما ؛ هو أن يهود الإسلام « يعتقدون » أن الفلسطينيين يكونون خطراً على رزقهم ، وثانيهما ؛ عداء يهود الإسلام للعرب بسبب « اضطهاد » العرب لليهود في بلدانهم . ولذلك ؛ أخذوا يؤيدون الصقور المعادية للعرب . **وكل هذا دس صهيوني غادر . ولقد أيد الفهود السود ــ ولايزالون يؤيدون ــ مبدأ التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ؛ وسوف نوضح هذا فيما بعد** . إن يهود الإسلام لايحسدون الفلسطينيين ؛ أبناء الأراضي المحتلة ؛ على كنس الشوارع وتنظيف المراحيض الأشكنازية وغسل الصحون في المطاعم وهَلُمَّ جَرًّا ؛ لأن هذه الأعمال متدنية الأجور ، ويهود الإسلام يرفضون القيام بها ويفضلون البطالة واستلام الإعانة الخاصة بالعاطلين . ويهود الإسلام يؤمنون بأن التناقض الحقيقي ليس بينهم وبين الفلسطينيين ؛ بل بينهم وبين الأشكناز المسيطرين على لقمة خبزهم ويحولون دون ارتقائهم الطبقي ؛ لأن ارتقاء يهود الإسلام يترتب على تنازل الأشكناز – **لا العرب** – عن امتيازاتهم وعن بعض وظائفهم ، ولأن صرف الأموال على الأحياء الفقيرة يتعلق بتقليص مصاريف المستوطنات الأشكنازية في الأرض المحتلة ، لا بتقليص ميزانية القرى العربية التي تكاد تكون محرومة من المساعدات الحكومية .

وأسطورة اضطهاد العرب لليهود في الوطن العربي هي أسطورة بثتها الصهيونية ــ مع الإقرار ببعض الحوادث المؤسفة . وكيف يذكر الجيل الجديد من يهود الإسلام هذا « الاضطهاد » وهو لم يعش في البلدان العربية الإسلامية : لأنه ولد في إسرائيل ؟ أما آباؤهم الذين ولدوا في العراق وإيران ومصر ... إلخ ، وعانوا من « الاضطهاد العربي الإسلامي » ــ فلم يصوتوا إلى جانب الصقور بل إلى جانب حزب العمل ــ حتى ١٩٧٧ ــ وبعد ذلك ؛ صوت نصفهم إلى جانب الليكود اليميني : لا لأسباب أيديولوجية بل لأسباب اقتصادية واحتجاجية . والأشكناز اليساريون المتطرفون يتهمون ــ دائماً – يهود الإسلام بالتصويت إلى جانب «الصقور» ، وينسون أن هذه الصقور كلها أشكنازية . وعندما يتكلمون عن المستوطنات في الضفة ؛ « ينسون » أنها « أشكنازية » ، وعندما يتكلمون عن الإعلام الفاشي في الأحياء الفقيرة ؛ « ينسون » أن هذه الآلة الفاشية كلها أشكنازية وأن جميع مصادر الرشوة هي أموال أشكنازية ... إلخ .

من هم كاهانا وبيغن وشارون وايتان وشمير وليفنغر وكوادر الأحزاب اليمينية والرأسماليون ؛ قاعدة الليكود ؟ كلهم أشكناز . ومن هم صقور اليسار ؛ مثل : بن غوريون ورابين وديان ويدين وبيرس وغيرهم ؟ كلهم أشكناز . وكذلك زعامة الجيش والمخابرات والبوليس والمؤسسة الصهيونية كلها .

وعندما يتكلم اليسار الأشكنازي عن هؤلاء ينسى أنهم أشكناز ، ولايذكر أصلهم العرقي . وعندما يتكلم عن « الأذناب » يشدد على أصلهم العرقي : شرقيين . وأنا لا أقول إنه لاتوجد ظواهر سلبية في صفوف يهود الإسلام ، ولا أقول لايوجد هناك خونة ــ فالخونة موجودون في جميع الطوائف –

ولكنني أقول إن من يشدد على الظواهر السلبية لا يساعد النضال المشترك ضد العدو الواحد .
ويبدو لي ــ أيضا ــ أن ثمة « تقسيم عمل » فيما بين الأشكناز أنفسهم : فاليمين الأشكنازي يحرّض يهود الإسلام ضد العرب ، واليسار الأشكنازي يحرّض العرب ضد « الشرقيين » ؛ يعني « فرِّقْ تَسُدْ » ! .

٣ ــ ويضيف اليسار المتطرف سبباً آخر لفشل الفهود ؛ فيزعم أن الفهود رفضوا التعاون مع الطبقة العاملة الأشكنازية (يعني اليسار الأشكنازي) . أما الحقيقة فهي نقيض ذلك : إن وحدة الفهود تمزقت إثر التعاون مع اليسار الأشكنازي كما أوضحنا سابقاً ؛ ذلك إن الأشكناز « يفلون القملة » في الشؤون الهامشية ، وينسون القواسم المشتركة ، وقد استجلبوا من أوروبا التنافس الرأسمالي الشرس . وهذا هو سبب التشرذم الحزبي في إسرائيل . ومن ضمن ذلك ؛ التشرذم الحزبي بين الفلسطينيين في مناطق ١٩٤٨ . وحزب العمل وحده يشكل ٣ أو ٤ قوائم حزبية انتخابية في كل قرية عربية ، ويضع على رأس كل قائمة أحد المخاتير (شيوخ البلدان) أو الوجهاء العرب ، ويدعهم يتنازعون وهو يضحك عليهم .

إن اليسار الأشكنازي المتطرف يتهم اليهود « الشرقيين » بالعنصرية ضد اليهود الأشكناز ؛ لأن يهود الإسلام يؤمنون بأن المجتمع الأشكنازي ــ ككل ــ مسؤول عن التمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام ، وضد الشعب الفلسطيني . وهذا ــ بالضبط ــ هو موقف العالم التقدمي تجاه البيض في جنوب إفريقيا والمستوطنين الفرنسيين في الجزائر ــ قبل الاستقلال . وقد اعترف المجتمع الدولي بهذا المبدأ بخصوص مسؤولية الشعب الألماني عن سياسة ألمانيا النازية . ولا يمكن تعريف هذا الموقف بالعنصرية . إن رفاهية المستوطنين الأشكناز مبنية على استغلال الفلسطينيين ويهود الإسلام ! [انظر : إسرائيل والفلسطينيون ، إيثاكا ، ١٩٧٥ . وكذلك إسراكا ، يناير ١٩٧٣] .

أثر مظاهرات الفهود على المؤسسة الحاكمة ــ حكومة ومعارضة :

إثر مظاهرات الفهود شكلت الحكومة « لجنة هورفيتس » للتحقيق في هذه المشكلة . وكان على اللجنة أن تحقق في حقيقة الموقف الحكومي الرسمي القائل بأن : « المستوى الثقافي المنخفض لدى يهود الإسلام هو سبب التمييز ضدهم » . غير إن اللجنة توصلت إلى نقيض ذلك ؛ أي : « كلما ارتفعت ثقافة اليهودي من أصل عربي إسلامي زاد التمييز العنصري ضده » . ومعنى هذا أن المثقفين في هذه الطائفة يتعرضون للتمييز أكثر من إخوانهم غير المثقفين [رفائيل شبيرا ، خمسين ، رقم ٥ ، ص٢٤]. وهذا هو سر تعميق الفجوة الاقتصادية والثقافية بين الطائفتين . (وأنا شخصيا (الكاتب) لا أحتاج إلى السيد هورفيتس ليخبرني بذلك ؛ لأنني شاهدت هذه السياسة منذ ١٩٤٨ : شاهدت المسؤولين الأشكناز يراقبون ويضايقون الطلاب المجتهدين في الجامعة العبرية ، وفي وزارة المعارف ، وفي المؤسسات الأخرى . لقد شكلنا نحن ــ المثقفين ــ من الديار الإسلامية « خطراً » على

استبدادهم بالحكم . ولاشك أن حكام إسرائيل تعلموا هذه الطريقة من الكولونياليين الأوروبيين في المستعمرات) .

وأضافت لجنة التحقيق أن مستوى معيشة يهود الإسلام قد انخفض في الفترة الواقعة بين ١٩٥٩ ــ ١٩٦٩ [إسراليفت ، ١٩٧٢/١١/٢٠] . وتبين من تحقيق آخر وضعه ادوارد غيفنير (GEFFNER) بعنوان : « المشاكل السفارادية في إسرائيل » ــ أن هناك فجوة عميقة في مستوى السكن لدى الطائفتين الأشكنازية والسفارادية [المصدر السابق] .

وقبيل بداية عام ١٩٧٢ ؛ نشر الدكتور كاتس ؛ مدير مؤسسة الضمان القومي الإسرائيلي ــ مقالاً بعنوان : « من ، وماذا يمنع تضييق الفجوة الاجتماعية ؟ » . واستنتج الدكتور كاتس أن التأمين الاجتماعي غير قادر على تضييق الفجوة الاقتصادية بين الطائفتين ، وأن الكثير من أبناء العائلات متعددة الأفراد (أي السفارادية) لايستطيعون الاستفادة من التعليم الجامعي ؛ بسبب أوضاعهم الاقتصادية . ومن ضمن طلابهم الذين بدأوا دراستهم الابتدائية عام ١٩٥٢/١٩٥١ نحو ٦٪ فقط أكملوا دراستهم الثانوية بنجاح . أما بالنسبة لطلاب الأشكناز ؛ فإن ٣٥٪ منهم أكملوا دراستهم الثانوية [إسراليفت ، ١٩٧٢/١١/٢٠] . ولم يكشف لنا الدكتور كاتس عن نسب الطلاب الذين التحقوا بالجامعة العبرية أو التخنيون الحيفاوي .

ونشرت جريدة « معريب » ــ في ١٩٧٣/٦/٢٨ ــ تقرير لجنة رئيس الوزراء عن الشبيبة التي تعاني من شدة الأحوال المادية والنفسية . وذكر التقرير أن ٨٠٪ منهم ينتمون إلى الطبقة العاملة ، وأن ٩٢٪ من هؤلاء ينتمون إلى يهود الإسلام . وكانت المعايير التي استخدمت في هذا التحقيق ــ كمايلي :

١ ــ أجرة شهرية تقدر بـ ٢٠ دولاراً للشخص .

٢ ــ سوء الحالة السكنية ؛ أي ٣ أفراد فأكثر للغرفة الواحدة .

٣ ــ انخفاض مستوى ثقافة الوالدين .

وقابلت رئيسة الوزراء : غولده مئير ــ زعماء الفهود ؛ ثم صرحت : « في الماضي كانوا أولاد كويِّسين ، وأنا آمل أنه مايزال بعضهم كويسين ، ولكن أخشى أن بعضهم الآخر لن يكونوا كويسين » ! [يديعوت احرونوت ، ١٩٧١/٥/٢٨] . وهذا موقف أبوي تجده في جميع أعمال الدولة : فجميع الخدمات الاجتماعية التي تقدم إلى يهود الإسلام لا تعتبر واجبات الدولة نحو مواطنيها ؛ وإنما حسنات ترمي إلى « رفع هذه « المادة الإنسانية » إلى مستوى أعلى من مستوى البلدان العربية » . ومن وسائل السيطرة النفسية التي استخدموها ضد يهود الإسلام هي « عبادة الدولة » ؛ فعلى السكان أن يعبدوا الدولة ويخدموها ، وليس الضد . ومن يستتر وراء هذا الاصطلاح الرنان : « الدولة » ؟ ــ طبعاً ؛ القيادة الاستيطانية الأشكنازية .

وَلْنَعُدْ إلى الدكتور كاتس ؛ الذي ترأس لجنة حكومية تتألف من ١١٣ عضواً لبحث مشاكل الفقر ، والتي لم تشمل أي عضو من يهود الإسلام الذين يناضلون ضد التمييز العنصري . وقد قامت اللجنة بتشكيل ١٤ لجنة فرعية ، وأخيراً ؛ قدمت تقريراً مطولاً عن كيفية حل هذه المشاكل . غير إن حكومة غولده مئير والحكومات التي أعقبتها لم تعمل شيئا من أجل تقليل التمييز ، وهذا يشمل الدكتور كاتس نفسه ؛ الذي أصبح وزير العمل والرفاهة في حكومة الليكود عام ١٩٨٠ [التقرير والفجوة الاجتماعية ، عوزي بنزيمان ، هآرتس ، ١٩٧٣/٥/١٨] .

وعلق الكاتب ماتي رونين [شيبط وعام ، ١٩٧٨] على هذا التقرير ، قائلا : إن الحكومة خشيت من انتشار حركة الفهود السود في جميع أنحاء البلاد ، لذلك ؛ أقامت لجنة كاتس من أجل تخدير أعصاب المعتدلين في حركة الفهود ، ولإقناعهم بأن الحكومة تعمل بنشاط على حل مشاكل يهود الإسلام .

وكان من صلاحيات لجنة كاتس مايلي :

١ ــ تعريف قضايا الشبيبة الفقيرة .

٢ ــ دراسة الخدمات التي تهتم بالشبيبة والأطفال .

٣ ــ تقديم اقتراحات بشأن تحسين أحوال الأطفال والشبيبة .

وشمل التقرير الذي وضعته هذه اللجنة ١١ موضوعاً تغطي جميع فروع الخدمات الاجتماعية ، وتضمن ٢٨٩ توصية ؛ غير إن الحكومة لم تنفذ إلّا جزءًا صغيراً منها . وهذه بعض التوصيات :

١ ــ تقليص الفجوة الاجتماعية بين الطائفتين فيما يتعلق بالأحوال السكنية والصحية والثقافية ... إلخ . ويشدّد التقرير على أن ٢٥٪ من أطفال البلاد يعانون من البؤس ؛ بسبب قلة ثقافة الآباء ودخلهم ، والاكتظاظ السكني . وتشكل هذه النسبة العالية خطراً على التوازن الاجتماعي ؛ أي قد تدفع بالمظلومين إلى الحل الثوري ضد المؤسسة الصهيونية ؛ إذ إن ٩٤٪ من الفقراء هم يهود عرب ، وهم يؤمنون بأن التمييز العنصري هو سبب فقرهم . ويقول ماتي رونين ــ تعقيباً على هذه التوصية ــ إن الحكومة قررت تحسين الخدمات الاجتماعية بدون منح الأفضلية لاحتياجات السكان المسحوقين ، ولذلك ؛ تمكن اليهود الأشكناز من الاستفادة من هذا التحسين . ونتيجة لهذا ؛ تعمقت الفجوة الاجتماعية بين الطائفتين .

٢ ــ إقامة دائرة حكومية خاصة تعتني برفاهة السكان الفقراء (يعني اليهود العرب) . إلّا أن الحكومة رفضت هذه التوصية ، وأقامت ــ بدلاً من ذلك ــ لجاناً استشارية بدون أية صلاحية تنفيذية ، وإثر ذلك ساد الاعتقاد بأن الحكومة تحاول تخدير الأعصاب لا حل المشاكل (يؤيد رونين في دراسته هذه التوصية) .

٣ ــ إشراك يهود الإسلام في مشاريع الرفاهة بواسطة تقوية اللامركزية الحكومية ، ومنح

صلاحيات واسعة للسلطات المحلية ، وتكوين زعامات محلية ليهود الإسلام . ويعلق رونين على ذلك بأن المؤسسة الحاكمة حاولت دائماً تقوية السلطة المركزية (الأشكنازية) ، والاعتصام بالوسائل الأبوية تجاه يهود الإسلام ، وعللت ذلك بالمزاعم القائلة بأن الحضارة العربية والإسلامية ليهود الإسلام ؛ حضارة متدنية ، وأن يهود العالم الإسلامي غير قادرين على تدبير أمورهم ؛ بسبب تخلفهم الحضاري والاجتماعي . ثم يضيف الكاتب قول دافيد بن غوريون ؛ رئيس الوزراء ــ عام ١٩٥١ : « نحن نريد تحويل اليمني إلى يهودي (يعني أشكنازي) بأسرع وقت ممكن ــ وعلى قدر الإمكان ــ حتى ينسى من أين هاجر » [المصدر السابق ، ص ١٤] . ويعلق الكاتب على هذه المقولة بقوله : « إن بن غوريون آمن بأن يهودية اليهودي اليمني أدنى بالنسبة ليهودية اليهودي الأشكنازي ، وإن هذه المقولة تبرهن على رياء بن غوريون ؛ لأن سياسة التمييز ضد اليهود اليمنيين ذكّرتهم وذكّرت حفدتهم ؛ من أين جاءوا . وعلى كل حال فقد رفضت الحكومة هذه التوصية ؛ لأنها تهدف في الحقيقة إلى تحرير يهود العالم الإسلامي من الحكم الأشكنازي ، ومنحهم استقلالاً ذاتيا في شؤونهم الداخلية .

٤ ــ الاعتناء بوعي الجمهور من أجل « التضامن الاجتماعي » (يعني مكافحة الآراء العنصرية في المجتمع الأشكنازي . ولكن ماحدث بالفعل هو أن الآراء العنصرية ضد يهود الإسلام والشعب العربي الفلسطيني ؛ قد عظمت منذ أوائل السبعينيات) .

وخلاصة القول أن رونين كان صادقاً ؛ فالحكومة الأشكنازية لم تحاول حل مشكلة التناقض بين الطائفتين وإنما حاولت تخدير أعصاب حركة الفهود السود في انتفاضاتها الثورية .

وفي الوقت ذاته ؛ أرسل الصحافيون الأجانب بتقارير مفصلة عن الاصطدامات الدموية بين الفهود السود وقوات الأمن . وقابلت الأوساط الدولية هذه الأخبار بالدهشة والاستغراب « يهود يحاربون يهوداً ؟ عنصرية داخل الشعب اليهودي ــ ضحية العنصرية ــ هل هذا ممكن ؟! » . ولكن الصهيونية العالمية التي استطاعت أن تُخفي هذه المشاكل منذ بداية الاستيطان في نهاية القرن التاسع عشر ــ سرعان ماتمكنت آلتها الإعلامية الصهيونية ، وهي أحسن مكائن الكذب والتلفيق في العالم ، من إقناع الرأي العام العالمي (الغربي) بأنه لاتوجد عنصرية في إسرائيل ، وأن الفجوة الاقتصادية بين الطائفتين ناتجة عن التخلف الثقافي لهؤلاء « الشرقيين » « البدائيين » « أبناء العالم العربي والإسلامي » ؛ بالمقارنة باليهود « الغربيين » « ذوي المؤهلات العالية » و « المهارات التكنولوجية الجبارة » . وأقنعتهم أيضاً بأن إسرائيل تعمل ليل نهار على « تمدين » و « تحضير » هؤلاء « الهمج » ، ولذلك ؛ فإن « الشرقيين » « لابد أن يعبروا عن امتنانهم لإسرائيل » ؛ لأنها « أنقذتهم من الاضطهاد ، ومن المذابح التي كانت تصيبهم على أيدي العرب والمسلمين ؛ والدين الإسلامي المتعصب » . وأخيراً ؛ أقنعتهم بأن إسرائيل تواجه المصاعب نفسها التي تواجهها الدول الغربية من جراء « هؤلاء المهاجرين من العالم الثالث » . هكذا ؛ استغل الصهاينة الأشكناز ــ بصورة خبيثة ــ جميع الآراء المسبقة والعواطف العنصرية الموجودة في الغرب ؛ تجاه العرب والمسلمين والدين الإسلامي والعالم الثالث و « السود » عامة ؛ من أجل التنديد بـ « إخوانهم » السمر . وبالرغم من

أنهم جاءوا من أوروبا الشرقية ؛ فقد أخذوا يسمون أنفسهم « غربيين » ؛ ليكونوا في جبهة واحدة مع الدول الغربية ضد الشعوب « المتخلفة » أو « الشيوعية » (لاحظ أن الصهاينة شاركوا - وبصورة فعالة - في تصوير الإنسان العربي بصورة مهينة في السينما والتليفزيون ؛ في الدول الغربية) .

أثر الفهود السود على المعارضة الليكودية :

بعد أن تم تفتيت وحدة « الفهود السود » عام ١٩٧٧ ؛ لم يبقَ أمام يهود الإسلام إلّا طريقة واحدة للقضاء على حكم المؤسسة الاستيطانية الصهيونية ؛ المتمثلة في حزب العمال وكتلته البرلمانية : مَعَراخ ؛ وهي التصويت إلى جانب المعارضة البرلمانية ـــ أي كتلة الليكود اليمينية بقيادة مناحيم بيغن رئيس حزب حيروت . وكان منطلق الكثير من يهود الإسلام أن عدو عدوي هو صديقي ، أو « خلّي الأشكنازي يحطّم الأشكنازي » . ومنذ ذلك الحين ؛ قوي نفوذ يهود الإسلام في حزب حيروت ، حتى انفجر مؤتمر الحزب عام ١٩٨٦ ؛ بسبب اصطدام مصالح اليهود العرب مع مصالح الأشكناز : زعماء الحزب .

وفي ١٩٨٦/٣/٢٦ ؛ أرسل الأستاذ نعيم قدوري روبين ؛ ممثل « اللجنة الدولية ضد اضطهاد اليهود العرب في إسرائيل » ـــ برسالة إلى مجلة « فلسطين الثورة » ؛ تبحث في أسباب تصويت اليهود العرب إلى جانب بيغن ، وفي تقوية نفوذ هذه الطائفة في جبهة الليكود التي أسقطت حكم حزب العمل ، وأخذت زمام السلطة ـــ منذ عام ١٩٧٧ ، وتعلل أيضاً انفجار مؤتمر حيروت عام ١٩٨٦ . وهذا هو نص الرسالة :

نشر الإعلام الصهيوني تقارير مفصلة عن الصراع المستميت الذي دار في مؤتمر حركة « حيروت » اليمينية ، مدعياً أنه صراع شخصي بين شمير رئيس الحزب ونائبه داؤد ليفي . صحيح أن هذين الزعيمين لا يناضلان إلا من أجل مصالحهما الشخصية ، إلا أن الحقيقة هي : أن هذا الصراع يمثل الصراع الطبقي والحضاري والإثني بين المجتمعين المتواجدين في هذا الحزب وفي « الشعب الإسرائيلي » ؛ أولهما : مجتمع اليهود العرب والطبقة العاملة في أحياء الفقر ، وفي ما يسمى بـ « مدن التنمية والتعاونيات » الفقيرة . وهذا المجتمع يشكل أكثر من ثلثي الشعب ؛ وثانيهما : مجتمع المستوطنين الأشكناز ، أبناء الطبقة المتوسطة ، وأرباب رأس المال الخاص في الصناعة والتجارة والبنوك .

وعلى حين التف المجتمع الأول حول داؤد ليفي (اليهودي العربي من أصل مغربي) ، التفّ المجتمع الثاني حول إسحاق شمير البولوني . ويؤيد بيغن صديقه شمير . أما شارون ، الذي أبعد عن دفة الحكم قليلاً ؛ بسبب فشله في غزو لبنان ، فقد حاول ، بالرغم من كونه أشكنازيا ؛ أن يستغل المعسكر المسحوق من أجل العودة إلى الزعامة .

وقد يتساءل المرء : كيف استطاع داؤد ليفي ومعسكره الفقير تحدي المعسكر القوي ، الذي يسيطر على قسم كبير من الاقتصاد ؟

الجواب على هذا السؤال يستوجب تحليل نظام الحكم في إسرائيل .

يدعي الصهاينة أن إسرائيل هي أرقى ديمقراطية في العالم ؛ إلا أن الحقيقة هي : أن الناخبين ، هناك ، لا يستطيعون التصويت إلى جانب هذا المرشح أو ذاك ؛ بل مفروض عليهم أن يصوتوا إلى جانب هذا الحزب أو ذاك . وكل الأحزاب في البلاد هي أحزاب أشكنازية ، بزعامتها وكوادرها ومؤسساتها . وتُعين الزعامة الحزبية النواب والوزراء حسب نسبة الأصوات التي تحصل عليها . وهكذا ؛ فإنهم يأخذون أصوات اليهود العرب ويعيِّنون أنفسهم نوابا ووزراء . ومن أجل الحصول على أصوات اليهود العرب يستخدمون بعض الأجراء من أبناء الطائفة ، الذين لا قاعدة جماهيرية لهم في المجتمع ؛ حتى يتمكنوا من فصلهم إذا قويت شوكتهم .

وكان بيغن ، في أول أمره ، زعيما لحزب صغير ثم أصبح زعيما معارضا لحكومة حزب العمل (مباي) ، وبعد ٢٩ عاما فاز في الانتخابات البرلمانية عام ١٩٧٧ للأسباب التالية :

١ ــ لأنه استغل محنة اليهود العرب ، الذين حَكَمَتْ عليهم حكومة العمال أن يكونوا الأيدي العاملة الرخيصة في « أرض الميعاد » ، بعد أن كانوا قسما من الطبقة المتوسطة في البلدان العربية والإسلامية ، وفي فلسطين قبل الاستيطان الصهيوني . ووعدهم بيغن بالمساواة التامة ، لا في الدولة فحسب ، وإنما في حزبه أيضا .

٢ ــ شجع بيغن الكوادر من اليهود العرب ، التي تمتلك شعبية محلية ، وساعد على إقامة زعامات محلية مثل زعامة داؤد ليفي ، الذي تزعم الفقراء في بيسان ، ولكنه لم يساعد الطبقة السفلى قط .

٣ ــ بما أنه يؤمن بسياسة الانفتاح الاقتصادي ، وبتشجيع رأس المال الخاص ، فقد ساعد بيغن اليهود العرب ، الذين عانوا من التمييز العنصري في معامل الدولة ومعامل الهستدروت ، على الارتقاء الطبقي ، والوصول إلى طبقة البورجوازيين الصغار ؛ فأصبح الكثير منهم أصحاب مطاعم وجراجات ودكاكين صغيرة .. إلخ . وبهذا ربطهم ، اقتصاديا ، إلى حزبه اليميني ، وفي الوقت ذاته انتقل كثير من العمال (أي اليهود العرب) إلى معامل رأس المال الخاص ؛ لأن التقدم المهني فيها كان أسهل بكثير مما هو عليه في معامل الدولة والهستدروت .

٤ ــ بما أن شروط العمل ، في معامل الدولة والهستدروت ، كانت أفضل بكثير مما هي عليه في المعامل الرأسمالية ، فإن التنافس بين الأشكناز واليهود العرب فيها كان أكثر شراسة ، والإدارة الأشكنازية فضلت المستخدمين الأشكناز . كما أن استغلال اليهود العرب ، بأيدي الكيبوتسات الأشكنازية (التي سلبت الأراضي العربية) ، كان ، ولايزال ، أسوأ مما هو عليه في القطاع الخاص .

وأدت هذه الأمور إلى دفع نصف اليهود العرب إلى رأس المال الخاص ، وربطهم اقتصاديا بالحزب اليميني « حيروت » . ويدل هذا التحليل على أن الادعاء القائل بأن اليهود العرب يؤيدون « حيروت » بسبب عدائهم للعرب ما هو إلا دس صهيوني غادر .

والأسباب الآنفة الذكر توضح استفحال نفوذ اليهود العرب في حركة « حيروت » ووصولهم إلى المؤتمر بأعداد كبيرة . وقد يؤدي هذا التطور إلى سيطرتهم التامة على الحزب وزعامته ، بمساعدة رفاقهم الدروز والبدو من أعضاء الحزب .

وأدخل هذا « الخطر الشرقي » الرعب في قلوب المستوطنين الأشكناز والرأسماليين ، ولم يستطع شمير البقاء في زعامة الحزب ، إلا بواسطة التلاعب بالأرقام من أجل تحجيم هذا « الخطر » ، وتحويل الأكثرية المسحوقة إلى أقلية .

كان هذا سبب انفجار المؤتمر .

ويؤمن الكثير من اليهود العرب بأن هذا الحزب سيكون في المستقبل ، حزب اليهود العرب أنفسهم إلّا أن ميزان القوى ليس لصالح الأغلبية المسحوقة ، بل للأقلية الأشكنازية الرأسمالية — وهكذا ، جذبت ، مؤخراً إلى جانبها بعض اليهود العرب مثل موسى قصّاب (موشي كتساب) ومئير شطريت .

وأذكر أنه ، منذ زمن الانتداب (البريطاني) ، تمكنت المؤسسة الصهيونية من تمزيق وحدة كل كتلة سياسية شكلها اليهود العرب ، ومن ضمن محاولاتهم أذكر الكتلة البرلمانية التي تزعمها الياهو الياشار [لاحظ كتابه : « العيش مع الفلسطينيين » ، وكتابه : « العيش مع اليهود » (يعني الأشكناز)] . وكذلك « جماعة ابن هروش » في وادي الصليب بحيفا ، و « الفهود السود » ، وحزب « تامي » ، و« جماعة ماعتس » التي قامت بأعمال فدائية وأشعلت النيران في معامل عديدة . كما أنها أي المؤسسة ، حظرت ، قانونيا ، إقامة أي حزب عربي فلسطيني ... ومحاولة جماعة « الأرض » معروفة .

وأنا لا أدافع هنا عن داؤد ليفي لأنني أعلم أنه سياسي لا يدافع إلّا عن مصالحه الشخصية ، إلا أنني أعتني بما يجري تحت قشرة هذا الصراع الشخصي .

إن الشعب الفلسطيني في الداخل هو شعب يعيش تحت حصار لئيم ، وهو بحاجة إلى كل ذرة من المساعدة ، وسيكون من الخطأ إذا « طلق » الفلسطيني أخاه اليهودي العربي . وأنا أعرف قلوب اليهود العرب ، وحتى قلوب أولئك الذين ضلوا السبيل لأنه « بدنا نعيش » . وأنا أعرف أن الفلسطيني في الداخل يستطيع أن يتلقى مساعدة مفيدة إذا ناضل من أجل الوصول إلى قلب أخيه في المصير ، وفي الأرض العربية ، وفي الحضارة الإسلامية ، وفي التاريخ ، وفي الدم . لأن ماحدث منذ ١٩١٧ أو قُل ١٩٤٨ « مش ممكن أن يلغي تاريخا إنسانيا كاملا » .

... **هذا وإن ثورة الشعب العربي الفلسطيني وثورة اليهـود العـرب ـــ ثورة واحدة** [انتهى نص الرسالة] .

وفي نهاية ١٩٧٨ ؛ سئل كوخابي شيمش : « ماهو تحليلكم للوضع السفارادي الراهن في سياق تبدل السلطة وسياستها الاجتماعية ؟ » ، وأجاب شيمش : « ... من الواضح أننا نستطيع القول بأن التناقضات ستتوسع بالنسبة لما كانت عليه إبَّان الحكم السابق ، وأن كل التدابير التي اتخذت من قبل الحكومة ـــ حتى الآن ـــ على الصعيد الاجتماعي معادية للاشتراكية ؛ إذ هي لاتكفل المساواة . لنأخذ ـــ على سبيل المثال ـــ قضية السكن التي وعد بيغن بحلها ، وأخذ على هذا الأساس يستجدي ويطلب المال من اليهود في الخارج ... إن هذا يدل بالفعل على موقفه حيالنا نحن ـــ الشرقيين ـــ إذ لماذا لم يتسول الصدقات والهبات من أجل الاستثمارات والصناعات ؟ إن تلك الأمور تتلقى المساعدات الحكومية بدون حرج ... إن تلك الأعمال توضح جيداً أن التمييز لايزال قائماً ومستمراً » . ويضيف شارلي بيطون بهذا الخصوص : « مَن المؤكد أن بيغن يحاول خداع الناس ، ويسير على خطى بن غوريون ؛ بادعائه أنه يجهل الحقيقة الاجتماعية ... » [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ترجمة ف . جديد ، ص ١٨٢] .

حقاً ؛ لقد جانب الصدق شيمش وبطون : إن حزب حيروت وكتلة الليكود يمينيان من الناحية الاقتصادية والسياسية ، وما هدفت حكومة الليكود إلا إلى التوسع الاستيطاني في الأراضي المحتلة ، وإلى الحرب ـــ الحرب اللبنانية ؛ لذا لم تبق لديهم الأموال لتحسين أحوال الفقراء ، ولسد الفجوة بين الطائفتين . ولذلك ؛ تفاقم الفقر ، والاستقطاب الاجتماعي الإثني بين الطائفتين ، وسحب الكثير من يهود الإسلام تأييده لليكود (لاحظ ماورد في الفصل السابق عن فشل مشروع إنعاش الأحياء الفقيرة ، والاستقطاب الاجتماعي) حتى إن كتلة الليكود فقدت أغلبيتها في انتخابات ١٩٨٤ ؛ فتعذر على كلتا الكتلتين الكبيرتين في البرلمان تأليف حكومة عادية ، وكانت هذه أزمة برلمانية حقيقية . **ولذلك ؛ أرغم الأمريكيون ـــ أسياد إسرائيل ـــ كلتا الكتلتين على إقامة حكومة ائتلافية تضم اليمين واليسار** . ومنذ ذلك الحين تقضي هذه الحكومة أوقاتها في المنازعات والشتائم البذيئة .

وقد تنبأ سعديا مرصيانو ، أحد زعماء الفهود ، بهذا التطور ؛ إذ قال عام ١٩٧٨ : « من الخير إنْ وصل بيغن إلى الحكم ... كي يفهم السفارديون أن هذا الحزب الذي أولوه ثقتهم ، وأتوا به إلى الحكم قد خدعهم وخيب آمالهم في كل ماكانوا يرجونه ، وبأسلوب فاضح وفظيع ... » [المصدر السابق ، ص ١٨٢] . واستنتج كوخابي شيمش أن يهود الإسلام سوف ييأسون من حكم الليكود ، ومن المؤسسة الحاكمة التي تمثل الحضارة الغربية والاقتصاد البورجوازي ، و « سترفع حركتهم النضالية شعاراً واحداً : نريد السلطة ... نريد الحكم » [المصدر السابق ، ص ١٨٧] .

أثر « الفهود السود » على يهود الإسلام :

شجعت حركة « الفهود السود » يهود الإسلام على مناقشة التمييز الطائفي علناً وعلى استنكاره ومقاومته . كما كونت دافعاً فعالاً في بعث الحضارة العربية الإسلامية في هذا المجتمع ، وتحريك موجة التضامن مع نضال الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية .

وكان معظم جماهير يهود الإسلام من قبل يخشون بحث المشكلة علناً ؛ لأن المؤسسة الحاكمة كانت تصف كل من يشكو من التمييز بأنه « محرّض » أو « طائفي » ، أو « يريد استغلال محنة طائفية من أجل مصالحه الشخصية » . وكثيراً ما اتهمته بما أسمته « تقسيم الشعب الواحد » ، أو كانت تستهزىء به وتقول « إنه مريض يشكو من عقدة النقص » . والحقيقة هي أن المؤسسة الحاكمة كانت — ولاتزال — تخاف كل الخوف من هؤلاء المناضلين ؛ مثل : الياس الياشار ، وداؤد بن هروش ، وغيرهم . وكانت المخابرات الإسرائيلية — ولاتزال — تراقب كل يهودي من أصل عربي إسلامي ينتقد التمييز العنصري .

ولم يكن كل الذين أخذوا يتكلمون عن هذا الموضوع علناً من « الهامشيين » أو « أعداء الصهيونية » فحسب ، وإنما أناسا خدموا المؤسسة الصهيونية — أيضاً . ومن بين هؤلاء ؛ الأستاذ يهودا نيني ؛ وهو يمني الأصل ، اشترك في حرب ١٩٤٨ كقائد ، ثم عُيِّن سكرتيراً لوزير المعارف : زلمان اران ، وأستاذا للأدب في الجامعة العبرية ، واشترك في أعمال لجان مختلفة تابعة لوسائل الإعلام الصهيوني . وقد ذكرنا في الفصل الثاني كتاباته عن المعاملة الوحشية التي لقيها اليمنيون في فلسطين ؛ على أيدي المستوطنين الأشكناز . وفي ربيع ١٩٧١ ؛ وضع يهودا نيني دراسة مهمة بعنوان : « خواطر حول سقوط الهيكل الثالث » . وفيها يتنبأ الكاتب بسقوط دولة إسرائيل ؛ بسبب التمييز العنصري ضد يهود الإسلام . ويقول نيني لطائفته إن أبناءهم قُتلوا في حرب ١٩٤٨ من أجل الـ « ابراموفيتشيين » وأمثالهم (ابراموفيتش : اسم من الأسماء الأشكنازية . ويعني الكاتب بذكره في صيغة الجمع : اليهود الأشكناز عامة) . ويضيف : « أن أبناء أصحاب الدكاكين الصغيرة وتجار الأقمشة والتجار المستغلين (يعني اليهود الأشكناز) — أصبحوا أمراء يحكموننا . وأن الإدرة والحكومة أشكنازيتان ... إن الإحصاءات الحكومية تفيد بأن من بين هؤلاء الإداريين يوجد بعض الموظفين الذين جاءوا من البلدان العربية الإسلامية ؛ ولكن لاحظ جيداً أية وظائف يشغلون ... تجدهم في أسفل درجات السلم بين العاملين في المطاعم والمقاهي ، وبين الموظفين الإداريين الصغار » . يصف نيني الفلسطينيين العرب بأنهم « مواطنون من الدرجة الثانية » . أما « السود » (يعني يهود الإسلام) فهم « مواطنون من الدرجة الثالثة » (يستخدم يهود الإسلام هذه المبالغة بغية القول بأنه : حين أن الأوساط الإنسانية واليسارية الأشكنازية تنشر مواد كثيرة عن التمييز ضد الفلسطينيين العرب ، وتستنكر سياسة الحكومة في هذا المجال — تبقى هذه الأوساط ساكتة بالنسبة للتمييز الموجه ضد يهود الإسلام) . ثم يتهم نيني قضاة إسرائيل بالتمييز العنصري ضد المتهمين من بين يهود الإسلام : « إذا ارتكب اليهودي العربي جنحة يحكمون عليه بالسجن ويتساهلون مع المجرمين

الأشكناز » . ويستطرد الكاتب قائلاً : « إن الأشكناز يغلقون جميع أبواب التقدم في وجه يهود العالم الإسلامي ، من أجل ازدهارهم هُم » . وينسف نيني أسطورة المساواة التامة في الجيش ؛ فيقول إن « بين الجنرالات لايوجد أي يهودي عربي . ومن ضمن الضباط الذين يحملون رتبة « عقيد » ؛ لاتجد إلّا عدداً ضئيلاً جدا من يهود الإسلام . وضمن الضباط الذين يحملون رتبة « مقدم » وماتحت ذلك ؛ تجد ١٠٪ من يهود الإسلام . وبالنسبة للوظائف العسكرية المهمة الأخرى ؛ مثل : الطيارين والاختصاصيين ـــ فهم من أبناء الكيبوتسات الأشكنازية ، أو من المهاجرين من الدول الغربية . أما الجنود الذين يعملون كطباخين وعمال تنظيف وعمال ورش وغير ذلك من الخدمات ـــ فكلهم من يهود الإسلام ، وهؤلاء الجنود يكرهون واجباتهم العسكرية ويَضْرِبون ـــ أحياناً ـــ ضباطهم الأشكنازيين . وقد تجد ـــ في بعض الوحدات العسكرية ـــ ثلث أو نصف الجنود ممَّن كانوا قد سجنوا ؛ لأسباب تتعلق بالطاعة العسكرية أو بأعمال العنف » .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة لم تنشر في الصحافة المعادية للحكومة ؛ بل في مجلة « شديموت » التابعة لمنظمة الكيبوتسات ، في عددها رقم (٤١) الصادر عام ١٩٧١ . وقد أثارت هذه الدراسة ضجة من الاستنكار في أوساط الصهاينة . ولم تكن الهجمات الضارية على نيني سهلة ؛ لأن الرجل لم يكن « هامشيا » أو من « عملاء موسكو » . والمجلة التي نشرت الدراسة تابعة للمؤسسة الاستيطانية ، ولذلك ؛ استنتجت جريدة « هآرتس » الصهيونية أن « نيني » هو أسوأ من « متسبين » (أي اليسار المتطرف) [إسراكا ، كانون الثاني ١٩٧٣] .

البعث الحضاري :

لقد تزامنت وثبة الفهود السود مع تطورات اجتماعية أدّت إلى تغير جذري في موقف يهود الإسلام من الحكام الأشكناز وحضارتهم . فحتى هذه الفترة ؛ كان موقف يهود الإسلام متميزاً بالخوف والتردد والخجل من حضارتهم وتاريخهم . أما الخوف فقد نتج عن القبضة الحديدية الحكومية ، التي استخدمت سلاح الفصل عن العمل بصورة قاسية ضد أي يهودي عربي مناضل ، وكانت سيطرة الحزب الحاكم (المباي أو العمل) على لقمة الخبز كاملة ؛ إذ إن الحزب سيطر على الحكومة والجهاز الحكومي ، والنقابات العمالية ، وجهاز الوكالة اليهودية ، ومعامل الهستدروت ومشاريعها الاقتصادية . وأما التردد فقد نتج عن الفُتَات الذي منحته السلطة لمن يسكت . وبخصوص الخجل ؛ فقد تمكن الأشكناز المسيطرون على جهاز الإعلام والتعليم من غسل أدمغة النشء الجديد ... « إن حضارة يهود الإسلام حضارة بدائية ، متخلفة ، همجية .. إن تاريخ هذه الفئة مملوء بالاضطهاد » ؛ بسبب « ظلم العرب والمسلمين » تجاه هؤلاء اليهود . أما الآن ؛ فقد أخذت شجاعتهم تنمو : لا بسبب وثبة الفهود فحسب ، وإنما بسبب تطورات أخرى ـــ أيضاً ـــ قوَّت معنوياتهم .

لقد أصبحت كثرة نسبة يهود الإسلام ـــ مثلاً ـــ من ٣٠٪ عام ١٩٤٨ إلى ٦٥٪ عام ١٩٧١ ،

أصبحت عاملاً فعالاً في هذا المضمار . فهم — أينما كانوا ؛ في الحقل أو في المقهى ... إلخ — أصبحوا يرون أنهم محاطون بأبناء طائفتهم ؛ يسمعون لغتهم العربية ، ويتحسسون تقاليدهم العربية الإسلامية المشتركة ؛ بغض النظر عن بلدانهم العربية المختلفة . ثم أخذوا يدركون أن الحضارة الأمريكية الأشكنازية المفروضة على البلاد هي حضارة تافهة ؛ تدفع بهم إلى الإجرام والدعارة والإفلاس الحضاري والفساد ، وإلى انهيار تقاليدهم العائلية . فاستنتجوا من ذلك أن حضارتهم العربية الإسلامية هي أفضل من حضارة الدولة الصهيونية ؛ فأخذوا يتفاخرون بالحضارة العربية الإسلامية ويحاولون إنعاشها . أما بصدد مكانتهم الدنيا في المجتمع الأشكنازي فقد ذكرتهم بمكانتهم المشرفة في المجتمع العربي الإسلامي : في بغداد والقاهرة وبيروت ودمشق ... إلخ ؛ حيث تمتعوا بحالة اقتصادية جيدة ؛ فأدركوا أن الصهيونية خدعتهم .

وفي الخمسينيات ؛ كان معظمهم مهاجرين من العالم الإسلامي لايفهمون اللغة العبرية ولا سبل الحكم وحِيَله ، وقد آمن بعضهم بالأكذوبة : « إن دولة إسرائيل هي دولة المسيح اليهودي المنتظر ، الذي جاء لإنقاذ اليهود والإنسانية من الظلم ... » . أما في السبعينيات فقد أصبح معظمهم ، ممن ولدوا أو تربوا في إسرائيل ، يعرفون لغة النظام ، وأساليب الحكام ومكرهم وقساوتهم ؛ فأخذوا يستخفون بسذاجة آبائهم وضعفهم وجبنهم ، وصاروا يثورون ضد الحكام الأشكناز .

وهناك سبب آخر : في الخمسينيات ؛ كانت البطالة متفشية في صفوفهم ؛ ترغمهم على الخضوع ، ودولة الرفاهة لم تكن في عالم الوجود . ومن كان عاطلاً عن العمل كاد يموت جوعاً . أما في السبعينيات فقد تحسنت الحالة الاقتصادية ، وانخفضت نسبة البطالة ، وتوسع القطاع الخاص الذي لم يسيطر عليه الحزب الحاكم ؛ فترك الكثير من يهود الإسلام القطاع العام والقطاع الهستدروتي وانضموا إلى القطاع الخاص ، ولاسيما إلى البورجوازية الصغيرة . وهكذا ؛ حرروا أنفسهم من الخوف الدائم من البطالة أو الفصل عن العمل .

من جهة أخرى ؛ استخدمت الحكومة الأشكنازية يهود الإسلام كلحوم لمدافعها في حروبها العدوانية ضد الأمة العربية والإسلامية ؛ فقُتل الكثير من أبناء هذه الطائفة ؛ ولذا أخذوا يتساءلون : لماذا علينا أن نموت من أجل هذه الدولة التي تضطهدنا ؟ لقد عاش آباؤنا وأجدادنا قروناً عديدة مع العرب والمسلمين ؛ ولم تقع أية حرب بينهم وبين المسلمين (عدا معركة واحدة حدثت بين بعض العشائر اليهودية في المدينة والمسلمين في صدر الإسلام) بل كنّا جزءًا لايتجزأ من الأمة الإسلامية ... أما الآن ؛ فمُذْ أقبل هؤلاء الأشكناز الأجانب من بولونيا وروسيا وألمانيا ... إلخ ؛ لا سلام ولا اطمئنان في ربوع الشرق الأوسط ... فإلى متى ندفع بدمائنا ثمن هذه السياسة العدوانية ؛ في خدمة حكومة تعتبرنا مواطنين من الدرجة الثانية ؟ وقد أدّى هذا التفكير إلى التهرب من الخدمة العسكرية الإجبارية . ففي الأحياء الفقيرة ؛ معظم الشبان يرفضون الالتحاق بالقوات المسلحة ، وهناك « ضواحٍ مغلقة » في وجه السلطات العسكرية ؛ أي إن هذه السلطات غير قادرة على التغلغل فيها وإرغام الشبان على الخدمة العسكرية .

ولذلك ؛ أخذت السلطات العسكرية تصف هؤلاء بما تدعوه « النقص الاجتماعي » (بالإضافة إلى « مدمني المخدرات » و « الأميين » و « المجرمين » و « المجانين ») ، وتمنحهم وثيقة تشير إلى أن حاملها قد « أعفي » من الخدمة العسكرية بموجب مادة ٢٤ . ويتباهى هؤلاء الشبان بأنهم ينتمون إلى « فرقة كوماندو ٢٤ » ... أما القلة التي تلتحق بالقوات المسلحة فتعتبر « شاذة » وتصبح هدفاً للهزل والاستهزاء والضحك في الضواحي الفقيرة .

وسأل الصحفي شالوم كوهين (من مجلة هعولام هزّه) أحد الشبان الفارين ــ هل يود أن يلتحق بالقوات العسكرية ؛ فأجاب الشاب : « أنا أخدم في جيشهم ؟! إن هذا مستحيل » (لاحظ الحالة التغريبية : جيشهم لا جيشنا) . وأضاف الشاب : « عندما دعوني للفحص الطبي ؛ حشوت جوفي واستي بالمخدرات ؛ فأحالوني إلى طبيب نفساني ، ثم دمغوني بالمادة ٢٤ ... يجب أن أكون أكثر من مغفل لأبعثر ٣ أعوام من عمري في سبيل لا شيء ... » . ويضيف الصحافي : « إن هذا الشاب يسكن في برديس كاتس ؛ حيث تزيد نسبة المعفيين من الخدمة العسكرية الإلزامية على ٥٠٪ » [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ترجمة فؤاد جديد ، ص ٩٥] .

وفي المجال الحضاري ؛ أخذ يهود الإسلام يعربون علناً عن اعتزازهم بحضارتهم العربية الإسلامية ، وبالشعر العربي والأغاني العربية . وبعد أن كانوا يستمعون إلى محطات الإذاعة العربية بصورة شبة سرية ؛ أخذوا يفتحون هذه المحطات ــ محطات الراديو والتلفزيون ــ جهراً ؛ متحدين استنكار اليهود الأشكناز واشمئزازهم من الموسيقى العربية « البدائية » ــ حسب مزاعمهم . وأخذ يهود الإسلام ينشئون الفرق الموسيقية العربية وفرق الرقص العربي ، وطوروا تجارة « الكاسيتات » و « الفيديو » التي تحمل إلى بيوتهم الأفلام العربية والموسيقى العربية ؛ لأن الإذاعة الإسرائيلية تتغاضى عن حضارة اليهود العرب ، ولا تشمل برامجها إلّا نصف الساعة ــ أسبوعيا ــ يذاع فيه « برنامج الطوائف » أو « أغاني الطوائف » كأن هذه الطوائف هي « أقلية » صغيرة .

وإلى جانب هذا ؛ بدأ نقد البرامج الدراسية ؛ لأنها لا تشمل إلّا حضارة اليهود الأشكناز وتاريخهم وتصور يهود الإسلام وكأنهم بُدائِيُّون ؛ خرجوا من الصحراء حتى وصلوا إلى التمدن الأشكنازي . كما أن البرامج الدراسية تتغاضى عن التراث الحضاري ليهود الإسلام ؛ لأنه جزء من التراث العربي الإسلامي . أما تاريخ فلسطين فإنهم يدرسونه بصورة تخدم الآراء الصهيونية ؛ أي يدرسون تاريخ فلسطين إلى أن سقطت دولة اليهود عام ٧٠ م ثم يقفزون ٢٠٠٠ عام ، ويصفون الاستيطان الصهيوني منذ نهاية القرن التاسع عشر ــ وكأن فلسطين بقيت خالية ٢٠٠٠ عام إلى أن اكتشفها المهاجرون الأشكناز من أوروبا الشرقية ؛ فبادروا بغرس الأشجار فيها ، وجففوا مستنقعاتها ، وحولوها من صحراء قاحلة إلى جنة مزدهرة .

وباشر المثقفون نبش تراث يهود الإسلام ونشره في العالم . ويشهد بهذا التطور حيim زعفراني

قائلا : « غير إننا نشهد في هذه الأيام يقظة ضمير شرقية وسفارادية ... ضمير يدفع إلى الانتماء لطبقة عرقية ولمشهد ثقافي مختلفين عن المجموعات الثقافية والعرقية والعقلية ؛ التي يتكون منها العالم اليهودي ... لقد باشرنا نبش التراث الثقافي لليهودية الموروث من العصر الذهبي للتعايش اليهودي العربي ؛ الذي كان قائماً على أرض إسلامية » [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ترجمة فؤاد جديد ، ص ٣٣] . ويستطرد الأستاذ زعفراني ؛ قائلاً : « إن أعمالنا عن الفكر اليهودي في المغرب الإسلامي قد تحققت ، ومابقي منها فهو في طور التحقيق أو النزوع إليه . إن أعمالنا تشهد ــ وستشهد ــ بعناية على إثبات وجود اليهودية في هذه البلاد في الموضوعات العلمية الممتازة المكتوبة : فكر ، قانون ، شعر ، أدب ، روحانيات ، شروح ، خطب ؛ وفي نقل المعارف الشعبية الشفهية بالإخراج الأدبي ؛ باللهجات العبرية ــ العربية والعبرية والبربرية » [المصدر السابق ، ص ٣٩] .

وأخذ بعض المفكرين من أبناء يهود الإسلام يعتزون بتساهل ديانتهم اليهودية بالمقارنة بديانة الأشكناز ؛ الذين يمتازون بالتعصب والعنف والتهجم على كل من يخالف تعاليمهم المتطرفة (ولا شك أن تساهل يهود الإسلام متأثر بالتساهل الإسلامي) .

يقول شارلي بطون ؛ من زعماء الفهود السود : « صحيح يوجد تناقض طبقي بين يهود الإسلام ... ولكن القاسم المشترك لجميع طبقات هذا المجتمع هو وجود حضارة مشتركة تحاول المؤسسة الحاكمة قمعها » .

ويضيف مساعده : نعيم خلاصجي (جلعادي) ، وهو عراقي الأصل : « إن اليهود العرب ينتمون للحضارة العربية ، ولهم تقاليد مشتركة ، وهم يحترمون المدرس ، ويوقّرون الأب كرئيس العائلة ، ويحترمون الإطار العائلي ، ويحرصون على تربية أطفالهم ، ويحبون المأكولات الشرقية والموسيقى والتراث الشعبي العربي . واليهودي العربي سواء أكان فقيراً أم ثريا ــ يحب موسيقى فريد الأطرش ، أما الاستماع إلى موسيقى فاغنير فهو اصطناعي بالنسبة له ... إن شارلي بطون ورفاقه يعدون ببعث الحضارة الشرقية التي تُقمع الآن وتُدمَّر . إن دولة إسرائيل لايحق لها أن تعيش كدولة غربية ــ أي دولة أجنبية ــ في قلب هذا الشرق » . وأضاف نعيم خلاصجي أنه عندما أراد الدفاع عن اليهود العرب في مخيمات الانتقال ؛ هددته المؤسسة الحاكمة بأنه قد يبقى عاملاً بسيطاً ؛ إذا فعل ذلك . ولكنه أبى إلّا أن يحافظ على صورته الإنسانية ، وعلى حضارته ؛ بصفته عراقيا تابعاً للعالم الآسيوي ــ الإفريقي ؛ مهما كلّف الأمر . وحكى نعيم خلاصجي مايلي : مرة دُعي وزير الشرطة إلى رامات غن ــ وهي مدينة صغيرة قرب تل أبيب ، ٢٥٪ من سكانها عراقيون ــ لبحث الشؤون الخارجية والأمنية . وأرسل بالدعوات إلى جميع العراقيين ، ومن ضمنهم نائب رئيس البلدية ؛ وهو عراقي الأصل أيضاً . وحضر الاجتماع ٦٠٠ شخص منهم ٦ عراقيين فقط ، أما الباقي فكانوا من الأشكناز المتقاعدين . وعندما سأل الوزير عن سبب غياب العراقيين ؛ قيل له إن حفلة غنائية لأم كلثوم نقلها التلفزيون ، وقت انعقاد الاجتماع بالضبط ... وأم كلثوم أهم من وزير الشرطة

الإسرائيلي ؛ لأنها القاسم المشترك لجميع اليهود العرب . وعلل نعيم خلاصجي انتشار الدعارة بين فتيات يهود الإسلام في إسرائيل بتحطيم الحضارة العربية ، وفرض الحضارة الغربية على المجتمع الشرقي . وعبر عن تفاؤله بأن الحضارة الشرقية سوف تنتصر في النهاية برغم الصعوبات . أما بخصوص تعليم التاريخ في المدارس فقد قال إنه بدلاً من تعليم أربعة أسطر عن اليهود في العراق ، وخمسة أسطر عن اليهود في المغرب العربي ؛ سوف يدرس التلاميذ الحقيقة بالتفصيل ، وسوف يدرسون عن الجامعات اليهودية القديمة في العراق ؛ مثل : جامعة سورة وجامعة بمبديته ... إلخ . وأضاف أن القوادين (يعني الأساتذة الأشكناز) يزعمون أن هذه الجامعات كانت دينية فحسب ؛ في حين أنها كانت تعلم العلوم المختلفة [سفيرسكي ، ١٩٨١] .

وفي مجال الغناء ؛ أقام شلومو بار ــ المغربي الأصل ــ فرقة غنائية مشهورة تدعى « فرقة الخيار الطبيعي » . واستقبلت جماهير يهود الإسلام هذه الفرقة بحماس ، وذكرتهم أغانيها بحياتهم في الوطن العربي الإسلامي . ويقول المغني « بار » إن يهود المغرب لم يعانوا من أي اضطهاد في بلادهم الأصلية ، وقد بلغت الأخوة بين المسلمين واليهود إلى درجة أن المسلمين كانوا يزورون قبور أولياء اليهود ويطلبون منهم الشفاعة . وأضاف « بار » أنه يريد تعليم ابنه اللغة العربية ؛ لكي يستطيع أن يتفاهم مع جيرانه الفلسطينيين [زوهديريخ ، ٨٢/٢/٣] .

ومن ضمن الأغاني التي انتشرت في هذه المرحلة عن طريق شُرُط التسجيل ؛ أغاني محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش وأسمهان وناظم الغزالي . ومضى المغني العراقي مراد سلمان بصون ــ يجدد أغانيه وينشرها في الأسواق ، وشرع العراقيون يستمعون إلى أغانيه ، وإلى أغاني ميلو حمامة ؛ والدموع تسيل من أعينهم !

وظهر ــ في هذه الآونة ــ عدد من الأدباء يكتبون الروايات عن حياتهم في البلدان العربية . وبسبب القمع الحضاري ؛ وضعوا هذه الكتب باللغة العبرية ــ غالباً . ومن أشهر هذه الكتب كتاب « بيت في بغداد » للمؤلف إسحق بار موشي ؛ يصف فيه العلاقات الودية التي سادت بين اليهود والمسلمين والمسيحيين بالعراق . ثم نشر الأستاذ : ي . قوجمان كتابه القيم ــ باللغة العربية ــ « الموسيقى الفنية المعاصرة في العراق » . وكان قد نشر من قبل « آكت » في لندن ــ بالعربية أيضا ــ عام ١٩٧٨ . ونشر عزت ساسون معلم ــ ذكريات عائلية في كتابه ــ بالعربية ــ « على ضفاف الفرات » ــ ١٩٨٠ . أما الكاتب نسيم رجوان فقد وضع كتابه عن « يهود العراق » باللغة الإنكليزية بإصدار « ويدينفلت آند نيكلسون » .

ومن أشهر الأدباء الذين صمدوا إلى لغتهم الطبيعية ؛ أي اللغة العربية ــ الأديب سمير نقاش . وفي ١٩٨٦/٦/٢٨ ؛ نشرت مجلة « فلسطين الثورة » مقاله المشهور الذي يعلل فيه صموده إلى اللغة العربية ، ويستنكر اقتلاع جذوره من العراق بشكل تعسفي . وهذا هو نص المقال* :

* نقلته « فلسطين الثورة » عن : مجلة « لقاء » الصادرة عن المعهد اليهودي ــ العربي التابع للهستدروت في ١٩٨٦/٧/٣ .

اللغة هي أهم وسيلة إيصال لدى الإنسان . والإيصال هو مهمة الكاتب الأساسية . فاللغة هي مادته الخام ، وبقدر ما يملك من هذه المادة تكون قوته وطاقته على التعبير . وإذا كانت اللغة ، أية لغة في العالم تعاني من نقص خطير في المفردات التي يمكن أن توصل مايحس به شخص إلى شخص آخر بشكل دقيق وكامل ، الأمر الذي حدا ببعض الفلاسفة إلى التشكي من « إفلاس اللغة » ؛ فإن الأديب في هذه الحالة مرغم على اختيار أفضل وأثرى مالديه من اللغات ليصل إلى قارئه ، وهو المتفاني إلى الوصول إليه بكل مايضمره . وبأقصى ماتمكنه هذه اللغة من الوصول .

والعربية هي لغتي الأولى . درج لساني عليها منذ درج على الكلام ، وطبعت عليها وعشقتها ، وأحس بالشغف العظيم إليها ، وبالحب المقدس لها . وهي إلى جانب هذا وذاك لغة معروفة بجمالها وثرائها . ولو قارناها باللغة العبرية التي ظلت مجمدة آلاف الأعوام ، ثم لم تبعث إلى الحياة والتطور إلا منذ أمد قصير ؛ فإن العربية تزداد جمالا على جمال وثراء فوق ثراء .

لقد طرح علي هذا السؤال : لماذا لم تنتقل للكتابة بالعبرية ؟ ــ بلغات عدة وفي بلدان شتى ، ففهمتُ أو حدستُ أن غاية طارحه تكمن في أحد أمرين ، فإما أنه يريد من وراء سؤاله أن الكتابة بالعربية في إسرائيل وبالظروف الراهنة إنما يكتبها الأديب لنفسه وحسب ؛ بسبب قلة أو انعدام القراء ، وأن التحول إلى العبرية يفتح الأبواب أمام الكاتب وينشر أعماله على أرض أكثر اتساعا ، أو أن السائل يرى في استخدام الأديب اليهودي في إسرائيل اللغة العبرية أمراً بديهيا ، لأنها لغة البلاد . لكنني لا أرى في أي من هذين الاحتمالين نصيباً كبيراً من الصحة ، فبالنسبة للاحتمال الأول ، ثمة ثلاثة ملايين أو أربعة من الناطقين بالعربية ، وإذا كانت الظروف الراهنة تحول دون وصول أدبي إلى تلك الملايين الكثيرة من القراء العرب ؛ فإنني واثق من أن هذه الظروف هي ظروف لا يمكن أن تخلد ، وأنها لابد ستزول عاجلاً أو آجلاً ، ليجد أدبي طريقه إلى جميع أرجاء العالم العربي . هذا فضلاً عن أن الأدب الجيد يترجم إلى اللغات كافة ؛ لأن اللغة كما قلت مجرد وسيلة إيصال ؛ على حين أن الأدب بحد ذاته وكما أراه هو إنساني وشمولي ، ويجب أن يصل الإنسان في أي بلد كان . أما بالنسبة للاحتمال الثاني فلا أرى أن لغة البلاد التي يعيش فيها الكاتب هي اللغة التي يتحتم عليه استخدامها في أدبه ، أو أن على الأديب هنا أن يكتب بالعبرية لمجرد أنه يهودي وفي إسرائيل . فأدب الشوام المهجريين ، الذي أنتج معظمه في أمريكا ، هو أدب عربي رائع ومتميز ، برغم أن كتابه عاشوا في العالم الجديد عشرات السنين ، وهناك في أمريكا أيضا كتاب يهود من أصل أوروبي ما زالوا يكتبون بهذه اللغة ، ولهم رابطة خاصة . فضلا عن كتاب آخرين يكتبون بهذه اللغة ، ولهم رابطة خاصة . فضلا عن كتاب آخرين يكتبون بلغاتهم الأصلية برغم عراقتهم في الإقامة بأمريكا ، وعلى رأس هؤلاء الأديب الكبير الحائز على جائزة نوبل يتسحاك بشيفيس زنيغر ، الذي مازال يكتب باللغة الإيدية ، أما في إسرائيل بالذات ، فهناك أدباء يهود مازالوا يكتبون بهذه اللغة ، ولهم رابطة خاصة . فضلا عن كتاب آخرين يكتبون بلغاتهم الأصلية كالروسية والإنجليزية والألمانية وغيرها . ولقد كان في العراق أدباء وشعراء يهود كانوا من رواد الأدب العراقي الحديث . بل إن باحثين

عراقيين في تطور الأدب والشعر العراقيين المعاصرين خلصوا في دراساتهم وأبحاثهم إلى أن أول قصة عراقية فنية كتبها في أوائل العشرينيات من هذا القرن شاب يهودي هو مراد ميخائيل (الدكتور الشاعر مراد ميخائيل الذي توفي مؤخرا في إسرائيل) . وقد واصل هؤلاء الأدباء والشعراء من يهود العراق الكتابة بالعربية في إسرائيل ، كامتداد لما أنتجوه في العراق . لكن ثمة من قال وسيقول :

« لكنك تختلف عن هؤلاء ، فلقد جئت إلى إسرائيل وعمرك لايتجاوز الثانية عشرة ، فكيف بقيت متمسكاً بالعربية برغم مغادرتك العراق في تلك السن المبكرة ، وكيف استطعت التمكن من هذه اللغة ومن اللهجات العراقية بتفاصيلها ؟ » ، بل وهناك من دعاني « ظاهرة » ، وحاول استجلاء أسرار هذه « الظاهرة » . وفي الحقيقة — وبرغم عجزي عن إعطاء التفسير الكامل لهذا — فإنني واع ببعض أسبابه ودوافعه ، وهي أسباب ودوافع نفسية بالدرجة الأولى ، قد تأخذ بالبعض إلى اعتبارها عُقداً أكثر مما هي أسباب ودوافع .

قلت قبل سنوات ، مُفسراً عدم انتمائي : إن ذلك راجع إلى اقتلاع جذوري من العراق بشكل تعسفي ، وإلى وقوف ظروف واعتبارت هنا حالت دون إعادة شتل هذه الجذور وتأقلمها في إسرائيل . وفي الواقع ، فإن هذا التحول الحاد الذي مر بي وبأسرتي خلال هذه الهجرة كان بمثابة الكارثة : لقد انقطعت وعلى حين غرة ، حياة كريمة مطمئنة وخطط مستقبلية واثقة ، لتحل محل ذلك كله حياة ذليلة في الخيام ، وتحت رحمة العواصف والفيضانات ، ثم لم ألبث وسط هذا التحول الرهيب أن فقدت أبي الذي كان لي الصديق والمرشد والمثل الأعلى ، ومن الغريب أنني بعد أكثر من ثلاثين عاماً ، أمضيت معظمها في هذا البلد ، مازالت لا أعثر على أبسط حقوق الإنسان ؛ كالعمل مثلاً .

إن كل هذا زاد من تعلقي بالماضي وحنيني وهروبي إليه ، كما ضاعف من عشقي للغة العربية ، إلى درجة جعلتني أستوعب كل كلمة فصحى أو عامية عراقية ، كنت أسمعها بالصدفة . وبالمقابل — حال دون تأقلمي في هذه البلاد وتسبب في إعراضي عن كل ماهو « إسرائيلي » ، أنني — ككثير من يهود العراق — مازالت أعتبر نفسي عراقيا ، وهذه حقيقة ، مهما حاول البعض التنكر لها . ودوافعي واعتباراتي نابعة من هذه الحقيقة التي تعكسها أعمالي الأدبية بألوان حادة صارخة . وهكذا نرى أن أسباب عدم انتقالي إلى العبرية هي أسباب كثيرة ومعقدة [انتهى المقال].

إنشاء منظمات نضالية أخرى :

منذ زمن الانتداب البريطاني ؛ كان كل حزب صهيوني أشكنازي يقيم فرعاً خاصاً ليهود الإسلام ؛ أي مكتباً لإدارة شؤونهم في الحزب . والواقع أن مهمة هذا المكتب كانت شراء أصوات الطائفة في الانتخابات البرلمانية والمحلية . وكان عملاء الأحزاب يتلقون أجوراً خاصة مقابل نشاطاتهم ؛ التي كانت مبنية على الرشوة والإرغاء والتهديد والمحسوبية . ولاتزال الأحزاب الصهيونية

تستخدم الأساليب نفسها إلى يومنا هذا ... يقول الزميل نعيم خلاصجي ؛ من زعماء الفهود السود ـــ إنه دُعي عام ١٩٥١ إلى تل أبيب ؛ لتحرير جريدة « المرصاد » العربية الناطقة باسم حزب المبام الصهيوني اليساري ؛ فأرسلوه إلى مركز الحزب . وهناك طلبوا إليه أن يتوجه إلى غرفة رقم ٨ ، وعندما وصل هناك ؛ رأي مراحيض وإلى جانبها غرفة مكتوب على بابها « دائرة الطوائف الشرقية واليمنيين » ؛ وإلى جوارها غرفة مكتوب على بابها « القسم العربي » ؛ فَصُعِق « نعيم » ، وسأل : « ماهذا ؟ نيغروس ديبارتمنت (قسم الزنوج) ؟ » ودعوه إلى دخول الغرفة ، ولكنه لم يقدر على ذلك ، وأجاب : « لا ؛ أنا رائح للبيت ، لقد أصابني الإسْهَال ؛ نشوف غداً » . ويصف الأخ نعيم اجتماعاً ليهود الإسلام داخل مبام ؛ تحت شعار الحزب : « من أجل الاشتراكية والصهيونية وإخاء الشعوب » !... وهناك ألقى زعماء الحزب الأشكناز محاضرات مطولة إلى أن داخ رأسه ؛ فطلب أن يتكلم ؛ فأسكتوه واستَهْشوه ، ثم سمحوا له بالتحدث لمدة خمس دقائق ، وطلب الأخ نعيم إلى رئيس الحزب : مئير يعري : « نحن لانريد قسماً خاصاً للطوائف الشرقية واليمنيين ، لا نريد نيغروس ديبارتمنت » ؛ فرفض مئير يعري هذا الطلب ، وقال إن هذا القسم لصالح اليهود العرب ؛ فرمى الأخ نعيم بطاقة الحزب ، وترك الاجتماع . ولم يُلغَ القسم الشرقي إلّا بعد ١٠ سنوات من هذا التاريخ . ويقول الأخ نعيم : « إن نزاعي مع هؤلاء القوادين ليس جديداً ؛ أنا أعرف أساليبهم منذ زمن طويل . وفي حزب المباي (العمل) أيضاً ؛ كان هناك قسم خاص باليهود العرب ـــ بجانب المراحيض أيضاً ـــ ولكن رقم الغرفة لم يكن ٨ » [سفيرسكي ، ١٩٨١] .

وبشأن عملاء الأحزاب الأشكنازية في المجتمع الشرقي ؛ كتب السيد عزرا سوفير في جريدة هآرتس (٨١/٥/٢٢) ـــ قائلاً : في الماضي كان الناس يتباهون بخيولهم الأصيلة ، والآن يتنافس زعماء الأحزاب في جذب يهود الإسلام إليهم ؛ فمناحيم بيغن جذب إلى جانبه داؤد ليفي ، وموشي ديان يستخدم ابن بورات ، وشمعون بيرس يستعمل شوشنه اربيلي . وعن قريب سوف يصرخون : إن الزنجي « تبعي » أقوى من الزنجي « تبعك » ؛ فهو يستطيع أن يرميك بالطماطم من مسافة بعيدة ! ثم يتساءل الكاتب عن التمثيل الحقيقي ليهود الإسلام في الحكومة والجامعات ووزارة الخارجية والوكالة اليهودية .... إلخ .

وصرح الأخ سعديا مرصيانو ؛ من زعماء الفهود السود ـــ بأنه يحتقر هؤلاء العملاء الأنذال الذين يعملون من أجل مصالحهم الشخصية ، واتهمهم بجزء كبير من المسؤولية عن معاناة طائفتهم . واتهم المثقفين من اليهود العرب بأنهم لايهتمون إلّا بمشاكلهم [سفيرسكي ، ١٩٨١] .

والحقيقة أن موقف المثقفين ـــ الذي أشار إليه « مرصيانو » ـــ لا يمثل خيانة وإنما خوفاً ؛ لأن الضغوط الواقعة عليهم هي أقسى بكثير من الضغوط على « الهامشيين » . غير إن جبرائيل بن سمحون (مغربي الأصل) كان أشجع من الآخرين ؛ عندما صرح لمراسلة جريدة هآرتس (٨٠/٥/٢٨) ـــ قائلاً : « إن يهود الإسلام يدركون أنه يجب عليهم أن يؤلّفوا قوة مضادة للقوة التي لاتمثلهم ... قوة منظمة ومستعدة للحرب ... قوة من شأنها أن تكون تابعة لك فحسب »

(راجع ملخص حواره مع المراسلة في الفصل السابع) .

لقد أعقب قيام منظمة الفهود السود تنظيم شبان يهود الإسلام لمنظمات نضالية أخرى ؛ تقوم بتحسين أحوال الطائفة بواسطة العمل الإيجابي الفعال ، لا بواسطة الانتفاضات الشعبية . وتتميز هذه المنظمات ـــ أيضاً ـــ بأنها تعمل من أجل مقاومة العنصرية ، وتأييد حقوق الشعب العربي الفلسطيني . ولاشك أن المخابرات الإسرائيلية تحاول أن تندس في هذه المنظمات ؛ بغية توجيهها لصالح المؤسسة الحاكمة . غير إن الأبواب مفتوحة لأبناء الشعب العربي الفلسطيني ـــ ومن زرع حصد . ومن أهم هذه المنظمات : حركة « عوديد » ، ومنظمة « اوهليم » (خيام) ، ومنظمة « ايله » ، ومنظمة « شاحق » ، ومنظمة « الشرق إلى السلام » ، ولجنة الحوار ، وحزب « تامي » .

حركة عوديد :

ولدت هذه الحركة في الجامعات الإسرائيلية . وهي تؤمن بالعمل الإيجابي البناء من أجل تحسين أحوال الطائفة ؛ كمساعدة الطلاب والتلاميذ الضعفاء في دروسهم . كما تهدف إلى رفع مستوى الوعي الاجتماعي واستقلالية نشاطات يهود الإسلام ؛ لكي يعتمدوا على أنفسهم في إيجاد حلول لمشاكلهم ؛ بدلاً من انتظار اليهودي الأشكنازي التقدمي حتى يأتي ويساعدهم أو يؤيد أعمالهم .

ولاشك أن المستوطنين الأشكناز كانوا قد غرسوا عقدة النقص في قلوب يهود الإسلام ؛ من أجل إضعاف معنوياتهم والسيطرة عليهم . ويؤكد رجال حركة عوديد أنه من أجل التحرر من هذه العقدة ؛ عليهم أن يقوموا بأعمال إيجابية استقلالية لمساعدة الطائفة ؛ ليبرهنوا لأنفسهم على أنهم قد تحرروا من هذا الاستعمار النفساني ، وعلى أنهم قادرون على النجاح في مجتمع حديث وبصورة مستقلة .

وفيما يتعلق بخدمة الفرد لمجتمعه ؛ فقد تمتع يهود الإسلام بالحكم الذاتي ضمن الإمبراطورية العربية والإسلامية والعثمانية . وبذلك كان من حق ومن واجب الفرد أن يخدم مجتمعه الطائفي . أما في دولة إسرائيل فقد تحطم هذا الحكم الذاتي ، وقيل لكل من أراد العمل من أجل طائفته : « اترك هذا للحكومة أو للوكالة اليهودية » ، أو « أنت طائفي ؛ أنت تحاول تمزيق وحده الأمة الواحدة » . لذلك ؛ تُركت طائفة يهود الإسلام ـــ ولاسيما الفقراء ـــ لرحمة المتحكمين : اليهود الأشكناز الصهاينة . وعندما ساءت الأحوال ؛ أخذ يهود الإسلام يستنكرون الحكومة والوكالة اليهودية ، ويطالبون بكذا وكذا . ولكنهم لم يعملوا أي شيء إيجابيّ ؛ لأن دولة إسرائيل أنستهم كيفية العمل من أجل المجتمع ، وغرست في عقولهم ـــ عن طريق الإعلام ـــ أنهم (وكذلك العرب عامة) غير قادرين على العمل الاجتماعي ، وعلى التعاون الاجتماعي ؛ لأنهم يعانون من الفردية والفساد الذي ساد في العهد العثماني . وهذه ـــ بالطبع ـــ آراء عنصرية لاتخدم إلّا الحكم الاستعماري . وحركة عوديد

حاولت تحرير يهود الإسلام من هذه العقدة بواسطة التحرر الذاتي والعمل الاستقلالي .

من هنا شجعت حركة « عوديد » التعاون المشترك والمتبادل في مساعدة الطلاب الضعفاء ، وفي تنظيم إجازة الصيف لأبناء الطائفة ، وتنظيم دروس تمهيدية للطلاب الجدد ، وشجعت أيضا العمل السياسي في الجامعات . وانتشرت هذه النشاطات في جميع أنحاء البلاد .

وقد قابلت السلطات الاستعمارية الصهيونية هذه الحركة بالتحيز ثم بالعداء لسببين ؛ أولهما : لأن الحركة تشدد على رفع مستوى الوعي الاجتماعي واستقلالية العمل ، وثانيهما : لأن الحركة اتهمت بـ « العمل السياسي » . ولذلك ؛ قطعت المساعدات المالية الحكومية عنها .

وتعترف الحركة بأن نشاطاتها « تأتي من فوق » ؛ وهي عبارة عن « علاج » يقدمه المثقفون إلى الجماهير المسحوقة ، وبأن حال هذه الجماهير قد بلغت درجة من الخطورة تحتم على المنظمة أن تحضرّ كل شيء من أجل « زبائنها » . إلّا أن المنظمة تأمل أن تساعد بعض هؤلاء « الزبائن » على النهوض والوصول إلى المؤسسة الحاكمة ؛ بغية تغيير سياساتها تجاه هذا المجتمع المسحوق ، بواسطة استخدام الضغوط الأخلاقية ، وبواسطة إثارة المقاومة : لاضد المجتمع الاستيطاني الأشكنازي ، وإنما ضد الأوضاع الحياتية والفكرية ... إلخ .

إذن فنقاط الضعف في هذه الحركة واضحة تماماً ، ويمكن إيجازها كالتالي :

١ ــ الاعتماد على التمويل الحكومي يؤدي إلى تحطيم الحركة وتماشاء الحكومة . فالمؤسسة الحاكمة هي التي خلقت هذه التركيبة الاجتماعية ، ولذا ؛ فإن من السذاجة طلب مساعداتها في تغيير هذه التركيبة .

٢ ــ الموقف الأبوي تجاه الجماهير : فلو آمنت حركة عوديد بالعمل الاستقلالي لكان من المحتم عليها أن تنضم إلى حركة الفهود السود ، وأن تعمل « من تحت » لا « من فوق » . ووحدة المناضلين المثقفين مع المناضلين في الطبقة العاملة يجب أن تكون الجواب على المشكلة .

٣ ــ إذا كان يهود الإسلام ضحية النظام الصهيوني أي دولة إسرائيل ؛ فلماذا تتمسك الحركة تبدأ تأييد الصهيونية ودولة إسرائيل ؟ وهذه النقطة تذكرنا بموقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي يقول : « نحن نعارض الصهيونية ، ولكننا نؤيد دولة إسرائيل » . بالرغم من أن دولة إسرائيل ؛ بمؤسساتها وسياساتها وأعمالها ــ ليست إلّا تجسيما حقيقيا للصهيونية .

لقد برهن رجال « عوديد » على سذاجتهم السياسية عندما انضموا إلى « مبام » لمدة سنتين . وانتهى هذا « الزواج » بفشل كامل ؛ لأن « مبام » هو حزب صهيوني أشكنازي استيطاني ؛ تستغل كيبوتساته يهود الإسلام . لقد أراد الحزب استخدام « عوديد » كرأس جسر للسيطرة على هذه الطائفة ، ولاسيما لكسب أصواتها في الانتخابات ، ولكنه رفض منح وظائف مهمة لرجال « عوديد » في المؤسسات الحزبية القيادية . وعندما أصرَّ رجال « عوديد » على أن مثل هذه الوظائف

قد تساعد الطائفة كلها على تحسين أحوالها في السلم الاجتماعي ؛ بدأ الحزب يماطلهم ، ثم أخذ يحاربهم بواسطة استجلاب أعضاء غير معروفين للتصويت ضدهم في الاجتماعات الحزبية ؛ مما أدى ــ أخيراً ــ إلى تركهم للحزب . ويقول رجال « عوديد » ــ مؤخراً ــ إن كيبوتسات مبام لم تبالِ قط بمشاكل يهود الإسلام في مدن « التنمية » .

وثمة سبب « سيكولوجي » ــ أيضاً ــ لفشل هذا « الزواج » بين هؤلاء المغاربة ومبام : إن أشكناز المبام ــ ولاسيما أعضاء الكيبوتسات « هشومير هتساعير » ــ هم أكثر الأشكناز غطرسة . إنهم يشكلون فئة سياسية واجتماعية وعرقية « مغلقة » ؛ تؤمن بأنها صفوة الصفوة من الناحية الأيديولوجية ، الاشتراكية ، الصهيونية ، الماركسية ، الطلائعية ... إلخ . وتؤمن بأن اشتراكيتها هي أكمل اشتراكية عرفتها الإنسانية ، وبأن يهود الإسلام مازالوا يعيشون في عصر البُداءَة ، وهم الذين قالوا لهؤلاء المغاربة : « انزلوا من الأشجار وجسموا ــ أولاً ــ قيمة العمل » ؛ أي إنهم آمنوا بأن الشعوب العربية والإسلامية مازالت تعيش على الأشجار في الدِّغال ؛ ولاتعرف قيمة فلاحة الأرض . وأنا* ــ **ابن الوطن العربي الإسلامي ــ لم أرَ أي أدغال في هذا البلد ، وحسب معرفتي للتاريخ ؛ فقد كان المصري أو العراقي أول من فلح الأرض ، وكان ذلك منذ آلاف السنين قبل أن يسلم ويستعرب ، ثم يعلم الأوروبيين فنون الزراعة والصناعة . والغريب في الساحة الصهيونية هو أن اليهودي الأشكنازي كلما كان أكثر يسارية كلما قويت غطرسته تجاه سكان الشرق الأوسط** (وهذا لاينطبق على الشواذ ، ومنهم خليا لنغر) . ونحن لا نتكلم هنا عن السياسة ، بل عن **العلاقات الإنسانية** البسيطة والآراء المسبقة . وهذا هو أحد أسرار جاذبية اليمين بالنسبة ليهود الإسلام .

وعلى كل حال ؛ فإن حركة « عوديد » فشلت في رسالتها ؛ لأنها سعت إلى تغيير التركيبة الاجتماعية بمساعدة المؤسسة الحاكمة أو بمساعدة حزب المبام ؛ كجزء لا يتجزأ من المؤسسة الصهيونية الكولونيالية .

وتزعُم شيلي يحيموفيتش أن حركة « عوديد » فشلت في مساعدتها ليهود الإسلام المسحوقين ؛ لأنها حركة بورجوازية ؛ تتألف من ذوي الشهادات العالية أو الأغنياء المغاربة . وأنا (الكاتب) أوافق على هذا ؛ إذ إن البورجوازية الوطنية في العالم الثالث احتازت انتصارات باهرة في نضالها ضد الإمبريالية . ولو تحالف البورجوازيون المغاربة في حركة « عوديد » مع المنظمات النضالية كمنظمة الفهود ؛ بدلاً من تحالفهم مع المؤسسة الحاكمة ؛ لانتصروا مثلما انتصر البورجوازيون الوطنيون في حركة التحرر الوطني في العالم . لاحظ البورجوازية الفلسطينية ... لاحظ نضال المثقفين الفلسطينيين !

وإذا قورنت « عوديد » بمنظمة الفهود السود فسوف يظهر فرق كبير ؛ فحركة « عوديد »

---

* الكاتب .

فكرت أن منح ثقافة ليهود الإسلام سوف يحل مشكلة الفجوة الاجتماعية ، على حين أن الفهود آمنوا بالحل الثوري الجذري . ويشرح شارلي بيطون ؛ زعيم الفهود ــ هذه النقطة بقوله : « إن حركة عوديد عملت كجزء من المؤسسة الحاكمة لكن الفهود يعملون لتغيير اجتماعي ثوري . لاشك أن طريقتنا كانت صحيحة ، أما هم فقد قبضوا رواتبهم من أيدي النظام » . وتعترف الزميلة ف . عزران من زعماء « عوديد » ــ سابقاً : « أن إسهام الفهود في الثورة الاجتماعية كان غير عادي » .

وخلاصة القول ؛ أن ثمة نتيجة إيجابية لحركة « عوديد » ؛ وهي الدرس الذي تعلمه أعضاؤها من طلب مساعدة النظام الصهيوني الحاكم ، وهذا الدرس هو **مرحلة ضرورية في تطور وعي يهود الإسلام بالنسبة للصهيونية** [عل همشمار ، حوتام ، ٨٦/٧/٤ و٨٦/٧/١١ ــ وزوهديريخ ، ١٩٨٦/٧/٣٠] .

ولقد سار اشير عيدان (تونسي الأصل ــ جامعة تل أبيب) ورفاقه في طريق منظمة « عوديد » ، وأخذوا ينظمون الدورات السريعة لتدريب أبناء الطائفة على العمل القيادي البناء . وموّلت المنظمة الصهيونية فعالياتهم ، ولكن عندما اشتدت سواعدهم ؛ فُصلوا عن وظائفهم وانتهت الفعاليات .سذاجة !

منظمة اوهليم (خِيَام) :

وإلى جانب منظمة « عوديد » الجامعية ، أقام اليهود الإسلاميون في الأحياء الفقيرة منظمات أخرى ؛ أهمها منظمة « اوهليم » ، أي « خيام » . والاسم يذكر الجمهور بالمخيمات المأساوية التي سكنها يهود العالم العربي والإسلامي ؛ الذين استجلبوا إلى فلسطين بعد ١٩٤٨ . **وفي تاريخ ١٩٧٩/٦/١٦ ؛ أعلنت هذه المنظمة « إنهاء « الانتداب » الأشكنازي الاستيطاني على فلسطين ، وتأسيس مجلس الخيام للأحياء الفقيرة ؛ من أجل تنفيذ ميثاق الاستقلال » ، الذي يحتوي على مبادىء الحركة بخصوص المساواة التامة بين السكان . وفي بداية هذا التصريح ؛ تذكر المنظمة أن « ميثاق الاستقلال لدولة إسرائيل المؤرخ ١٩٤٨/٥/١٤ ، وعدت فيه الدولة بأن تطوير البلاد سيكون « لمصلحة جميع سكانها بغض النظر عن الدين والعرق ... إلخ » ، وبأنها ستكون « مبنية على مبادىء الحق والحرية والسلام » ، وبأنها سوف « تحقق المساواة الاجتماعية » .. إلخ » (غير إن البرلمان الإسرائيلي لم يحول ــ إلى يومنا هذا ــ الميثاق إلى قانون من قوانين البلاد) .**

ثم تتهم المنظمة حكام إسرائيل بإهمال « ميثاق الاستقلال » ... وبدلاً من إقامة دولة ديمقراطية مبنية على المساواة قسموا الشعب إلى قسمين ، « وحكموا علينا أن نكون حطابي خشب وسقاة ماء » (أي فرضوا الأعمال الشاقة والرخيصة على اليهود العرب) . ويمضي أصحاب التصريح قائلين : « وحبستمونا في غيتوات الأحياء الفقيرة وفي أقفاص الأبراج السكنية ، وشوهتم صورتنا

الإنسانية في إطار الأحوال السكنية المكتظّة ، وأردتم أن نكون كالظل وراءكم ؛ بدون أي تعبير ذاتي وبدون أية ميزة حضارية أصلية ، وصنعتم كل شيء من أجل إبعادنا عن الاشتراك في صنع القرارات السياسية ، وفي المواضيع المركزية التي تخصّ شروط معيشتنا ، وخلقتم الظروف لبؤر الإجرام ولتحويل أبنائنا إلى سجناء » . ثم يتوجه أصحاب التصريح إلى حكومة الليكود قائلين : « وبما أنكم خدعتمونا بعد أن وعدتم الأحياء الفقيرة بإصلاح ماشوهته حكومات إسرائيل في المجتمع ـــ منذ قيام الدولة ـــ ثم أضفتم خلال العامين الماضيين إخفاقات أخرى ، لذلك ؛ قررنا نحن شباب خيام الأحياء الفقيرة بالقدس والجيل الثاني في غيتوات الأحياء الفقيرة ؛ قررنا إنهاء هذه الحالة ، والشروع في **النضال من أجل تكوين مجتمع جديد** . واليوم (١٦/٦/١٩٧٩) ؛ نحن نعلن إنهاء الانتداب المخزي والمجحف الذي مارس التمييز ضد ٦٠٪ من سكان البلاد . ولهذا الهدف ؛ أقمنا مجلس خيام الأحياء الفقيرة ، ووضعنا ميثاق الاستقلال لمعسكر خيام الأحياء الفقيرة . نحن ـــ سكان الأحياء الفقيرة ـــ لن نسكت إلى أن يتحول هذا الميثاق إلى جزء لايتجزأ من القانون الأساسي في الدولة ... » . وينص هذا الميثاق على مايلي : « نحن ـــ شبان خيام الأحياء الفقيرة ـــ ندعو إلى بناء مجتمع جديد يهدف إلى :

١ ـــ ثورة في المجال الثقافي والحضاري من شأنها أن تحرر أولادنا وعائلاتنا من العبودية .

٢ ـــ تغيير في مجال الإسكان من شأنه أن يتيح لكل عائلة شروطاً سكنية إنسانية وإمكانية تطور ثقافي وصحي ملائم .

٣ ـــ توافر الخدمات الصحية المجانية .

٤ ـــ الاعتراف بحقوقنا المتساوية بشأن البت في سياسة خدمات الرفاهة : محتوياتها وأهدافها .

٥ ـــ إن الخروج من أسوار غيتوات الأحياء الفقيرة يجب أن يقترن بتطوير هويتنا الحضارية الأصلية (أي الاعتراف بالهوية العربية الإسلامية لهذا المجتمع ، وتطوير حضارته الأصلية بدلاً من طمسها) .

٦ ـــ مدّ يد المعونة للذين سقطوا ضحية الإجحاف ؛ بغية إرجاعهم إلى المجتمع .

٧ ـــ إيجاد شروط معيشية لائقة للإنسان الكادح والطفل والعجوز والمتقاعد والمريض .

ويرفض معسكر خيام الأحياء الفقيرة ـــ بشدة ـــ فكرة جمع التبرعات للأحياء الفقيرة ، ويدعو إلى إيقاف تكديس الأموال على حساب الأحياء الفقيرة . نحن نهدف إلى إقامة مجتمع مبني على المساواة بدون فجوة اجتماعية ، ونطالب بأن نكون في مركز الإصلاح الاجتماعي الذي سوف يُنفذ حالاً ؛ بقيادة مجلس خيام الأحياء الفقيرة . القدس في ١٦/٦/١٩٧٩ . التوقيع : أعضاء المجلس » .

ومن الجدير بالذكر ؛ أن الفقرة السابقة من الميثاق تشمل الشعب العربي الفلسطيني ، غير إن المنظمة لاتعتني بالمشاكل السياسية وإنما تشدد على الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية ؛ ولاسيما في الأحياء الفقيرة .

وفي ١٩٨٤ ؛ انضمت منظمة « خيام » ، بقيادة «يمين سويسا » إلى حزب العمل . وبالرغم من أن سكان الأحياء الفقيرة يشكلون ٢٢٪ من سكان البلد ؛ لم تمنح للمنظمة إلّا ثلاثة مقاعد في مكتب الحزب ، في مقابل ١٢ مقعداً للكيبوتسات التي تمثل ٣٪ فقط من سكان البلد . ويقول سويسا إن السلام مع الشعب العربي الفلسطيني ، وتحرير الأراضي العربية المحتلة ، وصرف الأموال على المسحوقين بدلاً من شن الحروب وإقامة المستوطنات ـــ كانت الأسباب الرئيسية التي دعته إلى الانضمام إلى حزب العمل ؛ إذ إنه يؤمن بأن بيرس ؛ زعيم حزب العمل ، يهدف إلى السلام الحقيقي . ويشدد سويسا على أن « الاحتلال لا يسبب الفساد فقط ... بل إنه العامل المركزي للأوضاع الحالية في الحارات الفقيرة » [هآرتس ، ٨٧/٦/٥] . وهو شخصيا ـــ يود أن يكون نائباً في الكنيست [المصدر السابق] .

تطوير الكفاح الجماهيري :

وإلى جانب النضال « الإيجابي » الذي قام به أبناء الطبقة المتوسطة ومنظمة « عوديد » ؛ طورت الطبقات الفقيرة بقيادة الفهود واوهليم (خيام) وشاحق وايله ـــ أساليب كفاحية أخرى ؛ تحدياً للسلطات الصهيونية ، منها إقامة مخيمات على الأراضي العامة في إسرائيل ٤٨ نفسها ؛ لإسكان العائلات الشابة التي لامساكن لها ومازالت تسكن مع « الحَمُولة » . وكان هدف هذه العمليات ، ليس الإقامة الدائمة في هذه الخيام ، وإنما الاحتجاج على السياسة الاستيطانية الصهيونية التي تصرف البلايين على المستوطنات الأشكنازية في الضفة الغربية وقطاع غزة ؛ على حساب الخدمات الاجتماعية في داخل إسرائيل . وأدت هذه النشاطات إلى اصطدامات دموية بين هؤلاء الشباب وقوات الشرطة ، انتهت بتهديم المخيمات وباعتقالات واسعة النطاق .

ومن هذه المخيمات ؛ مخيم اوهل موديه الذي أقيم في حزيران ١٩٨٠ ، وهو يحمل اسم إحدى المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية [التايمز ، ٨٠/٦/١٧] . وفي الشهر نفسه أنشىء مخيم « مدينة الخيام » في نحلات يهودا في مركز البلاد ؛ فهرعت إلى محل الحادث قوات كبيرة من الشرطة وحرس الحدود ، وبعد معركة دامية ؛ هُدم المخيم ، وَجُرح عدد كبير من يهود الإسلام المقاتلين ، ثم جرت ـــ كالمعتاد ـــ حملة اعتقالات تعسفية [هآرتس ، ١٩٨٠/٦/٢٧] .

وفي تموز ١٩٨٠ ؛ احتل يهودي عربي من سكان الحي الفقير نيفيه اليعيزر ومنطقة (ج) في يافا ؛ احتلوا الشقق السكنية الفارغة في حي هدار يوسيف بتل أبيب . وكان شعار المكافحين « تُصرف الأموال على الأحياء الفقيرة لا على المستوطنات في الأراضي المحتلة » . وأدت المعركة مع حرس الحدود إلى جرح أربع نساء [زو هديرخ ، ١٩٨٠/٧/١٦] .

وكتبت جريدة هآرتس (٨٠/٨/١) إن ٢٠٠ عائلة من أبناء يهود الإسلام تقوم ببناء مخيّم قرب المجلس المحلي في « مِبَسيريت صيون » . وحذر رئيس المجلس المحلي : الياس مويال ـــ من أن الفجوة

الاجتماعية بين الأشكناز ويهود الإسلام قد تؤدي إلى انفجار اجتماعي ، ثم ندد بوزارة الإسكان ؛ بسبب عدم بناء أية شقة سكنية خلال خمسة الأعوام الأخيرة .

وقالت جريدة هآرتس (٨٠/٧/٤) إن ٣٠ عائلة أقامت ٢٠ خيمة في بلدة « يهود » ، قرب بيتح تكفا — أضافت الجريدة أن ٨٥٪ من هذه العائلات كانت تسكن حتى الآن مع عائلات الزوج أو الزوجة — وقد هرعت قوات الأمن وحرس الحدود إلى محل الحادث وهدمت المخيم . **ومن الجدير بالذكر ؛ أن حرس الحدود المعروف بقساوته ووحشيته لايستخدم إلّا ضد الفلسطينيين ويهود الإسلام .**

وكانت الوسيلة الكفاحية الثانية هي بناء غرف إضافية بدون ترخيص . واستخدم هذه الوسيلة الفلسطينيون ويهود الإسلام ؛ لتسهيل الضائقة السكنية . فبعد أن تزوج الأبناء والبنات بدون مأوى خاص بهم ؛ قرروا إصلاح بيوتهم القديمة وبناء غرف إضافية ، إلّا أن الحكومة رفضت منح الترخيص . وسعت البلديات التي يسيطر عليها اليهود الأشكناز إلى تهديم هذه السوت الفقيرة وبيع الأراضي للشركات الاحتكارية ؛ لبناء عمارات وقصور للأشكناز . وكثيراً ما تقع هذه الأحياء في وسط المدن الكبرى ، لذلك ؛ ارتفعت قيمة هذه الأراضي وبلغت الملايين . وثمة سبب آخر يدعو الحكومة إلى تهديم هذه الأحياء ؛ وهو أن معظم هذه الأحياء والمنازل تابعة للفلسطينيين المشردين ، والسلطات الصهيونية تهدف إلى محو جميع الآثار الفلسطينية في البلاد . وعلق موشي سميلانسكي على هذه الظاهرة المعروفة بقوله : إن المؤسسة الحاكمة تحاول تهديم كل ما بناه الشعب الفلسطيني في هذا البلد ؛ حتي « تبرهن » للعالم على أن فلسطين كانت صحراء قاحلة ، وكل مابُني فيها نتج عن مساعي الاستيطان الصهيوني .

وفي بعض الأحيان ؛ تغاضت السلطات عن تحدي يهود الإسلام والشعب الفلسطيني ، ولكنها لأسباب إرهابية ؛ قامت بتهديم قسم من هذه الغرف الإضافية . وفي معظم المرات التي حدث فيها ذلك ؛ جرت اصطدامات دموية بين السكان وقوات الشرطة وحرس الحدود ، انتهت باعتقالات عديدة .

ومما يثير غضب يهود الإسلام التمييز العنصري في عمليات التهديم ؛ لأن السلطات لا تهدم مايبنيه اليهود الأشكناز في شمال تل أبيب ؛ بدون ترخيص .

وكتبت جريدة هآرتس في ١٩٨٠/٦/٩ ؛ تقول : إن السلطات هدمت بيت عائلة مونداني في حولون ، بالرغم من أن العائلة كانت قد اشترت البيت ودفعت ثمنه . وكانت حجة الحكومة أن الأرض ملك الدولة ؛ ثمَّ أصبحت هذه العائلة مع أطفالها الاثني عشر بدون مأوًى .

وفي قرية سيغيب في الجليل ؛ دمرت السلطات ٦ منازل تابعة لمئير ازولاي ، وشمعون بونابارتي ، ويهود عرب آخرين . وصرخ هؤلاء الضحايا في وجوه الحكام قائلين : « أنتم تسوون لنا ماسوّى لكم النازيون » . وتضيف جريدة هآرتس (٨٠/١٢/١٢) إن الحكومة تُفرغ القرية من سكانها

السفاراديم ؛ أي اليهود العرب ؛ بغية إنشاء مستوطنة لليهود الأشكناز سوف تدعى « موشاب عصمون » . وبعد ساعتين من هذا الحادث ؛ هاجمت قوات البوليس وحرس الحدود القرية العربية الفلسطينية « عرّابة » ، وهدمت معملاً تابعاً للسيد توفيق شلش والسيد عثمان عسلي ؛ لأن المعمل كان قد بُني بدون ترخيص . **وفي اليوم نفسه ؛ وصل إلى إسرائيل وزير المالية في حكومة جنوب إفريقيا ، وألقى كلمة في التلفزيون أكد فيها التشابه بين إسرائيل وجنوب إفريقيا** [المصدر السابق] .

وفي ٨٣/١٢/٢٣ ؛ قامت قوات الشرطة باستفزاز فظيع في كفر شاليم بتل أبيب ؛ عندما هدّمت الغرفة الإضافية التي بناها شمعون يهوشوع ، اليمني الأصل ؛ ليتزوج فيها . وعندما حاول هذا الشاب التصدي للبوليس ؛ أطلقوا عليه النار فأردوه قتيلاً . **وكان لهذا الشاب اليمني صديق فلسطيني ، ساعده على بناء هذه الغرفة** . وفي يوم الحادث ؛ تمكن أبوه من الحصول على طلب المحكمة الخاصة ؛ بشأن تأجيل عملية الهدم ؛ إلّا أن البوليس تغاضى عن أمر المحكمة . وادعى رجال الشرطة أن المقتول كان مسلحاً بمسدس ، إلّا أن شهود عيان أفادوا بأنه كان من الممكن نزع المسدس منه بدلاً من إطلاق النار عليه من مسافة ٣ أمتار . وقد أرغم هذا الشاب على بناء الغرفة الإضافية بدون ترخيص لأنه في البيت نفسه الذي تسكنه عائلته الكبيرة ، التي تتألف من ١٩ فرداً ، على حين أن عدد الغرف فيه لايزيد على ٣ غرف فقط . وأثار هذا الحادث غضب يهود الإسلام الذين يسكنون في الأحياء الفقيرة . وتقول الصحف التي أوردت هذا النبأ إن الأوامر قد صدرت بهدم أملاك أشكنازية — أيضاً — في ديزنغوف سنتر ، وبلازه أوتيل ، إلّا أن السلطات لم تنفذ أوامر الهدم . وأشار يهود الإسلام الذين قاموا بمظاهرات صاخبة إلى أن الشرطة لاتطلق النار مطلقاً على المستوطنين الأشكناز ، الذين يقومون بأعمال العنف والعربدة — وهم مسلحون — ضد أبناء فلسطين في الأراضي المحتلة . وأنها لم تطلق النار على المستوطنين الأشكناز الذين قاوموا بالقوة أوامر الانسحاب من « يميت » في الأراضي المصرية المحتلة . وإثر اغتيال هذا الشاب اليمني ؛ قام شبان الحارة بسد الطرق وإحراق الإطارات ، وكتبت الشعارات المعادية لليهود الأشكناز مثل « أشكنانسيم » (المؤلفة من كلمتين : أشكنازي ونازي ، ومعناها « أنتم اليهود الأشكناز مثل النازيين ») .

وقبل ذلك ؛ في ٨٣/١/١ ، اندلعت نار المظاهرات في مدن مختلفة ؛ بسبب أعمال التهديم ؛ وذكر النائب توفيق طوبي في تقريره للبرلمان أن حادثة مشابهة وقعت في ٧٧/١١/٨ : عندما قامت الشرطة بقتل فلسطيني يدعى المصري ، وهدمت منزله في قرية مجد الكروم . وذكر حادثاً آخر أصيب فيه ٤٤ فلسطينيا بجروح في الناصرة . وقرر الكنيست تأجيل جنازة المقتول إلى الليل ؛ لمنع مظاهرات دموية إضافية [هيرولد تريبيون ، ٨٢/١٢/٣١ ، و زو هديريخ ، ٨٢/١٢/٢٩] . **ومن المحتمل جدا أن يكون أحد أسباب هذا القتل هو صداقة اليهودي اليمني مع العربي الفلسطيني ؛ إذ إن سلطات الأمن تشك في كل يهودي عربي يتعاطف مع الشعب الفلسطيني ويقيم علاقات ودية معه ، وتعتبره « خطراً أمنيا »** . وتصر السلطات على أن جميع العلاقات « الودية » مع أبناء

فلسطين يجب أن تكون عن طريق المخابرات ، ولذلك ؛ كان التقدميون الأشكناز الذين أجروا مباحثات « سرية » مع الأوساط الفلسطينية في الخارج بشأن السلام ــ يحيطون المخابرات ووزارة الخارجية « عِلْماً » بكل مايجري في هذه المباحثات .

وبعد مرور عامين على حادث اغتيال اليمني ؛ وقعت اصطدامات دموية أخرى بين سكان كفر شاليم وقوات الأمن ؛ إثر تهديم بعض الأبنية ، فأغلق المتظاهرون الطرق الرئيسية ، وأشعلوا النار في مخزن تابع للبلدية ، واعتقلت الشرطة ٥ أشخاص بينهم موني يقيم ؛ أحد زعماء الفهود السود ، وصرخ المتظاهرون في وجوه الشرطة : « أشكناتسيم » . وتضيف جريدة هآرتس ــ التي أوردت هذا الحادث (٨٤/١٢/٢٨) ــ أن بلدية تل أبيب قد هدمت ١٠٠ منزل ، وتعتزم الاستمرار في هذه الخطة . وأن عضو الكنيست : ميخائيل إيتان وضابط بوليس أصيبا بجروح في هذه المظاهرات . وقد تمكنت قوات الأمن من منع المتظاهرين من اقتحام منزل رئيس البلدية : لاهَط . وبما أن أرض هذه الحارة أصبحت غالية جدا ؛ فقد باعت السلطات هذه الأرض (كفر سلامة ــ سابقاً) إلى شركات رأسمالية ، وطلبت من السكان النزوح منها . وبعد أن رفض السكان ؛ قطعت البلدية جميع خدماتها عن الحارة ؛ فتراكمت الأوساخ والزبالة في الحي (الأوضاع المأساوية في هذا الحي تشبه أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية المحتلين) . وأخذ اليهود العرب ــ سكان الحي ــ يهددون رئيس البلدية بالقتل . ويقول أحدهم : الياس مزراحي ــ لمراسل جريدة هآرتس : « إن الناس هنا يعانون من التمييز العنصري ، وإن الدولة قد سحقتهم ، والحالة توشك على الانفجار » . ثم طلب المتظاهرون من الأمم المتحدة أن تتدخل لحمايتهم ضد دولة إسرائيل . وكان النائب شارلي بيطون موجوداً مع المتظاهرين طوال ذلك اليوم [هآرتس . ٨٤/١/٤] .

وكتبت هاده بوسم [هآرتس ، ٨٥/٢/١٥] أن رئيس بلدية تل أبيب يتظاهر بشن حرب من أجل صيانة القانون ، ولكنه يعمل ذلك بالنسبة للضعفاء فحسب ، ولايهدم المباني التي بناها الأقوياء (تعني اليهود الأشكناز) في ديزنغوف سنتر وغيرها . وتضيف أن ١٢٠ عائلة تعيش في كفر شاليم في أكواخ متداعية ، بدون ماء ، وبدون كهرباء ؛ بسبب هذه السياسة .

وفي حي عزرا في تل أبيب ــ أيضاً ــ هدمت البلدية طابقاً سكنيا كاملاً [هآرتس ، ١٩٨٤/٢/١٤] ؛ فقام يهود الإسلام بمظاهرات عنيفة ، وأشعلوا النار في المدرسة المحلية . وفي يوم الجمعة نفذت البلدية أحكام التهديم في كفر شاليم ؛ فاشترك السكان في مظاهرات مماثلة ، وألقوا قنابل حارقة في الشارع الرئيسي .

ويعترف اليعيزر دمّاري (يمني الأصل) بالبناء بدون ترخيص ، ولكنه يضيف أن نائب الكنيست : ابراهام شَبيرا ــ قد خرق القانون بصورة مماثلة ، ولكن السلطات لم تهدم منزله . واعترف مهندس البلدية بصحة هذا الأمر . ويشير مراسل جريدة هآرتس إلى أن مقابل كل ست عمليات تهديم في الأحياء الفقيرة في جنوب المدينة ، تقوم البلدية بعملية تهديم واحدة فقط في شمال المدينة (حيث يسكن المستوطنون الأشكناز) ، وتستنكر الجريدة هذا التمييز . وفي القطاع العربي

الفلسطيني نجد أن هذه السياسة أسوأ بكثير ، ولاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد الفلسطينيين يتضاعف كل ١٠ سنوات . والحكومة عادة ترفض منح ترخيص لبناء منازل جديدة أو لتوسيع المنازل القائمة .

ومنذ ظهور حركة الفهود السود كثرت الإضرابات والمظاهرات وأعمال الشغب التي قام بها يهود الإسلام ؛ من أجل تحسين أوضاع معيشتهم ومدارس أطفالهم ، وضد تقليص الخدمات الاجتماعية والصحية ولاسيما ضد سياسة البطالة والتجويع .

ففي كانون الأول ١٩٨٠ ؛ قام نحو ٣٠ من شبان حي هتكفا بتل أبيب باعتقال رئيس البلدية : شلومو لأهَط ؛ في مكتبه ، مع ٧ من موظفيه الكبار ، ثم سدوا باب الغرفة بالمسامير ؛ لأنه رفض تمويل منظمة الشباب في الحي ، فهرع إلى مكان الحادث ٤٠٠ من رجال الشرطة وحرس الحدود ، وهاجموا الشباب . وانتهت الحادثة بجرح عدد من المتظاهرين واعتقال زعمائهم . وصرح الشباب بأن البلدية تحاول شلَّ نشاطات الزعامة المحلية في الحي [هآرتس ، ٨٠/١٢/٥] .

وبعد ٥ أيام من هذا الحادث ؛ اعتقلت الشرطة ١٢ شاباً من الحي نفسه بدون محاكمة ، وحددت حركة الشبان من الساعة السابعة صباحاً إلى الساعة السادسة مساء . وشدَّد أحد زعماء الحي على أن الشرطة لا تعامل المتدينين المتطرفين الأشكناز « غوش امونيم » على هذا النحو ، عندما يقومون بأعمال العربدة والعنف ضد العرب [زوهديريخ ، ٨٠/١٢/١٠] . وضربت الشرطة موتي ليفي بصورة قاسية حتى أغمي عليه ونقل إلى المستشفى ، وكذلك عاملت الشرطة الفتاة سمدار بطيش [زوهديريخ ، ٨٠/١٢/١٧] .

وتفيد جريدة هآرتس (٨١/٤/٣) بأن شبان حي هتكفا تظاهروا احتجاجاً على إغلاق النادي « اوهيل » ، وسدّ المتظاهرون مفترق الطرق عند طريق اللد وشارع هَيَصُحُون ، وأوقفوا مرور السيارات ، ورشقوا البوليس بالحجارة ، واضطرت الشرطة إلى استخدام العنف من أجل فتح الطريق . وفي ناتانيا ؛ هرب رئيس البلدية من مكتبه تجنباً لمواجهة اليهود العرب من حي رامات هرتسل ، الذين قاموا بمظاهرة صاخبة بسبب إغلاق نادي الشبيبة في الحي [هآرتس ، ٨١/١/٩] . **وقد أغلقت السلطات هذه الأندية ؛ خوفاً من النشاط السياسي الذي يقوم به يهود الإسلام ضد المؤسسة الصهيونية .**

وخلال الحملة الانتخابية لعام ١٩٨١ ؛ استغل يهود الإسلام النزاع بين الحزبين الكبيرين : حزب « العمل » وكتلة « الليكود » ، وشنوا هجمات عنيفة ضد حزب العمل ؛ انتقاماً من هذا الحزب الذي شيَّد سياسة التمييز منذ ١٩٤٨ ، والذي يمثل رمزاً للمؤسسة الصهيونية الحاكمة . وكان الدافع الثاني لأعمال العنف تلك ؛ استغلال الكيبوتسات للأيدي العاملة . وثمة سبب آخر : في هذه الحملة الانتخابية ؛ استفز زعماء « العمل » يهود الإسلام ، وقال أحدهم : حزب العمل يؤيده جنرالات وأساتذة الجامعات ... إلخ ، على حين أن كتلة الليكود لا يؤيدها سوى الـ « تشح تشح » ، وهي

كلمة تحقِّر يهود الإسلام . ولذلك ؛ أخذ الكثير من يهود الإسلام يلصقون على سياراتهم البطاقات التي تعلن : « أنا « تشح تشح » أصوت إلى جانب كتلة الليكود » . واشتركت في هذه الحملة العنصرية ــ ضد يهود الإسلام ــ وسائل الإعلام ، والممثل الأشكنازي دودو توباز . وكان أحد أسباب الحملة ظهور قائمة جديدة لليهود المغاربة بقيادة أبو حصيرة ، وقد نالت هذه القائمة « تامي » ٣ مقاعد . ومن ناحية أخرى أدلى موتي غور ؛ رئيس الأركان السابق ، وأحد زعماء « العمل » بتصريح ، قال فيه : « إننا سوف ...* اليهود العرب مثلما ...* العرب » . وأدت هذه التصريحات العنصرية إلى انتشار أعمال العنف . وكتبت جريدة هآرتس ؛ تقول : إن يهود الإسلام أشعلوا النار في مركز الشرطة في بلدة رأس العين (اليمنية) وسببوا أضراراً مادية فادحة ، كما أن شبان يهود الإسلام رشقوا الشرطة بالحجارة وضايقوا رجال البوليس وأهانوهم في أماكن مختلفة ، ورُجِمَ زعيم حزب العمل : شمعون بيرس ، بالطماطم وطُرِد من « بيت شيمش » .

واستغلت كتلة الليكود اليمينية هذه الحوادث ــ بالطبع ــ لحصد أصوات يهود الإسلام ؛ ففازت بثمانية وأربعين مقعداً ، وشكلت وزارتها الثانية .

وفي هذه الأثناء ؛ استنكر إسحق نابون ؛ رئيس الدولة « السفارادي » هذا التوتر الطائفي ، واللغة العدوانية التي استعملها اليهود الأشكناز ضد يهود الإسلام . وعندما سئل عن جلوس إسرائيل على برميل مملوء بالمتفجرات من الناحية الطائفية ؛ أجاب : « إن فتيل القنبلة أصبح قصيراً ويجب إطفاؤه » . وأشار مراسل جريدة هارتس (٨١/٩/٢٨) الذي وصف اللقاء التلفزيوني الذي أدلى خلاله نابون بهذا التصريح ــ إلى أن « الرئيس يعرف مثلنا أننا جالسون على بركان » . وعزا الرئيس الكراهية في قلوب يهود الإسلام إلى حرمانهم من الاشتراك الفعال في شئون البلاد . وأضافت الجريدة في تعليقها على برنامج بشأن يهود البلقان (وهم من أصل عربي أندلسي) ــ أنه حتى في معسكرات الموت في أوروبا ؛ كان اليهود الأشكناز يستخدمون التمييز العنصري ضد يهود البلقان .

وكتب شلومو صادوق ؛ من أعضاء حزب « تامي » ــ مقالا في جريدة يديعوت احرونوت ، اقترح فيه حل مشكلة التمييز العنصري ضد يهود الإسلام بواسطة استخدام الكفاح المسلح ؛ ضد المستوطنين الأشكناز [زو هديريخ ، ٨٢/٢/٢٤] .

وبعد يومين علّق ناتان دونيفيتش على هذه الحوادث ؛ قائلاً : حتى اليهود العرب الذين حسّنوا أحوالهم المعيشية يتذكرون الماضي غاضبين ... إنهم لن ينسوا الأيام التي تعرّض فيها آباؤهم للإهانة : عندما رُشَّت مادة الـ دي. دي. تي. عليهم ، ثم دفع بهم إلى مخيمات الانتقال حيث قضوا سنين عديدة . إنهم يريدون الانتقام من المؤسسة الأشكنازية بقيادة حزب العمل ، وإن هذا الحزب لن يستطيع العودة إلى الحكم بواسطة منح تمثيل رمزي لليهود العرب ؛ لأن مثل هذا التمثيل قد فقد ثقة الشعب وكُشِفَ قناعه [ملحق جريدة هآرتس ، ٨٢/٢/٢٦] .

---

* ألفاظ جنسية .

إن سلسلة الشتائم والإهانات الموجهة ضد يهود الإسلام ليست جديدة ؛ فقد تعودنا عليها منذ زمن الانتداب البريطاني . وجميع هذه الشتائم ؛ عربي ، شرقي ، أسود ، بدائي ، عراقي ، مصري ، شامي ، حلبي ...إلخ ـــ كانت تعبِّر عن عنصرية اليهود الأشكناز وغطرستهم تجاه سكان الوطن العربي والإسلامي ؛ سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين أم يهوداً ـــ من أبناء هذا البلد . إن الأمر الجديد الآن ـــ هو أن هذا الشتائم قد وصلت إلى الإعلام وإلى الاجتماعات السياسية وإلى الشوارع ؛ بعد أن كانت بين الأفراد فحسب . وسبب هذا التغير هو أن الأشكناز المتحكمين في حزب العمل أخذوا يفقدون أعصابهم ، بل صوابهم : عندما أدركوا أن هؤلاء « العبيد » بدأوا يرفعون رءوسهم ، وقد تمكنوا من إنزالهم من الحكم بالرغم من ضعفهم السياسي . صحيح أنه بسبب النظام السياسي البرلماني والاقتصادي ؛ لا يستطيع يهود الإسلام تكوين حزب سياسي يتنافس مع الأحزاب الأشكنازية الصهيونية ـــ برغم أن هؤلاء اليهود يشكلون ثلثي يهود إسرائيل ـــ غير إنهم ؛ أي يهود الإسلام ، قادرون على إفشال هذا الحزب الأشكنازي أو ذاك ، ومساعدة هذا الحزب الأشكنازي أو ذاك على الانتصار في الانتخابات البرلمانية . وهذه القوة العددية قوّت معنريات يهود الإسلام ، وأخذوا يستخدمون « أعدادهم » لرفع أصواتهم وأياديهم في الشوارع والاجتماعات ؛ دفاعاً عن كرامتهم الإنسانية .

هذا هو سر الاصطدامات العرقية الحضارية المتسمة بالعنف بين المستوطنين اليهود الأشكناز ـــ من جهة ـــ ويهود العالم العربي والإسلامي في إسرائيل في أثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٨١ ـــ من جهة أخرى . وهكذا ؛ انتصرت كتلة الليكود على حزب العمل وشكل بيغن وزارته الثانية .

ونعود لنذكر أمثلة أخرى من الاحتجاجات التي أطلقها يهود الإسلام ضد الأشكناز . ففي بلدة اور يهودا (سابقاً ـــ مخيمات ساقية والخيرية وكفر عانة) ؛ أضربت جميع المدارس وبساتين الأطفال ؛ احتجاجاً على مستوى التعليم المنخفض . وطالب الطلاب وأولياؤهم ، ومعظمهم عراقيون ، بتحسين أوضاع المدارس والأجهزة التعليمية ، وتعيين مدرسين من ذوي المؤهلات اللازمة . وانتشرت الاضطرابات إلى بلدة « بني براك » ؛ حيث أرغم صف يحتوي على ١٠٠ طالب على الدراسة في ملجأ أقيم للحماية من الغارات الجوية ؛ وذلك لقلة الغرف المدرسية [هآرتس ، ٨١/٩/٤] .

وفي شباط ١٩٨٦ ؛ قام جميع مستخدمي السلطات المحلية في « مدن التنمية » بإضراب عام ، وتظاهروا أمام الكنيست مطالبين بمقابلة رئيس الوزراء : شمعون بيريس ، إلا أنه رفض ذلك ، وأرسل عليهم عدداً هائلاً من الشرطة الخيالة وحرس الحدود المزودين بالأعتدة الحديثة لقمع المظاهرات . وكان المتظاهرون يصرخون ... « نريد خبزاً وعملاً » ، « خبز للبلديات لا للمستوطنات » ،... إلخ . ولخصوا مشاكلهم كما يلي :

١ ـــ البطالة.

٢ ـــ الأجور المنخفضة (١٠٠ ـــ١٦٠ جنيها إسترلينيا شهريا) .

٣ ــ تأجيل الأجور والمماطلة في دفعها .
٤ ــ ديون البلديات التي بلغت ٣١ مليون دولار .
٥ ــ انعدام التطوير الاقتصادي .
٦ ــ قلة الأعمال التقنية لذوي المؤهلات العالية .
٧ ــ النزوح من المدن .
٨ ــ بشاعة المنازل والمدن عامة [زوهديريخ ، ٨٦/٢/١٩] .

وفي بلدة يروحام ــ حيث تشمل البطالة ثلث القوة العاملة ــ أضرب السكان لمدة ٥ أيام ، ثم أرسلوا ممثلين لمقابلة زعامة الهستدروت في شفايم ، ثم تظاهروا في ميدان ديزنغوف وميدان ملوك إسرائيل بتل أبيب ، وطلبوا من الجمهور التوقيع على بيان التضامن مع نضالهم ، ثم سافروا إلى القدس وأقاموا خياماً أمام منازل رئيس الوزراء ونائبه . وفي الوقت نفسه ؛ أضرب سكان جميع « مدن التنمية » (يهود الإسلام) تضامنا مع بلدة يروحام .

وتقول جريدة هآرتس في مقالها الرئيسي (٨٦/٤/٤) ــ إنه قد حُكم على بعض « مدن التنمية » بالموت . ويؤكد النائب شارلي بيطون أن المؤسسة الحاكمة تقيم صناعات تكنولوجية في أماكن اليهود الأشكناز ، أما في « مدن التنمية » فلا تجد سوى مصانع النسيج والأغذية للعمال غير التقنيين ؛ لأن هذه المدن قد أنشئت كمصدر للعمل الرخيص . ويقول زميله آسي أرما : إن روح الحكومة موجودة في الضفة المحتلة وعلينا أن نناضل من أجل إرجاعها إلى إسرائيل لمساندة مدن التنمية ويروحام [زوهديريخ ، ٨٦/٤/١٦]. وهذه الحوادث ليست إلّا أمثلة نموذجية قليلة تشير إلى مجرى الرياح الحديثة .

تضامن اليهود الإسلاميين مع الشعب العربي الفلسطيني :

لا شك أن التمييز العنصري ضد يهود الإسلام في إسرائيل كان من أهم عوامل البعث الحضاري في هذا المجتمع ، والاعتزاز بالأصل العربي الإسلامي . وبالرغم من أن الجيل الجديد لم يعش بين العرب والمسلمين ــ لأنه ولد في إسرائيل ــ فإن وحدة الحضارة ووحدة اللغة ووحدة التقاليد والقيم الأخلاقية ــ وخصوصا **وحدة المصير** : كفئة مضطهدة ؛ بسبب حضارتها ولونها الأسمر ــ دفعت يهود الإسلام إلى التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ، وبعبارة أدق : **شجعت هذه الوحدة ظهور بوادر التضامن مع الشعب الفلسطيني** .

وفي هذه اللحظة التاريخية ؛ أخذ الآباء والأجداد الذين مازالوا على قيد الحياة ، أخذوا يقصّون على أبنائهم وحفدتهم تاريخ العلاقات الودية بينهم وبين إخوانهم المسلمين في الوطن العربي الإسلامي . ولأسباب نفسية مفهومة ؛ تناسوا بعض الحوادث الطائفية المؤلمة التي أثارها الاستعمار والرجعية منذ ١٨٤٠ . وعادت إلى الأذهان ــ أيضا ــ العلاقات الطيبة بين اليهود الفلسطينيين وإخوانهم المسلمين والمسيحيين في فلسطين ؛ قبل الاستيطان الصهيوني الأشكنازي . وتذكر أبناء

الأجيال السابقة المساعي الجبارة التي قام بها اليهود الفلسطينيون ؛ من أجل إيجاد حل سلمي للنزاع الصهيوني ــ الفلسطيني .

ويقول الدكتور الياس الياشار ، من زعماء هؤلاء ، في كتابه « **الحياة مع الفلسطينيين** » ، الذي نشر في سنة ١٩٧٥ ــ إن وجهاء اليهود الفلسطينيين عرضوا ــ منذ ١٩٢١ ــ على الزعامة الصهيونية توسطهم في هذه المشكلة ، غير إن هذه الزعامة رفضت هذا التوسط رفضاً باتًّا ، ورفضت الحل السلمي على وجه الخصوص . وقد آمن بعض الزعماء الصهاينة .. ومنهم الدكتور روبين وبرينير بأنه لا توجد أية إمكانية للتفاهم وللتعايش السلمي المشترك مع العرب ، وأن المشكلة سوف تحسم نهائيا بقوة السلاح (**ص ٢٦**) * .

ويقول إنه ورفاقه اليهود الفلسطينيون أيدوا مبدأ اندماج المجتمع اليهودي في فلسطين مع الأمة العربية الإسلامية ، غير إن الزعامة الصهيونية الأشكنازية عارضت ذلك بشدة ؛ خوفاً من « الليفانتينية » (**ص ٢٠**) . وإن الزعامة الصهيونية عارضت مبدأ وحدة التعليم بين اليهود والعرب ، وأقامت مدارس خاصة لليهود ، وفرضت مبدأ « العمل العبري » (**ص ٢٠ و٢١**) . ورفضت تعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية (**ص ٢٦**) . ثم يستنكر الياشار القمع الحضاري الموجه ضد اليهود الفلسطينيين ، وضد حضارة الأمة العربية والإسلامية وكرامة الإنسان العربي (**ص ٢٢٧ و ٢٢٨**) .

وفي الصفحة التاسعة من كتابه ، يصف الياشار **سياسة القوة الصهيونية التي لا تتخلى عن « أي شبر من أرض إسرائيل » ؛ يصفها بالانتحاريّة** .

وفي المؤتمر العالمي ليهود الوطن العربي والإسلامي ــ عام ١٩٢٥ ــ الذي عقد في فيينا ؛ انتقد موسى دي فيجاتو ، رئيس المؤتمر ، وهو سوري من مدينة حلب ؛ انتقد الصهيونية بسبب عدم تفهمها للمصالح العربية في فلسطين (**ص ١٧**) . وأيد هذا الموقف السلامي الحاخام حيم ناحوم (الحاخام باشي ــ في زمن الإمبراطورية العثمانية) . علي حين أن الدكتور إسحق ليوي والحاخام طوليدانو طالبا بإنشاء صحافة عربية في المجتمع اليهودي الفلسطيني (**ص ١٨**) (ويجب أن نذكر هذه المواقف المشرفة في مواجهة الدس الصهيوني والإشاعات التي تزعم أن يهود الإسلام هم « أعداء العرب ») .

وبعد أن قامت دولة إسرائيل ؛ أرادت الطوائف اليهودية في الوطن العربي أن تساعد الطرفين المتنازعين ؛ من أجل إيجاد حل سلمي ، إلّا أن الوكالة اليهودية (الصهيونية) عارضت ذلك بحجة أن مثل هذا التوسط « يسبب ضرراً لمستقبل إسرائيل » (**ص ٢٧**) .

---

* في حفلة استقبال الجنرال ألنبي ؛ أجلسوا المفتي وكمال الحسيني (عمه) وموسى كاظم باشا عند مدخل القاعة ، وأجلسوا الضيوف « المحترمين » في المقصورة . قلت لأحد المراقبين إن المفتي ورئيس البلدية وكمال الحسيني يحتجون ويريدون أن يذهبوا ؛ أجاب : خلّيهم يروّحوا [هآرتس ، ٨٧/١/٩] .

[استناداً إلى المحاضرات الصهيونية الكثيرة التي سمعتها أنا (الكاتب) زمن الانتداب البريطاني ؛ أستطيع أن أقول إن الصهاينة الأشكناز رفضوا العروض السلمية ؛ لأنهم أرادوا (وما يزالون) الاستيلاء على فلسطين بالكامل وشرق الأردن ، وكذلك على أجزاء معينة من سُوريَة ولبنان ومصر . وإنهم قبلوا مشروع التقسيم لعام ١٩٤٧ كمرحلة أولى فحسب في مشروعاتهم التوسعية . وبناءً على هذا فإن تشريد الشعب العربي الفلسطيني كان أمراً لابد منه ؛ حسب نظرتهم ــ حتى وإن قبل العرب مشروع التقسيم في حينه] .

وبصدد المستقبل ؛ **يشدد الدكتور الياشار على عدم إمكانية أية تسوية مع الدول العربية بدون تسوية المشكلة الفلسطينية (ص ٢٣٣)** . ويطالب بعقد اجتماعات شعبية بين اليهود العرب والفلسطينيين ؛ من أجل تقوية التفاهم فيما بينهما (**ص ٢٤٢**) . ويعارض الياس الياشار الآراء الصهيونية التي لا تعترف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني بحجة أنهم « لا يشكلون شعباً منفرداً » (**ص ٢٤٨**) . ويعارض ــ أيضا ــ إقامة جدار بين يهود العالم الإسلامي والأمة الإسلامية ، أو بين الأمة العربية والشعوب غير العربية في المنطقة (لاحظ سياسة إسرائيل في إيران الشاه) . ويذكر الكاتب أن الحكومة الإسرائيلية لم تدعُ قط أي يهودي من دار الإسلام ليتكلم في الأمم المتحدة ، أو في المحافل الدولية الأخرى عن النزاع الصهيوني ــ العربي . ثم **يطالب الكاتب اليهود الأشكناز بالتخلي عن سياسة القوة والغطرسة ، وبالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة منذ ١٩٦٧ ، وكذلك من أراضي قرية كفر برعم وقرية إقرت** (على الحدود اللبنانية) . **ويؤيد الياشار مبدأ الاعتراف باستقلال الشعب الفلسطيني ، وإقامة الكيان الفلسطيني المبني على حق تقرير المصير (ص ٢٩٦)** .

وبالرغم من الثرثرة الصهيونية (وهي ضريبة كلامية يدفعها وجهاء اليهود العرب ؛ لمسايرة الاستبداد الصهيوني الأشكنازي) ؛ يُعَدّ هذا الكتاب وثيقة مهمة تبرهن على تعاطف يهود الأمة الإسلامية مع الشعب الفلسطيني ، وتبرهن على نيات الصهاينة السيئة بشأن سياستهم التوسعية العتيدة . ومن الجدير بالذكر أن الدكتور الياس الياشار ولد في القدس القديمة ، ودرس الطب في جامعة بيروت ، والحقوق في جامعة القاهرة . وفي الحرب العالمية الأولى ؛ كان ضابطاً في الجيش العثماني ، ثم أصبح مدير دائرة التجارة والصناعة في حكومة الانتداب البريطاني ، ومحرر النشرة التجارية باللغة الإنكليزية . وفي ١٩٣٧ ؛ انتخب رئيساً للطائفة اليهودية في القدس ، ثم رئيساً للطائفة السفاردية ١٩٤٦ ، ونشط في تنظيم المؤتمرات العالمية ليهود الإسلام . وعندما قامت دولة إسرائيل ؛ انتخب نائباً في البرلمان الأول والبرلمان الثاني ، ونائب رئيس بلدية القدس . وأصبح محرر مجلة « صدى الشرق » بين ١٩٤٢ و ١٩٥٢ . كما شغل وظائف مهمة أخرى . وقد كتب الياشار مقالات عديدة ، إلا أن أشهر كتبه هما : الكتاب الذي اقتطفنا منه سابقاً ، وكتابه « العيش مع اليهود » (يعني اليهود الأشكناز) عن التمييز ضد يهود الإسلام في فلسطين ــ قبل وبعد تأسيس الدولة .

وفي ١٩٧٥ ؛ أخذ الياس الياشار يطالب علناً بإنشاء دولة فلسطينية ؛ مما دفع ببعض رفاقه إلى مناقشة الأمر مع ممثلي حركة التحرير الفلسطينية في لندن وباريس . ثم تآمر الصهاينة عليه وفصلوه عن زعامة الطائفة . وعُين داؤد ستون رئيساً بدلاً منه ، وقد أصبح نائب الجمعية العالمية ليهود العالم العربي الإسلامي ؛ التي يرأسها نسيم غاؤن . وأيد داؤد ستون مشروع إقامة دولة فدرالية تضم إسرائيل والدولة الفلسطينية والمملكة الأردنية ، موضحا أنه : « حتى إذا لم يكن هذا المشروع قابلاً للتحقيق الآن ، فليس ثمة شك في أن للفلسطينيين الحق في كيان قومي خاص بهم » [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ص ٨٩] .

وقد أعلن شلومو كوهين ــ سيدون ، المعروف بسياسة « الصقور » في كتلة الليكود ؛ بعد عقد معاهدة السلام مع مصر : « أن إنشاء المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة فقد كل معنى ، ولوجاء عرفات إلى القدس ؛ لقبلتُ الانسحاب من الضفة وإقامة دولة فلسطينية ؛ إنني أعرف العرب ، وإنني مقتنع بأننا نستطيع العيش معهم » [المصدر السابق] .

بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ؛ قدم بعض زعماء اليهود من البلدان العربية ؛ عارضين على حكومة إسرائيل التوسط من أجل إحلال السلم مع الدول العربية . وكان لهم علاقات ودية مع قادة الدول العربية . وكان أشهرهم الياهو عيني ومحلب إبراهيم وصيون افرايم من العراق ، وسعد مالكي الذي كان صديقاً لجمال عبد الناصر ، ويهودا مسلم وكان صديقا للملك الحسن ملك المغرب ، والبير ميمون وكان صديق الرئيس حبيب بورقيبة ، وشالوم كوهين وكان صديق الزعيم الجزائري بلقاسم وهاشم جواد السياسي العراقي . غير إن وزارة الخارجية الإسرائيلية رفضت هذه العروض السلمية ؛ بالرغم من أن بعض الزعماء العرب شجعوا هؤلاء اليهود العرب على هذه المبادرة [نعيم جلعادي ، الفهود السود] .

ومن الممكن تعليل هذا الرفض المتعمد بما يلي :

١ ــ الخطط العدوانية التوسعية (لاحظ التوسع الإقليمي الصهيوني منذ ١٩٤٨) .

٢ ــ الخوف من السلام : لأنه قد يجدد العلاقات الودية بين يهود الإسلام والأمة العربية الإسلامية على حساب المستوطنين الأشكناز ، ولذلك ؛ أرادت المؤسسة الحاكمة إبقاء الجدار العدائي بين إسرائيل والدول العربية لمدة ٤٠ سنة وأكثر ؛ ريثما يموت الجيل الذي نما وتربى في البلدان العربية .

٣ ــ يعتقد زعماء الصهانية أن حالة الحرب والتوتر والحصار سوف توحد كل الطوائف وتحولها إلى شعب موحد ، وإلّا فإن التناقض بين المستوطنين الأشكناز ويهود الإسلام سوف يمزّق الدولة .

٤ ــ حالة الحرب تساعد إسرائيل على جذب التبرعات المالية من جميع اليهود في العالم ، وكذلك المعونات من الدول الغربية ولاسيما الولايات المتحدة .

٥ ــ إشراك يهود الإسلام في مفاوضات السلام قد يقوي شأن هذه الطائفة (التي حُكم عليها

بالأعمال الشاقة والتبعية) .

وبالرغم من الجهود الجبارة التي يقوم بها يهود العالم العربي الإسلامي ؛ من أجل السلام ، ومن أجل دعم حقوق الشعب الفلسطيني ـــ يقول اليهود الأشكناز إن يهود الإسلام يتميزون بالعنصرية ضد العرب . ويبدو أن المستوطنين الأشكناز قد انقسموا إلى قسمين : أولهما ؛ اليساريون الذين يحرضون الفلسطينيين ضد يهود الإسلام ، وثانيهما ؛ اليمينيون الذين يحرضون يهود الإسلام ضد الفلسطينيين ! ومن ورائهما المخابرات الإسرائيلية التي تسعى إلى بناء جدار فولاذي بين يهود الإسلام والشعب الفلسطيني ـــ خوفاً من وحدة المسحوقين وثورتهم ضد الاستعمار الصهيوني .

ويقول النائب شارلي بيطون ، وهو مغربي الأصل ، إن العنصرية ضد العرب لاتصدر من يهود الإسلام وإنما من الطوائف والحركات السياسية والفلسفة السياسية ؛ المستوردة من أوروبا لا من الشرق ، وإن أكثرية الذين يصوتون إلى جانب الأحزاب المتطرفة اليمينية ؛ مثل : تيحيا وغوش ايمونيم هم غير شرقيين ، على حين أن يهود الإسلام الذين يصوتون إلى جانب كتلة الليكود لا يفعلون ذلك بسبب الآراء اليمينية ـــ القومية ، ولذلك ؛ اتحد مناحيم بيغن والزعماء الأشكناز في هذا الحزب ضد المغاربة ، وضد زعيمهم : داؤد ليفي ـــ في مؤتمر حزب الحيروت عام ١٩٨٦ . ويضيف بيطون أن المستوطنين في الأراضي المحتلة هم ليسوا يهوداً عرباً وإنما يهود أشكناز ، وأن الرابي مئير كاهانا وأعوانه يهود أشكناز ـــ أمريكيون ، وآراؤهم هي آراء « رابطة الدفاع » العنصرية الأمريكية ، وكذلك فنكلشتاين في مدينة الناصرة العليا ، وكذلك العنصري من طبريا ، وآخرون ـــ كلهم يهود أشكناز . ويستطرد النائب بيطون قائلا : « إن يهود الشرق بعيدون عن العنصرية ؛ لأنهم لم يعيشوا في الغرب : مصدر العنصرية والتطرف القومي . كما أنهم يكادون لا يعارضون الزواج من العرب . في حين أن اليهود الأشكناز يعارضون حتى الزواج من يهود الإسلام ـــ ناهيك عن الزواج من المسلمين أو المسيحيين ... إن الذين يؤمنون بمبدأ « أرض إسرائيل الكاملة » ، وبتشريد الشعب الفلسطيني من بلاده ، هم ليسوا يهود الإسلام وإنما يهود أشكناز من حركة كاهانا وحزب هاتيحيا ؛ مثل : ليفنغر وآريئيل ونيئيمان وايتان ودروكمان وشبيرا ... إلخ . واليهود العرب الذين يستمرون في التصويت إلى جانب كتلة الليكود وبعض الأحزاب الدينية ؛ إنما يفعلون ذلك ، لا لأسباب قومية بل بسبب عدائهم لحزب العمل ؛ الذي أشبعهم مرارة الحياة عشرات السنين ، وعرّضهم للمهانة واضطهدهم ، وقضى على حضارتهم (العربية الإسلامية) ، وسلبهم كرامتهم الذاتية وهويتهم ، واستخفّ بهم ، واستهزأ بكرامتهم » . وأخيراً ؛ شدد النائب بيطون على أن يهود الإسلام الذين يؤيدون كتلة الليكود لايهتمون بسياستها القومية . وإذا قررت هذه الكتلة الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة فسوف تنال موافقة يهود الإسلام . وقد كان الأمر كذلك عندما قررت حكومة الليكود الانسحاب من سيناء [هآرتس ، ٨٦/٥/٢٠] .

وفي مؤتمرهم القطري الذي عقد في مدينة بئر السبع عام ١٩٧٥ ـــ أقرّ الفهود السود المبادىء التالية :

١ ــ ضرورة التعايش السلمي مع الدول العربية والشعب الفلسطيني .

٢ ــ استنكار مواصلة الاحتلال للأراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ .

٣ ــ إن الاتفاقيات المؤقتة ــ على نحو ما أبرمت ــ لا تمثل ضماناً للسلام ... فمع الفلسطينيين ــ أولاً ــ يجب التفاوض من أجل مستقبل الأراضي المحتلة .

٤ ــ لا سلام بدون حل المشكلة الفلسطينية .

٥ ــ حق تقرير المصير للشعبين المتواجدين في فلسطين .

٦ ــ باستطاعة يهود الإسلام أن يكونوا جسراً للسلام بتراثهم الفكري الموروث عن العالم العربي ، وبمعرفتهم له ، وبإسهامهم في النضال من أجل المساواة في المجتمع الإسرائيلي [الأزمة الحديثة لبهارتر ، **ص ٨٨**] .

وكانت منظمة الفهود السود قد أعلنت منذ بدايتها تضامنها مع الشعب العربي الفلسطيني بما يلي :

١ ــ إن الشعب الذي يضطهد شعباً آخر لايكون شعباً حراً .

٢ ــ حق الفلسطينيين في تقرير المصير والمواطنة هما من الحقوق الثابتة .

٣ ــ إن السلام مسألة حيوية بالنسبة لشعب إسرائيل وأمنه واقتصاده ، ولا يمكن استقرار السلام في الشرق الأوسط بدون دعم الفلسطينيين .

٤ ــ للفلسطينيين حق في دولة خاصة بهم على أرض فلسطين .

٥ ــ الكفاح ضد أشكال العنصرية والتفرقة مسألة متكاملة لا تتجزأ ، ولا يمكن الفصل بين التمييز ضد اليهود العرب والتمييز ضد الفلسطينيين .

وقبيل غزو لبنان بغية القضاء على الوجود الفلسطيني هناك وإقامة دويلة عميلة لإسرائيل ؛ تظاهر آلاف من يهود الإسلام ضد هذه السياسة . وفي سبتمبر ١٩٨٢ تظاهر ٨٠,٠٠٠ من يهود الإسلام احتجاجاً على مجازر صبرا وشاتيلا .

ومن الجدير بالذكر أن الفهود اقتحموا في ٧٩/١١/١١ مستوطنة العزار في الضفة الغربية واحتلوها . وبالرغم من أنهم لم يستخدموا الأسلحة النارية ؛ فقد تمكنوا من تجريد المستوطنين الأشكناز ، أعضاء غوش ايمونيم ، من سلاحهم . وبقيت المستوطنة تحت تصرف الفهود إلى أن وصلت قوات كبيرة من الجيش لمساعدة المستوطنة . وربط الفهود هذا التضامن مع الشعب الفلسطيني بالنضال ضد السياسة الاقتصادية ؛ التي ألغت الدعم المالي الحكومي للمواد الغذائية وتسببت في استمرار التضخم المالي . وفي الاصطدامات الدموية التي جرت في ٧٩/١١/٢٠ و ٧٩/١١/٢١ ؛ اعتقلت قوات الأمن ١٧ متظاهراً . **وتضيف جريدة هآرتس (٧٩/١١/٣٠) أن أطفال يهود الإسلام في حي القطمون بالقدس تحدوا الزوار الأمريكان بصرخاتهم المتتالية :**

كلنا عرفات ... كلنا عرفات ... كلنا عرفات .

وقد تطور هذا التفكير منذ ظهور الفهود السود . ففي ٧٢/٤/١١ ؛ نشرت جريدة معاريب الإسرائيلية تقريراً عن النقاش الذي جرى بين زعماء الفهود ورجال الحزب الصهيوني اليساري « مبام » ؛ في معهد « هشومير هتساعير » الثقافي في غور بيسان . وهذا ملخص ماصرح به الفهود :.

نحن نهدف إلى الثورة الاجتماعية التي ستكون يسارية ، ولكنها لا تشابه الثورة الروسية أو الصينية . سوف نؤسس مجتمعاً مبنيا على المساواة التامة ، وسوف نناضل مع المسحوقين العرب ضد المؤسسة . إننا الشريحة الاجتماعية الوحيدة التي تستطيع أن تكون جسراً للسلام مع العرب ؛ في نطاق هذا الكفاح . نحن نعارض الكولونيالية الرامية إلى الاستيلاء على أموال المواطنين ، ولذلك ؛ نحن لا نفرق بين الكولونيالية العسكرية والكولونيالية الاستيطانية ، وهذا هو الفرق بيننا وبين حزب المبام (لأن كيبوتسات هذا الحزب اشتركت في نهب أراضي الفلسطينيين منذ ١٩٤٨) . ونود أن نؤسس حزباً اشتراكيا كبيراً ... لايوجد أي فرق بين زعماء اليمين أو اليسار الصهيوني ؛ كلهم ينتمون إلى مئتي عائلة تسيطر على مصير إسرائيل . إن الاقتراح بصدد تعيين النائب اليمني يشعياهو رئيساً للبرلمان ؛ بغية توسيع تمثيل يهود الإسلام في الحكم ـــ يضحكنا ؛ لأنه نفاق ، لا أكثر ؛ إذ إن يشعياهو وأمثاله ينتمون إلى مئتي العائلة المتحكمة . سوف لا نشترك في المعركة الانتخابية القادمة ؛ لأنه لا يمكن إجراء تغييرات في الدولة عن طريق البرلمان ، ولا يهمنا إذا كان جميع أعضاء الكنيست أشكنازاً ؛ لأن البرلمان غير مهم . الموظفون الكبار المعينون من قبل الحكومة يَبُتُّون في أمور البلاد ، ويبلغ عددهم ٣٠٠ موظف من ذوي الدرجات الأولى إلى الثالثة . ومن هؤلاء ٩ فقط من يهود الإسلام ، وحتى هؤلاء تابعون لمئتي العائلة المسيطرة على الدولة . إن ثورة يهود الإسلام سوف تتفجّر في غضون ٣٠ عاماً .

وقال أحد زعماء الفهود : كوخابي شيمش ـــ إن الأسطورة التي تزعم أن يهود العالم الإسلامي يكرهون العرب غير صحيحة . وإن المؤسسة هي التي طورت الكراهية . إن اليهود عاشوا في العراق في سلام وطمأنينة إلى أن قَدِمَ العملاء الصهاينة إلى العراق ، وضربوا المراكز اليهودية بالقنابل ؛ بغية خلق تناقض بين اليهود والمسلمين في هذا البلد .

وبشأن التعاون مع الشعب الفلسطيني ؛ صرّح الفهود بقولهم : « إننا نظمنا اجتماعات مع فقراء اليهود ، ومع الفلسطينيين ؛ في القدس العربية وفي نابلس وأماكن أخرى ... إن الفلسطينيين يبدون العطف نحو نشاطنا . علينا أن نهدف إلى النضال المشترك مع العرب ضد المؤسسة الحاكمة » .

وبخصوص أعمال العنف قال شارلي بطون : « يجوز استخدام العنف رداً على عنف الحكومة . إن قوانين الدولة تحمي نظام الحكم لا المواطن ، ولذلك ؛ أرغمنا على استخدام العنف ضد العنف » . وقال شيمش إن الفهود السود اختاروا هذا الاسم لأنه يسبب صدمة ، وقد استعملته لأول مرة

السيدة ميوحاس ؛ عضو المجلس البلدي المقدسي ــ عندما قدمت تقريرها عن هؤلاء الشبان ونعتتهم بهذا الاسم .

ولم يكن هذا التعاطف مع الشعب الفلسطيني إلّا جزءًا من ثورة نفسية حضارية تفجرت في قلوب يهود العالم الإسلامي في إسرائيل ؛ وهي انتعاش الحضارة العربية الإسلامية ، والعودة إلى هذه الهوية العريقة . يقول أحد المثقفين للصحفي شالوم كوهين (العراقي ــ المصري) : « لقد قالوا لنا خلال أعوام طويلة ــ إنكم لستم إلّا عرباً . وكان هذا يعني أكبر شتيمة يقذفوننا بها ، فأخذ ينتابنا ــ رويداً رويداً ــ شعور بعقدة الدونية بالنسبة للأشكناز ... وعندما نعتني أحدهم بأنني عربي ؛ قابلته باللكم والضرب . وبعد زمن على تلك الحادثة ؛ قلت بيني وبين نفسي : في الواقع ... هذا صحيح ... إنني يهودي عربي . وأصبحت كلمة « عربي » لا تمثل شتيمة ، ليس بالنسبة لي وحدي فحسب ، وإنما بالنسبة لكل من هم في مثل وضعي » .

وهكذا ؛ أخذ الكثير من يهود دار الإسلام في إسرائيل يقولون : « إننا نعرف العرب جيداً ، وباستطاعتنا العيش معهم بشكل أفضل مما نستطيعه مع هؤلاء الذين نعيش معهم حاليا » (أي اليهود الأشكناز) .

وبعد أن عاد الفوج الأول من الصحافيين الإسرائيليين من مصر في شباط ١٩٧٨ ؛ روى المذيع الإسرائيلي أنه بينما كان اثنا عشر صحافيًّا إسرائيليا يقومون بنزهة على متن قارب في مياه النيل ، وكان بينهم يهوديان من أصل عربي إسلامي ــ قال أحدهم ، ويدعى شلومو عنبري ؛ بعد أن تأثر بطبيعة البلاد الجميلة : « أنا يهودي ــ عربي ، واسمي الحقيقي سالم ، وأشعر هنا بالهناء » . وأثار هذا القول غيظ زملائه الأشكناز . وما أنْ عاد العنبري إلى القدس حتى طُلِبَ إليه أن يوضح ماذا كان يعني قوله بالضبط ؛ فأجاب : « لقد ولدت في العراق ، وتلقيت قسماً من علومي في مصر ؛ فتشربت الفكر العربي بعمق . إنني أجيد لغتهم ، وأحب موسيقاهم . بالتأكيد ؛ إننى إسرائيلي القومية ، يهودي الدين ، ولكن لا يضيرني مطلقاً أن أكون عربي الثقافة والفكر » . وقد لاحظ جميع أعضاء الفوج أن الصحافيين الإسرائيليين من أصل عربي إسلامي يتدبرون أمورهم أفضل بكثير من زملائهم الأشكناز ؛ فعلى حين أنهم كانوا يختلطون بالجمهور بسرور واضح ، كان الأشكناز يفضلون أن يرافقهم بعض رجال الأمن المصريين . وفي إحدى الأمسيات ؛ طرح رئيس تحرير صحيفة « يديعوت احرونوت » الإسرائيلية ــ السؤال التالي بصوت مرتفع : « ماذا سيحدث في المجتمع الإسرائيلي إذا حل السلام مع العرب ؛ عندما تكون غالبية الشعب عندنا تشعر بأنها أقرب إلى العرب منا نحن (أي اليهود الأشكناز) » . ثم أردف : « من الجائز أن وقت السلام لم يحن بعد » [الأزمنة الحديثة لجان بول سارتر ، إسرائيل الثانية ، ترجمة : فؤاد جديد] .

وقد كان الفهود السود من طلائع المفكرين الذين تحدوا المؤسسة الصهيونية الأشكنازية ؛ معلنين أن يهود العالم العربي هم جزء من الأمة العربية الإسلامية . يقول كوخابي شيمش ، العراقي الأصل : « لايوجد أي فرق بيني وبين العرب ، والاستثناء الوحيد هو الدين . إن الذين يقولون إن الأصل

الديني يحدد القومية ؛ عليهم أن يقروا بأن الكاثوليك العرب والكاثوليك الفرنسيين ــ مثلاً ــ تابعون لأمة واحدة » (وهذا غير ممكن) . وعندما قابل شيمش المهاجرين الأشكناز من روسيا ؛ أيقن أنه لاتوجد أية روابط قومية بينه وبينهم . ويضيف قائلا : « إن يهود الإسلام وهؤلاء اليهود الأشكناز تابعون لحضارتين مختلفتين ولمنطقتين جغرافيتين مختلفتين ، وإذا شئت ... نحن نختلف حتى في بنيتنا الجسدية ، ولا يوحدنا إلّا الدين » . ويعتقد شيمش أن دولة إسرائيل تحاول أن توحد طوائف دينية مختلفة القومية في أمة واحدة ... « هذه هي النظرية الصهيونية ، في حين أن التطبيق الصهيوني هو معاملة يهود الإسلام كما معاملة الفلسطينيين » (أي إن التطبيق مبني على التمييز العنصري) . ويقصد شيمش أن هذا التناقض بين النظرية الصهيونية والتطبيق الصهيوني ناتج عن عدم واقعية النظرية وعن خطئها [ماتسبين ، يناير ١٩٧٣] .

ويقول أحد الجنود الإسرائيليين إنه في إحدى معارك ١٩٧٣ ــ شاهد جماعة من الجنود قد تركوا مواقعهم الحربية وأخذوا يلعبون القمار ، وعندما نصحهم بالذهاب إلى مواقعهم ؛ رفضوا ؛ لأنهم لم يروا أنفسهم جزءًا من الكيان الصهيوني [سفيرسكي ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٦] .

وقال النائب بيطون في البرلمان (٨١/١/٧) إن التمييز ضد يهود الإسلام هو سبب تهربهم من الخدمة العسكرية الإلزامية ، وإن ٩٠٪ من السجناء في السجون العسكرية هم من يهود الإسلام . ومعنى هذا أن الذين ينضمون إلى القوات المسلحة ؛ يخالف قسم كبير منهم أوامر الضباط اليهود الأشكناز ؛ فيحبسون . ويعلل هذه الظاهرة ناتان دونيفيتش [هآرتس ، ٨١/٢/٦] بكون الجيش رمزاً للمؤسسة الحاكمة . لذلك ؛ يقول الكاتب إن الخدمة العسكرية لدى هؤلاء الشبان هي شيء غير عادي ، وإن الفرار من الجيش هو الأمر العادي* .

إن ملخص الرسالة الآتية ؛ التي أرسل بها أحد الفهود إلى أخيه الجندي ــ قد يشرح الحالة التغريبية بين هذه الشريحة المسحوقة والمؤسسة السياسية والعسكرية الحاكمة . إنه يصف في الرسالة حالته المأساوية كما يلي :

لقد ولد ابنه الخامس الذي سوف ينام على السرير ذاته مع أخيه عزرا وأخته غيؤله . يعقوب ؛ ابنه البكر اعتقل بتهمة سرقة شكولاته وسوف يحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وفي السجن سيتعلم تعاطي المخدرات وأعمال السلب . ابنته روتي البالغة من العمر سبعة أعوام تعاني من الروماتزم ، وتكح دماً طوال الليل ؛ بسبب سوء الأحوال السكنية . وعندما طلب المساعدة من وزارة الإسكان ؛ صرخ الموظف في وجهه قائلاً إن الحكومة تعتني بإسكان المهاجرين الجدد . ثم يتساءل الأب : عندهم فلوس من أجل المهاجرين ، ومن أجل المستوطنات والأمن ، ومن أجل توظيف الأموال في إيران (الشاه) وفي أوغندا ، ومن أجل « هلتون » ، ومن أجل تغطية العجز

* بلغ عدد المتهربين من الجيش خلال العام ١٩٨٦/١٩٨٥ عشرة آلاف . ويقول اميل اليمليخ ؛ قائد الشرطة العسكرية ــ إن ٧٢٪ من سجناء اليهود العرب في الجيش يقضون أحكاماً بسبب تهربهم من الخدمة العسكرية (١٩٨٦/٩/٢٢) .

المالي في البنوك ... فلماذا ليس عندهم فلوس لإنقاذ حياة ابنته من الموت !... حتى الموت غالٍ في إسرائيل !! لكن أجره الشهري لا يتجاوز ٤٥٠ دولاراً ! ثم يقول لأخيه الجندي : أنت لا تدافع عني ؛ فأنا لا أملك أي شيء يحتاج إلى الدفاع ، وحياتي ليست حياة ! أنت تدافع عن أولئك الذين يضطهدونني ، أنت تدافع عنهم ــ يا أخي ــ ليتمكنوا من اضطهادي . التوقيع : المواطن الفقير . [نشرة الفهود السود ، ٧٢/١١/٩] .

وأذكر (الكاتب) شاباً من أصل يمني رفض الخدمة العسكرية بسبب التمييز العنصري ؛ فحكم عليه بالسجن ، وهناك أرغم على الزحف لعدة أيام إلى أن أصابه الشلل . وأذكر ضابطاً أشكنازيا قال لجندي احتياطي من أصل عراقي (**وكل سكان إسرائيل هم جنود احتياطيون**) « عليك أن تخدم العَلَم » ؛ فرفض الشاب قائلاً : « هذا علمك مش علمي ... » .

وأدى هذا التهرب من الخدمة العسكرية الإلزامية إلى إضعاف معنويات الجنود البسطاء في القوات البرية ؛ ومعظمهم من يهود الإسلام . ومنذ الحرب اللبنانية لم تستطع القيادة العامة للقوات المسلحة أن تعتمد على هؤلاء الجنود ؛ فأُرغمت على استخدام سلاح الطيران والبوارج الحربية ؛ من أجل تدمير المواقع السورية والفلسطينية ؛ لأن سلاحي الطيران والبحرية بأيدي اليهود الأشكناز . وقد أدى هذا التحول إلى المزيد من الدمار والفتك بالمدنيين الأبرياء .

بوادر الكفاح المسلح :

استمر تطور العداء للمؤسسة الصهيونية الحاكمة ، والإيمان بالعنف كطريقة نضالية لابد منها ، حتى تجسدا في عدة منظمات صغيرة ، مثل ؛ الجبهة الحمراء ؛ وهي حركة سرية استخدمت الكفاح المسلح ضد إسرائيل لنجدة الجمهورية العربية السورية والمقاومة الفلسطينية في أوائل السبعينيات ، وضمت يهوداً عرباً ويهوداً أشكنازاً وفلسطينيين . ومن ضمن الذين ألقي القبض عليهم بتهمة الانتماء إلى هذه الجبهة ؛ حسقيل كوهين ، وكان عضواً سابقاً في منظمة الفهود السود ، وحكم عليه بالسجن لمدة ٧ سنوات .

وعلى خلاف هذه المنظمة ؛ منظمة « ماعتس » ــ تدعى « م . ع . ص » ، ويقال إن هذه الحروف تعني « مجلس الفارين من الجيش » ــ التي تضم أعضاء من يهود الإسلام فحسب . وقد قامت هذه المنظمة بعمليات فدائية واسعة النطاق ، وأشعلت النيران في معامل كبيرة . وبما أن المنظمة سرية ، ومحاكمة أعضائها جرت بصورة سرية ؛ فلا أستطيع نشر أي مواد عنها عدا مانشر في الصحف الإسرائيلية . ففي ٧٨/١٠/١٣ ؛ كتبت جريدة هآرتس تقول إن الشرطة قدمت ٦ أعضاء ينتمون لمنظمة « ماعتس » إلى المحاكم بتهمة القيام بثلاث عشرة عملية إشعال نار ، خلال الفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ ؛ في منطقة تل أبيب . إضافة إلى ذلك ؛ سبَّب المتهمون أضراراً مادية تقدر بنحو ٢,٥ مليون ليرة (٥٥,٠٠ ليرة إسترلينية) في معمل بولغات في قرية غات ، في حين أن الأضرار التي لحقت بمعمل بولغات في مدينة اللد ــ بلغت ٣ مليون ليرة . ومن المعروف أن معمل بولغات

ينتج الصناديق التي تعبأ فيها الحمضيات المعدة للتصدير . وقد دام الحريق هناك ٣ أيام على التوالي . وحقق البوليس مع المتهمين مستخدماً كل أساليب التعذيب الوحشية ، ثم جرت محاكمتهم محاكمة سرية ، وحُكم عليهم لمدد طويلة واختفوا بعد ذلك من الإعلام الإسرائيلي . وقامت الجماعة بعمليات تخريبية أخرى في محلات لبيع الأثاث ، وفي بناية جريدة هآرتس . واتُهمت الجماعة بتدبير « مؤامرة » لنسف مركز البوليس في تل أبيب واغتيال الضباط الكبار .

ويقول الصحفي المشهور شالوم كوهين (الذي عمل سنوات عديدة في إدارة تحرير مجلة « هعولام هزّيه ») : إن هذه الجماعة كان لديها « رئيس وزراء » ، وأسلحة مسروقة من الجيش . وبعد تحقيق دام بضعة أشهر ؛ اعترف أعضاؤها بأن تنظيمهم هو « الألوية الحمراء الإسرائيلية » . وكلهم ينتمون إلى « الحزام الأسود » ؛ أي الأحياء الفقيرة في المدن الكبرى ؛ حيث يسكن يهود الإسلام . وقد بدأت هذه المنظمة فعالياتها في حي هَتِكْفا بتل أبيب . وكان من بين أهدافها اختطاف وزير العدل : صموئيل تَمِّير ؛ الذي عارض العفو العام . وقد قاموا بإحراق عدة مؤسسات صناعية ؛ من ضمنها معمل النسيج الذي بلغت الخسائر فيه وحده ٤٠ مليون ليرة إسرائيلية . وأكد ممثل النيابة العامة أن تلك الحرائق تستهدف الاقتصاد القومي ، وأن أعضاء هذا التنظيم هم أعداء إسرائيل [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ص ٩٦] .

وهناك عمليات تخريبية يقوم بها الأفراد . وفي هذه الحالات ؛ يتعذر على البوليس إلقاء القبض على المشبوهين ؛ فتوصف « بالحوادث » . ويؤمن الكثيرون في إسرائيل بأن المخابرات الإسرائيلية « شين بيت » تغتال ـــ سرًّا ـــ الأفراد الذين يُعتقد أنهم « يتعاونون مع العرب » ، وبأنها تكون دائماً غير قادرة على إثبات التهمة بالحقائق أمام المحاكم . وتجري الاغتيالات في أثناء الخدمة العسكرية الاحتياطية ، ثم تخبر المخابرات عائلة الضحية بأنه قُتل بأيدي المتسللين العرب أو في عملية عسكرية .

وبعد حوادث جماعة « ماعتس » ؛ استمر الفهود في كفاحهم ضد المستوطنين الأشكناز في الضفة وضد الحكومة ، وقد ذكرنا كيف احتلوا مستوطنة العزار في ٧٩/١١/١١ . ففي ٨٠/٣/٢٣ ؛ قالت صحيفة هآرتس إن الفهود اقتحموا مكاتب وزير العمل والتأمين الاجتماعي : يسرائيل كاتس ، وتركوا فيها ٨ أرانب ؛ احتجاجاً على عدم مساعدة الفقراء . ثم قام يهود الإسلام في حي عزرا وحي هتكفا وحي هأرغازيم ـــ بتل أبيب ـــ قاموا بمظاهرة عنيفة يوم ٨١/٤/١٤ ؛ إثر تهديم ٤ منازل بأيدي البلدية . وتمكن المتظاهرون من إحراق المحلات التجارية ، وأملاك البلدية هناك ، ثمت قامت الشرطة بحملة من الاعتقالات . وفي تشرين الثاني ١٩٨٠ ؛ أطلق رجال البوليس النار على الطلاب الفلسطينيين في مدينة رام الله بالضفة ، وأصابوا ١٠ منهم بجروح مختلفة . وفي اليوم نفسه ؛ أطلق البوليس النار على شاب يهودي عربي بالقدس بدون أي سبب ؛ فأصيب الشاب بجروح خطيرة . وألقى النائب شارلي بيطون كلمة في الكنيست استنكر فيها هذه الحوادث ؛ قائلاً : **إن هذه الحكومة هي عدو اليهود والعرب ، وأضاف : « إنكم سوف ترون تأسيس جبهة واحدة تضم اليهود العرب في حي المصرارا وطلاب جامعة بئر الزيت ؛ ضد حكومة التجويع والاضطهاد »**

[زو هديرخ ، ٨٠/١١/٢٦] .

وفي هذه الفترة من الكفاح الجماهيري ؛ وتحديداً في ٨٠/٨/٣٠ ؛ توحدت جميع منظمات الأحياء الفقيرة في إطار منظمة قطرية مستقلة واحدة . وفي الاجتماع التأسيسي الذي عقد في تل أبيب ؛ استنكر الخطباء مايلي :

١ ــ التمييز العنصري .
٢ ــ احتقار حضارة يهود الإسلام وتراثهم العربي .
٣ ــ المعاملة الأبوية التي يتلقاها يهود الإسلام من قبل اليهود الأشكناز .
٤ ــ إهمال مشروع إنعاش الأحياء الفقيرة .
٥ ــ إهمال التنمية الاقتصادية في « مدن التنمية » .

وطالب المجتمعون بالمساواة التامة مع اليهود الأشكناز في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وأكدت المنظمة أنها مستقلة وغير سياسية . ولكنها أشادت بمبدأ « صرف أموال الدولة على الأحياء الفقيرة لا على المستوطنات الأشكنازية في الأراضي المحتلة » .

واستمرت أعمال العنف في الأحياء الفقيرة . ومن ذلك ماذكرته جريدة هآرتس عن اعتقال ٩ أشخاص في حي هتكفا إثر إحراق حافلة وسيارة ومخزن للبلدية وأملاك رسمية أخرى . ومن ضمن المعتقلين كان شلومو (سالم) خوجه ، والياهو (الياس) سيسو ، وداليا باتاي ، وآخرون .

وكتب دان مرغليت في الجريدة نفسها (٨١/٤/١٧) : إن الفهود السود نجحوا في عملهم السياسي ؛ لأنهم عبّروا عن المشاعر الحقيقية لهذه الجماهير بشأن التمييز والضائقة الاجتماعية ، وكذلك ؛ لأن المؤسسة الحاكمة أصابها الذهول بسبب هذه الظاهرة المفزعة . ويعلل الكاتب فشل الفهود في انتخابات الهستدروت ذلك العام ؛ بظهور نوع جديد من الاحتجاج لدى يهود الإسلام : وهو الامتناع عن الاشتراك في الانتخابات .

وكان سعديا مرصيانو ، أحد قادة الفهود ، قد تنبأ منذ ١٩٧٨ بامتداد أعمال العنف ضد السلطات ؛ إذ قال : « إن الأشكنازيين غير مستعدين للتخلي ولو عن جزء بسيط من هيمنتهم ... ولهذا فإنني أتوقع في هذا السياق أن يتكرّر التفجر الذي حدث عام ١٩٧١ . وعندما يحدث ذلك ؛ فإن جيل الحركة البديلة سيكون أكثر عزماً وتصميماً ، وسيكون أكثر عنفاً وفعالية . وبالنتيجة ؛ سيكون الانفجار أشد قوة » . وتوقع مرصيانو أن « جيل الغد سوف يتوجه نحو التجزئة والتقسيم » [الأزمنة الحديثة لسارتر ، إسرائيل الثانية ، ص ١٨٢] .

واعتبر « الفهد » كوخابي شيمش انضمام قسم من الفهود إلى الجبهة الديمقراطية (التي تضم المجالس العربية والحزب الشيوعي) ــ أمراً مهمًّا جدًّا ... « إننا باختيارنا هذا نكون قد خلقنا ــ لأول مرة ــ صلة حقيقية رسمية بين الشرقيين الذين يعانون من التمييز وعرب فلسطين الذين يعانون منه أيضاً . إن تلك الصلة مهمة بالنسبة لنا ــ نحن الشرقيين ــ الذين يجب أن نرى في هؤلاء العرب

حلفاءنا الطبيعيين » [المصدر السابق] . ويشدد شيمش على هويته العربية فيقول : « أنا شرقي ؛ وبكلمة أدق ؛ إنني يهودي عربي ، أحمل ثقافة عربية » . إلّا أنه ينكر وجود صلة حضارية بينه وبين اليهود السفارديم الذين جاءوا من بلاد البلقان (ويبدو أنه لايعرف أن هؤلاء اليهود هم أيضاً يهود عرب ؛ كانوا قد طُردوا مع إخوانهم المسلمين من الأندلس ؛ بعد سقوط الدولة العربية الإسلامية هناك) [المصدر السابق ، ص ١٨٦] .

ويضيف شارلي بيطون : « إنني أشعر في قرارة نفسي بأنني أقرب إلى العرب مني إلى الأشكنازيين . وعلاوة على ذلك ؛ فإذا تكلمنا من الناحية الثقافية فإن العادات والتقاليد والموسيقى التى أَلِفَهَا آبائي في المنزل والعقلية ؛ ترتبط بوثوق بالعالم العربي . لقد أطلقوا علينا هنا « الذين أصلهم من البلدان الإسلامية » ؛ إذن فنحن جزء متمم للقومية العربية . وأنا كشرقي ، وكما أنه يوجد عرب مسيحيون وعرب مسلمون ؛ فأنا يهودي عربي » . ويتوقع بطون أن « إسرائيل التي هي متراس للغرب وللولايات المتحدة في الشرق الأوسط ؛ سوف تصبح — بعد السلام — جزءًا من الشرق الأوسط، بحيث لا تستطيع كل الجهود وكل الدهاء الأشكنازي تغيير شيء [المصدر السابق ، ص ١٨٨ و١٨٩] .

وبعد ٣ سنوات ؛ توقع موني يقيم ، أحد الفهود السود — استخدام الكفاح المسلح ؛ إذ قال : **« ليس من الممكن التصدي للتمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام في فلسطين بواسطة وسائل ديمقراطية ، ومن المؤسف أن الطبقة الأشكنازية الحاكمة قد تدفعنا إلى استخدام الكفاح المسلح ضدها ؛ كي نحصل على أهدافنا العادلة »** [هآرتس ، ١٩٨١/٩/١١] . وأردف قائلاً : « إن الفهود السود يمثلون حركة سياسية تدافع عن يهود الإسلام ؛ الذين أصبحوا الطبقة العاملة في فلسطين . ويؤمن هؤلاء المظلومون بأن الوسائل الديمقراطية باتت غير عملية ؛ **إذ لم يعترف العالم بمنظمة التحرير الفلسطينية إلّا بعد أن بدأت عملياتها الفدائية »** . وخاطب يقيم اليهود الأشكناز قائلاً : « إن الجيل الجديد لليهود العرب سوف لا يتكلم معكم ، أيها الأشكناز ، بل سوف يعمل » . وأعرب عن معارضته لهجرة اليهود الأشكناز من الاتحاد السوفياتي ؛ لأن **« هؤلاء المهاجرين رجعيون ، وتجلبهم الحكومة لإسكانهم في الأراضي العربية المحتلة »** . وأضاف شارلي بطون ؛ زعيم حركة الفهود السود في الجبهة الديمقراطية ، أضاف في هذه المقابلة الصحفية : « إن المهاجرين الأشكناز من الاتحاد السوفياتي غير مرغوب فيهم هنا ؛ لأنهم يأتون للاستيلاء على بيوتنا » (ومن الجدير بالذكر أن الحكومة منحت هؤلاء المهاجرين المنازل التي كانت قد بنيت لإسكان فقراء يهود الإسلام ؛ الذين كانوا ينتظرون ذلك منذ ١٩٤٨) . وبشأن الكيبوتسات الأشكنازية ؛ أعلن يقيم أنها « تمثل وجه إسرائيل البشع ، وأن أرباحها يجب أن توزع على العمال ؛ أبناء يهود الإسلام » . وأعرب عن كراهية يهود الإسلام تجاه هذه المستعمرات ؛ لأنها تستغلهم . وأكد أن يهود الإسلام سوف يستولون على المستعمرات في المستقبل . وطالب بمنح نصف أراضي الكيبوتسات للفقراء . وبصدد الانتخابات ؛ قال إن انتصار الفهود لا يقاس بعدد الأصوات ، بل بانتشار آرائهم الثورية في صفوف الأحزاب المختلفة وفي المجتمع . وشدد يقيم على **أن أمريكا تعرقل**

التقارب بين اليهود العرب ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وقد أثارت هذه التصريحات الثورية ضجة استياء في المجتمع الصهيوني الأشكنازي . واتهم اهرون شتيرن هذا الفهد بأنه يهدف إلى إكمال عمليات هتلر ؛ أي إبادة اليهود الأشكناز . وهدّد شتيرن بأن « المستوطنين اليهود الأشكناز سوف لا يقفون مكتوفي اليدين » [هآرتس ، ٨١/٩/١٨] . وعلى إثر هذه الاتهامات الكاذبة ؛ طلب موني يقيم من جريدة هآرتس أن تسمح له بالرد على هذه الدعاية الصهيونية ؛ فنشرت له هآرتس مقالا (١٩٨١/١٠/٣٠) ؛ قال فيه : « ... **وبصدد الكفاح المسلح ؛ ففي رأيي أن الطبقة الأشكنازية الحاكمة قد استخدمت ـــ دائماً ـــ القوة للاستيلاء على المراكز الاقتصادية والسياسية . وعلى ضوء التطورات التاريخية ؛ يجب علينا أن ندافع عن أنفسنا ، وأن نقابل أعمال العنف الحكومية بعنف الجماهير ، وأن نجابه السلاح بالسلاح** . إن حماقة الطبقة الأشكنازية الحاكمة وغطرستها دفعت بنا إلى هذا الوضع المحزن ؛ حيث أغلقت في وجوهنا جميع الوسائل الديمقراطية المؤدية إلى رفع الظلم الصهيوني الأشكنازي » . وأخيراً ؛ طالب يقيم « بإجراء تغيير مبدئي يؤدي إلى الكفّ عن عبادة الصهيونية ، وإلى اتخاذ سياسة إنسانية ، أخلاقية ، معادية للعنصرية ، مبنية على التعاون مع الشرق الأوسط » (يعني التضامن مع نضال الأمة العربية الإسلامية ؛ من أجل التحرر السياسي والاجتماعي) .

وفي كانون الأول ١٩٨٢ ؛ نشأ التحالف بين حركة « السلام الآن » ويهود الإسلام في الضواحي الفقيرة من المدن الكبرى ؛ ضد الاستيطان الصهيوني لمقاومة الإشاعات المسمومة التي تبثها المؤسسة الحاكمة ، التي تزعم أن يهود الإسلام يكرهون الفلسطينيين ... وأشار مرصيانو وبن هروش إلى أن وسائل القمع المستخدمة في الأراضي المحتلة سوف تستخدم ضد يهود الإسلام ـــ أيضاً . وفي اليوم نفسه (٨٢/١٢/٢٣) ؛ هدمت الشرطة قسماً من بيت اليهودي اليمني شمعون يهوشوع ، وأطلقت عليه النار فأردته قتيلاً ، وذلك في كفر شاليم بتل أبيب . وعلق روبين بن هروش ؛ ممثل حارة المصرارا بالقدس : « قبل ١٩٦٧ ؛ علمونا أن العدو هناك (مشيراً إلى القدس العربية) ، وبعد ذلك ؛ أدركنا أن العدو الحقيقي هنا » (مشيراً إلى الضواحي الأشكنازية من القدس الجديدة) [هآرتس ، ٨٢/١٢/٢٤] .

وفي هذه الأثناء ؛ نشر ص . أبو طبول ؛ وهو شاب يهودي من أصل عربي أرغم على الذهاب إلى الحرب اللبنانية كجندي ـــ نشر القصيدة التالية في جريدة هآرتس (٨٢/٦/٢٥) . وفيها عبّر عن مأساة أبناء طائفته على الساحة اللبنانية ، وعن الجدار الذي أقيم لفصل يهود الإسلام عن الأمة الإسلامية :

قصيدة ساذجة للجارة وراء الحدود

وقفت أمامي وحدّقت بي ،
رأيت عيونها ،

وماأعظم التشابه بينها وبين عيون أمي .
شاهدت الآلام في عيونها !
تُرى ، ما أعظم التشابه بينها وبين آلام أمي .
ليت شعري ؛ ماذا أقول لنظرات هذه الأم ؟
الأم ــ وراء الوادي ،
الأم التي تحدّق بي ، وعيونها
تقول لي كل شيء ،
كل ما لم يقولوا لي هنا ؛
قريباً مني .
ليت شعري ؛ كيف أقابل هذه الصرخة في عيونها ؟
لم يعلموني قَطُّ مشاهدة الصرخات في العيون ــ
عيون وراء الوادي ؛
لم يعلموني قَطُّ مشاهدة عيون وراء الوادي .
لم يعلمونى قط مشاهدة
الحياة وراء الوادي .
إذن ما علموني !
يأيتها الجارة ، وراء الوادي ، لَكِ
أقول : لم يعلموني ؛
سَدّوا سبيلي
إليك ــ إلى عواطفك ؛
منعوني عن كل اتصال ؛
لك أريد أن أقول :
الآن أعرف ،
والمعرفة معناها المشاهدة .

وبعد شهر نظمت لجنة الأحياء الفقيرة ومدن التنمية ليهود الإسلام حفل تأبين في تل أبيب ؛ على أرواح ضحايا الحرب اللبنانية . ونادى شعار الحفل بإيقاف الحرب ، وتنفيذ مبدأ المساواة في البلاد . وقال داؤد حمو ؛ الممثل الحيفاوي لهذه المنظمة : « في هذه الحفلة التأبينية نشعل شمعتين : واحدة على أرواح شهداء الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني ، والثانية على أرواح القتلى من اليهود ؛ وبهذا ندعو إلى وقف هذه الحرب . نحن أبناء البلدان الإسلامية ــ نؤمن بأنه يجب على إسرائيل أن تنضم إلى شعوب المنطقة بواسطة حوار سلمي ؛ على أن تحترم إسرائيل حضارة الشعوب الإسلامية وعاداتها وتقاليدها » . وندد داؤد حمو بعدم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ، وقال إن هذا يعارض المبادىء الديمقراطية . وأضاف « أن عدم المساواة في استخدام موارد الدولة يشكل الجانب الثاني

لسياسة القوة ؛ التي تستخدمها إسرائيل ضد العرب ، وأن هذه السياسة الداخلية قد خلقت نوعين من اليهود المواطنين . وبسبب الحرب ؛ سوف يتفاقم عدم المساواة ؛ لأن العبء الاقتصادي في الحرب يُفرض على الطبقات الضعيفة . ومقابل ذلك فإن الحرب تُغني تجار الحرب ، ولذلك ؛ فإن الفجوة بين يهود الإسلام واليهود الأشكناز سوف تتعمق » . ثم أشعلت الشموع على أرواح الشهداء والقتلى ، وعبر المجتمعون عن تضامنهم مع الأمة العربية وراء الحدود . وفي القسم الثاني من الحفل ؛ غنّت فرقة « الخيار الطبيعي » بقيادة شلومو (سالم) بار (المغربي) — غنت الأغاني التي تعبر عن التضامن مع معاناة جميع الشعوب المسحوقة . ومن ضمن شعارات الاجتماع كان الشعار القائل : « الأشكناز فشلوا في إدارة المجتمع وفي شأن السلام » ، وشعار آخر أشاد بوحدة يهود الإسلام في فلسطين [زو هديرخ ، ٨٢/٧/٢٨] .

التحالف المرحلي :

وفي ٨٣/٢/١٠ ؛ تظاهرت حركة « السلام الآن » بالقدس ضد الجزار « شارون » والسياسة العدوانية ؛ فهاجمت العصابات الفاشية برئاسة كاهانا المتظاهرين ، واعتدت عليهم وضربتهم وسبتهم ، ثم أُلقيت قنبلة عليهم ؛ قتل من جرائها اميل غرونزفيج ، وجرح عدد آخر من المتظاهرين . وقد كتبت الصحافة الأشكنازية مئات المقالات عن هذا الأشكنازي المسالم ، ولكنها تغاضت عن اليهودي العربي : عدي ليفي ؛ الذي تظاهر معه وأُصيب بجروح خطيرة جدا ، بقي من جرائها في المستشفى مدة طويلة ؛ بين الحياة والموت . كما تغاضت وسائل الإعلام عن باقي يهود الإسلام الذين تعرضوا للاعتداءات الفاشية . وكتبت عن هذه الحقيقة الكاتبة المعروفة شولميت هارإيبن ؛ التي كانت شاهدة عيان لهذه الحادثة ؛ في مجلة نيواوتلوك ؛ في عددي آذار ونيسان ١٩٨٣ . ونشر امنون دنكنير عدة مقالات صوَّر فيها اليهود الأشكناز كمسالمين ، ويهود الإسلام كزعران فاشيين ، وتناسى أن كاهانا وشارون وباقي الزعماء الفاشيين كلهم يهود أشكناز .

وفي حي المصرارا وقرية مناحيم وحي هتكفا ؛ نظم يهود الإسلام مظاهرة ؛ سارت إلى مستوطنة إفرات بالضفة الغربية ؛ تحت شعار « اصرفوا الأموال على الأحياء الفقيرة لا على المستوطنات » [نيواوتلوك ، آذار ، ١٩٨٣] .

غير إن التحالف بين يهود الإسلام والفلسطينيين — من جهة — وحركة « السلام الآن » ، التي تستند على الكيبوتسات الغنية — من جهة أخرى ؛ لا يمكن أن يكون تحالفاً ثابتاً ؛ لأن هذه الكيبوتسات ضاعفت رءوس أموالها وأرباحها عدة مرات منذ ١٩٤٨ ؛ بسبب استغلالها لمدن « التطوير » ، واستيلائها على أخصب الأراضي الفلسطينية عن طريق قوانين مختلفة منها قانون امتلاك الأراضي . علاوة على ذلك ؛ فإن الكيبوتسات تزوّد دولة إسرائيل بأهم الكوادر العسكرية والأمنية ، مثل : الضباط والطيارين وقادة القوات المسلحة والمخابرات ، وهي ؛ أي هذه الكوادر ، تشبه طبقة المماليك في مصر ، والطبقة الإنكشارية في الدولة العثمانية ، وقد رأينا في الحرب اللبنانية أن معظم هذه الصفوة العسكرية عارضت الغزو أو الاستمرار فيه ، لكنها نفّذت الأوامر كاملة عدا

ضابطاً واحداً وهو الضابط « جبيع » .

وبخصوص التناقض الطبقي بين الكيبوتسات وعمالها الأجراء : أبناء الوطن العربي الإسلامي ؛ فقد كتبت جريدة هآرتس (٨٥/٢/٨) عن « إشاعة » تقول إن زعامة اتحاد الكيبوتسات عقدت اجتماعاً سريا في كيبوتس قرية عنبيم (قرب القدس) ، وبحثت فيه إمكانية هجوم اليهود العرب العاطلين على الكيبوتسات ، ولاسيما أولئك العمال الذين فصلوا عن أعمالهم في الكيبوتسات . وعندما اتصل مراسل الجريدة بزعماء اتحاد الكيبوتسات ؛ مثل : يهود هرئيل وشلومو ليشم ؛ شعر بأنهما لا يتعاطفان مع هذا الموضوع . وقيل له (أي المراسل) إن المجتمعين بعد أن استمعوا إلى محاضرة البروفسور الاقتصادي : حيم بركاي ؛ عقدوا اجتماعات عمل مغلقة ، وفيها لم يتحدثوا عن اصطدامات مسلحة ـــ على حد قولهم ـــ وإنما عن مظاهرات . ولم يبحثوا في كيفية مجابهة هذه الحوادث ؛ بل في كيفية منعها بواسطة إشراك يهود الإسلام في مشاريعهم ، وبواسطة إقامة مدارس مشتركة . وبحثوا أيضاً في تفاقم الأوضاع في الشعب والدولة والشبيبة .

ونحن لانريد أن نقلل من أهمية نضال « السلام الآن » ، وإنما نقول إن هذا التحالف هو مرحلي فقط ؛ إلى أن تغير الكيبوتسات تركيبتها الاستيطانية الصهيونية ، **وسيتم هذا عندما ينضم البابا إلى الحزب الشيوعي ...**

حركة الحزام الأسود :

وفي الأحياء الغربية من القدس ؛ أسس يهود الإسلام منظمة كفاحية تدعى **شاحق (لتحسين حياة الطائفة)**، وذلك في عام ١٩٨٢ . وتمركزت نشاطات الحركة في (حارة) عين غنيم و(حارة) قرية مناحيم ؛ حيث يسكن ١٨,٠٠٠ نسمة ؛ ٨٠٪ منهم من المغرب العربي . ومن أهم زعمائهم يهودا أشرف وأخوه دانيال أوداني . وتشكل المنظمة جبهة عريضة يؤيدها أناس من أحزاب مختلفة . وتطالب المنظمة بتوظيف الأموال في الأحياء الفقيرة لا في المستوطنات الأشكنازية ؛ التي تنهب أراضي الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ؛ منذ ١٩٦٧ . وأعلن سكان هذه الحارات أنهم يدفعون ثمن الحرب اللبنانية ، ومصاريف المستوطنات الاستعمارية . وقام يهود الإسلام : سكان هذه الحارات ـــ بمظاهرات صاخبة ؛ محتجين على دفع ٣٠٪ من دخلهم لتغطية مايسمى بالتعليم المجاني ؛ وبعد أن أعلنت الحكومة عن بداية مشروع إنعاش هذه الأحياء ثم أوقفت البلدية الخدمات التي كانت تقدمها لهذه الأحياء ، وقالت للسكان إن المشروع الجديد سوف يقدم هذه الخدمات ... وتضيف المراسلة ليلي جليلي إن سكان هذه الحارات وأعضاء منظمة شاحق سوف يستخدمون الوسائل السلمية والمتسمة بالعنف (مثل سد الطرق) في كفاحهم [هآرتس ، ٨٢/٩/٢٦] . وبعد ذلك ؛ أقامت هذه المنظمة جبهة موحدة مع منظمة اوهليم ؛ بقيادة « يمين سويسا » ، ومع فرع من الفهود بقيادة سعديا مرصيانو . وكان الدافع الرئيسي لهذه الخطوة هو السياسة الاقتصادية الجديدة ، وتقليص الخدمات الاجتماعية [هآرتس ، ٨٣/٩/٢٣] .

وفي حزيران ١٩٨٣ ؛ نصبت منظمة شاحق مخيماً غير قانوني بالقرب من القدس ؛ بغية الاحتجاج على قلة المنازل . **وأعلن زعيم الحركة دادا بن شطريت أن يهود الإسلام يرفضون الانتقال إلى المنازل الجديدة التي بنيت في الأراضي العربية المحتلة ؛ لأنهم يعارضون سلب أراضي الجيران العرب** . وأضاف بن شطريت قائلاً : « لقد عشنا مع العرب في البلدان العربية في سلام وصداقة ، والآن ؛ نحن مستعدون لأن نؤيد جميع الأحزاب التي تساعد الشعب الفلسطيني ؛ عدا اليمين الصهيوني الذي يستوطن الأراضي العربية المحتلة » . وأكد أحد زعماء الحركة واسمه « يعيش » : « منذ عشرين سنة ؛ استغلونا كلحوم للمدافع على الحدود ، لكننا نرفض الآن أن نكون لحوماً لمدافعهم » . وبعد بضعة أيام ؛ هرعت إلى المخيم قوات كبيرة من الشرطة وحرس الحدود وهدمت المخيم وطردت سكانه بالقوة [هآرتس ، ٨٣/٦/١٧] .

وفي ١٩٨٥ ؛ اتحدت جميع منظمات يهود الإسلام في الأحياء الفقيرة بقيادة الفهود السود ، وبدأت بانتفاضات واسعة النطاق تدعى « **نضال ١٩٨٥** » ؛ ضد سياسة الفقر والتجهيل في وسط يهود الإسلام ، وضد سياسة القمع والاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة . ففي تل أبيب ــ مثلاً ــ نظمت لجان خمس حارات مظاهرات صاخبة ضد تقليص ميزانية الثقافة وتعليم الكبار ونوادي الشبيبة [زوهديريخ ، ٨٥/١/١٦] .

وفي ٨٥/٢/٢٥ ؛ قدّم شارلي بطون وسعديا مرصيانو طلباً إلى المحكمة العليا يسمح لحركة يهود الإسلام بالقيام بمسيرة احتجاجية في الضفة الغربية ؛ ضد رئيس الوزراء وسياسته الاستيطانية . وكان رئيس الوزراء قد قرر ــ آنذاك ــ زيارة المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية . فقرر زعماء « **نضال ١٩٨٥** » التظاهر على امتداد طريق رئيس الوزراء ؛ فدب الذعر في قلوب المؤسسة الحاكمة ، وأمر وزير الدفاع : إسحق رابين بحظر المسيرة الاحتجاجية . وطلبت لوافت هذه المسيرة « صرف الأموال على الأحياء الفقيرة لا على المستوطنات » ، و « صرف الأموال على المسنين لا على المستوطنات » ... إلخ . واعتزم المتظاهرون السير من تل بيوت في جنوب القدس إلى بيت لحم .

وفي ٨٥/٣/١١ ؛ أفادت جريدة هآرتس بأن منظمة « **نضال ١٩٨٥** » **بقيادة شارلي بطون** وسعديا مرصيانو ــ تتهيأ للمظاهرات ضد غزو لبنان وللمطالبة بانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان . وصرح بطون ومرصيانو لمراسلة هآرتس : « **لقد حان أوان استخدام اليد الصلبة لحارات الفقر للضغط على حنجرة الحكومة** » . وقابلت مراسلة جريدة هآرتس : ليلي جليلي أحد زعماء الأحياء الفقيرة : آفي بن داؤد ، وسألته عن سبب تأييده لهذه المظاهرات بعد أن كان مؤيداً لسياسة كتلة الليكود وشارون ــ منذ ١٥ عاماً ؛ فأجاب أن « من الممكن خداع الشعب أحياناً ولكن لايمكن خداعه دائماً » . ثم أضاف : « قالوا لنا : لقد قضينا على المخربين (يعنون منظمة التحرير الفلسطينية) ثم نهضت الشيعة ... وعندما بدأ الجنود الإسرائيليون يتساقطون مثل البط ؛ أخذ سكان الأحياء الفقيرة (أي يهود الإسلام) يعُون ، وللمرة الأولى خرجوا إلى الشوارع يتظاهرون ، لا لأسباب اقتصادية ، وإنما لأسباب سياسية » . وندد بن داؤد باتهامات اليسار الأشكنازي

الصهيوني ، وبالصحافة الأشكنازية القائلة بأن يهود العالم الإسلامي يكرهون العرب ، ويعارضون السلام ، ويحبون الحرب ... إلخ . وأكد أن يهود الإسلام يدركون أن سياسة الحرب هي أحد أسباب الضائقة الاقتصادية [هآرتس ، ٨٥/٣/١٥] .

وفي حي (ج) في بئر السبع ؛ هرع ٥٠٠ رجل من يهود الإسلام لمنع العنصري كاهانا من الدخول إلى الحارة في ٨٥/١٢/١٥ ، وكان قد حضر مصحوباً بزمرة من الزعران [زو هديريخ ، ٨٥/١٢/١٨] . وأشار النائب شارلي بطون إلى أن المظاهرة المعادية لكاهانا في مدينة غِبْعَاتَايِم (قرب تل أبيب) اضطرت هذا العنصري إلى دفع ٥٠٠ دولار لكل من يساعده في استجلاب فقراء من عفولة للتظاهر معه ضد العرب . ثم تساءل النائب بطون : « **من يموِّل كاهانا ؟!** » .

وكتبت مراسلة جريدة هآرتس (٨٥/٨/٢٣) : ليلي جليلي ؛ تقول إن ٥٥ شاباً من الكوادر النشيطة التي تعمل في الأحياء الفقيرة ؛ مثل : حي المصرارا وحي القطمون بالقدس — قد اجتمعوا لبحث مشكلة العنصرية . وفي نهاية الندوة ؛ صرحوا بقولهم : « إن العنصرية تعبّر عن التطرف ، والتطرف لم يكن قط جزءًا من حضارة يهود العالم العربي والإسلامي . إن من يؤذي الفلسطينيين سوف يؤذي يهود الإسلام أيضاً ، ويدفع بالشعب إلى حرب أهلية » . وعقدت هذه الندوة بسبب المبادرة التي قام بها الفهود السود . وأضافت المراسلة أن الحركة سوف تنشر ورقة عن الحياة في الأحياء الفقيرة ، وسوف تقوم بحملة من أجل التوعية السياسية والاجتماعية في « الحزام الأسود » وفي « مدن التنمية » .

حركة المثقفين :

لم تنتشر حركة التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني في الأحياء الفقيرة فحسب ؛ وإنما نشطت بين يهود الإسلام المثقفين أيضاً . ففي ٨٣/٦/١ ؛ كتبت جريدة هآرتس تقول : إن المثقفين من أبناء يهود الإسلام أسسوا حركة جديدة تدعى « **الشرق إلى السلام** » ، وتهدف هذه الحركة إلى : تشجيع قضية السلام مع الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية ، وإلى النضال ضد التمييز العنصري في إسرائيل .

وكان البروفسور مناحيم امير ، وهو من علماء علم الاجتماع ، قد صرح بأن **إسرائيل ناضجة للحرب الأهلية** ؛ بسبب الاستقطاب السياسي والأيديولوجي والانشقاق الإثني الطائفي . وعلق إسحق نابون رئيس الدولة ، وهو من أصل عربي فلسطيني ؛ علّق على هذا التصريح قائلاً : « **إن ثمة أخطاراً ، وأنا قلق . وهذه الأخطار أكثر خطورة من تهديد منظمة التحرير الفلسطينية أو الحرب الخارجية** » [نيواوتلوك ، أيّار ١٩٨٣] .

وفي تموز ١٩٨٣ ؛ أقام الجامعيون الفلسطينيون ويهود الإسلام في حيفا منظمة « **القوة السوداء** » . وتؤمن هذه المنظمة بالتحالف الوثيق بين الشعب العربي الفلسطيني ويهود الإسلام المضطهدين في إسرائيل . وعملت هذه الحركة بقيادة منشي هروني ؛ وهو رئيس اتحاد الطلبة في

جامعة حيفا ، وعضو حزب « تامي » (حزب اليهود المغاربة بقيادة أبو حصيرة) . كما نشط في قيادة الحركة يسرائيل بن بَسْط في بيسان الذي ينتمي إلى كتلة المعراخ (العمالية) . وصرّح بن بسط بقوله : « أعتقد أن على الفلسطينيين ويهود الإسلام أن يتحدوا وأن يناضلوا من أجل مصالحهم المشتركة ، وعلى جميع المسحوقين أن يوحّدوا صفهم » . وعبر نسيم دهّان ؛ الرئيس السابق لنقابة الطلاب ــ عن آراء ثورية بشأن النضال ضد التمييز العنصري . وتضيف جريدة هآرتس (الملحق) (٨٣/٧/٢٢) أن الطالب الفلسطيني نزار حسن كان مصدر المبادرة في تأسيس هذه الحركة .

وتؤمن المنظمة بتوجيه موارد البلاد نحو تحسين أحوال المعيشة في « الحزام الأسود » بدلاً من إنشاء مستوطنات صهيونية على حساب نهب أراضي الفلسطينيين . وتؤيد المنظمة مبدأ السلام مع الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية . وأنشأ هؤلاء المناضلون معسكر عمل في ضاحية حليصة بحيفا ؛ لمساعدة السكان الفلسطينيين ويهود الإسلام . وتتلقى « **القوة السوداء** » التأييد الكامل من قبل الوطنين الفلسطينيين وحزب تامي والحزب الشيوعي وحزب العمل .

ومن الجدير بالذكر ؛ أنه في سنة ١٩٧٢ ؛ أقيمت جبهة مشتركة مماثلة لهذه المنظمة ، واستطاعت ــ وقتها ــ أن تحصل على ٣٢ مقعداً من ضمن ٤٠ مقعداً في لجنة اتحاد طلاب جامعة حيفا . وبعد عام ؛ اتحد أعضاء حزب العمل وجبهة الليكود ضدها ودمروها .

وانضم إلى هذه الموجة الاحتجاجية كتّاب وسياسيون كانوا قد تعاونوا سابقاً مع المؤسسة الصهيونية . وقد ذكرنا الدكتور الياس الياشار ــ سابقاً ، وهنا يجب أن نذكر **الأستاذ ناحوم مناحيم من بلدة قامشلي بسوريَة** . لقد وضع الأستاذ مناحيم كتاباً قيماً يدعى « **توتر وتمييز طائفي في إسرائيل** » ؛ صدر عام ١٩٨٣ عن مطبعة أحدوت في تل أبيب . وقد استنكر ناحوم في كتابه التمييز العنصري ضد يهود الإسلام ، والغطرسة الأشكنازية بالنسبة للشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية ــ منذ بداية الاستيطان . وفي حواره مع الصحفي امنون دنكنير [ملحق هآرتس ، ٨٣/٧/٢٩] عبّر الأستاذ عن تزعزعه النفسي تجاه مذابح صبرا وشاتيلا . وبصفته مؤرخاً ؛ استعرض ــ في هذا الحوار ، وفي كتابه ــ العلاقات بين المؤسسة الصهيونية الأشكنازية والشعب العربي الفلسطيني ، وأشار إلى أن الصهاينة الأشكناز ــ دائماً ــ طلبوا مساعدة الحكومات الاستعمارية ؛ مثل : الحكومة البريطانية والحكومة العثمانية ؛ ضد العرب ، في حين أن العرب طلبوا إليهم أن يتفاوضوا معهم مباشرة . وشدد على أن الفلسطينيين ــ دائماً ــ مدّوا أياديهم إلى اليهود طلباً للسلام ، غير إن الزعماء الأشكناز لم يعتنوا قط بإجراء حوار مع العرب . وفي عام ١٩٢٠ ــ يضيف الأستاذ ــ كان العرب مستعدين لقبول حل وسط مع الصهاينة . والذين يقولون إن النزاع اليهودي ــ العربي كان لا مناص منه ؛ لا يقولون الحقيقة . وأضاف الأستاذ ناحوم مناحيم أن الغرب اعتقد أن البلدان العربية بدائية ومتخلفة ، وقد تأثرت الحركة الصهيونية بهذه الآراء ، ولذلك ؛ أسست الكيبوتسات كمجتمعات مغلقة في وجه العرب . ثم شرّد المستوطنون الأشكناز الفلسطينيين ، وأقاموا مستوطنات على الأراضي ذاتها . والمنظمة العسكرية الأولى التي أقامها

الصهاينة ، وهي منظمة « هشومير » ـــ كان هدفها فصل المجتمع اليهودي عن المجتمع العربي في فلسطين . ثم أشار إلى أن الصهاينة الأشكناز ـــ دائماً ـــ صفعوا وجوه العرب ، وتكلموا إليهم من موقف القوة والتهديد . وبخصوص سُوريَة ولبنان يؤكد الأستاذ أن العرب هناك كانوا محتاجين إلى رأس المال اليهودي ، وطلبوا إلى الصهاينة أن يوظفوا أموالهم في سُوريَة ولبنان ، وعرضوا عليهم بيع مئات الآلاف من الدونمات وبأسعار رخيصة مقابل تقديم مساعدات ضد الاستعمار الفرنسي ، غير إن هرتسل ؛ زعيم المؤسسة الصهيونية ـــ لم يعترف بحقوق العرب . ويضيف أن الصهيونية قامت بنشاطاتها السياسية ، لا في الشرق الأوسط بل في لندن وبرلين ولاهاي .

وفي كتابه ؛ ينشر الأستاذ تفاصيل الحوار الذي جرى بين الزعيم الصهيوني : اوسيشكين ورئيس بلدية القدس : موسى كاظم ؛ في تاريخ ١٩١٩/٦/٢٤ (ص ٣٤٩ ـــ ٣٥٤) : عندما وصل أوسيشكين إلى فلسطين قابله رئيس بلدية القدس ورحب به ، إلّا أن الزعيم الصهيوني أخذ ينتقد البلدية العربية وخدماتها ، ثم انتقل إلى النزاع العربي الصهيوني وبدأ يهدد القوميين الفلسطينيين باستخدام القوة (أعتقد أن هذا الحوار يمثل وثيقة مهمة ، ويجب على كل من يدرس المشكلة الفلسطينية أن يتمعن فيها ؛ لأنها تمثل قلب النزاع : وهو الغطرسة الأشكنازية الاستيطانية) . ويستطرد الأستاذ ناحوم مناحيم حديثه إلى مراسل هآرتس ، مشيراً إلى ما قاله موشي ديان بعد حرب ١٩٦٧ : « إذا أراد ناصر وحسين السلام ؛ فعليهما أن يُخابراني بالتلفون » . ثم يضيف معاملة بيغن لبطرس غالي ؛ إذ توجه مناحيم بيغن إلى بطرس غالي قائلاً : « صديقي الشاب ... » . ثم استنكر الأستاذ تهديم مدينة يميت في سيناء قبيل إرجاعها إلى مصر . وأكد أن الزعماء الأشكناز لايعرفون كيف يعاملون العرب ، ولا يدركون فن تجنُّب جرح شعور الغير ، وأنهم أفظاظ لا يعلمون تقاليد الوطن العربي (يعني ما عندهم أخلاق) .

ثم وصف المؤرخ ناحوم مناحيم العلاقات بين اليهود الأشكناز ويهود الإسلام ، منذ بداية الاستيطان الصهيوني ، **وشدّد على أن حرباً أهلية سوف تندلع إذا فشلت الوسائل السياسية لحل مشكلة التمييز العنصري** ضد يهود الإسلام . وفي رسم غلاف كتابه نجد نجمة داؤد مكسورة ويسيل منها الدم .

ولم يكن الأستاذ ناحوم مناحيم أول من أنذر بخطر الحرب الأهلية في إسرائيل ؛ **فقد حذر من قبله الكاتب ناتان دونيفيتش** [جريدة هآرتس ، الملحق الأسبوعي ، ١٩٨١/١/٩] ؛ قائلاً : « **إن العداء بين اليهود الأشكناز ويهود الإسلام يمثل قنبلة موقوتة ، سوف تنفجر في يوم من الأيام إذا لم تعالج** » . ويمضي الكاتب فيقول إن قبل مئة عام ؛ كان يهود الإسلام والفلسطينيون يمثلون الطبقة النبيلة في فلسطين ، على حين كان الأشكناز فقراء لايعتنون بنظافتهم ، ولذلك ؛ كانوا يُلقّبون بـ « بيخ ـــ بيخ » ؛ يعني خنزير . والآن فإن الحالة أخطر بكثير ؛ إذ إن يهود الإسلام يعادون كل شيء يمثل المؤسسة الحاكمة ؛ بسبب الحالة التغريبية التي تنفجر في كل حادثة ، مثل : نزاع صناعي ، نزاع بين الجيران ... إلخ ، والشبيبة السفارادية تعبر عن مرارتها بواسطة قلب سيارات

البوليس وإشعال الحرائق ـــ على حد قوله .

لجنة الحوار :

إضافة إلى الأوساط الجامعية المؤيدة لنضال الشعب الفلسطيني ، التي ذكرناها ، ظهرت عام ١٩٨٦ حركة جامعية أخرى ؛ وهي « **لجنة الحوار الإسرائيلي الفلسطيني** » . وقد أسسها يهود الإسلام من أجل مساندة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، والنضال من أجل السلام والديمقراطية (**نعم ؛ الديمقراطية التي معناها الحكم للأغلبية . والشعب الفلسطيني في الداخل يشكل مع يهود الإسلام أكثر من ٨٠٪ من سكان فلسطين ـــ كل فلسطين**) . وعقدت اللجنة مؤتمراً صحفيا حضره قادة المنظمة :

الدكتور شلومو الباز (مغربي) ـــ أستاذ في الجامعة العبرية بالقدس .

البروفسور ساسون سوميخ (عراقي) ـــ أستاذ الأدب العربي في جامعة تل أبيب .

الدكتور داؤد صيمح .

لطيف دوري (عراقي) ـــ مدير المكتب العربي في حزب المبام .

إيتي دانينو ـــ من علماء علم الاجتماع .

دادا بن شطريت ـــ من زعماء الأحياء الفقيرة بالقدس ، وعضو مجلس بلدية القدس .

وقد أعلن شلومو الباز أن الموقعين على بيان اللجنة سيعملون لتكذيب الادعاء اللئيم ؛ القائل بأن يهود الشرق يكرهون العرب . وأضاف أن يهود الإسلام لا ينتمون إلى زعامة المعسكر القومي الشوفيني (يقصد أن الزعامة الفاشية المتعصبة الموتورة في إسرائيل تتألف من يهود أشكناز) . وأكد الدكتور الباز « أن يهود الإسلام يملكون القدرة والإرادة لبناء جسر بين العالم العربي والمجتمع الإسرائيلي ؛ من أجل إحياء التراث المشترك الذي دام مئات السنين ، ومن أجل الاندماج في هذه المنطقة » .

وأوضح البروفسور داؤد صيمح أن ثمة اتصالات أجريت بالفعل مع الفلسطينيين في الأراضي المحتلة ، ولاسيما مع رشاد الشوا ؛ رئيس بلدية غزة المعزول ، ومصطفى النتشه ؛ رئيس بلدية الخليل المعزول ـــ من أجل عقد اجتماعات مشتركة .

ووقع على بيان اللجنة مئة شخص من اليهود من أبناء الوطن العربي والإسلامي . وكان من ضمنهم المحاميان : عزرا غباي ونسيم اليعاد ، والدكتورة عادة هروني ، والدكتور سعديا رحمي ، ومنشي خليفة ؛ عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، وافرايم قصّاب ؛ رئيس لجنة عمال صناعة « طيبع » في بيتاح تكفا ، والأديب سامي ميخائيل ، والأديب الأستاذ شمعون بلاص ، والمغني شلومو بار .

وأعربت دوائر كتلة الليكود عن قلقها من جراء هذه الاتجاهات في صفوف يهود الإسلام . ووصفها أحد المسئولين بأنها « **عدوى تخريب أيديولوجي انتقلت من القواعد الشعبية لحزب العمل ثم إلى قواعد الليكود** » [زوهديريخ ، ٨٦/١/٢٩] .

وقد جاء الإعلان عن تأسيس « لجنة الحوار الإسرائيلي ــ الفلسطيني » ، التي بادر إليها أبناء الطوائف اليهودية والشرقية في إسرائيل ؛ في مؤتمر صحافي عقد في « بيت اغرون » في القدس يوم ١٩٨٦/١/٢٦ . وكانت إجابات المشاركين في المؤتمر على أسئلة الصحافيين تعبيراً عن التوجه المتنامي بين أبناء الطوائف الشرقية نحو تفهم حقيقة الصراع [العودة ، ٨٦/١/٣٠] . وأكد السيد لطيف دوري أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل للشعب الفلسطيني الذي سيلقى على عاتقه النطق باسم الفلسطينيين في أية مفاوضات . ووزع المشاركون في المؤتمر بياناً باللغات العربية والعبرية والإنجليزية . وفيما يلي نص لهذا البيان :

مدوا أيديكم للحوار الإسرائيلي ــ الفلسطيني

نحن الموقعين أدناه ، مجموعة من المواطنين الإسرائيليين ، أبناء الطوائف الشرقية ، الذين يقلقنا وضع شعبي هذه البلاد اليهودي والفلسطيني ، ونعترف بحقهما الثابت في العيش بسلام ، كل شعب في ظل سيادته . ومن خلال واجبنا في الإسهام بقسطنا في النضال الدائر في الدولة من أجل السلام والديمقراطية ، ندعو إلى :

١ ــ نضال مثابر ضد جميع أشكال التمييز القومي والطائفي في إسرائيل ، ومن أجل تعايش سلمي لردع العنصرية التي تهدد وجودنا .

نحن نرفض التعميم اللئيم الذي يزعم أن اليهود الشرقيين « يكرهون العرب » ، فهم لا ينتمون إلى قيادة المعسكر القومجي ــ الشوفيني في إسرائيل .

إن لليهود الشرقيين المقدرة والرغبة في بناء جسر بين العالم العربي والمجتمع الإسرائيلي ، وتجديد الإنتاج الثقافي المشترك الذي تعود جذوره لمئات السنين ، نحو اندماجنا في الشرق .

٢ ــ نضال دءوب للتوصل إلى سلام يضع حدًّا للدمار والمعاناة وسفك الدماء . نحن نتوجه إلى الطرفين للبدء بمفاوضات سياسية على أساس الاعتراف المتبادل بحق الشعبين في تقرير مصيرهما ، فهذا الاتفاق ، في حالة التوصل إليه سيضمن مستقبلا من الرخاء والازدهار لشعبنا ولشعوب المنطقة .

٣ ــ النشاط المتواصل من أجل تعزيز الحوار بين الإسرائيليين والفلسطينيين

المعنيين بتطوير ورعاية الوعي بالسلام . ومن أجل دفع الأهداف المذكورة إلى الأمام ، نعلن عن إقامة « لجنة الحوار الإسرائيلي ـــ الفلسطيني » التي ستكون مفتوحة أمام محبي السلام كافة .

لجنة الحوار الإسرائيلي ـــ الفلسطيني
بمبادرة أبناء الطوائف الشرقية
ص. ب. ٢٠٣٧٣
تل أبيب ٦١٢٠٤

وفي ٨٦/٦/١ ؛ أعلنت جريدة عل همشمار أن اليهود العرب : أعضاء « لجنة الحوار » عقدوا أول اجتماع مع قادة الشعب الفلسطيني في الداخل . وكان من بين الحاضرين إبراهيم قراعين محرر مجلة « العودة » ، والدكتورة نجوى محول الأستاذة في الجامعة العبرية بالقدس ، ولطيف دوري سكرتير « لجنة الحوار » (عراقي الأصل) ، وحناسنيورة محرر جريدة « الفجر » ، وكوخابي شيمش من زعماء الفهود السود القدماء . وقد ندد المجتمعون بكل صور العنصرية ، وأيدوا مبدأ السلام بين الشعبين على أساس حق تقرير المصير . وعبَّر القادة الفلسطينيون عن أملهم في أن اليهود العرب سوف يشتركون في النضال من أجل السلام والديمقراطية .

وفي أيَّار ١٩٨٦ ؛ كان لطيف دوري قد قابل محرر الجريدة الفلسطينية الأسبوعية « صوت البلاد » ، حيث شدد في لقائه هذا على نضال اليهود العرب ضد العنصرية ، ومن أجل حل المشكلة الفلسطينية [دايريكت لاين ، أيَّار ، ١٩٨٦] .

وفي ٨٦/٤/١٤ ؛ أرسل لطيف دوري ؛ سكرتير « لجنة الحوار » ببرقية إلى إسحق نابون وزير المعارف ؛ طالب فيها بإلغاء جميع الكتب المدرسية التي تصف الإنسان العربي بصورة سلبية ، وأكد أن مثل هذا الإلغاء سيشكل خطوة إضافية ضد العنصرية . ثم عبّر دوري عن شكره بصدد إلغاء الكتب المدرسية التي تصف يهود العالم العربي والإسلامي بصورة سلبية .

وفي ١٩٨٦/٢/٢٠ ؛ ادعت جريدة عل همشمار أن معظم الكادر القائد في مؤتمر حزب كاهانا العنصري هم من يهود العالم العربي ، إلّا أن لطيف دوري طلب من قيادة هذا الحزب إبلاغه بأسماء الكادر القائد وتبين له من قائمة الأسماء أن اثنين فقط كانا من اليهود العرب ، على حين أن الباقي وعددهم ١١ كانوا من اليهود الأشكناز . وعبّر دوري عن استنكاره للادعاء الذي حاول تشويه سمعة يهود الإسلام [عل همشمار ، ٨٦/٢/٢٧] .

ولاشك أن المخابرات الإسرائيلية تحاول أن تندس في هذه المنظمات النضالية ؛ بغية استغلالها لمصالح إسرائيل الأمنية . وهذه المنظمات غير قادرة على منع هذه الظاهرة ؛ فمن يمشي في المطر لا يستطيع أن يبقى يابساً ! وعلى كل حال ؛ فإن الأبواب مفتوحة في وجه الجانب الآخر .

إن العرض السابق — بكل تفاصيله — لا يعني أن جميع يهود الإسلام في فلسطين انضموا إلى الكفاح . إن المؤسسة الحاكمة لا تزال تسيطر على عقول الأكثرية ؛ عن طريق الإعلام والمدارس والخدمة العسكرية الإجبارية ، وعن طريق التحكم السياسي والاقتصادي . ولكنها غير قادرة على حل مشكلة التناقض الأساسي بين المستوطنين اليهود الأشكناز الصهاينة ويهود العالم العربي والإسلامي ؛ في هذا البلد . **والشعب العربي الفلسطيني ومن ورائه الأمة الإسلامية قادر على نجدة إخوانه يهود الإسلام في كفاحهم ضد الحكم الصهيوني الأشكنازي . ووحدة الكفاح ؛ أي كفاح الفلسطينيين وكفاح يهود الإسلام ، هي الطريقة الوحيدة في سبيل التحرر من هذا الاستعمار .**

خلاصة القول : بالرغم من أن جهاز الدولة والمخابرات استطاعا أن يمزقا قسماً من وحدة « الفهود السود » ، وأن يمنعا توسيع الحركة لتصبح حزباً جماهيريا — فإن آراء هذه الحركة الثورية قد انتشرت كالبرق في صفوف يهود الإسلام ، وقوت نضالهم ضد الصهيونية إلى درجة أن الكثيرين منهم أخذوا يتضامنون مع الشعب الفلسطيني ، ويفكرون في مبدأ الكفاح المسلح . كما أن ظهور الحركة ، وانتشار التذمر ضد المؤسسة الحاكمة مكّن المعارضة اليمينية الليكودية من الإطاحة بحكم حزب العمل والكتلة المعراخية ؛ الاستيطانية ؛ الطلائعية ؛ « الاشتراكية » ... التي حكمت هذا البلد إلى ١٩٧٧ . ثم فشلت حكومة الليكود في حل مشكلة التناقض بين الطائفتين ، **أو قُل الشعبين اليهوديين** ، وتفاقم الاستقطاب بينهما ؛ فتراجع قسم من يهود الإسلام عن تأييد الليكود . **وأدّى إضعاف الليكود في انتخابات ١٩٨٤ إلى أزمة برلمانية سياسية خطيرة جدا : إذ لم يتمكن أي من الحزبين الكبيرين من إقامة وزارة مستقرة ؛ فأرغمت حكومة الولايات المتحدة كلا الحزبين على تشكيل وزارة ائتلافية . ولم تحل هذه الوزارة مشاكل التناقض بينهما ، لذلك ؛ أصبحت هذه الحكومة مشلولة اليدين عاجزة عن المبادرة . وهكذا ؛ وصل الحزبان الكبيران إلى طريق مسدود ، مصدره التناقض بين اليهود الأشكناز واليهود أبناء الوطن العربي الإسلامي .**

وقد أثارت الاصطدامات الدموية بين يهود الإسلام والمؤسسة الصهيونية — اهتماماً كبيراً في المحافل الدولية والعربية والفلسطينية ، وأخذت حركة المقاومة الفلسطينية تحسب لهذه القضية حسابها .

وردًا على المقابلات السرية والعلنية التي جرت بين يهود الإسلام والقيادات الفلسطينية ؛ سن الكنيست الإسرائيلي بتاريخ ٨٦/٨/٦ ، وبأغلبية الأصوات ، قانونا جديداً يحظر هذه المقابلات . وسمي هذا القانون قانون « مكافحة الإرهاب » ، وكان هدفه الأول والأخير هو منع اللقاءات بين إسرائيليين وممثلي منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد عقدت لجنة الحوار الإسرائيلي – الفلسطيني مؤتمراً صحفيا في القدس ؛ استنكرت فيه هذا القانون . وقال لطيف دوري : إن هذا القانون هو قانون تعسفي لامثيل له في أية دولة في العالم ، ويتنافى مع قواعد المنطق والأخلاق والديمقراطية . وأكد لطيف دوري أنه سيواصل وزملاؤه إجراء اتصالات مع ممثلي المنظمة في كل زمان ومكان ؛ إذا ما أسهمت هذه الاتصالات في تحقيق السلام ؛

وبصرف النظر عن هذا القانون الذي عارضه ٢٥ عضو كنيست من أحزاب اليسار وحزب العمل أيضا . وقال حنا سنيورة في المؤتمر الصحفي : إن هذا القانون يقوض فرص الحوار والسلام ؛ إذ لايمكن أن يتم السلام دون حوارات واجتماعات بين إسرائيليين وفلسطينيين . وأضاف أن العائق الوحيد أمام إحلال السلام هو رفض إسرائيل التفاوض مع منظمة التحرير ؛ الممثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين [المرصاد ، ٨٦/٨/٢٧] . **وكان لطيف دوري قد صرح معلقاً على اجتماع بيرس — الحسن ؛ بقوله : « إن كل زعيم إسرائيلي يقابل زعيما عربيا بدون أن يعلن على الأقل اعترافه بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني — سيعود بأيد فارغة . إننا نقترح على قيادة الدولة أن تسير في أعقابنا ، وتبدأ بحوار إسرائيلي فلسطيني حقيقي ، يؤدي إلى حوار مثمر مع م . ت . ف . والشعوب العربية » .**

وفي ٨٦/١١/٦ ؛ عقد اللقاء الأول بين منظمة التحرير الفلسطينية ولطيف دوري وزملائه في رومانيا . وقد نشرت مجلة « فلسطين الثورة » عدة موضوعات حول هذا اللقاء ، في عددها الصادر في ٨٦/١١/١٥ ؛ ننقل منها **الموضوعين التاليين :**

يدعي السيد شمعون بيريس أن الشجاعة المعنوية الفائقة التي أظهرها محبذو السلام الإسرائيلي — الفلسطيني ضرب من العبث ، ويستخف وايزمن من عمل « غير مسؤول » ... أم أن حروب إسرائيل هي العبث ، وأن الرأي قبل شجاعة الشجعان .

في دوراته المتعاقبة أقر المجلس الوطني الفلسطيني التوجه للقاء والحوار مع القوى والشخصيات الديمقراطية اليهودية والإسرائيلية ، التي تقر أو تؤيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة . وترى في م .ت .ف . ممثلاً شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني .

وفي مواجهة هذا القرار الفلسطيني ، الذي صدر عن أعلى سلطة تشريعية للشعب الفلسطيني ممثلة بالمجلس الوطني الفلسطيني الذي هو برلمان الشعب الفلسطيني ــ صدر قرار البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) في السادس من آب (أغسطس) هذه السنة بحظر اللقاء مع ممثلي م .ت .ف . ، تحت طائلة السجن لمدة ثلاث سنوات .

ومن الواضح أن للقرار الإسرائيلي أبعاده السياسية والأمنية الخطرة التي تصب ، كلها ، في خدمة الهدف الإسرائيلي بإبعاد م .ت .ف . كقوة سياسية ومسلحة من دائرة الصراع في الشرق الأوسط ، والحد من تأثير المنظمة وفاعليتها داخل الوطن . وقرار الكنيست يعني ، ببساطة ، أن شاعرنا الفلسطيني سميح القاسم سيتعرض للسجن ثلاث سنوات إذا صافح ابن شعبه وصديقه الفلسطيني محمود درويش ؛ باعتبار الأول مواطنا إسرائيليا وباعتبار الثاني عضوا في م .ت .ف .

وما أن صدر القرار حتى تحركت القوى الديمقراطية في إسرائيل ، التي سبق لها أن اجتمعت والتقت ممثلين من م .ت .ف . (بدءا بلقاء براغ عام ١٩٧٦ ، الذي حضره وفد من م .ت .ف . برئاسة الشهيد القائد ماجد أبو شرار ، ووفد من الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) برئاسة أمينه العام ، مئير

فلنر) ، لإفشال القرار ... وتحركت م .ت .ف . لإفشاله أيضاً ، انطلاقاً من تصادمه مع قرار جرى تأكيده في عدة دورات في المجلس الوطني الفلسطيني ... وتم اختيار رومانيا مكانا لمواجهة قرار الكنيست وذلك برغبة مشتركة بين م .ت .ف . وقوى السلام والديمقراطية في إسرائيل ومن ضمنها حزب (راكاح) الشيوعي .

وأبدت رومانيا استعدادها لتقديم التسهيلات التي تمثلت بمنح تأشيرات الدخول للقادمين وتأمين التغطية الإعلامية والدعم المعنوي .

كان مقرراً أن يبدأ اللقاء يوم ١٩٨٦/١١/٥ ، ولكنه تأجل يوما واحداً بسبب عدم تكامل حضور الوفد الفلسطيني لأمور تتعلق بمواعيد الطيران من العواصم العديدة التي حضر منها ممثلو المنظمة .

افتتح اللقاء في الخامسة والنصف بعد ظهر يوم ٦ /٨٦/١١ بحضور أكثر من مئة صحافي حضروا من مختلف بقاع العالم لتغطية هذا الحدث ، وقد أتيح لهم متابعة اللقاء حتى نهايته .

افتتح اللقاء وانتهى تحت أضواء الكاميرات وميكروفونات الصحافة العالمية . وفي بدايته تحدث السيد لطيف دوري ، سكرتير لجنة الحوار الإسرائيلي – الفلسطيني (وهي لجنة مشكلة بمبادرة أبناء الطوائف الشرقية) ، فأكد ، باسم الوفد ، تأييده لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ، قائلاً إن اللقاء مع م .ت .ف . ينطلق من أنه لايمكن إقامة السلام في الشرق الأوسط دونها ، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

وحول قانون الكنيست قال لطيف دوري : « في الحقيقة ليس هذا قانونا ضد الإرهاب ، بل إنه قانون إرهابي » .

واختتم دوري كلمته بأبيات من قصيدة الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي « إذا الشعب يوما أراد الحياة ، فلا بد أن يستجيب القدر* » . وخاطب الوفد الفلسطيني قائلا : « أيها الإخوة الفلسطينيون ، سينجلي ليل الاحتلال ، وسينكسر قيد الاحتلال ، وسيستجيب القدر لأمانيكم بإقامة دولتكم الفلسطينية المستقلة » .

بعد ذلك تحدث العميد عبد الرزاق اليحيى عضو اللجنة التنفيذية لـ م .ت .ف . و رئيس الوفد الفلسطيني ، فحيا شجاعة الشخصيات الإسرائيلية بتحدي قرار الكنيست والحضور للقاء م .ت .ف . مؤكدا أن م .ت .ف . مهتمة بتنامي القوى المحبة للسلام في إسرائيل ، ومستعدة ، باستمرار ، للقاء معها تنفيذا لقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية .

وسخر العميد اليحيى من دعوات ومشاريع السلام التي تطرحها الحكومة الإسرائيلية : إذاعة إسرائيل تتحدث عن السلام ولكن لايوجد سوى نوع واحد من السلام هو السلام الحقيقي الذي يضمن حقوق شعبنا الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة ؛ أما السلام الذي تتحدث عنه السياسة

* البيت هو مطلع قصيدة « إرادة الحياة » التي تضمنها ديوان الشابي المطبوع : أغاني الحياة .

الإسرائيلية فهو سلام زائف .

وقال : إن إسرائيل تحارب ممثلي الشعب الفلسطيني بدءا بممثليه على مستوى المجلس القروي ، وصولا إلى ممثليه على مستوى رئاسة م .ت .ف .

وتحدث ستة آخرون من وفد قوى السلام الإسرائيلية منهم الكاتب سمحه **والكاتبة الصحفية ياعيل لوتان التي تلت أيضا رسالة موجهة لـ م .ت .ف . حمّلتها إياها أم إسرائيلية قتل ابنها خلال الغزو الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢ ، وقالت تلك الأم في رسالتها « إن قيام السلام وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه هو تعويض عن فقدان ابنها »** ... ومن الوفد الفلسطيني تحدث الأب إبراهيم عياد ، مستشار رئيس اللجنة التنفيذية للشؤون الكنسية ، فدعا قوى السلام الإسرائيلية إلى تحويل نضالها إلى أشكال ملموسة . وخاطب عماد شقور مستشار رئيس اللجنة التنفيذية للشؤون الإسرائيلية شخصيات الوفد : قولوا لأبنائكم ، قولوا لأهلكم ؛ لقد وجدنا أيدي منظمة التحرير الفلسطينية ممدودة من أجل السلام . وأشارت الصحافية الفلسطينية المقيمة في القدس العربية المحتلة ريموندا الطويل بشجاعة الشخصيات الإسرائيلية التي حضرت للقاء ممثلي الشعب الفلسطيني .

وفي الساعة السابعة من مساء اليوم ذاته انتهى اللقاء ، ووزع الوفد الفلسطيني على الصحافيين تصريحا إعلاميا جاء فيه :

« تنفيذا لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته المتعددة ، بخصوص الحوار الإيجابي مع القوى الديمقراطية اليهودية التي تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ، وبحقوقه الثابتة ، والتي تؤمن وتناضل من أجل السلام الدائم والعادل القائم على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة ، فقد جرى لقاء يضم عددا من الشخصيات والفعاليات الإسرائيلية مع عدد من القيادات والكوادر الفلسطينية .

إن منظمة التحرير الفلسطينية تؤكد ، مجددا ، التزامها ، العميق والمسؤول ، في العمل والنضال بجميع الوسائل من أجل بلوغ السلام الدائم والعادل ضمن إطار المؤتمر الدولي ، الذي يشارك فيه الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية ، والأعضاء الدائمون في مجلس الأمن ، والأطراف المعنية ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية » .

وفي اليوم ذاته غادر الوفد الفلسطيني مكان اللقاء الذي عقد في استراحة كوستينستي السياحية على سواحل البحر الأسود . وقد اعتذر رئيس الوفد الفلسطيني عن مؤتمر صحافي كان من المقترح عقده بعد اللقاء . وذلك لأن اللقاء كان مفتوحا تماما لوسائل الإعلام ، وأنه لايوجد ما يمكن الحديث عنه ، باستثناء ما قيل أمام وفد الشخصيات الإسرائيلية والصحافة العالمية التي حضرت ، والتي كان منها : « وكالة الصحافة الفرنسية » ، « رويتر » ، « وكالة أنباء الصين الجديدة » ، التلفزيون البريطاني ، التلفزيون الفرنسي ، إذاعة لندن ، وجميع وكالات الأنباء في الدول الاشتراكية .

ومن الواضح أن الهدف من اللقاء كان اللقاء في ذاته ولم يكن هناك محادثات كما ذكرت بعض وسائل الإعلام .

الشخصيات الإسرائيلية التي حضرت هي شخصيات يسارية ومعارضة تمثل قوى اجتماعية وأحزابا سياسية ، من أبرزها حزب « راكاح » الشيوعي ، وهي شخصيات وقوى مؤيدة للاعتراف بمنظمة التحرير ، وهي تعارض سياسة الاحتلال والعنصرية التي تنتهجها حكومة إسرائيل ، وهي جاءت للقاء لتحدي قرار عنصري أصدره الكنيست يحظر على الإسرائيليين أي اتصال بـ م.ت.ف . التي تتفق مع تلك القوى على أن تحقيق السلام يتم في إطار مؤتمر دولي برعاية الأمم المتحدة وبحضور الاتحاد السوفياتي وأمريكا وجميع الأطراف المعنية بما فيها م .ت .ف . وهو أمر ترفضه إسرائيل وأمريكا .

زياد أبو الهيجاء – بوخارست

خلافا لما كان المراقبون يتوقعونه . وربما لما كان يتطلع إليه الوفد الإسرائيلي ، انتهى اللقاء الإسرائيلي – الفلسطيني الذي عقد في مدينة كوستينستي الرومانية ، في الأسبوع الأول من هذا الشهر — دون صدور بيان مشترك .

خلال الجلسة المشتركة التي ضمت – إلى جانب الوفدين الإسرائيلي والفلسطيني – وفدا رومانيا ، طالب الإسرائيليون – على حد قول المبعوث الخاص لوكالة الصحافة الفرنسية ماريوس شاتينر – بوضع ما أسموه « استراتيجية للحوار » . وكان رد الوفد الفلسطيني هو التأكيد على ثوابت منظمة التحرير الفلسطينية في المطالبة بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وحقه في إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على تراب وطنه فلسطين ، والتصميم على أن الشعب الفلسطيني سيسعى لتحقيق أهدافه « بكل السبل والوسائل المتاحة » ، الأمر الذي لم يرق للوفد الإسرائيلي باعتبار أن العبارة الأخيرة تعني التصميم من الجانب الفلسطيني على ما أسموه (الإسرائيليون) « العنف » ، والمقصود هو حق الشعب الفلسطيني في ممارسة الكفاح المسلح ، وهو حق أقرته الأمم المتحدة .

كذلك نقلت الوكالات على لسان أحد أعضاء الوفد الإسرائيلي قوله : « لم نحقق تقدما » ، وادعاءه أن فلسطينيين كان مقررا أن يشاركوا في الاجتماع تخلفوا بسبب مخاوف تتعلق بسلامتهم ، وأن منظمة التحرير الفلسطينية ألغت الجلسة الثانية التي كانت مقررة في السابع من هذا الشهر ، بعد أن عقدت الجلسة الأولى في اليوم السابق (٦/١١) .

والحقيقة أن م .ت .ف . تعرف – قبل غيرها – أن الفائدة المباشرة لهذا الطريق محدودة ، وبمثل هذا الرأي قال كاتب في صحيفة « النهار » البيروتية الصادرة في السابع من هذا الشهر (خير الله خير الله – مؤتمر عمان ولقاء رومانيا) ؛ لكن المنظمة قررت المشاركة في هذا اللقاء « تنفيذا لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته المتعاقبة بخصوص الحوار الإيجابي مع القوى التقدمية والديمقراطية اليهودية التي تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني وبحقوقه الوطنية الثابتة ،

والتي تؤمن وتناضل من أجل السلام العادل والدائم القائم على حق تقرير مصيره وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة » – كما جاء في تصريح صحافي أصدره الوفد الفلسطيني بعد الاجتماع .

فلو كان الأمر متعلقا بأمن وسلامة المشاركين الفلسطينيين ، لما ذهب على رأس الوفد عضوا اللجنة التنفيذية للمنظمة الأخوان محمد ملحم وعبد الرزاق اليحيى . وإذا كان لتخلف بعض المسؤولين الفلسطينيين عن اللقاء من أسباب ، فمن المحتمل أنه بسبب ضعف المستوى الذي اتسم به تشكيل الوفد الإسرائيلي وإلا لكانت المنظمة – في ظل التخوف الأمني المزعوم – لم تشارك في هذا اللقاء أو توافق أساسا على عقده .

لقد كانت هناك تهديدات ، « غير إن هذه التهديدات – يقول المبعوث الخاص لوكالة الصحافة الفرنسية إلى الاجتماع : ماريوس شاتينر — لم تمنع العميد عبد الرزاق اليحيى ، وهو إحدى الشخصيات الفلسطينية البارزة ، من رئاسة وفد م .ت .ف . في هذا اللقاء » . ويضيف شاتينر : أن مصدرا مطلعا أوضح أنه « إذا كان بعض القادة الفلسطينيين الآخرين قد امتنعوا عن المشاركة في هذا اللقاء . فذلك بسبب عدم حضور أي شخصية سياسية بارزة من الجانب الإسرائيلي » .

ويعتقد المراقبون – يقول شاتينر – أنه على الرغم من أن القيمة الأساسية لهذا اللقاء الذي لم يدمْ سوى يومين هي قيمة رمزية ، إلا أنه ستكون له انعكاسات في المستقبل . وكما هو متوقع فلم يلق الإسرائيليون الذين حضروا هذا اللقاء استقبالاً حاراً لدى عودتهم . ذلك أنهم انتهكوا صراحة القانون الذي وافق عليه الكنيست مؤخرا ؛ أما على الجانب الفلسطيني ، فالمخاطر ليست قليلة أيضا . وقد صرح عماد شقور أحد مستشاري رئيس م .ت .ف . بقوله : « لقد تلقينا تهديدات . إن الإسرائيليين معرضون للسجن ثلاث سنوات ، أما نحن فمعرضون للقتل » .

وبعد أن أورد شاتينر قول الكاتبة الصحافية الإسرائيلية ياعيل لوتان ، عقب انتهاء اللقاء ، بأن « العمل من أجل السلام مهمة جليلة ومعقدة .. وليس من المعقول أن نتمكن خلال يوم واحد من التغلب على خلافاتنا » ، وقولها : « أن أهمية هذه الندوة ترجع ، أساسا ، إلى كونها تشكل سابقة » – ذكر أن أعضاء الوفد الفلسطيني شاركوها هذا الرأي . وعقب المراسل الفرنسي من جانبه على ذلك قائلا : « ولاشك في أن ندوة كوستينستي تشكل سابقة هامة . فهي أول مرة يتم فيها لقاء فلسطيني – إسرائيلي تعلن عنه م .ت .ف . رسميا قبل انعقاده ، وهي أول مرة أيضا – ينتهك فيها إسرائيليون ، صراحة ، القانون الذي يحظر هذا النوع من اللقاءات » .

ومن الواضح أن المعارضة الشديدة (للقاء) في الجانب الإسرائيلي ، على المستويات الرسمية والحزبية والشعبية ، هي التي أثرت على تشكيل الوفد الإسرائيلي ، سواء من ناحية تقلص العدد من مائة ، كما كان متوقعا ، إلى ٢٧ فقط حضروا اللقاء ، أو من ناحية مستوى وتنوع الشخصيات الإسرائيلية المشاركة سياسيا وحزبيا ، إذ أحجمت تنظيمات معينة وشخصيات عدة عن هذه المشاركة بعدما كانت تزمع الحضور وشاركت في الإعداد للقاء .

ولعل ذكر بعض مظاهر الاحتجاج الإسرائيلية بإيجاز يلقي الضوء على ذلك . فالمستشار القانوني للحكومة الإسرائيلية هدد بمحاكمة أعضاء الوفد الإسرائيلي بعد عودتهم . ورئيس الحكومة شمير طالب رومانيا « بألا تشجع الإسرائيليين على انتهاك قوانينهم » . ووزير الخارجية شمعون بيريس وصف اللقاء بأنه « مشهد من مشاهد مسرح اللامعقول » (!) ، وقال الوزير وايزمن : إنه يعارض اللقاء لأنه « لايمكن للهواة الذين لايمثلون إلا أنفسهم التفاوض من أجل السلام » . وتظاهرت في مطار اللد جماعات حزبية يمينية وفاشية متطرفة ، بحيث تحول المطار - لدى سفر الوفد الإسرائيلي - إلى ساحة شجار لم يحل دون اتخاذه طابعا دمويا سوى تدخل الشرطة للحد من تفاقم عنف المتظاهرين .

وفي الجلسة الأولى والوحيدة التي عقدت ، قرر الجانب الروماني البدء ببيان من جانبه شجب فيه إطلاق قذائف على السفارة الرومانية في بيروت ، وهو ما قام به أيضا أعضاء الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي .

ويعتقد أن الحوار بين الوفدين لم يتخذ شكلا ثنائيا مباشرا ، وإنما قام الوفد الإسرائيلي بعرض وجهة نظره في صيغة موجهة إلى الرومانيين .

وكان الوفد الفلسطيني يستمع ، ثم قام - بدوره - بعرض وجهة نظره موجهة إلى الرومانيين وعلى مسمع من الوفد الإسرائيلي .

وكان بين الشخصيات البارزة في الوفد الإسرائيلي كولونيل الاحتياط : دوف يرمياهو ، وهو عضو كيبوتس حاليا ومؤلف كتيّب مناهض لحرب لبنان ١٩٨٢ ، ولطيف دوري مسؤول الفرع العربي في حزب العمل الموحد « مبام » ، وهو من أصل مغربي ، والمحامي امنون زخروني صاحب المكتب القانوني الشهير في القدس وأحد نشطاء العمل في مجال حقوق الإنسان والمقرب من أوري افنيري صاحب مجلة « هعولام هزيه » وأحد قياديي « الحركة التقدمية للسلام » .

ولدى وصول الوفد الإسرائيلي إلى مطار اللد ، عائدا من رومانيا ، ظهر السابع من هذا الشهر ، استقبل بمثل ما ودع من استنكار وشتائم واحتجاج . وقام عدد كبير من العائلات الإسرائيلية التي فقدت أفرادها في حروب وعمليات فدائية سابقة برفع لافتة ضخمة يتهمون فيها أعضاء الوفد « بالخيانة » . وانتشر عدد كبير من قوات الأمن في المطار لحفظ الأمن والنظام . وتلقى أربعة من أعضاء الوفد - فور هبوطهم من الطائرة - دعوات بالحضور إلى الشرطة ، للاستماع إلى أقوالهم في إطار تحقيق تجريه معهم بخصوص مشاركتهم في اللقاء . وهؤلاء الأعضاء هم : لطيف دوري ، آدم كيلر ، رؤوفين كامينر ، ياعيل لوتان . لكن أعضاء الوفد أعربوا عن ارتياحهم لنتائج الندوة (وكالة الصحافة الفرنسية - ١٩٨٦/١١/٧) .

هل ينتهي الأمر عند هذا الحد ؟

لقد تلقى الكنيست يوم سفر الوفد (١١/٥) ما لايقل عن ثمانية اقتراحات لمناقشة موضوع اللقاء . وإذا كان اليمين الإسرائيلي الفاشي والعنصري قد اتخذ مواقف غير مستغربة بالنسبة لخطه

السياسي ، فقد كشف هذا الحديث زيف المظاهرات التي تحاول بعض الأوساط السياسية والحزبية الظهور بها كعناصر من « معسكر الحمائم » . إذ ليس مستغربا أن تقول النائبة غيئولاه كوهين : إن « قصف مقر م .ت .ف . في تونس هو النوع الوحيد من الاتصال الذي نرجوه مع هذه المنظمة الإرهابية » . وليس مستغربا أن يصف الليكودي روني فيلو اللقاء بأنه « محاولة من بعض الإسرائيليين لإضفاء نوع من الشرعية على مجرمي م .ت .ف . » . لكن المستغرب هو موقف قيادة حزب « مبام » المعارض للقاء . والأكثر غرابة هو موقف النائب يوسي ساريد ، الذي هجر حزب العمل من منطلق ليبرالي وانضم إلى حركة (راتس) ، حين يقول : « لاينبغي توقع معجزة من لقاء رومانيا ، فالنضال يجب أن يكون في القدس وليس في بوخارست » .

وفي الجانب الفلسطيني ، لم يلتحق عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة الأخ محمد ملحم باللقاء الذي عقد بعيدا عن العاصمة الرومانية ، وإنما بقي فيها حيث استقبله الرئيس الروماني نيكولاي شاوشيسكو .

وفي نهاية اللقاء ، دعا رئيس الوفد الفلسطيني المشارك الأخ عبد الرزاق اليحيى إلى مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط . وقال رئيس الوفد الإسرائيلي لطيف دورّي : « ما من قوة في العالم تستطيع منعنا من متابعة الحوار » . وندد بالقانون الذي سنه الكنيست مؤخرا لمنع الاتصال مع م .ت .ف . وأعرب الطرفان كل من جانبه عن اعتزامهما متابعة الحوار « توصلا إلى سلام عادل ودائم » .

ط . م .

وبعد هذا اللقاء ؛ قررت السلطات الصهيونية تقديم بعض أفراد البعثة الإسرائيلية إلى المحاكمة ؛ بتهمة الاتصال بـ « منظمة إرهابية » معادية . وقدم لطيف دوري ؛ سكرتير لجنة الحوار الإسرائيلي ــ الفلسطيني ، ورئيس وفد اليسار إلى رومانيا ــ شكوى إلى الشرطة ، ومعه عدد من زعماء الوفد ، بعد أن تلقوا تهديدات من مجهولين بالاعتداء على حياتهم .

وقد حمّل دوري رئيس الحكومة : إسحق شمير ، وسلطات الأمن مسؤولية حدوث أي اعتداء عليه أو على زملائه مشيراً إلى أن شمير كان قد اتّهم الوفد الإسرائيلي الذي سافر إلى رومانيا للقاء زعماء فلسطينيين بأنهم خونة ...

وكانت حركة « كاخ » العنصرية قد وزعت مناشير في القدس ؛ تضمنت أسماء وعناوين وأرقام هواتف أعضاء الوفد الأربعة الذين حققت الشرطة معهم ، وأعلنت أنها تنوي تقديمهم إلى القضاء بتهمة مخالفة القانون الجديد ، الذي يحظر اللقاءات بين إسرائيليين وأعضاء في المنظمات الفلسطينية [المرصاد ، ٨٧/١/٧] .

وأخيراً ؛ انضم إلى نضال يهود الإسلام الحاخام المغربي : إسحق بيرتس ؛ زعيم حزب « شاس »

المتدين ؛ مؤيداً مبدأ التفاوض مع منظمة التحرير في نطاق المؤتمر الدولي . وأضاف أنه من المحتم البحث عن طريق للسلام . وقال إنه لايعتقد أن العرب قتلة ، بل هم بنوآدم ولهم أبناء ، وهم — أيضاً — يرغبون في الوصول إلى الاستقرار ، وإن الحكمة سوف تنتصر في النهاية . وذكر الحاخام العلاقات الطيبة والتفاهم بين اليهود وباقي الأمة العربية الإسلامية — عبر التاريخ ؛ بالمقارنة باضطهاد الأشكناز في أوروبا [حدشوت ، ٨٧/٥/٨] .

لقاء بودابست :

وفي ٨٧/٦/٩ ؛ قابل ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية : أبو مازن وعبد الرزاق اليحيى — بعثة من يهود الإسلام برياسة النائب شارلي بطون ؛ في بودابست عاصمة هنغاريا . وقد ضمت ١٥ عضواً يمثلون يهود الإسلام في الأحياء الفقيرة ومدن « التطوير » . وصرح بطون — قبيل مغادرته إسرائيل — بأن السلطات استخدمت جميع وسائل الإرهاب والتهديد لمنع البعثة من السفر ، وأن السلطات تمكنت من الضغط على منظمة « الشرق من أجل السلام » ، حتى انسحبت من البعثة . ثم أضاف أن يهود الإسلام في إسرائيل سوف يبرهنون على أنه يوجد « إسرائيل » أخرى : فيها يستنكر يهود الإسلام الاعتداءات الأثيمة التي يقوم بها رجال « غوش ايمونيم » ، وعصابة كهانا في مخيم دهيشة . وفي تصريحه في بودابست ؛ قال النائب بطون : إن البعثة تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ؛ الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني ، وتطالب إسرائيل بالاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني ، بما في ذلك حقه في إقامة دولة مستقلة ؛ إلى جانب إسرائيل . وتدعو إسرائيل إلى الاشتراك في المؤتمر الدولي المقترح مع منظمة التحرير والدول الكبرى . وأعلن أنه يشجب القانون الإسرائيلي المعادي للديمقراطية ، الذي يحظر اللقاءات مع منظمة التحرير وطالب بإلغائه [زو هديريخ ، ٨٧/٦/١٠] .

وقالت جريدة الغارديان البريطانية (٨٧/٦/١٥) إن النائب بطون وأعضاء بعثته قد يقدمون إلى المحاكمة بتهمة الاتصال بمنظمة « معادية » ، التي يعاقب القانون عليها بالحبس لمدة ٣ سنوات على الأكثر . وأعلن الأخ محمود عباس ؛ ممثل منظمة التحرير أن المنظمة تؤيد بشدة اقتراحات البعثة . واشترك في المقابلة عبد الرزاق اليحيى ؛ عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وتضيف جريدة هآرتس أن البعثة الإسرائيلية شملت ٢٢ عضواً [هآرتس ، ٨٧/٦/١٢] وشملت بعض أعضاء حزب مبام ، والحزب الشيوعي .

وبشأن القانون الجديد الذي يحظر مقابلة ممثلي منظمة التحرير ، والمحاكمات التي تجري الآن (حزيران ١٩٨٧) للمتهمين بخرقه — لابد من إضافة الملاحظة التالية :

خلال سنوات عديدة أجرى المستوطنون الأشكناز ؛ أعضاء اليسار الصهيوني وغير الصهيوني أو المعادي للصهيونية ، أجروا محادثات عديدة مع منظمة التحرير ولاسيما مع عصام سرطاوي ؛ ولم

تتصدَّ لهم الحكومة ــ ربما شجعتهم سرًّا ــ واستلمت من بعضهم تقارير سرية عن المحادثات . ولم تسن هذا القانون الجديد إلا بعد أن أسس اليهود العرب « لجنة الحوار » وقرروا بدء الحوار مع منظمة التحرير . ويتفق هذا القانون مع السياسة الصهيونية الأساسية : وهي إقامة جدار بين اليهود العرب والفلسطينيين ؛ خوفاً من وحدة الناطقين بالضاد ضد الاستيطان الأشكنازي الصهيوني . وبصدد اللقاءات السابقة (مع الأشكناز) ؛ اعترف ممثل المخابرات الملقب « رؤفين » في المحكمة بأن الحكومة طلبت من عناصر إسرائيلية إنشاء اتصالات مع م . ت . ف . وأن جميع اللقاءات السابقة حصلت على ترخيص حكومي [هآرتس ، ٨٧/٦/١٩] (وتضيف الجريدة أن أعضاء المبام الأشكناز (هرطمان وفريدمان) راقبوا تصريحات بطون في فيينا) . وقال سكرتير الحكومة الياقيم روبنشتاين إن المخابرات منحت الترخيص بدون مشاورة الحكومة [زوهديريخ ، ٨٧/٦/٢٥] .

وتقول جريدة هآرتس (٨٧/٦/١٩) إن الأخ لطيف دوري ؛ سكرتير « لجنة الحوار » الذي قاد البعثة الأولى إلى رومانيا ؛ استقبل البعثة عند عودتها من بودابست قائلاً : « لا توجد قوة في العالم تستطيع أن تمنع هذا الحوار الذي سوف يستمر في كل محل وفي كل وقت . ونحن مستعدون أن ندفع الثمن مقابل نضالنا من أجل السلام العادل والتعايش السلمي بين الشعبين » . وذكر شارلي بيطون ــ في هذه المناسبة ــ التهديدات الموجهة ضد أعضاء البعثة الفلسطينية والبعثة الإسرائيلية . ودعا رئيس التحقيقات الجنائية في المنطقة الوسطى : زئيف إيفن ــ النائب شارلي بطون ، عندما حان وقت التحقيق معه ، غير إن النائب رفض الدعوة ؛ مستخدماً حصانته البرلمانية (وهذا يعني أن على الشرطة أن تذهب إليه للتحقيق معه) . وصرح المحامي عموس غبعون بأن أعضاء البعثة سوف يستخدمون حقهم في عدم الإجابة على أسئلة المخابرات .

وكان تشكيل الوفدين الفلسطيني والإسرائيلي في لقاء بودابست على النحو التالي :

١ ــ الوفد الفلسطيني :

الأخ محمود عباس (أبو مازن) ــ عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

الأخ عبد الرزاق اليحيى ــ عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وممثلها في الأردن ، والقائد السابق لجيش التحرير الفلسطيني .

الأخ نبيل عمرو ــ مدير محطات إذاعة الثورة الفلسطينية .

الأخ رمزي خوري ــ مدير مكتب رئيس اللجنة التنفيذية .

الأخ سعيد أبو عمارة ــ ممثل م.ت.ف . في موسكو .

الأخ عماد شقور ــ مستشار رئيس اللجنة التنفيذية للشؤون الإسرائيلية .

الأخ خالد سلام ــ رئيس تحرير مجلة « صوت البلاد » التي تصدر في نيقوسيا .

٢ ــ الوفد الإسرائيلي :

يهود الإسلام :

شارلي بيطون ــ زعيم الفهود السود ، وعضو الكنيست عن الجبهة الديمقراطية (حداش) .

آسي أرْمَه ــ الفهود السود ، عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت عن الجبهة الديمقراطية ، ورئيس لجنة العاطلين في مدينة التطوير « يروحام » .

يوسف إسرائيل ــ الفهود السود .

إسحق إسرائيل ــ الفهود السود .

يوسف نوريئيل ــ من قدماء أعضاء الحزب الشيوعي الفلسطيني ، إبَّان الانتداب .

اربيه مخلوف ــ طالب بجامعة بئر السبع .

يهودا علوش ــ الفهود السود .

يوسف ديان ــ الفهود السود .

افرايم الياهو .

حنه عوبديا ــ الفهود السود (أخت بيطون) .

عليزه بربي ــ الفهود السود ، من جامعة بئر السبع ، وعضو حركة النساء الفقيرات .

داؤد ايش شلوم ــ كاتب مستقل .

فيكتور علوش ــ الفهود السود (باريس) .

ليؤن زهابي ــ عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (موسكو) . سفاردي من بلغاريا ، من سكان فلسطين القدماء ، وأخو فكتور شمطوب عضو المبام .

اليهود الأشكناز :

دورون فنلر ــ عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، ابن مئير فنلر ، سكرتير الحزب .

شبع فريدمان ــ مبام ، عضو سكرتارية الحزب .

شولميت موشكوفيتش ــ عضو مركز مبام ، كيبوتس عين همفراس .

نيلي هرطمان ــ عضو مركز مبام ، كيبوتس هعوغن .

ايلي تيير ــ مبام ، كيبوتس داليا .

المرافقون الصحافيون :

هليل شينكر ــ نيواوتلوك .

حنه قلدرون ــ صحيفة هآرتس (وكتبت بعد ذلك مقالاً مملوءاً بالاحتقار والاستهزاء بالبعثة في ملحق الجريدة بتاريخ ١٩/٦/٨٧) .

ماريوس شاتينر ــ وكالة الصحافة الفرنسية .

اندريه بروترمان ــ مصور « التايم » .

مصور لوكالة الصحافة الفرنسية .
عاموس غيفعون ـــ محامي البعثة . [هآرتس ، ٨٧/٦/١٩ . وفلسطين الثورة ، ٨٧/٦/٢٠] .

وقال الدكتور فنلر ـــ خلال اللقاء : « لاأريد أن أقول إن معظم الإسرائيليين من أصول شرقية لا يدعمون الليكود . لكن أسباب دعمهم لليكود لا تتعلق بالصراع العربي ـــ الإسرائيلي . وهم لايؤيدون الليكود في سياسة التوسع والاستيطان التي ينتهجها . ثَمَّ ؛ فإن أوضاعهم الاجتماعية والطبقية والاقتصادية كانت السبب الدافع إلى دعمهم الليكود . المعراخ والأشكينازيم ـــ كطبقة برجوازية عليا ـــ كانوا يضطهدون الشرقيين . والآن ، بدأ الشرقيون يدركون كيف تم استغلالهم من قبل قوى اليمين » [فلسطين الثورة ، ٨٧/٦/٢٠] . وقال الأخ أبو مازن : « أيها الأصدقاء ؛ دعونا نتحدث بقدر من الصراحة حول موضوع يستحق بعض الإيضاح ؛ من جانبنا ومن جانبكم أيضا : وهو تلك الصورة التي رسمت ، خلال الأعوام الماضية ، لليهود الشرقيين في إسرائيل ، ومعظمهم ممن عاشوا معنا في سلام ووئام عبر سنوات طويلة . لقد شجعت المؤسسة الحاكمة في إسرائيل ، ومعها منابر دعائية غربية بالغة التأثير ـــ على اعتبار اليهود الشرقيين بمثابة الجهة التي تجسد ذروة العداء للشعب الفلسطيني وللعرب جميعاً ، غير إن مايؤكد لنا بطلان هذا الزعم المغرض هو وجودكم معنا كممثلين لرأي عام بالغ الأهمية والتأثير في إسرائيل ؛ يقدم طروحات سلمية موضوعية تعبر عن نزعة تنضج مع الأيام تجاه السلام القائم على العدل ـــ وكما نتفق ـــ هو حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه الوطنية الثابتة ؛ على أساس الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين . ومن هنا فإن ترحيبنا بلقائكم يستند إلى أساس ملموس وهو وعيكم العميق لمزايا السلام العادل ، وحاجتنا جميعاً للعيش في ظله . ولقد وضع مجلسنا الوطني ، وبخاصة دورته الأخيرة ، كل هذه المعاني الإيجابية موضع اعتبار وتقدير ؛ فاتخذ قرارات واضحة بهذا الشأن تعطي للقاءاتنا وحواراتنا ما يلزمها من الدعم والشرعية والمصداقية إننا ـــ أيها الأصدقاء ـــ التقينا بالأمس من أجل السلام ، وها نحن نلتقي اليوم من أجل السلام أيضا . فبإرادتنا المشتركة نصنع السلام ، وبوعينا المشترك نضع حداً لمن يريدون لهذه المنطقة أن تظل ساحة حرب ودمار دائمة ؛ فبالسلام العادل يتسنى لأطفالنا جميعا أن يعيشوا على الأرض بأمن واستقرار وحرية أسوة بأطفال العالم في كل مكان [المصدر] .

نضال وعنونو (١٩٨٦) :

لايمكن شرح قصة مردخاي وعنونو ؛ اليهودي المغربي الذي أفشى لصحيفة « صنداي تايمز » البريطانية معلومات عن أسرار نووية إسرائيلية ؛ لا يمكن شرحها إلّا في إطار التمييز العنصري ضد اليهود العرب في إسرائيل ، وتضامن هؤلاء اليهود مع نضال الشعب العربي الفلسطيني . وقد نشرت الصحف الصهيونية الأشكنازية في إسرائيل مقالات عديدة لتشويه سمعة هذا الشاب الشجاع ، وكان الهدف هو تغطية حقيقة التمييز وحقيقة التضامن .

مردخاي هو ابن سلمان وعنونو ، هاجر مع عائلته من مراكش إلى إسرائيل عام ١٩٦٣ ، وعانى من الفقر في إحدى الحارات التعيسة التي يسكنها يهود الإسلام في بئر السبع . درس في المدرسة الابتدائية ، ثم انتقل إلى المدرسة الدينية الثانوية ، وبعدها دخل جامعة بئر النسبع ؛ قسم الجغرافيا والفلسفة . ولايزال والده يبيع الحاجات الدينية في دكان صغير في سوق بئر السبع .

واقترنت دراسته الجامعية بإقامة علاقات ودية مع الطلاب الفلسطينيين ، وبالدفاع عن حقوق الشعب العربي الفلسطيني . وفي تشرين الثاني ١٩٨٥ ــ مثلاً ــ اشترك وعنونو في ندوة للتراث الشرقي حضرها الطلاب العرب ؛ حيث رُفع علم منظمة التحرير الفلسطينية وألقيت الخطب الحماسية . وألقى وعنونو كلمة قال فيها : إن على الطلاب العرب أن يستمروا في نضالهم ضد العنصرية الصهيونية ؛ التي تضطهد الفلسطينيين ويهود الإسلام معاً . ودعا إلى قيام دولة فلسطينية . وأشار م . ارتسيئيلي ؛ الذي نشر هذا التقرير (هآرتس ، ٨٦/١١/٧) ــ إلى أنه لم يضف « إلى جانب إسرائيل أو بدلاً منها » .

وخلال دراسته في الجامعة ؛ كان وعنونو يقول إن المؤسسة الأشكنازية تتحكم في أبناء البلد مثلما يتحكم البيض في السود في جنوب إفريقيا . وإن الأشكناز قد سدّوا جميع سبل التقدم أمام اليهود العرب . وإن اليهود العرب سوف يحصلون على حقوقهم إذا لم يتملقوا ، أو يسايروا المستوطنين الأشكناز. وطالب بمضاعفة عدد الغرف التي تمنح للطلاب العرب في مساكن الجامعة ، وكان على اتصال دائم مع القائمة التقدمية والحزب الشيوعي .

وبعد أن عمل في المشروع النووي الإسرائيلي ؛ أيقن أن نشر الأسرار النووية الإسرائيلية قد ينقذ الشرق الأوسط من الدمار . ومن المحتمل ــ أيضاً ــ أن الموساد علم بتحركات وعنونو وتغاضى عنها ؛ بغية نشر الأسرار النووية لتخويف الدول العربية . والآن ؛ فإن السجن الانفرادي والمعاملة الوحشية التي يتلقاها في السجن يهدفان إلى الإخلال بسلامة عقله . وبعد ذلك سيقولون : « هذا مجنون » .

وفي تموز ١٩٨٧ ، أرسل مردخاي وعنونو برسالة إلى النائب : شارلي بطون (وأعضاء الجبهة الديمقراطية) يدعوه إلى عدم السكوت ؛ بشأن الأخطار الناجمة عن تطوير السلاح النووي في إسرائيل . ويشدد على أنه ليس جاسوساً ولاعميلاً لأية منظمة ، ولم يعمل ماعمله من أجل المال ، ولم يستلم أية نقود ؛ وإنما أراد إبلاغ الحقيقة للمواطن العادي . ويشير وعنونو إلى أنه اختطف بأيدي الموساد والشين بيت ؛ خرقاً للقانون الدولي والإسرائيلي ، وأنه يعاني من الإذلال في السجن ، وقد سُفك دمه في الصحافة . ولكنه ــ على حد قوله ــ لايزال قويا ؛ يؤمن بحقه مثلما كان قبل الاختطاف تماماً . ثم يطلب المساعدة في الحصول على الحقوق المشروعة للسجين ؛ إذ إن السلطات تسجنه منفرداً عن باقي السجناء ، وتمنعه عن مقابلة أقربائه عدا إخوته وصديقته ، وعن استخدام الهاتف ؛ حتى للاتصال بمحاميه . ويضيف أنه ليس سجيناً وإنما أسيراً بأيدي الشين بيت . ويتهم

وعنونو السلطات الإسرائيلية بفضائح الحرب اللبنانية ، وبولارد ، ولافي ، والشين بيت ، ونافون . ثم يدعو النائب بطون إلى زيارة السجن ؛ ليرى بنفسه كيف حُرم من جميع حقوق الإنسان بـ « اسم الأمن » . وقد نشرت جريدة زو هديريخ (٨٧/٧/٢٢) هذه الرسالة ؛ بعد أن حذفت الرقابة جزءًا منها .

وفي بداية آب ١٩٨٧ ؛ عقدت مؤسسة السلام لبرتراند راسل اجتماعاً صحفيا في لندن ؛ وصف فيه مئير وعنونو كيف اختطف الموساد أخاه . ونشرت الصنداي تايمز التفاصيل (٨٧/٨/٩) . وتبيّن أن عميلة الموساد المسماة « سندي » كانت قد أغرت وعنونو بالسفر من لندن إلى شقة « أختها » في روما ؛ حيث هجم عليه رجلان في حين حقنته سندي ، ثم نُقل إلى سفينة إسرائيلية . وعندما أفاق ؛ وجد نفسه مكبلاً بالحديد في طريقه إلى إسرائيل . وحدث الاختطاف قبل بضعة أيام من نشر تقرير وعنونو عن الذرة الإسرائيلية في الصنداي تايمز (٨٦/١٠/٥) . وفي السجن أرغم وعنونو على « الاعتراف » بذنبه ؛ فأضرب عن الطعام لمدة ٣٥ يوماً . وإذا أثبتت عليه التهمة بالخيانة فقد يُحكم عليه بالإعدام . ويطالب وعنونو ــ الآن ــ المحكمة بإطلاق سراحه حالاً ؛ لأنه استجلب إلى الكيان الصهيوني خلافاً للقانون الدولي والإيطالي . وكشف أخوه عن الحقائق برغم التهديد بالسجن لمدة ١٥ عاماً ؛ لذا قرر عدم العودة إلى البلد . وأعلنت الغارديان (٨٧/٩/١) أن مردخاي وعنونو قد رُشّح للحصول على جائزة نوبيل للسلام .

وسيتعلم العرب والمسلمون الدروس التالية من هذه القصة :

١ ــ إسرائيل تمثل خطراً على سلامة شعوب المنطقة ؛ من ضمنها اليهود .

٢ ــ التمييز العنصري يدفع يهود الإسلام نحو التضامن مع الأمة الإسلامية والشعب الفلسطيني (لاحظ شقاء عائلته المغربية في بئر السبع ثم فصله عن عمله ...) .

٣ ــ لذلك ؛ فإن يهود الإسلام هم الحلفاء الاستراتيجيون للأمة الإسلامية ، ولا سيما على المدى البعيد ، في نضالها ضد الاستعمار الصهيوني . وقد أدرك الصهاينة هذا « الخطر » ، ولهذا ؛ يتغاضون ــ في وسائل إعلامهم ــ عن أصل وعنونو المغربي ــ العربي .

الجبهة الشرقية :

تضامناً مع الشعب العربي الفلسطيني ؛ أسس كوخابي شيمش وسعاديا مرتسيانو ؛ من قدماء الفهود السود ــ منظمة جديدة توحد نضال الفلسطينيين مع نضال اليهود العرب ضد الاستعمار الصهيوني الأشكنازي . وفي ١٩٨٦/١٠/١١ ؛ نشرت مجلة « فلسطين الثورة » حواراً مهمًّا مع هذين الزعيمين هذا نصه :

□ « من أنتم » ؟

ـــ قال كوخابي شيمش : في مستهل سنوات السبعين أقمنا « حركة الفهود السود » ، وكنا بعيدين عن « السياسة » : كان نضالنا اجتماعيا ومن أجل المساواة ... من أجل توفير الحليب والخبز للفقراء من أبناء الطوائف الشرقية ، الذين يعانون من أقذر سياسة تمييز عنصري ضدهم .

في ذلك الحين ؛ لم نكن ندرك مدى ارتباط النضال الاجتماعي بالواقع السياسي ، ولم يدر في خلد أحد منا أن سياسة الحرب التي تنتهجها الحكومة ، هي أحد أسباب معاناتنا . لم نكن ندرك ، في تلك الفترة ، أي أهمية للسلام في تحسين ظروف معيشة اليهود الشرقيين .

ولقد علمتنا الحياة ، وتتابع الأحداث وتفاعلاتها أنه لا ينتظرنا سوى الفقر مادامت « الحرب » سلاحا في يد البورجوازية الأشكنازية ، وأنه من أجل توفير الحليب والزبدة لأطفالنا فلابد لنا « من السلام » ؛ وهذا يعني أنه لابد من النضال لأجل إنجاز هذا « الفرح » مع كل جيراننا ، وخاصة مع الشعب الفلسطيني ، ومن أجل إنهاء مشكلة التمييز الطائفي التي نعانيها .

صحيح أن برنامج حركة « الفهود السود » الذي خاضت الانتخابات للكنيست عام ١٩٧٣ ؛ على أساسه ــــ تضمن « الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني » ، إلا أن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية شكلت مركز الثقل بالنسبة للحركة ، أما الآن فالوضع مختلف نسبيا .

ولذلك ؛ كان لابد من تطوير أنفسنا ، تنظيميا ، بما يتناسب مع هذا الواقع ، فجاءت فكرة « الجبهة الشرقية » التي نريدها (قوة) تعمل من أجل السلام مع الفلسطينيين ، وذلك كمقدمة للنضال من أجل تحقيق مساواة بين مختلف أبناء الطوائف في إسرائيل ، وتطهير المجتمع الإسرائيلي من آفة العنصرية الفتاكة التي تنخر عظامه ، وتنهش الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني .

□ لكن ماهي الدوافع المباشرة لتشكيل الجبهة ؟

ـــ إنها تغيرات الواقع . إن دوافع قيام الجبهة تختلف عن تلك التي حفزتنا في أوائل سنوات السبعين لإنشاء حركة الفهود السود ، برغم أن الفقر والمعاناة وسياسة التمييز الطائفي تعتبر دوافع مشتركة لإقامة التنظيمين .

لقد شكل الاحتلال والهجرة اليهودية عاملين رئيسيين في إقامة حركة « الفهود السود » . فقبل عام ١٩٦٧ كان سكان حي المصرارا وحي القطمون يخافون من الجنود الأردنيين القريبين منهم ، ويتحسبون لهجومهم المباغت في أية لحظة لـ « تحرير فلسطين » كما كانت تقول الإذاعات العربية التي نحرص على أن نسمعها دائماً .

وبعد ١٩٦٧ ، تبين أن الأمر عكس ذلك . فالذين شنوا الهجوم ليسوا الجنود الأردنيين ، بل الإسرائيليين ، والذين تعرضوا للخطر هم الفلسطينيون وليس الإسرائيليون . ولكن حتى إذا جاز لنا القول : إن الخطر العسكري العربي ، انزاح كأحد « نتائج ٥ حزيران ١٩٦٧ » ، فإن المشاكل الاجتماعية وأوضاع الفقر ظلت قائمة ، وظل أبناء الطوائف الشرقية يعيشون في « غيتوات » .

وكان من نتائج حرب حزيران أن أقامت حكومة غولدا مائير ، الدور والشقق الفاخرة للقادمين الجدد من الاتحاد السوفياتي ، وتم ذلك على حساب الأوضاع المعاشية لأبناء الطوائف الشرقية ؛ فتفاقمت الأزمة وازدادت المشاكل ؛ فظهرت « حركة الفهود السود » في الشارع اليهودي .

واليوم أضيفت إلى المشاكل السابقة مشاكل أخرى وتعقيدات جديدة في حياة الناس ، وهي نتيجة المعاناة الاقتصادية التي تهز البلاد والحكومة ، وبسبب سياسة التمييز العنصري يتحمل أبناء الطوائف الشرقية القدر الأوفر من هذه التعقيدات الحياتية .

ففي حين لاتزال أحياء الفقر تعيش أوضاعاً في غاية الإدقاع ؛ فإن عين حكومة الشراكة ، مثل عين حكومة الحزب الواحد ؛ لاترى هذه الأحياء ؛ لأنها لا تحب أهلها ، ولذلك ؛ فهي لاتكترث بمصيرها ، في حين تجهد نفسها بإقامة المستوطنات ذات الأبنية الجميلة والشقق الفخمة في المناطق المحتلة للمهاجرين الجدد . وتصرف الحكومة مليارات الدولارات لوزارة الدفاع ، وذلك على حساب أبناء الطوائف .

وبالاعتماد على هذه التجربة المعاشة ، يوميا ، أدركنا أنه لا يمكن تطبيق المساواة بين الطوائف ، ومادامت « ضرورات الحرب » هي أبرز مسوغات التمييز ، فلماذا لا تنتهي الحرب حتى تسقط أسباب تعاستنا ، ولماذا لانعمل من أجل السلام ، مادام يمكننا بتحقيقه رفع كابوس التمييز عن رقابنا .

□ **لكن ماذا تعني بالسلام ... ؟**

ـــ نفهم السلام أنه الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، بما في ذلك حقه في إقامة دولة فلسطينية ، وهذا يعني أن السلام هو حل النزاع الإسرائيلي ـــ الفلسطيني .

لقد كنا نستبشر خيراً بالنقاش الذي كان يدور حول ضرورة هذا الحل . وكنا نعتقد أن لكل إنسان دوراً فيه ، لكن تواطؤ « العمل » مع « الليكود » وإقرار الكنيست قانون منع الاتصال بالمنظمة ، قد أعاد النقاش حول الموضوع إلى أجواء البرودة ...

□ **وهل سيؤثر هذا القرار على جهودكم من أجل السلام ؟**

ـــ نعم ؛ سيؤثر ، ولكننا نفهم أن الحديث عن الحل لا يكون إلا بين طرفين . فإذا كانت إسرائيل طرف ، فمن هو الطرف الآخر ؟... وهل هو مصر ؟

لقد أثبتت المعطيات أن مصر كانت طرفا في جزء من المشكلة ، والسلام معها لم يحل الصراع .

□ **هل هو سوريّة ؟**

ـــ بالتأكيد سوريّة طرف في جزء من الصراع بقدر ما يمثل احتلال الجولان جزءًا من موضوعة الصراع كلها ، وأهمية سوريّة في صنع الصراع لاتتجاوز هذا الحد إلا بمدى تجاوبها مع الموقف والقرار الفلسطيني ، وبالتبعية بدرجة تنسيقها مع منظمة التحرير الفلسطينية ؛ بقيادتها الشرعية .

□ هل الطرف الآخر هو الأردن ؟

ـــ أبداً ، ولو كان صحيحاً لما احتاجت المسألة لكل هذا ، فما بين حكام الأردن وحكام إسرائيل من خلافات تعد غير جوهرية . ولقد أثبتت حوارات عمان ، أواخر العام الماضي هذه الحقيقة ، فلو كان الأردن هو الطرف ، فما الحاجة لإقناع المنظمة بالموافقة على المشروع الأمريكي للتسوية ؟

إذن ، فالحقيقة التي يصعب على حكام تل أبيب الاعتراف بها ، هي أن منظمة التحرير الفلسطينية ، هي الطرف الآخر . ومن هنا فمن أجل بلوغ غايتنا في تحقيق السلام الذي نسعى إليه ، لابد من الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية ، لابد من الاتصال بالطرف الآخر ، الذي لا يكتمل الحوار حول السلام إلا بالاعتراف به ، والجلوس معه ، ومفاوضته .

□ ولكن قرار الكنيست يرسلكم إلى السجن لمدة ثلاث سنوات إذا اتصلتم بأية شخصية فلسطينية يمكن أن يعتبر الادعاء العام الإسرائيلي بأن لها صفة تمثيلية ؟

ـــ هذا صحيح حتى الآن ، لكن القانون ليس منزلا من السماء ، ولم تتحدث عنه مزامير داود ، ومادام البشر قد صاغوه ، فبإمكان البشر أن يلغوه .

إن المطلوب من كل القوى التي لا توافق على هذا القانون أن تتحداه باستمرار اتصالها بممثلي الشعب الفلسطيني ... بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتشكيل تيار عريض في الشارع اليهودي يضغط من أجل الاتصال بالمنظمة تمهيدا للاعتراف بها .

نحن في الجبهة الشرقية نعتقد بأن النضال الفلسطيني سينجح إذا ما وجد تفهما وتأييدا في صفوف الإسرائيليين ، لأن السلام مصلحة مشتركة لكلا الطرفين ، وأكثر من ذلك ففيه مصلحة مباشرة لأبناء الطوائف الشرقية .

□ ولكن هل الظروف ملائمة اليوم أكثر من السابق للعمل على هذا الصعيد في الشارع اليهودي ؟!

[شيمش يبل ريقه ببعض الماء وسعاديا مرتسيانو يستأذنه للإجابة على سؤالنا]

ـــ في سنوات السبعين الأولى كان هذا شاقا وكانت المطالبة بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، مسألة مرفوضة ، ودعاتها مرفوضين أيضا .

أما اليوم فإن تطورات الأوضاع السياسية فرضت نفسها على الشارع اليهودي أيضا . فهناك الكثير من رجال الفكر والأكاديميين والمثقفين من أبناء الطوائف الشرقية يتفهمون هذا الطرح ، ولكن هذا لايعني أن العمل ، اليوم ، على هذا الصعيد أسهل مما كان عليه في السابق : إنه أصعب بكثير من ذي قبل .

نحن كجبهة لاتناضل ، اليوم ، من أجل الحليب والخبز ، فقط ، إنما من أجل السلام والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ، ونعمل من أجل تجنيد أوسع قطاعات الشعب للعمل من أجل المشاركة في النضال لتحقيق هذه الشعارات ، وبإمكانك أن تتصور أية مصاعب تواجهنا ، عندما تعرف أنه في مقابل شعاراتنا هذه تزداد الفاشية في إسرائيل ، وتزداد شعبية الأحزاب المتطرفة أيضا مثل حزب « هتحياه » ، وحركة « كاخ » التي يتزعمها مائير كهانا .

□ في أوائل هذا العام أقام المثقفون والأكاديميون من أبناء الطوائف الشرقية حركة تدعو إلى السلام ، وأسموها لجنة الحوار الفلسطيني ــ الإسرائيلي .

ويقاطعني (المُحاور) سعاديا قائلا :

ــ في لجنة الحوار هذه الكثير من أعضاء الجبهة الشرقية . ونحن نرى في قيام هذه اللجنة مايعزز قناعاتنا بأن نمو الوعي ليس أحادي الجانب في إسرائيل . صحيح أن الفاشية قد استشرت ، ولكن الوعي الديمقراطي تطور واتسع بدوره . (اللجنة) تركز الحوار ، والحوار ضروري ، وثمة ضرورة للتعاون مع (اللجنة) ، على حين أن (الجبهة) ستصبح حزباً ، وحينها ستتطور مطبوعاتها ووسائل اتصالها الجماهيري ، وحينها سيصبح في مقدورها القيام بنشاطات وفعاليات مكثفة ومظاهرات ومؤتمرات ومبادرات مكرسة ؛ لتعميق الوعي السياسي وإعادة الحيوية إلى روح الحوار من أجل السلام .

□ وبماذا تتميزون عن « حركة السلام الآن » ؟!

[سعاديا يحيل الإجابة إلى كوخابي]

ــ أولاً ، نحن ننتمي إلى الحضارة العربية التي اتسعت للخصائص الحضارية اليهودية ، ونحن نمثل أبناء الطوائف الشرقية والفقيرة ، لكن أهل « حركة السلام الآن » من طبقة المثقفين « الانتلجنسيا » وهؤلاء لا جذور لهم سوى دولة إسرائيل التي تتصرف كدولة غربية ، مستندة ، في الجانب الحضاري إلى انتماءات الأشكنازيم الحضارية للبلدان التي قدموا منها . ولهذا السبب ؛ فنحن نشارك في الصراع الداخلي في إسرائيل من أجل المساواة ومن أجل العدالة الاجتماعية .

إن الحضارة العربية التي ننتمي إليها هي حضارة شرقية ، وهي بالنسبة لنا أمر طبيعي . وقضية المساواة وقضية الانتماء إلى الشرق الأوسط هي قضيتنا الحيوية ، في حين هي لا تعني لحركة السلام الآن أي شيء مطلقاً .

واختلافنا السياسي عن « حركة السلام الآن » ، أن لنا برنامجا ، لكن أين هو برنامجهم ؟

نحن نفهم السلام مع الفلسطينيين بأنه تأييد إقامة دولة فلسطينية مستقلة ، وهذا الأمر لا تطالب به « حركة السلام الآن » ولم نسمع أنها رأته أساسا للسلام ، على الرغم من أن أعضاء عديدين في

« السلام الآن » يؤيدون قيام دولة فلسطينية مستقلة . ونحن نرى أن الحدود بين الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية لا يمكن رسمها إلا بالاعتراف المتبادل وبالمفاوضات . ونحن نقبل حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ، ولكن حركة « السلام الآن » لم توضح موقفاً على هذا الصعيد .

□ تتحدثون عن « الجبهة الشرقية » وعن « لجنة الحوار » ، ويتحدث غيركم عن حركة « اليهود العرب » ؛ وكأنكم تريدون أن تثبتوا للرأي العام أن أبناء اليهود الشرقيين في إسرائيل هم جسر السلام . ولكن هناك معطيات في الشارع اليهودي تشير إلى أن « الليكود » و « هتحياه » و « كاخ » تستقطب اليهود الشرقيين ؟

ـــ إن الصهيونية ، كحركة أيديولوجية وسياسية ، اعتمدت ومنذ بداية قيامها ، منهج التضليل الفكري . ولما كانت تعرف أن ذلك غير مضمون النتائج بدون توفير الأسباب الضرورية له ؛ فقد أقامت ماكينة إعلامية ضخمة ، أوكلت إلى المسؤولين فيها مهمة غسل الأدمغة من أية أفكار تتعارض مع الفكرة الصهيونية . وللأسف ؛ وقع الكثيرون من أبناء الطوائف الشرقية ضحية لهذه الحملة ، حيث استجابوا لمؤامرة ترك أوطانهم والإقامة في دولة ومجتمع غريبين لا يرغبان في مواطنيتهم . وبرغم فداحة هذا الأمر ، إلا أنه من المفهوم كيف تؤثر الديماغوجيا بسهولة في الطبقات المسحوقة والقطاعات الاجتماعية الفقيرة ، ولذلك ؛ لا غرابة أن ينتمي أبناء الطوائف الشرقية إلى الحركات الفاشية في غياب إطار سياسي ـــ فكري يجمعهم .

صحيح أن اليهود الشرقيين يعطون حزب العمل ٤٠٪ من أصواتهم ، لكن الأصوات الباقية لا تذهب إلى « الليكود » و « هتحياه » و « كاخ » ، برغم أن البعض من اليهود الشرقيين يؤيدونهم ويعطونهم أصواتهم .

إن معظم مؤيدي « كاخ » و « غوش ايمونيم » هم من القادمين الجدد من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي ومن اليهود الأشكنازيم .

وأكثر من ذلك فإن اليهود الشرقيين يكرهون هذه الحركات الفاشية . ألا تذكر من الذي حضَّر وأنجح « مؤتمر السلام الآن » الذي انعقد في فندق النهر الخالد في مدينة الخليل يوم ١٤ نيسان الماضي رداً على مؤتمر حركة هتحياه العنصرية في كريات أربع ؟

□ وعلى ذكر « هتحياه » و « كاخ » ألا تتوقعون اعتداءات منهم ؟

[استأذن سعاديا رفيقه كوخابي في أن يتولى هو الإجابة على السؤال]

ـــ نحن من أعضاء حركة الفهود سابقا . أي الحركة الأولى التي اصطدمت مع كهانا ومؤيديه ، ونحن من بين من شاركوا في هذه الاصطدامات ، نحن لا نخاف أحدا ، ولانحسب لهم حسابا .

وإذا كان هذا موقفنا في السابق ، فكيف هو موقفنا اليوم ، على الأخص وقد حققنا لأبناء الطوائف الشرقية بعض الإنجازات المتواضعة : لقد استعدنا لهم الاحترام المفقود ، وكذلك بعض

المكتسبات في المجالين الاجتماعي والثقافي .

في الماضي كان اليهود الشرقيون يخجلون من انتمائهم للطوائف الشرقية ، ولا يقبلون أنهم منتمون للحضارة العربية ، لكنهم ، في هذه الأيام ، تخلصوا من هذه العقدة .

□ سيد كوخابي شيمش ، أنت شاركت في اجتماع فيينا للمنظمات غير الحكومية ، وفي هذا الاجتماع كان هناك أناس من منظمة التحرير الفلسطينية ؛ فكيف رأيت هؤلاء الفلسطينيين ؟

ــ لقد قلت لرئيس المؤتمر وأعضائه ، إن من أولويات الحديث عن السلام أن يسأل الفلسطينيون عن الطريق المؤدي إلى السلام العادل والدائم .

إن ياسر عرفات ــ كما أعرف ــ حاول بأكثر من طريقة وأسلوب ، وأكثر من مرة ، السير في اتجاه السلام ، لكنه اصطدم بالحاجز الأمريكي ــ الإسرائيلي الذي يعترض هذا الطريق .

إن مايجعلني متفائلا أكثر هو أن حديث الفلسطينيين (وبضمنهم الذين التقيتهم في فيينا) عن السلام الحقيقي ، ومعيار حقيقته هو مدى استجابته لطموحات الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته الوطنية المستقلة .

إن الفلسطينيين ــ كما سمعت عنهم ورأيتهم ــ طلاب حقوق عادلة ... ودعاة سلام ، ولكن أعداء السلام يريدونهم أن يصبحوا قارعي طبول حرب .

ومع الأماني بتحقيق السلام ودعت سعاديا وكوخابي قائلا : مع السلامة ، فقالا معا : إلى السلام ، فقلت : إلى السلام .

تأييد الانتفاضة الفلسطينية :

وفي الانتفاضة الفلسطينية المباركة التي بدأت منذ ديسمبر عام ١٩٨٧ ؛ اشترك يهود الإسلام مع باقي التقدميين في مظاهرات جماهيرية صاخبة تأييداً لثورة الشعب الفلسطيني .

ومن بين الذين رفضوا الخدمة العسكرية في الأراضي المحتلة ــ في هذه الفترة ــ الضابط المغربي م . عمور ، الذي ينتمي إلى الجبهة الشرقية . ولذلك زُجّ في سجن مغيدو ؛ فقامت هذه المنظمة ، مع منظمة « هناك حدود » ومنظمة « أَوْقف الاحتلال » (داي لكبوش) ومنظمة « السنة ٢١ » ــ بمظاهرة أمام السجن . وقال الممثل يوسف شلوح ؛ من زعماء « الجبهة الشرقية » في كلمته هناك : « إن مئير عمور بطل ؛ لأنه تحدّى سلطات الاحتلال ، ورفض أساليب القمع ضد الشعب الفلسطيني ، لذا نحن

نؤيده » . ثم أضاف : « أن خطوة عمور تمثل احتجاجاً على الدس الغادر الذي يتّهم يهود الإسلام في الحارات الفقيرة ، وذاك الموجه ضد الشعب العربي الفلسطيني » . ثم شدّد على أن عمور يرفض الخدمة العسكرية لسبب آخر ؛ وهو التمييز العنصري الذي يعاني منه يهود الوطن العربي الإسلامي في فلسطين » .

وصرخ المتظاهرون : « يارابين ... يارابين ... كم عظماً كسرت اليوم ؟ لا لإطلاق النار ، لا للبكاء ، لا للخدمة العسكرية في الضفة والقطاع » . ونشر زملاء عمور في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة تل أبيب عريضة في جريدة هآرتس (٨٨/٢/١٧) تؤيد رفضه للخدمة العسكرية .

وفي الوقت نفسه ؛ أعلن الشاعر المغربي ايرز بطون في اجتماع الكتاب التقدميين : « أن في الانتفاضة الفلسطينية بركة ؛ لأنها تُعيد إسرائيل إلى الواقع . وأن الانتفاضة مشرّفة . وأن الخيار الأردني قد توفي » . ثم أكّد : « إذا أردنا الحياة ورفضنا أن نكون صليبيين أو كولونياليين ؛ فعلينا أن نعلم أن الفلسطينيين هم شركاء حياتنا » [زو هديريخ ، ٨٨/٢/٢٤] .

وبعد خروجه من السجن ؛ تحدّث الضابط عمور إلى مراسلة جريدة هآرتس (الملحق الأسبوعي ، ٨٨/٤/١) راحيل ساعر ؛ وقال : « إن مصدر مشكلة اليسار الأشكنازي هو اللامبالاة بانعدام المساواة في إسرائيل » . ثم اتهم الحمائم الأشكنازية بالمغالطة البهلوانية ؛ لأنهم يُهملون التمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام .

وفي « ميدان اليائسين » ! في مدينة « ديمونه » ؛ قال الشباب لمراسلة جريدة هآرتس : ليلي جليلي ؛ بتهكم : « مسكينة دولة إسرائيل ! من سيدافع عنها في الجيل القادم ؟ الشبان يشربون الكحول ، ويتعاطون المخدرات ، ويفضلون المهام غير القتالية في الجيش ... ياسر عرفات لايحتاج إلى الانتفاضة ؛ عليه أن يجلس مكتوف الأيدي وخلال ١٠ سنوات سوف تنهار هذه الدولة من تلقاء نفسها » !! [هآرتس ٨٨/٤/١] .

حركة يهود الإسلام في الخارج :

منذ ظهور حركة « الفهود السود » في شوارع القدس ؛ نشط التقدميون من يهود الإسلام في الدول الغربية ؛ بغية توعية الرأي العام العالمي واليهودي ، ولاسيما مئات الآلاف من اليهود الذين هاجروا من الوطن العربي والإسلامي ومن إسرائيل إلى العالم الغربي ، حيث يتمتعون بمكانة اقتصادية

واجتماعية عظيمة .

ويشترك أعضاء هذه الحركة بصورة فعالة في الاجتماعات والمظاهرات الفلسطينية ، كما ينشرون الرسائل والمقالات في الصحف الغربية والفلسطينية ؛ عن التمييز العنصري ضد الشعب الفلسطيني وضد يهود الإسلام . وقد أرسلوا بعدة تقارير عن هذا الموضوع إلى هيئة الأمم المتحدة والسفارات الأجنبية .

ومن ضمن هذه المنظمات نذكر المنظمة العالمية لليهود من البلدان الإسلامية ومقرها نيويورك ، ومنظمة الشرقيين للسلام الإسرائيلي ــ الفلسطيني ومقرها باريس ، **واللجنة الدولية ضد اضطهاد السفارديم** (يهود الإسلام) **في إسرائيل** ومقرها لندن (**وفي نهاية هذا الكتاب ؛ نعيد نشر بعض الرسائل والمقالات التي نُشرت لهذه اللجنة في الصحافة الفلسطينية**) .

وقد واجهت حركة يهود الإسلام في الغرب صعوبات جمَّة ، نذكر منها :

١ ــ تأييد الحكومات الغربية ولاسيما أمريكا لإسرائيل ــ كسياسة أساسية مبدئية ــ بغض النظر عن جميع الاعتبارات الأخلاقية . وذلك ؛ لأن إسرائيل في نظر هذه الدول هي قلعة عسكرية أمامية غربية على خط النار ؛ تواجه الكتلة الاشتراكية وكتلة الشعوب الشرقية المناضلة ضد الاستعمار . وتحرس هذه القلعة ــ بصورة خاصة ــ النفط العربي الإسلامي ؛ من أجل المصالح الغربية ــ **على حد قولهم** .

٢ ــ قدرة المنظمة الصهيونية العالمية والسفارات الإسرائيلية وعملاء « الموساد » (أي الجاسوسية الإسرائيلية) على التغلغل إلى داخل وسائل الإعلام الغربية ؛ مثل : الإذاعة والتلفزيون والصحافة ، وإلى داخل الأحزاب السياسية والمنظمات الإنسانية والاجتماعية والنقابات العمالية والطلابية ــ من أجل الدفاع عن إسرائيل ضد أي انتقاد ؛ بواسطة بث الأكاذيب الصهيونية ، ومنع نشر الحقائق (ترفض معظم الصحف البريطانية ــ مثلاً ــ نشر أية مواد عن التمييز العنصري الموجه ضد يهود الإسلام في إسرائيل . وجريدة التايمس اللندنية ــ مثلاً ــ رفضت نشر جميع الرسائل بهذا الشأن) .

٣ ــ قدرة حكومة إسرائيل على السيطرة التامة على الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية لليهود الساكنين في العالم الغربي ، ومن ضمن ذلك ؛ يهود الإسلام الذين هاجروا من الشرق الأوسط . ويجري ذلك عن طريق الكنائس اليهودية والصحافة الصهيونية والمنظمة الصهيونية العالمية . وتستخدم إسرائيل هذه المجتمعات اليهودية كبقرة حلوب ــ من جهة ــ وكعملاء في المؤسسات الرسمية والأهلية ــ من جهة أخرى :

لقد حولت المنظمة الصهيونية الكنائس اليهودية ؛ أي المعابد الدينية ، إلى مراكز صهيونية ؛ تستغل من أجل جمع التبرعات لإسرائيل ، ولنشر الدعاية الصهيونية والدعاية الإسرائيلية . والرابي في كل

كنيس يهودي مسؤول عن جمع التبرعات ، وهو يطلب من كل فرد أن يدفع ... تصور ! والمنظمة الصهيونية لا تسمح ليهود الإسلام في الغرب بجمع التبرعات لصالح يهود الإسلام في إسرائيل ... جميع التبرعات يجب أن تدفع للمنظمة الصهيونية فحسب . والحكومة البريطانية لا تفرض أية ضريبة على هذه الأموال الطائلة التي ترسل إلى الخارج ؛ بحجة أنها تبرعات خيرية لأغراض إنسانية ، في حين أن كل إسرائيلي يعرف أن هذه الأموال تصرف على إنشاء مستوطنات في الأراضي المحتلة ، وعلى شراء المعدات الحربية والدبابات ، التي تستخدم لأغراض العدوان والتوسع على حساب الغير .

سألت (الكاتب) أحد الصحفيين الماهرين : « لماذا لاتنشر هذه المواد بخصوص اضطهاد يهود الإسلام في إسرائيل ؟ » ـــ أجاب : « أخاف من الصهاينة ، إنهم سوف يتهمونني باللاسامية وبمعاداة اليهود » . وإذا نشرت إحدى الصحف خبراً تريد إسرائيل إخفاءه ؛ ترسل ـــ في الحال ـــ بعشرات الرسائل اليهودية إلى إدارة تحرير تلك الجريدة ، وتبدأ المضايقات ضد ذلك المراسل . لقد نشر أحد الرفاق رسالة في « نيوستيسمان » اللندنية ؛ عن حالة يهود الإسلام في إسرائيل ، واستنكر اتهام العرب بالنازية (رسالة ميخائيل عمي قام في ١٩٨٥/٧/٢٥) ؛ فأرسل الصهاينة برسائل إلى المحرر ، وادعوا أن هذا الشخص غير موجود في العنوان المنشور ، وأن الرسالة كتبت بأيدي « الجامعة العربية » في لندن ؛ فاضطر صاحب المنزل أن يعلن أن ميخائيل عمي قام هو إنسان حي ، وهو يهودي ، وهو صديقه الأوحد ... ! وكيف علموا أنه غير موجود ؟ إنسان أرسل برسالة إلى جريدة ... حالاً ؛ أخذوا يتجسسون عليه ... موجود ، غير موجود ؟ وتجري هذه الحوادث في العالم الذي يسمي نفسه « العالم الحر » .

وخلال المدة الواقعة بين ١٩٧٩/١١/٣٠ و ١٩٨٠/١١/٧ ؛ وقعت معركة في مجلة « تريبيون » اللندنية بين أحد رفاقنا : يعقوب يروباعال ؛ والصهيوني ج . غارنيل . ونشرت المجلة معظم الرسائل التي بعث بها الجانبان . وأخيراً ؛ اتهم الأخ يعقوب هذا الصهيوني بعملية تغطية للسياسة العنصرية الإسرائيلية ضد يهود الإسلام ، فهدد هذا الصهيوني المجلة بالذهاب إلى المحاكم ، وطلب منها الاعتذار . فاعتذرت المجلة ؛ خوفاً منه ، ومن الذين يقفون وراءه . وبعد ذلك ؛ أصبح من الصعب نشر رسائل بهذا الشأن في تلك المجلة . وعندما يذيع الراديو أو التلفزيون البريطاني خبراً ليس لصالح إسرائيل ؛ حالاً ؛ عشرات الصهاينة يخابرون الـ B.B.C. ، ويستنكرون نشر الخبر المعادي لإسرائيل . والمسلمون في بريطانيا أكثر من اليهود ، ولكن لاتجد عندهم مثل هذا التنظيم .

٤ ـــ الموارد المالية الهائلة الموجودة في تصرف المنظمة الصهيونية في الخارج ـــ تستطيع أن تشتري جيشاً جراراً من الصحفيين والسياسيين والنقابيين والأحزاب ؛ لخدمة المصالح الإسرائيلية .

٥ ـــ الأمم المتحدة لا تعتني بالمنظمات التي لاتمثل الدول أعضاء المنظمة الدولية ؛ فالأمم المتحدة لاتشمل الشعوب وإنما الحكومات فحسب .

٦ ـــ بعض الدول العربية لم تبدِ أي اكتراث بالعنصرية الموجهة ضد يهود الإسلام في إسرائيل ،

ولم تدرك أهمية هذا الصراع الداخلي . والسبب طائفي ــ طبعاً : « كلهم يهود » .

٧ ــ الضغط الإسرائيلي (عن طريق أمريكا وبعض الحكومات العربية) على م . ت . ف . ؛ لمنع أي تعاون بين هذه المنظمة ويهود الإسلام .

٨ ــ الأكاذيب التي يبثها اليساريون المتطرفون الأشكناز في صفوف الفلسطينيين ضد يهود الإسلام ؛ لمنع وحدة النضال بين الناطقين بالضاد في إسرائيل . ومن أهم هذه الأكاذيب ؛ اتهام يهود الإسلام بالعداء للعرب ، وبخدمة المؤسسة الصهيونية . ونحن نعتقد أن المخابرات الإسرائيلية هي مصدر هذا الدس .

لكن أهم هذه العوامل ــ الآنفة الذكر ــ هو تأييد الدول الغربية ولاسيما أمريكا لإسرائيل . ولا أعتقد أن هذا التأييد سيستمر إلى الأبد . إن الدول الغربية سوف تغير سياستها هذه ؛ عندما تدرك أنها لاتخدم مصالحها القومية . وهذا التحليل لا يعني أن نجلس وننتظر .

وبالرغم من أهمية العمل السياسي في الدول الغربية ؛ **فإن المعركة الفاصلة ضد الاستعمار الصهيوني الأشكنازي سوف تقع** ، لا في لندن ولا في نيويورك ولا في باريس ، وإنما في الشرق الأوسط : **في نابلس والناصرة ؛ في القدس والحزام الأسود ؛ في مدن التنمية وتعاونيات يهود الإسلام .**

وسوف تشترك في هذه المعركة الفاصلة الأمة الإسلامية ؛ وفي مقدمتها طلائع المجاهدين الفلسطينيين ويهود الإسلام .

وهذا لن يتم إلى أن نعي أصل النزاع في الشرق الأوسط .

إنه ليس نزاعاً دينيا بين اليهود العرب والمسلمين والمسيحيين .

إنه صراع كولونيالي بين المستوطنين الأجانب وأهل البلد ؛ بما فيهم المسلمون والمسيحيون واليهود أبناء الوطن العربي الإسلامي .

اللجنة العالمية المعارضة لاضطهاد يهود الإسلام في إسرائيل ـــ لندن

الهجرة اللئيمة *

عزيزي المحرر ،

أود أن ألفت نظرك إلى مؤامرة تشريد اليهود من الحبشة لتغطية الأزمة الاقتصادية والسياسية، ولتضليل الرأي العام العالمي بشأن العنصرية الصهيونية .

لقد طالب بعض الصهاينة مراراً باستجلاب اليهود من الحبشة ، إلا أن المؤسسة الصهيونية رفضت ذلك مدعية بأن الديانة اليهودية المتبعة هناك لا تطابق الديانة اليهودية في العالم ؛ أي إنها لم تعترف بيهودية الأحباش . إلا أن السبب الحقيقي لإهمال هؤلاء اليهود كان لونهم الأسود . ثم قرر مجلس رجال الدين في إسرائيل الاعتراف بيهودية هذه الطائفة الفقيرة ، وبهذا منح لهم « حق العودة » إلى فلسطين بناء على قوانين إسرائيل .

والآن سمعنا فجأة أن المؤسسة الصهيونية وحكومة تل أبيب قامتا بعملية واسعة النطاق لتهجيرهم ، وأوفدت ضباط استخبارات مختصين بشؤون الحبشة وبجغرافية البلاد ، أخذوا يقنعون اليهود بأن إسرائيل مستعدة أن تعطيهم الأكل واللباس والشراب مجانا ، ومعظم هؤلاء اليهود لم يعرفوا عن إسرائيل شيئا ، ولم يسمعوا اسمها من قبل . فبدأ الترحيل مشيا على الأقدام لمسافة مئة ميل وأكثر عبر الحدود السودانية ، ثم بالطائرات إلى إسرائيل . وقد توفي عدد كبير على طول الطريق الوعرة ، وبلغت نسبة الوفيات من الربيع الماضي إلى نهاية الصيف ٢٠٪ . واستمر الموت يحصد الأطفال والنساء والشيوخ والرجال في المخيمات السودانية التي لا تملك أبسط الخدمات الصحية (التايمس اللندنية ٨٥/١/٧) . والمستقبل سوف يكشف نسبة الوفيات الناتجة عن المغامرة الإجرامية . وقد

---

* مجلة فلسطيننا ، شباط ١٩٨٥ .

بدأت عملية النقل إلى تل أبيب عن طريق الجو في نوفمبر ، وبقيت المؤامرة سرية حتى يناير ، ثم فجأة كشفت الوكالة اليهودية والحكومة الصهيونية ــ النقاب عنها ، وأثارت ضجة واستنكارا في الحبشة والسودان ؛ فتوقف التهجير تماما ؛ فتمزقت وحدة العائلات ؛ إذ إن إسرائيل تمكنت من استيعاب ثلث اليهود فقط أي ٧٣٥٤ نسمة . ويقول أحد زعماء المهاجرين « رحامين العازار » إن الوكالة اليهودية والحكومة الصهيونية تآمرتا في كشف السر ؛ بغية إيقاف العملية لأنهما لا تريدان استيعاب ماتبقى من اليهود هناك أي ١٢٥٠٠ نسمة .

والسؤال المطروح هو : لماذا قررت إسرائيل استجلاب هذه الطائفة الآن بالذات ، بعد أن رفضت ذلك سابقا ؟ هناك أسباب كثيرة يمكن تلخيصها فيما يلي :

تعيش إسرائيل الآن أقسى أزمة عرفتها في الماضي ، إنها أزمة اقتصادية وسياسية وعسكرية ، فقررت إلهاء سكانها بهذه العملية البهلوانية لتقوية معنوياتهم المنهارة .

أما بصدد الأزمة الاقتصادية ؛ فقد وصلت نسبة التضخم المالي إلى أكثر من ١٠٠٠٪ ، ويقضي مشروعها الاقتصادي الجديد بخفض قيمة الأجور وتقليص الإنتاج والخدمات الاجتماعية ومستوى المعيشة ، ونتج عن ذلك البطالة . لقد بلغ معدل البطالة أخيراً ٧٪ ، وتقول المعارضة إن هذا الرقم مزيف ومن الممكن مضاعفته . أما في « مدن التطوير » وأحياء الفقر حيث يعيش اليهود العرب ؛ فقد وصلت نسبة البطالة إلى ٤٠٪ وبدأت المظاهرات وأعمال العنف ونشطت حركة تحرير اليهود العرب من الظلم الصهيوني .

لذلك قررت الحكومة إسكان الأحباش في هذه المدن والأحياء الفقيرة التي تعاني من البطالة لإثارة الوقيعة بين اليهود العرب والأحباش على طريقة فرق تسد . وتقول الأخبار إن الحكومة تريد إسكان ٦٠ عائلة حبشية في بلدة يروحام في النقب إلا أن رئيس البلدية ب . المقيس رفض استيعاب أي عائلة ، واقترح إرسال المهاجرين إلى الكيبوتسات الأشكنازية التي لاتعاني من البطالة . إلا أن هؤلاء الأشكناز يرفضون العيش مع الأحباش ؛ لأنهم سود . لذلك صرح الصحفي الصهيوني وليام فرانكلين في الإذاعة البريطانية العالمية بأن الأحباش سوف ينضمون إلى الطبقة السفلى أي طبقة اليهود العرب (٨٥/١/٥) .

أما الأزمة العسكرية فهي عجز القوات المسلحة عن كبت جماح المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال . ويقوم المقاتلون اللبنانيون وإخوانهم الفلسطينيون بحملة فدائية لم تعتد القوات الصهيونية مثلها من قبل . وتوقع هجماتهم العنيدة إصابات كثيرة في المعدات والأرواح أدت إلى قيام نشاط سياسي في الداخل يطالب بسحب القوات من لبنان . والحقيقة هي أن الحكومة تريد الانسحاب إلا أنها لاتريد أن تعترف بفشلها النهائي في الحرب اللبنانية ، وتريد أن تسيطر على الجنوب بواسطة أجرائها من اللبنانيين . وبما أنها لا تستطيع إنهاء هذه الأزمة تحاول الحكومة إشغال الناس بعملية « بطولية » لجمع الشتات واستجلاب اليهود الأحباش .

وبخصوص الأزمة السياسية ، لقد تبين أخيرا أن التمييز العنصري ضد اليهود العرب أدى إلى انضمام الكثير منهم إلى حزب الليكود والأحزاب الموالية له ، ونتج عن ذلك انقسام الكنيست إلى قسمين متساويين : رأس المال الهستدروتي (نقابة العمال والمستوطنات الزراعية) ورأس المال الخاص . ولم يستطع أي منهما أن يؤلف حكومة لإسرائيل ؛ فقام الائتلاف المشؤوم وهو عاجز عن العمل في الشئون الداخلية والشؤون الخارجية ، ثم جاء الضغط السياسي لإيجاد حل وسط وإرجاع قسم من الأرض المحتلة .

والآن جاء الأحباش الذين يموتون جوعا ؛ فقالت إسرائيل : إحنا عاوزين أرض لإنقاذ هؤلاء المساكين ، شوفوا الوطن العربي من المحيط إلى الخليج وشوفوا إسرائيل الصغيرة . طبعاً العالم لا يعرف أن ٩٥٪ من أرض مصر صحراء قاحلة وكذلك السعودية والجزائر ... إلخ .

ومشكلة الهجرة هي أهم المشاكل ؛ إذ إن إسرائيل لاتحيا بدون هجرة واستيطان وتوسيع . والآن الهجرة المضادة أكبر من الهجرة العادية فجاءت قضية الأحباش وقالت إسرائيل نريد أموالا لاستيعاب هذه الهجرة . والأموال سوف لا تدخل جيوب الأحباش بل خزينة الدولة المنهارة ؛ إذ يقول الاختصاصيون في تل أبيب إن احتياط الدولة بالعملة الصعبة سوف ينفد هذا العام . يعني إفلاس تام .

ومشكلة اليد العاملة العربية هي من أخطر المشاكل . وسوف تحاول إسرائيل أن تستبدل بالعمل العربي الرخيص العمل الحبشي الأسود أو عمل اليهود العرب العاطلين .

من الناحية الدعائية ، العالم يعلم أن إسرائيل هي دولة عنصرية ؛ وهي حليفة جنوب إفريقيا . والآن يحاول الصهاينة أن يبرهنوا للعالم على أن إسرائيل ليست عنصرية ؛ فهي تستجلب الأفارقة السود وتنقذهم من الموت . وكتبت التايمز اللندنية في عددها الصادر يوم ٨٥/١/٥ تقول « إن حضور الأحباش في حد ذاته يشير إلى روح التسامح في إسرائيل ، ويبرهن على أن الاتهامات المعادية لإسرائيل التي تزعم أن العواطف المعادية للعرب في إسرائيل تحتوي على استعمار وحتى تمييز عنصري ــ هي اتهامات زائفة » ؛ يعني كل التقارير التي نشرتها هذه الجريدة بخصوص اضطهاد العرب تحت نير الاحتلال كانت زائفة . هكذا انتصرت الهجمة الصهيونية الدعائية العدوانية وسكتت الـ ٢٢ سفارة العربية في لندن ولم تتصدّ لهذا الباطل اللئيم .

الأستاذ نعيم قدوري روبين

معقول .. !؟*

من اللجنة الدولية لمناهضة اضطهاد اليهود السفارديين (العرب) في إسرائيل ... ومقرها لندن ــ تلقينا رداً على ماورد في « فلسطين الثورة » على الصفحة ١٧ من عددها ٥٦٥ ؛ في زاوية « بطاقة من الناصرة » التي يكتبها المواطن والرفيق سالم جبران ، وكان عنوان زاويته « في مرآة استطلاع آخر » ــ وهو من وضع قلم تحرير فلسطين الثورة .

إن اللجنة حرة في الحديث عن « مجتمع يهودي ــ إسلامي » ، ولكن ننوه بأننا لانتفق ، بشكل خاص ، مع النقطة الرابعة الواردة في هذا الرد .

« بصدد الاتهام القائل بأن ٥٠٪ من الشبان اليهود ، ذوي الأصل الشرقي ، يؤيدون الحاخام العنصري كاهانا (فلسطين الثورة ، ٨٥/٧/٦) ، نود ، باسم هذه المنظمة ، تقديم شكرنا إلى الأخ سالم جبران الذي لام أقطاب الصهيونية ، الذين كلهم غربيون أوروبيون ، في خلق المناخ المعادي للفلسطينيين والعرب » .

إضافة إلى ذلك نريد أن نسأل مؤسسة « فان لير » المحترمة ــ السؤال التالي : إذا أردتم ربط العداء للشعب الفلسطيني بأصل اليهود العنصريين ، إذن لماذا لم تذكروا أن كاهانا نفسه هو أشكنازي (من أصل أوروبي) ، وكذلك المتدينون ؟ ولـ « فلسطين الثورة » نقول : كذلك بيرس وشامير وشارون وبيغن ووايزمن (الأول) وبن غوريون وشاريت وغولدا مائير ورابين وألون ودايان ، وجميع قادة المؤسسة السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والجاسوسية ، وكذلك المستوطنون في الأرض المحتلة ، وعصابة الإرهاب اليهودي ــ كلهم أشكناز .

إن الحاخام كاهانا لم يحز إلا على مقعد واحد في البرلمان (١٦٠٠٠ صوت) وكلهم ، تقريباً ، من سكان المستوطنات في الضفة وغزة ؛ ولو أيده ٥٠٪ من شبان اليهود العرب لحاز على عشرات المقاعد ؛ لأن اليهود العرب يشكلون ٧٠٪ من السكان . ومعنى هذا أن الرقم ٥٠٪ لا يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة لليهود العرب عامة . إن أكبر دائرة في قلم المخابرات الصهيونية هي دائرة تلفيق الأكاذيب والأرقام المزورة بغية بث البلبلة في صفوف العرب ، وإثارة البغضاء والعصبية الطائفية ، والأهم ؛ بغية منع أي كفاح مشترك بين الشعب الفلسطيني المجاهد واليهود العرب المظلومين في فلسطين المحتلة .

إن اليهود العرب يشاركون الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية ، اللغة والحضارة والتقاليد والقيم الأخلاقية والتاريخ والمصير ، أي : مصير التشريد والاضطهاد العنصري بأيدي المؤسسة الصهيونية

* مجلة فلسطين الثورة ، تموز ١٩٨٥ .

الأشكنازية . ونحن لاننكر أن ثمة يهوداً عرباً خونة ، فالخونة موجودون في كل طائفة (تذكر سعد حداد وانطوان لحد وقتلة صبرا وشاتيلا وقتلة أيلول الأسود وأبطال كامب ديفيد الذين باعوا الضفة مقابل سيناء ... إلخ) . لقد قال زعيم صهيوني : « إذا توحد اليهود العرب مع الفلسطينيين ضدنا فعلينا أن نستسلم ؛ لأنهم أكثر من ٨٠٪ من السكان » . وبسبب هذا الخوف لاينام الأشكناز لياليهم فيركزون دعايتهم المسمومة ضد العرب ، في أحياء الفقر والجهل ، حيث يعيش اليهود العرب . هناك زعران وخونة ؛ إلا أن الحل والربط هما بأيدي المستوطن الأشكنازي المتحكم بهذا البلد .

وإذا ذكرتم بعض اليهود العرب ، الذين يعادون الشعب الفلسطيني ، فلماذا لا تذكرون منظمات اليهود العرب التي تؤيد حقوق الشعب الفلسطيني مثل : منظمة الفهود السود ومنظمة « ايله » ومنظمة « شاحق » ومنظمة « عوديد » ومنظمة « الشرق من أجل السلام » ومنظمتنا نحن ؟

وبما أننا موجودون ، في الحقيقة ، في خندق واحد فعلينا أن نخبركم بأن عملاء المخابرات ، الذين يحاولون إقامة جدار بيننا وبينكم يندسون بين صفوف الأشكناز الذين يؤيدون القضية الفلسطينية أو يتظاهرون بتأييدها . إن إحدى نقاط الضعف في الصف العربي هي التغاضي عن مأساة اليهود العرب ، وعن إمكانية الكفاح المشترك معهم على أساس وحدة الأمة الإسلامية بما فيها الشيعة والسنة والدروز والمسيحيون واليهود العرب أبناء الوطن العربي الكبير . أما أسباب التغاضي فهي :

١ ـــ الضغط الإسرائيلي ـــ الأمريكي على الدول العربية ثُمَّ على فصائل الثورة الفلسطينية .

٢ ـــ الطائفية العمياء ، إذ إن الطائفيين العرب لم يتعلموا أي درس من مساعدة الصهيونية على تشريد اليهود العرب من بلدانهم ، وتزويد إسرائيل بقوة بشرية هائلة لبناء جيشها واقتصادياتها .

٣ ـــ عمليات التضليل التي يقوم بها الأشكناز « أصدقاء » فلسطين ولا سيما اليسار المتطرف .

٤ ـــ موقف « راكاح » السلبي الذي لا يعترف بوجود مجتمع يهودي ـــ إسلامي (!) مضطهد لا كطبقة فحسب بل كمجتمع ، بأن هذا المجتمع هو جزء من الأمة الإسلامية . إنهم يكتبون عن العاطلين والفقراء ... إلخ ، ولا يقولون إن هؤلاء هم يهود عرب ـــ مجتمع سفارادي ...

هذا وإنها لثورة على الاستعمار والطائفية العمياء .

ـــ نرجو إرسال نسخة إلى الأخ أبو عمار .
ـــ مستعدون أن نرسل لكم بمواد عن حقائق العنصرية ضد اليهود العرب (ن . ق) .

نعيم قدوري روبين

... أن يتبنى كل فلسطيني يهوديا عربيا !*

تحية طيبة :

بمناسبة نشر مقالتي في العدد ٦٦٠ من « فلسطين الثورة » المؤرخ في ٨٧/٧/١٨ ، تفضلوا بقبول شكرنا الجزيل ، إذ إننا نقدّر الحوار الأخوي بيننا ، ونعتقد أنه مبني على أسس متينة ألا وهي :

١ ــ مقررات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الأخيرة ، بشأن تطوير العلاقات مع التقدميين اليهود في فلسطين ــ وقد شدّد الأخ أبو مازن على هذه النقطة في لقاء بودابست .

عملاً بهذه المقررات نودّ تقوية هذا التفاهم بيننا . وسوف نكون ممنونين إذا علقتم على آرائنا بصورة علنية أو خصوصية . وقد قابلنا الأخ فيصل (عويضة) في لندن .

٢ ــ المادة الأولى من الميثاق الوطني الفلسطيني ، التي تنص على أن فلسطين هي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي ، وأن الشعب الفلسطيني هو جزء من الأمة العربية . وهذا يعني أن الشعب الفلسطيني والعرب اليهود ــ أبناء فلسطين وأبناء الوطن العربي هم أمة واحدة . ونحن نعتقد أن الذين يُخرجون العرب اليهود عن الأمة العربية بسبب دينهم هم طائفيون ، لا يفهمون معنى « القومية » .

٣ ــ المادة السادسة من الميثاق التي تشمل الفلسطينيين اليهود في مفهوم الشعب الفلسطيني .

٤ ــ بخصوص المادة الأولى من الميثاق هناك إضافة تاريخية ، حضارية واقعية ، لايمكن أن تحذف وهي : أن الأمة العربية هي جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية ، وأن الوطن العربي هو جزء من الوطن الإسلامي . وقد اعترفت جميع الدول الإسلامية منذ الفتوحات إلى نهاية الحرب العالمية الأولى بهذه الوحدة ، إلى أن فرضت الإقليمية بأيدي القوات الأجنبية ، وحتى يومنا هذا لم تتخذ الشعوب العربية الإسلامية أي قرار يعترف بهذه التجزئة . وإذا صحّ هذا التحليل فإن يهود الإسلام (وهم يشملون العرب اليهود) والشعب العربي الفلسطيني يشكلون أمة واحدة .

حتى ١٩١٨ ؛ اعتبر يهود الإسلام « دار الإسلام » وطنهم ووطن السكان المسلمين والمسيحيين . وكانوا أحراراً يتنقلون من إقليم إلى آخر بسبب تجارتهم وعلاقاتهم الدينية والعائلية . وسكنوا في فلسطين حيثما أرادوا ولم تتصدَّ لهم الدولة الإسلامية ولم يعارضهم الشعب الفلسطيني ؛ إذ إن روابطهم بفلسطين كانت ولا تزال دينية ولم يهدفوا إلى التسلط أو إلى مصادرة أموال الغير ولم يسرقوا أي شيء من الشعب الفلسطيني . وكانت العلاقات الاجتماعية بينهم وبين المسلمين والمسيحيين في

* مجلة فلسطين الثورة ، آب ١٩٨٧ .

فلسطين طيبة ، ويشهد على هذا زعيم يهود الإسلام في فلسطين الدكتور الياس الياشار في كتابه المشهور « العيش مع اليهود » (١٩٨٠) .

لقد كانت الصهيونية محظوظة ؛ إذ إن القيادات العربية تغاضت عن إمكانية استخدام يهود الإسلام ضد الاستعمار الصهيوني . وأسوأ من ذلك فإن هذه القيادات ، بالذات ، ساعدت الصهيونية في عملية تدمير الطوائف اليهودية في أرض الإسلام ، وتهجير هؤلاء اليهود (أو معظمهم) إلى فلسطين بعد ١٩٤٨ . وزودت إسرائيل بالطاقة البشرية ؛ ثمَّ استغلت إسرائيل هذه الطاقة كأيد عاملة رخيصة في سبيل التطوير الاقتصادي السريع وكلحوم لمدافعها في حروبها ضد الشعب الفلسطيني . ونحن نؤمن بأن التعاون الاجتماعي والحضاري والاقتصادي والسياسي بين المستوطنين الأشكناز ويهود الإسلام ـــ سوف يمكن من إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء . ولا يتم هذا إلا بمساعدة القيادة القومية للشعب الفلسطيني (م . ت . ف .) والأمة الإسلامية ، على أن تكون هذه المساعدة لا بالأقوال بل بالأفعال . لقد فرض الرسول (صلعم) على كل واحد من الأنصار أن يتبنى أخاً من المهاجرين . ونحن نقول : **على كل فلسطيني في فلسطين ـــ كل فلسطين ـــ أن يتبنى أخاً من يهود الإسلام . ومن هنا نبدأ . ومن هنا يبدأ الصعود السريع في الوعي القومي . ومن هنا تبدأ مسيرة الكفاح المشترك ـــ الكفاح المشروع .**

لقد قيل لنا : « إن معظم أفراد الجيش الإسرائيلي هم من يهود الإسلام » ، وقلنا : « هناك آلاف كثيرة ترفض الخدمة الإجبارية . وأكثر من ٩٥٪ من السجناء في سجون الجيش هم من يهود الإسلام الذين يتحدون القيادة الاستيطانية » . وفي روديسيا كان معظم الجنود والشرطة من الأفارقة . وماذا كانت النتيجة ؟ الوضع ذاته ينطبق على قوات الأمن في جنوب إفريقيا . وكان معظم الثوار في الثورة الروسية الكبرى ١٩١٧ من الجنود الذين خدموا القيصر . والكل يعلم أن مصدر معظم الأسلحة والذخائر التي يستعملها الثوار الفلسطينيون الآن هو مخازن الجيش الإسرائيلي ...

قال تعالى :

﴿ والذين آمنوا من بعدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم ﴾ صدق الله العظيم . (سورة الأنفال ، الآية ٧٥) .

وإنها لثورة على الطائفية والاستعمار .

نعيم قدوري روبين

حضرة الأخ فيصل عويضة ١٩٨٨/٤/١٨

ممثل منظمة التحرير الفلسطينية وفلسطين الحرة ــ لندن

بعد التحية ومزيد الاحترام

أخي ، نيابة عن هذه المنظمة* ، أودّ أن أستنكر عملية الإرهاب الدولي التي قامت بها عصابة الموساد الصهيونية ضد منظمة التحرير والشعب الفلسطيني بالذات .

إني على يقين أن دماء الشهيد أبو جهاد ورفاقه سوف تدفع بالثورة الفلسطينية الآتية إلى الأمام من أجل تحرير الأرض من هؤلاء الإرهابيين الأجانب .

إن هذه العملية الخيانية تبرهن على صدق إنذارنا الأخير في رسالتنا إلى الأخ أبو مازن (التي سلمناها إلى يدك قبل ٣ أسابيع) . وقد كتبنا أن المؤسسة الصهيونية الأشكنازية مصممة على تدمير منظمة التحرير ؛ لأنها ، أي المنظمة ، تمثل الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني والقومية الفلسطينية . إن العرب اليهود الذين يعيشون تحت حكم هؤلاء الأنذال يعرفون عقليتهم العنصرية ، ولذلك ؛ توقعوا ــ ومازالوا يتوقعون ــ مثل هذه العمليات الأثيمة . فإلى المزيد من الجهاد وإلى المزيد من الحذر والدفاع عن الثورة .

ونحن معكم ومع عائلة الشهيد

أخوكم المخلص

جدع

* اللجنة الدولية ضد اضطهاد السفارادیم في إسرائيل .

المراجـــــع

ذكرت معظم المراجع في الكتاب ولاسيما الوثائق البريطانية والعبرية والصحف الإسرائيلية .

• بالإضافة إلى المراجع التي استعنت بها ؛ اعتمدت على ذكرياتي كشاهد عيان منذ زمن الانتداب البريطاني . وكانت الأوضاع التي شاهدتها أسوأ بكثير مما تصفه المصادر الصهيونية ؛ المذكورة في هذا الكتاب . واعتمدت أيضاً على ذكريات عائلتي وأصدقائي وأقربائي .

• بما أن اللغة العبرية لغة سامية ، شرق أوسطية ، وحروفها الأبجدية تطابق الحروف العربية؛ فقد رسمنا الكلمات العبرية ــ عادة ــ حسب اللفظ السامي المتبع لدى شعوب المنطقة واليهود العرب ؛ وليس حسب اللفظ الأشكنازي الأجنبي ؛ مثل : « تل أبيب » وليس « تل أفيف » ، « شبط وعام » (مجلة اليهود العرب في إسرائيل وتعني ؛ سبط وشعب) وليس « شيفت فعام » . ولكننا آثرنا كتابة « هآرتس » حسب اللفظ الأشكنازي ، وهو الشائع والمتبع في الصحافة العربية والإنكليزية (انظر الفصل السابع ــ كيف شوّه الأشكناز لفظ الحروف العبرية) .

أولاً ــ المراجع العبرية :

١ ــ كتب ودراسات ودوريات :

الياشار ، الياهو ، « ليحيوت عيم پَلِسْتِينيم » (**العيش مع الفلسطينيين**) ، لجنة الطائفة السفارادية بالقدس ، القدس ، ١٩٧٥ .

الياشار ، الياهو ، « ليحيوت عيم يهوديم » (**العيش مع اليهود**) ، ي . مركوس وشركاؤه ، القدس ، ١٩٨٠ .

إسرائيل ، المكتب المركزي للإحصاء ، أعوام ١٩٧٣ و ١٩٨٠ و ١٩٨٦ . وأعداد أخرى متفرقة ذكرت في متن الكتاب .

إسرائيل ، بنك إسرائيل ١٩٦٨ ، شنوييم بهفرشي ساخار ليفي مشلوح ياد » (**تغيرات في اختلاف الأجور حسب المهنة**) — من عام ١٩٥٨/١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٣/ ١٩٦٤ ، بتاريخ ١٩٦٨/٣/٣٠ .

إسرائيل ، مكتب رئيس الحكومة ، ١٩٦٨ .

ايلون ، عاموس ، « شبوعايم بيسرائيل هَشْنِييَه » (**أسبوعان في إسرائيل الثانية**) ، ص ٣٠ إلى ٤٩ — في « عوليم بيسرائيل » (**مهاجرون في إسرائيل**) ، نشرة « هآرتس » ، تل أبيب ، ١٩٥١ . وقد ذكرنا مقالات هذا الصحافي عدة مرات في متن الكتاب .

أحاد هعام ، « مجموعة أعمال » ، دار النشر اليهودي ، ١٩٤٧ . انظر مقالة : « ايميت مئيرتس يسرائيل » (**الحقيقة عن أرض إسرائيل**) .

بن سمحون ، ج . ، « ميليخ مروكائي » (**ملك مغربي**) ، مسرحية عن الهجرة المأساوية لليهود المغاربة ، إصدار عدي ، تل أبيب ، ١٩٨٠ .

بن غوريون ، دافيد ، « نيتسح يسرائيل » (**خلود إسرائيل**) ، الكتاب السنوي الحكومي ، ١٩٥٤ .

بن مناحيم ، إسحق ، « ادام ولوحيم » (**إنسان ومقاتل**) ، عميحاي ، ١٩٧٥ .

بيرس ، يوحانان ، « يَاحَسي عيدوت بيسرائيل » (**العلاقات الطائفية في إسرائيل**) ، سفريات هبوعاليم والجامعة في تل أبيب ، ١٩٧٨/١٩٧٧ .

بيرنشتاين ، دبوره ، « همعبروت بشنوت هحمشيم » (**المعسكرات الانتقالية في الخمسينيات**) ، دفاتر للبحث وللنقد ، حيفا ، رقم ٥ ، ١٩٨٠ .

بيرنشتاين ، دبوره ، « هسوتسيولوغيا قوليطت ايت هعليه » (**علم الاجتماع يستوعب المهاجرين**) ، دفاتر للبحث وللنقد ، حيفا ، رقم ١ ، ١٩٧٨ .

بيرنشتاين ، دبوره ، (**التطور الاقتصادي في إسرائيل وتكوين تقاسم العمل الطائفي**) — انظر : سفيرسكي ، دفاتر للبحث وللنقد ، حيفا ، رقم ٤ ، ١٩٨٠ .

بلاص ، شمعون ، « همعبره » (**المعبرة أو المعسكر الانتقالي**) ، حيفا ، عام عوبيد ، سفريه لعام ، تل أبيب ، ١٩٦٤ .

بيطون ، ايرز ، « منحة مروكائيت » (**صلاة مغربية**) ، طراقلين ، تل أبيب ، ١٩٧٩ (شعر ،

عن مأساة المغاربة في إسرائيل) .

درويان ، نيتسَه ، « تسميحاتاه وهِتْبَتْحُوتَاه شيل هَعيدَه هَتيمانيت بايرتس يسرائيل بِشنوت ١٨٨٢ ــ ١٩١٤ » (**نشوء الطائفة اليمنية وتطورها في أرض إسرائيل خلال ١٨٨٢ ــ ١٩١٤**) ، القدس ، ١٩٨٠ .

دانسغايد إسرائيل ، « دليل الأشغال الإسرائيلي » ، تل أبيب ، ١٩٧٩ .

غلوسكا ، زخريا ، « ليماعن يهودي تيمان » (**من أجل يهود اليمن**) ، إصدار يعقوب بن دافيد غلوسكا ، ١٩٧٤ .

سفيرسكي ، شلومو ، « لونحشليم ايلا منوحشاليم » (**ليسوا مُتخلفين بل أرغموا على التخلف**) ، إصدار دفاتر للبحث وللنقد ، حيفا ، ١٩٨١ .

سفيرسكي ، شلومو ، « أشكنازيم ومزرحيم ، يحسي تلوت بهتْهَووت » (**أشكنازيون وشرقيون ... تكوين علاقات التبعية**) ــ مع الكاتبة ساره قتسير ، دفاتر للبحث وللنقد ، حيفا ، رقم ١ ، ١٩٧٨ .

سفيرسكي ، شلومو ، « مي عباد ، بما ، عبور مي ، وتمورة ما ؟ هبتوح ، هكلكالي شيل يسرائيل وهتهووت حلوقة هعبوده هعدتيت » (**من اشتغل ؛ بما ؛ لصالح مَن ؛ لقاء أية أجرة ؟ التطور الاقتصادي في إسرائيل وتكوين تقاسم العمل الطائفي**) ــ مع الكاتبة د . برتشتاين ، دفاتر للبحث وللنقد ، حيفا ، رقم ٤ ، ١٩٨٠ .

سفيرسكي ، شلومو ، (مع مناحيم شوشان) ، « عيروت هبتوح ليقرات محار شونيه » (**مدن التطوير تواجه غداً مختلفاً**) ، إصدار يتيد ، حيفا ، ١٩٨٥ .

سيغيب ، توم ، « هيسرائيليم هاريشونيم ، ١٩٤٩ » (**الإسرائيليون الأوائل ــ ١٩٤٩**) ، إصدار دومينو ، القدس ، ١٩٨٤ . (انظر الترجمة العربية في المراجع العربية) .

شطال ، أ . ، « متحيم بين عدتيم بعام يسرائيل » (**توتر طائفي في شعب إسرائيل**) ، وزارة المعارف ، القدس ، ١٩٨٠ .

شوراقي ، أ . ، « قوروت هيهوديم بتسفون أفريقا » (**تاريخ اليهود في المغرب العربي**) ، تل أبيب ، ١٩٧٥ .

قورين ، إسحق ، « قبوص هَغَلييوت بهتْنَحَلُوتُو » (**جمع الشتات عند استيطانه ــ عن تاريخ تعاونيات المهاجرين في إسرائيل**) ، عام عوبيد ، ١٩٦٤ .

كوهين ، ح .ي ، « هبعيلوت هتسيونيت بعراق » (**النشاط الصهيوني في العراق**) ، المكتبة

الصهيونية ، القدس ، ١٩٦٩ .

كوهين ، ح . ي . ، « هغورميم لعليه مأرتسوت آسيا وأفريقا بمئه هعسريم » (**عوامل الهجرة من بلدان آسيا وإفريقيا في القرن العشرين**) ، القدس ، ١٩٧٠ .

كوهين ، ح . ي . ، « مقوروت لتولدوت هيهوديم بأرتسوت همزراح هتيخون بيمينو » (**مصادر تاريخ اليهود في بلدان الشرق الأوسط في الوقت الحاضر**) ، القدس ، ١٩٧٢ .

ميخائيل ، سامي ، « شاويم وشاويم أكثر » (**متساوون ومتساوون أكثر**) ، بستان ، ١٩٧٦ .

نيني ، يهودا ، « يَحَسَن شيل حِبّات صيون وهتنوعه هتسيونيت لعليه متيمان » (**موقف حركة « أحباء صهيون » والحركة الصهيونية من الهجرة اليمنية**) ، القدس ، ١٩٧٧ .

نيني ، يهودا ، « عليوت يهودي تيمان لايرتس يسرائيل ١٨٨٢ ــ ١٩٥٠ » ، رسالة دكتوراه ، جامعة تل أبيب ، ١٩٧٦ .

نيني ، يهودا ، « عولي تيمان ١٨٨٢ ــ ١٩١٤ » (**المهاجرون اليمنيون خلال ١٨٨٢ ــ ١٩١٤**) ، قَتِدْرَه ، أكتوبر ١٩٧٧ .

نيني ، يهودا ، « **خواطر عن تدمير الهيكل الثالث** » ، شديموت ، رقم ٤١ ، ربيع ١٩٧١ — انظر الفصل العاشر في هذه الدراسة .

نمير ، م . ، « مول بني همعبروت » (**إقامة المعسكرات الانتقالية**) ، إصدار اوتباز ، تل أبيب ، ١٩٧٢ .

الوكالة اليهودية ، دائرة الهجرة ، ١٩٥٠ ب ، « **صفحات عن الهجرة** » ، القدس .

الوكالة اليهودية ، دائرة الاستيعاب ، ١٩٦٤ ، **استيعاب المهاجرين منذ ١٦ عاماً** ، القدس .

وزارة التجارة والصناعة ، (بدون تاريخ) ، « **الصناعة : الماضي والمستقبل** » ، القدس .
اللجنة الوزارية لبحث حالة المعسكرات الانتقالية ، ١٩٥٤ ، **تقرير اللجنة** ، أرشيف الدولة ، قسم ٩٥ ، جـ ٦١٦١ ، دوسيه رقم ٢٤٢١٠٥ .

هفر ، عليزه ، « ها او خلوسيه هبنييا بيسرائيل » (**السكان والبناء فى إسرائيل ١٩٤٨ ــ ١٩٧٣**) ، وزارة الإسكان ، القدس ، ١٩٧٥ .

٢ ــ مجلات علمية :

شيبط وعام (**سبط وشعب**) ، أعداد ١٩٥٤ و ١٩٥٨ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠ و ١٩٧٠

و ١٩٧٣ ، وأعداد أخرى متفرقة .

بعاميم ، العدد الأول ١٩٧٩ ، والعدد الثامن ١٩٨١ ـــ عن الفرهود في بغداد ، ١٩٤١ .

مولاد ، العدد الثاني عشر .

همزراح هحداش ، « **المجتمع الشرقي الإسرائيلي** » ، الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٥٠ ـــ ١٩٨١ .

مغاموت ، العدد العشرون ، ١٩٧٤ .

٣ ـــ صحف :

ذكرت في نص الدراسة : هآرتس ، زوهديرخ ، معريب ، يديعوت احرونوت ، حدشوت ، عل همشمار ، هعولام هزه ... إلخ .

٤ ـــ وثائق إسرائيلية صهيونية :

ذكرت في نص الدراسة بصورة مفصلة ، واقتبست عن المصادر التالية :

محاضر الكنيست .
أرشيف الدولة .
أرشيف حزب العمل .
المجلس التنفيذي الصهيوني .
أرشيف جيش الدفاع الإسرائيلي .
ملفات دائرة الهجرة .
الأرشيف الصهيوني المركزي .
مذكرات بن غوريون .

KLEINER, J. 1966, DIE TEXTILINDUSTRIE IN ISRAEL, BASEL.

ثانياً ـــ المراجع العربية :

بالإضافة إلى القرآن الكريم وبخاصة الآيات التي تدعو إلى البر والإحسان والعدالة والحق والوحدة ؛ وحدة الأمة الإسلامية على اختلاف طوائفها ـــ رجعنا لما يلي :

أبـو مـازن ، م . أ. ، « **ملاحظـات حـول هجـرة يهود العراق** » ، الطليعة ، القاهرة ، تموز ١٩٧٦ .

الراوي ، « **عصبة مكافحة الصهيونية** » ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٧٨ .

الأزمنة الحديثة : المجلة الفرنسية لجان بول سارتر ، « **إسرائيل الثانية** » (مجموعة من المقالات وضعها مثقفون من اليهود العرب) ، ترجمة : فؤاد جديد ، منشورات فلسطين المحتلة ، ١٩٨١ .

القشطيني ، خالد ، « **الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية** » ، بيروت ، ١٩٨١ .

بارموشي ، أ . ، « **الخروج من العراق** » ، مجلس الطائفة السفارادية ، القدس، ١٩٧٥ .

تكريتي ، « **عصبة مكافحة الصهيونية** » ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٧٨ .

زلخة ، ي . ، « **الصهيونية عدو العرب واليهود** » ، بغداد ، ١٩٤٦ .

سيغف ، توم ، « **الإسرائيليون الأوائل ــ ١٩٤٩** » ، ترجمة : مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ، ١٩٨٦ .

سعد ، « **الهجرة اليمنية إلى فلسطين** » ، مركز الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٩ .

عبد الرحمن ، « **عودة اليهود : المسألة والحلول** » ، شؤون فلسطينية ، رقم ٥٩ ، آب/ أيلول ١٩٨٦ .

فهمي ، « **سموم الأفعى الصهيونية** » (عن الإرهاب الصهيوني في العراق) ، بغداد ، ١٩٥٢ .

قوجمان ، ي . ، « **الموسيقى الفنية المعاصرة في العراق** » ، أكت ، لندن ، ١٩٧٨ .

محمد بن إسحق ، « **سيرة رسول الله** » (نقلا عن السيرة النبوية لابن هشام) .

معلم ، عزت ساسون ، « **على ضفاف الفرات** » ، دار المشرق ، شفا عمرو ، ١٩٨٠ .

محارب ، ع . ، « **الهجرة اليمنية والعمل العبري** » (دراسة) ، شؤون فلسطينية ، آب ١٩٧٣ .

وثائق هغنيزه القاهرية : عثر عليها في نهاية القرن التاسع عشر ، في معبد يهودي بالقاهرة ؛ مكتوبة باللغة العربية بحروف عبرية .

ياسين ، « **عصبة مكافحة الصهيونية في العراق** » ، شؤون فلسطينية ، رقم ١٥ ، تشرين الثاني ١٩٧٢ .

ثالثاً ــ المراجع الإنكليزية :

ABD AL - MUHSIN K.
The Political Career of Muhammed Ja' afar Abu Altimman 1908-1937.
SOAS, London University 1983.

ADLER MARCUS
The Itinerary of Benjamin of Tudela. London, 1907.

AMI—KAM MICHAEL
letters New Statesman 21.3.80 & 25. 7. 80

BARON SALO W.
A Social and Religious History of the Jews. New York 1952 & 1957.

BATUTA H.
The Old Social Classes and the Revolutionary Movement in Iraq. Princeton University Press, 1978.

BEIN ALEX
The Return to the Land. A History of Jewish Settlement in Israel. The Youth and Hechalutz Dept. of the Zionist Organisation. Jerusalem 1952.

BEN—YOSEPH A.
letter Guardian 4.6.79.

BERGER E.
Who Knows Better Must Say So. American Council for Judaism. New York, 1955.

BRENNER LENNI
Zionism in the Age of the Dictators. Croom Helm, London. 1983.

BRITISH FOREIGN OFFICE DOCUMENTS
included in the text

CHOURAQUI A.
A History of the Jews of North Africa. Philadelphia 1968.

COHEN A
Israel and the Arab World. W. H. Allen, London 1970

COHEN H.J.
The Anti-Jewish Farhud in Baghdad in 1941. Middle Eastern studies, Vol. 3 October 1966.

COHEN H.J.
The Jews of the Middle East, 1860-1972. Israel University Press, Jerusalem, 1973.

DAVIS URI
Israel: Utopia Incorporated. Zed, London, 1977 (chapter3).

ELIYAHU EZRA BEN—HAKHAM
Israel's Sephardic Jews. Middle East Internatioal, March 1978

ESKANDARANY Y.J.
Egyptian Jewry-Why it Declined. Khamsim 5 1978 Pluto Press.

EZRA HABIBAH
letter Outwrite July 1983.

FICHEL W.J.
Jews in the Economic and Political Life of Medieval Islam. London 1937

GAON N.
Jerusalem Post 9.10.80.

GILADI G,
Letter Guardian 5.8.85.

GOITEIN S.D.
Jews and Arabs. Schocken Books, New Yew York, 1976.

HIRST DAVID
Disillusioned Jews Flock Back to Morocco. Guardian 2.10.79.

HODER A.
Russian Jews, Black Jews and Non-Jewish Jews. ISRACA No. 5 Jan. 1973.
Agitprop Bookshop, London.

INTERNATIONAL HERALD TRIBUNE
Increasing violence in Israeli election blamed on ethnic hostility, 19.6.81.

KADOURY NAIM
letters Tribune 21.8.81, 14.5.82, 17.8.84.

KEDOURIE ELI
The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies. Weidenfeld and Nicolson. London, 1970.

KEDOURIE ELI
The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies. Weidenfeld and Nicolson. London, 1790.

KEDOURIE ELI
The Jews of Baghdad in 1910. Middle Eastern Studies, vol. 7 no. 3, October 1971.

KIMCHE JON & DAVID
The Secret Roads. Hyperion Press, 1976.

LABOUR REVIEW
How the Zionists Have Fought Peace, London, July 1982.
Zionist Anti-Semitism, 1978.

LANDAU M. J.
Jews in Nineteenth Century Egypt. New York University Press, 1969.

LANDSHUT S.
Jewish Communities of the Middle East. Jewish Chronicle 1950 London

LEWIS BERNARD
The Jews of Islam.R.K.P. London, 1984.

NOAH M.
Travels in Europe and Africa, New York, 1819.

QUIROS F.T.B. DE
The Spanish Jews, translated from the Spanish by J.I. Palmer. Madrid, 1972.

REJWAN N.
The Jews of Iraq. Weidenfeld & Nicolson, London, 1985.

ROTH CECIL
A Bird's Eye View of jewish History. Cincinnati, 1935.

SASSOON DAVID S.
A History of the Jews in Baghdad. Letchworth, 1949.
The History of the Jews of Basra. Jewish Quarterly Review, N.S. vol. 17, pp 407-469.

SCHECHTMAN J. B.
On The wings of Eagles. New York, 1960.

SHAMA A.
Immigration without Integration. Sohenman, Cambridge, Mass., 1977.

SHAPIRO R.
Zionism and its Oriental Subjects, Khamsim 5 Pluto Press, 1978.

SHEMESH. K.
'The Origin and development of Israel's Black Panther Movement' in Israel and the Palestinians. ITHACA, London, 1975.
Documents from Israel, 1967-73, ITHACA, London, 1975.

SHIBLAK ABBAS
The Lure of Zion. Alsaqi Books, London, 1986.

SMOOHA SAMI
Israel, Pluralism and Conflict, R. K. P. 1978.

TWENA A.H. Ed.
Dispersion & Liberation, Vol. 5: Jewish Education in Baghdad, Geoula Synagogue Committee, Ramlai, 1975.

WALKER CHRISTOPHER
The Times 17. 6. 80, 5. 6. 81, 22. 4. 83.

WOOLFSON MARION
Prophets in Babylon. Faber & Faber, London 1980.

YBRUBAL J. ET AL
Letters in Tribune (London) From 30. 11. 79 to 17. 8. 84.

فهرســـت

فايل . فهرست
ديـسك : الأشكال
ALAA

شركة الفجر للطباعة
العاشر من رمضان
ت : ٣٦٢٨٨١-٠١٥

المؤلـــف :

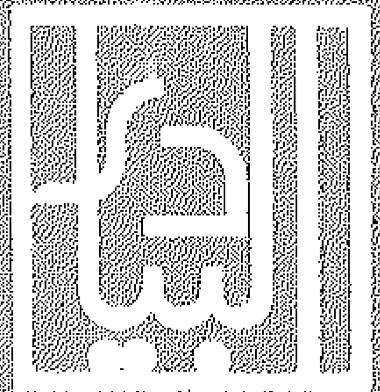
جـدع جــلادي :

هو عربي يهودي من ابناء البلد الأصليين ، عاش في فلسطين منذ عهد الانتداب البريطاني وشاهد بام عينه العمليات الارهابية التي قامت بها العصابات الصهيونية ضد الشعب العربي الفلسطيني ثم نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ونكبة يهود الإسلام واستجلابهم إلى فلسطين ليكونوا « العمل الرخيص » في الاقتصاد الصهيوني .

وفي الخمسينات حصل على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة القدس وعمل كصحافي في جريدة « المرصاد » و « عل همشمار » وصحف أخرى ، مختصاً في الشؤون العربية والفلسطينية . حيث نشر مئات المقالات والأخبار عن مصادرة الأراضي والأملاك الفلسطينية وسياسة القمع والحكم العسكري والتمييز العنصري ضد ابناء فلسطين . وبعد تهديدات مختلفة ارغم على ترك هذه المهنة . ثم عُين استاذاً للأدب العربي والأدب العبري وتاريخ الأمة العربية الإسلامية في مدارس أكاديمية مختلفة . وبعد ملاحقات قاسية ، دامت عشر سنوات ، قام بها جهاز المخابرات الإسرائيلي ضده ، اضطر إلى اللجوء إلى بريطانيا ، حيث مارس التعليم كأستاذ وكمدير لقسم العلوم التاريخية في معاهد علمية مختلفة .

وفي الوقت نفسه شغل دوراً قيادياً في حركة يهود الإسلام ضد الصهيونية في الخارج . كما اشترك في نضال الشعب العربي الفلسطيني في بريطانيا بقيادة ممثل م . ت . ف في المملكة المتحدة . وفي غضون ذلك نشر مقالات ورسائل عديدة والقى الكثير من المحاضرات في هذا الشأن .

وخلال سنوات عديدة عكف الأستاذ جلادي على جمع الوثائق والمواد لهذه الدراسة التي يودّ أن تكون عاملاً جباراً في تحقيق إيمانه الراسخ بنبذ الطائفية العمياء والأقليمية الاقطاعية وبوحدة الكفاح المشترك بين الشعب العربي الفلسطيني ويهود الإسلام ضد الاستعمار الصهيوني الأجنبي — على أساس وحدة الأمة العربية — الإسلامية ، بما فيها السنة والشيعة وأهل الكتاب ، ابناء « دار الإسلام » .



دار البيادر للنشر والتوزيع
٣٥ ش جزيرة العرب . المهندسين . الجيزة